المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كُلِّيَّة الدَّعْوَة وأُصُول الدِّين
قِسم الدَّعْوَة وَالثِّقَافَة الْإِسْلَامِيَّة



جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام والمسلمين

(دراسة تحليلية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الثقافة الإسلامية

إعداد الطالب:

سيف الله حافظ غريب الله

الرقم الجامعي (٤٣٩٧٠٣٥٩)

إشراف الأستاذ الدكتور:

رشدي الشحات زوين

الفصل الدراسي الجامعي الثاني

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م


بسم الله الرحمن الرحيم

وقفة شكر وكلمة وفاء

الشكر لله من قبل ومن بعد، الذي منَّ علي بالهداية والتوفيق، والرعاية والتسديد، حتى أتممت هذا البحث، وأنا في أتم الصحة والعافية، ثم أتوج والدي الكريمين بأعبق الشكر وأوفاه، الذين لهما الفضل بعد الله عز وجل في تربيتي وتوجيهي، فما لسانهما إلا لاهج بالدعاء، وما شكري لهما بوافٍ؛ ولكن ثواب الله كافٍ، فاللهم أنزل على قبر والدتي شآبيب الرحمة، وأطل عمر والدي في طاعتك وأحسن له الخاتمة.

ثم أتقدم بالشكر للمملكة العربية السعودية على اهتمامها بالعلوم الإسلامية، وتوفير المنح الدراسية لطلبة العلم من أبناء المسلمين في جميع أقطار العالم، كما أتقدم بفائق شكري وامتناني لجامعة أم القرى هذا الصرح العلمي المبارك الذي احتضن طلاب العلم حتى شمل عطاؤه أبناء الأقليات المسلمة في شتى أنحاء العالم، أسأل الله أن يجعلها شامخة وأن يوفق القائمين عليها لكل خير.

والشكر موصول لكلية الدعوة وأصول الدين، وأخص قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، وكذلك عمادة الدراسات العليا، والأساتذة الفضلاء الذين كان لنصحهم وتوجيهاتهم الدائمة للباحثين الدور الفعال في تذليل العقبات، ومن الاعتراف بالجميل أن أتوجه بالشكر الوافر إلى أستاذي الدكتور رشدي الشحات زوين أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى والمشرف على هذه الرسالة، على ما أسداه من نصح وتوجيه وإرشاد، وما أبداه تجاه الباحث من أبوة وحرص على ما فيه مصلحة الباحث وتصويب عمله، كما أشكره على كريم أخلاقه وتواضعه، وما تحلى به من سعة صدر، فقد أتاح للباحث الفرصة للمناقشة ولم يفرض عليه رأياً أو اتجاهاً في البحث؛ بل كان ينمي في الباحث الشخصية العلمية والاستقلال في الرأي، وليس هو بحاجة إلى قول ذلك؛ ولكنه الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، فجزاه الله عني خيراً وأجزل له المثوبة على ما قدم.

وأعطف بشكري لأعضاء لجنة المناقشة على تفضلهما بقبول مناقشة البحث، زادهما الله توفيقاً وسداداً، وجزاهما ربي خير الجزاء.

كما أبعث فائق الشكر والوفاء لذوي الفضل من علمائنا ومشايخنا الذين جمعتني بهم ظروف البحث، وخصصوا لي من أوقاتهم الغالية، وجلسوا معي لينيروا لي الطريق في رسالتي، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عصام بن هاشم الجفري، وكذلك شيخي الأستاذ الدكتور محمد السرحاني الذي كان سبباً بعد الله في هذا النتاج، وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن قصاص، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح حساب الغامدي، وفضيلة الشيخ الدكتور علي النملة.

ولا أنسى من عاصرت معي هذه الرسالة، وعاشت معي أحداثها، منذ أن كانت فكرة في عقلي إلى أن أصبحت نتاجاً أحمله بيدي، فيعجز لساني عن شكرها، زوجتي العزيزة شكرها الله وأجزل لها المثوبة.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من أعانني في إنجاز هذا البحث بحوار أو توجيه أو تسهيل مهمة، أو توفير مصدر أو مرجع، وأخص كل من منحني فرصة اللقاء به، وعمل المقابلة معه، وأخص منهم الأستاذ: عبد الرحيم البلوشي، فللجميع الشكر والدعاء، بأن يثيبهم الله عز وجل على ما قدموا، وأسأله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص والصواب في القول والعمل وأن يعفو عن التقصير والزلل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذا بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الثقافة الإسلامية بعنوان: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام والمسلمين (دراسة تحليلية) من الباحث سيف الله حافظ غريب الله.

فكرة الموضوع: دراسة كتب ومؤلفات المستشرقين الذين أسلموا وتناولها بالتحليل مع بيان مناهجهم وتقويمها، والوقوف على آرائهم، والرد على شبهاتهم إن وقعوا بموضوعية.

هدف الدراسة: إظهار جهود من أسلم من المستشرقين من خلال دراسة مؤلفاتهم وخاصة فيما يتعلق بالدفاع عن الإسلام والمسلمين، وإبراز آرائهم في الدفاع عن الإسلام والمسلمين من خلال مؤلفاتهم وتحليلها، مع بيان الإيجابيات والسلبيات في مناهجهم، واستدراك الأخطاء والزلات التي وقعوا فيها ومناقشة الشبهات بموضوعية.

وتتكون الرسالة من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة كالتالي:

الباب الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام.

ويتضمن جهودهم في الدفاع عن القرآن الكريم، والسنة النبوية، والعقيدة الإسلامية، والسيرة النبوية.

الباب الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن قضايا المسلمين.

ويتضمن جهودهم في الدفاع عن حقوق المسلمين في الغرب، وكذلك الدفاع عن القدس، وكذلك الدفاع عن حقوق وقضايا المرأة المسلمة المعاصرة.

الباب الثالث: معالم منهج من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام وخصائصه..

ويتضمن بيان معالم وخصائص منهج المستشرقين الذين أسلموا، مع ذكر إيجابيات وسلبيات منهجهم.

أما أهم النتائج التي توصلت إليها ما يلي:

١/ ثبت بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة أن المستشرقين الذين أسلموا أثبتوا أن القرآن الكريم وحي من عند الله عز وجل، وبينوا مكانة السنة النبوية وإثبات حجيتها، وأنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم.

٢/ دفاعهم عن حقوق إخوانهم الفلسطينيين، وبيان أحقية المسلمين بالمسجد الأقصى.

٣/ بيان مكانة المرأة المسلمة، وإثبات حقوقها الدينية والاجتماعية، والدفاع عن أهم قضاياها المعاصرة.

٣/ رصد بعض الأخطاء العقدية والفقهية واللغوية وكذلك ملاحظات منهجية في كتابات المستشرقين الذين أسلموا.

كما أن أهم التوصيات تتمثل في الآتي:

١/ دعوة العلماء ورجال الفكر إلى إبراز دور المستشرقين الذين أسلموا، والاستفادة منها لدعوة بني جلدتهم إلى الإسلام؛ لأن أقوالهم وكتاباتهم أدعى إلى القبول والرضا من قبلهم.

٢/ ينبغي على الباحثين أن يتناولوا كتابات المستشرقين الذين أسلموا بالتحليل والنقد، والتوسع في دراسة جوانب أخرى كالتفسير والحديث والفقه والحضارة وغيرها.

٣/ ضرورة توفير المصادر العلمية الصحيحة للمسلمين حديثاً من أبناء الغرب؛ لئلا يقعوا فيما وقع فيه المستشرقون من أخطاء علمية ومنهجية حين يطلعون على كتاباتهم ويعتمدون عليها كمصادر للتلقي والتعلم.

سائلاً الله عز وجل أن يجعل هذه الرسالة خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بها قارئها وكاتبها.

المشرف	الباحث
أ. د. رشدي الشحات زوين	سيف الله حافظ غريب الله

THESIS SUMMERY

In the name of Allah most gracious most merciful .

This is a thesis of doctorate on Islamic literature under the name of

(EFFORTS OF ORIENTALISTS WHO CONVERTED TO ISLAM HOW THEY DEFENDED ISLAM AND MUSLIMS.(ANALAYSIS STUDY)

By researcher: Saifullah Hafiz Ghareebullah.

Idea of subject: Studying books of orientalists who converted to Islam، analyzing، evaluating and focusing on their conceptions، clarifying and answering to their confusing ideas (If they had) realistically.

Study Objectives: Showing up efforts of orientalists through studying their books specially those which focus on defending Islam and Muslims and illustrating their thoughts in defending Islam and Muslims through their books and analyzing them and also illustrating the positive and negative sides in their thoughts and correcting mistakes they made and discussing the misconceptions realistically .

The thesis consists of an introduction، preface، three chapters and conclusion as following :

Chapter 1: Efforts of orientalists who converted to Islam in defending Islam specially their efforts in defending The holy Quran، prophet's narrations

(Hadeeth)، Islamic creed and prophet biography .

Chapter 2: Efforts of orientalists who converted to Islam in defending Muslims' issues specially their efforts in defending Muslims' rights in the west، also defending al Quds and defending contemporary rights and issues of Muslim woman .

Chapter 3: Prominent method and properties of orientalists who converted to Islam in defending Islam and it contains illustrating their prominent method and properties and focusing on positives and negatives of their thoughts .

As for the important results I found are as following:

1/The orientalists who converted to Islam found out with strong evidence that the holy Quran is a revelation of God، and they showed the importance of prophet's narrations (Sunnah) and it's the second source of religious legislation after the holy Quran .

2/ Defending the rights of their Palestinian brothers، and showing that Al-Aqsa mosque belong to Muslims .

3/ Showing the status of Muslim woman، and proving her religious and social rights and defending her issues .

4/ Monitoring some mistakes were committed by orientalists in creed، jurisprudence (Fikh)and language and also noticing some mistakes in their thoughts.

As for the most important recommendations are as following:

1-Calling on scholars and intellectuals to show the roles of orientalists and getting benefit from them to call their people to Islam because what they said and wrote can convince their people more than anybody else .

2-Researchers must focus on the books of orientalists by analyzing and criticizing and going far in studying other sides like interpretation، prophet's narrations، jurisprudence (Fikh) and civilization etc .

3-Educational sources must be provided to new Muslims in the west so that they can avoid the educational and thought mistakes that the orientalists made when they read their books and depend on them as sources of knowledge .

I ask Allah to reward me for this thesis and make it beneficial for me and all readers.

Thesis Writter	**Suprevisor**
Prof. Rushdi Al-Shahhat Zuain	**Saifullah Hafiz Gareebullah**

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد:

فقد لجأ الغربيون بعد انتهاء الحروب الصليبية وفشلها إلى دراسة الشرق وحضارته، ووجهوا جل اهتمامهم إلى دراسة العلوم الإسلامية والتركيز عليها، ليتمكنوا من فهم الإسلام والاطلاع على المجتمع الإسلامي عن قرب، وقاموا بوضع الخطط البديلة للتعامل مع المسلمين والنيل منهم ومن ثم السيطرة عليهم؛ مما نتج عن ذلك دراسات استشراقية كثيرة حاقدة على الإسلام والمسلمين، ولكن برز بعض من المستشرقين المنصفين بعد ما أتيح لهم الاطلاع على بعض مصادر الدين الإسلامي وتراثه الأصيل؛ مما أدرك حقيقة الدين الإسلامي وصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فكان سبباً في إشهار إسلامه، واعتناق هذا الدين العظيم، متيقناً أن الدين عند الله الإسلام، وأن من يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٥]، ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ بل كانت لهم إسهامات طيبة وجهود مباركة في التعريف عن محاسن الإسلام وإبراز حضارة المسلمين عبر كتابات ومؤلفات.

ومن هذا المنطلق تكونت لدي رغبة في كتابة بحث عن جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام والمسلمين -دراسة تحليلية- ودراسة هذا الموضوع سعياً في إبراز جهودهم من خلال مؤلفاتهم وتراثهم، وكذلك الوقوف على منهجهم في الكتابة والتأليف وتقييمها إيجابياً وسلبياً، مع بيان ما وقعوا فيها من أخطاء وزلات؛ لأنهم بالرغم من إسلامهم إلا أنهم لم يستطيعوا الانفكاك بالكلية عن المناهج المنحرفة التي نشأوا عليها منذ صغرهم في بيئاتهم ومجتمعاتهم؛ حيث يأتي هذا البحث لتقييم مسيرة هؤلاء وتحليل آرائهم وشبهاتهم بموضوعية، وعنونت لهذا البحث بعنوان (جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام والمسلمين)، سائلاً المولى التوفيق والإعانة والسداد.

أولا: التعريف بالدراسة

سعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى إبراز جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام والمسلمين من خلال دراسة كتبهم بالتحليل وبيان مناهجهم وتقويمها؛ حيث إن لهم جهوداً واضحة وملموسة في التعريف بالإسلام ونقل محاسنه والدفاع عن قضاياه وخاصة في بلاد الغرب.

واعتمدت الدراسة على محاولة تقديم بعض مميزات الإسلام ومحاسن المسلمين من خلال دراسة وإبراز تراث هؤلاء المستشرقين الذين أسلموا وما كتبوه رداً على بني جلدتهم من المستشرقين المتعصبين الذين لا يزالون يشوهون صورة الإسلام؛ بل ويحاربونه بأقلامهم الحاقدة.

ومن المعلوم أن هناك مستشرقين تأثروا بالتراث الإسلامي، ومن ثم هداهم الله إلى الإسلام، فكان لهم نتاج وتراث كبير؛ وذلك ما يتطلب إبراز تلك الجهود المضيئة وتقويم أخطائها.

ومن أبرز هؤلاء المستشرقين الذين ورد ذكرهم في هذه الرسالة: اتيين دينيه ولورد هدلي ومارمادوك بكثول وعبد الواحد يحي وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد وموريس بوكاي ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان وجاري مللر.

ثانياً: أهمية الدراسة

تتضح أهمية هذه الدراسة عبر استهدافها لإبراز النقاط التالية:

١/ الوقوف على جهود من أسلم من المستشرقين فيما يختص بالقضايا المتعلقة بالإسلام والمسلمين والدفاع عنهم.

٢/ إبراز تراث من أسلم من المستشرقين وبيان معالم منهجهم في الكتابة والتأليف.

٣/ الوقوف على بعض الأخطاء والمغالطات التي وقعت في آرائهم ومناهجهم.

٤/ مناقشة الشبهات الواردة في كتابات من أسلم من المستشرقين والرد عليها بعلمية وموضوعية.

٥/ تحليل مناهجهم في الدفاع عن الإسلام والمسلمين وذكر إيجابياتها وسلبياتها.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع

يقف وراء اختيار هذا الموضوع أسباب منها:

١- أهمية الدراسات التي كتبها من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام والمسلمين؛ وذلك لبيان الصواب وإظهار الحق لبني جلدتهم من الغربيين، فيكون ذلك أقرب إلى الرضا وأدعى للقبول.

٢- الحاجة الماسة للوقوف على مناهج وأقوال هؤلاء المستشرقين لبيان أخطائهم وزلاتهم، فلا يعني أنهم أسلموا وكتبوا عن الإسلام أنه ليست لديهم أخطاء ومغالطات.

٣- القول العدل في هؤلاء المستشرقين، فلا نغرق في مدحهم فنجعلهم عظماء، ولا في ذمهم بحيث نقلل من شأن اعتناقهم للإسلام؛ بل المطلوب هو الإنصاف والعدل ومناقشة شبهاتهم بموضوعية.

٤- لم تسع الدراسات الأكاديمية إلى إبراز جهود هؤلاء المستشرقين المهتدين في جانب الدفاع عن الإسلام والمسلمين -على حد علم الباحث- مما يتطلب تناولها ودراستها دراسة وافية.

٥- التطلع لأن يكون هذا البحث معبراً وباباً لمن يرغب في تناول جانبٍ من جوانبه ومنطلقاً وعوناً للكتاب والباحثين الذين يريدون التوسع في معرفة المستشرقين الذين أسلموا ودراسة تراثهم.

رابعاً: أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- إظهار جهود من أسلم من المستشرقين من خلال دراسة مؤلفاتهم وخاصة فيما يتعلق في الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

٢- إبراز آرائهم في الدفاع عن الإسلام والمسلمين من خلال مؤلفاتهم وتحليلها.

٣- استدراك الأخطاء والزلات التي وقعوا فيها ومناقشة الشبهات التي لديهم بموضوعية.

٤- بيان الإيجابيات والسلبيات في مناهجهم.

خامساً: تساؤلات البحث

يسعى الباحث من خلال موضوعه للإجابة عن التساؤلات التالية:

١- ما جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام والمسلمين؟

٢- ما القيمة العلمية لمؤلفات وكتابات المستشرقين الذين أسلموا؟

٣- ما الإيجابيات والسلبيات التي تتصف بها مناهجهم؟

٤- ما المآخذ والمغالطات التي وقعوا فيها وما أسباب ذلك؟

٥- كيف تتم مناقشة شبهاتهم التي بثّوها في كتبهم ومؤلفاتهم؟

سادساً: حدود الدراسة.

حدودها الزمانية فتختص بالفترة التي عاش فيها أكثر هؤلاء المستشرقين والتي تتمثل في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وبناء عليه تم اختيار الشخصيات المراد دراستها وفق الضوابط التالية:

١/ كل من ينطبق عليه مصطلح مستشرق[١].

٢/ ثبوت إسلامه واشتهاره بذلك سواءً كان ذلك باعترافه أو نقل عنه.

٣/ لديه تراث علمي ومؤلفات عن الإسلام والمسلمين.

٤/ عاش أكثر حياته خلال القرن العشرين الميلادي.

سابعاً: الدراسات السابقة.

هذه الدراسة ستعمل على استكمال الجوانب المهملة في الدراسات السابقة لهذا الموضوع، ويؤكد ذلك: أنه بعد البحث والتحري في المكتبات والمراكز المتخصصة البحثية ومن أبرزها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وكذا الجامعات السعودية، وبعد سؤال المتخصصين من أهل العلم لم أجد دراسات أكاديمية ولا رسائل علمية تناولت جانب الدفاع عن الإسلام والمسلمين في كتابات من أسلم من المستشرقين؛ بيد أن هناك رسالتين علميتين **أولاهما** بعنوان: (جهود من أسلم

---

(١) سيأتي بيان كلمة مستشرق في التعريف بمصطلحات الدراسة.

من النصارى في كشف فضائح الديانة النصرانية) لماما دو كارامبيري بروكينابي، وتتركز هذه الرسالة في نقد الديانة النصرانية، **وثانيتهما**: رسالة علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للطالب حبيب الرحمن أحمد بعنوان: (المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوروبيين).

ويكمن الفرق بين الدراستين السابقتين والدراسة الحالية فيما يلي:

١/ بالنسبة للرسالة الموسومة بـــ(جهود من أسلم من النصارى في كشف فضائح الديانة النصرانية) فالفرق فيها ظاهر وتركيزها على ذكر محاسن الإسلام قليل جداً؛ إذ هي دراسة مركزة في فضح المهتدين من النصارى للعقيدة النصرانية –وليس المستشرقين المهتدين– وملاحظة ترتيب أبوابها وفصولها حسب مفردات العقيدة النصرانية وتخبطاتها، ولا توجد مقارنة بين الرسالتين، وكذلك لا يشترط فيمن أسلم من النصارى أن يكون مستشرقاً له اهتمام بالعالم الإسلامي.

٢/ وضوح الفرق بين الرسالة الحالية والرسالة السابقة في طبيعة تناول مجال الدراسة، فالدراسة الحالية تنصب فيما يتعلق بالدفاع عن الإسلام والمسلمين وإظهار محاسنه والدفاع عن القضايا المعاصرة؛ أما الرسالة السابقة فهي مركزة في كشف الديانة النصرانية وتناقضاتها.

٣/ أما الرسالة الثانية وعنوانها: (المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوروبيين) فإنها اهتمت بالمسائل العقدية وأولتها جل اهتمامها، وركزت على آرائهم المتصلة بالمسائل العقدية، والرد على ما هو تفسير غير صحيح من وجهة نظر إسلامية؛ أما مجال هذا البحث فهو ثقافي يوسع الدائرة إلى نظرة المستشرقين إلى التراث وخدمتهم لقضايا المسلمين في بلدانهم وقضايا المسلمين الكبرى، ومواجهة التغريب في العالم الإسلامي من خلال نقدهم وكشفهم لما يراد بالمرأة المسلمة والقضية الفلسطينية وغير ذلك، وبالتالي فإن الدراسة السابقة تبتعد عن الدراسة الحالية، فهي متخصصة في مسائل العقيدة وأصول الإيمان؛ بينما الدراسة الحالية متخصصة في الدفاع عن الإسلام والمسلمين في مؤلفات من أسلم من المستشرقين؛ وبهذا يتضح بُعد الدراستين عن بعضهما في الهدف والمضمون، وظاهر اختلاف مجال الدراستين.

٤/ هذا البحث أوسع تناولاً وأشمل دراسة فضلاً عن أن بحث العقيدة تناول الآراء العقدية للمهتدين من النصارى؛ لنقدها وتقويمها وعرضها على وجهة النظر الإسلامية ومناقشتها، بينما دراستي تسعى لإبراز مفهوم خدمة الأمة الإسلامية وتميز الإسلام والمناضلة لخدمة قضاياه، وإبراز نداءات هؤلاء المستشرقين لمن بهرته الحضارة الغربية من المسلمين، وبيان عوارها وكشف عورتها، وبيان

التميز الإسلامي والوحدة الإسلامية والهم المشترك لدى من أسلم منهم، مع بيان جهد كل منهم من جانب ثقافي ميداني ملموس في الواقع؛ مع الإقرار بأن الباحث قد استفاد من بحث العقيدة وجعله أحد مراجعه في بيان خدمتهم للعقيدة مع ذكر أبرز المؤاخذات إن وجدت.

٥/ الدراسات السابقة تحدثت عن جهود المستشرقين وغير المستشرقين من أهل الكتاب والمجوس فيما يخص جانب العقيدة وفي كشف تناقضات عقيدة النصارى بينما دراستي الحالية تتميز بالنقاط التالية:

أولاً: الدراسة الحالية ستكون أوسع من الدراسات السابقة؛ إذ تشمل دراسة مواقف هؤلاء المستشرقين في الدفاع عن الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً وحضارة، والدفاع عن حقوق المسلمين في الزمن الحاضر، وكذلك الدفاع عن حقوق المرأة المسلمة المعاصرة.

ثانياً: تتبع مواقف ومناهج المستشرقين الإيجابية في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، والإفادة من تلك المواقف والمنهجيات الإيجابية في الرد على المتعصبين من المستشرقين وعن حقوق المسلمين في الزمن المعاصر.

ثالثاً: بيان مناهجهم في دراساتهم للإسلام والدفاع عنه مع ذكر محاسن تلك المناهج وسلبياتها بموضوعية.

رابعاً: مناقشة أبرز ما وقع فيه هؤلاء من أخطاء منهجية منطلقين فيها من خلفياتهم الفكرية السابقة.

خامساً: دراستي الحالية تخصص باباً كاملاً في معالم منهج هؤلاء المستشرقين الذين أسلموا وخصائصه، وتقييم ذلك المنهج بالسلب والإيجاب، والوقوف على كتاباتهم وآرائهم من خلال تراثهم ومؤلفاتهم، بينما أُغفل ذلك في الدراسات السابقة.

سادساً: بالنظر إلى الشخصيات فالدراسة الحالية أوسع وأشمل من الرسالتين السابقتين، فالشخصيات التي ستتناولها هذه الدراسة عددها (١١) شخصية، واستخدام فكرهم كدرع حصين نحتمي به من طعنات الغزو الثقافي الاستشراقي، بخلاف الدراسات السابقة.

ثامناً: منهج البحث

نهج الباحث في دراسة هذا الموضوع المنهج التحليلي، القائم على التفسير والنقد والاستنباط[1]، والمنهج الوصفي الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها[2]، المبني على المصادر والمراجع الموثقة لبيان الأحداث والوقائع، والمنهج النقدي لبيان الإيجابيات والسلبيات وإيضاح الصواب والخطأ، والتعليق والرد على المخالفات والتجاوزات التي وقف عليها الباحث، في دراسة جهود المستشرقين الذين أسلموا عبر كتاباتهم عن الإسلام والمسلمين، ويتضمن ذلك ما يلي:

-التعريف بأعلام هذه الدراسة وهم المستشرقون الذين أسلموا وعددهم (١١) شخصية، والاقتصار على ذلك حسب خطة القسم، إضافة إلى تعريف مبسط بمؤلفاتهم كل على حدة؛ وفي عرض المسائل والموضوعات فاعتمدت على كتاباتهم حسب المسألة والموضوع.

- ركز الباحث على إبراز جهودهم فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين دون التطرق لمواضيع أخرى.

- التزم الباحث بالترتيب التاريخي في تناول الشخصيات.

وبالنسبة للمنهجية الفنية فقد سرى الباحث في هذا البحث على ضوء النقاط التالية:

١/ عزوت الآيات القرآنية إلى مواطنها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مكتوبة بالرسم العثماني.

٢/خرجت الأحاديث النبوية مكتفياً في ذلك بما ورد في الصحيحين أو أحدهما، فإن ورد الحديث في غيرهما ولو يرد في الصحيحين نقلت كلاماً لبعض أهل العلم في الحكم عليه.

٣/ ترجمت للأعلام غير المشهورين الذين وردت أسماؤهم في صلب البحث ومن له علاقة مباشرة بالموضوع، سوى الصحابة والتابعين.

---

(١) فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م، ص٩٦، ٩٧.

(٢) أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، دار غريب للطباعة، مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٧٧م ص١٨٢.

٤/ اتبعت في حالة النقل من المصدر بالنص الإحالة عليه بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب، والجزء والصفحة، وفي حالة النقل بالمعنى ولو كان يسيراً فإني أثبته مسبوقاً بكلمة (انظر).

٥/ عزوت النصوص والأقوال إلى المرجع الأصلي، فإن لم أتمكن من الرجوع إليه عزوت إلى من نقلت عنه.

٦/ اتبعت في إثبات النصوص المنهج التالي:

- وضعت الآيات القرآنية بين قوسين على الشكل التالي: ﴿.......... ﴾

- وضعت الأحاديث النبوية الشريفة بين قوسين على الشكل التالي: ((.......)).

- وضعت النصوص التي تم نقلها بين قوسين على الشكل التالي: "............ ".

- جعلت كلمة صلى الله عليه وسلم وكلمة رضي الله عنه بين شرطين - - للدلالة على أنها زيادة من الباحث وليس من النص المقتبس.

تاسعاً: خطة البحث.

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد، ويشتمل على التعريف بمصطلحات الدراسة وتحرير مفردات العنوان، وذكر نبذة تعريفية مختصرة عن المستشرقين الذين أسلموا، وقصص إسلامهم وأسباب إيمانهم، وكذلك عرض مؤلفاتهم، وهو مقسم إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام، وتحته أربعة فصول.

الفصل الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن القرآن الكريم، وتحته ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في إثبات مصدرية القرآن الكريم وبيان تأثيره ومعجزاته، وتحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: جهودهم في إثبات أن القرآن الكريم وحي من عند الله.

المطلب الثاني: جهودهم في بيان تأثير القرآن الكريم وبلاغته.

المطلب الثالث: جهودهم في بيان الإعجاز القرآني (بيان توافق الحقائق العلمية للقرآن الكريم).

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في رد الشبهات المثارة حول القرآن الكريم، وتحته مطلبان.

المطلب الأول: جهودهم في رد شبهة (بشرية القران الكريم).

المطلب الثاني: جهودهم في رد شبهة (اقتباس القرآن الكريم من التوراة والإنجيل).

المبحث الثالث: جهود من أسلم من المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم، وتحته مطلبان.

المطلب الأول: جهودهم في ترجمة القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تقويم ترجمة المستشرقين الذين أسلموا للقرآن الكريم.

الفصل الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن السنة النبوية، وتحته مبحثان.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في بيان مكانة السنة وحجيتها ومنهج المحدثين، وتحته مطلبان.

المطلب الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في بيان مكانة السنة النبوية وحجيتها.

المطلب الثاني: بيان مزايا منهج المحدثين في التحقيق من السنة النبوية.

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في ترجمة السنة النبوية وتقويمها، وتحته مطلبان.

المطلب الأول: جهودهم في مجال ترجمة السنة النبوية.

المطلب الثاني: تقويم ترجمة المستشرقين الذين أسلموا للسنة النبوية.

الفصل الثالث: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن العقيدة، وتحته مبحثان.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن (أركان الإسلام الخمسة)، وتحته خمسة مطالب.

المطلب الأول: جهودهم في الدفاع عن الركن الأول (الشهادتين)

المطلب الثاني: جهودهم في الدفاع عن الركن الثاني (الصلاة)

المطلب الثالث: جهودهم في الدفاع عن الركن الثالث (الصوم)

المطلب الرابع: جهودهم في الدفاع عن الركن الرابع (الزكاة)

المطلب الخامس: جهودهم في الدفاع عن الركن الخامس (الحج)

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن (أركان الإيمان الستة) وتحته ستة مطالب.

المطلب الأول: جهودهم في الدفاع عن الركن الأول (الإيمان بالله).

المطلب الثاني: جهودهم في الدفاع عن الركن الثاني (الإيمان بالملائكة).

المبحث الثالث: جهود من أسلم من المستشرقين في رد الشبهات المثارة حول الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحته مطلبان.

المطلب الأول: جهودهم في رد شبهة (اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون والسحر).

الباب الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن قضايا المسلمين، وتحته ثلاثة فصول.

الفصل الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق المسلمين في الغرب، وتحته مبحثان.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الحقوق الدينية، وتحته مطلبان.

المطلب الأول: جهودهم في الدفاع عن حق أداء العبادات وممارسة الشعائر الدينية.

المطلب الثاني: جهودهم في تحسين صورة الإسلام في بلدانهم.

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الحقوق الاجتماعية.

الفصل الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن القدس، وتحته مبحثان.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن المسجد الأقصى.

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق الفلسطينيين.

الفصل الثالث: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق وقضايا المرأة المسلمة المعاصرة، وتحته مبحثان.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق المرأة المسلمة وتحته مطلبان.

المطلب الأول: جهودهم في بيان مكان المرأة في الإسلام.

المطلب الثاني: جهودهم في الدفاع عن حقوق المرأة المسلمة الدينية والاجتماعية.

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن قضايا المرأة المسلمة، وتحته مطلبان.

المطلب الأول: جهودهم في الدفاع عن قضية تحرير المرأة المسلمة.

المطلب الثاني: جهودهم في الدفاع عن قضية الحجاب.

الباب الثالث: معالم منهج من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام وخصائصه، وتحته فصلان.

الفصل الأول: معالم منهج المستشرقين الذين أسلموا في الدفاع عن الإسلام.

المبحث الأول: معالم منهجهم في الدفاع عن الإسلام.

المبحث الثاني: خصائص منهجهم في الدفاع عن الإسلام.

الفصل الثاني: إيجابيات منهج المستشرقين الذين أسلموا في الدفاع عن الإسلام وسلبياته، وتحته مبحثان.

المبحث الأول: إيجابيات منهجهم في معرض الدفاع عن الإسلام.

المبحث الثاني: سلبيات منهجهم في معرض الدفاع عن الإسلام.

ثم الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.

التمهيد

وفيه:

- أولاً: التعريف بمصطلحات الدراسة
- ثانياً: نبذة مختصرة عن المستشرقين الذين أسلموا

التمهيد

أولاً: التعريف بمصطلحات الدراسة وتحرير مفردات العنوان

عنوان هذه الرسالة هو: (جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام والمسلمين) وأستهل بتعريف مبسط لمفردات عنوان الدراسة في اللغة والاصطلاح.

أ. تعريف كلمة جهود:

١/ تعريف الجهود في اللغة:

الجهود جمع جَهْد أو جُهْد بضم الجيم أو فتحها، بمعنى الطاقة، تقول: اجْهَد جَهْدَك؛ وقيل: الجَهْد المشقة، والجُهْد: الطاقة(١).

يقال: جَهَد دابته وأَجْهَدَها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجَهَدَ الرجل في كذا، أي: جَدَّ فيه وبالغ وبابها قطع، وجُهِدَ الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مَجْهُودٌ من المشقة، وجَاهَدَ في سبيل الله مُجَاهَدةٌ وجَهَاداً، والاجْتِهادُ، والتَّجَاهُدُ: بذل الوسع(٢).

مادة الجيم والهاء والدال في اللغة ترجع إلى أصل المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه ويقال: إن المجهود اللبن الذي أخرج زُبْده، ولا يكاد ذلك يكون إلا بمشقة ونصب(٣).

٢/ تعريف الجهود في الاصطلاح:

هي "كل نشاط يبذله الكائن الواعي جسميا أَو عقليا ويهدف غالبا إلى غاية"(٤).

فيُقصد بها هنا: تتبع كل جهد ونشاط من مؤلفات وكتابات من قبل المستشرقين الذين أسلموا في دفاعهم عن الإسلام والمسلمين بكل وضوح وشفافية.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، باب الجيم، ط١، دار صادر بيروت، ج٣ ص ١٣٣.

(٢) محمد بن بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، بيروت، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥م ص٦٣.

(٣) أحمد فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة، باب الجيم والهاء وما يثلثهما، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ج١ ص ٤٨٦، وكذلك معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٤، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٥/٢٠٠٤م ص١٤٢.

(٤) إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، دار الدعوة، ج١ص١٤٢.

ب. تعريف المستشرق في اللغة والاصطلاح

١/ المعنى اللغوي للاستشراق:

عند النظر إلى مصطلح الاستشراق، ومصطلح مستشرق نجد أنهما من المصطلحات الجديدة، وغير موجودة في معاجم اللغة العربية، وبالاستناد إلى قواعد الصرف وعلم اللغة يمكن الوصول إلى المعنى المقصود منهما أو ما يقاربه.

فالاستشراق لغة: مشتق من مادة شَرَق يقال: شَرَقت الشمسُ شُروقاً وشَروقاً، إذا طلعت(١)، وشَرْقٌ: هي جهة شروق الشمس، والتشريق: الأخذ من ناحية المشرق، وشَرَّقُوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شَرقَ(٢).

والسين في كلمة (الاستشراق) تفيد الطلب، ولفظ (Orient) في الدراسات الأوروبية تشير إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية(٣).

والمراد بالمشرق الجغرافي: هو قسم من المناطق الواقعة شرقي البحر المتوسط الأبيض وشرقي (أوروبا) وهو أقسام: الشرق الأدنى، والشرق الأوسط، والشرق الأقصى(٤).

والشرق: جهة شروق الشمس، والبلاد الإسلامية(٥).

كما يراد بالشرق من الناحية التاريخية والجغرافية ما يلي: هو مجموعة الأقطار المنتشرة في آسيا وبعض الأقطار في أفريقيا مما يطل على حوض البحر المتوسط وبعض أجزاء من أوروبا الشرقية، وذلك بالنظر إلى الروابط التاريخية والدينية واللغوية التي تربط بين هذه الأقطار(٦).

---

(١) معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج١ ص٤٨٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ج٨، ص٦٤.

(٣) مازن صلاح مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٣.

(٤) جبران مسعود، الرائد معجم لغوي معاصر، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٤٧٠.

(٥) إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، ص ٣٤١.

(٦) محمد البشير مغلي، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ ص ٣١.

الاستشراق تعريب للكلمة الإنجليزية Orientalism مأخوذ من الاتجاه إلى الشرق، وكلمة الاستشراق مشتقة من (شرق) يقال شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت[1]، وهي تعني مشرق الشمس، وترمز إلى مجال الاهتمام بهذا الحيز المكاني من الكون وهو الشرق؛ أما إذا أضيف إليها الألف والسين والتاء والتي تعني طلب الشرق؛ فإن معناها طلب علوم الشرق وآدابه وأديانه بصورة شاملة، ومنهم من يقول: ليس القصد منه الشرق المكاني الجغرافي، وإنما هو الشرق المقترن بالشروق والنور والهداية[2].

من خلال ما سبق: يمكن القول بأن المقصود بالشرق هنا: هو المشرق الجغرافي والتاريخي الذي قصده الغربيون من رجال دين وكتاب وعلماء ومفكرين بالبحث والكتابة عن الإسلام والمسلمين لأهداف وغايات.

٢/ المعنى الاصطلاحي للاستشراق:

تعددت تعريفات العلماء للاستشراق وأذكر هنا أبرزها:

-كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه، وسواء كان ذلك المرء مختصاً بعلم الإنسان الأنثربولوجيا[3]، أو بعلم الاجتماع، أو مؤرخاً أو فقيه لغة في جوانبه المحدودة والعامة على حد سواء هو مستشرق، وما يقوم به هو أو هي بفعله هو(استشراق)[4].

-أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه[5].

-أنه تعبيرٌ يطلق على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، شعوبهم وتاريخهم وأديانهم ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية وبلدانهم وسائر أراضيهم، وما فيها من كنوز وخيرات وحضارتهم وما يتعلق بها[6].

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج ١ ص ٤٨٢.

(٢) محمد سعيد السرحاني، الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم بحث علمي غير مطبوع، ص٣.

(٣) الانثربولوجيا: هي علم الإنسان، ويدرس نواحي النوع الإنساني وكل الظاهرات المتعلقة به وتهتم بدراسة النظم الاجتماعية، وله ثلاثة فروع رئيسية: الطبيعة وتدرس النمو الجسمي للإنسان، والاجتماعية وتهتم بدراسة النظم الاجتماعية المختلفة دراسة مقارنة، والثقافية وتهتم بدراسة عادات الشعوب وتقاليدها دراسة تاريخية، انظر: سعيد بن ناصر الغامدي، الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها (دراسة نقدية شرعية)، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤ هـ، ج٢ ص٧٦٤.

(٤) إدوارد سعيد، الاستشراق (المعرفة –السلطة– الإنشاء) ترجمة كمال أبو الديب، بيروت، الطبعة الثانية، ص٣٨.

(٥) إدوارد سعيد الاستشراق (المعرفة –السلطة– الإنشاء) ص١٤٥.

(٦) عبد الرحمن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير –الاستشراق– الاستعمار)، ط ٨، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٢٠.

-الدراسة المتقصية المتنوعة المتعددة الأغراض التي مارسها الغربيون لمحاولة فهم الشرق والتعرف إلى كنوزه الحضـــارية، وعاداته وتقاليده وحضـــارته وديانته وكل منحى من مناحي حياته، مهما كان الغرض الدافع إلى هذه الدراسة، سواء أكانت لأهداف دينية أو عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية، وهذه الدراسة الضخمة أنتجت لنا ما نطلق عليه (الاستشراق)(١).

-أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه(٢).

-دراســة الشــرق وثقافاته ومعتقداته وآدابه وعاداته وتقاليده وأســاطيره وتاريخه من قبل علماء ومؤسسات غربية(٣).

-الدراســات الغربية المتعلقة بالشــرق الإســلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده، وتشــريعاته وحضارته بوجه عام(٤).

ويراد بالاستشراق: "ذلك الاتجاه الفكري أو الدراسات والأبحاث المتخصصة بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام بصفة خاصة، وقد كان مقتصراً في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية، ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله بلغاته وتقاليده وآدابه"(٥).

ويعرفه الأســتاذ الدكتور علي النملة(٦)بأنه: "ظاهرة تمثل الاهتمام بعلوم الشـــرق بعامة وبعلوم المسـلمين بخاصـة، ولم يقتصـر اهتمامهم على العلوم فحسـب؛ بل امتد الاهتمام إلى الثقافة والآداب والعادات والتقاليد والأساطير ونحوها"(٧).

(١) سامي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط١، بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م، ج ١، ص٢٠.

(٢) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، المجلد ١، ص ١١٩٢.

(٣) علي إبراهيم النملة، الاستشراق والدراسات الإسلامية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم)، ط١، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٦٨. نقلاً عن الدراسات الإسلامية في الجامعة الألمانية، رودي بارت، ترجمه مصطفى ماهر، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ص ١١.

(٤) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٧م، ص ١٨.

(٥) على جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ط ٥، المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، ص ١٥.

(٦) على إبراهيم الحمد النملة: ولد في البكيرية بمنطقة القصيم عام ١٣٧٢هـ، حصل على درجة الماجستير من جامعة فلوريدا عام ١٣٩٩هـ تخصص المكتبات والمعلومات، وحصل على الدكتوراه في نفس التخصص عام ١٤٠٤هـ من جامعة كيس وسترن رزرف، أستاذ المكتبات والمعلومات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وله العديد من المؤلفات والمقالات العلمية، لقاء الباحث مع د. علي النملة في مكة المكرمة بتاريخ: ٢٠٢٠/٤/٢٧م.

(٧) علي إبراهيم النملة، الاستشراق والدراسات الإسلامية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم)، ص ٦٥.

كما يذكر الدكتور النملة تعريفاً أخص من سابقه فيقول: "الاستشراق هو دراسة العلوم الإسلامية وآداب المسلمين وعقائدهم وثقافاتهم وتراثهم وأساطيرهم من علماء غير مسلمين ومؤسسات غير مسلمة، وواضح أن هذا التعريف الأخص يخرج أولئك الذين يدرسون ثقافات شرقية غير إسلامية، كما يدخل أولئك العرب غير المسلمين ممن لهم إسهامات مباشرة في علوم المسلمين"(١).

-هو اتجاه فكري يعنى بدراسة الإسلام والمسلمين ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ، وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى(٢).

من خلال ذكر التعريفات السابقة: يتضح أن الاستشراق لا يخرج عن كونه الدراسات العلمية والأبحاث المتعلقة بالشرق عموماً، والإسلامي خصوصاً، في شتى مناحي الحياة من علوم وتاريخ وحضارة ولغات وآداب وعادات وتقاليد، لدوافع متعددة.

٣/ تعريف المستشرقين:

ارتبطت كلمة المستشرقين بمصطلح (الاستشراق)، مما دفع المتخصصين في دراسة الاستشراق إلى الاختلاف حول مفهوم كلمة (مستشرق)؛ فتباينت آراؤهم وتعددت اتجاهاتهم في الإجابة عن السؤال: من هو المستشرق؟

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة القول بأن: "استشرقَ، يستشرقُ استشراقاً، فهو مستشرقٌ، واستشرق الأوروبي: اهتم بالشرق وبالدراسات الشرقية، ومستشرقٌ فرنسيٌّ: أديب فرنسي يهتم بدراسة تراث الشرق وحضارته ولغاته"(٣).

(١) المرجع السابق، ص ٦٨-٦٩.

(٢) محمد سعيد السرحاني، الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم بحث علمي غير مطبوع، ص٣.

(٣) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ١١٩٢.

ويرى مالك بن نبي[1] أن المستشرقين هم: "الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي، وعن الحضارة الإسلامية"[2].

ويُعَرِّفُ الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني[3] المستشرقين بأنهم: "الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرقيين، ويقدمون دراساتهم ونصائحهم للمبشرين ولدوائر الاستعمار بغية تحقيق أهداف التبشير والاستعمار"[4].

وعرفه آخر بأنه: "بالمعنى العام يطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه"[5].

ويمكن القول: إن المقصود بالمستشرق: هو من طَلَبَ علوم الشرق وثقافته، فالمستشرق: هو الغربي الذي يقوم بدراسة الشرق وعلومه وخاصة عن الإسلام أو المسلمين.

فالمستشرق المعني في دراستي هو: الغربي الذي له مؤلفات وكتابات عن الإسلام والمسلمين وثبت إسلامه بالقرائن الصريحة.

---

(١) مالك بن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي (١٩٧٣-١٩٠٥)، مفكر جزائري من أعلام النهضة الإسلامية في العصر الحديث، كرس جهوده الفكرية في المشكلات الحضارية ومحاولة النهضة بالبلدان المتخلفة والمستعمرة، ويشكل إنتاجه الثقافي إضافة فكرية مكثفة وعميقة ساهمت في تطور الفكر الإسلامي المعاصر، والارتقاء بنظراته بما يتناسب ومشكلات الحضارة في العالم الإسلامي، له أكثر من عشرين كتاب من أبرزها الظاهرة القرآنية وشروط النهضة ووجهة العالم الإسلامي وميلاد مجتمع، انظر: زكي الميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، ص٣٧-٣٨ وص٥٥، وكذلك عبدالله العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر: بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م، ص٥١.

(٢) مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط١، بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م، ص ٥.

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، ولد الشيخ في دمشق عام ١٩٢٧م، ونشأ في بيت علم ودعوة، درس في الأزهر، وعمل بعد تخرجه في مديرية التعليم الشرعي التابعة لوزارة الأوقاف السورية، ثم عضو هيئة البحوث في وزارة التربية والتعليم السورية، انتقل بعدها إلى السعودية، وعمل أستاذا في جامعة الإمام محمد بن سعود، ثم جامعة أم القرى، وقد انشغل بالرد على أعداء الإسلام، والتصدي للغزو الفكري، وله العديد من المؤلفات، توفي ٢٠٠٤م، ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، ج٣، ص ٥٩-٦٦.

(٤) عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير - الاستشراق - الاستعمار)، مرجع سابق، ص٢١.

(٥) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص ١٨.

ج. تعريف الدفاع:

مادة (دفع) الدال والفاء والعين أصل واحد مشهور، يدل على تنحية الشيء، يقال: دفعت الشيء أدفعه دفعاً، ودافع الله عنه السوء دفاعاً، ومنه الدفعة من المطر والدم وغيره، والدفاع هو السيل العظيم، وكل ذلك مشتق من أن بعضه يدفع بعضاً(١).

لكن الدفع يشمل معنى الإزالة بقوة، دَفَعَهُ يَدْفَعُه دَفْعاً ودِفَاعاً ودَافَعَه فانْدَفَع وتَدَفّع وتَدافَع، وتدافَعُوا الشيءَ: دَفَعَه كُلُّ واحدٍ منهم عن صاحبه، وتدافَع القومُ أي دَفع بعضُهم بعضاً، ورجل دَفّاع ومِدْفَع: شديد الدَّفْع(٢).

فيكون المراد به في هذه الدراسة ما كتبه المستشرقون الذين أسلموا في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وبيان صورة الإسلام على حقيقته وإظهار محاسنه، وإيضاح الجوانب المشرقة فيه، ونقد عقيدة التثليث والمذاهب المنحرفة والأفكار الهدامة، وإبراز أهم التحديات التي تواجه المسلمين في الغرب وكذلك المرأة المسلمة المعاصرة.

د. تعريف الإسلام:

هناك تعريفات متعددة لمعنى الإسلام فمنهم من عرفه "بحديث جبريل عليه السلام؛ حيث جاء بهيئة أعرابي، يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليسمع الحاضرون ويتعلَّموا أمور دينهم، جاء في هذا الحديث: فأخبرني عن الإسلام فقال صلى الله عليه وسلم: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا(٣))).

ومنهم من عرفه بقوله: "الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله"(٤).

وكذلك ورد في تعريفه "الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، إذلالاً وخضوعاً"(٥).

---

(١) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة، ج٢ ص٢٨٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٨ ص٨٨، وكذلك محمد عبد الرزاق الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس، دار الهداية، ج٢٠ ص٥٥٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، (٣٦/١) ح (٨).

(٤) محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح ثلاثة الأصول، دار الثريا للنشر، ط ٤، ١٤٢٤هـ ص ٨٦، ٦٩.

(٥) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فتاوى نور على الدرب، بعناية الشويعر، ج ١ ص٩.

ثانياً: نبذة مختصرة عن المستشرقين الذين أسلموا وعرض لمؤلفاتهم.

١/ اتيين دينيه.

أولاً: التعريف به.

اسمه: قبل إسلامه كان اسمه: المسيو –معناه السيد– اتيين دينيه، واختار لنفسه بعد إسلامه: ناصر الدين دينيه[١].

مولده ونشأته: "كانت ولادته في باريس بفرنسا سنة ١٨٦١م وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير الفرنسيين وصاحب اللوحات الفنية، اتخذ بلاد الجزائر موطناً له ينتقل إليه في كل سنة ليسكن نصف العام كاملاً، نشأ من أبوين مسيحيين وتلقن العقائد المسيحية نظرياً وعملياً وترعرع على عقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران"[٢].

"يبلغ ناصر الدين دينيه من العمر سبعين عاماً، وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير الفرنسيين في وقتنا هذا، وصاحب اللوحات النفيسة القيمة التي تزدان بها جدران المعارض الفنية وتحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها من متاحف الدول الأخرى"[٣].

إسلامه: "وفي سنة ١٩٢٧م أعلن إسلامه رسمياً بالجامع الجديد بمدينة الجزائر في اجتماع حافل برئاسة مفتي الجزائر وحضور وزير العدلية للمملكة التونسية، وطائفة كبيرة من علماء الجزائر وأدبائها وأعيانها وتجارها، وقد أشهد الناس أجمعين على أنه يدين بالإسلام من عشرات السنين وأنه لم يجهر به إلا اليوم ويريد منهم أن يدفنوه في قبره مسلماً حنيفياً"[٤].

ويقول عن سبب إسلامه: "لم يكن اعتناقي الإسلام وليد الصدفة؛ بل على دراية تامة ودراسة تاريخية عميقة طويلة الأمد لجميع الديانات"[٥]، ولم يكن من وراء إسلامه مطمع ولا مغنم اللهم إلا

---

(١) اتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم، محمد رسول الله، ص: ٧، ونجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف القاهرة، مصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٦٤م، ص ٢٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص: ٧-٩.

(٣) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، المطبعة السلفية في مصر، ط بدون، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م، ص٧.

(٤) المرجع السابق ص٩.

(٥) اتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم، الحج إلى بيت الله الحرام، الطبعة الأولى، مطبعة أنفو-برنت، ٢٠٠٩ م، ص: ٨.

إرضـاء يقينه وإثبات صـحة دينه وأنه لم يتخذه إلا بعد بحث وتدقيق وأنه ناقش الناصـرين والطاعنين حتى علم حق اليقين أن الدين عند الله الإسلام(١).

ويقول: "عرفت الإسـلام فأحسـسـت بانجذاب نحوه وميل فيه فدرسـته في كتاب الله فوجدته هداية لعموم البشر ووجدت فيه ما يكفل خير الإنسان روحياً ومادياً فاعتقدت أنه أقوم الدين لعبادة الله واتخذته ديناً وأعلنت ذلك رسمياً"(٢).

حياته الاجتماعية والعلمية: ومع أنه تربى مسيحياً إلا أنه كان قلقاً من الناحية الدينية، يشك في المسيحية وفي الكنيسة وفي البابا المعصوم وعقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران، فأخذ يفكر هل صحيح أن المسيح ابن الله؟ وهل صلب ليطهر بني البشر من اللعنة التي حلت بهم بسبب خطيئة آدم؟ كيف صـلب وهو ابن الله؟ فأعاد قراءة الأناجيل؛ لكنه رأى فيها ما يتنافى مع الصـورة المثلى للإنسـان الكامل، فضـلاً عن الصـورة التي تريد المسيحية أن توحي بهما، قرأ أقوالاً غريبة في الأناجيل نسبت للمسيح، وبعد بحث ومناظرات تيقن أن المسيحية الحالية ليست هي مسيحية عيسى؛ بل لا تمت إليه بصلة، ثم رأي دينيه أن يتجه إلى العقل يستمد منه الهداية إلى الطريق المستقيم؛ ولكنه انتهى إلى أن العقل عاجز عن إشباع غريزته الدينية، فالتفت إلى من حوله ممن شكوا في المسيحية، فقد رأى أن كثيراً منهم قد اتجه إلى الإسـلام فاتجه إليه يسـتكشـفه، فلم يجد بعد دراسـة القرآن إلا أنه الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف والتبديل(٣).

ثم قام بدراسـة الإسـلام دراسـة جيدة وأعجب به أشـد الإعجاب، ومن ثم بدأ بالدفاع عن الإسـلام ضـد من ينشـر الأكاذيب عنه الإسـلام، "وكان كلامه رصـيناً ومنطقه قوياً وعاش وقتاً من الزمن في الجزائر في مدينة بوسعادة، وألف ثلاثة كتب عن الإسلام"(٤).

وفاته: "توفي في سنة ١٩٢٩م وقد بلغ من العمر سبعين عاماً، وذلك بعد أيام قليلة من تدوين كتابه عن الحج"(٥)، "مخلفاً وراءه ما يربو على خمسـمائة وأربعين لوحة موزعة على متاحف العالم، فضـلاً على الدراسـات والمخطوطات المائية التي لا يمكن حصـرها، وما تجدر الإشـارة إليه أنه تعاطى

(١) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص: ٩.

(٢) راغب السرجاني، عظماء أسلموا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٣٠٨.

(٣) انظر اتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم، محمد رسول الله، ص: ٩-١١.

(٤) المرجع السابق، ص: ٨.

(٥) اتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم، محمد رسول الله، ص: ٧.

الكتابة أيضا ليعبر عن الأفكار والانشغالات التي قصرت دونها ريشته، فأنتج عدداً من المؤلفات واللوحات الفنية"[١]، وقال قبل موته: "اللهم أمتي فقيرة واحشرني في زمرة الفقراء" ودفن بقبر بسيط في بوسعادة بالجزائر بناء على وصيته[٢]، فأسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يغفر له زلاته.

ثانياً: أبرز المعالم المنهجية في تأليف اتيين دينيه:

بتأمل منهج المؤلف من خلال كتاباته تبرز المعالم التالية:

١/ يقل المؤلف من الاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

٢/ يستشهد بأقوال النصارى للرد على شبهاتهم من خلال أقوالهم.

٣/ يكثر من الاستشهاد بالأدلة العقلية في كثير من المسائل.

ثالثاً: أبرز كتبه ومؤلفاته: من أبرز مؤلفاته ثلاثة وهي:

١- أشعة خاصة بنور الإسلام.

٢- محمد رسول الله.

٣- الحج إلى بيت الله الحرام.

أما الكتابان الأخيران فقد ألفهما بالاشتراك مع الحاج سليمان بن إبراهيم باعمر المفكر الجزائري، بعدما تعرف عليه اتيين دينيه وكان قريباً منه.

---

(١) ويجمع العارفون بالفن أن اندماجه في المجتمع الجزائري أكسبه قدرة فائقة على التعبير بصدق عن عادات وتقاليد وفنون هذا الشعب؛ حيث تعتبر لوحاته قطعاً مرئية من التاريخ تروي التراث الشعبي للجزائر بلغة تشكيلية جد بليغة، وقد كرس فنه وموهبته وعلمه لتدوين التراث الجزائري واقتلاعه من النسيان؛ لأنه رفض البقاء كمتفرج مكتوف اليدين أمام الهدم المستمر الذي كان يهدد العالم الساحر الذي اختار العيش فيه وفضله على موطنه الأصلي، على أن الفترة الطويلة التي قضاها بين العرب الجزائريين غيرت نفسيته الغربية، فتغيرت عقيدته باعتناقه الإسلام وتغير فنه ليصبح وسيلة للتعبير عن تفكيره دون تأنق فني، ويعتبر من أبرز رجال التصوير الذين وفقوا في ترسيخ أسمائهم بحروف من نور في سجل التاريخ بما خلفوه من لوحات نفيسة تزدان بها جدران أشهر المتاحف والمعارض الفنية المنتشرة عبر العالم، وكان من إنجازاته الموفقة لوحته الشهيرة (سطوح الأغواط) التي اقتناها لاحقاً متحف لوكسمبورغ بباريس، ومن أبرز لوحاته: لوحة الصلاة، لوحة فتيات بوسعادة، لوحة ساحر الأفاعي، عيد الغرام ونور عيني، انظر: ابن يمينه فايزة، رسالة علمية بعنوان الفن الاستشراقي (اتيين دينيه نموذجاً) ص ٣١،٤٥، ٣٩.

(٢) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام ص: ٩.

وهنا نبذة مختصرة عن تلك المؤلفات ومحتواها وقيمتها العلمية.

١-كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام)

تم تأليف هذا الكتاب في عام ١٣٤٨ هـ/١٩٢٩م، وأصل هذا الكتاب محاضرة ألقاها اتيين دينيه بباريس، ونقلها إلى العربية الأستاذ راشد رستم، ويقع هذا الكتاب في (٥٦) صفحة من الحجم المتوسط.

محتوى الكتاب: ركز المؤلف في كتابه على إظهار محاسن الإسلام ومميزاته وبيان رسالته السامية وجاءت العناوين كما يلي: المعجزات، والتسامح في الدين، والعلم، والخمر، والوسيلة، والإله، وعلو الهمة، والمساواة، والفروسية، ومسايرة الطبيعة ومسألة الزواج، ولغة القرآن، وغيرها.

القيمة العلمية للكتاب: هذا الكتاب مختصر؛ لكنه مهم جداً في الرد على بعض الشبهات المثارة ضد الإسلام وإبراز محاسنه؛ حيث بين المؤلف بوضوح الحقد الدفين والتعصب المستمر ضد الإسلام، وأن الحروب الصليبية لن تتوقف؛ بل إن هناك حروباً جديدة على الإسلام، وللفاتيكان فيها دور كبير، كما بين بجلاء أن الغربيين لا يحملون إلا اسم المسيح فقط، فلا معتقد ولا دين ولا مذهب؛ بل أن أغلبهم من الملاحدة والمعطلين أو المشركين(١).

٢-كتاب (محمد رسول الله)

هذا المؤلف مختص في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ حيث ألفه بالاشتراك مع رفيقه سليمان بن إبراهيم باعمر، وقد ألفه سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، وقام بتعريبه الدكتور عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود، ويقع هذا الكتاب في (٣٦٨) صفحة من الحجم المتوسط.

محتوى الكتاب: يحتوي الكتاب على سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من ولادته وحتى وفاته، وسرد المؤلف معظم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب.

وقسم المؤلف الكتاب إلى عشرة فصول:

الفصل الأول: الأذان، أداء الصلاة، أوقات الصلاة، وصف مكة، الكعبة والحجر الأسود، عين زمزم، زواج عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص: ١٠-١٤.

الفصل الثاني: مولده صلى الله عليه وسلم وحادثة الملكين في صباه، ومحمد والراهب، وبنيان الكعبة ووضع الحجر الأسود.

الفصل الثالث: عزلة محمد، محمد لم يؤلف القرآن، الرؤيا الصادقة، الوحي، المسلمون الأوائل، والجهر بالدعوة، القيامة، إسلام حمزة ومعجزة القرآن.

الفصل الرابع: الهجرة، إسلام عمر بالخطاب، نفي بني هاشم إلى الشعب، أكل الأرضة الصحيفة، وفاة أبي طالب وخديجة، خروج الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى الطائف، الإسراء والمعراج، بيعتا العقبة.

الفصل الخامس: هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، قصة سراقة، وصول الرسول إلى قباء، التاريخ الهجري، الرسول -صلى الله عليه وسلم- يصل إلى يثرب، صوم رمضان، الزكاة وتحريم الخمر، زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة، غزوة بدر.

الفصل السادس: زواج علي رضي الله عنه، زواج الرسول -صلى الله عليه وسلم- بحفصة وبأم المساكين، معركة أحد، زواج محمد صلى الله عليه وسلم بزينب، غزوة ذات الرقاع وبني المصطلق والخندق ومعاهدة الحديبية.

الفصل السابع: غزوة بني قينقاع ويهود بني النضير وبني قريظة وخيبر وعمرة القضاء وغزوة مؤتة وفتح مكة وغزوة حنين.

الفصل الثامن: خبر الإفك وغزوة تبوك، بلاد ثمود، حجة الوداع.

الفصل التاسع: مرض النبي صلى الله عليه وسلم وموته ومبايعة أبي بكر.

الفصل العاشر: أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا، أثر الأخلاق الإسلامية، مستقبل الإسلام.

خاتمة: الإسلام والعصر الحديث، المسلمون ومساعدة فرنسا، تطلع أوروبا إلى الروحانية، من مميزات الإسلام.

القيمة العلمية للكتاب: تكمن القيمة العلمية لهذا الكتاب في تناوله لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونادراً ما تجد كتاباً كاملاً في تناول سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبخاصة من المستشرقين الذين أسلموا، وله قيمة علمية كبيرة لاعتماد المؤلف على مراجع أصيلة كسيرة ابن هشام

وابن ســـعد[1]، وكان هدف المؤلف من تأليفه بيان الصـــورة الصـــحيحة لســـيرة المصـــطفى صـلى الله عليه وسـلم المضـادة لما كان يفعله المسـتشـرقون من تلويث سـيرته صـلى الله عليه وسـلم بالافتراءات والضلالات.

٣-كتاب (الحج إلى بيت الله الحرام)

ألف اتيين دينيه هذا الكتاب في عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م بالاشـتراك مع صـديقه سـليمان بن إبراهيم ونقله إلى العربية عبد النبي ذاكر[2]، ويقع الكتاب في (١٤١) صفحة من الحجم الكبير.

محتوى الكتاب: يحتوي الكتاب على ســـبعة فصـــول، ويتحدث فيها عن رحلته إلى الحج ومشاهداته بدءاً من مدينة جدة، ثم المدينة النبوية، ثم مكة المكرمة، ثم عرفات، ثم منى، وانتهاء بعودته إلى بيروت، وملحق في نهاية الكتاب بعنوان محكيات الحج والوهابية.

القيمة العلمية للكتاب: يعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة؛ لأنه مختص في الركن الخامس للإسـلام وهو الحج، وكتب بأسـلوب القصـة والرواية، وتكمن أهمية الكتاب في معالجته لقضـايا مهمة تتمثل في بيان عدم جواز السجود لغير الله والتعلق بالأولياء، واتخاذ القبور مساجد.

---

(١) يشير إلى كتاب (الطبقات الكبير لابن سعد) لمؤلفه محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المشهور بابن سعد، ويعد من أهم الكتب التي ألفت في الطبقات وتراجم الرجال.

(٢) لا يجوز التسمي بـ(عبد النبي) لأنه تعبيد لغير الله.

٢/ اللورد هدلي الفاروق (البريطاني) (Lord Headley)

أولاً: التعريف به.

اسمه: اللورد هدلي الفاروق، وكان اسمه قبل إسلامه: جورج رولاند ألنسون.

مولده ونشأته: ولد في عام ١٢٥٤هـ الموافق ١٨٥٥م من أسرة ملكية في بريطانيا، وأصبح أميراً في عام ١٨٧٧م وعضواً في مجلس اللوردات، تخرج مهندساً في جامعة كامبريدج[١].

حياته الاجتماعية والعلمية: خدم في الجيش برتبة كابتن ثم مقدم في الفيلق البريطاني الرابع، ومع كونه مهندساً بحكم المهنة فقد كان يتمتع بأذواق أدبية واسعة[٢].

قال عنه الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر[٣]: "كان لإسلام اللورد هدلي ضجة كبيرة لمركزه ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج في التفكير وترو في الأمور، وحينما أراد الحج مر بالإسكندرية، فأقام له أهالي الثغر حفلة كبرى وضعت تحت رعاية الأمير السابق عمر طوسون الذي ألقى كلمة حيا فيها الضيف الكريم، ابتدأها بقوله: "مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً، لقد حفت مصر إلى استقبالكم، وابتهجت بمقدمكم الكريم، وكان سرورها بذلك عظيماً، حتى لقد تمنت كل مدينة أن تسعى بأهلها إليكم، أو يكون لكم متسع من الوقت لزيارتها، فتقوم بما يجب لكم من الإجلال والإعظام، والترحيب والإكرام"[٤].

إسلامه: أعلن إسلامه سنة ١٩١٣م بعد أربعين سنة من الدراسة والنظر حتى وصل إلى قناعة تامة؛ حيث يقول: "فكرت وصليت أربعين سنة كي أصل إلى حل صحيح، ويجب علي أن أعترف أيضاً أن زيارتي للشرق ملأتني احتراماً عظيماً للدين المحمدي[٥] السلس الذي يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة دائماً ليس فقط في أيام الأحد، وثبتتني في هذا الاعتقاد كذلك قراءتي للقرآن المجيد"[٦].

---

(١) نايف منير فارس، علماء ومشاهير أسلموا، مكتبة ابن كثير، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ص: ٣١٣.

(٢) المرجع السابق، ص: ٣١٣-٣١٧.

(٣) عبد الحليم محمود: العالم الصوفي، شيخ الأزهر، من مؤلفاته: الإمام الرباني الزاهد عبد الله بن المبارك، والعبادة أحكام وأسرار، انظر: النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر، ص ٧٧-٧٨ وشخصيات إسلامية معاصرة، ص ١٨٠-٢٢٠.

(٤) محمود المصري، لماذا أسلم هؤلاء، المكتبة التوفيقية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ص ٣٧٢.

(٥) ليس هناك دين محمدي فإن الدين عند الله الإسلام.

(٦) المرجع السابق، ص: ٣٧٣.

ويقول عن إســـلامه: "لا ريب أن أســـعد أيام حياتي هو اليوم الذي جاهرت فيه على رؤوس الأشهاد بأنني اتخذت الإسلام ديناً[1].

ويقول أيضا: "إنه من المحتمل أن يظن بعض أصدقائي أني قد غلبت على أمري أو سيطر علي المسلمون إلا أن ذلك ليس بصحيح؛ لأن اعتقاداتي الحالية ما هي إلا نتيجة بحث سنوات عديدة، وإن مناقشاتي مع متعلمي المسلمين في موضوع الديانة في الواقع لم تبتدئ إلا منذ قريب، ولا بد أن أقول بأنه قد غمرني الفرح عندما وجدت أن كل نظرياتي واستنتاجاتي كانت مطابقة مطابقة تامة مع الإسلام[2]".

وفاته: توفي رحمه الله في عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٠م عن عمر يناهز الثمانين عاماً، فرحم الله اللورد هدلي رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام خير الجزاء.

ثانياً: أبرز المعالم المنهجية في تأليف هدلي.

يتسم منهج المؤلف في كتبه بما يلي:

١/ يستخدم كثيراً أسلوب الحوار والإقناع بالدلائل العقلية.

٢/ وضوح الرغبة الصادقة والحماسة الدينية في كتاباته لهداية بني قومه.

٣/ المقارنة بين الإسلام والنصرانية لإظهار الحقيقة وإبراز محاسن الإسلام.

٤/ يبين كيد الأعداء وخاصة النصارى والصليبيين تجاه الإسلام.

ثالثاً: أبرز كتبه ومؤلفاته:

من أبرز مؤلفاته ثلاثة كتب وكلها مؤلفة باللغة الإنجليزية:

١- الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام.

٢- ثلاثة أنبياء عظماء للعالم.

٣- إيقاظ الغرب نحو الإسلام أو يقظة الغرب نحو الإسلام.

---

(١) اتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم، محمد رسول الله، ص ١٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.

وهنا نبذة مختصرة عن المؤلفات ومحتواها وقيمتها العلمية.

١-كتاب (الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام)

The Affinity between the Original Church of Jesus Christ and Islam

ألف اللورد هدلي هذا الكتاب في عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، ويقع في (١٥٦) صفحة من الحجم الصغير، طبع في لندن.

محتوى الكتاب: يتألف الكتاب من ثمانية فصول وهي كما يلي: العلامات السليمة للأزمنة، وفرصة الإسلام، ونشأة المسيحية التقليدية، ونشر المعرفة في ظل الإسلام، وأسقف لندن والإسلام، والتعصب والعدوان، والروحانية والباطنية.

القيمة العلمية للكتاب: تبرز قيمة الكتاب وأهميته من خلال المسائل المهمة التي وردت عن الإسلام والنصرانية والمقارنة بينهما، وكذلك إبراز محاسن الإسلام، والتأكيد على وجود الشرك في النصرانية المحرفة ورفضهم لتعاليم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

٢-كتاب (ثلاثة أنبياء عظماء للعالم) The Three Great Prophets of the World

كتب اللورد هدلي هذا الكتاب في عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٣م، ويقع هذا الكتاب في (١١٦) صفحة من الحجم الصغير، طبع في لندن، والكتاب باللغة الإنجليزية.

محتوى الكتاب: احتوى هذا الكتاب على ستة فصول كالتالي: موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، والتأثير الأخلاقي للأنبياء الثلاثة على أتباعهم، وما هي نظرتهم للدنيا والآخرة، ونبذة عن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم.

القيمة العلمية للكتاب: هذا الكتاب له أهمية كبيرة؛ حيث يتحدث مؤلفه عن الأنبياء الثلاثة، وينادي بني قومه لاعتناق الإسلام، فرسوله أرسل إلى الناس كافة، وأظهر كثيراً من جوانب التميز للإسلام وسبق حضارته في إنشاء المستشفيات والمؤسسات الخيرية والمدارس قبل الغرب، والتأكيد أن بولس هو من قام بتحريف النصرانية، وأجاد في بيان سيرة مختصرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

(١) Lord Headley، The Three Great Prophets of the World، p.

٣-كتاب (يقظة الغرب نحو الإسلام) A Western Awakening to Islam

ألف اللورد هدلي هذا الكتاب في عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٤م، ويقع في (١٤٥) صفحة من الحجم الصغير، طبع في لندن، والكتاب باللغة الإنجليزية.

محتوى الكتاب: الكتاب يشتمل على ثمانية فصول وهي كما يلي: موقع المرأة في الإسلام، وأجمل هدية الرب تعالى، والتحريفات المقصودة، وضبط النفس، والخوف، وقانون ونظم، وصلاة المسلمين لله تعالى، والحمد والشكر، وبركات الله المستمرة.

القيمة العلمية للكتاب: تتجلى أهمية هذا الكتاب في نداء المؤلف ومحاولة إيقاظ الغرب من سباتهم ودعوتهم إلى نور الهداية والتوفيق، والتأكيد على أن الكنائس المنتشرة لا تمثل الدين الصحيح للنصرانية، وبيان أن الرسل جاؤوا لأداء مهمة واحدة وهي عبادة الله وحده؛ حيث إن دعوتهم واحدة.

٣/ مارمادوك محمد بكثول البريطاني Marmaduke M. Pickthall

أولاً: التعريف به.

اسمه: مارمادوك محمد بكثول، وورد كذلك: مارمادوك وليم بكثول(١).

مولده ونشأته: هو إنجليزي ولد في لندن سنة ١٨٧٥م، أبوه (تشارلس جريسون بكثول) كان قساً ببريطانيا، توفي والده وهو في سن الخامسة، وقد عرف عن مارمادوك بكثول حينها كونه طفلاً خجولاً ومريضاً بالالتهاب الشعبي، تلقى تعليمه الابتدائي في (هارو) بلندن؛ ولكنه لم يتابع تعليمه نظراً لضعف في صحته، تعلم الفرنسية في (نيوشاتل) بسويسرا، كما تعلم الإيطالية والألمانية والإسبانية(٢).

حياته الاجتماعية والعلمية: هو كاتب روايات، وصحفي، رحل إلى القاهرة وهو لم يبلغ الثامنة عشر من العمر، ثم سافر إلى يافا، ورام الله، وغزة، والقدس، ثم توجه إلى سورية وتعلم اللغة العربية، ودرس عادات المشرق، رجع إلى القاهرة كضيف على أحد المسؤولين البريطانيين في عام ١٩٠٧م، كان ناقداً للحكم البريطاني خاصة في عداوته للشرق الإسلامي، ثم عاد إلى بريطانيا في عام ١٩١٢م عندما كان البلقان في حرب مع تركيا؛ حيث كان يدافع عن تركيا، وكتب سلسلة مقالات بعنوان: (الصليبية السوداء)، وفي عام ١٩١٩م عمل إماماً لمسجد (ووكنج) ببريطانيا، وحرر دوريات إسلامية وأسهب في الكتابة عن نواحي الإسلام المتعددة، واستمر في بريطانيا إلى أن غادر إلى الهند في عام ١٩٢٠م، وكتب مقالات في أحد الصحف الهندية، وكان موقفه العام هو عدم التمرد على الإمبراطورية الإنجليزية؛ لكن مع ذلك كان يؤيد استقلال البلاد من الإنجليز، وكان يعارض تقسيم الهند؛ بل كان يرى بقاء الهند موحداً ودعوة الناس إلى الإسلام حتى يصبح الهند بلداً إسلامياً بالكامل، وتعلم الأردية وكان يتحدث بها بطلاقة(٣).

إسلامه: أسلم وعمره (٣٩) سنة في عام ١٩١٤م، وذلك بعد دراسة الإسلام واقتناعه بأنه الدين الحق الذي لا ريب فيه، رغم أنه كان يرغب في الدخول في الإسلام عند ما كان عمره (١٩)

---

(١) ورد اسمه (محمد مارمادوك بكنول) في ترجمته لمعاني القرآن الكريم.

(٢) Marmaduke Pickthall: British Muslim ،Peter Clark London: Quartet ١٩٨٦

Marmaduke Pickthall، 'Muslim Education' Islamic Culture ١٩٢٧، ١٠٠٠-٩، ص ١٣٨-٤٢

Cambridge: Cambridge University Press، Nabil Matar 1558-1685، Islam in Britain ١٩٩٨

(٣) المصدر السابق ص١٣٨-٤٢.

سنة رغبة في الشرق وثقافته وليس اقتناعاً بالإسلام، لقد أعلن أنه مسلم سني على مذهب الإمام أبي حنيفة، وذلك رداً على القاديانية المنتشرة في بريطانيا آنذاك[1].

وفاته: توفي في عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، و كان آخر ما كتبه قبل وفاته[2]: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة البقرة: ١١٢].

ثانياً: أبرز المعالم المنهجية في تأليف مارمادوك.

يتسم منهج المؤلف في كتاباته وترجمته بمعالم أبرزها:

١/ تميز المؤلف باختصاره ووضوح عباراته وأسلوبه البلاغي في ترجمته للقرآن الكريم حتى لاقى قبولاً واسعاً.

٢/ يكثر من الاستدلال بالأدلة العقلية لتأييد رأيه.

٣/ عرض معتقدات أهل الكتاب وضلالها بموضوعية وواقعية.

٤/ يستدل بالأحاديث الضعيفة أحياناً.

ثالثاً: أبرز كتبه ومؤلفاته.

مارمادوك بكثول لديه كتابان باللغة الإنجليزية وهما:

١/ ترجمة معاني القرآن الكريم[3].

٢/ الجانب الثقافي للإسلام.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، وكذلك نجيب العقيقي، المستشرقون، ج٢ ص١٠٢.

(٣) تجد تفصيل دراسة هذا الكتاب في الباب الأول، الفصل الأول، المبحث الثاني.

وهنا نبذة مختصرة عن المؤلفات ومحتواها وقيمتها العلمية.

١-كتاب (الجانب الثقافي للإسلام) The Cultural side of Islam

ألف بكثول هذا الكتاب في عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ويقع في (١٩٣) صـــفحة من الحجم المتوسط، والكتاب باللغة الإنجليزية وغير مترجم إلى اللغة العربية.

محتوى الكتاب: يحمل الكتاب العناوين التالية: الثقافة الإســـلامية، وأســـباب النهضـــة والانحطاط، والأخوة، والعلم والفن والمقالات، والسماحة، وتهمة القدر (الجبر)، والعلاقة بين الجنسين، ومدينة الإسلام.

القيمة العلمية للكتاب: للكتاب أهمية علمية؛ حيث تميز في إبراز الصـورة الحسـنة للإســلام وتأكيد أن العلوم الإســلامية كانت سـبباً في تطور الغرب وليس اعتناقهم للنصـرانية كما يزعمون[١]، وتميز أيضاً بالدفاع عن السنة النبوية المطهرة[٢].

(١) مارمادوك بكنول، الجانب الثقافي للإسلام، ص ١٧٤، ١٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٨١-٨٠.

٤/ عبد الواحد يحيى جينو

أولاً: التعريف به.

اسمه: كان اسمه روني كينو أو (جينو)، وبعد إسلامه غير اسمه إلى عبد الواحد يحيى.

مولده ونشأته: ولد جينو في بلدة (بلوا) بفرنسا في ١٥ نوفمبر ١٨٨٦م من أسرة فرنسية كاثوليكية محافظة كانت تعيش في يُسر ورخاء، فقد كان والده مهندسًا ذا شأن[١].

حياته الاجتماعية والعلمية: بدأ تعليمه في إقليمه الذي نشأ فيه، وكان دائمًا متفوقًا على أقرانه، وفي سنة ١٩٠٤م سار جينو إلى باريس لتحضير الليسانس، ومكث عامين في الدراسات الجامعية؛ ولكن باريس لم تدعه يستمر في دراسته المدرسية المحدودة، فقد فتحت له أبواباً أخرى كلها لذة وكلها نعيم في التعليم الوجداني[٢].

ثم بعد ذلك أخذ ينهل من منابع الروحانيين في باريس، على اختلاف ألوانهم ومشاربهم ونزعاتهم؛ بل كان فيها الذين يعالجون السحر، والتنجيم، والتصرف في العناصر، واستحضار الأرواح في زعمهم، وأنشأ سنة ١٩٠٩م مجلة سماها (المعرفة)، وهذه المجلة اتسمت بالطابع العرفاني الذي كانت عليه مجلة أخرى سبقتها كانت تسمى (الطريق)، واستمرت هذه المجلة إلى سنة ١٩١٢م[٣].

وفي سبتمبر سنة ١٩١٧م عُين الشيخ أستاذًا للفلسفة في الجزائر، فقضى فيها عامًا عاد بعده إلى فرنسا، وعُين في مدرسة بلدته؛ ولكنه استقال بعد عام قضاه في التدريس ليتفرغ لأبحاثه، ثم عرض بيت من بيوت النشر في باريس على الشيخ عبد الواحد أن يسافر إلى مصر ليتصل بالثقافة الصوفية فينقل نصوصًا منها، ويترجم بعضها فقبل العرض، وفي سنة١٩٣٠ (وهي سنة وفاة الشيخ عليش) سافر إلى مصر لهذا الغرض[٤].

إسلامه: كان سبب إسلامه بسيطًا منطقيًا في آن واحد، لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يجد -بعد دراسة عميقة- سوى القرآن الكريم، فهو

(١) انظر: عبد الواحد يحيى، التربية والتحقيق الروحي (تصحيح المفاهيم)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٣، صفحة هـ.

(٢) عبد الواحد يحيى، شرق وغرب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط ١، ٢٠١٦، ص ٥.

(٣) عبد الواحد يحيى، مراتب الوجود المتعددة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط ١، ٢٠١٦، ص ١٧.

(٤) عبد الواحد يحيى، رموز العلم المقدس، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٤، صفحة ي.

الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف ولا التبديل؛ لأنَّ الله تكفل بحفظه، وحفظ بحقيقة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر: ٩]. لم يجد سوى القرآن الكريم نصًا مقدسًا صحيحًا، فاعتصم به، وسار تحت لوائه، فغمره الأمن النفساني في رحاب الفرقان[١].

ولقد اعتنق كينو الإسلام بواسطة الشيخ عبد الرحمن عليش[٢]، وهو الشخص الذي أهدى إليه كينو أحد كتبه بهذه العبارة: "إلى الذكرى المقدسة، ذكرى الشيخ عبدالرحمن عليش الكبير، المالكي، المغربي، الذي أدين له بالفكرة الأولى لهذا الكتاب، مصر القاهرة ١٣٢٩م-١٣٤٧هـ"، وقصة إسلامه تبدأ مع عبدالهادي الذي ينشر دراساته الصوفية، وتابع فكرة شيخه عليش وهي محاولة إقامة صلة روحية بين الشرق والغرب، فسافر إلى فرنسا؛ حيث التقى بكينو، وكان كينو إذ ذاك يصدر مجلة باسم (المعرفة)، فأخذ عبد الهادي في سنة ١٩١٠م وترجم كثيراً من النصوص الصوفية إلى اللغة الفرنسية، وأثمرت مرافقته لكينو أن عقد بينه وبين الشيخ عليش صلة قوية متينة عن طريق تبادل الرسائل والآراء، كانت النتيجة أن اعتنق كينو الإسلام سنة ١٩١٢م بعد أن درسه دراسة عميقة مستفيضة[٣].

وفاته: توفي رحمه الله في ٧ يناير سنة ١٩٥١م في القاهرة[٤].

ثانياً: أبرز المعالم المنهجية في تأليف جينو:

١/ اعتماده الأساسي في مؤلفاته على تعاليم ومصطلحات المذهب الميتافيزيقي الهندوسي[٥].

٢/ اعتماده على الفلسفة العميقة، ولا تكاد تجد أي معنى واضح ومباشر في كثير من مؤلفاته.

٣/ يتسم في جميع كتاباته بالمنحى الصوفي الروحاني مثل كتاب لمحات حول التصوف الإسلامي وعلم الباطن في الملة الصينية[٦].

---

(١) عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٣م، ص ي.

(٢) عبد الواحد يحي، نظرات في التربية الروحية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٤م، صفحة ز.

(٣) المرجع السابق، صفحة ح، ط.

(٤) عبد الواحد يحي، رموز الإنسان الكامل، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٦م، ص ١٣.

(٥) عبد الواحد يحي، السلطة الروحية والحكم الزمني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٨م، ص٤-٥.

(٦) عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، صفحة ش، ويتألف هذا الكتاب من مقالات حول مسائل في التصوف الإسلامي، والمبادئ العامة الأساسية للتصوف وأنه ليس بدخيل على الإسلام كما يزعم الجاهلون بل منبعه الأصيل هو القرآن وسنة رسول الله

٤/ أبرز محاور كتبه محور العرفان الإلهي الميتافيزيقي، ومحور الســـلوك الروحي والتحقق العرفاني، ومحور الدراسـات الدينية والتراثية، ومحور دراسـات حول شـخصيات ومذاهب ومفاهيم تراثية، ومحور الدراســات الحضــارية والنقد التشــريحي للحضــارة المعاصــرة، ومحور الردود على ضــلالات ومتاهات الروحانية المزيفة.

٥/ تأليفه في بعض المواضيع التي لا فائدة منها ككتاب زيغ نحلة استحضار الأرواح[١]، وكذلك أنماط تراثية وأدوار كونية[٢]، دراسات حول الهندوسية[٣]، وغيرها.

ثالثاً: أبرز كتبه ومؤلفاته.

مكتوبات الشـــيخ عبد الواحد يحيى تتمثل في (٢٧) كتابًا باللغة الفرنســـية، وترجم أكثرها إلى العديد من اللغات وأذكر هنا أبرزها وأشهرها وما تمت الإشارة إليه منها أثناء هذه الرسالة.

١/ كتاب الشرق والغرب.

٢/ كتاب أزمة العالم الحديث.

٣/ كتاب رمزية الصليب.

٤/ كتاب هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان.

صلى الله عليه وسلم، ثمّ تطرق في كل مقال إلى مسألة معينة من المسائل التالية: القشر واللب في الميدان العرفاني، حقيقة التوحيد، رمزية اليد، الفقراء إلى الله تعالى (الروح) علم أسرار الحروف وأعدادها في اللغة العربية– التجلي والخلق– آثار الحضارة الإسلامية في الغرب.

(١) عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، صفحة ض، ويتألف هذا الكتاب من مقدمة و١٤ فصلاً (٤٠٦ صفحة)، وهو يتميز بالوسع والدقة في تتبع نحلة (استحضار الأرواح) ودعاتها ونواديها وتطورها، وهي النحلة التي يزعم دعاتها إمكانية الاتصال بأرواح الأموات في جلسات وفق طقوس خاصة.

(٢) عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٣م، صفحة ث، هذا الكتاب يجمع منتخبات نشـرت بعد وفاة المؤلف، وقد سـلط فيها الأضـواء على بعض مراحل التاريخ الإنسـاني والأدوار الزمنية للحضـارات وفق التعاليم الهندوسية.

(٣) المرجع السابق، صفحة ر، ويتألف هذا الكتاب من ١١مقالة وتعقيبات على بحوث صدر معظمها في مجلة (برقع إيزيس) ومجلة (دراسات تراثية) والمفاهيم التي تطرق إليها تتميز بعموم أبعادها، وحتى إنْ تعلقت بخصوص التراث الهندوسي في مجالات المعرفة والحقائق الغيبية.

وهناك كتب أخرى لا تمت إلى موضوع البحث بأي صلة[١].

وهنا نبذة مختصرة عن مؤلفاته ومحتواها وقيمتها العلمية.

١-كتاب الشرق والغرب

ألف هذا الكتاب في عام ١٩٢٤م، وترجمه عبد الباقي مفتاح، وطبع في عالم الكتب الحديث بالأردن عام ٢٠١٦م، ويقع في (٢٢٠) صفحة من الحجم الكبير.

محتوى الكتاب: يتألف من مقدمة وقسمين: القسم الأول في أربعة فصول تحت عنوان: الأوهام الغربية، والثاني في أربعة فصول أيضًا تحت عنوان: إمكانية التقارب؛ حيث سعى المؤلف في هذا الكتاب إلى إبادة أوثان الحضارة الغربية، وإلى الإشادة بأصالة وسمو الشرائع الإلهية والمبادئ العرفانية الشرقية[٢].

القيمة العلمية للكتاب: من الكتب الخالدة التي تجعل كلّ شرقي يفخر بشرقيته، وقد رد فيه إلى الشرق اعتباره مبينًا أصالته في الحضارة، وسموه في التفكير، وإنسانيته التي لا تقاس بها مادية الغرب وفساده وامتصاصه للدماء، وعدوانه الذي لا يقف عند حدّ، وظلمه المؤسس على المادية والاستغلال، ومظهرًا في كل صفحة من صفحاته نبل الشرقيين وعمقهم وفهمهم الأمور فهمًا يتفق مع الفضيلة ومع أسمى المبادئ الإنسانية.

وتزيل قراءته من نفس كلّ شرقي مركب النقص الذي غرسه الاستعمار في نفوس الشرقيين في السنوات الأخيرة، ولقد دأب الاستعمار على أن يغرس في نفوس الشرقيين أنَّهم أقل حضارة؛ بل أقل

(١) كتاب مراتب الوجود يتعلق بالمعرفة الإلهية والوجودية، وكتاب الميتافيزيقا الشرقية وعرض فيها الشروط الضرورية لفهم مؤلفاته، وكتاب مبادئ حساب المقادير اللامتناهية في الصغر ويتحدث عن الفوارق الأساسية التي تميز مفهوم اللامتناهي عن مفهوم اللامعين، وكتاب رموز العلم المقدس عبارة عن مجموع ٧٥ مقالة، وكتاب نظرات في التربية الروحية ويتألف من ٤٨ مقالة، وكتاب السلوك والتحقق الروحاني ويوضح لأهم المفاهيم المتعلقة بالسلوك، ومن ذلك الشعائر التعبدية الصحيحة في مقابل الطقوس الزائفة، وكتاب مدخل عام إلى دراسة العقائد الهندوسية، وهو يلخص النظريات العرفانية الأساسية وهو أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، الإنسان وصيرورته وفق تعاليم الفيدنتا وهو يتناول تكوين الإنسان الآدمي ومراحل أطواره ومصيره بعد الموت حسب تعاليم كتاب الفيدنتا الملخص للب التراث الهندوسي الأصيل، وكتاب الثلاثية الكبرى وهو يتناول الرمز المثلثي ودلالاته العرفانية وفق تعاليم تراث الشرق الأقصى، وكتاب نظرات على علم الباطن المسيحي مسائل تتعلق بعلم الباطن المسيحي، السلطة الروحية والحكم الزمني وركز على الميزة الأساسية للسلطة الروحية في علو مرتبتها، وضرورة احترام سلم القيم والتدرج في المراتب لدى كل مجتمع محافظ على الدين، ودراسات حول الماسونية الحرة وتنظيم الرفقة، فهي موسوعة للمعلومات حول تاريخ الماسونية وتطورها ودلالات رموزها، وغيرها من الكتب، انظر: عبدالواحد يحي، التربية والتحقيق الروحي (تصحيح المفاهيم)، من صفحة ع وحتى صفحة ب ب.

(٢) عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، صفحة خ.

إنسانية من الغربيين، وأتى المؤلف فقلب الأوضاع رأسًا على عقب، وبين للشرقيين قيمتهم، وأنَّهم منبع النور والهداية، ومشرق الوحي والإلهام، إن كل شرقي يفخر بشرقيته بمجرد قراءته لهذا الكتاب[1].

٢-كتاب أزمة العالم الحديث

تم تأليف هذا الكتاب عام ١٩٢٧م وترجمه عبد الباقي مفتاح، وطبع في عالم الكتب الحديث بالأردن عام ٢٠١٧م، ويقع في (١٣٠) صفحة من الحجم الكبير.

محتوى الكتاب: ألف الشيخ هذا الكتاب عقب تأليفه كتاب (الشرق والغرب) فهما متكاملان، وقسمه إلى تسعة أبواب، وحملت عناوين: العصر المظلم، والتعارض بين الشرق والغرب، والمعرفة والنشاط العملي الظاهري، والعلم المقدس والعلم العمومي، ونزعة الفردانية، والفوضى الاجتماعية، وحضارة مادية، والاكتساح الغربي، واختتم ببعض الخلاصات.

القيمة العلمية للكتاب: تعظم قيمة الكتاب؛ لأن المؤلف بين فيه أنَّ الحضارة المعاصرة سجنت أهلها في المادية القاتلة والشخصانية الوهمية والفردية المغرورة؛ لأن أصولها بترت فانفصلت عن الحقيقة الثابتة المسقية بمياه التعاليم الربانية وشرائع دين الله تعالى، أيضاً قام بتحليل مميزات العصر الحديث تحليلاً يتميز بالدقة وبالتالي بين من خلاله إلى أي مدى وصل انحراف هذه الحضارة، وبين فيه الانحراف الهائل الذي تسير فيه أوروبا الآن، والضلال المبين الذي أعمى الغرب عن سواء السبيل[2].

٣-كتاب (رمزية الصليب)

تم تأليف هذا الكتاب في عام ١٩٣١م وترجمه عبد الباقي مفتاح، وطبع في عالم الكتب الحديث بالأردن، ويقع في (٢٢٥) صفحة من الحجم الكبير.

---

(١) عبد الواحد يحيى، شرق وغرب، ص ٤١.

(٢) نص كلام المترجم عبد الباقي مفتاح، عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٧، ص ١.

محتوى الكتاب: هذا الكتاب يتألف من مقدمة وثلاثين فصــــلاً، ومعنى العنوان أنَّه إن كان للمسيحيين شكل الصليب فللمسلمين حقيقته التوحيدية، وبالفعل فهذا الكتاب رغم ما قد يوحي به عنوانه، يتميز بطابع إسلامي واضح من حيث عمق المفاهيم المتعلقة بالتوحيد خصوصاً[١].

القيمة العلمية للكتاب: تكمن أهمية الكتاب في أنه يفند الفرية التي تقول: إنَّ الإسلام انتشر بالسيف، أيضاً وضعوا التصوف المسيحي في أسمى مكانة، وقللوا من شأن التصوف الإسلامي، فتصدى المؤلف للمقارنة بينهما مبينًا سمو التصوف الإسلامي وروعته، وانحطاط التصوف المسيحي.

٤ –كتاب هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان

تم تأليف هذا الكتاب في عام ١٩٤٥م وترجمه عبد الباقي مفتاح، وطبع في عالم الكتب الحديث بالأردن في ٢٠١٣م، ويقع في (٣١٩) صفحة من الحجم الكبير.

محتوى الكتاب: يتألف هذا الكتاب من مقدمة و(٤٠) فصــلاً، وحملت عناوين: كيف وكم، والمادة تتميز بالكم، وقياس وتجل، ومبدأ التفردية، وخداع الإحصـــائيات، ومســـلمات العقلانية، وتصلب العلم وغيرها.

القيمة العلمية للكتاب: هذا الكتاب من أبرز مؤلفات الشـــيخ وأشـــدها إثارة، شـــرح فيه الأســـس الخاطئة والاتجاهات الدجالية للحضـــارة الغربية المعاصـــرة ومراحل تطورها في الماضـــي وفي المستقبل، وبين بصرامة تناقضها مع المبادئ الإلهية ومعطيات المعرفة الميتافيزيقية اليقينية[٢].

(١) نص كلام المترجم عبد الباقي مفتاح، عبد الواحد يحيى، التربية والتحقيق الروحي (تصحيح المفاهيم)، صفحة ن.

(٢) نص كلام المترجم عبد الباقي مفتاح، عبد الواحد يحيى، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، صفحة ض.

٥/ روجيه دوباسكويه

أولاً: التعريف به.

اسمه: روجيه دوباسكويه وبعد إسلامه أصبح اسمه سيدي عبد الكريم.

مولده ونشأته: ولد عام ١٩١٧م ونشأ في بيئة مسيحية بروتستانتية، غير أنه تأثر بالفلسفة الحديثة، ولا سيما الفلسفة الوجودية، فقد كان يعتقد أن الأديان معتقدات خرافية.

جنسيته: سويسري

حياته الاجتماعية والعلمية:

اشتغل بالصحافة وحصل على جائزة جمعية المؤلفين الفرنسيين عام ١٩٨٨م[١]، وكان يتنقل بين البلدان، فسافر إلى السويد وعمل بها مراسلاً صحفيّاً لأكثر من خمس سنوات؛ لكنه اكتشف أن الناس تعساء، برغم الرخاء الذي يعيشون فيه، على حين اكتشف عكس ذلك عندما سافر إلى بعض الدول الإسلامية، وجد المسلمين برغم فقرهم الشديد يشعرون بسعادة، مما جعله يفكر مليّاً في معنى الحياة ويتساءل: "لماذا يشعر المسلمون بسعادة تغمر حياتهم برغم فقرهم وتخلفهم؟ ولماذا يشعر السويديون بالتعاسة والضيق برغم سعة العيش والرفاهية التي يعيشون فيها؟! حتى بلدي سويسرا، برغم أنه بلد ذو رخاء، ومستوى المعيشة فيه مرتفع!"[٢].

إسلامه: يقول روجيه دوباسكويه عن سبب إسلامه: "وجدت نفسي في حاجة؛ لأن أدرس ديانات الشرق، وبدأت بدراسة الديانة الهندوكية فلم أقتنع كثيراً بها، حتى بدأت أدرس الدين الإسلامي فشدني إليه؛ لأنه لا يتعارض مع الديانات الأخرى، فهو خاتم الأديان، وهذه حقيقة كانت تزداد يقيناً عندي باتساع قراءاتي، حتى رسخت في ذهني تماماً بعد ما اطلعت على مؤلفات الفيلسوف الفرنسي المعاصر رينيه جينو الذي اعتنق الإسلام، ولقد اكتشفت أن الإسلام يعطي معنى للحياة، على عكس الحضارة الغربية التي تسيطر عليها المادية، ولا تؤمن بالآخرة، وإنما تؤمن بهذه الدنيا فقط"[٣]، وعندما عاد روجيه دوباسكويه إلى سويسرا لم يتأخر في إشهار إسلامه هو وزوجته الهولندية، وراح ينشر مقالته عن الإسلام في صحف عدة غير إسلامية، كما ترجم بعض الكتب التي

(١) راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص٢٤٠.

(٢) الطيب أديب، عباقرة الغرب لماذا أنصفوا الإسلام، دار المعرفة للنشر والتوزيع بالقاهرة ١٤٣٣/٢٠١٢، ط ١ ص ٤٢-٤٨.

(٣) الطيب أديب، عباقرة الغرب لماذا أنصفوا الإسلام، ص ٤٢-٤٨ وكذلك راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص٢٣٧.

تتناول موضوعات إسلامية، ودافع في كتاباته كلها عن قضايا الإسلام كمسلم وَجَدَ طريقه في دين الإسلام.

ثانياً: أبرز المعالم المنهجية في تأليف روجيه دوباسكويه.

يتسم منهج المؤلف في كتاباته وترجمته بما يلي:

١/ أسلوبه سهل ومبسط واستطاع أن يبرز محاسن الإسلام وحضارته بطريقة سلسلة.

٢/ وصف الحضارة الغربية وصفاً دقيقاً؛ حيث يقول: "خلصت هذه الحضارة إلى نظام يحط من قيمة المرء، ويخدعه ليدمره في النهاية، إنها تحط من قدره؛ لأنها تَختزله إلى مجرد مادة ووظائف كمية، فتقود أصحابها إلى اليأس"[(١)].

٣/ رَد شُبَه المبشرين والمستشرقين، وفضح أكاذيبهم، وقدَّم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب قشيب.

ثالثاً: أبرز كتبه ومؤلفاته.

من أبرز كتبه (كتاب إظهار الإسلام)

لهذا الكتاب اسم آخر (اكتشاف الإسلام أو كشف الإسلام) وقام بتأليفه عام ١٩٧٩م، وقد كتب المؤلف هذا الكتاب لإظهار حقيقة الإسلام لمواطنيه السويسريين وللمتحدثين بالفرنسية، ثم ترجم الكتاب في كمبردج إلى الإنجليزية وترجمه الناشر إلى العربية، وطبع هذا في مكتبة الشروق بمصر ويقع في (١٨٧) صفحة من الحجم الصغير[(٢)].

(١) لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكان، السعودية، ط بدون، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢) راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص٢٣٨-٢٤٠، ولديه مقالات كثيرة عن الإسلام في (جورنال دي جنيف) وصحيفة (جازيت دي لوزان) و(صحيفة لوتون الاستراتيجية).

محتوى الكتاب: يحتوي الكتاب على سبعة فصول:

الفصل الأول: عنونه المؤلف بتحدي العصر وتحدث فيه عن أزمة الحضارة الحديثة والأزمات التي تزلزل العالم الحديث، والانقلابات الاجتماعية والإفساد الأخلاقي والفراغ الروحي الذي يعيشه العالم الغربي.

الفصل الثاني: عنونه المؤلف بالإنسان محور الحياة الأرضية، وينتقد فيه نظرة الرجل العصري إلى العالم كشيء يتصرف فيه كيف يشاء ليشبع حاجاته أو طموحاته أو أهواءه المستقبلية.

الفصل الثالث: عنونه المؤلف بالرسالة الخالدة وخاتم النبيين، وتناول فيه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي نهاية الفصل تطرق المؤلف إلى تعدد زواج الرسول صلى الله عليه وسلم.

الفصل الرابع: عنونه المؤلف بمعجزة وتسلسلها في التاريخ، وتحدث المؤلف عن معجزة القرآن الكريم ومن ثم الفتوحات الإسلامية والرد على الغربيين الذين اتهموا انتشار الإسلام بالسيف.

الفصل الخامس: عنونه المؤلف بماذا يجب على المرء أن يعتقد ليكون مسلماً؛ حيث شرح المؤلف أركان الإسلام الخمسة بلغة مبسطة تناسب الغربيين.

الفصل السادس: عنونه المؤلف بحضارة التوحيد؛ حيث أشار إلى تماسك الحضارة الإسلامية وتفردها في استيعاب ودمج الأقاليم المختلفة، وأشاد بتقدم العرب في علوم الطب والطبيعة والرياضيات والكيمياء وغيرها في الوقت الذي كانت تعيش فيه أوروبا في ظلام وعداء للعلماء.

الفصل السابع: عنونه بالطرق الصوفية، وتحدث فيه عن الزهد في الإسلام وحكم الخلفاء الراشدين في إدارة أمور الدولة وعدلهم الذي عم الأرض وظهور الفلسفة الإسلامية.

القيمة العلمية للكتاب: يتبين لنا قيمة الكتاب من خلال عناوينه، فقد استطاع المؤلف في هذا المؤلَّف مناقشة كثير من المسائل المهمة بطريقة سلسة تناسب القراء الغربيين، ومن الغريب في الموضوع أن المؤلف حين قام بتأليف الكتاب كان مسيحيًّا متعلقًا بدينه، صادقًا في الإيمان به؛ ولكن هذا لم يَمنعه من أن يعمل في مجمل كتابه على تصوير أصول الإسلام بموضوعية تامة[1].

(١) لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص٢٠٨-٢٠٩.

٦/ ليوبولد وايس (محمد أسد).

أولاً: التعريف به.

اسمه: كان اسمه قبل إسلامه (ليو بولد) و(ليو) معناه: أسد باللغة اللاتينية، وتسمى بعد إسلامه بـ(محمد أسد) وذاع صيته بهذا الاسم الأخير(١).

مولده ونشأته: "ولد في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في النمسا من أبوين يهوديين في مدينة (Lwow) وبالألمانية (ليميرغ) التي كانت جزءاً من إمبراطورية النمسا آنذاك، وهي الآن في بولندا، كان الصبي (ليو بولد وايس) تحت إصرار والده يواظب على دراسة النصوص الدينية اليهودية كل يوم، وهكذا وجد نفسه وهو في سن الثالثة عشر يقرأ العبرية ويتحدث بها بإتقان، وكأنما يهيئ نفسه لمنصب ديني لتحقيق حلم جده الحاخام الأرثوذكسي النمساوي بأن تتصل بحفيده سلسلة من أجداده الحاخامات؛ ولكن هذا الحلم لم يتحقق، فنمت لديه مشاعر سلبية تجاه جوانب كثيرة من العقيدة اليهودية"(٢).

حياته الاجتماعية والعلمية: "بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى والتي كانت سنة: ١٩١٨م-١٩١٩م وعلى مدى عامين درس محمد أسد بلا نظام في تاريخ الفن والفلسفة في جامعة فيينا، وخرج من بلاد الغرب معتزاً بعاداته وتقاليده، موفداً من إحدى الصحف الغربية (فرانكفورتر ديتونج) إلى بلاد الشرق؛ لكي يقدم تقارير صحفية عن المنطقة بشكل عام وفلسطين بشكل خاص؛ حيث تفاعل الرجل مع أحداث المنطقة، وزار عدة بلدان عربية وإسلامية مثل السعودية وباكستان وأفغانستان وإيران ومصر وسورية، واطلع على عادات الناس وخالطهم، فحلَّ عليه الإيمان دون أن يسعى إليه، يقول عن نفسه: في عام ١٩٢٢م تركت موطن النمسا للسفر إلى أفريقيا وآسيا الوسطى بوصفي مراسلاً خاصاً لبعض الصحف الأوروبية البارزة، ورأيت أمامي نظاماً أكثر إنسانية بالمقارنة مع نوع الحياة السريع والميكانيكي في أوروبا"(٣)، "ودرس الإسلام من خلال ترجمة معاني القرآن الكريم بالفرنسية والألمانية، وما عدا القرآن الكريم فقد اعتمد على أعمال المستشرقين الأوروبيين"(٤).

---

(١) انظر محمد أسد، الطريق إلى مكة، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٥هـ، ص ٥- ٣.

(٢) المرجع السابق ص ٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٩.

ويقول عن نفسه أيضاً: "تعلمت القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ولغة الإسلام، وأقمت ست سنوات في الحجاز ونجد"[١]، وأنشأ بالتعاون مع وليم بكثول مجلة الثقافة الإسلامية في حيدر آباد بالهند في عام ١٩٢٧م، وكتب فيها دراسات في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام[٢]، وعمل سفيراً لباكستان في الأمم المتحدة في بداية الخمسينيات، وكان له علاقة وثيقة بالملك عبد العزيز آل سعود وابنه الملك فيصل رحمهما الله، وكذلك بعمر المختار[٣] مقاوم الاستعمار الليبي، ومحمد إقبال الفيلسوف والشاعر الباكستاني، والتقى محمد أسد في ربيع عام ١٩٢٤م في القاهرة بمصطفى المراغي الذي صار لاحقاً شيخ الأزهر والذي كان تلميذ محمد عبده[٤]، وقد حضر محمد أسد بعض الدروس العربية في جامعة الأزهر، وقد تركت آراء مصطفى المراغي الإصلاحية أثراً في فكر محمد أسد، وكان محمد أسد قريباً جداً من الملك عبد العزيز رحمه الله، وكان يحضر مجالسه كضيف مكرم عنده، وقد عرف الملك أن محمد أسد أسلم فعلاً وحسن إسلامه[٥]، ومما تميز به محمد أسد عن غيره من المستشرقين الذين أسلموا أنه ذهب لمساعدة عمر المختار بإيعاز من سيد أحمد السنوسي الكبير[٦]، وذلك عندما اشتد الأمر على عمر المختار، والإيطاليون حاصروه من كل جانب، ورغم أن محمد أسد التقى به إلا أنه لم يستطع أن يقدم له شيئاً؛ لأن الوقت قد فات، وفعلاً بعد أيام قتل عمر المختار وتم شنقه أمام الجماهير بعد ما رفض الاستسلام والعيش تحت رحمة الإيطاليين، فرحمه الله رحمة واسعة.

إسلامه: يقول محمد أسد عن سبب إسلامه: "هذا القدر من الأحوال التي لابست اعتناقي الإسلام يكفي في هذا المقام، ومنذ ذلك الحين وهذا السؤال يلقى علي مرة بعد مرة، لماذا اعتنقت الإسلام، وما الذي جذبك منه خاصة؟ وهنا يجب أن أعترف بأنني لا أعرف جواباً شافياً، لم يكن

(١) المرجع السابق، ص١٩.

(٢) نجيب العقيقي، المستشرقون، ج ٢ ص٢٩١.

(٣) عمر المختار، ولد عام ١٨٦٢م، زعيم وطني ليبي، رمز لكل المناضلين خلال تلك الحقبة في سبيل الحرية والاستقلال، قائد حركة النضال الوطني ضد الاستعمار الإيطالي، استشهد بعد محاصرته في الجبل الأخضر عام ١٩٣١م، انظر مجموعة من المؤلفين، موسوعة مشاهير العالم، ط ١، بيروت دار الصداقة العربية، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٨٢-٨٤.

(٤) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني، ولد عام ١٨٤٩هـ، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، وشارك في مناصرة الثورة العربية، وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) وتولى منصب القضاء، ثم مفتيا للديار المصرية وتوفي عام ١٩٠٥م، ومن مؤلفاته: (تفسير القرآن الكريم)، و(رسالة التوحيد) انظر: الأعلام للزركلي ٦ / ٢٥٢، علماً بأنه من دعاة العقلانية الذين يرجحون العقل مقابل النقل وعليه مآخذ عقدية.

(٥) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص: ٢٤٢-٢٩٥.

(٦) المرجع السابق، ص: ٤٢٤ – ٤٥٩.

الذي جذبني تعليماً خاصــاً من التعاليم؛ بل ذلك البناء المجموع العجيب والمتراص بما لا نســتطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية، بالإضافة إلى منهاج الحياة العملية، ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها، فإن الإسـلام على ما يبدو لي بناء تام الصـنعة وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً، فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هناك نقص في شيء، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص، ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت في مواضعها هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي، ولقد هبط علي الإســـلام كاللص الذي يهبط المنزل في جوف الليل؛ ولكنه لا يشـــبه اللص؛ لأنه هبط علي ليبقى للأبد(١).

وفاته: توفي رحمه الله في ليسبون من أسبانيا عام ١٩٩٢م وعمره اثنان وتسعون عاماً، فرحم الله محمد أسد رحمة واسعة، وتجاوز عن زلاته.

ثانياً: أبرز المعالم المنهجية في تأليف محمد أسد.

١/ يستدل محمد أسد في كتاباته كثيراً بالآيات القرآنية والسنة النبوية المطهرة.

٢/ يعتمد على المنهج العقلي في كثير من المسائل.

٣/ وضوح روح الحماسة الدينية في كتاباته والرغبة الصادقة في هداية بني قومه إلى الإسلام.

٤/ يغلب عليه استخدامه لمنهج التأويل وصرف المعنى عن حقيقته.

٥/ إجادته للغة العربية حتى تمكن من الاطلاع على كثير من كتب التراث الإسلامي.

ثالثاً: أبرز كتبه ومؤلفاته.

من أبرز مؤلفات محمد أسد ما يلي:

١/ الطريق إلى مكة.

٢/ الإسلام على مفترق الطرق.

٣/ منهاج الإسلام في الحكم.

---

(١) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة الدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة بدون، ص: ١٥.

٤/ أثر الحروب الصليبية.

٥/ هذه شريعتنا.

٦/ ترجمة معاني القرآن الكريم (رسالة القرآن) وهذه الرسالة غير مترجمة إلى اللغة العربية[١].

٧/ ترجمة صحيح البخاري (السنوات المبكرة للإسلام)[٢].

وهنا نبذة مختصرة عن مؤلفاته ومحتواها وقيمتها العلمية.

١-كتاب (الطريق إلى مكة).

طبع هذا الكتاب في عام ١٣٧٣هـ، ويحتوي على (٤٩٨) صفحة من الحجم المتوسط، وله عدة طبعات[٣].

محتوى الكتاب: سرد فيه المؤلف رحلته إلى مكة المكرمة وما حصل أثناء السير فيها من أحداث وأسفار لبلدان وقرى، وهو مليء بالمواقف الرائعة والأحداث الشيقة والمغامرات المثيرة، وابتدأ فيه المؤلف موضوعاته بحكاية قصة، وظمأ، وبداية الطريق، ورياح، وأصوات، وروح وجسد، وأحلام، ومنتصف الطريق، وتناول عن الجن، والدجال، ورسالة فارسية، والجهاد، واختتم بحماية الطريق.

القيمة العلمية للكتاب: يكفي لذكر أهمية هذا الكتاب انتشاره الواسع على مستوى العالم، بسبب أسلوب المؤلف الشيق وغزارة الموضوعات التي طرحت، ووصف المؤلف البيئة الغربية بالمادية الصرفة وانتشار الخوف والطمع والجشع، وذكر أن بولس أخفى من المسيحية كل تعاليم المسيح الحقيقية، واعتبر محمد بن عبد الوهاب مصلحاً ومجدداً، وأجاد في الرد على الطرق الصوفية ومشابهتها للرهبنة المسيحية والأفكار الهندية.

٢-كتاب (الإسلام على مفترق الطرق).

كتب محمد أسد هذا الكتاب في عام ١٣٠٣هـ في دلهي بالهند، ويحتوي على (١١٩) صفحة من الحجم المتوسط.

---

(١) تجد تفصيل دراسة هذا الكتاب في الباب الأول، الفصل الأول، المبحث الثاني.

(٢) تجد تفصيل دراسة هذا الكتاب في الباب الأول، الفصل الثاني، المبحث الثاني.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص: ٥- ٣.

محتوى الكتاب: يحتوي الكتاب على عدة موضوعات ابتدأها المؤلف بعنوان سبيل الإسلام، وروح الغرب، وشبح الحروب الصليبية، والتربية، والحديث والسنة، وروح السنة، والخاتمة.

القيمة العلمية للكتاب: يتضح أهمية هذا الكتاب في انتشاره الواسع في العالم الإسلامي وكذا في العالم الغربي، وفائدته العملية تتجلى في إجادة المؤلف في مقارنة الإسلام وسمو مكانته بعكس النصرانية الغربية التي تتسم بالمادية، ونجاحه في إقناع القارئ من خلال عرضه الجيد وأسلوبه الشيق.

وذكر المؤلف أن نهوض الأمة الإسلامية يكمن في تميزها والمحافظة على تراثها الروحي والبعد عن التقليد والتبعية للقيم الغربية وثقافتها، وتطرق المؤلف إلى مفهوم الوسطية في الإسلام والذي أكد على الجمع بين الروح والجسد خلافاً لبقية الأديان مثل النصرانية والبوذية والهندوسية، وردَّ بتهكم شديد على عقيدة الخطيئة الموروثة في النصرانية،وأكد أن المدنية الغربية لا تجحد وجود الله البتة؛ ولكنها لا ترى مجالاً ولا فائدة لله في نظامها الفكري الحالي.

والكتاب يعد من الكتب النادرة التي يتحدث فيه غربي عن الإسلام والغرب، وكان له صدى في العالم، وقد طبع عدة مرات.

٣- مناهج الإسلام في الحكم.

طبع هذا الكتاب في عام ١٩٥٧م في دار العلم للملايين ببيروت، ويحتوي على (١٩٢) صفحة من الحجم المتوسط.

محتوى الكتاب: ابتدأ المؤلف كتابه بسؤال مهم: لماذا نريد الدولة الإسلامية؟ ولماذا لا نرضى بدولة علمانية؟ ثم ذكر العناوين التالية: المصطلحات والسوابق التاريخية، وحكومة انتخابية وشورية، والعلاقة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، والشعب والحكومة، والخاتمة.

القيمة العلمية للكتاب: يعد هذا الكتاب نادراً في بابه، ويتبين لنا أهميته من خلال قول المؤلف بأن قيام دولة إسلامية تختلف كل الاختلاف عن الأنماط السياسية الموجودة في العالم اليوم وتقوم على المبادئ القومية أو العنصرية؛ ولكن على أساس من القرآن والسنة، ولقد كنا بحاجة إلى وضع مشروع لدستور إسلامي بمعنى الكلمة يأخذ في نفس الوقت بعين الاعتبار مطالب هذا العصر ومقتضياته، وتحدث المؤلف عن قواعد الدستور الإسلامي ومقومات نظام الحكم وذكر مبدأي العدل

والشورى بأسلوب علمي جميل[1]، وبين أصالة المنهج الإسلامي وتميزه؛ بل وتفوقه على النظم البشرية وأن استعمال المصطلحات التي لا صلة لها بالإسلام للتعبير عن نظرة الإسلام للدولة والحكومة ليست هي الهوة الوحيدة؛ بل يتعدى خطره لأعظم من ذلك[2]، ويؤكد على رسالة الإسلام الخالدة التي يجب أن تظل مفتوحة أمام العقل الإنساني الذي لا يكل عن البحث والدراسة[3].

٤- كتاب أثر الحروب الصليبية على الفكر الغربي الحديث.

طبع هذا الكتاب في عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م في المختار الإسلامي للطباعة والنشر بالقاهرة، ويحتوي على (١٤) صفحة من الحجم الصغير.

محتوى الكتاب: الكتاب باختصار يناقش قضية مهمة وهي أثر الحروب الصليبية في تشويه صورة الإسلام.

القيمة العلمية للكتاب: يتضح أهمية الكتاب من عنوانه؛ حيث يؤكد المؤلف أن الحروب الصليبية لم يقتصر أثرها على إراقة الدماء فحسب؛ بل تعدى ذلك، فيؤكد أن الأذى الذي جلبته الحروب الصليبية لم يقتصر على اصطدام استعملت فيه الأسلحة؛ بل كان وقبل كل شيء أذى عقلياً نتج عنه تسميم العقل الأوروبي ضد العالم الإسلامي عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الإسلامية تفسيراً خاطئاً[4].

٥- كتاب هذه شريعتنا ومقالات أخرى.

هذا الكتاب عبارة عن مقالات متنوعة لمحمد أسد قام بجمعها وإخراجها زوجته بولا حميدة بعد وفاته، وهي مجموعة محاضرات ومشاركات لمحمد أسد في عام ١٩٨٦م، وطبع هذا الكتاب منتدى العربية والدولية، ونقله إلى العربية شكري مجاهد في عام ٢٠١٥م، ويحتوي على (٢٠٨) صفحات من الحجم الكبير.

(١) محمد أسد، مناهج الإسلام في الحكم، ترجمة منصور محمد ماضي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧م، ص: ٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٣.

(٣) المرجع السابق، ص: ٤٦.

(٤) محمد أسد، أثر الحروب الصليبية على الفكر الغربي الحديث، المختار الإسلامي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص١٢.

محتوى الكتاب: حمل هذا الكتاب العناوين التالية: هذه شريعتنا، تمهيد، لحظة تحول، الحديث عن الإحياء الإسلامي، خطأ من، منهج جديد، أساس حضارتنا، الحضارة الإسلامية والشريعة الإسلامية، تطور جديد، التقليد في الفكر، صوت من تسعة قرون.

القيمة العلمية للكتاب: يعد هذا الكتاب من الكنوز المذخورة لمحمد أسد؛ لأنه خلاصة أفكاره ومشاركاته في المحاضرات والندوات؛ حيث يؤكد فيها أن رسالة الإسلام هي رسالة الله إلى البشر التي تصلح، ليس لزمان واحد؛ بل لكل زمان، ووجوب اتباع الكتاب والسنة النبوية، ويوضح أهمية الشريعة الإسلامية بوصفها العنصر الذي يشكل حياتنا، ويتحدث أخيراً عن قضية القدس ويدافع عن حقوق الفلسطينيين.

٧/ موريس بوكاي

أولاً: التعريف به.

اسمه: موريس بوكاي، ولم يغير اسمه؛ بل بقي على نفس الاسم حتى بعد إسلامه.

مولده ونشأته: ولد في فرنسا عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م، ونشأ في فرنسا منتمياً إلى طائفة النصارى الكاثوليك، وتلقى في مدارسها الثانوية ما يتم اختياره بعناية فائقة من نصوص النصرانية التي لا تثير لدى الناشئة الحيرة والتساؤل؛ حيث يقول: "إن كتب التعليم الديني لم تكن تحتوي إلا على مقاطع مختارة من الأناجيل، ولم يكن هناك تداول للنص بأكمله"[١].

حياته الاجتماعية والعلمية:

في وقت ما ألقي في روع موريس بوكاي أن هناك أمة تدعى المحمديين تنتسب إلى دين أسسه رجل يدعى محمد، وليس لهذه الأمة أو لهذا الفرد أي اتصال بالله أو ارتباط بدين حقيقي[٢]، وكان شغوفاً بالقراءة والمطالعة مما ساهم في إثراء عقله وتوسع مداركه واطلاعه على بعض كتب ديانته التي لا تتاح لمن هم في سنه؛ فعرف من خلال هذه الكتب أنها تحتوي على عدد من المشاكل، وهناك أدرك لمَ لم تكن كتب مثلها مشاعة فيما بينهم، وعاش الرجل فترة شبابه في المغرب إبان الاحتلال الفرنسي فتعرف على مجتمع مختلف عن مجتمعه، وبعد عودته إلى فرنسا أكمل دراسته متخصصاً في مجال الطب البشري، وعمل في هذا الحال إلى أواخر أيام حياته[٣]، وشعر موريس بوكاي الذي شرح الله صدره للإسلام، بالحاجة الملحة لتعلم اللغة العربية التي لم يكن يعرفها؛ ليكون قادراً على التقدم في دراسة هذا الدين الذي يجهله الكثيرون، فتعلم اللغة العربية للفهم الصحيح للإسلام، ومن بداية تعليمه للغة العربية والتأليف استغرق قرابة ست سنوات[٤].

إسلامه: شاهد موريس بوكاي جثة فرعون وبقاءها سليمة، حين كان يعد تقريراً نهائياً عما كان يعتقده اكتشافاً جديداً في انتشال جثة فرعون من البحر وتحنيطها بعد غرقه مباشرة، حتى همس أحدهم في أذنه قائلاً: لا تتعجل! فمن المسلمين من يتحدثون عن غرق هذه المومياء؛ ولكنه استنكر بشدة

(١) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، مصر، ص ١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٥.

(٤) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٢٠، ١٩٧.

هذا الخبر، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطور العلم الحديث وعبر أجهزة حاسوبية بالغة الدقة، فزاد شخص آخر دهشته بقوله: إن قرآنهم الذين يؤمنون به يروي قصة عن غرقه وعن سلامة جثته بعد الغرق، ثم سافر إلى المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر طبي، وكان أول حديث تحدث به معهم عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق، فقام أحدهم وفتح له المصحف وأخذ يقرأ قول الله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾ [سورة يونس: ٩٢]. لقد كان وقع الآية عليه شديداً ورجت له نفسه رجة جعلته يقف أمام الحضور، ويصرخ بأعلى صوته: لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن(١).

نعم قد قذف الله في قلبه حب الإسلام ومن ثم اعتناقه، ولعل من أهم أسبابه اطلاعه على القرآن الكريم من خلال الترجمة الفرنسية لمعاني القرآن، وما يحتويه من الآيات المتعلقة بالخلق والفلك والإنسان والحيوان والنبات(٢)، وكذلك زيارته لملك المملكة العربية السعودية الملك فيصل بن عبدالعزيز واستماعه إليه؛ حيث يقول موريس: "وسأظل مدينا بالعرفان وبشكل لا حد له للمغفور له جلالة الملك فيصل"(٣).

وفاته: توفي رحمه الله في عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، أسأل الله أن يرحمه، وأن يغفر ذنوبه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ثانياً: أبرز المعالم المنهجية في تأليف موريس بوكاي:

١/ نجح المؤلف في استخدام منهج المقارنة العلمية بين روايات الكتب السماوية والقرآن الكريم في إثبات المسائل.

٢/ أورد مسائل كثيرة تبرهن اتفاق آيات القرآن الكريم مع العلم الحديث وتناقض روايات التوراة.

٣/ الاعتماد على الأدلة المحسوسة من نتائج الآثار والمختبرات العلمية.

---

(١) راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص ٢٢٦و٢٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٤.

ثالثاً: أبرز كتبه ومؤلفاته:

له كتابان يتعلقان بالدين والعلم العصري، وهما:

١- التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقاييس العلم الحديث.

٢- أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية.

وهنا نبذة مختصرة عن مؤلفاته ومحتواها وقيمتها العلمية.

١-كتاب (التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقاييس العلم الحديث)

هذا الكتاب له عدة أسماء منها: (التوراة والإنجيل والقران والعلم) وكذلك (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) وكذلك (التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث) وهذا الكتاب ألفه موريس بوكاي باللغة الفرنسية وطبع عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ثم ترجم إلى اللغات الإنجليزية والإندونيسية والصربوكرواتية، وله عدة طبعات، ففي عام ١٩٨٢تم تعريبه ونشره بواسطة دار المعارف المصرية وجاءت في (٢٩٠) صفحة من الحجم الكبير، وكذلك نشر عن طريق مكتبة مدبولي بالقاهرة الطبعة الأولى في عام ١٩٩٦م، وكانت الطبعة الثانية في عام ٢٠٠٤م، وجاءت في (٢٩١) صفحة، وكذلك طبع المكتب الإسلامي ببيروت في عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ترجمه حسن خالد ويقع في (٢٩٦) صفحة، وكذلك ترجمه علي الجوهري مكتبة ابن سينا بالقاهرة في ٢٠١٣م، وجاءت في (٢٨٨) صفحة.

محتوى الكتاب: قسم المؤلف كتابه إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: تحدث فيه عن العهد القديم وتاريخه.

القسم الثاني: بين فيه علاقة النصرانية باليهودية والتناقضات بين الأناجيل.

القسم الثالث: خُصّص للحديث عن القرآن والعلم الحديث.

القسم الرابع: مقارنة بالعلم بين روايات القرآن والتوراة.

القسم الخامس: المقارنة بين القرآن والأحاديث النبوية والعلم.

القيمة العلمية للكتاب: يعد هذا الكتاب من المؤلفات المهمة؛ لأنه نادر في موضوعه وما احتواه من عناوين ومقارنات؛ وقد تحدث فيه المؤلف عن الكتب السماوية، وأجرى مقارنات بالعلم الحديث وهذا ما يميزه، ووضح فيه عظمة القرآن الكريم مقارنة بكتب اليهود والنصارى التي لا مجال للمقارنة بينها؛ لكنه اضطر للمقارنة نتيجة لإقناع أصحاب هذه الديانات وغيرها من الأديان بطريقة علمية وموضوعية، وكذلك أثبت بالأدلة والبراهين أن التوراة والإنجيل التي في أيدي أهل الكتاب في هذا العصر كتابات بشرية لا تمت إلى الوحي الإلهي بصلة البتة، ومن أهم ما ورد ذكره في الكتاب من القضايا العلمية إثبات أن القرآن الكريم يتطابق تماماً مع المكتشفات العلمية خلافاً للتوراة والإنجيل اللذين يخالفان العلم الحديث في أمور كثيرة يصعب حصرها وذلك بسبب التحريف، وبين أن كتبة التوراة والأناجيل لم يشاهدوا الأحداث ولم يعاينوها، وأن بولس المسيح خائن لفكر المسيح، وكذلك قام بالرد على شبهة اقتباس القرآن الكريم من التوراة والأناجيل، وأعرب عن تفاؤله بمستقبل الإسلام في كثير من مواضعه.

٢-كتاب (أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية)

ألف موريس بوكاي هذا الكتاب باللغة الفرنسية، وترجمه فوزي شعبان، وجاءت الترجمة في حدود (٢٣٩) صفحة من الحجم الكبير، وقام بطبعه المكتبة العلمية سنة١٩٨١م، وقد طبع هذا الكتاب باسم آخر وهو: (ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة)، ونشرته سيغرز بباريس، وقام مكتب التربية العربي لدول الخليج بترجمته إلى العربية ونشره في عام ١٤٠٦هـ.

محتوى الكتاب: اشتمل الكتاب على الفصول التالية: التطور في مملكة الحيوان، وتطور الإنسان مقارنا بتطور كائنات حية أخرى، وأول إجابة في الكتب المقدسة، وأصل الإنسان والتحولات التي طرأت عليه وتناسله وفقاً للقرآن، والتوفيق بين الدين والعلم.

القيمة العلمية للكتاب: أهمية هذا الكتاب تكمن في عدة جوانب: فالجانب الأول استحالة كون القرآن الكريم كلام بشر، وأن هناك اتفاقاً تاماً بين القرآن الكريم والاكتشافات العلمية الحديثة، بعكس التوراة والأناجيل الحالية التي تناقض الاكتشافات العلمية الحديثة صراحة، والجانب الثاني: دحض نظرية داروين المنتشرة في أفريقيا وأوروبا، وإثبات أصل الإنسان وتناسله وفقاً للقرآن الكريم، والجانب الثالث: قبول وانتشار الكتاب في العالم الإسلامي وبعض العالم النصراني؛ لأنه تضمن أول بحث في موضوعه يقدم إلى الغرب عام ١٩٧٦م.

٨/ مريم جميلة

أولاً: التعريف بها

اسمها: كان اسمها قبل الإسلام مارجريت بيجي ماركوس، وبعد إسلامها تسمت بمريم جميلة[١].

مولدها ونشأتها: "ولدت مريم جميلة عام ١٩٨٤م، في ضاحية روتشل إحدى أهم ضواحي مدينة نيويورك الأمريكية.

وكانت يهودية أمريكية الأصل والولادة والنشأة؛ حيث نشأت في مقاطعة وستشستر إحدى أكبر وأغنى مقاطعات ولاية نيويورك وأكثرها سكاناً؛ حيث انتقلت أسرتها للعيش هناك لاحقاً وهي الابنة الصغرى لأبوين ينتميان للجيل الرابع من اليهود القادمين من أوروبا؛ حيث هاجر جداها من ألمانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية منذ بدايات القرن التاسع عشر الميلادي"[٢].

حياتها الاجتماعية والعلمية: "التحقت بالمدارس الأمريكية العامة ذات المناهج العلمانية، حتى أنهت تعليمها الثانوي في يونيو من عام ١٩٥٢م، وقد وصفها معلموها في ذلك الوقت أنها طالبة موهوبة، تفوق أقرانها ذكاء ونباهة، تمضي معظم أوقاتها في القراءة، خصوصاً الكتب المتعلقة بالفلسفة والأديان؛ لكنها لم تنسجم أبداً مع رفاقها"[٣].

ثم "التحقت مدة عامين كاملين بالمدارس التي تقام كل يوم أحد من كل أسبوع، لتدريس تعاليم الديانة اليهودية والتاريخ اليهودي؛ ولكن سرعان ما شعرت بالملل الشديد، فامتنعت عن مواصلة الدراسة"[٤].

وبعد ذلك التحقت مريم جميلة بجامعة روشستر في عام ١٩٥٢م، وكتبت عن تلك المرحلة من حياتها في رسالة بعثت بها إلى والدتها وهي في سكن الجامعة قائلة: "إن الفتيات اللواتي يشاركنني

---

(١) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ترجمة: س حمد، مكتبة الفلاح، الكويت، من: ص١٣-٢١، وكذلك الرسائل المتبادلة بين أبي الأعلى المودودي ومريم جميلة عن الدعوة وهموم المسلمين، ترجمة طارق السيد خاطر، ص: ١٠، ٢١.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص١٣-٢١، وكذلك الرسائل المتبادلة بين أبي الأعلى المودودي ومريم جميلة عن الدعوة وهموم المسلمين، ص: ١٠، ٢١.

(٣) مريم جميلة، رحلة مريم جميلة من الكفر إلى الإسلام ومراسلتها مع الشيخ المودودي، ترجمة محمد لقمان السلفي، الداعي للنشر والتوزيع بالرياض١٤٢٠هـ، ص٣١.

(٤) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة الغرب، نشر بلاهور، ١٩٦٢م، ص ١، ٢.

السكن من ألطف وأطيب الناس، فهناك إشعاع دافئ من الصداقة بدأت ألمحه وذلك من أسعد اللحظات التي خبرتها في حياتي؛ ولكن سرعان ما تلاشي ذلك الأمل الجميل في رفقة طيبة، حين طلبت منها الجامعة وقبل أن تبدأ الدراسة أن تخضع لعلاج نفسي فأجبرت على ترك الجامعة"[1].

إسلامها: كان مدخلها إلى الإسلام هو نفسه مدخل السابقين من أبناء هذه الأمة: القرآن الكريم، ويلمح فيه المؤمن فعل القدر والهداية الإلهية[2]، فهي تهتم منذ سن العاشرة بقراءة كل ما تستطيع الحصول عليه عن العرب، وتتكون لديها قناعة راسخة وهي بعد في سن المراهقة أن الإسلام هو سر عظمة العرب وليس العكس، وعندما تشتاق إلى الاطلاع على هذا الدين الذي غير العرب أيما تغيير يصيبها مرض مفاجئ في صيف عام ١٩٥٣م يقعدها عن الذهاب للجامعة عاماً بأسره، وخلال فترة المرض تطلب من والدتها أن تحضر لها ترجمة لمعاني القرآن من مكتبة عامة[3].

وفي الرابع والعشرين من عام ١٩٦١م صرحت رسمياً عن رغبتها بالعيش كمسلمة في مركز الجالية الإسلامية في بروكلين بمدينة نيويورك، وغيرت اسمها من مارجريت بيجي ماركوس إلى مريم جميلة[4].

وفاتها: توفيت مريم جميلة في ٣١ أكتوبر من عام ٢٠١٢م بمدينة لاهور الباكستانية رحمها الله رحمة واسعة.

ثانياً: أبرز المعالم المنهجية في تأليف مريم جميلة.

يتضح من خلال كتاباتها وترجمتها منهجها في التأليف على النحو التالي:

١/ تميزت كتابات مريم جميلة بروح الحماسة الدينية وذكر محاسن الإسلام ونقد الديانة اليهودية.

٢/ تُكثر من الاستشهاد بالكتاب والسنة في جميع مؤلفاتها.

---

(١) نورة حسن صالح الغامدي، الأستاذة مريم جميلة وجهودها في الدفاع عن الإسلام، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، قسم الثقافة الإسلامية ص٣٤.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، المختار الإسلامي، القاهرة، ط: بدون، تاريخ إصدار: بدون، ص٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص٢١.

(٤) المرجع السابق، ص١٩.

٣/ تدعو دائماً في كتاباتها إلى تطبيق الكتاب والسنة في حياة المسلم.

٤/ تدافع عن المرأة المسلمة وتوصيها بتوصيات جميلة.

٥/ دافعت عن القضية الفلسطينية وكشفت عن المؤامرات الصهيونية التي تنبذها بصراحة.

ثالثاً: أبرز كتبها ومؤلفاتها.

مريم جميلة لديها عدة مؤلفات ومن أبرزها:

١/ الإسلام في مواجهة الغرب.

٢/ الرسائل المتبادلة بين أبي الأعلى المودودي[١] ومريم جميلة.

٣/ تحذير إلى المرأة المسلمة اليوم وغداً أو بعنوان آخر وهو المرأة المسلمة اليوم.

٤/ الإسلام في النظرية والتطبيق.

٥/ رواية بعنوان (أحمد خليل).

٦/ الإسلام في مواجهة أهل الكتاب قديماً وحديثاً.

---

(١) أبو الأعلى بن السيد أحمد حسين المودودي المولود في الثاني من شهر رجب سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، في ولاية حيدر آباد في الهند، تلقى تعليمه بدار العلوم في مدينة حيدر آباد، ثم هاجر الشيخ إلى الباكستان في عام ١٩٣٨م بناء على دعوة من الدكتور محمد إقبال، وتوفي عام ١٩٧٩م، ومن أهم مؤلفاته: تفهيم القرآن، تذكرة دعاة الإسلام، نحن والحضارة الغربية، مبادئ الإسلام، الحجاب، تفسير سورة النور، وقد نال عام ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، جائزة الملك فيصل في خدمة الإسلام، انظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص: ٨٣، ٨٤، وكذلك أحمد العلاونة، ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، جدة، ص٣٩،٤٠.

وهنا نبذة مختصرة عن مؤلفاتها ومحتواها وقيمتها العلمية.

١-الإسلام في مواجهة الغرب.

نشر هذا الكتاب في عام ١٩٦٢م بلاهور، وهناك ترجمة عربية لهذا المؤلف.

محتوى الكتاب:

يشتمل الكتاب على (١٦) فصلاً ومن أبرز عناوينه:

التعريف بالمؤلفة، وذكرت بعض المصادر الفلسفية للمادية الغربية، وانتقدت بعض كتب المستشرقين الغربيين المعاصرين، وتحدثت عن النشاط التبشيري في إفريقيا، وعن الإسلام ودعاة التحديث، وناقشت تحريم الإسلام للتصوير، وبينت معنى التكبير، ووجهت رسالة للشباب المسلم تحدثت فيها عن خطر التغريب.

القيمة العلمية للكتاب: هو أول مؤلفاتها، وهو عبارة عن مقالات كتبت بعضها قبل أن تسلم وأخرى بعد إسلامها، وتتبين أهميتها في تنوعها في طرح المواضيع المهمة في العصر الحاضر، ومناقشتها بأسلوب جميل، فتقول الأستاذة مريم جميلة في مقدمة كتابها: "هذه المقالات مهداة للشباب المتعلم تعليما عصرياً في البلدان الإسلامية؛ لتعينهم وتساعدهم على التمييز بين ما ينادي به الإسلام وبين ما تدعيه الأيدولوجيات المغالطة في عصرنا هذا، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٤٣].

٢-الرسائل المتبادلة بين أبي الأعلى المودودي ومريم جميلة.

وهو أشهر كتبها ولا تعرف غالباً إلا بهذا الكتاب، وسبب ذلك على الأرجح يعود إلى مراسلتها لداعية معروف في ذلك الوقت وهو: الشيخ أبو الأعلى المودودي، وهناك ترجمتان باللغة العربية لهذا الكتاب وهما:

١- الرسائل المتبادلة بين أبي الأعلى المودودي ومريم جميلة عن الدعوة وهموم المسلمين، ترجمة: طارق السيد خاطر، مكتبة المختار الإسلامي للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.

٢- والثانية بعنوان (رحلة مريم جميلة من الكفر إلى الإسلام ومراسلتها مع الشيخ المودودي) وقام بترجمته الشيخ الدكتور محمد لقمان السلفي، بطلب من الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ، نشره الداعي للنشر والتوزيع بالرياض١٤٢٠هـ من الحجم الصغير، ويقع في (١٧٠) صفحة.

محتوى الكتاب: وهذا المؤلف عبارة عن رسائل متبادلة بينها وبين الشيخ أبي الأعلى، تتحدث فيه عن إسلامها، ثم تسأل الشيخ عن الأمور المهمة للأمة، وتحذر فيه من التغريب وأثره المدمر على العالم الإسلامي، وقد قام الشيخ بعد استئذانها بنشر تلك الرسائل المتبادلة بينهما في صحيفته الشهيرة (ترجمان القرآن) ثم نشرها بعد ذلك زوجها محمد يوسف خان عام ١٩٦٩م بلاهور.

القيمة العلمية للكتاب:

تتضح أهمية هذا المؤلف وقيمته لمناقشته مواضيع مهمة جداً فيما يتعلق بالعصر الحاضر، ومن أبرز هذه المناقشات:

١- بيان شؤون المسلمين في ذلك الوقت والأخطار المحدقة بهم عن طريق فئتين من الناس: فئة من خارج الأمة وهم التبشيريون والمؤلفون العلمانيون، وفئة من داخل الأمة، وهم دعاة التقدمية والتجديد الموالون للغرب.

٢- كشف حقيقة بعض الفرق التي تدعي الإسلام كالبهائية وغيرها.

٣- التأكد من مناهج بعض الأعلام المعروفين كالشيخ ولي الله الدهلوي[(١)] وغيره.

٣-تحذير إلى المرأة المسلمة اليوم وغداً.

هذا الكتاب يحمل عنواناً آخر وهو: (المرأة المسلمة اليوم) نشره زوجها محمد يوسف خان عام ١٩٧٦م بلاهور، وهو من أهم كتبها ومن أهم المراجع.

محتوى الكتاب: يتألف هذا الكتاب من خمسة فصول وهي كالتالي:

(١) ولي الله الدهلوي هو الشيخ الجليل العلامة المجاهد رافع علم السنة ببلاد الهند، أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ولد في عام ١١١٤هـ، أبوه الشاه عبد الرحيم من كبار شيوخ عصره، وقد سافر الشيخ أحمد إلى الحرمين ودرس الحديث على يد الشيخ أبي الطاهر محمد بن إبراهيم الكردي، واعتبره الكثيرون مجدداً لعصره، فقد أحيا العمل بالكتاب والسنة في بلاد الهند وأمات البدعة، ورفع الراية بعده أبناؤه وتلاميذه، انظر: مسعود الندوي، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، الدار العربية، بيروت، ص ١٢٩-١٤٥.

الفصل الأول: المرأة المسلمة ودورها في المجتمع.

الفصل الثاني: واجبات الأم المسلمة.

الفصل الثالث: قاسم أمين[1] وتحرير المرأة المسلمة.

الفصل الرابع: الإسلام وتحرير المرأة المسلمة

الفصل الخامس: الحركة النسائية والمرأة المسلمة.

القيمة العلمية للكتاب: تتبين القيمة العلمية لهذا المؤلف من خلال عنوانه واختصاصه في قضية المرأة المسلمة، ولا تكاد تجد كتاباً للمستشرقين الذين أسلموا يتحدث عن قضايا المرأة المسلمة بشكل مستقل؛ حيث توضح فيه مريم جميلة إلى تاريخ الحركة النسائية في العالم وفي الولايات المتحدة وفي البلاد الإسلامية، وبينت الفساد الاجتماعي الذي انتشر نتيجة الدعوات التحررية للمرأة.

٤-الإسلام في النظرية والتطبيق

نشر هذا الكتاب في عام ١٩٦٧م، ونشره زوجها محمد يوسف خان بلاهور باللغة الإنجليزية، وله ترجمة باللغة العربية، ترجمة س. حمد، مكتبة الفلاح الكويت، وطبع في عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

محتوى الكتاب: يحتوي الكتاب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الإسلام في النظرية وتتحدث عن بعض الآداب الإسلامية وبيان دور المرأة المسلمة.

الفصل الثاني: الإسلام في التطبيق، وتحدثت فيه عن بعض الحركات الإسلامية.

الفصل الثالث: وتحدثت فيه عن دلائل النهضة الإسلامية.

---

(١) ولد قاسم أمين عام ١٨٦٣م، وهو كردي الأصل، وأم مصرية، حصل على الشهادة الابتدائية في الإسكندرية ثم انتقلت أسرته إلى القاهرة فالتحق بالمدرسة الثانوية القسم الفرنسي، ثم بمدرسة الحقوق وحصل على الليسانس سنة ١٨٨١م، ثم سافر في بعثة دراسية إلى فرنسا في جامعة مونبلييه، وعاد إلى القاهرة عام ١٨٨٥م، وتعين في القضاء في عام ١٨٨٩م، ورقي إلى منصب رئيس نيابة بني سويف بصعيد مصر، ثم رقي إلى منصب مستشار، له عدة مؤلفات: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة عام ١٩٠٠م، وتوفي عام ١٩٠٨م عن عمر يناهز الخامسة والأربعين، انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي ج٥، ص١٨٤، وكذلك سليمان بن ناصر الخراشي، المشابهة بين قاسم أمين ودعاة التحرير في هذا العصر، ص ١٨.

القيمة العلمية للكتاب: تتضح قيمة الكتاب من خلال سبب تأليفه كما ذكرته في مقدمة الكتاب فتقول: "إن المقالات التي تؤلف هذا الكتاب كتبت للمثقفين من غير المسلمين الذين يهمهم اكتشاف ما يعنيه الإسلام حقيقة للمؤمن الصادق، وكذلك لأولئك الناس من ذوي الأصل المسلم الذين لم تسنح لهم الفرصة الاعتناق عقيدة غير مدخولة بسبب تربيتهم الحديثة[1]"، وتأتي أهميتها في المرتبة الثانية لإبرازها بعض الحركات الإسلامية وروادها: مثل حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمد بن علي السنوسي صاحب الدعوة السنوسية في ليبيا وغيرهما.

٥-رواية بعنوان (أحمد خليل).

هذه الرواية بدأت في كتابتها عام ١٩٤٩م، وهي في الخامسة عشر من عمرها، وتعتبر أول عمل أدبي لها، نشره زوجها محمد يوسف خان عام ١٩٧٩م.

محتوى الكتاب: تتحدث الرواية عن معاناة لاجئ فلسطيني والمأساة المفجعة التي حلت به وبأسرته؛ إذ أخرجوا من ديارهم أيام الحرب الفلسطينية في ١٩٤٨م بعد هدم قريتهم، ثم ذكرت هجرتهم للمدينة المنورة بأسلوب قصصي جميل.

القيمة العلمية للكتاب: تعتبر من الكتب القيمة؛ لأنها تعالج قضية مهمة جداً وهي الدفاع عن القدس وعن الفلسطينيين، وهذه الرواية تؤكد ما عليه المادية الغربية من الأخطار الوحشية متخفية تحت شعار العدالة الديمقراطية، كما تبين انتشار قيم التغريب في العالم الإسلامي وتأثيره فكرياً واجتماعياً على حياة الناس وقيمهم الإسلامية.

٦-الإسلام في مواجهة أهل الكتاب قديماً وحديثاً (أو في الماضي والحاضر).

نشر في عام ١٩٧٨م وهو باللغة الإنجليزية، وليست له ترجمة عربية[2]، طبع عام ٢٠٠٢م، ويتكون من (٤١٢) صفحة، وتمت طباعته في دار تاج للطباعة والنشر بدلهي في الهند، وليس لهذا الكتاب ترجمة نصية كاملة إلى اللغة العربية، وإنما هناك عرض لأهم مواضيعه وتعليق المترجم عليه وعنوان هذه الترجمة المختصرة: رحلتي من الكفر إلى الإيمان قصة الكاتبة الأمريكية المهتدية مريم جميلة،

(١) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٩.

(٢) قام الباحث بدراسة الكتاب وترجم المسائل الهامة المتعلقة بالبحث إلى اللغة العربية.

ترجمة وتعليق: د. محمد يحيى دار المختار الإســـلامي، القاهرة من الحجم الصـــغير، ويقع في (٢٥٤) صفحة.

محتوى الكتاب: يحتوي الكتاب على مقدمة وفصـــلين وخاتمة، فالمقدمة تتكون من جزأين: الأول: ذكرت فيه وجوب اتباع اليهود والنصـارى للإســـلام واسـتدلت على ذلك بآيات وأحاديث، والثاني: تحدثت فيه عن تأثير القرآن الكريم على حياتها، وأما الفصـــل الأول: فتحدثت فيه عن الإســـلام في مواجهة اليهودية والصـــهيونية، والفصـــل الثاني: تحدثت فيه عن الإســـلام في مواجهة المسـيحية وأنشـطة مؤسـسـاتها التبشـيرية في العالم الإسـلامي، ثم ختمت بعنوان: الإسـلام هو الحل الوحيد.

القيمة العلمية للكتاب: قيمة الكتاب تتضـــح من عناوينها المهمة، ويعتبر كتاب مقارنة بين الأديان: الإســـلام واليهودية والنصـرانية، وكذلك أبرزت المؤلفة محاســن الإســلام، وذكرت مســاوئ اليهودية والنصرانية المحرفة، ودافعت عن قضايا المرأة المسلمة.

٩/ مارتن لينجز

أولاً: التعريف به.

اسمه: كان اسمه قبل الإسلام مارتن لينجز وهو الاسم الذي اشتهر به حتى بعد إسلامه، وغير اسمه بعد إسلامه إلى أبي بكر سراج الدين.

مولده ونشأته: "وُلِد مارتن لينجز (المفكر الإنجليزي) في لانكشاير بإنجلترا في يناير عام ١٩٠٩م، وأمضى طفولته الباكرة في أميركا؛ حيث كان يعمل والده، وكان يدين المسيحية شأن أسرته التي لا تعرف عن الدين شيئًا، إلا أنها مسيحيَّة بالوراثة، وهكذا نشأ هو خالي النفس من أيَّة عقيدة يؤمن بها حقَّ الإيمان"(١).

حياته الاجتماعية والعلمية: التحق بكلية كلينتون، وظهرت عليه مواهب قيادية واضحة رفعته إلى موقع رئيس الطلبة، ثم انتقل منها إلى أكسفورد لدراسة اللغة والأدب الإنجليزي، وبدأت سمات نضجه الفكري تتَّضح بعد حصوله على شهادة في الآداب الإنجليزية؛ فقد أخذ يُنَقِّب في كتب التراث عن الديانات المنتشرة في العالم؛ ليقرأ عنها جميعاً، فاستوقفه دين الإسلام كشريعة لها منهاج يَتَّفق مع المنطق والعقل، وآداب تستسيغها النفس والوجدان، وسافر بعد ذلك إلى ليتوانيا(٢) لتدريس الإنجليزية(٣).

وفي عام ١٩٤٠م سافر إلى مصر لزيارة صديق قديم له في جامعة القاهرة (فؤاد الأول آنذاك)، ولدراسة الإسلام واللغة العربية(٤).

أقام لينجز في مصر في الفترة ما بين عام ١٩٣٩م-١٩٥٢م، واشتغل فيها بالتدريس بكلية الآداب جامعة القاهرة، وقد تزوَّج لينجز عام ١٩٤٤م من ليزلي سمولي، التي اتَّفقت مع أفكاره طوال الستين عامًا التي تلت ذلك التاريخ، وكان منزلهما الريفي في قرية صغيرة بجوار الهرم خلال حياته في القاهرة ملاذًا آمنًا لكثير من المصريين والأجانب الذين كانوا يستشعرون ثقل الحياة الحديثة(٥).

---

(١) راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص٢٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٣) جمهورية ليتوانيا هي: دولة من دول أوروبا وعضو في الاتحاد الأوروبي، دولة في أوروبا الشمالية، على الضفة الشرقية لبحر البلطيق، وهي واحدة من دول البلطيق.

(٤) المرجع السابق، ص٢٥٦.

(٥) المرجع السابق، ص٢٥٧.

ثم عاد إلى لندن عام ١٩٥٢م، وهناك استكمل لينجز دراسته للعربية في المدرسة الخاصة بالدراسات الشرقية والإفريقية بلندن، وفي عام ١٩٦٢م حصل على الدكتوراه، وكان موضوعها الشيخ أحمد العلوي، ونشرها في كتاب بعنوان: وليّ صوفي من القرن العشرين، وتمَّ نشرها بعد ذلك في كتب مترجمة إلى الفرنسية والإسبانية وغيرها، ومنذ ذلك الوقت اعتُبِرَ لينجز أحدَ المؤرِّخين الأساسيين للصوفية، وعمل لينجز عام ١٩٥٥م بالمتحف البريطاني، وعُيِّن مسؤولَ خزانةِ المخطوطات الشرقية في المتحف الإنجليزي، وأصبح مسؤولاً أيضًا عن المخطوطات الشريفة للقرآن[(١)].

إسلامه: اعتنق لينجز الإسلام في مصر بعد لقائه بالعديد من الصوفيين التابعين للطريقة الشاذلية في مصر، وقد أسلم وحجّ في عام ١٩٤٨م، وكان سببًا في إسلام الكثيرين من الطلاب الأجانب على يديه فيما بعد، وسرعان ما تجلَّى فيه أثر التديُّن والتصوُّف، وغيَّر اسمه إلى أبي بكر سراج الدين، وصار صديقًا مقرَّبًا للكاتب الفرنسي المسلم الصوفي عبد الواحد يحيى؛ إذ اقتنع تمامًا بصحَّة نقده القاسي للحضارة الغربية.

وقد كان لعبد الوحد يحيى تأثير حاسم على فكر لينجز؛ ويقول عن ذلك: "إن ما أثر عليَّ وجعلني أهتمُّ بالإسلام، هو كُتب مؤلِّف كبير كان مثلي اعتنق الإسلام وأصبح من قمم المتصوفة، إنه الشيخ عبد الواحد يحيى، لقد تأثَّرت بكُتبه التي صنَّفها عن الإسلام، حتى إنني لم أقرأ كتبًا من قبل في مثل عظمة كُتُبِه؛ مما دفعني لأن أسعى لمقابلة مَنْ كان سببًا في إسلامي، فجئت إلى مصر؛ حيث كان يعيش فيها وقتئذٍ"[(٢)].

ويُذْكَر أنه قد أشهر إسلامه على يد شيخ جزائري اسمه الشيخ أحمد العلوي، التقى به في سويسرا التي كان يعمل بها مدرسًا، يقول مارتن لينجز: "شاء الله لي أن أكون مسلمًا، وعندما يشاء الله فلا رَادَّ لقضائه، وهذا هو سبب إسلامي أولاً وقبل كل شيء"[(٣)].

وفاته: رحل المؤرخ الصوفي أبوبكر سراج الدين مارتن لينجز في الثاني عشر من مايو ٢٠٠٥م، عن عمر يناهز السادسة والتسعين[(٤)].

(١) المرجع السابق، ص٢٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥٨.

(٤) المرجع السابق، ص٢٥٩.

ثانياً: أبرز المعالم المنهجية في تأليف مارتن لينجز:

١/ يميل في جميع كتاباته إلى التصوف، وخير مثال كتابه المعنون بـ: ما هو التصوف؟[(١)].

٢/ أبدع في تأليفه عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر أغلب مواقفه، وهو متخصص ونادر في بابه.

ثالثاً: أبرز كتبه ومؤلفاته:

له مؤلفات عديدة من أبرزها:

١/ محمد رسول الله وحياتُه وفقاً للمصادر القديمة[(٢)].

٢/ كتاب المعتقدات البالية والخرافات العصرية.

٣/ كتاب ما معنى التصوف؟

٤/ كتاب الساعة الحادية عشرة.

وهنا نبذة مختصرة عن مؤلفاته ومحتواها وقيمتها العلمية.

١-كتاب المعتقدات البالية والخرافات العصرية

ويحمل عنواناً آخر (معتقدات قديمة وخرافات حديثة)، وصدر هذا الكتاب في عام ١٩٦٥م، وترجمه إلى العربية توفيق محفوظ، ونشر عن طريق دار آفاق للنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠١٩م، ويقع في (١١١) صفحة من الحجم الصغير.

محتوى الكتاب: اشتمل الكتاب على ستة فصول وملحق وحملت العناوين التالية: الماضي في ضوء الحاضر، وإيقاعات الزمن، والحاضر في ضوء الماضي، والحرية والمساواة، والعقل والفكر الاستنباطي، وقد يتلاقى النقيضان.

(١) يقول مارتن لينجز عن مفهوم التصوف: "مفهومي للتصوُّف أنه ليس انعزالاً عن الدنيا، ولكنه أخذٌ بأسباب الحياة في الظاهر، والإعراض عنها بالقلب؛ إن الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم لخَّص معنى التصوُّف كله في حديثه الشريف: ((إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها))، هذا هو مفهوم التصوَّف الذي تعلمته من الشيخ عبد الواحد يحيى"، انظر: راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص٢٥٨، والحديث أخرجه سنن ابن ماجه (١٣٧٦/٢) كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، ح (٤١٠٩) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) تجد تفصيل دراسة هذا الكتاب في الباب الأول، الفصل الرابع، المبحث الأول، المطلب الأول.

القيمة العلمية للكتاب: هذا الكتاب قد لا يشـــكل أهمية كبيرة؛ لكن المؤلف أجاد في نقد النظريات الحديثة لدى الغرب مثل نظرية دارون وغيرها، وعدها من الخرافات العصـرية، وكذلك انتقد الحضارة الغربية بصفة عامة وأنها تقلل من حدة التنبه واليقظة، وتنافر الروح والجسد بخلاف الإسلام، ومال المؤلف في عباراته إلى الأسلوب الفلسفي كثيراً.

١-كتاب (ما معنى الصوفية؟)

للكتاب عنوان آخر وهو (ما هو التصـــوف؟) وقد قام المؤلف بتأليفه عام ١٩٧٣م بلندن، وترجمه إلى العربية توفيق محفوظ وأشـرف شـنودة، ونشـره آفاق للنشـر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠١٥م، ويقع في (١١٩) صفحة من الحجم العادي.

محتوى الكتاب: اشتمل الكتاب على تسعة فصول وحملت العناوين التالية: أصالة التصوف، وعالمية الإسلام، والكتاب، والرسول، والقلب، والمذهب، والطريقة، وخصوصية التصوف، والتصوف على مر القرون.

القيمة العلمية للكتاب: أهمية هذا الكتاب تكمن في تعريفه للتصـــوف وما مفهومه كما هو واضـح من عنوان الكتاب، فالمؤلف أجاد في مواقف كثيرة؛ ولكنه زل في مواضـع أخرى، وواضـح في كتاباته مغالاته في الجانب الصـوفي؛ لأنه كان يتبع المدرسـة الشـاذلية الصـوفية، ولم يخلُ الكتاب من بعض الفلسـفات العميقة التي لا فائدة منها، ووقع في بعض الأخطاء كالاستدلال ببعض الأحاديث الضعيفة، وتفسيره لبعض الآيات فيه نوع من الغرابة والفلسفة، وسيأتي بيانها في مواضعها.

٢-كتاب (الساعة الحادية عشرة)

صدر في عام ١٩٨٧م، وترجمه إلى العربية توفيق محفوظ وأشرف شنودة، ونُشر من آفاق للنشر والتوزيع بالقاهرة في عام ٢٠١١م، ويقع في (١١٨) صفحة من الحجم العادي.

محتوى الكتاب: اشتمل الكتاب على ستة فصول وملحقين، وحملت العناوين التالية: علامات العصر، والكرم والسوق، ومن ليس له شيء، والحد السياسي، وروح العصر، والمسترد.

القيمة العلمية للكتاب: يتبين أهمية هذا الكتاب من خلال محاوره، وركز المؤلف على اليوم الآخر وأهمية الإيمان به، وهو لا شـــك موضـــوع مهم للغاية وخاصـــة لبني جلدته في الغرب؛ حيث ينكرون البعث والنشـــور، فأجاد المؤلف في طرحه وأثبت وجود الله بالدليل العقلي، وكذلك ذكر عن

أركان الإســلام الخمس، وذكر مســاوئ الغرب وحضــارته والنتائج الســلبية للثورة الفرنســية، ونقد العلمانية واللاأدرية[1].

(١) اللاأدرية: ينكرون العلم بثبوت شيء وعدم ثبوته ويزعم أنه شاك وشاك في أنه شاك وهلم جرا، انظر: يحيى بن أبي بكر العامري الحرضي، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، دار صادر بيروت، ج٢، ص ٣١١.

١٠/ مراد هوفمان.

أولاً: التعريف به.

اسمه: "ويلفريد هوفمان ألماني المولد والنشأة والجنسية، غير اسمه بعد إسلامه إلى (مراد)، فصار اسمه الكامل مراد ويلفريد هوفمان، وله لقاءاً تلفزيونياً على قناة هدى باللغة الإنجليزية ومقاطع أخرى في اليوتيوب"[١].

مولده ونشـــأته: "ولد في مدينة بافاريا بألمانيا عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، في أســـرة ألمانية كاثوليكية، عايش أحداث الحرب العالمية الثانية، وقد اضـطر إلى الانضـمام إلى حركة شـباب هتلر، وكان منضـــماً إلى منظمة كاثوليكية كذلك، وبعد تخرجه من الثانوية حصـــل على منحة دراســـية في أمريكا؛ لكن حصـــل له حادث مروري هناك، وكســـر فكه وفقد (١٩) من أســـنانه، ولقد درس البكالوريوس في القانون في بلده في جامعة ميونخ للحقوق، وبعد ذلك حصـــل على منحة بحثية في كلية الحقوق بجامعة هارفرد، وحصـل على ماجسـتير في القانون هناك، وحصـل بعده على شـهادة الدكتوراه في القانون"[٢].

حياته الاجتماعية والعلمية:

"شـغل منصـب مدير عام شـؤون حلف شمال الأطلسـي والدفاع بوزارة الخارجية الألمانية عام ١٩٧٩م- ١٩٨٧م، وقضـى (٣٣) عاماً من حياته في السـلك الدبلوماسـي، منها سـفيراً لبلاده في الجزائر عام ١٩٨٧م-١٩٩٠م وفي المغرب عام ١٩٩٠م-١٩٩٤م"[٣].

عمل لصالح المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا، وكان ناقداً ومتخصصاً في رقص الباليه، وكان يتعاطى الخمور؛ لكن بعد الإسـلام وجد الراحة الشـاملة، تزوج امرأة أمريكية (إليزابيت إن جريفيث) في عام ١٩٩٠م، وله ابن غير مسـلم (الكسـندر)[٤]، وفي مقتبل عمره تعرض لحادث مروري مروع في أمريكا الذي غير حياته، وذلك حينما قال له الطبيب بعد إســـعافه: "إن مثل هذا الحادث لا ينجو منه في الواقع أحد، وإن الله يدخر لك يا عزيزي شـــيئاً خاصـــاً جدا"[٥]، ولم يعرف ذلك إلا بعد

(١) توجد هذه المقاطع على اليوتيوب ويمكن مشاهدتها عند كتابة: مراد هوفمان في خانة البحث في اليوتيوب.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ ص٢٥-٢٧

(٣) المرجع السابق، ص: ٤٦، وكذلك مراد هوفمان، الإسلام كمايراه ألماني مسلم، مكتبة العبيكان ط، ١، ١٤٢٨هـ، ص١٥

(٤) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص: ١٠٨، ١٩٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٧.

إســلامه، وبدأ يكتب عن الإســلام والمســلمين، يقول هوفمان عن علاقته بالقرآن: "أول مرة قرأت ترجمة القرآن بالفرنسية ولم أتوقف إلى الآن"(١)، حاز على جائزة الشخصية الإسلامية لعام ٢٠٠٩م بدبي، وفي عام ٢٠٠٨م تم اختياره من قبل قراء الصحيفة الإسلامية في برلين (أهم مسلم في ألمانيا).

إسلامه: "اعتنق الإسلام يوم ٥ سبتمبر ١٩٨٠م"(٢)، وإن أول معرفته بالإسلام كان في الجزائر عام ١٩٩٢م عندما رأى صـمود المجاهدين الجزائريين وصـلابتهم، ولم يفهم من أين يأتيهم هذا الدعم الخفي، حتى قرأ القرآن، والشـيء الذي جلبه إلى الإسـلام كما يقول: هي طبيعة الإسـلام الإنسـانية والجمالية الفنية والفلسفية، ولما أشهر إسلامه حاربته الصحافة الألمانية محاربة ضارية(٣).

وفاته: توفي رحمه الله في ١٨ جماد الأول ١٤٤١هـــ الموافق ١٢ يناير ٢٠٢٠م عن عمر يناهز ٨٩ عاماً في ألمانيا.

ثانياً: أبرز المعالم المنهجية في تأليف مراد هوفمان:

١/ أغلب كتبه عبارة عن مقالات متنوعة في الدفاع عن الإسلام تتسم بالوضوح والاختصار، ولا يتعدى الموضوع الواحد عدة صفحات.

٢/ يستخدم ألفاظ وكلمات مجردة من التعظيم مثل (الله) فقط بدون إضافة عزوجل، (القرآن) بدون إضافة الكريم، (محمد) بدون الصلاة عليه.

٣/ يأتي على شواهد من القرآن الكريم ويكتفي بمجرد ذكر اسم السورة ورقم الآية بدون ذكر النص في بعض كتبه.

٤/تظهر في كتاباته الحماسة في الدفاع عن الإسلام ونقد النصرانية والمجتمع الغربي المادي.

٥/ لاحظت من خلال القراءة لمؤلفاته أنه لا يتحدث عن الإسلام بصيغة المتكلم؛ بل يتحدث بصيغة الغائب مثل أن يقول: يرى الإسلام، يعتبر الإسلام، يعتقد المسلمون، ومن المقرر في الإسلام، ربما يتعمد ذلك لرغبته في الحديث عن الإسلام بموضوعية دون إبداء رأيه الشخصي من باب الإقناع للقارئ وخاصة مجتمعه الغربي.

---

(١) انظر المرجع السابق، ص ٤٥.

(٢) انظر المرجع السابق ص: ٣٩.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ، ط٢، ص٢٥١.

٦/ التكرار في كثير من المسائل مثل الصلاة والحج والحجاب والوهابية وغيرها.

ثالثاً: أبرز كتبه ومؤلفاته:

له مؤلفات عديدة عن الإسلام من أبرزها:

١/ الإسلام كبديل.

٢/ الإسلام كما يراه ألماني مسلم.

٣/ رحلة إلى مكة.

٤/ خواء الذات والأدمغة المستعمرة.

٥/ نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث.

٦/ الإسلام عام ٢٠٠٠.

٧/ الرحلة إلى الإسلام أو (يوميات دبلوماسي ألماني).

٨/ الإسلام في الألفية الثالثة.

وفيما يلي بيان بالتفصيل لهذه المؤلفات:

١- كتاب الإسلام كبديل.

هذا الكتاب من أشهر كتبه، ولاقى صدى كبيراً وانتشاراً واسعاً في العالم الإسلامي، طبعته مكتبة العبيكان الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ، من الحجم المتوسط ويقع في (٢٥١) صفحة.

محتوى الكتاب: اشتمل الكتاب على عشرين فصلاً وهي كما يلي: الإسلام والغرب، والدين الكامل، والمسيحية من وجهة نظر إسلامية، والإيمان والعمل، والتصوف، والجبرية، والأصولية، والسماحة أم العنف، ملكية وراثية أم جمهورية والدولة في الإسلام، والمعاملات الاقتصادية الإسلامية، والإسلام والبيئة، والتصوير والفن في الإسلام، وعلم الفقه في الإسلام، وحقوق الإنسان في الإسلام، والمرأة في المجتمع، والشرق من وراء حجاب، والقانون الجزائي، والحرب المقدسة، والقانون الدولي[1].

(١) مراد هوفمان الإسلام كبديل، ص٥.

القيمة العلمية للكتاب: هذا الكتاب القيم (الإســـلام كبديل) الذي هز ألمانيا، وكان له تأثير قوي في ألمانيا خاصـة وفي أوروبا والعالم الإسـلامي عامة، ودحض بعض الأفكار والشـبهات السـائدة في الغرب عن الإسـلام، وذكر مقارنات جميلة وفروقات رئيسـية تفصـل بين الإسـلام والمسـيحية[١]، وينتقد الطريقة الصوفية وهي الطريقة الباطنية الموصلة إلى المعرفة والكشف، فتزول الحجب عن الحقائق والأسرار[٢]، وقام بتشخيص واقع تدهور العالم الإسلامي وأرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب[٣]، والتأكيد على مبدأ المسـاواة وتطبيق الإسـلام تطبيقاً واعياً متفهماً[٤]، والتأكيد على أن الإسـلام إبان الصـراع بين العالم الغربي والشـيوعية كان الخيار الثالث؛ أما اليوم فإن الإســـلام لا يطرح نفســـه خياراً بديلاً للمجتمعات الغربية بعد الصناعية، إنه بالفعل هو البديل الوحيد[٥].

٢-كتاب (الإسلام كما يراه ألماني مسلم).

الـذي قـام بترجمـة هـذا الكتـاب إلى اللغـة العربيـة هو مســـلم كـامـل إسمـاعيـل في عـام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ويقع في (١٦٠) صـفحة من الحجم المتوسـط، طبعته مكتبة العبيكان بالمملكة العربية السعودية.

محتوى الكتاب: يحتوي الكتاب على عشــرة فصــول وهي: ظهور الإســلام، وأركان الإيمان، والعبادات في الإســـلام، والأخلاق والشـــريعة، والعائلة في الإســـلام، والدولة الإســـلامية، وتيارات إسلامية، والتاريخ الإسلامي، وحاضر الإسلام، والمؤسسات والرموز الإسلامية.

القيمـة العلميـة للكتـاب: هـذا الكتـاب قيم جـداً لأنـه موجـه للغرب وليس إلى العرب أو المســلمين، بالإضــافة إلى أنه يتركز الحديث فيه عن الإســلام ومســتقبله؛ حيث قام المؤلف بتعريف الإســلام وظهوره وتاريخه، وأركان الإيمان بالله، وأركان الإســلام، وبيان نسـبة المسـلمين في العالم وفي الغرب، وسـبب انتشـار الإسـلام، والتأكيد على عالمية الإسـلام، وبيان سماحة الإسـلام تجاه الأنبياء خلافاً لليهود، والتفاؤل بمستقبل الإسلام.

---

(١) المرجع السابق، ص: ٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص٨٤.

(٣) المرجع السابق، ص: ٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٢٨.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص: ١٩-٢٠.

٣-كتاب (رحلة إلى مكة)

كان تأليف هذا الكتاب في عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ويقع في (٢٢٩) صفحة من الحجم الكبير، وتمت ترجمته إلى العربية في عام ٢٠٠٠م /١٤٢١هـ، طبعته مكتبة العبيكان بالمملكة العربية السعودية الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ[١].

محتوى الكتاب: من خلال عنوان الكتاب قد يتبادر إلى الذهن أن المؤلف يتحدث عن رحلة المؤلف إلى الحج فقط؛ لكن الكتاب شمل على اثني عشر فصلاً وهي: الرحلة إلى مكة، دروب فلسفية إلى الإسلام، وخمس مرات يومياً كما هو مفروض، والإفاقة من السكر، واختبار الجلد، ومع المسلمين حول مائدة الطعام، وقدريون طموحون، وعن حب المال، وفتش عن المسلمة، وإنسانية باردة كالجليد، والإسلام في ألمانيا، والعدو: الإسلام ثم الخاتمة.

القيمة العلمية للكتاب: بعد تأليف كتابه الأول (الإسلام كبديل) جاء هذا الكتاب، ويتبين أهميته من خلال ما ذكره المؤلف بقوله: "عندما نشرت دار ديترش الألمانية في عام ١٩٢٢م كتابي (الإسلام كبديل) ثارت زوبعة هائلة في وسائل الإعلام وفي دوائر الأحزاب والبرلمان، وقد تناول الإسلام من خلال رؤيته هو لذاته وللصورة التي يريد أن يكون عليها، فإن الكتاب الحالي يعنى بشيء آخر هو حقيقة الإيمان كما أعيشها أنا وأعايشها"[٢]، وهذا الكتاب مهم جداً لأنه خلاصة تجربة فكرية عميقة عاشها المؤلف المفكر السياسي الغربي المسلم، واستطاع المؤلف بحكم خبرته وسعة اطلاعه أن يمزج بين المادة والروح في سرد قصته إلى الحج، ويستشهد بمواقف من السيرة النبوية أثناء أدائه لفريضة الحج، وتظهر قدرته على إرسال رسائل خفية جميلة عن الإسلام والمسلمين في جمل كثيرة عبر ثنايا الكتاب، كالحجاج الذين يرتدون ملابس الإحرام، يستوي في ذلك أغنياؤهم وفقراؤهم، أقوياؤهم وضعفاؤهم، أذكياؤهم وبسطاؤهم[٣]، وضرب أروع الأمثلة في التآخي بين المسلمين وأنها تفوق أي مجتمع في العالم في المؤاخاة، واستشهد لذلك بمواقف حية مر بها المؤلف أثناء تواجده بإسطنبول[٤].

(١) انظر مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٥.

(٢) المرجع السابق، ص٥.

(٣) انظر المرجع السابق ص١٧.

(٤) انظر المرجع السابق ص١٥٦.

٤-كتاب خواء الذات والأدمغة المستعمرة.

ترجم هذا الكتاب عادل المعلم ونشأت جعفر إلى اللغة العربية في عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ويقع في (١١٦) صفحة من الحجم الكبير، طبعته مكتبة الشروق الدولية القاهرة.

محتوى الكتاب: يتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء وتحت كل جزء عدة مواضيع، فالجزء الأول تحدث عن زيف الشيوعية، والجزء الثاني تحدث عن زيف الحداثة، أما الجزء الثالث فخصص الكلام فيه عن الإسلام (الإجابة والحل).

القيمة العلمية للكتاب: هذا الكتاب قيم جداً؛ لأن القوى المستعمرة عملت على تحديث التعليم بمسارات غربية في مستعمراتهم؛ لتربي قادة محليين يرعون مصالحهم، وليس من الصعب رؤية حدوث ذلك، ولكن الأصعب رؤية استعمار الأدمغة يستمر لمدة خمسين عاماً بعد إنهاء الاستعمار العسكري، والتأكيد على زيف الشيوعية؛ لكن الغرابة في أولئك الذين لا يزالون متعاطفين مع الاشتراكية بعد كل الفظائع التي ارتكبتها النظم التي حاولت تحقيق تلك الاشتراكية، فالشيوعية سقطت ليس بسبب خطأ في التطبيق، ولكن لأنها قامت أساساً على مقدمات خاطئة[١]، وأوضح المؤلف زيف مشروع الحداثة، وافتتان كثير من المستعمَرين سابقاً بالثقافة الغربية، وتكنولوجيتها وسر الصنعة لديها، أوليس يبدو أن التقدم العلمي والتكنولوجيا حكراً على الغرب؟[٢]، ورد المؤلف بعقلانية على الداروينية والفرويدية[٣] واللاأدرية[٤] وأظهر فشل هذه المذاهب تطبيقياً وعملياً، وأكد على ميزة نظرة المسلمين إلى العالم بخلاف الماركسيين والليبراليين، وهي تأسيسها على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والتي تجعل من الإسلام بديلاً لكل النظريات في العالم.

٥-نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث.

هذا الكتاب عبارة عن ملخصات لسلسلة محاضرات د. مراد هوفمان التي ألقيت في لاهور ٢٥ فبراير ٢٠٠٠م، وقد وضع معهد الدراسات السياسية هذا البرنامج إحياء لجهود كرم مراد المتوفى عام ١٩٩٦م الهادفة إلى إحياء فكر وحضارة الإسلام، وقد ألقى الدكتور ثلاث محاضرات الأولى في إسلام أباد، والثانية في لاهور، والثالثة في كراتشي، واختتم الكتاب بإجابة المؤلف على بعض الأسئلة

---

(١) انظر مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ص٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٨.

(٣) تقدم بيانه آنفاً.

(٤) سيأتي مزيد تفصيل عن الداروينية والفرويدية في الباب الثالث.

التي وجهت له أثناء المحاضرة، طبعته مكتبة العبيكان بالسعودية الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م[١].

محتوى الكتاب: يتألف الكتاب من أربعة فصول وهي: صراع الحضارات نقد تحليلي، إجابة على سوء فهم الغرب للإسلام، الإسلام عقيدة المستقبل، التحدي الفكري للحضارة الإسلامية، أسئلة وأجوبة.

القيمة العلمية للكتاب: هذا الكتاب مهم جداً؛ لأن المؤلف تطرق فيه لموضوع كانت في غاية الأهمية؛ ألا وهو نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، وأكد على أن الريادة الفكرية كانت للإسلام، وذكر محاسن الإسلام مقارنة بالمسيحية، وأن عصر العقلانية تسبب في حروب عالمية وقتل وتشريد وفوضى، ونقد الديانة النصرانية، وأنها محرفة وخليط من أفكار يهودية ومسيحية، فالغرب لم يعد مسيحياً في جوهره؛ وإنما أصبح في علنه وفعله مملكة حياة دنيا ملحدة لا أدرية[٢]، وما أفرزته حضارة الغرب وعصر العقل من نشوب حروب لا تعد ولا تحصى بما في ذلك أكبر حربين عرفهما العالم، استخدمت خلالهما أسلحة كيماوية وقنابل ذرية وعنقودية فتاكة دون تمييز، كما شهد العالم تجارة الرقيق، ومعسكرات التعذيب، والإبادة الجماعية لليهود، وسياسة التمييز العنصري، وغيرها[٣].

٦- الإسلام عام ٢٠٠٠

يحتوي هذا الكتيب على (١١٩) صفحة من الحجم الصغير، قام بتأليفه عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، طبعته مكتبة العبيكان بالسعودية الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، وقام بتعريبه عادل المعلم[٤].

محتوى الكتاب: يحتوي الكتاب على سبعة مواضيع وهي: قليل من مستقبليات الإسلام، وقليل من التفاؤل، مراجعة المسيحية، ما الذي قام الإسلام ضده، الإسلام والغرب مواجهة أخرى، كيف يمكن خدمة الإسلام وتجنب الكارثة في الوقت نفسه، المهمة التي أمامنا ويالها من مهمة.

(١) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، مكتبة العبيكان، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ ص٨.

(٢) انظر المرجع السابق ص٤٩-٥١.

(٣) انظر المرجع السابق ص٥٩.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، مكتبة العبيكان، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ ص٧.

القيمة العلمية للكتاب: تتضـح قيمة الكتب من خلال كلام المؤلف حينما قال في مقدمته: "اضطررت لأن أكون ناقداً شديداً لكل من الغرب والعالم الإسلامي، لتقييم العالم الإسلامي على مشارف القرن الواحد والعشرين"، فالكتاب يحوي موضوعات نفيسة في غاية النفاسة فيما يتعلق بمهمة المسلمين اليوم لكي يسودوا العالم ولكي تكون كلمة الله هي العليا، واستطاع تشخيص عداوة المسحيين للإسلام تاريخياً واعتقادهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان دجالاً –حاشاه ذلك بأبي هو وأمي– وأن الإسلام دين قتال وعدوان ويبررون انتشاره بالعمليات العسكرية[(١)]، وأكد على أهمية القرآن الكريم في حياة المسلمين، وليكن شعارنا القرآن القرآن، فحفظ القرآن من الأعمال الرائعة التي تمارس بكل حيوية وبازدياد بين مختلف الأعمار، وبفضل هذه السنة صمد الإسلام سليماً معافى بعد قرون من القمع الوحشي كما في ألبانيا والصين والاتحاد السوفيتي وإسبانيا الكاثوليكية[(٢)].

٧-الرحلة إلى الإسلام أو (يوميات دبلوماسي ألماني).

هذا الكتاب يقع في (٣٠٥) صفحات من الحجم الكبير، وقام بتأليفه عام ١٩٨٦م، وطبعته مكتبة العبيكان بالسعودية الطبعة الثانية عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ونقله إلى العربية د. محمد سعيد دباس[(٣)].

محتوى الكتاب: الكتاب عبارة عن مذكرات للمؤلف على هيئة مقالات لا يتعدى الموضـوع الواحد صفحتين، ويحتوي الكتاب على مواضيع كثيرة ومتنوعة، وبلغ (١١٧) موضوعاً، وأبرز ما جاء فيها موضوعات متعلقة بالدعوة إلى الله، وأمله الواسع في أن يحيي الله موات أبناء أوروبا ويهديهم إلى هذا الدين العظيم؛ حيث وصف المؤلف أن هذا الحوار بأنه حوار مع ذاته، وتطرق بالتفصيل لرحلته إلى الحج وزيارته للمشاعر المقدسة ومكة المكرمة والمدينة النبوية.

القيمة العلمية للكتاب: ليس هذ الكتاب مذكرات لشـخص واحد فقط؛ بل هو سـجل تاريخي لعصرنا؛ حيث كشف كثيراً من المعالم في الرحلة إلى الإسلام، وقام بالإشادة بالمعالم الحضارية المعاصرة لدى المسلمين من تشييد المساجد وفق طراز جميل وشكل بديع[(٤)]، وأجرى مقارنة جميلة بين

(١) المرجع السابق ص٤٧.

(٢) المرجع السابق ص٦٩.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٧.

(٤) المرجع السابق ص٢٨.

حال الكافر وحال المسلم في جانب النظافة، فالمسلم نظيف بخلاف الكافر[١]، وبين شهادة علماء الغرب بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم قائد استراتيجي محنك فذ استطاع أن يقود أمته بكل اقتدار[٢].

٨-الإسلام في الألفية الثالثة.

يقع هذا الكتاب في (٣٠٥) صفحات من الحجم الكبير، وقام بتأليفه عام ١٩٨٦م، طبعته مكتبة العبيكان بالسعودية الطبعة الثانية عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ونقله إلى العربية د. محمد سعيد[٣].

محتوى الكتاب: الكتاب يحتوي على خمسة عشر موضوعاً متنوعة ومن أهمها: مفتون الغرب المحير، الشرق المثير للتساؤل، الديمقراطية، لماذا محمد، إسلام صنع أمريكا.

القيمة العلمية للكتاب: هذا الكتاب غني جداً بالمعلومات والوثائق عن الإسلام ومحاسنه ومستقبله، وعن المسلمين وحقوقهم في الغرب وأمريكا، وتتضح أهميته من خلال إجابة المؤلف على عدة أسئلة: هل سيقوم العالم الإسلامي بتحديث نفسه؟ وهل يستمر انتشار الإسلام في الغرب؟ وما النتائج المرتقبة في حال نجاح العالم الإسلامي؟ وشبَّه مسيحية أوروبا كبيت من ورق لا بد أن يهوي[٤]، وتطرق بشكل جميل إلى حقوق المرأة في الإسلام وكذلك حقوق المرأة في الغرب[٥]، وتحدث عن علماء السنة بأنهم حفظوا السنة ووضعوا قواعد بما يعرف الجرح والتعديل[٦].

(١) المرجع السابق ص١١٢.

(٢) المرجع السابق ص١٢٨.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، مكتبة العبيكان، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ ص٦.

(٤) المرجع السابق ص٣١.

(٥) المرجع السابق ص١٣١.

(٦) المرجع السابق ص٢٧٤.

١١/ جاري مللر

أولاً: التعريف به[١].

اسمه: جاري ميلر أو غاري ميلر كان مبشراً ومنصّراً وواعظاً في الكنيسة الكندية وبعدها تحول إلى الإسلام، وأصبح اسمه عبد الأحد، وهو أحد أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في قسم الرياضيات، وهو كندي الجنسية[٢].

مولده ونشأته: أستاذ الرياضيات والمنطق في جامعة تورنتو واشتهر بحبه لعلم الرياضيات، وكان مهتم بعلم المنطق والمسائل المنطقية.

حياته الاجتماعية والعلمية: حصل على الدكتوراة في الرياضيات، وكان من المبشرين النشطين جداً في الدعوة إلى النصرانية، وأيضاً هو من الذين لديهم علم غزير بالكتاب المقدس، هذا الرجل يحب الرياضيات بشكل كبير؛ لذلك يحب المنطق أو التسلسل المنطقي للأمور، ويمتلك جاري مللر الكثير من الخبرات في أسلوب الدعوة، وقد استفاد الكثير من الدعاة من خبراته مثل الشيخ أحمد ديدات الذي دعاه إلى جنوب أفريقيا في الماضي لإلقاء بعض المحاضرات وإقامة بعض المناظرات[٣].

قال في إحدى محاضراته وكان يوجه كلامه لجمع من المسلمين: "يا أيها المسلمون: لو أدركتم فضل ما عندكم إلى ما عند غيركم لسجدتم لله شكراً أن أنبتكم من أصلاب مسلمة ورباكم في محاضن مسلمة ومنَّ عليكم بهذا الدين، لو نظرتم إلى مدلول الألوهية، الرسالة، النبوة، البعث، الحساب، الجنة، النار، عندكم وعند غيركم لسجدتم لله شكراً أن جعلكم مسلمين؛ لأن هذه المفاهيم عند أصحاب الديانات الأخرى مفاهيم لا يرتضيها العقل السوي ولا الفطرة السليمة ولا المنطق السليم"[٤].

---

(١) توجد مقاطع على اليوتيوب ويمكن مشاهدتها عندكتابة جاري ملير في خانة البحث في اليوتيوب ومن أشهرها مناظرة بعنوان الإسلام والمسيحية مع العالم المشهور أحمد ديدات وهي مترجمة كتابيا باللغة العربية.

(٢) راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص ٢٠٥، ومحمد عبد الحليم عبد الفتاح: إظهار الحق (قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم) ص١٤.

(٣) راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص ٢٠٥، ومحمد عبد الحليم عبد الفتاح: إظهار الحق (قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم) ص١٥، وهذه المناظرة موجودة ومترجمة على صفحة اليوتيوب وقد شاهد الباحث كاملة.

(٤) راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص ٢٠٥، ومحمد عبد الحليم عبد الفتاح: إظهار الحق (قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم) ص١٤.

إسلامه:

قصة إسلامه عجيبة، ففي أحد الأيام أراد أن يقرأ القرآن بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التي تعزز موقفه عند دعوته المسلمين إلى الدين النصراني، كان يتوقع أن يجد القرآن كتاباً قديماً مكتوباً منذ (١٤) قرناً يتكلم عن الصحراء وما إلى ذلك؛ لكنه ذهل مما وجده فيه؛ بل اكتشف أن هذا الكتاب يحوي أشياء لا توجد في أي كتاب آخر في هذا العالم، كان يتوقع أن يجد بعض الأحداث العصيبة التي مرت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم مثل وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها أو وفاة بناته وأولاده؛ لكنه لم يجد شيئا من ذلك؛ بل الذي جعله في حيرة من أمره انه وجد أن هناك سورة كاملة في القرآن تسمى سورة مريم، وفيها تشريف لمريم عليها السلام لا يوجد مثيل له في كتب النصارى ولا في أناجيلهم! ولم يجد سورة باسم عائشة أو فاطمة رضي الله عنهما، وكذلك وجد أن عيسى عليه السلام ذكر بالاسم (٢٥) مرة في القرآن في حين أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يذكر إلا خمس مرات فقط فزادت حيرة الرجل، أخذ يقرأ القرآن بتمعن أكثر لعله يجد مأخذاً عليه؛ ولكنه صعق بآية عظيمة وعجيبة؛ ألا وهي الآية رقم (٨٢) في سورة النساء: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء: ٨٢]. فيقول جاري مللر عن هذه الآية: "من المبادئ العلمية المعروفة في الوقت الحاضر، هو مبدأ إيجاد الأخطاء أو تقصي الأخطاء في النظريات إلى أن تثبت صحتها، والعجيب أن القرآن الكريم يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه ولن يجدوا"، ويقول أيضاً عن هذه الآية: "لا يوجد مؤلف في العالم يمتلك الجرأة ويؤلف كتاباً ثم يقول: هذا الكتاب خال من الأخطاء؛ ولكن القرآن على العكس تماماً يقول لك: لا توجد أخطاء؛ بل يعرض عليك أن تجد فيه أخطاء ولن تجد"[(١)]، واشترك الدكتور جاري مللر في مناظرة مشهورة عن الإسلام والمسيحية مع الداعية الإسلامي أحمد ديدات، وكان وقتها مع الجانب المسيحي، وكان منطقه قوياً وحجته حاضرة، وغلب بحثه عن الحقيقة وكان متعصباً لدينه، فتمنى بعض العلماء المسلمين الذين حضروا اللقاء أنه يسلم، وبعد سنة من المناظرة وتحديداً سنة ١٩٧٧م، أشهر الدكتور جاري ميلر إسلامه وغير اسمه إلى عبد الأحد عمر، ومن بعدها بدأ يلقي المحاضرات في أنحاء العالم، وأسلم على يديه الكثير من الناس من جميع أنحاء العالم[(٢)].

---

(١) راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص ٢٠٥، وكذلك محمد عبد الحليم عبد الفتاح: إظهار الحق (قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم) ص ١٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٥.

ثانياً: أبرز المعالم المنهجية في تأليف جاري مللر.

١/ ركز على توافق العلم الحديث مع آيات القرآن الكريم.

٢/ يكثر من الاستدلال العقلي والمنطقي فهو متميز فيه.

٣/ يتميز بروح المناظرة حتى طغى على كتاباته طرح الأسئلة ثم الإجابة عليها بشكل إبداعي.

ثالثاً: أبرز كتبه ومؤلفاته.

من أبرز كتبه: (القرآن المذهل)

لهذا الكتاب اسم آخر (القرآن المدهش) من إصدارات موقع نصرة الإسلام، ويقع في (٤٣) صفحة من الحجم المتوسط.

محتوى الكتاب: يحتوي الكتاب على العناوين الآتية: المقدمة، عن البحر، أدق الأشياء العسل، محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، والإشارات العلمية في القرآن، واختبار عدم الزيف، واسألوا أهل الذكر، وعلم الأجنة، والشكوك التي أثيرت، وعلم طبقات الأرض، وما كنت تعلمها أنت ولا قومك، والدليل على الأصالة، واستنزاف البدائل، والرد على الفريتين، والوحي وأبو لهب والهجرة، ومفارقة مع قس، ومصدر القرآن، والهوس، والموسوعة الكاثوليكية، وشهادة مفكر، وشهادة عقلانية، وعبء البرهان على الناقد، ومنشأ العلم على الحياة، والمزيد من الاختبارات لصحة القرآن، والقرآن، وأهل الكتاب، ومفهوم الحساب، وأنثى النحل والشمس، والمناطق الزمنية، وخاتمة.

القيمة العلمية للكتاب: يتضح أهمية الكتاب من عنوانه، فقد استطاع المؤلف أن يبرهن بالأدلة العقلية والحجج المنطقية على معجزة القرآن وتوافق العلم الحديث مع الآيات القرآنية، وذكر أكثر من (٣٠) موقفاً وبرهاناً، فالكتاب مع صغر حجمه وقلة عدد صفحاته إلا أنه يعد من الكتب النفيسة جداً في باب إعجاز القرآن الكريم.

الباب الأول

جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام

وتحته أربعة فصول:

- الفصل الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن القرآن الكريم
- الفصل الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن السنة النبوية
- الفصل الثالث: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن العقيدة
- الفصل الرابع: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن السيرة النبوية

الفصل الأول

جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن القرآن الكريم

وتحته ثلاثة مباحث.

- المبحث الأول:

جهود من أسلم من المستشرقين في إثبات مصدرية القرآن الكريم وبيان تأثيره ومعجزاته

- المبحث الثاني:

جهود من أسلم من المستشرقين في رد الشبهات المثارة حول القرآن الكريم

- المبحث الثالث:

جهود من أسلم من المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم

الباب الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام.

الفصل الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن القرآن الكريم.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في إثبات مصدرية القرآن الكريم وبيان تأثيره ومعجزاته.

المطلب الأول: جهودهم في إثبات أن القرآن الكريم وحي من عند الله جل وعلا.

القرآن الكريم كلام الله المنزل على قلب رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث بدأ نزوله من عند الله سبحانه وتعالى حين نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مرة في غار حراء، وهو معجزته الخالدة التي عجز الجن والإنس جميعاً عن أن يأتوا بمثله بعد أن تحداهم الله بذلك، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الإسراء: ٨٨].

"والقرآن العظيم: هو كتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وهو آخر كتب الله نزولا وأشرفها وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب، وقد كانت دعوته لعامة الثقلين من الإنس والجن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المائدة: ٤٨] وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [سورة الفرقان: ١]، وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، والفرقان، والكتاب، والتنزيل، والذكر"[١].

وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بأن القرآن كلام الله تعالى حروفه ومعانيه، منه بدأ وإليه يعود، منزل غير مخلوق، تكلم الله به حقاً، وأوحاه إلى جبريل؛ فنزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزله الحكيم الخبير بلسان عربي مبين، ونقل إلينا بالتواتر الذي لا يرقى إليه شك، ولا

---

(١) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ، ص١٣٦.

ريب، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٥][(١)].

ومن خلال كتابات المستشرقين الذين أسلموا نجد أن لهم إسهامات في تأكيد أن القرآن الكريم وحي من عند الله تعالى؛ ولذا فإن من الأهمية بمكان أن نذكرها على النحو التالي:

أولاً: اتيين دينيه

١/ ابتدأ المؤلف اتيين دينيه كتابه (أشعة خاصة بنور الإسلام) بآيات من القرآن الكريم، وهذه دلالة واضحة على اعتقاده بمصدرية القرآن وتوجيه رسالة لبني قومه، فذكر هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠﴾ [سورة البقرة: ١٩٠][(٢)].

٢/ الاستدلال على نزول القرآن الكريم من السماء في ليلة القدر؛ حيث يقول: "في تلك الليلة الخالدة، ليلة القدر، نزل القرآن كله من السماء العليا -حيث كان محفوظًا بها- إلى السماء الدنيا التي تنتشر مباشرة فوق كرتنا الأرضية، وفي هذه السماء الدنيا وضع القرآن في بيت العزة[(٣)]، "﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [سورة القدر: ١]، من هذه السماء الدنيا نزلت أولى الآيات الكريمة على محمد، كما نزلت التعاليم العامة للدين الإسلامي وتوالي الوحي طيلة ثلاث وعشرين سنة، مرشدًا وهاديًا، وموجهًا للرسول في كل أعماله"[(٤)].

٣/ ذكر بعض الأدلة العقلية على مصداقية نزول الوحي على نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول: "لقد كان يؤمن كل الإيمان بمصدره الإلهي، فالنوبات الهائلة التي كانت تنتابه عند مجيء الوحي حاملاً إليه ما لم يكن يعلمه، في لغة جديدة كل الجدة بالنسبة له تختلف كثيرًا عن لغته المألوفة، هذا الوحي الذي يعاتبه إن أخطأ، ويلزمه بحفظ تلك الآيات دون أن يقدر على المقاومة، هذا الوحي خلال تلك النوبات؛ لم يكن ليترك لديه أدنى شك في المصدر الإلهي في القرآن، لهذا كله كان إعجاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالقرآن، أي بكلام الله، لا حد له، وقد أوحى الله إليه: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٣﴾ [سورة هود: ١٣]، ولا عجب في

(١) عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ، ص١٣٨.

(٢) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص١٠.

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١١١.

(٤) المرجع السابق، ص١١٢.

أن نرى النبي الأمي يتحدى الشعراء، ويعترف لهم بحق نعتهم له بالكذب إن أتوا بعشر سور من مثله، فقد آمن بعجزهم عن ذلك"[١].

٤/ وصف القرآن الكريم بالمعجزة الخالدة فيقول: "إن الأشياء الجديدة التي في الإسلام لا توجد في أي كتاب مقدس آخر مثل: المعجزة الخالدة (القرآن)، والتسامح في الدين، والعلم، وعقيدة الألوهية، والمساواة، ومسايرة الطبيعة في مسألة الزواج، وغير ذلك"[٢].

٥/ إثبات عصمة القرآن الكريم فيقول: "ويعتبر المسلمون أن القوانين كما وردت في القرآن منزهة عن الخطأ، وتلك حقيقة تتضح من أنه وإن كان قد مضى عليه (القرآن) ثلاثة عشر قرنًا إلا أنه لم يمس أو يتعرض لأي تغيير؛ لأنه باق إلى هذا الوقت كلمة فكلمة وحرفًا فحرفًا كما أتى على لسان رسول الله الكريم وسيظل أبد الآبدين كما هو، إنه خال من الحشو والتدخل[٣].

ثانياً: لورد هدلي

يبرهن على مسألة جمع القرآن الكريم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف التوراة والإنجيل فيقول: "وبالطبع فإن شخصية محمد صلى الله عليه وسلم أكبر من موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام من الناحية التاريخية؛ لأن القرآن قد جمع في حياته، وما عدا القرآن فإنما حقائق تاريخية كتبت بعد موته بفترة قصيرة؛ أما سجلات الآخرين -يقصد موسى وعيسى عليهما السلام- يمكن أن تكون قد وضعت وجمعت بعد موتهما بقرون على أقصى تقدير"[٤].

ثالثاً: عبد الواحد يحي

إقرار أن القرآن الكريم وحي ثابت أصيل معصوم من عند الله فيقول: "طالما أصر الغربيون على تجاهل أو إنكار الإلهام الروحي، فلا يمكنهم حيازة أي تراث أصيل بالمعنى الحقيقي للكلمة، كما لا يمكنهم التفاهم مع الممثلين الحقيقيين للحضارات الشرقية التي يتعلق فيها كل شيء بهذا الإلهام أو

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص ٣٨.

(٢) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص١٦، ٣٠.

(٣) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، مطبعة الجريدة التجارية المصرية، الإسكندرية، ط بدون، ١٩٢٢، ص٣٨.

(٤) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ص١١.

الوحي الثابت المعصـــوم في ذاته، وهو نقطة الانطلاق الوحيدة لكل تطور منســـجم مع المعايير التراثية"[١].

رابعاً: روجيه دوباسكويه

١/ إثبات أن القرآن معجزة من عند الله فيقول: "القرآن هو المعجزة المركزية في الإســـلام، لم يقدم أحد حتى اليوم تفسيراً مقبولاً لكيفية تقديم تاجر قوافل أمي مثل هذا النص الذي لا يضاهى في الجمال وإثارة الانفعالات، والذي يزخر بمعرفة وحكمة يحلقان عاليًا عن الأفكار الســـائدة في ذلك العصر وحتى اليوم الدراسات التي جرت في الغرب لتحاول تحديد المصادر التي استخدمها محمد صلى الله عليه وسلم أو لتلقي الضوء على الظاهرة النفسية التي ألهمت وعيه الباطن؛ أبرزت تلك الدراسات شيئًا واحدًا فقط: تعصب الدارسين ضد الإسلام"[٢].

٢/ إثبات أن القرآن محفوظ من عند الله كما أنزل فيقول: "وفي غياب الورق كانت الكتابة على رقاع الجلد والعســـف والخشـــب وعظام أكتاف الجمال والأحجار، واحتفظ الصـحابة بما كتبوه بعد وفاة النبي صـــلى الله عليه وســـلم، وظهرت الخلافات في القراءة أيام عثمان -رضـــي الله عنه-، فقضى عليها عثمان بنسخ عدة مصاحف أرسلها للأقاليم، وأمر بإحراق كل المصاحف الأخرى، وتأكد من ذلك الوقت حفظ القرآن كما أنزل ولا ســـبيل للخلاف في ذلك، وحفظ الألوف القرآن ورتلوه من قلوبهم، وهو من قلوبهم فعلاً، فالقرآن يتخلل القلب ولا تقدر أي ترجمة على مماثلته"[٣].

خامساً: محمد أسد

١/ إثبات الغاية من نزول القرآن؛ حيث يقول: "إن القرآن يجمل في وضـــوح على أن الغاية النهائية للخلق هي تجاوب المخلوقات مع إرادة الخالق وخضـوعها لها، وبالنســبة للإنســان فإن هذا الخضوع الذي يسمى إسلامًا يتطلب بداهة تكييف رغبات الإنسان وسلوكه، تكييفًا إيجابيًا واعيًا مع قوانين الحياة التي وضـــعها الخالق، ومثل هذا المطلب يفترض بطبيعة الحال أن يكون لمفاهيم الخير

---

(٤) عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث، ص ٥١.

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، مكتبة الشروق، القاهرة، ط ٠، سنة بدون، ص٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص٧٤.

والشر مقاييس ومعان ثابتة لا تتغير بتغير الأحوال والأزمنة؛ ولكنها تحتفظ بصحتها وأصالتها في كل الظروف والأوقات"(١).

٢/ الإشارة إلى أهمية التمسك بالكتاب والسنة والتحكيم إليهما فيقول: "ولكننا ينبغي ألا نغفل أن صلاحية هذه المفاهيم (يقصد إنكار التراث) يتوقف على إثبات أنها تتوافق توافقاً تاماً مع مقاصد الشريعة التي تمثّل قلب الإسلام وعموده الفقري؛ ولكن في كل حالة ينبغي أن يكون معيارنا الوحيد لقبول أو رفض أي تراث هو الأوامر الصريحة -والصريحة فقط- من القرآن والسنة"(٢).

سادساً: موريس بوكاي

١/ إثبات مصدرية القرآن الكريم وأنه من عند الله سبحانه وتعالى فيقول: "إن القرآن الكريم هو التعبير عن الوحي الإلهي الذي تلقاه صلى الله عليه وسلم بواسطة الملاك جبريل عليه السلام، تم تسجيله وتم حفظه عن ظهر قلب، وكانت تلاوته مستمرة لدى المسلمين في صلواتهم وخصوصًا في شهر رمضان؛ حيث كان كثير من المسلمين يقومون بتلاوة كل ما أنزله الله من القرآن الكريم في هذا الشهر، وهي عادة عند المسلمين لا تزال موجودة حتى اليوم، ولقد رتب نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بنفسه كلام الله في سور القرآن الكريم المعروفة كما أمره الله بذلك، وتم جمع هذه السُّوَر القرآنية مباشرة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لكي يتشكل منها في عهد الخليفة عثمان -رضي الله عنه- (١٢-٢٤ عامًا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم) النص القرآني الكريم الذي نعرفه اليوم"(٣).

٢/ إثبات نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: "لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بواسطة الملاك جبريل عليه السلام، ولقد استغرق نزول القرآن على هذا النحو أكثر من عشرين سنة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بدءًا من الآيات الخمس الأولى من سورة العلق وهي السورة السادسة والتسعون من القرآن الكريم، وبعد هذه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق توقف الوحي الإلهي لمدة حوالي ثلاثة أعوام عن النزول ثم توالى نزول نصوص القرآن بعد ذلك على امتداد عشرين سنة حتى انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى"(٤).

---

(١) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٦٧، ص١٧-١٨.

(٢) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، نقله إلى العربية، شكري المجاهد، دار الكتب القطرية، ٢٠١٥م، ط١، ص ٤٢.

(٣) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م، ص٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٧٥.

٣/ ذكر قصة جمع القرآن الكريم فيقول: "فإن آيات القرآن كانت تكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على الألواح وغيرها من الرقائق والمواد الأخرى المعروفة في ذلك العصر، ويشير القرآن إلى حقيقة أن النص كتب آنئذ، ونجد ذلك في سور عديدة من القرآن قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وبعدها، وبالإضافة إلى كتابة النصوص توجد حقيقة أخرى هي حقيقة حفظ النصوص عن ظهر قلب، ونص القرآن أقصر بكثير من نصوص العهد القديم؛ ولكنه أطول قليلاً من العهد الجديد؛ وحيث نزل القرآن على عشرين سنة فلقد كان من السهل على أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم– وأتباعه أن يحفظوه عن ظهر قلب سورة سورة، وعملية الاستظهار هذه والتلاوة قدمت ميزة كبيرة فيما يتعلق بحفظ النصوص دون تحريف؛ حيث وفرت نظامًا مزدوجًا للمراجعة والفحص في وقت كتابة النص القرآني، ولقد حدث ذلك في سنوات عديدة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عهد أبي بكر الصديق الخليفة الأول، ثم في عهد عمر بعد ذلك وفي عهد عثمان على وجه الخصوص –رضي الله عنهم– (منذ ٦٤٤ إلى ٦٥٥م)، ويرجع إلى عثمان –رضي الله عنه– الفضل في مراجعة النص مراجعة غاية في الدقة وتضمن ذلك مراجعته على الحفاظ"[١].

٤/ التأكيد على مصداقية نصوص القرآن الكريم فيقول: "ويختلف الشأن في هذا الصدد بالنسبة إلى تدوين القرآن الكريم كتابة فور تنزيل نصوص القرآن الكريم وأولاً بأول، كان النبي صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون حوله يتلونه ويحفظونه في ذاكرتهم عن ظهر قلب وكان الكتبة من صحابته يسجلونه كتابيًا، وهكذا كانت نصوص القرآن الكريم تتمتع وتمتاز بهذين العنصرين دائمًا من المصداقية وتوافرها على امتداد الزمان وهما الحفظ في الذاكرة والحفظ كتابة لنصوص القرآن الكريم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم"[٢].

٥/ التأكيد على حرص الصحابة رضوان الله عليهم لسلامة النص القرآني وعدم تحريفه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "وبعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم انتشر الإسلام بسرعة كبيرة خارج حدود المنطقة التي ولد فيها الإسلام، ولقد دخلت شعوب أعجمية في الإسلام واتبعت خطوات دقيقة جدًا لضمان عدم تحريف النص القرآني نتيجة اتساع رقعة البلاد الإسلامية، ولقد أرسل عثمان –رضي الله عنه– نسخًا من المصحف المدقق إلى المراكز الرئيسة في الدولة

(١) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٩٧٦، ص١٨٢.

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٧٤-١٧٥.

الإسلامية الواسعة، وبعض هذه النسخ لا يزال موجودًا حتى اليوم بشكل كامل تقريبًا وخاصة في بعض البلدان مثل طشقند (الاتحاد السوفيتي) وإسطنبول"(١).

سابعاً: مريم جميلة

١/ إثبات أن القرآن وحي من عند الله سبحانه وتعالى فتقول: "والقرآن بالنسبة للمسلم كتاب الله لا كتاب محمد -صلى الله عليه وسلم-، وهو يعتقد أن كل كلمة فيه صحيحة حرفياً ويجب أن تُطاع، والقرآن مصدر كل المعرفة، والمجادلة في أي جزء منه تعني رفض الهداية الإلهية، والحديث: وهو أقوال الرسول الكريم والسنة وهي أعمال الرسول الكريم أساسيان للفهم الصحيح للقرآن، فواحدها ليس له معنى دون الآخر، وطالما أن القرآن هو وحي الله التام المعصوم، الأخير للبشر فالإسلام لا يمكن تعديله أو تغييره وهو لن يُمس أبداً، فالإسلام تام متكامل بنفسه ولا محل فيه لاختيار الأفضل والمسلم يعتبر التقدم هو أن تكون حياته أقرب ما تكون مطابقة لحرفية القرآن وروحه وهدفه على هذه الأرض ليس هو الفوز الدنيوي؛ بل الإعداد للحياة الآخرة"(٢).

٢/ التأكيد بأن القرآن وحي من عند الله جل وعلا فتقول: "بعد أن قرأت كتاب (مشكاة المصابيح) بدأت أعترف بأن القرآن الكريم وحي إلهي، واقتنعت أيضاً بأن القرآن الكريم يجب أن يكون كلاماً إلهياً وليس من تأليف النبي صلى الله عليه وسلم كما يدعي المستشرقون الحاقدون، فهذا الجواب كان مقنعاً للأسئلة المهمة والمتعلقة بالحياة، والذي لم أجده في مكان آخر"(٣).

وهذا يدل على صدق إيمانها بأن القرآن كلام الله عز وجل وليس من تأليف النبي عليه الصلاة والسلام.

٣/ إثبات أن القرآن الكريم هو الدين الحقيقي من عند الله فتقول: "قرأت في القرآن: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ

(١) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ ص١٨٢.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٤٤.

(٣) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، دار القلم دمشق، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص٣٥.

سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٣٩ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [سورة النور: ٣٩-٤٠]، كان انطباعي الأول عند قراءة القرآن الكريم أن هذا هو الدين الوحيد الحقيقي، وأنه لا شك في صدقه وصراحته وإخلاصه وأمانته، فهو الدين الذي لا يسمح بالتنازلات الرخيصة والنفاق على الإطلاق"[(١)].

٤/ إثبات أن القرآن محفوظ من عند الله جل وعلا فتقول: "الإسلام هو الدين الوحيد من بين كل الأديان الذي يمتلك كتباً مقدسة أصيلة، القرآن الكريم يخبرنا أن اليهود والنصارى قد أفسدوا كتبهم المقدسة بخلط الوحي الإلهي بالزيادات والتفسيرات البشرية حتى لم يعد من الممكن التمييز بينهما .... ويعترف اليهود والنصارى بأنهم لا يملكون نصوصاً أصلية؛ وإنما هي ترجمات خضعت لتعديلات عديدة لعدة قرون، ولا زالت مستمرة في التغيير، بينما القرآن الكريم موجود كما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تمت المحافظة عليه بنصه الأصلي إلى الأبد"[(٢)].

٥/ إثبات عصمة القرآن الكريم فتقول: "إن المصدرين الأساسيين للإسلام وهما القرآن والسنة سليمان لم يدخلها التحريف، فلا يوجد دين آخر يزعم لنفسه هذه المزية، ولما كانت تعاليم الإسلام شاملة محيطة في نظرتها وتامة بذاتها كل التمام لم يسمح الإسلام بالانتقائية أو الموافقة لأية ثقافة تتعارض مع أصوله، فالإسلام منفرداً يقدم سبيلاً مرشداً تاماً للحياة بكليتها"[(٣)].

وهذه مزية القرآن الكريم؛ حيث لم يدخلها التحريف والتبديل بخلاف الكتب المقدسة الأخرى.

٦/ بيان أهمية التمسك بالكتاب والسنة فتقول: "بالقرآن والسنة يتكامل الإسلام دينًا شاملاً وأسلوب حياة متكاملاً يتوازن فيه الفرد والمجتمع والمادة والروح في تناسق بديع، وتهدي الشريعة السمحاء الحياة الفردية والاجتماعية، فتتحدث عن العبادات والأخلاق والعادات والروابط الأسرية والشئون الاجتماعية والاقتصادية والإدارة والحكم وحقوق وواجبات المواطن والنظام القضائي وقواعد الحرب والسلم والعلاقات الدولية، وتوضح الحق والباطل والحلال والحرام والنافع والضار والمندوب والمنهي عنه، وترسم نطاق الحريات الفردية وحدودها وكيفية إقامة المجتمع المسلم، والشريعة لازمة؛ لأن العقل البشري قاصر عن أن يكتشف وحده مراد الله ومبادئ الأخلاق الخالدة، وهدف الالتزام بتعاليم الشرع هو مرضاة الله كما أن هذه التعاليم والمبادئ والأخلاق ثابتة غير متغيرة؛ لأنها من وضع

(١) المرجع السابق، ص٣٤.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٤٠-٤١.

(٣) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٢٥٠-٢٥١.

الله وليس البشر، ولا يتغير المسلم الحق مع تغير الزمان؛ بل يغير الأوضاع لتتمشى مع مقاييسه"(١)، وأن القرآن والسنة موجهان إلى العالم للاتباع فتقول: "القرآن والسنة موجهان إلى كل العالم وفي كل الأوقات في الشرق وفي الغرب، وبما أنهما لكل زمان ومكان فلن يطرأ عليهما أي إلغاء، أو أن يصبحا غير صالحين لزمن ما"(٢).

٧/ أهمية حفظ وفهم معاني القرآن الكريم فتقول: "فكل طفل مسلم يجب أن يتعلم لا أن يقرأ القرآن ويحفظه فحسب؛ بل وأن يفهم معانيه من نسخ القرآن الكريم العربية الأصلية، فالعربية يجب أن تكون الواسطة في التعلم ويجب أن يكون القرآن هو المحور الذي يدور حوله منهج التعلم بكليته بدلاً من أن يكون مجرد موضوع إضافي، وكل المواد الأخرى يجب أن تعلم على أساس علاقتها بالقرآن الكريم؛ ليتجنب أي تمييز دقيق بين التعليم الديني والدنيوي وبهذه الطريقة تتكامل جميع برامج التعلم بانسجام تام"(٣).

ثامناً: مراد هوفمان

١/ إثبات مصدرية القرآن وأنه وحي من عند الله جل وعلا فيقول: "ليس القرآن إذن كالعهد القديم أو الجديد؛ حيث يَقُصُّ فيهما شخص ما حديثًا غير مباشر عن شخص أو شيء أو عن الله؛ أما القرآن فإن القاصَّ الذي يقص أَحْسَنَ القَصَص هو الله مباشرةً سبحانه، يخبر الله فيه عمّن يشاء أو عمّا يشاء، كما يُعلمنا أن ننزّهه عن الجنس والنظير والشبيه، فيخبر عن نفسه بضمير المفرد المتكلم، وضمير المتكلم الجمع، وضمير الغائب المفرد، لكي نظل واعين بمسألة تنزُّهِه سبحانه عن التجسيد أو التشخيص"(٤).

٢/ إثبات أصالة القرآن ومصداقيته فيقول: "قد يشك غير المسلم في موثوقية الوحي وأصالته؛ لكنه لا يستطيع الشك في أصالة القرآن وموثوقيته وأصالة نصوصه، فلقد تحداهم الله كما تحدى قبلهم كل المنكرين أن يثبتوا العكس، فعجزوا على ما هو متوافر لديهم من وسائل الدرس والنقد والمقارنة"(٥).

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٤٩.

(٢) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص٥٧.

(٣) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٨٧.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤١.

(٥) المرجع السابق، ص٤٢.

٣/ إثبات صحة النص القرآني فيقول: "لقد ثبت للمختصين الغربيين صحة النص القرآني، وليس هناك أدنى شكوك علمية في صحته، وهو مطابق لكتابته الأصلية، وهو أول مخطوط موثوق من العصور القديمة المتأخرة، وأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد على وجه الأرض الذي حافظ على لغته مثل ما كانت عليه منذ أكثر من (١٤٠٠) سنة"[١].

٤/ إثبات أن القرآن وحي من عند الله: "والقرآن ليس آخر الكتب المنزلة فحسب؛ بل هو أهمها على الإطلاق، وإن لم يكن هو الأصل الأوحد للإسلام، يبلغ عدد سوره (١١٤) مائة وأربع عشرة سورة، ذات (٦٢٣٦) ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين آية معظمها مقفاة أو مسجوعة، وإن كان نَظْمُه ليس بالشعر ولا بالسجع، ولا يخضع لترتيب حسب الموضوعات، وقد نزل على محمد صلى الله عليه وسلم مُنَجَّمًا في مكة ثم المدينة بين عامي (٦١٠م و٦٣٢م)، والمسلم يؤمن أن القرآن كلمة الله، وأنه ليس مخلوقًا من المخلوقات، وأن الله أوحاه إلى محمد بلسان عربي مبين في تلك الفترة الزمنية المحددة، وهو معجزة الإسلام الوحيدة، والدليل القاطع والبرهان الساطع على نبوة محمد"[٢].

٥/ إثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي من السماء فيقول: "في كل مرة عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى وحياً منزلاً، كان يبلغ مضمونه وموقعه ضمن ما سبقه من نصوص، كما كان يحرص على أن لا يقتصر حفظ الآيات الجديدة على العديد من المسلمين عن ظهر قلب؛ بل يطلب من كتبة الوحي، ومنهم زيد بن ثابت -رضي الله عنه-، أن يحفظوها مدونة على ورق البردي والجلد والعظام وسعف النخيل والألواح الحجرية وما شابه ذلك"[٣].

٦/ الإشارة إلى أهمية التمسك بأحكام القرآن الكريم فيقول: "ليس القرآن الكريم هو وحده المعول عليه في تبيين معالم نظام الحياة اليومية للمسلم، فالقرآن يذكر في هذا الصدد نحو أربعين أو خمسين حكماً مفروضاً يلتزم به المسلم التزاماً، وأغلب ما يرد هذا في أحوال الأسرة وشؤون الميراث"[٤].

---

(١) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٢، ١٤٢٧هـ، ص ٣٣، ٢٦٨.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤١.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٤٠.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٨٤.

٧/ الإشارة إلى أهمية الإيمان بالوحي فيقول: "لكي يكون المرء مسلماً، فلا بد من توافر شرطين اثنين فيه: الأول: الإيمان بإله واحد مع تنزيهه عن الجنس، لا تدركه الأبصـــار وهو يدرك الأبصـــار، آثاره الملموسة في العالم تدل على وجوده. الشرط الثاني: الإيمان بما أنزله الله من الوحي"(١).

٨/ ذكره قصـــة حفظ وجمع القرآن الكريم فيقول: "بالإضـــافة إلى ذلك أطلع الرســـول صلى الله عليه وسلم أوساطاً عريضة من صحابته على النصوص القرآنية بحيث كان يستذكر منها في الصلاة، ويتلو القرآن بكامله خلال شهر رمضان، وبما أن التنزيل استمر طيلة (٢٢) عاماً حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت هناك دائماً وأبداً تتمات، كان الكتاب عبارة عن صحف لم يتم الانتهاء منها إلا قبيل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وانسجاماً مع ذلك طلب الخليفة الأول أبو بكر من زيد بن ثابت -رضي الله عنهما- بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجمع نصوص القرآن بالتشـــاور مع جميع حفظته المعترف بهم بشـــكل كامل، وكان الخليفة قلقاً؛ لأن الكثير من المســـلمين الذين كانوا يحفظون القرآن عن ظهر قلب قد ماتوا، وقد انتقلت هذه النســـخة الأولى من الخليفة الأول إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- ومنه انتقلت بعد وفاته إلى ابنته حفصة -رضي الله عنها- إحدى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي عهد الخليفة الثالث نســـخت عدة مرات عام ٦٥٠-٦٥١م وأرســـلت باعتبارها النص الوحيد المعتمد إلى الأمصـــار الإسلامية"(٢).

٩/ إثبات أن الله تكفل بحفظ القرآن الكريم إلى يوم القيامة فيقول: "وحفظه إلى آخر الزمن مبشر به في القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر: ٩]، وكثير من المسلمين يعرفون القرآن الكريم حتى الآن معرفة جيدة ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [سورة الأنعام: ٢٠]، لقد ثبت للمختصـــين الغربيين في الشـــؤون الإســـلامية بأن النص القرآني الذي بين أيدي المســـلمين يتوافق مع النصوص المرسلة التي يبلغ عددها (٦٥١) نصاً، وبذلك ليس هناك أدنى الشكوك العلمية بصـــحة القرآن الكريم، فهو أول كتاب كتب بالعربية على الإطلاق وفي الوقت نفســـه أول مخطوط موثوق من العصور القديمة المتأخرة"(٣).

(١) المرجع السابق، ص٣٧.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص٤١.

تاسعاً: جاري مللر

١/ إثبات أن القرآن الكريم وحي من عند الله فيقول: "يجب الفهم بأن القرآن هو وحي من السماء وكذلك كل ما أتى من عند الله، فالقرآن من عند الله، وهو كلام الله من قبل كل الخلق، لذلك لا إضافة ولا تعديل ولا حذف فيه، وإنه من المستحيل أن يحتوي القرآن على ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم أو نصائحه، وإن إضافة هذه المعلومات للقرآن كان سيتعارض بوضوح مع الغرض الأساسي لوجود القرآن مقيداً سلطته ومحوّلاً الفكر عن ألوهيته"(١).

٢/ دليل آخر على أن القرآن وحي من عند الله فيقول: "كل الأوصاف التي ذكرت عن مراحل الجنين في القرآن الكريم هي أشياء في منتهى الصغر لا ترى بالعين المجردة وتحتاج لميكروسكوب، وبما أن الميكروسكوب اخترع فقط من مائتي عام مضت؛ ربما أنه من أربعة عشر قرناً كان أحدهم يمتلك سرياً هذا الميكروسكوب وقام بهذه الأبحاث ولم يخطئ، ثم علم محمداً صلى الله عليه وسلم وأقنعه بكتابة ذلك في القرآن، ثم حطم هذا الميكروسكوب ليحتفظ بهذا السر للأبد، هل تعتقد ذلك؟ بالطبع لا، إلا إذا أتيت ببرهان يعزز كلامك عن هذه النظرية المضحكة! إذن لا يمكن إلا أن يكون هذا الكتاب موحى به من عند الله"(٢).

٣/ دليل ثالث على مصدرية القرآن وأنه من عند الله فيستدل بآية قال تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة هود: ٤٩]، ومما لا شك فيه فهناك سمة في القرآن الكريم لا توجد في كتاب آخر، فمن المهم أن نلاحظ حينما يذكر القرآن معلومات معينة فيقول للقارئ ما كنت تعلمها من قبل، لا يوجد مخطوط يقول هذا القول، فكلها حينما تذكر موضوعاً تاريخياً قديماً تحدد من أين جاءت بهذه المعلومات"(٣).

٤/ دليل رابع على إثبات أن القرآن الكريم وحي من عند الله فيقول: "أن القرآن ذكر أن عم رسول الله هو وزوجته من أهل النار وقد عاشوا بعد هذا التقرير مدة طويلة وماتوا على الكفر والعياذ بالله، فإن لم يكن ذلك وحياً من الله فماذا يكون التفسير المقنع؟ لما لم يدعِ أبو لهب وزوجته الإيمان

(١) جاري مللر، القرآن المعجز، إصدارات موقع نصرة الإسلام، ط بدون، ص١١.

(٢) جاري مللر، القرآن المعجز، ص١٧-١٨.

(٣) المرجع السابق، ص١٨.

فقط من أجل تكذيب القرآن؟ وقد كان يريد وزوجته إظهار كذب رسول الله بأي طريقة؛ ولكن هذا لم يحدث أبداً"[١].

٥/ إثبات أصالة القرآن الكريم فيقول: "المشكلة الحقيقية هي أن تبحث عن برهان مقنع عن مصدر القرآن الكريم، ولا يمكن لأحد أن ينكر ببساطة أصالته دون دليل، إذا أمكن لأحد أن يجد خطأ فيه (ولن يستطيع) فله حينئذ أن ينكر تلك الأصالة، وهذا ما يشجع عليه القرآن قارئه، بعد إحدى محاضراتي في جنوب إفريقيا جاءني رجل غاضب لما ذكرته في المحاضرة قائلاً لي: "أنا سأسهر الليل اليوم وآتيك بما يدحض ما جاء بالقرآن" قلت له على الفور: (أهنئك) ما ذكرته أنت هو الإجراء الصحيح، وبهذه الطريقة أنصح أن تقابلوا بها المعاندين، فهذا نفسه ما دعا إليه القرآن الكريم: اذهب (وابحث)، وبعد أن تقبل التحدي ويثبت لك صحة أن القرآن وحي من الله سبحانه وتعالى ستعود من الخاضعين لعظمته والمقبلين عليه، وهذا بالضبط ما حدث لكثير من القساوسة الذين درسوا القرآن الكريم ليهاجموه فأسلموا"[٢].

من خلال ما سبق نجد أن اتيين دينيه ولورد هدلي وعبد الواحد يحيى وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد وموريس بوكاي ومريم جميلة ومراد هوفمان وجاري مللر، كلهم متفقون مع أهل السنة والجماعة في إثباتهم أن القرآن الكريم وحي من عند الله سبحانه وتعالى، والتأكيد على أنه معجزة الله الخالدة نزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، واستدلوا على ذلك بالأدلة النقلية والعقلية، وأثبتوا أصالة القرآن وموثوقيته وأصالة نصوصه؛ حيث ثبت صحة النص القرآني للمختصين الغربيين، وأنه محفوظ بحفظ الله إلى قيام الساعة ولم يدخل فيه أي تحريف ولا تغيير مثل الكتب الأخرى السماوية، وذكروا أهمية التمسك بهذا الكتاب المنزل؛ لأن الحكمة من نزوله تطبيقه في حياتنا اليومية وفي جميع مناحي الحياة.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠.

المطلب الثاني: جهودهم في بيان تأثير القرآن الكريم وبلاغته

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، وهو أحسن الحديث، ونزل متحديًا العرب في فصاحة لسانهم، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٣]. وقد اعترف المستشرقون الذين أسلموا بعظمة القرآن وتأثيره وبلاغته، وسجَّلوا في ذلك شهاداتهم التي تنطق بالحق، فأسرد هنا بعضاً من تلك الشهادات.

أولا: اتيين دينيه.

١/ إثبات بلاغة القرآن الكريم وتأثيره إلى قيام الساعة فيقول: "لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع أعظم المجامع العلمية أن تقوم بها، ذلك أنه مكّن للغة العربية في الأرض؛ بحيث لو عاد أحد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا اليوم لكان ميسوراً له أن يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية؛ بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد، وهذا عكس ما يجده مثلاً أحد معاصريه (را بيليه) من أهل القرن الخامس عشر الذي هو أقرب إلينا من عصر القرآن من الصعوبة في مخاطبة العديد الأكبر من فرنسيي اليوم، وإن لغة القرآن وإن كانت تمت في أصولها إلى عصور بعيدة قديمة فهي مرنة طيّعة تسع التعبير عن كل ما يجد من المستكشفات والمخترعات الحديثة دون أن تفقد شيئاً من رونقها وسلامتها"(١).

٢/ يبين أسباب انصراف الأوربيين عن القرآن الكريم فيقول: "ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الأوروبيون، لأنهم يجهلون القرآن، أو لأنهم لا يعرفونه إلا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة فضلاً عن أنها غير دقيقة، إن الجاذبية الساحرة التي يمتاز بها هذا الكتاب الفريد بين أمهات الكتب العالمية؛ لا تحتاج منا نحن المسلمين إلى تعليل؛ ذلك أننا نؤمن بأنه كلام الله أنزله على رسوله"(٢).

٣/ إثبات تأثير القرآن الكريم على النفوس البشرية فيقول: "إن كان سحر أسلوب القرآن وجمال معانيه، يحدث مثل هذا التأثير في نفوس مثل هؤلاء العلماء الذين لا يمتون إلى العرب ولا إلى المسلمين بصلة، فماذا ترى أن يكون من قوة الحماس الذي يستهوي عرب الحجاز، وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الشعرية الجميلة؟ لا يستطيع أن يكون لنفسه عن ذلك فكرة مقاربة وإن كانت مصغرة، إلا أنتم أيها المسافرون حينما تتاح لكم الفرصة لمشاهدة التأثر الذي يمتلك قلوب قوم

---

(١) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٣٤.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٣٦.

ينصتون إلى الإمام، وهو يرتل الآيات المقدسة، لقد شاهدتم أقل الأعراب شأنًا -فور وصولهم كم أسفارهم المجهدة وقد كستهم رمال الصحراء؛ حيث ذاقوا من المتاعب أشقها- يتسابقون إلى المسجد يجذبهم إليه، كالمغناطيس، صوت الإمام، فيفضلون الاستماع إلى ترتيله، على الاستسلام إلى نوم هادئ مريح، وفي شهر رمضان يقضون الليل في الإنصات -الإنصات المستغرق- لآيات الله بعد يوم شاق لم يذوقوا فيه طعامًا ولا شرابًا"[١].

٤/ إثبات تأثير القرآن الكريم حتى على الجاهل فيقول: "حقًّا إن أعراب عصرنا الذين لم ينالوا أدنى قسط من العلم، لا يدركون دائماً المعنى الحرفي للألفاظ التي يقرؤها الإمام، بيد أن الموسيقى[٢] العذبة والتوقيع اللطيف والجرس المنسجم، كل هاتيك الأشياء التي تلزم الآيات العجيبة، نجد صداها في دقات قلوبهم، فتحمل إليهم شرحًا قد يكون غير دقيق؛ ولكنه على كل حال يثير الخيال في قوة خصبة، وإليه تطمئن القلوب، بجوار هذه الآيات التي ترتل صادرة عن تأثر عاطفي يبدو شرح النحويين والمنطقيين جثة لا حياة فيها"[٣].

٥/ الاستدلال بقصة تأثر وفد الخزرج بتلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم فيقول: "بينما رسول الله عند العقبة؛ إذ لقي رهطًا من العرب وصل حديثًا، عدته ستة نفر، فتقدم إليهم في رقته المعتادة سائلاً: من أنتم أيها السادة؟ نفر من الخزرج، أمن موالي يهود يثرب؟ نعم، أفلا تجلسون؟ بلى، جلس القوم بجواره فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، سحرهم القرآن ببلاغته وحدة أسلوبه، فأصغوا في انتباه، وأخذوا يفكرون"[٤].

٦/ الاستشهاد بتأثير لبيد الشاعر[٥] بالقرآن الكريم فيقول: "كان محمد عليمًا كما قلت بتلك اللغة الأزلية التي تزينت بروائع كثير من الشعراء، فاجتهد محمد -صلى الله عليه وسلم- في أن يحلي

(١) المرجع السابق، ص١٣٨.

(٢) لا يسمى موسيقى، ولو عبر بعبارة أخرى مثل اللحن لكان أبلغ.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٢.

(٥) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويعدّ من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم، وترك الشعر، وسكن لبيد الكوفة، وعاش عمراً طويلاً، وهو أحد أصحاب المعلقات، ومطلع معلقته: عفت الدّيار محلها فمقامها بمنى، تأبد غولها فرجامها، توفي عام ٤١ هـ، انظر: مسائل نافع بن الأزرق، غريب القرآن في شعر العرب، ص٣٣.

تعاليمه بكل ما في البلاغة من جمال ومن سحر[١]، ولقد كان الشعراء في الجزيرة العربية يتمتعون من التقدير بأسمى مكانة، ولقد علق لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور، إحدى قصائده على باب الكعبة وحالت شهرته وقدرته الشاعرية دون أن ينبري له المنافسون، ولم يتقدم أحد لينازعه الجائزة، وذات يوم علق بجانب قصيدته السورة الثانية من القرآن [وقيل السورة الخامسة والخمسين[٢]] فأعجب بها لبيد أيما إعجاب رغم أنه مشرك، واعترف بمجرد قراءة الآيات الأولى، بأنه قد هزم ولم يلبث أن أسلم، وفي ذات يوم سأله المعجبون به عن أشعاره يريدون جمعها في ديوان فأجاب: لم أعد أتذكر شيئًا من شعري؛ إذ إن روعة الآيات المنزلة لم تترك لغيرها مكانًا في ذاكرتي"[٣].

ثانياً: روجيه دوباسكويه

١/ إثبات تأثير القرآن الكريم وبلاغته فيقول: "استمر عدد المسلمين في الازدياد، وكان سماع القرآن السبب المعتاد للدخول في الإسلام، فقد فاق في جماله وقوته أفضل ما جاء في الشعر العربي، يثير سماع القرآن رنين داخلي نابض، يمس أعماق الكيان وغالبًا ما يلهم المرء للإيمان بالدين الجديد حتى لو كان من أشد أعدائه ضراوة مثل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وغيره، كان عمر من أصحاب العزيمة النادرة قرر أول الأمر قتل محمد ثم أصبح أحد أقرب أصحابه البواسل"[٤].

٢/ التأكيد على تأثير القرآن في السامعين فيقول: "ترتيل القرآن، النظير السمعي للخطوط القرآنية، فن رهيف محكم، وهو من الشعائر الرئيسية، فهو ترتيل لكلام الله، له رنين في الآذان والوجدان، كان في بعض الأحيان الشكل الوحيد للفن الصوتي عند البعض؛ حيث شك بعض من المفكرين والفقهاء في قدرة الموسيقى على إطلاق العنان للعواطف الروحية"[٥].

ثالثاً: محمد أسد

١/ التأكيد على أن القرآن الكريم هو السبيل الأقرب لبلوغ الكمال الفردي والاجتماعي فيقول: "إن القرآن هو السبيل الأقرب والأجدى على الإطلاق لبلوغ الكمال الفردي والاجتماعي، لأن تعاليمه

(١) لا نسلم له هذه العبارة وقد جانب الصواب في ذلك حيث لم يجتهد النبي صلى الله عليه وسلم في أن يحلي تعاليمه وإنما أعطي جوامع الكلم قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [سورة النساء: ١١٣].

(٢) السورة الخامسة والخمسين المقصود بها هي سورة الرحمن.

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٣٧.

(٤) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥٣.

(٥) المرجع السابق، ص١٤٤.

تمثل قمة الوحي الإلهي في قابلية التطبيق في كل زمان، ولأن نص الرسالة الإلهية التي بلغها محمد – صلى الله عليه وسلم– لم ينلها ولن ينالها أدنى تحريف، لأنه صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء، أو كما يصفه القرآن خاتم الأنبياء"(١).

٢/ يبين سبب تأثيره بالقرآن الكريم فيقول: "أدهشني في البداية اهتمام القرآن لا بالجوانب الروحية فقط؛ بل بجوانب أخرى غير مهمة من الأمور الدنيوية؛ ولكن مع مرور الوقت بدأت أدرك أن البشر وحدة متكاملة من بدن وروح، وقد أكد الإسلام على ذلك لا يوجد وجه من أوجه الحياة يمكن أن نعده مهمشًا؛ بل إن كل جوانب حياة البشر تأتي في صلب اهتمامات الدين، في كل المجالات لم يدع القرآن المسلمين ينسون أن الحياة الدنيا ليست إلا مرحلة في طريق البشر نحو تحقيق وجود أسمى وأبقى، وأن الهدف النهائي ذو سمة روحية"(٢).

رابعاً: موريس بوكاي

بيان تأثره العميق بما جاء في القرآن من حقائق فيقول: "فإن ما ورد في القرآن من حقائق عن أصل الإنسان لابد وأن يسبقها بيان للطريقة التي وصل بها القرآن للناس، إنَّ ما جاء به القرآن من بيان عن أصل الإنسان سوف يثير دهشة كثير من الناس لا ريب، تمامًا كما أدهشني أنا أيضًا حين اكتشفته لأول مرة، وفوق ذلك فإن مقارنة النصوص القرآنية والتوراتية والإنجيلية تكشف عن ذلك بصورة أوضح، فكلاهما يتحدث عن الله الخالق إلا أنَّ التفصيلات التي أوردتها التوراة في وصف الخلق–وهي غير مقبولة علميًا– لا وجود لها في القرآن؛ أما القرآن فيحتوي حقًا على آيات بيّنات عن خلق الإنسان تدعو إلى العجب وإعمال العقل، ويستحيل تفسير وجود هذه الآيات البينات بالمنطق البشري إذا وضعنا في اعتبارنا مستوى المعارف التي كانت سائدة وقت نزول القرآن؛ أما بالنسبة للغرب فلم يسبق له أن تناول هذه الآيات البينات التناول العلمي حتى التاسع من نوفمبر سنة ١٩٧٦م وذلك حين قدمت إلى الأكاديمية الطبية الوطنية الفرنسية بحثًا عن المعطيات في كل من علم وظائف الأعضاء وعلم الأجنة التي عرض لها القرآن منذ نحو أربعة عشر قرنًا سبقت الاكتشافات العلمية الحديثة"(٣).

---

(١) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٦٩–١٧٠.

(٢) محمد أسد، الطريق إلى مكة، منشورات الجمل، بيروت–لبنان، ط ١، ٢٠١٠، ص١٩٨.

(٣) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ ص٢٠–٢١.

خامساً: مريم جميلة

١/ إثبات بلاغة القرآن الكريم وبقاء معناه حتى يومنا هذا "فلغات الوحي السابقة المنزلة على اليهود والنصارى ماتت منذ فترة طويلة، اليوم لا يستطيع أحد أن يتكلم تلك اللغات سوى عدد قليل من العلماء الذين يدعون قدرتهم على فهمها، حتى ولو بقيت هذه الكتب المقدسة إلى يومنا هذا على أصلها ونقائها، لا يمكن لأحد أن يفهمها على وجهها الصحيح ويفسر أوامرها ناهيك عن ترجمتها بالممارسة الفعلية، وفي المقابل لغة القرآن الكريم هي لغة حية، يتحدث بها ويفهمها الملايين في جميع أنحاء العالم، حتى أولئك الذين ليس لديهم الوقت لدراسة اللغة العربية يمكنهم بسهولة العثور على غيرهم ممن يعرفونها بشكل كاف لتوضيح وشرح معاني القرآن لهم"(١).

٢/ إثبات تأثير القرآن الكريم فتقول: "وبمرور السنين اتضحت الحقيقة لي تدريجياً، وهي أن ليس العرب هم الذين جعلوا الإسلام عظيماً؛ بل إن الإسلام هو الذي جعل العرب عظماء، فلولا النبي محمد عليه الصلاة والسلام لكان العرب اليوم شعباً مجهولاً، ولولا القرآن لكانت اللغة العربية غير ذات أهمية إن لم تكن بائدة، ولأن النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم- كان عربياً، ولأن القرآن الكريم أنزل بالعربية، فإن كل مسلم في العالم عربي، ضمن هذه الحدود في ثقافته دون النظر إلى جنسه أو قوميته، لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه: ((أحبوا العرب لثلاث: لأنني عربي، ولأن القرآن عربي، ولأن حديث أهل الجنة عربي))(٢)، وإن الكثير من مثقفينا العصريين يشجبون هذه التعاليم العربية الأصول على أنها إقليمية، تصلح للمجتمع المحدود الذي عاش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذا فهي يجب أن تطرح كشيء بالٍ؛ إلا أن الأصل العربي للرسول صلى الله عليه وسلم في نظر المسلم التقي لم يكن اعتباطاً، فلولا إرادة الله لربما كان رسولنا يونانياً، أو رومانياً، أو إنجليزياً، وبالتأكيد يجب أن يكون في الأمر سبب لاختيار الله عربياً ليختم به عهود النبوة، مفضلاً على أي من أية أمة أخرى"(٣).

٣/ إثبات تأثرها بالقرآن الكريم وأنه سبب هدايتها إلى الإسلام فتقول: "وماذا بعد قراءة القرآن والأحاديث النبوية؟ تذكر مريم صراحة أن الذي أقنعها نهائياً بصدق الإسلام وصحته هو إجابته الشاملة والواضحة على مشاكل كانت تؤرقها طيلة مراهقتها وشبابها، وأول هذه المعضلات تتصل

(١) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٤٥.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٩٧) كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، فضل كافة العرب.

(٣) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص١٧-١٨.

بالموت والخوف منه كانت لا تجد إجابة عند والديها عندما تسألهما عن المصير بعد الموت؛ إذ كانا يعجبان من سؤالها ويقولان لها: إن الحياة أمامها طويلة، ولم يكن هناك غير القرآن يجيب على هذا السؤال فيريح العقل المعذب الحائر بتصور عن المنشأ والهدف ومعنى الحياة والمآل والثواب والعقاب والمغفرة، وقد أحسنت مريم حينما ذكرت أن معضلة الموت كانت تحيرها"[١].

٤/ إثبات أن القرآن صالح لكل زمان ومكان فتقول: "عندما تعمقت في دراسة العهد القديم والقرآن الكريم، لاح لي الاختلاف بينهما، ثم اتضح لي بعد ذلك بأن العهد القديم مجرد تاريخ لليهود صورهم فيه كشعب الله المختار، واكتشفت أن القرآن بالرغم من نزوله باللغة العربية على نبي عربي أنه دين عالمي فعلاً موجه للبشرية جمعاء"[٢].

سادساً: مارتن لينجز

أثبت مارتن لينجز تأثير القرآن وبلاغته؛ حيث يقول: "كان الإسلام أو على الأخص الاحتياج لتسجيل كل مقطع من كل كلمة للقرآن بدقة مطلقة، هو ما فرض تعلُّم القراءة والكتابة على عرب القرن السابع؛ ولكن في نفس الوقت فَرَض القرآن لُغَته القديمة كمثال، وبما أنه كان يُحفَظ عن ظهر قلب ويُتلى بأكبر قدر ممكن فقد أبطل التواجد المتواصل للغة القرآن العربية على لسان الناس التأثير الضار لتعلُّم القراءة والكتابة، سريعًا ما تم تطوير علم خاص لتسجيل وحفظ النطق المتقن لتلاوة القرآن؛ وكان إيقاف انحدار اللغة والحط من قدرها يتم بالجهود المضنية للمسلمين طوال القرون المتوالية لجعل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قدوةً لحديثهم"[٣].

سابعاً: مراد هوفمان

١/ إثبات تأثير القرآن الكريم وبلاغته حتى هذا العصر فيقول: "فقد أصبح الكتاب الوحيد الذي تعددت ترجماته في لغة واحدة، أكثر من أي كتاب مترجم في العالم، وأن يقرؤوا نصوصها التي يزيد عمرها عن ألف وأربعمائة عام، دون الحاجة إلى ترجمتها إلى (لغة عربية حديثة)"[٤]، ويؤكد تأثيره

---

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٣.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ١٣.

(٣) مارتن لينجز، معتقدات قديمة وخرافات حديثة، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٩، ص٢٦.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٣.

حتى في هذا العصـــر فيقول: "إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد على وجه الأرض الذي حافظت لغته على ما كانت عليه أكثر من (١٤٠٠) سنة"(١).

٢/ يؤكد تأثير القرآن وبلاغته فيقول: "قد يرفض المســلم مضــمون القرآن؛ لكنه لا يســتطيع إنكار إعجابه وتأثره بروعة النص القرآني وأســـر نظمه المحكم، وبلاغته وفصـــاحته الآخذة بالألباب والتي ســحرت وبهرت حتى من لســانه أعجمي"(٢)، ويؤكد مراد هوفمان على أن القرآن الكريم مرتب بطريقة ممتازة(٣).

٣/ إثبات معجزة القرآن الخالدة وتأثيره على النفوس فيقول: "وهكذا يقتصــر التســاؤل الموجه إلى القرآن فيما إذا كان محمد حقاً نبياً: إنه قضـــية إيمان بالنســـبة لمن يتحدث اللغة العربية كلغة أم فيمكن أن يقتنع بســـهولة من خلال إعجاز القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم معجزة لغوية بالنســـبة للعرب؛ أما القرّاء الغربيون فيمكن إقناعهم من خلال حقيقة أن تاريخ الطبيعة وعلم الكون وغير ذلك من مقولات في علوم الطبيعة الواردة في القرآن تتوافق بلا اســـتثناء مع المعارف الحديثة، ودون اعتبار القرآن –بسبب ذلك- كتاباً تعليمياً في مجال علوم الطبيعة"(٤).

٤/ إثبات تأثير القرآن الكريم وفضل تلاوته فيقول: "كانت تلاوة القرآن والسنة وحفظهما عند المسلمين وأهل الكتاب بلا منازع أكثر الأعمال طبيعية، ونتيجة لذلك أصبحت الحضارة الإسلامية واحدة من مفاخر الدنيا"(٥).

٥/ التأكيد على أهمية حفظ القرآن الكريم وتأثيره على الأمة فيقول: "وليكن شـعارنا: القرآن! القرآن! حفظ القرآن من الأعمال الرائعة التي تمارس بكل حيوية، وبازدياد بين مختلف الأعمار وبفضــل هذه الســنة، صــمد الإســلام ســليماً معافى بعد قرون من القمع الوحشــي، كما في ألبانيا والصين والاتحاد السوفيتي وإسبانيا الكاثوليكية"(٦).

---

(١) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٢.

(٣) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٢٠٩.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٤٢.

(٥) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرقي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٤١.

(٦) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٦٩.

ثامناً: جاري مللر

١/ إثبات تأثير القرآن الكريم وبلاغته حتى عند غير المسلمين فيقول: "ليس المسلمين هم فقط الذين يطلقون على القرآن الكريم بأنه رائع ومدهش، وهم فقط الذين يقدرون هذا الكتاب ويجلونه في الحقيقة، فقد أطلق عليه غير المسلمين هذه الصفة، وحتى من أناس يكرهون الإسلام كراهية كبيرة، ما زالوا يطلقون عليه هذه الصفة"(١).

٢/ التأكيد على إعجاب غير المسلمين بهذا القرآن الكريم فيقول: "إحدى النقاط التي تحير غير المسلمين حينما ينظرون في هذا الكتاب نظرة وثيقة، أن القرآن يظهر لهم بغير ما كانوا يتوقعونه، وكانوا يتوقعون كتاباً قديماً مر عليه أربعة عشر قرناً، وخرج من الصحراء العربية؛ وهذه كانت هي نظرتهم المسبقة لهذا الكتاب، ويفاجئون بأنه ليس كما توقعوا بالمرة، بالإضافة إلى ذلك فهم كانوا يتوقعون أن الكتاب سيتكلم عن الصحراء التي خرج منها، نعم قد تكلم القرآن الكريم عن الصحراء في بعض سوره؛ ولكنه أيضاً تكلم عن البحار وماذا يحدث فيها من العواصف"(٢).

من خلال ما سبق يؤكد هؤلاء المستشرقون السابقون بلاغة القرآن الكريم وتأثيره على نفوس المسلمين؛ بل تعدى تأثيره إلى غير المسلمين، وبينوا روعة أسلوب القرآن الكريم وقوة عباراته وحسن معانيه وجمال تعبيره، كما أكدوا أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، فلغته العربية حية إلى قيام الساعة يفهمها الملايين من البشر، ونادى البعض منهم بحفظ القرآن الكريم وأهمية تلاوته في حياة المسلم، لأنه بفضله صمد الإسلام في كثير من البلاد الإسلامية رغم الاضطهاد، كما في ألبانيا والصين والاتحاد السوفيتي وإسبانيا الكاثوليكية حتى أصبحت الحضارة الإسلامية واحدة من مفاخر الدنيا.

(١) جاري مللر، القرآن المعجز، ص٧.

(٢) جاري مللر، القرآن المعجز، ص٨.

المطلب الثالث: جهودهم في بيان الإعجاز القرآني (بيان توافق حقائق العلم مع القرآن الكريم)

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة على مر العصور، فهو يحث العقل البشري على التأمل والتفكر في الكون؛ حيث جاءت آيات كثيرة تتحدث عن الحقائق الكونية والاكتشافات الحديثة التي أثبتها العلم الحديث، وأكد التوافق التام مع الحقائق العلمية، وقد أبرز القرآن الكريم جوانب من إعجازه؛ ليقيم بذلك الحجة على الناس، ويبين أنه منزل من عند الله سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة فصلت: ٥٣].

إن الحقائق الكونية التي جاءت في القرآن الكريم، لا يستطيع أحد من خلقه أن يحيط بها مهما اتسعت مداركه العلمية، فكيف يكون الأمر إذا جاءت هذه الحقائق على لسان رجل أمي عاش في بيئة أمية، لا شك أن هذا يدل دلالة قاطعة أن القرآن الكريم منزل من الله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [سورة الفرقان: ٦]، من هنا كان تركيز بعض المستشرقين الذين أسلموا على بيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وخصصوا لذلك أبواباً وفصولاً؛ بل مؤلفات متخصصة، وقد كان اثنان من عينة الدراسة وهما موريس بوكاي وجاري مللر كان سبب هدايتهم هو الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وهنا أذكر بعض الشواهد من خلال كتبهم في هذا الشأن.

أولاً: محمد أسد

١/ إثبات الإعجاز القرآني وتوافق القرآن الكريم مع الاكتشافات العليمة؛ حيث يقول: "وفي ما يتعلق بالقرآن، فإن هذا التوافق الداخلي بين المقولات القرآنية وهذه الاكتشافات العلمية الثابتة التي لا يلتبس بها أي شك يمكن إثباته بأمثلة كثيرة، وسأورد عدداً منها هنا مثل مبدأ التطور الذي يشير إليه القرآن مرة بعد مرة، وهو التطور البيولوجي للكائنات الحية بما فيها نمو الجنين في رحم أمه والتطور الاجتماعي التاريخي للمجتمعات والحضارات الإنسانية، وهناك الإشارات القرآنية إلى الأجرام السماوية كالنجوم والكواكب والأنظمة الشمسية والمجرات، والاعتماد المتبادل بين الأفلاك، وهناك مبدأ السبب والنتيجة الذي يكمن وراء وجود كل ما هو كائن ونموه كما يشير القرآن مراراً"(١).

---

(١) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٥٧.

٢/ التأكيد على ملائمة رســـالة الله لكل زمان ومكان فيقول: "فنحن نعتقد -بل نعلم- أن رسالة الإسلام هي رسالة الله إلى البشر التي تصلح، ليس لزمان واحد؛ بل لكل زمان وإلا ما كتبت هذه الصـفحات، وما كان عليك أن تقرأها، فإذا كان الأمر كذلك، فلا أنت ولا أنا على اسـتعداد للإقرار ولو للحظة بأن روح الإســـلام ربما لم تكن ملائمة للحاجات الحقيقية لهذا الزمن أو أي زمن غيره؛ بل إننا على العكس من ذلك، موقنون بأن تعاليم الإسلام تتيح كل ما يحتاجه الإنسـان روحياً واجتماعياً بغض النظر عن مرحلة تطوره؛ لكننا من جانب آخر نواجه حقيقة واقعة بأن روح الإسلام ليست مترجمة إلى أفعال في حياة ملايين المؤمنين بالإسلام"[١].

ثانياً: موريس بوكاي

١/ إثبات أن القرآن الكريم لا يتناقض مع حقائق العلم الحديث فيقول: "إن المسـلمين يعتبرون أن القرآن الكريم لا يتناقض مع حقائق العلم والمعطيات ذات الصـبغة العلمية في القرآن الكريم[٢]، لا تتناقض مع حقائق العلوم الوضـعية التي أثبت العلماء صـحتها بما لا يدع مجالاً للشـك، والفحص الدقيق بمعايير العلوم الحديثة لم يثبت بالفعل ما يستوجب تغيير موقف المسلمين كلام الله الذي أوحاه الله في القرآن الكريم، ونجد أن القرآن الكريم قد تضـمن كثيراً جدًا من الحقائق ذات الاتصـال الوشيج بحقائق العلم وهي كثيرة جدًا، وهي أكثر بكثير من تلك الموجودة بالإنجيل، ولا وجه للمقارنة بين العدد الضئيل المحدود من الحقائق العلمية المذكورة في الإنجيل مع تعارضـها مع حقائق العلوم الوضـعية والعدد الكبير من الحقائق العلمية الموجودة في القرآن الكريم مع اتفاقها واتساقها مع معطيات وحقائق العلوم الوضعية، وإن الحقائق ذات الصفة العلمية الموجودة بالقرآن الكريم يستحيل نقضها أو بيان أي خطأ فيها من وجهة نظر العلوم الوضعية"[٣].

٢/ ومما يبعث على الدهشة عند موريس بوكاي علاقة القرآن بالعلم وهي علاقة اتساق واتفاق فيقول: "تثير العلاقة بين القرآن والعلم أولاً وقبل كل شيء الدهشة خصوصًا عندما نكتشف أن هذه العلاقة إنما هي علاقة اتســاق واتفاق وانســجام وليســت علاقة تعارض وتنافر وتناقض، فالقرآن في

(١) المرجع السابق، ص ٤٧.

(٢) القرآن الكريم معجز بذاته وليس الإعجاز باعتبار المسلمين.

(٣) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٦-٢٧.

حقيقة أمره من أوله إلى آخره كما تدل على ذلك نصوصه الفعلية إنما هو رسالة من الله إلى كل البشر تلقاها محمد نبي الإسلام وحيا من الله وأبلغها كما هي إلى البشر"[١].

٣/ الاعتراف الحقيقي والتجربة الدقيقة للحقائق العلمية المذكورة في القرآن قبل إسلامه فيقول: "إنني لم أكن أتوقع على الإطلاق أن أكتشف هذا العدد الكبير من الحقائق العلمية في موضوعات شديدة التنوع في القرآن، وأكتشف أنها مطابقة تمامًا لحقائق العلوم الحديثة في تخصصات شتى، والمدهش حقًا أننا نجد ذلك التطابق بين الحقائق المذكورة في القرآن وحقائق العلوم الحديثة موجودة في نصوص كتاب سماوي أُنزِلَت نصوصه منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا من الزمان، ولم يكن عندي في البداية أي إيمان بالإسلام، ولقد شرعت في دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة، وإذا كان هنالك أي تأثير مسبق فهو بالطبع تأثير التعاليم المعادية للإسلام التي كنت قد تلقيتها في شبابي؛ إذ كانت غالبية علماء المسيحية لا تتحدث عن المسلمين باعتبار أنهم المسلمون؛ ولكن باعتبار أنهم (المحمديون) لترسيخ الاعتقاد الخاطئ في الغرب بأن الإسلام دين افتراه أعرابي اسمه محمد، وهو بناء على ذلك دين خاطئ عديم القيمة عند الله"[٢].

٤/ الدراسة العميقة التي قام بها بنفسه؛ حيث توصل إلى نتيجة بأنك لا تجد في القرآن ما يتعارض مع وجهة نظر العلم الحديث فيقول: "ولقد قمت بفحص ودراسة نصوص القرآن الكريم بهذا الصدد بروح موضوعية تمامًا وبدون أية أفكار أو أحكام مسبقة، ولقد كنت أبحث في حقيقة الأمر عن مدى اتفاق نصوص القرآن الكريم مع معطيات العلم الحديث، ولقد كنت قد عرفت من ترجمة معاني القرآن الكريم أن القرآن الكريم فيه كثير من الإشارات إلى الظواهر الطبيعية؛ ولكن لم أحظ إلا بإشارة موجزة إلى ذلك، وعندما فحصت نصوص القرآن كما هي باللغة العربية فقط استطعت أن أحتفظ بقائمة للظواهر الطبيعية الكثيرة التي أشار إليها القرآن الكريم، ويتعين عليَّ في النهاية وبعد هذا الفحص الدقيق الشامل أن أعلن النتيجة الحاسمة التي وجدتها أمامي وهي أن القرآن الكريم لا تتضمن نصوصه خبرًا واحدًا يمكن نقضه من وجهة نظر العلم الحديث"[٣].

٥/ التأكيد على وجود الحقائق العلمية في القرآن الكريم فيقول: "أول ما يثير الانتباه والدهشة عند دراسة الحقائق العلمية في نصوص القرآن هو كثرة هذه الموضوعات العلمية في نصوص القرآن،

---

(١) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٥.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩.

وهي موضـــوعات تتعلق بكيفية خلق الله للعالم وتتعلق بعلم الفلك وتفســـير بعض المســـائل المتعلقة بالأرض التي يعيش عليها سائر مخلوقات الله على الأرض من حيوانات ونباتات بالإضافة إلى المسائل المتصلة بالتناسل والتكاثر"(١).

٦/ بيان تميز القرآن الكريم في وصـــف الحقائق العلمية فيقول: "يتميز القرآن بمعالم أصـــيلة تميزه عن التوراة، وأحد هذه المعالم يهدف إلى إيضـاح التأكيدات المتكررة للقدرة الإلهية، ويشـير القرآن إلى كثرة من الظواهر الطبيعية، وفي إشـــارته إلى عدد كبير من هذه الظواهر الطبيعية نجد أن القرآن الكريم يمدنا بوصـف تفصيلي عن طريقة تطور تلك الظواهر الطبيعية وأسبابها وآثارها، وجميع هذه التفاصيل تجذب الاهتمام وتسـتحق التقدير، ولقد كانت الآيات التي تناولت الإنسـان في القرآن من بين أكثر الآيات التي أدهشـتني عندما قرأت القرآن لأول مرة بلغته الأصـلية باللغة العربية، واللغة الأصـلية فقط، وهي التي تسـتطيع أن تلقي ضـوءًا على المعنى الحقيقي للآيات التي غالبًا ما يُسـاء ترجمتها للأسـباب التي ذكرناها آنفًا، وأما السبب في أن هذه الاكتشـافات مهمة جدًا فهو أنها تشـير إلى كثير من الآراء التي لم تكن معروفة وقت نزول القرآن على الإنسـان، والتي ثبت بعد مرور أربعة عشـر قرنًا أنها تتسـق مع المعارف الحديثة وتنسجم معها انسجامًا تامًا"(٢).

٧/ تأكيد حث القرآن الكريم على التأمل والنظر واشـــتماله على ظواهر طبيعية فيقول: "إن القرآن يدعو إلى المواظبة على الاشتغال بالعلم، والقرآن أيضًا يحتوى على ملاحظات وأحكام تتصـل ببعض الظاهرات الطبيعية مع ذِكْر بعض التفاصـــيل العلمية التي تتفق تمامًا وباطراد مع حقائق العلم الحديث، وليس هنالك ما يماثل ذلك في التوراة أو في الأناجيل"(٣)، "ويدعو الإســـلام إلى المعرفة والعلم والاطلاع خلافاً للمســـيحية فيقول موريس بوكاي: "أما في الإســـلام، فلقد كان الموقف إزاء العلوم الطبيعية مختلفًا، وليس هنالك ما هو أوضــح في هذا الصــدد من الحديث النبوي الذي يقول: ((اطلبوا العلم ولو في الصين))"(٤).

٨/ يعـدد موريس بوكـاي بعض الحقـائق العلميـة التي توافق القرآن الكريم، فـذكر مـا يلي مع الأدلة:

---

(١) المرجع السابق، ص١٦٦-١٦٧.

(٢) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ ص١٨٥.

(٣) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٦٠-١٦١.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٠-١٦١.

- تبين أن أصل الحياة مائي قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴿٥٣﴾﴾ [سورة طه: ٥٣](١).

- يشير إلى أجزاء النبات المختلفة (أعضاء التذكير والتأنيث في النبات): ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴿٥٣﴾﴾ [سورة طه: ٥٣](٢).

- المعنى الروحي العميق لخلق الإنسان من الأرض كما يتضح من الآيتين التاليتين، فقد تم تصوير الإنسان في القرآن باعتباره الكائن المرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأرض ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة نوح: ١٧]، ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة طه: ٥٥](٣).

- الإنسان يتكون من مكونات موجودة في الأرض، وهذه الفكرة تتبلور بوضوح من ثنايا آيات عديدة، تتبين فيها العناصر التكوينية بأسماء مختلفة: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾﴾ [سورة هود: ٦١]، لقد تكررت فكرة أن أصل الإنسان من الأرض، قال تعالى: ﴿إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النجم: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴿٥﴾﴾ [سورة الحج: ٥]، وفيها يتحدث الله إلى الإنسان، ولقد تكرر في القرآن أن أصل الإنسان هو التراب في عدة آيات(٤).

- توحي الصورة هنا بأن الله شكَّل للإنسان نموذجًا كما يتضح من الآية التالية، ونجد كذلك فكرة تشكيل الإنسان، وهذا هو موضوع القسم التالي من الفصل الحالي: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الحجر: ٢٦](٥).

- تمام الإخصاب بفضل كمية ضئيلة جدًا من السائل، انظر إلى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٤﴾﴾ [سورة النحل: ٤]، وقد تكررت هذه الآية إحدى عشرة مرة في القرآن، والنطفة هنا تعني الكمية الصغيرة جدًا من السائل المنوي، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة القيامة: ٣٧](٦).

---

(١) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ ص١٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٨٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٩٠.

(٤) المرجع السابق، ص١٩٢.

(٥) المرجع السابق، ص١٩٢.

(٦) المرجع السابق، ص٢٣٢.

– من الحقائق العلمية الثابتة التي يتوافق القرآن معها: التناسل الإنساني، ومراحل نمو الجنين في الرحم... الخ، يقول تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [سورة الإنسان: ٢][١].

٩/ بيان تعارض الأناجيل وتناقضها مع بعضها بخلاف القرآن الكريم فيقول: "وعندما نشرع ونبدأ في أن نفتح الأناجيل تجابهنا في الحال مشكلة عويصة خطيرة على الصفحة الأولى نجد سلسلة أنساب المسيح؛ ولكن إنجيل مَتَّى يقع في تناقض واضح مع إنجيل لوقا بشأن سلسلة نسب المسيح، وإنجيل لوقا لا يقدم لنا شيئًا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة ببدء ظهور الإنسان على سطح الأرض"[٢]، ونصوص كثيرة بالأناجيل تنبئ عن وجود تناقضات واضحة، ومن المستحيل القبول بحقيقتين تعارض إحداهما الأخرى، ولا يمكن القبول ببعض النظريات والآراء التي تتعارض تمامًا مع معطيات وحقائق المعارف العلمية الحديثة[٣]، وإن التطور التاريخي للأناجيل من حيث تطوير وتغيير محتوى نصوص الأناجيل حقيقة لاريب فيها[٤] وأوضح مبدأً مهماً جداً في هذه المسألة فيقول: "نجد أن القرآن الكريم ليس كتابًا يهدف إلى دراسة علمية لبعض القوانين العلمية التي تحكم العالم؛ ليكون كتابًا من الكتب العلمية البحتة، إن للقرآن هدفًا دينيًا جوهريًا في المقام الأول"[٥].

١٠/ بيان تعارض النصوص في التوراة بخلاف القرآن فيقول: "إجراء مقارنة بين كثير من روايات التوراة لأحداث ووقائع مُعَيَّنة مع روايات نفس الموضوعات والأحداث والوقائع في القرآن الكريم تُظْهِرُ لنا بوضوح الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علميًا ولا منطقيًا وبين رواية القرآن الكريم لنفس الموضوعات رواية تتفق مع النظرة العلمية وتتسق مع المعقولية دون إعطاء أي تفصيلات يمكن دحضها وإثبات أي تناقض فيها بعكس التوراة التي تعطي تفصيلات كثيرة غير صحيحة وغير معقولة وغير مقبولة، ولقد رأينا أمثلة لذلك على صفحات هذا الكتاب مثل روايات بدء خلق العالم، ورواية الطوفان في كل من نصوص التوراة ونصوص القرآن، مما يدحض كل ادعاء

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٤.
(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٩.
(٣) المرجع السابق، ص١٥١.
(٤) المرجع السابق، ص١٥٢.
(٥) المرجع السابق، ص١٦٨.

جزافي عن نَقْلِ محمد صلى الله عليه وسلم للتوراة لتأليف القرآن، وكأن القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، عَمَدَ فيه إلى تقليد التوراة والأناجيل"(١).

١١/ إثبات تعارض نصوص العهد القديم عكس ما وجده مع القرآن الكريم فيقول: "ولقد كررت نفس الاختبار فيما يتعلق بالعهد القديم وفيما يتعلق بالأناجيل محتفظًا بنفس النظرة الموضوعية في البحث والفحص والتدقيق، وفيما يتعلق بشأن التوراة لم أحتج أن أذهب إلى أكثر من السفر الأول من أسفار التوراة وهو سفر التكوين لكي أجد أحكامًا ومعطيات توراتية لا تتسق إطلاقًا مع الحقائق العلمية المسلم بصحتها تمام التسليم في العلم الحديث"(٢).

١٢/ الإشارة إلى النتائج السلبية من أخطاء ترجمة القرآن الكريم وخطورتها فيقول: "لماذا توجد أخطاء في ترجمة بعض نصوص القرآن المتعلقة ببعض حقائق العلم؟ السبب في ذلك -فيما نرى- هو أن بعض المترجمين في العصر الحديث يعتمدون في الترجمة لنصوص القرآن في أحيان كثيرة ودون قدرة على تمحيص كاف على تفسيرات مفسرين من العصور القديمة، ولقد كان لهؤلاء المفسرين القدامى بعض العذر في إعطاء تفسيرات ومعانٍ غير دقيقة لبعض الألفاظ أو التعبيرات أو الجمل، وربما كان اللفظ المستخدم متعدد المعاني، ولم يكن باستطاعتهم تحديد المعنى المقصود بحزم وحسم، وهنالك معان لألفاظ في القرآن الكريم لم ينكشف معناها الصحيح إلا في العصر الحديث عندما تقدمت لدينا المعارف العلمية السليمة في بعض موضوعات العلوم الحديثة، ويمكن لنا أن نقول بمعنى آخر: إنه من الضروري أن تراجع الترجمات والتعليقات لبعض نصوص القرآن المتعلقة بحقائق العلوم الطبيعية الحديثة، وهي النصوص التي لم يكن المفسرون القدماء يستطيعون الإلمام بمعانيها على نحو صحيح ودقيق وحقيقي"(٣).

ثالثاً: مراد هوفمان

١/ بيان حث القرآن الكريم على التفكر والتأمل فيقول: "فإن الله يأمر -من خلال النصوص التي وردت في القرآن- المؤمنين بالتفكير والتأمل وإعمال العقل (القرآن هو النص المقدس الوحيد - بين الأديان الثلاثة- الذي يحث على ذلك)"(٤).

---

(١) المرجع السابق، ص٢٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٦٤.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٩٤.

٢/ بيان توافق الحقائق العلمية للقرآن الكريم فيقول: "وأرى شخصيًا أن تصوير القرآن الكريم لحمل المرأة، في سورة العلق الآية الثانية، قبل ألف وأربعمائة عام، والذي يؤيده العلم الحديث تأييداً تامًا، تصوير مذهل: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [سورة العلق: ٢]، فَتَشَبُّثُ الخلية (بويضة الأنثى والحيوان المنوي معًا) وعلوقُها بجدار الرحم واتخاذها قرارًا مكينًا لها، إعجاز بَيِّنَةُ القرآنُ قبل العلم الحديث بأكثر من ألف وأربعمائة عام!"(١).

٣/ يسوق حقائق علمية تدلل على حرمة لحم الخنزير فيقول: "ومن الخطأ تصور أن تحريم القرآن لتناول لحم الخنزير إنما يعود إلى أسباب مناخية فقط، أو إلى عدم القدرة على التعامل مع الدودة الشريطية في القرن السابع الميلادي، فنحن نعلم اليوم أن تناول لحم الخنزير يؤدي إلى الإصابة بسرطان الأمعاء، وبالتهاب المفاصل وبالأكزيما والدمامل وإلى ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم وإلى الإصابة بحمى القراص بسبب ارتفاع نسبة الهستامين"(٢).

٤/ التحذير من التوسع في كشف الحقائق العلمية وربطها في شتى مجالات الحياة فيقول: "لكن لا يمكن الاتفاق مع من ذهب بأن القرآن يشبه موسوعة علمية في الفيزياء والكيمياء وأيضاً علم الأحياء بوصفه مصدراً للمعرفة العلمية، وللأسف، فبعض الأكاديميين المسلمين قد انجرفوا تحت تأثير الغواية للبرهنة على صحة ذلك، مدعين على سبيل المثال بأن القرآن قد احتوى على معرفة كل ما يتعلق بالكهرباء، واستكشاف الفضاء ونظرية الانفجار العظيم، وما شابه ذلك، في كل هذه الحالات، فهؤلاء المؤلفين قد استرجعوا من القرآن المعاني التي قد أودعوها إياه في أول الأمر بهذا الأسلوب من التفسير"(٣).

٥/ بيان أن القرآن رسالة إلهية وليس معجماً علمياً فيقول: "ينبغي ألا نفقد على الإطلاق النظرة إلى القرآن على أنه ليس معجماً علمياً؛ ولكنه رسالة إلهية تتعلق بأسلوب ممارسة الحياة في تبنى الإيمان بالله، وتؤسس القواعد الأخلاقية، إن ما يسبب الضرر البالغ للعقيدة الإسلامية، هو أن تصبح رهينة للنظريات العلمية المفترض أنها متضمنة داخل السياق القرآني، الادعاء بأن رسالة القرآن تتطابق مع النظريات الاقتصادية المعاصرة، أو تلك الخاصة بالفيزياء أو الكيمياء أو علم الأحياء، هو نوع من المخاطرة الشديدة حتى إن كان يبدو أن هناك تطابقاً في الوقت الحالي؛ لكن ماذا يمكن أن يحدث إذا

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٢.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٨٩.

(٣) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص٩٨.

تغيرت النظريات العلمية، كما هي القاعدة؟ هل علينا عندئذ إعادة تفسير القرآن مع كل توجه علمي جديد؟ طبقا للقرآن، فإن العالم قد خلق بإرادة الله ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١١٧]، ذلك يعني أن الكون قد خلق من العدم، وليس لعباً أو لهواً ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٦]. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥]؛ ولكن لهدف: هو أن يخلق الله خليفته في الأرض ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٦٥] [١].

رابعاً: جاري مللر

١/ التأكيد على توافق الحقائق العلمية للقرآن الكريم فيستشهد بقصة فيقول: "منذ سنوات وصلتنا في تورونتو قصة عن بحار تجاري يعيش في البحر أهداه أحد المسلمين نسخة مترجمة من القرآن ليقرأها، البحار لم يعلم شيئاً في التاريخ عن الإسلام؛ ولكنه كان مهتماً لقراءة القرآن، وعندما انتهى من قراءته أعاد النسخة للمسلم وسأله هل كان محمد عليه الصلاة والسلام بحارا؟؟؟ كان متأثراً بشدة بما قرأه في القرآن عن العواصف في البحر، وحينما أخبر بالنفي وبأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعيش في الصحراء، كان هذا كافياً له وأعلن إسلامه، فقد عايش العواصف في البحر، ووجد الدقة في وصفها في القرآن الكريم، وأيقن أن من يكتب هذا الوصف لا يمكن إلا أن يكون عاينه، ولما كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يركب البحر، فلا بد أن يكون هذا من عند الله سبحانه وتعالى الآية رقم (٢٤) من سورة النور ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النور: ٤٠] [٢].

٢/ ذكر معجزة النحل للدلالة على توافق الحقيقة العلمية للقرآن الكريم فيقول: "في سورة النحل الآيات (٦٨و٦٩) يخبرنا القرآن أن إناث النحل تترك خلاياها لجمع الغذاء، يمكن لشخص ما أن يفكر الآن في عصرنا، أن النحل الذي يطير حولنا ربما يكون أنثى أو ربما يكون ذكراً وأنا أعتقد أنها أنثى، بالتأكيد لديه فرصة من اثنتين أن يكون مصيباً، بالتأكيد أن القرآن على حق؛ ولكن ذلك ليس ما اعتقده معظم الناس في زمن نزول القرآن، هل يمكنك التمييز بين ذكر النحل

(١) المرجع السابق، ص٩٨-٩٩.

(٢) جاري مللر، القرآن المعجز، ص٩.

وأنثى النحل؟ يحتاج الأمر لخبير للتمييز بينهما؛ ولكن تم الاكتشـاف بأن ذكر النحل لا يغادر الخلية أبداً لجمع الغذاء"(١).

٣/ ذكر معجزة الذرة للدلالة على توافق الحقيقة العلمية للقرآن الكريم فيقول: "قبل النبوة بعدة قرون كانت هناك نظرية معروفة عند الإغريق، بأن المادة تتكون من ذرات دقيقة لا تتحطم غير مرئية، وأيضاً كان العرب يعرفون نفس المعنى، وكلمة (ذرة) في أدبهم، ويعرفون أنها أصغر شيء ممكن، الآن وقد جاء العلم الحديث واكتشف أن هذه الذرة من الممكن تحطيمها إلى الجزيئات الأصغر التي تكونها، هذه نظرية جديدة اكتشفت فقط في القرن الماضي، وقد ألمح لها القرآن الكريم في سورة سبأ الآية رقم (٣) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾ [سورة سبأ: ٣]. مما لا شك فيه أن مثل هذا التقرير يعتبر غريباً على من سمعوه من أربعة عشر قرناً، وهذا مما يدل على أن القرآن متجدد كل حين"(٢).

من خلال ما سـبق يؤكد كلٌ من محمد أسـد وموريس بوكاي ومراد هوفمان وجاري مللر أن القرآن الكريم لا يتناقض مع حقائق العلم الحديث، وأن العلاقة بين القرآن والعلم إنما هي علاقة اتساق واتفاق وانسجام وليست علاقة تعارض وتنافر وتناقض، مع تأكيد أن القرآن ليس مصدراً للمعرفة العلمية وموسوعة علمية في الفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء، فالقرآن في حقيقة أمره إنما هو رسالة دينية من الله إلى كافة الناس أجمعين.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٠.

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في رد الشبهات المثارة حول القرآن الكريم.

المطلب الأول: جهودهم في رد شبهة (بشرية القران الكريم).

عندما بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام إلى الناس أيدهم بالمعجزات، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم أيده الله بمعجزة خالدة إلى يوم القيامة؛ ألا وهي القرآن الكريم الذي تحدى الله به كفار قريش وغيرهم أن يأتوا بسورة واحدة؛ بل تحداهم أن يأتوا بآية واحدة، وهذا من إعجاز القرآن الكريم.

ويدعي أعداء الإسلام بالباطل في معرض إنكارهم للإسلام وللرسالة المحمدية أن القرآن الذي جاء به محمد إنما هو من تأليفه أو أنه وحي من الشيطان إلى محمد صلى الله عليه وسلم وليس كلام الله ووحيه، وهذه شبهة قديمة؛ حيث كذبته قريش حينما بعث إليهم، يقول الله تعالى على لسان هؤلاء المشركين: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ [سورة هود: ١٣]. هذا ادعاؤهم؛ وجاء الرد عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾ [سورة هود: ١٣]. وهذا الاتهام القديم ما زال باقياً في كتب المستشرقين الغربيين المتحاملين على الإسلام ويثيرونه بين الفينة والأخرى.

ولاستجلاء هذه الشبهة التي ورد الرد عليها في كتابات المستشرقين الذين أسلموا كان للباحث هذه الوقفات لبيان الحق فيها، وأشير إلى بعض منها.

أولاً: اتيين دينيه

١/ الرد على القائلين بأن محمداً صلى الله عليه وسلم ألف القرآن الكريم فيقول: "حقاً إنه ليدهشني أن بعض المستشرقين يقولون بأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد انتهز فرصة الخلوة هذه ورتب عمله في المستقبل؛ بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، فوسوس بأن محمداً صلى الله عليه وسلم ألف في تلك الفترة القرآن كله، أحقاً لم يلاحظوا أن هذا الكتاب الإلهي خال من أية خطة سابقة على وجوده، مرسومة على نسق المناهج الإنسانية، وأن كل سورة من سوره منفصلة عن غيرها، وخاصة بحادثة وقعت، بعد الرسالة، طيلة فترة تزيد على عشرين عاماً، وأنه كان من المستحيل على محمد صلى الله عليه وسلم أن يتوقع ذلك ويتنبأ به؟ ولكنهم في جهلهم بالعقلية العربية لم يجدوا غير ذلك تعليلاً لهذا التحنث الطويل، لا شك أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يدر بخلده أثناء تلك

الفترة شيء مما يزعمه المستشرقون، ولم يرو في نفسه أية خطة أو منهج، حقيقة إنه في خلوته كان يتأمل؛ ولكنه لم يكن يقدر؛ ولقد استمر كذلك إلى أن حان الموعد الذي حددته العناية الإلهية التجلي، عن طريق من اختارته رسولا"(١).

٢/ بيان استحالة أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم ألَّف القرآن الكريم فيقول: "لقد حاول بعض المؤرخين المعاصرين أن يدعو إلى الشك في ذلك الإخلاص العظيم المؤثر الذي امتاز به محمد، وحاولوا أن يصوروه في صورة رجل لا مؤهلات لديه للعظمة، إلا الطمع المؤسس على المهارة، ورأيهم هذا لا يصدر إلا عن شخص أعماه التعصب، ولا يصدر إلا في زمن يشبه الزمن الذي كانت تقوم فيه محاكم التفتيش، أيستطيع رجل مخادع أن يؤسس ديناً؟ كلا وربي: إن رجلاً مخادعاً لا يستطيع أن يقيم بيتاً من آجر!! إنه لو لم يكن عليماً بخواص الطوب والمؤنة وسائر المواد البنائية الأخرى، لما استطاع أن يقيم بيتاً، ولن يقيم -إذا قام- إلا أكواماً منقضة لا يمكن أن تقوم اثني عشر قرناً تضم بين جدرانها ما يربو على مائة وثمانين مليوناً من الناس، إن بناء المخادع ينهار لا شك لساعته"(٢).

٣/ إثبات أن القرآن الكريم ليس قول محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث يقول: "أما عرب الحجاز الذين يدركون أدق معاني اللغة القرآنية التي هي لغتهم الخاصة، والذين أخذوا السور عن مواطنهم الرسول العبقري، فكانوا لا يسمعون القرآن إلا وتتملك نفوسهم انفعالات هائلة مباغتة، فيظلون في مكانهم، وكأنهم قد سمروا فيه، أهذه الآيات الخارقة تأتي من محمد، ذلك الأمي الذي لم ينل حظًّا من المعرفة، اللهم إلا ما حبته به الطبيعة وما امتاز به من رقة في الشعور؟ كلا، إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد، وإنه لا مناص من الاعتراف بأن الله العلي القدير هو الذي أملى تلك الآيات البينات، إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يكن مخادعًا، حين قال: إن الله هو الذي أنزل القرآن"(٣).

ثانياً: لورد هدلي

الرد على شبهة القائلين بأن القرآن الكريم قول بشر بقوله: "الإسلام ينادي بأن يكون دينًا شاملاً؛ لأن محمد كان مرشدًا للجميع، وكانت رسالته لكل الجنس البشري، وشريعته لم يأت بها من عند نفسه؛ بل إنها خالية من تدخل أي بشر في وضعها، وقوانين الطبيعة المتضمن لها القرآن ما هي

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٠٧-١٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٦-١٣٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٨، وليس هناك حديث بهذا اللفظ لكن المعنى صحيح والآيات تدل عليه.

إلا قوانين سماوية، القانون المحمدي[١] قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه وهو قانون نسج بأحكم نظام قضائي وأعظم قضاء علمي وأعظم تشريع منور، ما وجد قط مثله في هذا العالم من قبل"[٢].

ثالثاً: موريس بوكاي

١/ تأكيد استحالة أن يكون القرآن قول بشر باعتبارين فيقول: "إن مثل هذين الاعتبارين: أمية محمد صلى الله عليه وسلم، ووجود مضمون علمي في آيات القرآن الكريم لم تكن الإحاطة به متاحة في العصر الذي عاش فيه محمد صلى الله عليه وسلم، يقودان بالضرورة ويفضيان إلى الحكم بعدم معقولية أن إنساناً كان يعيش في القرن السابع بعد الميلاد استطاع أن يؤلف من تلقاء نفسه كتابًا هو القرآن الكريم بكل ما فيه من بلاغة لغوية، وبكل ما يتضمنه من حقائق علمية لم يحط بها البشر خبرًا ولم تنم إلى الأفكار العلمية التي كانت متاحة في عصره، ولم تصل إليها مدارك البشر إلا بعد قرون عديدة عندما تمكنت البشرية من اكتشاف هذه الحقائق العلمية التي تضمنتها بعض آيات القرآن الكريم، وتم التحقق بالمناهج العلمية من صحة هذه الحقائق العلمية، وفي رأيي أنه يستحيل أي تفسير وضعي للقرآن، ولا صحة إطلاقًا لافتراض أن محتوى القرآن الكريم ليس وحيًا إلهيًا أوحاه الله إلى نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم"[٣].

٢/ إثبات أن القرآن الكريم وحي من عند الله وليس قول بشر فيقول: "لدينا نصوص صريحة تثبت أن نصوص القرآن الكريم التي أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم قبل مغادرته مكة إلى المدينة (قبل الهجرة) كانت مدونة كتابيًا، وسنرى أن آيات القرآن الكريم نفسها تدل على ذلك وتقرره صراحة وبكل حسم ووضوح، ومن المعروف أن محمدًا صلى الله عليه وسلم وكل أتباعه من المسلمين الأوائل، كانوا قد اعتادوا تلاوة وترديد وتكرار النص القرآني الذي أنزله الله إليه ومن غير المعقول أن يتضمن القرآن أمورًا لا تتفق مع الواقع الذي يعيشه الناس المعاصرون ولا يستطيع أحد تغيير حرف أو كلمة في النص القرآني في وجود النبي صلى الله عليه وسلم وفي وجود النص مكتوبًا بأيدي المسلمين الأوائل .... وهناك نصوص قرآنية في أربع سُوَر من القرآن الكريم تشير إلى تدوين ما أنزله الله من القرآن الكريم كتابيًا قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة عام ٦٢٢م وهي

(١) أخطأ المؤلف في قوله: (القانون المحمدي) فالأصوب أن يقول: (الشريعة الإسلامية).

(٢) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٣٧.

(٣) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٧٢.

سورة عبس الآيات (١١-١٦)؛ حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۢ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾﴾ [سورة عبس: ١١-١٦]. ونجد أيضًا في سورة البروج قول الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾﴾ [سورة البروج: ٢١]. ونقرأ أيضًا في سورة الواقعة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الواقعة: ٧٧-٨٠]. ونقرأ أيضًا في سورة الفرقان قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾﴾ [سورة الفرقان: ٥]. هذا فيما يتعلق بالمرحلة المكية، وهنالك أيضًا آية من آيات القرآن الكريم نزلت بعد الهجرة في المرحلة المدنية تشير إلى تدوين نصوص القرآن الكريم كتابة في حياة النبي في سورة البينة؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾﴾ [سورة البينة: ٢][(١)].

٣/ الاستشهاد ببعض الأدلة من القرآن الكريم باستحالة أن يكون القرآن قول بشر وأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان أمياً فيقول: "ومن ذلك يتضح أن هنالك معنى دقيقًا خاصًا يشير إليه القرآن الكريم بالنسبة إلى الحركة الخاصة لكل من الشمس والقمر، ولقد أكد العلم الحديث هذا النوع من الحركة بالنسبة للشمس والقمر، ومن المستحيل بالنسبة إلى رجل عاش في القرن السابع الميلادي أن يدرك ويتكلم عن هذا النوع من الحركة بالنسبة إلى الشمس والقمر بالغًا ما بلغت معارفه الفلكية في عصره، هذه الحقيقة تم اكتشافها في العصر الحديث، ولم تكن معروفة إطلاقًا في العصر الذي عاش فيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان الفثياغوريون علماء بلغوا قمة العلم في عصرهم وكان محمد صلى الله عليه وسلم نبيًا أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وكان الفثياغوريون يقرأون ويكتبون ويعتبرون من صفوة المتعلمين والمثقفين في عصرهم"[(٢)].

رابعاً: مراد هوفمان

الرد على شبهة تأليف القرآن قائلاً: "إن الانتقاد الشديد الموجه له في سورة عبس يدل على أنه لم يؤلف القرآن كما يزعم بعض المستشرقين"[(٣)].

---

(١) المرجع السابق، ص١٧٦-١٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢١٠.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٤٢، ويبدو أن هوفمان يوافق مع رأي أحد الغربيين (شوارزينو) بأن القرآن يصلح أن يكون إضافة مفسرة للعهد الجديد؛ لأن شوارزينو يقول: "إن القرآن بمثابة وحي ورسالة إلهية دينيه كونية تصلح للعالم كله، وتتضمن حقيقة رواية عيسى الأصلية، وأن القرآن يصلح؛ لأن يكون إضافة مفسرة للعهد الجديد. انظر: مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص ٢٢٧ العبارة الأخيرة التي نقلها مراد هوفمان من كلام شوارزينو: "أن القرآن يصلح؛ لأن يكون إضافة مفسرة للعهد الجديد" عليها

خامساً: جاري مللر

١/ التحدي الصريح في القرآن الكريم للدلالة على أنه من عند الله وليس قول بشر: "وفى الواقع لقد أذهلتني هذه الآية الكريمة رقم (٨٢) من سورة النساء حينما قرأتها لأول مرة!!! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء: ٨٢]. هذا تحد صريح لغير المسلمين في الأساس، هي تدعوهم لأن يجدوا خطأً واحداً في التنزيل، هذه الطريقة في التحدي في حد ذاتها ليست من طبيعة البشر، لا تجد كمثال لتتصور طبيعة التحدي أحداً يدخل اختبار ويجيب على الأسئلة ثم يكتب في آخر الامتحان للممتحن: أنا أتحداك أن تجد خطأً واحداً في إجابتي، لا يفعل أحد ذلك؛ لأن هذا التحدي سيدفع الممتحن إلى أن يقضى ليلته في البحث عن خطأ حتى يجده؛ ولكن هذه هي الطريقة التي يتحدى الإسلام بها المعاندين"[١].

٢/ الدليل العقلي على استحالة كون القرآن قول بشر فيقول: "جدلاً، الفرضية التي يقول بها بعض غير المسلمين بأن القرآن نتاج بشرى، فلو كان كذلك لانعكس ما يكون في ذهن مؤلفه عليه في الحقيقة، فبعض الموسوعات وبعض الكتب تذكر أن القرآن الكريم نتاج هلوسة كانت تمر بالنبي صلى الله عليه وسلم، لو كانت هذه الفرضية صحيحة بأن هناك مشاكل نفسية كان الرسول – صلى الله عليه وسلم– يمر بها، لظهر ذلك جلياً في نص القرآن الكريم ذاته، هل يوجد في القرآن الكريم ما يدعم هذه النظرية؟ للإجابة على هذا السؤال إيجاباً أو سلباً، فلينظر المرء إلى ما هي هذه الأشياء التي كان يعايشها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لها انعكاساً في نصوص القرآن؟ فالقرآن الكريم لم ترد فيه مثل هذه الأشياء، لا موت بنيه، لا موت زوجته، لا انفعالاته في بداية نزول الوحي عليه وتصرف زوجته معه لا شيء من هذا، بالرغم من أن هذه الأمور قد آلمته وشغلته وأخذت جزءاً كبيراً من انفعالاته، ولو كان القرآن الكريم من نتاجه الشخصي لظهرت انفعالاته النفسية وأمثالها في نصوصه"[٢].

٣/ الدليل العقلي الآخر على استحالة كون القرآن قول بشر فيقول: "وفي مكان آخر في سورة النحل آية رقم (٩٨) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة النحل: ٩٨].

ملاحظة؛ لأنه إقرار بالنصرانية المحرفة ويعتبر القرآن كمصدر فرعي وشرح لما ورد في الأناجيل، وهذا لا يقوله مسلم؛ لأن القرآن ناسخ للإنجيل؛ ولذلك يجب القول بأن القرآن ناسخ للإنجيل أو بديل عنه وليس تفسيرا له.

(١) جاري مللر، القرآن المعجز، ص١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٢.

والآن! هل يعقل أن يكون الشيطان هو الذي كتب هذا؟ يقول للإنسان قبل أن تقرأ كتابي استعذ بالله مني واطلب أن يحميك الله مني؟ هل يعقل هذا عاقل؟ هؤلاء المعاندون يعرفون أنه حتى لو كان جدلاً الشيطان يمكنه كتابة ذلك إلا أن قدرة الله العلي القدير تمنعه، فما ينبغي له ذلك ولا يستطيع"[1].

٤/ الدليل المنطقي على وقوع التعارض بين الجنون والكذب واقعاً فيقول: "هناك مجموعة كبيرة من غير المسلمين بحثوا القرآن الكريم وخرجوا بالمقولة التي سبقهم بها المشركين في مكة وقالوا: لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يعتقد أنه نبي (لقد كانت به جنة)، فهم يعتقدون بجنونه بشكل ما، وفي المقابل يقول الآخرون: هناك شيء نجزم به ونعتقده، لقد كان كذاباً، وهاتين المقولتان متعارضتان تمام التعارض، وفي الحقيقة هناك مراجع كثيرة تذكر هاتين النظريتين، يبدؤون بقول إنه مجنون ثم ينتهوا بقول أنه كذاب! ولا يدركون بقليل من التفكير أن الاتهامين متناقضين ولا يمكن الجمع بينهما؟ مثلاً لو كان أحدهم مخدوعاً ويظن أنه نبي فإنه لا يجلس متأخراً بالليل يخطط، كيف أقول للناس في اليوم التالي لأخدعهم، فهو يتصور أنه سيوحى إليه وستأتيه الإجابة على أسئلتهم بالوحي"[2].

٥/ الرد على افتراءات المشركين بأن القرآن قول بشر فيقول: "ومثل آخر تجده في الموقف الضعيف الذي وقف فيه مشركو مكة في اتهام الرسالة المحمدية، كانوا يقولون: الشيطان تنزل بالقرآن على محمد، وأمام كل تخرص يقولون به يتنزل الجواب على رسول الله، ففي الآيتين من سورة القلم تقرر بالتحديد: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة القلم: ٥١-٥٢]. وهذه إجابة على تلك التخرصات، وفي الواقع هناك في القرآن كثير من مثل هذا الرد على من يقولون بأن الشياطين هي التي كانت تأتي للرسول عليه الصلاة والسلام بالرسالة، فمثلاً أيضاً في الآيات التالية: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٠-٢١٢]. من سورة الشعراء تؤكد نفس المعنى ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [سورة الشعراء: ٢١٠-٢١٢][3].

(١) المرجع السابق، ص٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧.

من خلال ما سبق اتضح أن الذين تصدوا للرد على شبهة أن القرآن قول بشر، هم: اتيين دينيه ولورد هدلي ومارمادوك بكثول وموريس بوكاي ومراد هوفمان وجاري مللر؛ حيث أكدوا أن القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى، أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام، وقاموا بالرد على فرية أن القرآن قول بشر بالأدلة العقلية والمنطقية واستحالة أن يكون من عند محمد صلى الله عليه وسلم لأميته ووجود دلائل علمية وحقائق ثابتة لم تكن الإحاطة به متاحة في العصر الذي عاش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يدركها العقل البشري إلا بعد قرون.

المطلب الثاني: جهودهم في رد شبهة (اقتباس القرآن الكريم من التوراة والإنجيل).

جرت سنة الله جل جلاله في الأنبياء والرسل عليهم السلام أن يزودهم بمعجزة تكون دليل صدقهم، فالأنبياء عليهم السلام لا يتميزون عن البشر بشيء، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف: ١١٠]. فتميز النبي محمد صلى الله عليه وسلم بُني على معجزة القرآن الكريم، وهي دليل نبوته وصدق رسالته.

وقد أثار الشكوك عدد من المستشرقين في الوحي الإلهي وادعوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد اقتبس القرآن الكريم من التوراة والإنجيل؛ حيث جاءت الآيات ليثبت هذه القضية وأن هؤلاء المشركين اتهموك بتعليم البشر لك، يقول تعالى مخاطباً نبيه محمداً عليه صلوات الله وسلامه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النحل: ١٠٣]؛ لكن الله عز وجل ردّ عليهم بقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النحل: ١٠٣].

ويأتي خبر القرآن الكريم عن هؤلاء الجاحدين وأقوالهم الزائفة بأن القرآن الكريم هو قول شاعر أو كلام كاهن، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الحاقة: ٤٠-٤٣]. ولذلك على كل من يدعي بأن هذا القرآن الكريم هو من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أو مقتبس من التوراة والإنجيل، فعليه أن يأتي بالدليل القاطع والبرهان العلمي على ذلك، وبعبارة أخرى عليه أن يأتي بمثل هذا القرآن الكريم.

وللوقوف على رأي من أسلم من المستشرقين في هذه الشبهة يستعرض الباحث بعضاً من أقوالهم من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم.

أولاً: اتيين دينيه

ينفي أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يقتبس من اليهودية أو النصرانية فيقول: "فإنه مما لا شك فيه أن في الإسلام بعض المبادئ الموجودة في اليهودية وفي المسيحية؛ ولكن هذا ليس بالأمر الشائن، فإن الإسلام مدين في ذلك إلى نفس المورد الأصلي والمنبت الأول للأديان الثلاثة كلها هي شريعة إبراهيم عليه السلام، وهي الشريعة التي أخذ عنها موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام، وينكر محمد كل النكران أنه آخذ من اليهودية أو المسيحية، وإنما يقول إن الدين واحد من الأزل وهو دين آدم أبي البشر، وعلى ذلك هو لم يأت بدين جديد، وغاية الأمر أن وظيفة الأنبياء والمرسلين

أمثال إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، هي إصلاح ما أفسده البشر من دين الله الواحد الأحد الفرد الصمد"[١].

ثانياً: لورد هدلي

١/ تأكيد أن القرآن الكريم يختلف عن التوراة والإنجيل بقوله: "القرآن فيه تعليمات جديدة، وقبل كل شيء ينفي الشرك بجميع أشكاله"[٢]، وهذا يعني أنه لم يؤخذ من اليهودية أو النصرانية المحرفة، فالشرك من أساسيات الاعتقاد لديهما وليس التوحيد.

٢/ الرد على شبهة اقتباس القرآن الكريم من الإنجيل فيقول: "لقد فشل أحد أصحاب الدعايات أن يجد تعبيراً مشابها بين محمد وعيسى عليهم السلام؛ فيفقد توازن عقله، وليس له إلا دليل سخيف وهو أن محمداً صلى الله عليه وسلم جاء بعد عيسى عليه السلام، فلابد أن يتهم بالأخذ من مؤلفات من سبقه، إن كان هذا دليله فهو الخاسر في النهاية، وللرد عليه أقول ما يلي:

١ - إن اليهود وجدوا جميع تعبيرات المسيح عليه السلام وتعاليم أدبهم في كتبهم.

٢ - إن كثيراً من الأمثال المذكورة في العهد الجديد قد وجدت في الأدب البوذي قبل عهد المسيح عليه السلام، فهل نعتبر الإنجيل مأخوذا منه؟

٣ - إن جميع هؤلاء الأنبياء جاءوا من إله واحد، وقد تشربوا من معين إلهي واحد، من خالق الكون؛ ولذلك يلاحظ هناك تشابه بينهم.

٤ - إنهم يتحدثون عن الوحي الإلهي، وأحيانا كلامهم يحتوي على معان يدل على أمور تقع في المستقبل، والأحداث المتنبأ بها أثبتت صدق هؤلاء الأنبياء"[٣].

ثالثاً: محمد أسد

الرد على شبهة اقتباس القرآن الكريم من المسيحية بقوله: "الخسائر التي نجمت عن الحروب الصليبية لم تقتصر على الصدام المسلح: كانت الخسارة الكبرى الأولى والأهم خسارة فكرية نتجت من تسميم الفكر الأوروبي ضد العالم الإسلامي عَبْر التصوير الإرادي المشوه والكريه لتعاليم الإسلام ومُثُلِهِ العليا، فحتى يستمر الزخم الداعي لاستمرار الحرب الصليبية، دمغوا الرسول -

---

(١) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص١٥.

(٢) لورد هدلي، الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام، ص ٤١.

(٣) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٧٨.

صلى الله عليه وسلم- بأوصاف كريهة وادعوا أنه معاد للمسيح، ووُصفت ديانته بأشنع الأوصاف وأنها منبع الشرور اللاأخلاقية والانحراف والشذوذ، وكان زمن الحروب الصليبية هو الزمن الذي أُشِيعَ فيه في أنحاء أوروبا أن الإسلام دين حسٍ خالص وعنف وقسوة، وأنه دين طقوس لا دين تطهر من القلب"(١).

رابعاً: موريس بوكاي

١/ التأكيد على استحالة كون القرآن الكريم مأخوذاً من الكتاب المقدس فيقول: "لو أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان هو مؤلف القرآن الكريم فرضية يتمسك بها البعض لم نكن لنرى كيف كان يمكن تمييز الأخطاء العلمية في الكتاب المقدس العائدة لمواضيع عدة، وحذف جميعها عندما كان يكتب النص عن هذه المواضيع، إن أي حدث علمي جديد لم يكن قد ظهر من الكتاب المقدس ليتيح للقرآن نسخه منه"(٢).

٢/ الرد على شبهة اقتباس القرآن الكريم من نصوص التوراة والإنجيل "ومرة أخرى تقتضينا الموضوعية أن نشير إلى افتراء وادعاء أولئك الذين يقولون كذبًا ودون أي أساس أو مستند صحيح: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن الكريم، وقد نقل كثيرًا من نصوص التوراة ونقل من الأناجيل، ولو كان ذلك صحيحًا فلماذا لم ينقل محمد صلى الله عليه وسلم سلسلة نسب المسيح كما وردت في الأناجيل؟ وما الذي جعل محمدًا لا يدخل في نصوص القرآن الكريم كل الأخطاء التي لاحظنا نماذج كثيرة منها في هذا الكتاب على حين أن نصوص التوراة ونصوص الأناجيل تغص بالأخطاء غير المقبولة منطقيًا وعلميًا ولا يمكن الدفاع عنها بأي حال؛ بينما القرآن الكريم يخلو تمامًا من هذه الأخطاء؟!(٣).

٣/ الرد على شبهة اقتباس القرآن الكريم من العهد القديم والجديد بقوله: "بفضل المصداقية التامة -التي لا تجادل- المتوافرة لنصوص القرآن الكريم تحظى نصوص القرآن الكريم بمنزلة متفردة بين الكتب السماوية المنزلة من الله إلى البشر، ولا يتساوى مع القرآن الكريم في هذه المنزلة كتاب آخر بما في ذلك العهد القديم والعهد الجديد"(٤)، "ودحض ما يزعمه اليهود والمسيحيون والملحدون؛ إذ

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٤.

(٢) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ ص ١٧٥.

(٣) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٥٦.

(٤) المرجع السابق، ص١٧٣.

يجمعون على الزعم دون أي دليل أو برهان بأن نبي الإسلام محمدًا صلى الله عليه وسلم قد كتب أو استكتب القرآن بمجرد تقليد ومحاكاة للتوراة"(١).

٤/ الرد على من زعم وجود بعض التشـــابه بين القرآن وروايات التوراة والإنجيل في المبادئ والأصول فيقول: "لا جدال في وجود بعض التشابه بين روايات التوراة والأناجيل وبعض ما يرويه لنا القرآن في موضـــوعات أخرى في تاريخ الأديان بوجه عام، وعلى الرغم من أن المســيح لم يأت لكي ينقض التوراة لم يتهمه أحد بأنه قد قام في الإنجيل بتقليد التوراة، بينما نجد هذا الاتهام يوجه إلى نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بما يعني أن نبي الإسلام محمدًا صلى الله عليه وسلم كان مجرد دجال أفاك، والقرآن الذي قال إن الله أوحاه إليه هو مجرد تقليد للتوراة، وهنالك أيضًـــا الاتهام بأن بعض أحبار اليهود أو بعض رهبان المسيحية هم الذين أملوا عليه نصوص القرآن مشابهة لنصوص التوراة وتقليدًا لها، وليس هنالك دليل أي دليل على مثل هذا الادعاء أو ذلك الاتهام"(٢).

خامساً: مريم جميلة

١/ الرد على فرية اقتباس القرآن الكريم من التوراة والإنجيل فتقول: "أجاب علماء المســـلمين على ادعاء علماء اليهود بأن الأجزاء الموجودة في القرآن الكريم والحديث ونجدها كذلك في كتب اليهود والنصارى لا تعني أن اللاحق قد أخذها من السابق، وإنها تعني أنها أصلاً وحي من الله، أنزلها الله عزوجل على بني إسرائيل في البداية وحين أحدثوا في كلام الله حتى لم يعد باستطاعتهم التفريق بين الوحي الإلهي وبين التفسيرات البشرية، أنزل الله نفس الشيء مرة أخرى على نبينا الكريم؛ حيث فقط نجدها نقية صافية في القرآن والحديث، إنه قدر الله عزوجل بأن رسولنا الكريم كان أمياً ليكون ذلك برهاناً بأن علمه وحكمته من الله لك مباشرة وليس من الكتب"(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص١٧١-١٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٨، ولقد دحر القرآن الكريم بنص قرآني هو كلام الله الادعاء القائل بأن أحد اليهود أو أحد النصارى هو الذي كان يعلم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ويملي عليه القرآن؛ وذلك في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النحل: ١٠٣]. واليهود والنصارى الذين لجأوا إلى شبه الجزيرة العربية كانوا يتكلمون لغات أخرى غير اللغة العربية ولا تعتبر اللغة العربية لغة أصلية لديهم، فكيف يصل أحدهم إلى بلاغة القرآن؟ إن هذا مستحيل ولو عَلَّمه إنسان لأشاد بأنه قد علَّم نبيَّ الإسلام ولاشتهر ذلك بين الأنام مما يقطع بسقوط هذه الفرية (المترجم) في نفس الصفحة.

(٣) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٤٣.

٢/ الدليل العقلي على عدم اقتباس القرآن الكريم من التوراة: "لم يتلق محمد صلى الله عليه وسلم علمه من الكتب السابقة، أو من أحبار اليهود في المدينة، الذين عارضوه بكل حقد ومرارة منذ البداية؛ لذلك لم يملكوا الفرصة أبداً للاضطلاع بدور المعلم الودود"(١)، "وسبب آخر؛ فإن التوراة والتلمود لم يكونا مترجمين بالعربية، كما أن رسولنا الكريم لا يعلم العبرية، إنه أمر إلهي أن رسولنا الكريم كان أمياً وذلك دليل على أنه استمد علمه من الله عز وجل وليس من الكتب"(٢).

سادساً: مراد هوفمان

١/ الرد على شبهة التشابه بين الديانات يقول: "ذلك أن الإسلام لا يَعُدّ نفسه دينًا جديدًا في مقابل المسيحية لمجرد أنه تاريخيًا جاء بعدها؛ بل إنه يَرى نفسه إكمالاً وتصحيحًا للدين الداعي إلى الوحدانية المطلقة، التي وصّى بها إبراهيم ومن بعده من الأنبياء، كما نصت على ذلك آيات كثيرة بينة، منها الآية (١٣) من سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [سورة الشورى: ١٣](٣).

٢/ بيان وجه الشبهة في مسألة وجود بعض القصص في القرآن الكريم مقتبسة من التوراة والإنجيل فيقول: "الشك في صدق الديانة: فمنذ فجر الإسلام اعتنق العالم المسيحي المحيط به تفسير يوحنا الدمشقي بأن الدين الجديد إنما هو خليط انتقائي من أفكار يهودية ومسيحية ساء فهمها – وإنما هو في الحقيقة بدعة يهودية– مسيحية، وقد أسيء بوجه خاص فهم الإسرائيليات في آيات القرآن الكريم على أنها قصص توراتية مختصرة، بينما هي في الواقع تحذيرات من قصص الماضي مستقلة عن المحتوى التاريخي"(٤).

مما مضى يتضح أن اتيين دينيه ولورد هدلي ومحمد أسد وموريس بوكاي ومريم جميلة ومراد هوفمان قاموا بالرد على شبهة القائلين بأن القرآن الكريم مقتبس من التوراة والإنجيل بالأدلة العقلية والمنطقية، فرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يعرف إلا لغة قومه العربية، فكيف يتأتى

---

(١) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٥١.

(٤) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٥٠-٥١.

لمحمد عليه الصــلاة والســلام أن يأخذ من الكتب اليهودية والنصــرانية المقدســة، في حين أنه لم يكن يســـتطيع القراءة وإن هذه الكتب لم تكن ميســـرة إلا بلغات غريبة؟ وليس هناك أي دليل تجاه هذه المزاعم، ويؤكدون أن التشـــابه الواقع في القرآن والتوراة والإنجيل في بعض المبادئ يعود إلى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام استقوا من معين إلهي واحد من خالق الكون، ولا تعني أن اللاحق قد أخذها من السابق.

المبحث الثالث: جهود من أسلم من المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم.

المطلب الأول: جهودهم في ترجمة القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله تعالى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليكون هدى ورحمة للمؤمنين: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٢]. وانتشر الإسلام في أصقاع الأرض، حتى دخل في دين الله أناس لا يعرفون اللغة العربية، وأصبح من المتعذر دعوتهم إلى دين الله تعالى باللغة العربية فقط؛ بل وجب علينا دعوتهم إلى دين الله بكافة اللغات وبجميع الطرق المشروعة، ولعل من هذه الطرق المناسبة ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية.

ولا شك أن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم أمر هام وضروري؛ إذ يستحيل أن يقرأ القرآن الكريم بلغته العربية لغير الناطقين بها، فالحاجة إذن قائمة إلى معرفة ما اشتمل عليه القرآن الكريم من أحكام ومعان، ونقل هذه الأحكام والمعاني من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى، بل فيه مصلحة واضحة، ومن حق كل مسلم أن يعرف معاني القرآن الكريم بلغته إن لم يستطع ذلك باللغة العربية.

وقسم الزرقاني ترجمة القرآن الكريم في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن) إلى قسمين:

١/ **الترجمة الحرفية**: وهي التي تراعى فيها محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه، فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه، وبعض الناس يسمي هذه الترجمة لفظية، وبعضهم يسميها مساوية.

٢/ **الترجمة التفسيرية**: وهي التي لا تراعى فيها تلك المحاكاة؛ أي محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه؛ بل المهم فيها حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة؛ ولهذا تسمى أيضاً بالترجمة المعنوية، وسميت تفسيرية لأن حسن تصوير المعاني والأغراض فيها جعلها تشبه التفسير وما هي بتفسير كما يتبين لك بعد[١].

وأشير هنا إلى أمر في غاية الأهمية، فالترجمة ليست تفسيراً؛ فبينهما فرق كبير؛ حيث فرق الزرقاني بين الترجمة والتفسير بأربعة فروق:

أولاً: أن صيغة الترجمة صيغة استقلالية يراعى فيها الاستغناء بها عن أصلها وحلولها محله، والتفسير ليس كذلك، فإنه قائم أبداً على الارتباط بأصله بأن يؤتى مثلاً بالمفرد أو المركب، ثم يشرح هذا المفرد

(١) محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، ج٢ ص١١١.

أو المركب شرحاً متصلاً به اتصالاً يشبه اتصال المبتدأ بخبره إن لم يكن إياه، ثم ينتقل إلى جزء آخر مفرد أو جمله وهكذا.

ثانياً: أن الترجمة لا يجوز فيها الاستطراد، أما التفسير فيجوز؛ بل قد يجب فيه الاستطراد؛ وذلك لأن الترجمة مفروض فيها أنها صورة مطابقة لأصلها حاكية له، فمن الأمانة أن تساويه بدقة من دون زيادة ولا نقص؛ حتى لو كان في الأصل خطأ لوجب أن يكون الخطأ عينه في الترجمة؛ بخلاف التفسير فإن المفروض فيه أنه بيان لأصله وتوضيح له.

ثالثاً: أن الترجمة تتضمن عرفاً دعوى الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده، والتفسير ليس كذلك فإنه قائم على كمال الإيضاح كما قلنا؛ سواء أكان هذا الإيضاح بطريق إجمالي أو تفصيلي متناولاً كافة المعاني والمقاصد أو مقتصراً على بعضها دون بعض طوعاً للظروف التي يخضع لها المفسر ومن يفسر لهم.

رابعاً: أن الترجمة تتضمن عرفاً دعوى الاطمئنان إلى أن جميع المعاني والمقاصد التي نقلها المترجم هي مدلول كلام الأصل وأنها مرادة لصاحب الأصل منه، ولا كذلك التفسير؛ بل المفسر تارة يدعي الاطمئنان وذلك إذا توافرت لديه أدلته، وتارة لا يدعيه وذلك عندما تعوزه تلك الأدلة، ثم هو طوراً يصرح بالاحتمال ويذكر وجوهاً محتملة مرجحاً بعضها على بعض، وطوراً يسكت عن التصريح أو عن الترجيح، وقد يبلغ به الأمر أن يعلن عجزه عن فهم كلمة أو جملة، ويقول رب الكلام أعلم بمراده على نحو ما نحفظه لكثير من المفسرين إذا عرضوا لمتشابهات القرآن ولفواتح السور المعروفة[1].

وامتداداً للجهود المبذولة لعلماء الإسلام في تفسير القرآن الكريم أو ترجمته بلغات مختلفة، كانت هناك جهود طيبة للمستشرقين الذين أسلموا في ترجمة القرآن الكريم، ولا بد من إبرازها ومدارستها ومناقشتها وبيان ما وقعوا فيها من أخطاء وزلات.

(١) المرجع السابق، ج٢ ص١١٤-١١٦.

أولاً: ترجمة القرآن الكريم لمارمادوك بكثول

عنوانه: (ترجمة القرآن الكريم).

تعريف عام بهذه الترجمة.

بدأ المؤلف في ترجمته للقرآن الكريم عام ١٩١٩م، ونشرت في عام ١٩٣٠م، ويقع الكتاب في (١٩٢) صفحة من الحجم الكبير، وغالباً ما يقوم بشرح مختصر للمعنى الإجمالي للآية باللغة الإنجليزية، ولم يضع نصوص الآيات باللغة العربية، واكتفى بذكر الترجمة باللغة الإنجليزية.

سبب التأليف.

بعد اطلاع مارمادوك بكثول على ترجمة محمد علي القادياني التي نشرت عام ١٩١٧م، وتبين له أن هناك أخطاء واضحة وجلية؛ رأى مارمادوك بكثول الضرورة في بدء ترجمة مناسبة للقرآن الكريم، ففي عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م استعان بالله بعدما عرض عليه حاكم حيد آباد في الهند عملاً في وزارة التعليم وموّل ترجمته للقرآن الكريم، وقام بمشاورة الشيخ أحمد مصطفى المراغي[١] شيخ الأزهر في وقته والشيخ رشيد رضا[٢]، حتى من الله عليه بإتمام عمله في الترجمة التي نشرت في عام ١٩٣٠م[٣].

القيمة العلمية للترجمة

لقيت ترجمة مارمادوك بكثول لمعاني القرآن الكريم قبولاً واسعاً منذ صدورها في عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م وحتى الآن، ونشرت في كل أنحاء العالم من أمريكا وبريطانيا والقارة الهندية وأفريقيا، ولقد صدرت مؤخراً ترجمته المبسطة، وأعيد طبع هذه الترجمة باستمرار؛ حتى وصل عدد

---

(١) أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة، له كتب منها: (الحسبة في الإسلام) رسالة، و(الوجيز في أصول الفقه) مجلدان، و(تفسير المراغي) ثمانية مجلدات، و(علوم البلاغة) انظر: الأعلام للزركلي» (١/ ٢٥٨).

(٢) الشيخ رشيد رضا، ولد في الشام عام ١٢٨٢هـ، وكان يغلب عليه طابع التصوف، له مؤلفات عدة أشهرها: تفسيره للقرآن، كما أصدر مجلة المنار، يقول عنه مصطفى السباعي: "يظهر أنه كان في أول الأمر متأثرا بوجهة أستاذه محمد عبده، ولكن بعد وفاته أخذ يخوض غمار الميادين الفقهية والحديثية، حتى غدا آخر الأمر حامل لواء السنة، وتوفي عام ١٣٥٤هـ" انظر: الأعلام للزركلي ٦/١٢٦، ومنهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، ص: ٣٠، ٨٩١ ـ ٨٩٨، دار ماجد عسيري، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

(٣) عبد الرحيم القدواني، بيليوجرافيا ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٨هـ ص٨٣.

طبعاتها أكثر من ثمانين طبعة في السنوات العشرين الماضية، وتعتبر من الترجمات الجيدة لمعاني القرآن، غير أنه لا يخلو من أخطاء ومؤاخذات على المؤلف[١].

مميزات ترجمته:

تمتاز ترجمة بكثول بأمانتها في النقل من النص الأصلي؛ وذلك خلافاً لمعاصره عبدالله يوسف علي، لم يقم بكثول بتأويل الآيات، وإنما ينقل معنى الآيات بدقة؛ بل ونراه يتلافى عيوب الترجمة الحرفية، وإنها تفوق بقية الترجمات لمعاني القرآن من ناحية براعة الأسلوب واختيار الألفاظ، وعلى الرغم من أن ترجمة بكثول كانت أولى ترجمة لمعاني القرآن قام بها مسلم من أهل اللغة؛ إلا أنه تمت مراجعة هذه الترجمة على مر السنين، وخاصة استخدم بكثول اللغة التوراتية المهجورة التي كانت عقبة أمام قراء هذه الترجمة؛ إلا أن ذلك تم التخلص منه بظهور نسخة مراجعة لها في اللغة الإنجليزية المعيارية المعاصرة، بيد عرفات كامل العشي التي ظهرت في عام ١٩٩٦م، بالإضافة إلى تفادي هذه المشكلة فإن النسخة المراجعة لعرفات كامل العشي استطاع أن يقوم بتصحيح الأخطاء التي وجدت في طبعة الترجمة الأصلية[٢]، ويلاحظ عليه عدم تمكنه التام من اللغة العربية مما وقع في أخطاء كثيرة في تفسيره وترجمته، وسيأتي مزيد بيان وشواهد لذلك في المطلب القادم.

---

(١) المرجع السابق، ص٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص٨٣.

ثانياً: ترجمة معاني القرآن الكريم (رسالة القرآن) (The Message of the Quran)

عنوانه: (رسالة القرآن) لمحمد أسد.

تعريف عام بهذه الترجمة:

عدد صفحات الكتاب (١١٧٥) صفحة من القطع الكبير مع الملاحق، ويشغل الجزء العلوي من كل صفحة النص القرآني العربي من الناحية اليمنى، وترجمته الإنجليزية على الناحية اليسرى؛ أما الجزء السفلي فيضم الهوامش التفسيرية، والتعليقات الفنية الخاصة بالترجمة، وفي بداية كل سورة يبدأ المؤلف بتمهيد يتحدث فيه عن السورة، وتاريخ نزولها، والموضوعات التي ناقشتها، وما إلى ذلك[١].

سبب التأليف.

احتوت مقدمة الترجمة على دوافع قيامه بالترجمة لمعاني القرآن وكان مما ذكره ما يلي:

- إيمانه بأن القرآن الكريم هو كتاب هداية ونور للناس كافة ولا مثيل له على مدى الدهر، ففيه الجواب الشافي لجميع شؤون حياتنا.

- إن القرآن الكريم قد أسيء فهمه من قبل الغربيين لأسباب عدائية قديمة، فلابد من ترجمة معانيه بطريقة يفهمه الغربيون فهماً حقيقياً.

- أراد أن يجعل رسالة القرآن الكريم مفهومة لكل من يقرؤه، سواء أكان مسلماً أم غير مسلم[٢].

منهجه في الترجمة:

سار محمد أسد في ترجمته لمعاني القرآن الكريم على المنهج الآتي:

- التزم محمد أسد في ترجمته كما يقول في مقدمته بقاعدتين مهمتين: أولهما: تفسير القرآن بالقرآن، والثاني: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، مكتبة شبكة التفسير والدراسات القرآنية، ط بدون، ص٤.

(٢) محمد أسد، رسالة القرآن، ص ١-٥.

- منهجه في الحواشي أنه يرقم تعليقات كل سورة على حدة ترقيماً متسلسلاً مدعوماً بكلام أهل اللغة العربية والعلماء المفسرين، وقد بلغ مجموع الحواشي لجميع السور (٥٦٨٥) حاشية.

- الحواشي: عبارة عن شرح المصطلحات، وتفسير معاني الكلمات، وبعض القضايا الفقهية، والإحالة إلى التوراة والإنجيل لتأكيد صحة رسالة القرآن، ومواقف من السيرة، وذكر العبرة من القصص القرآنية.

- الملاحق: احتوت ترجمة محمد أسد على أربعة ملاحق وهي: الرمزية والاستعارة في القرآن، والأحرف المقطعة، ومفهوم الجن، والإسراء والمعراج[١].

-يعترف محمد أسد بفضل المفسرين السابقين؛ لأنهم بذلوا جهوداً عظيمة في خدمة القرآن الكريم؛ لكن قد تكشفت معانٍ جديدة له -كما يقول- بناء على العلوم العصرية التي توفرت له؛ لكنها لم تكن متوفرة للعلماء السابقين.

- أسلوب الترجمة: يطلق على ترجمة محمد أسد الترجمة الاصطلاحية وهي: نقل المعنى من النص المصدر إلى لغة الهدف بمفردات وتراكيب نحوية تنسجم وطبيعة تلك اللغة، ويعترف بأن ترجمته لم تستطع أن تقدم الشيء المطلوب[٢].

قصة الكتاب:

ظن محمد أسد أنه سينجز ترجمته في سنتين؛ ولكنه انفق من عمره سبعة عشر عاماً لإتمام هذه المهمة بالصورة التي كان يطمح إليها، وبالهدف الذي وضعه لنفسه، ولقد صدرت الطبعة الأولى للكتاب عام١٩٨٠م عن دار الأندلس بجبل طارق بإسبانيا، وحقوق الطبع محفوظة لسيدة بولا حميدة أسد[٣]، كما أشار الناشر إلى أنه سبق نشر جزء من الترجمة عام ١٩٦٤م احتوت على السور التسع الأولى من القرآن[٤]، ثم أعيد طبعه ست مرات [٥].

(١) جوهانس كلومنك، محمد أسد وترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية، ص١٠٧.

(٢) محمد أسد، رسالة القرآن، ص ٥-٨.

(٣) السيدة بولا حميدة زوجة محمد أسد ولم أجد لها ترجمة وافية.

(٤) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٤.

(٥) عبد الرحيم القدواني، بيليوجرافيا ترجمات معاني القران الكريم إلى اللغة الإنجليزية، ص ٣٩٩.

وللكتاب قصة يحسن ذكرها، فقد بدأ دعم المشروع بمبادرة كريمة من سماحة الشيخ محمد سرور الصبان[1] الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي آنذاك، وبدعم من عائلة الشيخ (الشايع) بالكويت، فظهر القسم الأول من الترجمة عام ١٩٦٤م من أول المصحف إلى سورة التوبة، وبرعاية رابطة العالم الإسلامي، ووزعت من نسخه بضعة آلاف، فتعرف عليه العلماء، والدارسون لأول مرة؛ لكن ما لبث أن توقف الأمر على إثر ملاحظات لمجموعة من العلماء على قضايا خلافية تضمنها الكتاب، وتوقفت الرابطة عن توزيع الكتاب، ولم يتوقف محمد أسد عن إتمام الترجمة، وعند إتمامها سنة١٩٨٠م دعمها الشيخ أحمد زكي يماني[2]، فاشترى عشرين ألف نسخة، ولم يسلم الكتاب من الهجوم والنقد[3].

---

(١) محمد سرور الصبان ولد عام ١٣١٦هـ، من رواد الحركة الفكرية والأدبية في المملكة العربية السعودية، وهو أول أمين لرابطة العالم الإسلامي عند تأسيسها، ووزير سابق للمالية السعودية، أصدر أول كتابه مع بدء توحيد المملكة وهو كتاب أدب الحجاز، كما أنشأ أول مكتبة للطبع والنشر في الملكة وهي المكتبة الحجازية، وتوفي عام ١٣٩٢هـ، انظر الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ط٢، ١٤١٩هـ، المجلد ١٥ ص٣٨،٣٧.

(٢) أحمد زكي يماني، ولد في الدمام عام ١٩٣٨م، ألف كتاب (القانون الإسلامي والقضايا المعاصرة)، عمل وزيراً للثروة النفطية والمعدنية في حكومة الملك خالد رحمه الله، انظر مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ط١، بيروت، دار رواد النهضة ١٩٩٤م، المجلد ١١، ص٣٨٧.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١١٠.

المطلب الثاني: تقويم ترجمة المستشرقين الذين أسلموا للقرآن الكريم

تمت الإشارة في المطلب السابق إلى ترجمتين مهمتين للقرآن الكريم وهما: ترجمة مارمادوك بكثول وترجمة محمد أســد للقرآن الكريم، ووجدت فيهما ملاحظات ومؤاخذات، لعلي أورد هنا أبرزها على سبيل التمثيل لا الحصر، وأبدأ بترجمة معاني القرآن الكريم لمارمادوك بكثول:

١/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١٩٦﴾ [سورة البقرة: ١٩٦]؛ حيث ترجم لفظ (الهدي) بمعنى (الهدية)[١].

وقال ابن كثير: "الهدي بمعنى: الشاة، وقال ابن عباس: الهَدْي من الأزواج الثمانية: من الإبل والبقر والمعز والضأن، وكذا قال عطاء، ومجاهد، وطاووس، وأبو العالية، ومحمد بن علي بن الحسين، وعبد الرحمن بن القاسم، والشعبي، والنّخعي، والحسن، وقتادة، والضحاك، ومقاتل بن حيان، وغيرهم مثلَ ذلك، وهو مذهب الأئمة الأربعة"[٢].

والهدي معناه ذبح الأنعام قرباناً لله وليس كما ذهب إليه محمد أسد الهدية، وهذا يدل على عدم إدراكه لمدلولات اللغة العربية.

٢/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [سورة آل عمران: ٨٥]؛ حيث ترجم لفظ (الإسلام) بـ (الاستسلام أو الخضوع لله) والمقصود هنا (الإسلام)[٣].

وقال البغوي: "أن هذه الآية نزلت في اثني عشر رجلاً ارتدُّوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً، منهم الحارث بن سويد الأنصاري"[٤].

(١) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، رسالة علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٥٨.

(٢) تفسير ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ (١ / ٥٣٤).

(٣) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٥٨.

(٤) تفسير البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ (٢ / ٦٤).

وقال السعدي في شرح هذه الآية: "من يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعمله مردود غير مقبول"(١).

فواضح أن محمد أسد يقتصر معنى الآية على الاستسلام لله فقط دون الإسلام فالأولى تفسيره بالإسلام حتى لا يشكل على القارئ.

٣/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النساء:٤٣]؛ حيث ترجم كلمة (جنبا) بـ(التلوث)، وجملة (أو لامستم النساء) بـ (اللمس العادي) والمقصود في الآية هو الجماع(٢).

وقال البغوي في تفسير كلمة (جنباً)"يقال: رجل جُنُبٌ وامرأة جُنُبٌ، ورجال جُنُبٌ ونساء جُنُبٌ، وأصل الجنابةِ: البُعْد، وسُمّي جنبًا لأنه يتجنب موضع الصلاة، أو لمجانبته الناسَ وبُعدِهِ منهم، حتىّ يغتسل"(٣).

وفي تفسير كلمة (لامستم) قال ابن كثير: "قرئ: (لَمَسْتم) و(لامستم) واختلف المفسرون والأئمة في معنى ذلك، على قولين: القول الأول: أن ذلك كناية عن الجماع؛ لقوله: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ [سورة البقرة:٢٣٧]، والقول الثاني: كل لمس بيد كان أو بغيرها من أعضاء الإنسان، وأوجب الوضوء على كل من مس بشيء من جسده شيئا من جسدها مفضيًا إليه، وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: اللمس ما دون الجماع"(٤).

ومع هذا الاختلاف لم يكن المقصود به اللمس العادي كما ذهب إليه محمد أسد.

٤/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩]؛ حيث ترجم (ذرأنا) بـ (دفعنا) والمقصود في الآية هو الخلق وليس الدفع(٥).

---

(١) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ، ص ١٣٧.

(٢) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٥٨.

(٣) تفسير البغوي (٢ / ٢٢٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٢ / ٣١٤).

(٥) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٥٨.

وقال ابن كثير: "أي: خلقنا وجعلنا"(١).

٥/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ [سورة الأعراف: ٣٧]؛ حيث ترجم كلمة (رسلنا) بـ (رسل) ولم يذكر أن المقصود (الملائكة)(٢).

وقال ابن كثير: "يخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت وقَبْض أرواحهم إلى النار، يقولون لهم: أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله؟ ادعوهم يخلصوكم مما أنتم فيه"(٣).

٦/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ١٠٨﴾ [سورة يوسف: ١٠٨]؛ حيث ترجم أدعو إلى الله بأنادي الله والمقصود الدعوة إلى دين الله(٤).

وقال ابن كثير: "يقول الله تعالى لعبده ورسوله، آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بَصِيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكلّ من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي"(٥).

٧/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [سورة يوسف: ٨٧]؛ حيث ترجم عبارة رَوح الله برُوح الله، والمقصود هو: (الرحمة وليست الروح) (٦).

وقال البغوي:" أي: من رحمة الله، وقيل: من فرج الله"(٧).

(١) تفسير ابن كثير، (٣ / ٥١٣).
(٢) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٥٩.
(٣) تفسير ابن كثير، (٣ / ٤١٠).
(٤) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٥٩.
(٥) تفسير ابن كثير، (٤ / ٤٢٢).
(٦) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٥٩.
(٧) تفسير البغوي، (٤ / ٢٧١).

٨/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة يوسف: ٢٥]؛ حيث ترجم لفظ الجزاء بالثواب والمقصود العقوبة دون الثواب(١).

وقال ابن عاشور: "ورددت يوسف عليه السلام بين صنفين من العقاب، وهما: السجن، أي الحبس، وكان الحبس عقاباً قديماً في ذلك العصر، واستمر إلى زمن موسى عليه السلام(٢).

٩/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الكهف: ١٤]؛ حيث ترجم كلمة ندعو بالصياح والصحيح هو: لن نعبد(٣).

وقال البغوي: "يعني: إن دعونا غير الله لقد قلنا إذا شططا، وأن قومهم كانوا يعبدون الأصنام، فهم إن عبدوا الأصنام كان جوراً وظلماً"(٤).

١٠/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾﴾ [سورة طه: ٢٥]؛ حيث ترجم كلمة صدري بتفكيري مجازاً، والمقصود صدري أو قلبي حساً وحقيقة(٥).

وقال ابن كثير: "هذا سؤال من موسى عليه السلام، لربه عز وجل، أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم، وأشدهم كفرًا، وأكثرهم جنودًا، وأعمرهم ملكًا، وأطغاهم وأبلغهم تمردًا، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلهًا غيره"(٦).

---

(١) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٥٩.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ (١٢ / ٢٥٧).

(٣) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٦٠.

(٤) تفسير البغوي، (٥ / ١٥٦).

(٥) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٦٠.

(٦) تفسير ابن كثير، (٥ / ٢٨٢).

١١/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة طه: ٥٣]؛ حيث ترجم كلمة مهداً بالسرير، والمقصود ممهداً بساطاً[١].

وقال السعدي: "أي: فراشاً بحالة تتمكنون من السكون فيها، والقرار، والبناء، والغراس، وإثارتها للازدراع وغيره، وذللها لذلك، ولم يجعلها ممتنعة عن مصلحة من مصالحكم"[٢].

١٢/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٨٢]؛ حيث ترجم كلمة الشياطين بكائنات شريرة والمقصود هو الشيطان نفسه صريحة دون تأويل[٣].

وقال السعدي: "من خصائص سليمان عليه السلام، أن الله سخر له الشياطين والعفاريت، وسلطه على تسخيرهم في الأعمال، التي لا يقدر على كثير منها غيرهم، فكان منهم من يغوص له في البحر، ويستخرج الدر، واللؤلؤ، وغير ذلك"[٤].

١٣/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [سورة الحج: ٦]؛ حيث ترجم عبارة يحيي الموتى بـ (يعجل الموتى)، والمقصود إعادتهم إلى الحياة مرة أخرى[٥].

وقال ابن كثير: "أي: كما أحيا الأرض الميتة وأنبت منها هذه الأنواع"[٦]، فالمقصود منها الإعادة وليس التعجيل.

١٤/ جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

(١) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٦٠.
(٢) تفسير السعدي، ص ٥٧١.
(٣) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٦٠.
(٤) تفسير السعدي، ص ٥٢٨.
(٥) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٦٠.
(٦) تفسير ابن كثير، (٥ / ٣٩٨).

[سورة النور: ٢٢]؛ حيث ترجم كلمة المهاجرين بـ(الهاربين)، والمقصود الخارج من أرض الكفر إلى أرض الإسلام[١].

وقال البغوي: "حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح، وكان مسكيناً مهاجراً بدرياً ابن خالة أبي بكر"[٢]، وقال ابن عاشور: "في لسان الشرع يطلق اسم المهاجرين على مسلمي قريش"[٣].

هذه بعض التي تؤخذ على ترجمة مارمادوك بكثول، فقد جانب الصواب في كثير من التفسيرات، ويلاحظ القارئ عدم التعمد في كثير من تلك الأخطاء، وأن سبب وقوعه فيها يعود إلى قلة بضاعته في العلم الشرعي المؤصل، وكذلك ضعفه الواضح في اللغة العربية؛ لأنه كان يفسر الكلمات على ظاهرها دون النظر إلى المعنى الشرعي المراد، ولو رجع واعتمد على كتب التفاسير المعتمدة لأتى بالصواب وتفادى كثيراً من تلك الأخطاء والله أعلم.

أيضاً أذكر هنا بعض الأخطاء الواردة والمؤاخذات في (رسالة القرآن) لمحمد أسد على سبيل التمثيل لا الحصر وهي كما يلي:

منهجه في تأويل النصوص

يترجم الهجرة بالفرار

بالمثل نراه يترجم (الهجرة) في الأغلبية الساحقة من المرات بـ "Exodus"، وهي الكلمة التي ارتبطت بتاريخ اليهود وخروجهم جميعاً دفعة واحدة؛ أما تسمية الهجرة المحمدية[٤] (فراراً) فلا معنى لها؛ بل هي خطأ صراح وإساءة لا تصح[٥].

لكن محمد أسد ينكر في موضع آخر التعبير عن لفظ الهجرة بالهروب عند بعض الكتاب الغربيين فيقول: "إذا تذكرنا هذا أدركنا أن الإشارة إلى هجرة النبي بلفظة (الهروب) كما اعتاد أن يفعل كتاب

---

(١) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٦٠.

(٢) تفسير البغوي، (٦ / ٢٦).

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (٢ / ٣٢٠).

(٤) جانبه الصواب في تسميته بالهجرة المحمدية؛ بل الأولى تسميتها بالهجرة النبوية عليه أفضل الصلاة والسلام لأنها لا ترتبط بشخص الرسول عليه الصلاة والسلام فيفهم منه خطأ وإنما هي مرتبطة بالشرائع.

(٥) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٥-٦.

غربيون غير مسلمين؛ ليس مجرد خطأ لغوي؛ بل أمر يناقض الدلالة التاريخية الأصيلة والغرض الحقيقي لحدث كان إشارة البدء لعصر جديد تماماً في تاريخ الإنسانية"(١).

والمهاجرون: هم الذين ذهبوا مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم)، مشتقٌ منه، وسُمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشؤوا بها ولَحِقوا بدارٍ ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة، فكل من فارق بلده من بَدَوِيٍّ وحضريٍّ أو سكن بلداً آخر، فهو مهاجر، والاسم منه الهجرة(٢)، وجاء في الشرع أن الهجرة هي: ترك الوطن الذي بين الكفار، والانتقال إلى بلاد الإسلام(٣)، لأجل إقامة شعائر الله.

يترجم (من خلاف) بالفساد والخلاف

وقد ترجم كاتبنا أيضا عبارة (من خلاف) بالخلاف والفساد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [سورة المائدة: ٣٣]. وكذلك في قوله تعالى على لسان فرعون يهدد سحرته بعد أن انقلبوا عليه وآمنوا بموسى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١﴾ [سورة طه: ٧١]. أي: بسبب الخلاف والإفساد؛ مخالفاً بذلك ما قاله علماء المسلمين من أن المقصود هو قطع اليد اليمنى والقدم اليسرى، أي من جهتين مختلفتين، والحق أن من الصعب جداً موافقة الأستاذ أسد على هذه الترجمة؛ إذ من غير المعقول أن يفهم، وهو الأجنبي وبعد كل هاتيك القرون، تعبيراً عربياً قديماً أفضل مما فهمه كل المفسرين والفقهاء المسلمين تقريباً(٤).

من الصعب جداً أن تكون عبارة (من خلاف) إشارة إلى علة تقطيع أيدي هؤلاء وأولئك وأرجلهم؛ لأن تلك العلة قد نص عليها قبل ذلك في كل الآيات المذكورة: ففي آيات المائدة نقرأ في أولها: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ

(١) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص١٩٥-١٩٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ج١٥/ ٢٥.

(٣) سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، دمشق، سورية الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ، ص٣٦٥.

(٤) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٧.

﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [سورة المائدة: ٣٣]. فالعلة إذن هي محاربة الله ورسوله والسعي في الأرض فساداً؛ فلماذا يعاد في النص ذكر تلك العلة بعد ذلك، وعلى هذا النحو الغامض، بعبارة (من خلاف)؟ أما في الآية الخاصة بفرعون فإننا نسمعه يقول للسحرة: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣﴾ [سورة الأعراف: ١٢٣]. وواضح أنه يشير إلى العلة التي أوجبت في نظره تقطيع أيديهم وأرجلهم وتصليبهم في جذوع النخل؛ كذلك فلو كانت عبارة من (خلاف) تشير إلى سبب التعذيب؛ فلماذا لم تُذْكر إلا عقب الصنف الأول منه فقط ولم تُؤَخر إلى ما بعد الفراغ من ذكر كل ألوانه ما دامت هي علة هذه الضروب العقابية جميعا؟ ثم إننا لم نسمع باستخدام هذا التعبير في المعنى المذكور، ولو كان هناك شاهد من النصوص القديمة عليه فلماذا لم يسقه الأستاذ أسد؟ الواقع أن الذوق العربي لا يرتاح إلى هذا الاستعمال، وأغلب الظن أن الأستاذ أسد قد اعتسف هذا التفسير أولاً في سورة المائدة؛ ليخلص منه إلى إلغاء عقوبة الحرابة على ما سوف يأتي بيانه في فصل لاحق، ثم اضْطُر أن يقول به في آية فرعون والسحرة حتى لا يناقض نفسه، هذا هو تفسيري للمسألة، والله أعلم(١).

وقال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الكلمة (خلاف): "أنه تقطع أيديهم مخالفاً في قطعها قطع أرجلهم، وذلك أن تقطع أيمن أيديهم وأشمل أرجلهم، فذلك الخلاف بينهما في القطع(٢).

يترجم الأعراف بالقدرة على معرفة الحق

ومن الألفاظ القرآنية التي يتصرف أسد في ترجمتها تصرفاً واسعاً يطمس مفهومها طمساً لفظ (الأعراف)، وهذا اللفظ يشير إلى مفهوم قرآني خاص، فكان ينبغي أن يبقى كما هو، ويشرحه أسد في الهامش على النحو الذي يفهمه، فيجمع بذلك بين وفاء الترجمة للأصل وشرح هذا الأصل بما يعتقد أنه هو المعنى الصحيح، لقد ترجم كاتبنا لفظ (الأعراف) بما يعني أنه: (القدرة على معرفة الحق والباطل والتمييز بينهما)، ومن ثم فقوله تعالى: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾ [سورة الأعراف: ٤٦]. (أي كلا من أهل الجنة وأهل النار) بسيماهم قد صار في الترجمة الإنجليزية هكذا: أولئك الذين كانوا في الدنيا يتمتعون

(١) المرجع السابق، ص ٧-٨.

(٢) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ (١٢٥/٣).

بالقدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، وهو ما يعني أنه لا أعراف في الآخرة كما يُفْهَم من النص القرآني، فكيف كان ذلك؟[١].

وقال البغوي: الأعراف هي ذلك السُّور الذي بين الجنة والنار، وهي جمع عرف، وهو اسم للمكان المرتفع، ومنه عُرْف الديك لارتفاعه عما سواه من جسده، وقال السدي: سمي ذلك السور أعرافاً؛ لأن أصحابه يعرفون الناس[٢].

يترجم السماوات السبع بأنها سماوات كثيرة وليس المقصود العدد.

يؤول محمد أسد بأن السماوات ليست سبعاً وإنما المراد بذكر هذا العدد أنها سماوات كثيرة.

وقد دلت السنة النبوية على أن كلمة سبعة في عدد السماوات قد ذكرت على وجه الحقيقة، ولا يراد بها الكثرة؛ فمن ذلك حديث الإسراء والمعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟ قال جبريل: قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على آدم، فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من ابن ونبي، فأتينا السماء الثانية، قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على عيسى، ويحيى فقالا: مرحبا بك من أخ ونبي، فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من ابن ونبي))[٣] وفيه دلالة واضحة على أن السماوات سبع، وأن النبي صلى الله عليه وسلم صعد من سماء إلى سماء.

أيضاً قد أجمع العلماء على هذا القول، يقول القرطبي: "ولا خلاف في السماوات أنها سبع بعضها فوق بعض"[٤].

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٨.

(٢) تفسير البغوي، (٣/٢٣١).

(٣) صحيح البخاري (٣/١١٧٣) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح ٣٠٣٥، ص٨.

(٤) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، (١٨/ ١٧٤).

ترجم ستة أيام بالحقب

أما ترجمة كلمة أيام في خلق السماوات والأرض في ستة أيام "فإن أسد يترجمها بـــ aeons، أي حقب، وهي في حدود علمي ترجمة جديدة"(١).

ترجم محمد أسد قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩﴾ [سورة فصلت: ٩]. "كما هي العادة في كثير من الآيات في القرآن التي تشير إلى حوادث كونية، فقد تكرر أن الكون خلق في ستة أيام، وذكر في هذه الآية أن الكون الاصطناعي والأرض خلقا في يومين، وهذا المعنى هو مجرد المجاز، والحقيقة في اعتقادي أن الكون ليس أزلياً، وإنما له بداية محددة، وأنه احتاج إلى وقت طويل حتى تطور إلى حالتها الحالية".

فخلاصة قوله: أن الله لم يخلق السماوات والأرض في ستة أيام، وإنما ذكر ذلك لتفهيم الناس أن الكون غير أزلي.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أصدق قيلاً وأصدق حديثاً؛ فقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [سورة النساء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [سورة النساء: ١٢٢]. وظاهر الآية يدل على أن الله خلق الأرض في يومين، ولا يشك أحد في ذلك، ولم يسبق لأحد من العلماء والمفسرين فهم غير هذا؛ وإذا أراد أحد أن يصرفه عن ظاهره فلا بد له من دليل سواء من الكتاب والسنة.

تأويله لتعريف الصحابي وإساءته لبعض الصحابة

"يرفض أسد التعريف التقليدي للصحابي بأنه: كل من رأى من المسلمين الرسول صلى الله عليه وسلم مرة على الأقل في حياته ولو كان ذلك في طفولته، قائلاً: إن هذا التعريف هو من إفرازات القرون المتأخرة، وسبب رفضه لهذا التعريف أنه حسبما قال: يوقعنا في مشاكل لا حل لها؛ فمثلاً: هل كل من ينطبق عليهم هذا التعريف يصلحون أن يكونوا مثلاً عليا للأجيال المسلمة إلى يوم الدين مع ما نعلمه من أن كثيراً من هؤلاء لا يستطيعون الارتفاع إلى هذا المستوى؟ وقد حدد كاتبنا في هذا السياق بعض الأسماء، ومنها: مروان بن الحكم الذي تساءل عنه قائلاً: أو يصلح مثله أن يكون

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص١٦.

كالنجوم الساطعة التي ينبغي على المسلمين الاقتداء بها فيهتدوا؟ كما أكد أنه غير أهل للثقة فيما يرويه من أحاديث، واستغرب أن يكون معظم المحدثين، بما فيهم البخاري، يقبلون مروياته من الحديث النبوي، ثم سرد بعض تصرفاته التي تدل في رأيه على أنه كان عديم الضمير مثل الفتنة التي أثارها ضد عثمان أيام كان يشتغل له كاتباً، وموقفه المخزي من زوجة معاوية بن يزيد التي قتلته بعد توليه الخلافة عقب موت زوجها جراء ذلك الموقف"(١).

أما سعد بن عبادة سيد الخزرج فرغم إشارة كاتبنا إلى أنه كان يوصف بالكامل لما حازه من مناقب السؤدد والكمال؛ نراه يؤكد أن العنجهية القبلية كانت غالبة عليه حتى لقد رفض مبايعة أبي بكر ومن بعده عمر بالخلافة، وآثر الانتقال إلى الشام على البقاء بالمدينة قريباً من الفاروق الذي كان يرى أنه أحق منه ومن الصديق بتولي إمرة المسلمين، ومن ثم كانت المرارة تملأ قلبه تجاه الدنيا جمعاء، ويوضح أسد قائلاً: إن علماء المسلمين الأوائل كانوا يحددون الصحابي تحديداً مختلفاً؛ إذ هو عندهم من كان مقرباً من الرسول عليه السلام، وخالطه وجعله قدوة له، وثبت معه في المواقف الحرجة منذ وقت مبكر، فمثل هذا الشخص في رأيه هو وحده الذي يصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم: ((أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم))(٢)، لا كل من دخل الإسلام ورآه ولو كان ذلك بأَخَرة بعد أن دانت الجزيرة كلها بهذا الدين وأصبح التحول إليه مغنماً لا مغرماً، كذلك يحكم أسد على الرأي الذي يقول إن الصحابي قد يكون من الجن أو من الملائكة بأنه سخف من السخف(٣).

فوصف محمد أسد لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعنجهية لا يليق ولا يصدر من مسلم وهذا خطأ فاحش، وكذلك اقتصاره على تعريف ضيق للصحابة رضوان الله عليهم تعريف لا يصح ولم يثبت أن أحداً من السلف ذهب إلى ما ذهب إليه محمد أسد، فكان الأولى منه أن يأخذ العلم من منابعه الأصيلة.

مفهوم الحرب الدفاعية

أوَّل محمد أسد مفهوم الحرب إلى الحرب الدفاعية، فتكريره أن الحرب المشروعة في الإسلام إنما هي الحرب الدفاعية فقط (الدفاعية بالمعنى الواسع)، وأن ذلك هو ما تقوله الآيات القرآنية التي تأمر المسلمين بمقاتلة من يقاتلونهم فحسب وألا يبدؤوا أحداً بعدوان كما في الآية (١٩٠) وما بعدها من

---

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ٩٤.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة ٥٦٤/٢ ح ٧٠٢، والدارقطني في المؤتلف والمختلف ١٧٧٨/٤، والشريعة للآجري ١٦٩٠/٤ ح (١١٦٦).

(٣) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ٩٥.

سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [سورة البقرة: ١٩٠]. والآية (٣٩) من سورة الحج قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [سورة الحج: ٣٩]. والآية (٢٢٧) من سورة الشعراء قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ [سورة الشعراء: ٢٢٧]. والآية (٨) من سورة الممتحنة قال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [سورة الممتحنة: ٨]. وهو يؤكد في نفس الوقت أن الجهاد في سبيل الله واجب ديني لا يتم الإيمان إلا به، وأن الأمم التي يخاف أبناؤها من الموت الجسدي ينتهى أمرها إلى الموت المعنوي(١).

والجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقيم بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون(٢).

موقفه من عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

إن من القضايا ذات الأهمية الشديدة التي تناولها محمد أسد في ترجمته التفسيرية للقرآن الكريم بشرية الرسل، ومدى انعكاسها على أخلاقهم وسلوكهم، فهو دائم الإشارة إلى هذه البشرية، وهي مما لا يشاح فيه أحد؛ إذ أن رسل الله وأنبياءه كانوا كلهم بشراً، وأنهم يأكلون ويشربون ويتزوجون ويمشون في الأسواق ثم يموتون، ولا خلاف في هذا مع محمد أسد إلا أنه لم يتوقف عند هذا الحد؛ بل دائماً ما يجعل إشارته إلى بشرية الرسل منطلقاً للحديث عن أنهم معرضون للخطأ كأي إنسان آخر، وهذا يفتح أبواب الأخطاء كلها أمام الأنبياء والرسل مثلهم في ذلك مثل سائر البشر(٣).

لقد ارتكب محمد أسد بهذه الطريقة أخطاء فادحة تجاه الأنبياء والرسل، فجوز عليهم اقتراف الذنب وارتكاب المعاصي والآثام مثل سائر البشر متناسياً عصمة الأنبياء، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قدوة البشر وخيار الخلق وصفوتهم، وقد اختارهم الله جل شأنه لإبلاغ رسالته لكي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وعصمهم من الذنوب والمعاصي، وجعل اتباعهم واجباً، ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ

---

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ١٠١.

(٢) أبو الوليد محمد بن أحمد بن راشد، المقدمات الممهدات، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار العرب بيروت، (١/ ٣٤٢).

(٣) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٢٥.

ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧﴾ [سورة ص: ٤٦-٤٧]. وقال تعالى: في وصفهم ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٨﴾ [سورة ص: ٤٨].

وسأضرب هنا بعض الأمثلة على ذلك:

موسى عليه السلام

نجده يحكي في مقدمته لسورة القصص عن واقع الحياة البشرية في قصة موسى عليه السلام، وأنواع الأخطاء الإنسانية التي هي من طبيعة البشر، وميله الغريزي نحو ابن جلدته.

وبعد قليل يعقب على اقتتال المصري والإسرائيلي وتدخل موسى عليه السلام ووكْزه للمصري الوكزة التي قضت عليه دون قصد منه، فيقول: إن "الآيتين (١٦-١٧) من هذه السورة تومئان إلى أن الإسرائيلي لا المصري هو المخطئ، والظاهر أن موسى قد تقدم لمساعدة الإسرائيلي بدافع من الميل الغريزي نحو ابن جلدته دون اعتبار للصواب والخطأ مقصود في هذه القضية ؛ بل بإقامته تصرفه كذلك على أساس من التحيز العنصري"(١).

يونس عليه السلام

حين نقرأ تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ۝١٤٠﴾ [سورة الصافات: ١٤٠]. نجد أنه أساء الأدب مع نبي الله يونس عليه السلام بكلام في غاية القبح؛ مما تنفر منه القلوب المؤمنة، فقال: أي حين ترك الرسالة التي عهد الله بها إليه، واقترف الذنب، وهرب من وجه الرب، وترك مهمته تحت وطأة الغضب العنيف(٢)، ثم ختم كلامه بقوله: إن الهدف من هذه القصة هو إفهامنا أنه ما دام قد ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ۝٢٨﴾ [سورة النساء: ٢٨]. فإن الأنبياء أنفسهم غير محصنين ضد أي لون من ألوان الضعف البشري، وهو ما يوضح أنهم عليهم الصلاة والسلام يمكن أن يرتكبوا أي شيء مما يقع فيه البشر هان أو عظم(٣)، إذ يؤكد أن الإنسان مهما ارتقى في معراج الخلق وكان حميد السجايا فإنه عرضة للوقوع في الخطأ بين الحين والحين، وأن الآية تشير من طرف خفيّ إلى أن التحرر من الأخطاء مقصور على الله سبحانه(٤).

---

(١) المرجع السابق، ص٢٦.

(٢) محمد أسد رسالة القرآن ص ٥٥٦، ٧٧٨، ١٠١٣.

(٣) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ٢٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٧.

محمد صلى الله عليه وسلم

من الواضح هنا أيضاً أن أسد مع عدم عصمة الأنبياء وهو يرى أن قوله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝﴾ [سورة الشرح: ١-٣]. يشير بكل وضوح إلى الأخطاء التي اقترفها صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، ولكن أية أخطاء يا ترى تلك التي اقترفها النبي صلى الله عليه وسلم آنذاك؟ هنا يسكت أسد[١].

"بل رغم كل ما أبدا فيه محمد أسد وأعاد فإنه هو نفسه، في حديثه عن عبوس رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتاه ابن أم مكتوم يسأله في بعض أمور دينه أثناء انشغاله بمحاولة إقناع بعض المشركين في مكة لهدايتهم إلى الإسلام، يقول: إن ما لا يزيد عن كونه مجرد هفوة تافهة من أي إنسان آخر في مثل هذه المسألة المتعلقة بالمجاملات الاجتماعية يُعَدُّ مع ذلك في حق الأنبياء ذنباً عظيماً يستوجب العتاب"[٢].

داود عليه السلام

كذلك لو كان داود عليه السلام قد صنع بأوريا هذا الذي ادعى عليه أكان الله سبحانه تاركه دون مؤاخذة، وهو الذي عرّض يونس عليه السلام لتلك التجربة المرعبة المؤلمة، تجربة ابتلاع الحوت له وبقائه في بطنه أياماً وليالي، لمجرد غضبه من قومه وإباقه إلى الفلك المشحون بسبب صلابة رقابهم ولجاجهم في الكفر والطغيان؟ إن التآمر على قتل إنسان بريء طمعاً في زوجته الجميلة ليس بالأمر الهين الذي يمكن أن تُعَدِّي عنه السماء بمثل هذه البساطة[٣].

وعلى افتراض لو سلمنا لمحمد أسد الراية وأثبتنا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقوع المعصية منهم لكان ذلك معارضاً للقرآن الكريم؛ حيث رفع الله قدر الرسل والأنبياء وأثنى عليهم ورفع مكانهم علياً، كما أنه يقع في محظور آخر وهو موافقة العهد القديم الذي حط من مكانة الأنبياء واتهمهم بالزنا والقتل والدياثة والفاحشة مع المحارم والكذب والغدر والتحايل.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٣١.

تأويل المعجزات

تجد محمد أسد ينكر معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأوّلها تأويلات باطلة فاسدة، وأساء الأدب معهم، فهم عرضة للوقوع في الذنوب والآثام كأي شخص عادي، ولا يجوز الاستهزاء بالرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٥].

"فإن بعض المفسرين في العصر الحديث قد درجوا على تأويل هذه المعجزات بما يخرجها عن إعجازيتها ويلحقها بالحوادث المعتادة التي تخضع لقوانين الطبيعة المطردة، ومن هؤلاء الأستاذ محمد أسد، وقد سبقه إلى هذه الخطة المفسرون القاديانيون مثل مولاي محمد علي(١) وملك غلام فريد(٢) في ترجمتيهما التفسيريتين"(٣).

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي: "يغلب على المتأولين اتجاه تفسير المعجزات والأمور الغيبية التي تتعلق بقدرة الله الواسعة بالأمور الطبيعية والحوادث العادية التي تتفق مع النواميس الطبيعية والتجارب اليومية، وهو يبالغ في ذلك ويغرق في التأويل، ولو أبت ذلك اللغة الصريحة، واللفظ الصريح، وهو أسلوب لبق من أساليب إنكار المعجزات والأمور الغيبية والفرار من الإيمان بالغيب والاعتماد على قدرة الله وصفاته وأفعاله، والخضوع الزائد للمقررات الطبيعية التي لا تزال في دور التحول والتطور، وهذا تفكير خطير على الإسلام، ومعارضته للدين الذي يطلب الإيمان بالغيب(٤)".

---

(١) محمد علي اللاهوري القادياني (١٨٧٤-١٩٥١ م) أحد أتباع غلام أحمد القادياني، الذي ادعى النبوة، ورئيس الفرع اللاهوري للقاديانية، ألف كتاباً سماه (حياة محمد ورسالته) هذا الكتاب ترجم إلى الإنجليزية والعربية فنال انتشاراً، وأن من أقواله:

- نحن نعتقد أن (غلام أحمد) مسيح موعود، ومهدي معهود، وهو رسول الله ونبيه، ونزله في مرتبة بيَّنها لنفسه، أي: إنه أفضل من جميع الرسل، كما نحن نؤمن بأن لا نجاة لمن لا يؤمن به.
- ومن معتقداته الباطلة أن المسيح هو ابن يوسف النجار من مريم.
- ومن أصول مذهبهم إلغاء فريضة الجهاد.
- وله ترجمة مشهورة للقرآن الكريم؛ حيث دس فيها اعتقاد الفرقة القاديانية، فلم يوافق الأزهر على نشرها، وأفتى علماء مصر حكومتهم بمنع الإذن بدخول المصحف المطبوع مع هذه الترجمة، وكذلك فعل مفتي بيروت، وقد ركز في ترجمته هذه على إنكار الإيمان بالغيب وبالقدرة الإلهية، انظر: حياة محمد ورسالته، لمحمد علي اللاهوري القادياني ترجمه إلى الإنجليزية: محمد يعقوب خان، وترجمه إلى العربية: منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ.

(٢) ملك غلام فريد القادياني، ترجم القرآن الكريم باللغة الإنجليزية لترجمة رئيس القاديانيين الأردية للقرآن الكريم ميرزا غلام أحمد القادياني.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٤) أبو الحسن علي الحسني الندوي، القادياني والقاديانية، الدار السعودية للنشر جدة، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ، ص١٤٧.

وعرف عن محمد أسـد منهجيته العقلية وتفسـيره المادي للمعجزات والغيبيات، فيقوم بإنكار معجزات الأنبياء والرسـل عليهم الصـلاة والسـلام ويؤولها تارة بالمحسـوسـات، ويعتبرها تارة أخرى أساطير؛ ولأجل بيان منهجه نضرب بعض الأمثلة على ذلك.

ومن هذا يتضـح لنا مدى التعسـف في تأويل آيات كتاب الله تعالى تأويلاً يخرجه عن معناه الحقيقي، وهذا المنهج العقلاني المادي واضح في تأويل القرآن الكريم.

إبراهيم عليه السلام

ينكر محمد أسد معجزة إنقاذ الله تعالى لنبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من النار، وخالف بذلك الآيات الصريحة، وإجماع المفسرين في تفسيره لها، فالقرآن الكريم صرح بأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقي في النار فعلاً، ثم أنجاه الله تعالى منها بخطابه تعالى للنار بأن تكون برداً وسلاماً عليه؛ حيث ذكر القرآن الكريم هذه المعجزة ثلاث مرات في ثلاث سور قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٦٨-٦٩]. وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [سورة الصافات: ٩٧-٩٨].

وهذا الإنكار غير مقبول من مسلم فضلاً أن يكون عالماً.

ترجم محمد أسد قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٦٩]. قال: قلنا يا نار كوني مصدراً للطمأنينة النفسية والسلام الداخلي، ويعلل على ذلك بأن القرآن الكريم لم يذكر أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقي في النار بجسده وبقي فيها؛ بل العبارة ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٢٤]. تشير إلى أنه لم يلق فيها حقيقة، "ثم يقول محمد أسد: إن تفاسير القدماء للقصص الموجودة تشبه تفاسير قصص التلمود الخيالية، ولهذا لا تقبل، وأما الآيات من سورة الأنبياء وسورة العنكبوت فهي تشير إشارة مجازية إلى نار الاضطهاد التي عاش فيها إبراهيم عليه الصلاة السلام، وصار في آخر عمره مصدراً للقوة الروحية والطمأنينة النفسية"[(١)].

---

(١) محمد أسد، رسالة القرآن، ص ٥٥٣.

يقول محمد أسد تعليقاً على الآيتين (٦٨- ٦٩) من سورة الأنبياء، واضح الدلالة في أنه قد ألقى فيها؛ لكن الله منعها من إحراقه، وذلك في قول رب العزة: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [سورة الأنبياء: ٦٨-٦٩]. قالوا (أي قومه عليه السلام)، إنه لم يحدث أن ذكر القرآن في أي موضع منه أن إبراهيم قد ألقي بجسده فعلاً في النار وبقي حياً فيها؛ بل إن قوله تعالى في الآية (٢٤) من سورة العنكبوت على العكس من ذلك، يشير إلى أنه لم يلق في النار، وفضلاً عن هذا فباستطاعنا تتبع مصدر القصص الكثيرة المستفيضة والمتعارضة التي طرّز بها المفسرون القدامى تفسيرهم للآية التي نحن بصددها في الخرافات التلمودية، ومن ثم فمن الممكن أن نلقي بها دبر آذاننا؛ أما ما يقوله القرآن هنا وكذلك في آية العنكبوت والآية (٩٧) من الصافات ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ۝٩٧﴾ [سورة الصافات: ٩٧]. فلا يزيد فيما يبدو عن أن يكون إشارة رمزية إلى نار الاضطهاد التي كان على إبراهيم أن يقاسيها والتي ستصبح بعد ذلك بسبب عنفوانها مصدر قوة روحية وسلام باطني له[1].

هارون عليه السلام

يتهم محمد أسد هارون عليه السلام بالذنب والمعصية أثناء ترجمته للآيات: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝٩٣﴾ [سورة طه: ٩٢-٩٣]؛ حيث لم يفعل شيئاً حين عبد الناس العجل، خوفاً من أن يفرق بينهم[2].

سليمان عليه السلام

بالنسبة لسيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام فقد أوَّل قضية جلبه لعرش بلقيس من اليمن إلى البيت المقدس، ثم دخول بلقيس على عرشها بحضور سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام، وعدّ القصة رحلة روحية"[3].

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٣٦-٣٧.

(٢) محمد أسد، رسالة القرآن ص ٢٥٦.

(٣) جوهانس كلومنك، محمد أسد وترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم، ص ١١٣-١١٤.

وجرياً على نفس النهج يقول كاتبنا عن قصة سليمان وعفريت الجن والذي عنده علم من الكتاب وعرش بلقيس: إنها قصة رمزية، فضلاً عن الذي عنده علم من الكتاب هو كما قال بناء على تفسير الرازي، سليمان نفسه؛ إذ الكتاب هو الوحي حسب ذلك التفسير(١).

يونس عليه السلام

يقول محمد أسد عن قصة يونس -عليه السلام- والتقام الحوت له كما وردت في سورة الصافات فهي (حسبما قال): حكاية خرافية ذات دلالة رمزية، وبطن الحوت عنده إشارة إلى العناء الروحي الذي كان يرزح تحته يونس عندما فر من أداء رسالته، واليقطينة استعارة قُصِد بها الإيماء إلى رحمة الله له وعودته إلى طريق النور والحياة الروحية(٢).

عيسى عليه السلام

يقول محمد أسد في رفع عيسى عليه الصلاة والسلام إلى السماء: "إن عيسى توفي ولم يرفعه الله إلى السماء، وما يعرف عند المسلمين من أن الله أبدل عيسى بشخص شبيه به ما هو إلا أساطير مزخرفة، فالمراد من رفع عيسى عليه السلام هو تكريمه، وتمجيده، وهذا أمر يشترك فيه جميع الأنبياء، كما في قوله تعالى في إدريس عليه السلام(٣): ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [سورة مريم: ٥٧].

وبالنسبة لعيسى عليه السلام نجد الأستاذ محمد أسد يؤوّل كلامه في المهد بأنه إشارة مجازية للحكمة النبوية التي كانت تلهم عيسى منذ وقت جد مبكر من حياته؛ لكننا نعرف أن اليهود عندما أشارت إليه أمه وهو لا يزال في المهد كي يسألوه فيما يريدون أن يعرفوه عن السر في ولادتها إياه دون زواج، كان ردهم عليها: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيًّا ۝٢٩﴾ [سورة مريم: ٢٩]، وحينئذ أجابهم عيسى بقوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠﴾ [سورة مريم: ٣٠].

فماذا يقول الأستاذ أسد في هذا؟ إنه يؤوّل الزمن الماضي هنا في آتاني وجعلني بأنهما يدلان على أن ذلك سوف يحدث في المستقبل لا أنه حدث في الماضي(٤).

---

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٣) محمد أسد، رسالة القرآن، ص ٨٩، ١٥٤.

(٤) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ٤٠.

أما نَحْت عيسى عليه السلام طيراً من الطين ونفخه فيه فيصير طيراً بإذن الله كما جاء في القرآن الكريم في أكثر من موضع، فإن مترجمنا يؤوّله بـ الحظ أو المصير، قائلاً: إن كلمة الطائر أو الطير قد تكرر مجيئها في القرآن بهذا المعنى، في الأعراف آية (١٣) ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٣]. والنمل آية (٤٧) ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة النمل: ٤٧]. ويس آية (١٩) مثلاً، ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة يس: ١٩]، وهو تعبير عربي قديم، وبناء على هذا التأويل يكون معنى الآية أن عيسى أراد بأسلوبه المعروف أن يضرب لبني إسرائيل مثلاً يبين لهم فيه أنه من طين حياتهم الحقير، سوف يشكل لهم رؤيا، مصير يحلق عالياً في أجواء الفضاء، وأن هذه الرؤيا التي سوف تتحقق على أرض الواقع بإلهام من ربه ستكون مصيرهم الحقيقي بإذن الله وبقوة إيمانهم[١].

موسى عليه السلام

أما معجزات موسى فيبدو لي وأرجو ألا أكون مخطئاً، أن أسد ينظر إليها نظرة مختلفة بعض الشيء، ذلك أنه يستخدم لها لفظ المعجزة، ثم يضيف إليها مع ذلك معنى صوفياً أو رمزياً، وإلى القارئ ما قاله عن معجزة العصا التي ألقاها عليه السلام، فإذا هي ثعبان مبين يبتلع حبال السحرة جميعاً قال: "إن التحول الإعجازي لعصا موسى إلى ثعبان له فيما أعتقد مغزى صوفي؛ إذ يبدو أنه إشارة إلى الفارق الجوهري بين المظهر الخارجي والحقيقة[٢].

موقفه من الغيبيات:

اعتمد محمد أسد في تفسير الغيبيات كـ (الجنة، والنار، والملائكة، والجن) على التأويل مستنداً في ذلك إلى مفهوم المحكم والمتشابه في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ٧]. وعلل على ذلك بأنه يقدم تفسيراً عصرياً للقرآن لا يتناقض كما يرى مع قوانين الطبيعة.

(١) المرجع السابق، ص ٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣.

وهذا المسلك الذي سلكه محمد أسد مسلك غير صحيح؛ لأنه يخالف نصوص الكتاب والسنة، وربما يقع في تحريف لكلام الله تعالى.

تأويل نعيم الجنة وعذاب النار

يؤول محمد أسد نعيم الجنة إلى البهجة الأخروية المركزة التي لا تخطر على قلب بشر(١)، و(أنكال) في سورة المزمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢﴾ [سورة المزمل: ١٢] التي أعدها الله يوم القيامة لأهل الجحيم ليست سوى رمز على بقاء النفس في العالم الآخر مقيدة بمتعتها وشهوتها الجسدية، بعيداً عن عالم الصفاء(٢)، وهو بذلك يعني أن وصف القرآن للجنة والنار لا ينبغي أن يؤخذ على ظاهره، أو على أنه وصف لحقائق واقعية؛ بل هو مجرد تمثيل وتصوير.

وعلى أساس من التأويل أيضاً نراه يتناول الجنة والنار وما فيهما من نعيم وعذاب، فهو يؤكد أن أوصاف الجنة من أكل وشرب ولبس وكذلك كل ما يتعلق باليوم الآخر في القرآن؛ إنما هي تعبيرات رمزية لتقريب هذه الأمور، ولا يصح فهمها على ظاهرها بأية حال(٣).

إذن يعتبر محمد أسد أوصاف الجنة مجازاً، فهو يقرر بأن وصف القرآن لنعيم الجنة دائماً وصف مجازي، ويصعب على المرء أن يتخيله؛ بل يستحيل، ومثلا: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ [سورة النبأ: ٣٣]. ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩﴾ [سورة الإنسان: ١٩]. ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝٤٧﴾ [سورة الحجر: ٤٧]. وغير ذلك من وصف الجنة.

فعلى سبيل المثال: اتكاء أهل الجنة على فرش بطائنها من استبرق كما جاء في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤﴾ [سورة الرحمن: ٥٤]. معناه عنده الراحة التامة، والسلام الشامل لا أقل ولا أكثر.

والرحيق المختوم المذكور في قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥﴾ [سورة المطففين: ٢٥]. مجرد إشارة رمزية لمشاعر.

---

(١) محمد أسد، رسالة القرآن، ص ١٠٧١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٣٢.

(٣) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ٦٢.

تأويل الملائكة إلى كائنات روحية

يؤوّل محمد أسد الملائكة وفسرها بأنها كائنات روحية أو قوى روحية[١]، أو قوى ملائكية[٢]، أو قوى سماوية[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [سورة فاطر: ١]. يقول عن أجنحة الملائكة بأنها دلالة على السرعة والقوة التي ينزل بها الوحي على الأنبياء[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [سورة المدثر: ٢٦-٣٠]. يؤول التسعة عشر إلى قوى الإدراك وحواسه والوظائف العضوية للجسم البشري، فيقول عليها تسع عشرة قوة، وإن هذه القوى التسع عشرة قوى ملائكية؛ لأن الإنسان يميز بها الخير والشر[٥].

ويقول عن نزول الملائكة في معركة بدر أنه مجازي وروحي، فذكر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٦﴾ [سورة التوبة: ٢٦]. أنه إنزال لقوات روحية[٦].

ولما ترجم قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ [سورة الانفطار: ١٠]. قال: إن عليكم قوات ساهرة دائمة، وأن هذه القوة الساهرة لدى كل إنسان هو ضميره وعقله الباطن[٧].

---

(١) محمد أسد، رسالة القرآن، ص ٤٦، ١٠٢، ٢٩٤، ٧٤٤، ٧٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٦، ٨١٨، ١٠٠٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٧٤٩.

(٥) المرجع السابق، ص ١٠٣٨.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٤٩.

(٧) المرجع السابق، ص ١٠٨٦.

إبليس والجن والشياطين

يؤوّل محمد أسد مفهوم الجن إلى قوى شيطانية[١]، أو قوى متمردة[٢]، أو كائنات غير مرئية[٣] أو يطلق على الناس الغرباء[٤]، كما يترجم لفظ (إبليس) بالملاك الساقط في أكثر من موضع[٥]، وهذه الكلمة مستخدمة لدى الطوائف المسيحية بالملاك الساقط أو الهابط الذي تم معاقبته ونفيه من الجنة، وهو مفهوم غربي شائع في الثقافة الغربية.

وهذا مخالف لاعتقاد أهل السنة والجماعة، ونبدأ بتأويله لإبليس والشياطين؛ حيث يقول في ترجمته لسورة الأعراف عند الآية: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [سورة الأعراف: ٥-٦]. في الهامش: "أن قصة آدم وعصيان إبليس للأمر الإلهي بالسجود له قصة رمزية للتطورات الروحية، وليست قصة حقيقية، عنده أيضاً إبليس ملاك ساقط وتمرده تمرد رمزي، وهو بإغوائه البشر إنما يمثل مهمة كونية محددة هي حفْزهم على ممارسة ما وهبهم الله من إرادة أخلاقية حرة؛ أي القدرة على الفعل والترك في مجال الأخلاق، كما يفسر الشياطين بأنها تعبير استعاري عن الرغبات البشرية الشريرة المضادة لمصالح البشر الروحية، وبالمثل يؤول القرناء"[٦] في قوله عز وجل: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ۝٢٥﴾ [سورة فصلت: ٢٥]. وتناول محمد أسد في الملحق الثالث مفهوم الجن، وذكر أنه لا ينكر وجودهم؛ ولكن لا بد من الابتعاد من المفهوم السائد لدى العرب بكون الجن من العفاريت أو الشياطين[٧].

ولم يكتف بما سبق من تفسيرات خاطئة لمعنى الجن؛ بل إنه تجاوز ذلك لينحرف انحرافاً شديداً باعتقاده أن ذكر الجن في بعض آيات القرآن يراد به استحضار بعض القصص الخرافية الراسخة في أذهان الناس الذين خاطبهم القرآن لأول مرة، وأن الهدف الرئيس من ذكر تلك القصص الخرافية هو ليس القصة نفسها؛ بل إظهار حقيقة روحية أو أخلاقية، ويشير في هذا إلى قصة سيدنا سليمان عليه

(١) المرجع السابق، ص ٥١٩، ٧٦٩، ٧٩٢، ١٠٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٥٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٤، ٢٢٠، ٤٣٠، ٥٧٢، ٦٤٥، ٧٨٠، ٩٣٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٨٠٨.

(٥) المرجع السابق، ص ١٦، ٢٣٢.

(٦) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ٥٢.

(٧) محمد أسد، رسالة القرآن، ص ١١٣٥-١١٣٦.

السلام[١] في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سورة سبأ: ١٢]. فإنكار محمد أسد للغيبيات، كالجنة والنار، والملائكة، والجن، هو إنكار معلوم من الدين بالضرورة، فوقع في نواقض الإيمان القولية، التي تنقل الإنسان من الإيمان إلى الكفر عند كافة أهل العلم رحمهم الله.

آراء محمد أسد الفقهية

أخطأ محمد أسد في بعض الآراء الفقهية التي اتفق عليها جمهور العلماء وإجماع المسلمين، وجانبه الصواب في دراسته لهذه المسائل، فلنأخذ أمثلة على ذلك: مسألة حجاب المرأة، والتعدد، والحدود.

مسألة حجاب المرأة

يتبن موقفه من الحجاب من خلال ترجمته لآيتين في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النور: ٣١]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩].

يرى محمد أسد أن عبارة إلا ما ظهر منها عبارة غامضة قصداً كي يترك الإسلام الباب مفتوحاً للتطورات الاجتماعية في تحديد المساحة التي تظهرها المرأة من جسدها، وعلى هذا فهو يخالف العلماء الذين يحددون المقصود بـ (ما ظهر منها) بالوجه والكفين والقدمين أو بأقل من ذلك، ثم يضيف مؤكداً أن المهم هو غض البصر وحفظ الفرج؛ لأن هذا هو مقياس العفة الذي ينصبه الإسلام للحكم على سلوك المرأة ولبسها[٢].

(١) المرجع السابق، ص ١١٣٧-١١٣٨.

(٢) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ١٠٨، وكذلك انظر: محمد أسد، رسالة القرآن، ص ٦٠٠-٦٠١.

أما الآية من سورة الأحزاب فيذكر محمد أسد أن حكم الحجاب وتغطية الراس ليس حكماً عاماً لجميع نساء المسلمين؛ وإنما الخطاب اقتصر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وبناته(1).

قضية التعدد

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٥٠﴾ [سورة الأحزاب: ٥٠]. فالأجور كما هو واضح قد ذُكرت للزوجات وحدهن دون ملك اليمين، وهذا فضلاً عن أن السببية يحل نكاحها حتى لو كان لها زوج؛ ولكن بعد استبرائها بحيضة كما سلف القول؛ أما الحرة المتزوجة فلا يمكن نكاحها إلا إذا مات عنها زوجها أو طلقها؛ أما آية النساء فالذي نفهمه من تركيبها هو أن على المسلم إذا أراد التعدد، أن يعدل بين زوجاته وإلا فليكتف بواحدة أو فليأخذ مما ملكت يمينه ما يشاء، هذا ما تقوله الآية؛ أما تفسيرها على طريقة المستشرق النمساوي فمن الصعب الاقتناع به، ولسنا نقول هذا لأننا ندعو إلى إفلات الشهوات، فإن الحياة الحديثة في بلاد كبلادنا تجعل من الصعب الشديد الصعوبة التزوج بأكثر من واحدة فضلاً عن أن ما ملكت اليمين لم يَعُدْ لها الآن أي وجود بحكم التطور التاريخي؛ لكننا نقرر ما نعتقد أنه هو التفسير الصحيح للآية، ولا ريب أن ما يقوله القرآن عن ملك اليمين هو أنبل وأشرف بما لا يقاس مما تفعله الجيوش الغربية في أي بلد تجتاحه من اغتصاب للنساء الحرائر وبَقْرٍ لبطونهن وتعاوُر عدة ذكور على المرأة الواحدة وغير ذلك من الفظائع، فلا ينبغي إذن أن يفزعنا المعيار الغربي، فهو معيار كله نفاق وغطرسة فارغة كذابة، والأستاذ أسد يعرف ذلك أكثر من غيره(2).

---

(1) محمد أسد، رسالة القرآن، ص ٧٣٠-٧٣١.

(2) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ١٠٧.

الحدود

فيما يتعلق بمسائل الحدود الشرعية فقد أخطأ محمد أسد في ترجمته في عدة مسائل، من أبرزها:

حد الحرابة

أما ما قاله في الحرابة فليس من السهل قبوله، لقد تحدث القرآن الكريم عن جريمة الحرابة وعقوبتها في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [سورة المائدة: ٣٣-٣٤]. وعلق أسد على العقوبة المذكورة في الآية قائلاً إن تقطيع يدي الشخص ورجليه غالباً ما يراد به القضاء على سلطانه، وإن من الممكن أن يكون هذا هو المعنى المقصود هنا، أو قد يكون المراد هو تشويهه على الحقيقة والمجاز معاً، وإن التفسير الصحيح لعبارة من خلاف هو بسبب مخالفتهم (للدولة) أو بسبب فسادهم، ثم يضيف أن الآية لا تمثل في الواقع حكماً تشريعياً؛ بل هي نبوءة بأن الذين يحاربون الله ورسوله سينتهي مطافهم حتماً إلى أن يقتلوا أو يعذبوا أو يشوّه بعضهم بعضاً مما يترتب عليه القضاء على جماعات كثيرة من الناس بسبب تهالكهم[(١)].

حد الزنا

وعند أسد أن الزنا في الإسلام شيء واحد سواء أكان الزانيان متزوجين أم عَزَبَين، بخلاف ما هو مقرر في بعض اللغات الأوربية كالإنجليزية مثلاً؛ إذ يسمى النوع الأول "adultery"، والثاني"fornication"، وقد ورد هذا الكلام أثناء تعليقه على الآية الثانية من سورة النور، وهي الآية التي تحدد عقوبة الزاني والزانية، ورغم أنه لم يفصل القول في هذه العقوبة فالمفهوم من عبارته، ما دام لا يفرق بين زنا وزنا، أنه لا يرى عقوبة للزنا إلا الجلد سواء كان مجْتَرِحة محصناً أو غير مُحْصن، وتعليقاً على اشتراط القرآن الإتيان بأربعة شهود على واقعة الزنا، يقول كاتبنا: إن ذلك من الاستحالة بمكان؛ مما يدل على أن الإسلام يريد استبعاد أي طرف ثالث غير مرتكبي الواقعة، وقصرها على إقرار أحد هذين الطرفين من تلقاء نفسه[(٢)].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٥.

موقفه من الصفات الإلهية:

وقع محمد أسد في أخطاء كثيرة وتأويلات فاسدة في إثبات صفات الله جل وعلا، وهي كما يلي:

- في صفة اليدين: يقول محمد أسد في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزمر: ٦٧]. بأن المراد بصفة اليد هي القدرة، والملك"[1]، كأنه يميل إلى المنهج الأشعري.

- في صفة العينين: يقول محمد أسد في قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة هود: ٣٧]. وفي قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة طه: ٣٩]. المراد به لتقع الصنعة على علمي، ويقول: لتصنع تحت رعايتنا[2].

-في صفة المجيء: يقول محمد أسد في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر: ٢٢]. وظهر جلال ربك وعظمته[3].

وعلى هذا التأويل الفاسد سار محمد أسد في بيانه لصفات الله جل وعلا مثل المعطلة في بيان الصفات، فخالف بذلك منهج أهل السنة والجماعة في وجوب إثبات كل ما أثبته الله تعالى لنفسه من الصفات، وما أثبته له رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، وذلك لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى: ١١].

موقفه من القصص القرآنية:

توسع محمد أسد في باب المجاز والاستعارة، فكان موقفه من القصص القرآنية الثابتة موقفاً مخزياً، وربما وصل لمرحلة الانحراف العقدي؛ حيث ينفي كثيراً من القصص القرآنية، ويعدها مجرد قصص خيالية أو خرافية، وأذكر هنا بعض القصص التي نفاها على سبيل المثال.

(١) محمد أسد، رسالة القرآن، ص ٨٠٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣٥٨، ٥٢٨، ٩٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٨٦.

قصة أصحاب الكهف

بدأ في تفسيره لسورة الكهف بمقدمة مختصرة وأن غالب ما جاء فيها أمثال ومجازات حول الإيمان بالله وعدم التعلق المفرط بهذه الدنيا الفانية، وأن قصة أصحاب الكهف تمثيلي للزهد في الدنيا، ومجازية الموت، والبعث، والانبعاث الروحي[1].

وأن القرآن الكريم استخدم قصة الكهف بطريقة رمزية بحتة وبمجرد مثلٍ لبيان قدرة الله تعالى على الإماتة (النوم)، والبعث (الاستيقاظ)[2].

وهذه القصص حقيقية ثابتة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، ولا يجوز التأويل فيها إلى مجازات أو أساطير.

قصتا الخضر ولقمان

يذكر محمد أسد أن الخضر ولقمان شخصيتان أسطوريتان أو خياليتان، استخدمهما القرآن الكريم وسيلة للبلاغ عن المواعظ والآداب[3].

قصة أصحاب الأخدود

في قول الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥﴾ [سورة البروج: ٤-٥]. يقول محمد أسد: في قصة أصحاب الأخدود، لا يحتاج الاعتداد بهذه الأساطير؛ لأن عدم الكشف عن هؤلاء الأشرار يدل على أنه مثلٌ ولا يشير إلى حادثة تاريخية، والنار ذات الوقود مجاز لاضطهاد أحد الطرفين للآخر، ولا تقتصر على قوم بعينهم؛ بل تتكرر كثيراً في التاريخ[4].

فنفي القصص القرآنية الثابتة في كتاب الله عز وجل وتأويلها بقصص خيالية وأساطير لتحقيق أهداف اجتماعية وأخلاقية معينة يعتبر تهجماً على القرآن الكريم، وتجرؤ على كلام الله تعالى بغير علم، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝١١١﴾ [سورة يوسف: ١١١].

(١) المرجع السابق، ص ٤٨٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨٨-٤٨٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٠٠، ٧٠٦.

(٤) المرجع السابق، ص ١٠٧٥-١٠٧٦.

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ٦٢].

موقفه من أشراط الساعة:

أخطأ محمد أسد في تأويل بعض معاني أشراط الساعة، وفسرها تفسيراً خاطئاً، وأورد هنا بعض الأمثلة وهي كما يلي:

يأجوج ومأجوج

جانب الصواب محمد أسد في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [سورة الكهف: ٩٤]. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٩٦]. فذكر أن خروج يأجوج ومأجوج دلالة على إشارات مجازية، ولا تشير إلى خروج مخلوقات وفصائل محددة؛ ولكنها إشارة إلى عدد من الكوارث الاجتماعية والكونية التي تدمر الحضارة الإنسانية قبل قيام الساعة، وهو القول الأقرب للصواب(١).

فهذا التأويل الفاسد يدل على جهله بالقرآن والسنة النبوية، وإن نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على كفر من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [سورة المائدة: ٥]. وقال جل جلاله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٥-٦٦].

الدابة

أخطأ محمد أسد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النمل: ٨٢]. فيفسر معنى الدابة بأنها ذكرت على سبيل

(١) المرجع السابق، ص ٥٠٤-٥٠٥.

المجاز، وأنها عبارة عن النظرة المادية الدنيوية؛ مما يؤدي إلى هلاك الحياة الروحية، وأنها من علامات الساعة، وكلام الدابة للناس رمزية وليست حقيقية[(١)].

وعلى هذا فإن محمد أسد يعد مخالفاً لمنهج أهل السنة والجماعة؛ لأنه فسر النصوص الشرعية وفقاً لفهمه وعقليته متأثراً ببيئته، ولجأ إلى التأويل الباطل مما جانب الصواب في مواضع كثيرة، فانحرف عن عقيدة أهل السنة والجماعة في فهم واتباع نصوص الكتاب والسنة، وعدم رد شيء منها أو تحريفه.

ولقد اعتمد محمد أسد على الدليل العقلي، مما وقع في إنكار حقائق كثيرة أثبتها القرآن الكريم، والسنة النبوية؛ حيث سار على منهج المتكلمين والفرق الضالة المبتدعة كالمعتزلة في تقديم العقل على النقل، ففرق كبير بين الحقائق التي مصدرها الكتاب والسنة وبين الفهم السقيم والتأويل الفاسد، فالمسائل الغيبية لا مجال للاجتهاد فيها، وإعمال العقل المجرد لفهمها والوصول إلى المقصود منها.

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٥٥.

الفصل الثاني

جهود من أسلم من المستشرقين

في الدفاع عن السنة النبوية

وتحته مبحثان.

- **المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في بيان مكانة السنة وحجيتها**
- **المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في ترجمة السنة النبوية وتقويمها**

الفصل الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن السنة النبوية.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في بيان مكانة السنة النبوية وحجيتها وبيان منهج المحدثين.

المطلب الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في بيان مكانة السنة وحجيتها.

حُجَّة مفرد حِجاج وحُجَج: أي دليل وبرهان، يقال: قدّم للقاضي حُجَّةً قاطعة- ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٤٩]"[١]، ومعنى حجية السنة: "أنها دليل على حكم الله، يفيدنا العلم أو الظن به، ويظهره ويكشفه لنا، فإذا علمنا أو ظننا الحكم بواسطته وجب علينا امتثاله والعمل به، فلذلك قالوا: معنى حجية السنة: وجوب العمل بمقتضاها، فالمعنى الحقيقي للحجية هو: الإظهار والكشف والدلالة؛ ويلزم هذا وجوب العمل بالمدلول؛ حيث إنه حكم الله، فكل ما يأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو بأمر الله له؛ حيث إنه لا ينطق عن الهوى؛ بل هو مبلغ لما أوحاه الله إليه، سواءً كان ذلك الموحى إليه قرآناً أو سنة[٢].

والسُنَّةُ في اللغة: الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة؛ معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق[٣]، ومنه قوله – صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ))[٤] ومن حديث: ((لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ))[٥]، وهي في اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقِيَّة أو خُلُقِيَّة أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها، وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم، وفي اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير[٦].

---

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، ٤٤٥.

(٢) محمد بن عبد الله باجمعان، السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والعمل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص٣٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب (١٣/ ٢٢٦).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٢/٧٠٤) ح (١٠١٧).

(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (١٦٩/٤) ح (٣٤٥٦).

(٦) محمد بن عبد الله باجمعان، السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والعمل، ص٤٧.

والسنة النبوية وحي من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه؛ لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم: ٣-٤] وأن الله تعالى أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الكتاب، وهو القرآن، والحكمة: وهي السنة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [سورة النساء: ١١٣].

إذن، السنة هي المبينة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه، والدالة على حدوده والميسرة له، والهادية إلى الصراط المستقيم، صراط الله الذي مَن اتبعه اهتدى، ومن سلك غير سبيله ضل وغوى.

ومن هنا يتبين لنا أهمية السنة النبوية وأنها المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، والتطبيق العملي لما جاء فيه، وقد جاءت الآيات المتكاثرة والأحاديث المتواترة التي أمر الله فيها جل وعلا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والاحتجاج بسنته ووجوب الأخذ والعمل بها، وقد وردت في كتابات المستشرقين الذين أسلموا ما يبين أهمية السنة والاستشهاد بها في مؤلفاتهم، وبيان حجيتها، وسيعرض الباحث ما يتصل بهذا الشأن خلال الأسطر القادمة وفق النقاط التالية:

مفهوم السنة

يقول محمد أسد عن السنة بأنها: "ما روي من أقوال الرسول وأعماله التي ذكرها أصحابه ونقلوها، ثم جمعت بعد التمحيص في القرون الأولى التي تلت الهجرة"[(١)].

أيضاً تقول مريم جميلة عن السنة بأنها: "الحديث: وهو أقوال الرسول الكريم والسنة وهي أعمال الرسول الكريم أساسيان للفهم الصحيح للقرآن، فواحدها ليس له معنى دون الآخر"[(٢)].

وذهب موريس بوكاي إلى مفهوم السنة بقوله: "إنها أخبار وأفعال وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وإن لم يكن كتابها شهود عيان؛ إذ إن الكتب المعتمدة للأحاديث الصحيحة لاحقة في الظهور بشكل جلي للعصر الذي كان يعيش فيه نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وهي لا تؤلف ولا يزعم لها أحد من المسلمين أنها وحي إلهي مكتوب"[(٣)].

(١) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٨، ١٩٧٤، ص٩١.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٤٤.

(٣) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٧١-١٧٢.

بينما يذهب مراد هوفمان بأن مفهوم السنة هي: "تفاصيل الحياة اليومية للمسلم فمصدرها الذي احتفل بها وفصلها هو السنة النبوية: أي أقوال الرسول وأفعاله، وما أقره من قول أو فعل، فالسنة النبوية هي المثلى التي يحتذيها المسلم"[1].

ويوضح مراد هوفمان في موضع آخر مراد السنة ومفهومها فيقول: "السنة هنا كمصطلح أصولي تعني مصدرًا للشرع، وهي أقوال وأفعال وتقريرات النبي صلى الله عليه وسلم في مجال تبليغ الدعوة، وهذا جزء من عموم أقواله وأفعاله وتقريراته"[2].

مكانة السنة

يقول مارمادوك بكثول عن مكانة السنة وأهميتها: "إن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ليس لها شبيه خارج العالم الإسلامي وتم فحصها بدقة كبيرة"[3].

ويبين روجيه دوباسكويه مكانة السنة بقوله: "الفقه هو علم أحكام الشريعة وتطبيقها على المستوى الفردي والجماعي، ولهذه الأحكام مصادر رئيسية: القرآن، السنة، القياس، الإجماع، ويمكن بالاجتهاد الوصول إلى حل لكل مسألة أو مشكلة من المصادر الرئيسية، ويقوم بهذا العمل من لديه المؤهلات الكافية لذلك، معرفة القرآن والسنة ومعارف العصر"[4].

ويؤكد روجيه دوباسكويه أن الشرع ينبع من القرآن الكريم والسنة النبوية فيقول: "ومن الضروري في هذا الخصوص التأكيد على حقيقة أن الإسلام لا يفصل بين (ما لله وما لقيصر)، ففي المنظور الإسلامي كل شيء يرجع لله، وكل أوجه الحياة الإنسانية تمتثل للشرع الذي ينبع من القرآن والسنة[5]، ويقول في موضع آخر: "لم يتحلَّ المسلمون الأوائل الذين انطلقوا من الصحراء لنشر الإسلام إلا بمعارف القرآن والسنة"[6].

ويذكر محمد أسد في كتابه أن السنة هي المصدر الثاني للشريعة بعد القرآن الكريم: "فالقرآن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لأتباعه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٨٤.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠م، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤٢٤هـ، ص٧٢.

(٣) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام ص٨٠-٨١.

(٤) روجيه دوباسكويه، ص١٢٠.

(٥) المرجع السابق، ص٦٤-٦٥.

(٦) المرجع السابق، ص١٣٣.

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ [سورة آل عمران: ٣١]. وإلى جانب تفسير الأمور المذكورة صراحة في القرآن كُلِّفَ النبي صلى الله عليه وسلم بأن يكملها بتعاليم، عندما تأتي على شكل أوامر ونواهٍ في حينها، ومن ثم تثبت فرضيتها بلا شك، وتصير ملزمة لكل مسلم مثل الشرائع الواردة في القرآن، ولهذا نعرف السنة النبوية بأنها المصدر الثاني للشريعة"[(١)].

ويشير أيضاً إلى أهمية التمسك بالسنة النبوية فيقول: "كما أن حياة المسلم يجب أن تقوم على التعاون التام المطلق بين ذاته الروحية وذاته الجسدية، فإن هداية نبينا يجب أن تضمّ الحياة على أنها وحدة مركبة، أي على أنها مجموع أعمق المظاهر الخلقية والعملية والشخصية والاجتماعية، وهذا هو أعمق معاني السنة، ولقد قال القرآن الكريم": ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحشر: ٧][(٢)].

كما يستدل محمد أسد بآية في غاية الأهمية في نشر واتباع السنة فيقول: "فالدعوة إلى الله التي أعلنها النبي صلى الله عليه وسلم توصف في هذه الآية: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف: ١٠٨] [(٣)].

وتوضح مريم جميلة أهمية اتباع القرآن والسنة فتقول: "اتبعوا هدي القرآن والسنة، ليس كمجموعة من الشعائر فقط؛ بل كمرشد عملي للسلوك في حياتنا اليومية الخاصة والعامة، اتركوا جانباً الخلافات، لا تضيعوا وقتكم الثمين في الأشياء غير المجدية، وبمشيئة الله سيتوج المولى حياتكم بالفلاح العظيم في الحياة الدنيا وبالفوز الأعظم في الآخرة"[(٤)].

ولما سئلت عن وصيتها للمسلمين قالت: "ادرسوا القرآن والحديث ولا تتبعوا الحضارة الغربية، وادرسوا الثقافة الإسلامية"[(٥)].

ويؤكد مراد هوفمان على مصدرية الكتاب والسنة وأنهما من السماء: "علماً بأن الإسلام واحد من أسبق الأنظمة القانونية الكلاسيكية الشاملة لحقوق الإنسان، ويتأتى هذا من يقين المسلم

---

(١) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ٥٥.
(٢) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٨٩.
(٣) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ٥٠.
(٤) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص١٧.
(٥) المرجع السابق، ص٢٢.

واقتناعه بأن أي قانون يصدر عن السماء بحيث يصدق وصفه بأنه من عند الله هو قانون حق مثل القوانين التي مصدرها القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم"(١).

حجية السنة واستقلالها بالتشريع

يقول روجيه دوباسكويه عن حجية السنة: "يُساعد الإسلام المرء على العيش في هذه المرحلة من التاريخ بدون أن يفقد نفسه، تقدم الحلقة النبوية الخاتمة في سلسلة التنزيل الإلهي وسائل مقاومة الفوضى الحاضرة، وإعادة تأسيس الطمأنينة والوضوح داخل الروح مع التوافق في العلاقات البشرية وتحقيق الغاية العظمى التي خلقنا الله لها، ويخاطب الإسلام -الذي يفهم بعمق ودقة- الإنسان مُعَرِّفًا إياه منزلته بين الخلق وأمام الله"(٢).

ويستدل محمد أسد بأدلة من القرآن الكريم على حجية السنة وأهمية اتباعها فيقول: "ثم إن هنا لك آيات في القرآن تجلو هذه الناحية التي لا تترك مجالاً ما للاختلاف في التأويل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء: ٦٥]. وكذلك: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [سورة آل عمران: ٣١]. فسنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إذن تاليةٌ للقرآن، وهي المصدر الثاني للشرع الإسلامي وللسلوك الشخصي والاجتماعي، وفي الحقيقة يجب علينا أن نعتبر أن السنة هي التفسير الوحيد لتعاليم القرآن الكريم والوسيلة الوحيدة لاجتناب الخلاف في تأويل تلك التعاليم وتطبيقها في الحياة العملية"(٣).

ويذكر في موضع آخر حجية السنة فيقول: "لقد كانت السنة مفتاحًا لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فلماذا لا تكون مفتاحاً لفهم انحلالنا الحاضر؟ إن العمل بسنة رسول الله هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنّة هو انحلال الإسلام، لقد كانت السنّة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما، أفيدهشك أن يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق؟"(٤).

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٨٩-١٩٠.

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٩.

(٣) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٩٠.

(٤) المرجع السابق، ص٨٧.

كما يؤكد محمد أسد في موضع آخر على هذه المسألة فيقول: "التشكيك في أهمية الشريعة الإسلامية بوصفها العنصر الذي يشكل حياتنا، لهو درب من النفاق أو الجهل، فأي قيم تبقى لهذه الأمة ذات المكانة العالية إذا ابتعدنا عن أساسها الشرعي، وأن مفاهيم المسلم عن الخير والشر تنبع جميعها من القرآن وتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم"(١).

أيضاً يؤكد موريس بوكاي حجية السنة فيقول: "لا يشكل القرآن الكريم المصدر الوحيد للعقيدة والشريعة في الإسلام، وأثناء حياة محمد صلى الله عليه وسلم وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كانت السُّنَّةُ النبوية الشريفة المتمثلة في أفعاله وأقواله هي المصدر الثاني الذي يجري البحث عنه ليجد فيه العلماء والمفسرون إكمالاً للمصدر الأول"(٢).

ويقول مارتن لينجز في حجية السنة: "لم يجد المسلمون أي صعوبة في قبول حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بكل إخلاص: ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم(٣)))(٤).

وتؤكد مريم جميلة على هذه المسألة بقولها: "فكل ما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم واستحسنه هو السنة، وهذه السنة تشمل حتى الأمور البسيطة، كأن يأكل قوم بأصابعهم من إناء واحد والجلوس والنوم على الحصير والبسط على الأرض، واللحى والثياب والعمائم واللغة العربية، وفي الحقيقة إن هذه الأمور ليست فرائض كالصلاة والصيام في رمضان والزكاة والحج، وإن مجرد عدم القدرة على العيش بذلك النمط قد لا يكون في حد ذاته إثماً إلا أنه في احتقار ذلك والسخرية منه على اعتبار أنه يصلح فقط لحياة البدو في القرن السابع في جزيرة العرب واعتبار أنماط الحياة الغربية أرقى من ذلك احتقاراً لسنة نبينا الكريم وسخرية بها، وكيف يتأتى لإنسان يحمل ازدراءً لأي شيء من أعمال رسولنا الكريم أن يعتبر نفسه مسلماً حسن الإسلام؟"(٥).

بينما مراد هوفمان يبين حجية القرآن الكريم والسنة النبوية قائلاً: "يجب أن يظن المرء أنه لا يوجد مشكلة، فلا خلاف أن القرآن هو كلام الله، بعد نزول الوحي به، تمت كتابته وحفظه فور

(١) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ٤٣.

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٧٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (٢/٩٣٨) ح (٢٥٠٩).

(٤) مارتن لينجز، معتقدات قديمة وخرافات حديثة، ص٣٣.

(٥) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٧١.

نزوله، بينما السنة -بما في ذلك الحديث القدسي- هي صياغة النبي صلى الله عليه وسلم، وتمت كتابتها بعد قرنين"[١].

ويبرهن مراد هوفمان على اتباع السنة من قبل المسلمين فيقول: "لا ضير إذن أن نرى المقتدين بسنته صلى الله عليه سلم يسعون جاهدين إلى التزام هذه السنة حتى في المظاهر الخارجية (فيقصون الشوارب ويعفون اللحى، ويستعملون السواك، ويفضلون العسل وغير ذلك من المعروف عن طباع الرسول-صلى الله عليه وسلم- في سيرته)، كذلك حرصهم على الختان الذي لم يذكره القرآن، فقد عرفه إبراهيم وذكره العهد القديم، والمسلمون مهما كان مذهبهم متبعون لهذه السنة الحميدة"[٢].

السنة مفسرة ومؤيدة للقرآن الكريم

يبين محمد أسد أن السنة مفسرة للقرآن الكريم فيقول: "إننا نستعمل هنا كلمة السنّة بأوسع معانيها على أنها المثال الذي أقامه لنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- من أعماله وأقواله، إن حياته العجيبة كانت تمثيلاً حيًا وتفسيرًا لما جاء في القرآن الكريم، ولا يمكننا أن ننصف القرآن الكريم بأكثر من أن نتبع الذي قد بلّغ الوحي، ولقد رأينا من أهم مآتي الإسلام تلك المآتي التي تميز من سائر النظم المطلقة: التوفيق التام بين الناحية الخلقية والناحية المادية من الحياة الإنسانية"[٣].

ويذكر موريس بوكاي الفرق بين الوحي الإلهي القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فيقول: "إن الأحاديث النبوية الشريفة ليست هي أقوال الله؛ ولكنها تحكى وتروى وتقص أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، لم يوحها الله إليه؛ ولكن أنشأها ولم يزعم أنها وحي إلهي مثل نصوص القرآن الكريم، وفي كتب الحديث النبوي الشريف المتداولة بين المسلمين دعاوي توجد بها أخطاء من وجهة النظر العلمية وخاصة تلك الأحاديث التي تتعلق بالوصفات الطبية[٤]".

وهنا المؤلف جانبه الصواب فيما ذهب إليه، فيتساءل من ذا الذي يستطيع أن يجزم بصحة نسبة هذه الأحاديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فالإجابة عليه يسير وسهل فإن العلماء والمحدثين قد وضعوا قواعد في قبول الحديث الصحيح سواءً كان ذلك في المتن أو الراوي وأصبح

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص١١٣.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٤.

(٣) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٨٨.

(٤) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٧١-١٧٢.

لذلك علم متخصـــــص يعرف بالجرح والتعديل فأحاديثه متواترة وهو وحي من عند الله عز وجل فالرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى وإن كانت أحاديثه لا يتعبد به مثل القرآن الكريم.

وتؤكد مريم جميلة أن الســـنة مفســـرة للقرآن الكريم فتقول: "من هنا أدركت أنه لا يمكن فهم القرآن الكريم بشكل صحيح وتفصيلي من دون الرجوع إلى السنة النبوية ذات الصلة الوثيقة بالقرآن الكريم، فهل يمكن تفسير القرآن الكريم دون الرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوحي إليه هذا الكتاب المجيد من لدن حكيم خبير؟"(١).

كما يثبت مراد هوفمان بأن السنة مفسرة للقرآن الكريم فيقول: "من المعروف أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن، وتقوم السنة بتفسير الكثير مما ورد في القرآن وتضيف إليه بما يساعد على فهمه، والسنة هي مجمل أقوال الرسول-صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وما نهى عنه، وقد تم تدوين كل هذا كتابة؛ ولذلك فهي بالإضافة إلى القرآن تحدد المساحة المسموح للمسلم التصرف فيها وتفسيرها"(٢).

ويؤكد ذلك في موضع آخر فيقول: "ويرى العلماء أن السنة تفسر القرآن، كما فسرت السنة الصلاة والزكاة والحج، وتُخصص العام كما في تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها برغم دخولهما في عموم الآية (٢٤) من سورة النساء: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة النساء: ٢٤]. وكما في منع ميراث قاتل العمد، وكما في وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة رغم عموم الآية القرآنية: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة المزمل: ٢٠](٣)، "وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوتي القرآن ومثله معه أي السنة النبوية

(١) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص٣٤.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢٧٢.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام عام٢٠٠٠م، ص٧٢.

التي تشرح فيما تشرح المجمل وغير المجمل في القرآن ليفقهه المسلم، فالسنة هي المصدر أو النبع الثاني الذي لا غناء للمسلم عنه، وكذلك لمن يريد فهم القرآن والإسلام"(١).

تدوين السنة

يتحدث موريس بوكاي عن تدوين السنة النبوية فيقول: "من الضروري أيضًا الإشارة إلى ذلك التمييز الواضح والفصل الدقيق بين نصوص القرآن الكريم وبين الأحاديث النبوية الشريفة في التراث الإسلامي وهو ما تفتقر إليه نصوص العهد القديم والعهد الجديد على حد سواء، وتم تدوين نصوص القرآن الكريم كتابة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ أما نصوص الأحاديث فهي لم يتم تدوينها كتابة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل شرع المسلمون في تدوينها كتابة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وتمت مراجعتها وتم تخليصها من الشوائب التي علقت بها بعد قرون من انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ودرجة صحة هذه الأحاديث النبوية الشريفة المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم -مثل الأناجيل- متفاوتة متنوعة الدرجة من حيث المصداقية وصحة النسبة إلى قائلها بالضبط كما صدرت عنه، وكما أنه لم يثبت أن أي إنجيل من الأناجيل كلها قد تمت كتابته في حياة المسيح فكذلك الشأن بالنسبة إلى الأحاديث النبوية لم يثبت أن أي حديث نبوي شريف قد تمت كتابته عن النبي صلى الله عليه وسلم إبان حياته"(٢).

من خلال ما تم عرضه سابقاً ينقل الباحث أن مارمادوك بكثول وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد وموريس بوكاي ومريم جميلة ومراد هوفمان، تحدثوا عن السنة النبوية وذلك بالتعريف عنها وبيان أهميتها ومكانتها ومنزلتها وأثبتوا أنها المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وبينوا حجيتها واستقلالها بالتشريع وأنها تاليةٌ للقرآن ومفسرة له، وبينوا وجوب اتباع السنة النبوية؛ لأنه لا يمكن فهم القرآن الكريم بشكل صحيح من دون الرجوع إلى السنة النبوية؛ بيد أن هناك ملاحظة؛ حيث أخطأ موريس بوكاي في مقارنته الحديث النبوي بالإنجيل، فهذا تنبيه مجمل اضطرنا سياق البحث لبيانه قبل أوانه، وله في البحث موضع يتم تناوله فيه بالتفصيل، وذلك في الباب الثالث.

□

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٣.

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٧٤-١٧٥؛ وقد أخطأ موريس بوكاي في مقارنته الحديث النبوي بالإنجيل وسيأتي مزيد تفصيل ومناقشة في الباب الثالث.

المطلب الثاني: بيان مزايا منهج المحدثين في التحقق من السنة النبوية.

إن المنهج الذي اعتمده العلماء المحدثون في دراسة السنة النبوية، وتمييز صحيحها من سقيمها؛ ليعتبر علماً جديداً غير مسبوق حتى نال إعجاب المستشرقين وغيرهم من أعداء الدين، وقد بذل السلف والعلماء جهوداً عظيمة في حفظ السنة النبوية فحفظوها، وحموها من كيد الكائدين، حتى وصلت إلينا خالية من الشوائب والأخطاء، وعرف هذا العلم بعلم الجرح والتعديل الذي يختص بالرواة، وهو دراسة السند بشكل أساسي –سلسلة رواة الحديث– الذي يتكون بمجموعة من الرجال الذين يتناقلون الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، والذي يعول عليه في قبول السنة أو ردها.

ولأهمية هذا العلم والحديث عنه، كان للمستشرقين الذين أسلموا كتابات وإشارات في بيان مزايا منهج المحدثين في التحقق من السنة النبوية، وإبراز جهود علماء الحديث في ذلك؛ حيث يجد الباحث من خلال كتاباتهم ما يصلح أن يكون رداً على بني جلدتهم ممن لديهم شوائب وشكوك في الاستدلال بالسنة النبوية.

يذكر محمد أسد منهج المحدثين في علم الحديث فيقول: "إنه على الرغم من جميع الجهود التي بذلت في سبيل تحدّي الحديث على أنه نظام ما؛ فإن أولئك النقاد العصريين من الشرقيين والغربيين لم يستطيعوا أن يدعموا انتقادهم العاطفيّ الخالص بنتائج من البحث العلمي، وأنه من الصعب أن يفعل أحد ذلك؛ لأن الجامعين لكتب الحديث الأولى وخصوصًا الإمامين البخاري ومسلم؛ قد قاموا بكل ما في طاقة البشر عند عرض صحة كل حديث على قواعد التحديث عرضًا أشد كثيرًا من ذلك الذي يلجأ إليه المؤرخون الأوروبيون عادة عند النظر في مصادر التاريخ القديم، وإننا نتخطّى نطاق هذا الكتاب إذا نحن أسهبنا في الكلام على وجه التفصيل في الأسلوب الدقيق الذي كان المحدّثون –علماء الحديث– الأولون يستعملونه للتثبت من صحة كل حديث، ويكفي–من أجل ما نحن هنا بصدده– أن نقول: إنه نشأ من ذلك علم تام الفروع غايته الوحيدة البحث في معاني أحاديث الرسول– صلى الله عليه وسلم– وشكلها وطريقة روايتها، ولقد استطاع هذا العلم في الناحية التاريخية أن يوجد سلسلة متماسكة لتراجم مفصلة لجميع الأشخاص الذين ذُكروا على أنهم رواة أو محدثون، وإن تراجم هؤلاء الرجال والنساء قد خضعت لبحث دقيق من كل ناحية، ولم يُعَدّ منهم في الثقات إلا أولئك الذين كانت حياتهم وطريقة روايتهم للحديث تتفق تمامًا مع القواعد التي وضعها المحدثون، تلك القواعد التي تُعتبر على أشد ما يمكن أن يكون من الدقة، فإذا اعترض أحد اليوم من أجل ذلك على صحة حديث بعينه أو على الحديث جملة فإن عليه هو وحده أن يُثبت ذلك، وليس ثمة من مبرر مطلقًا من

الناحية العلمية أن يجرح أحد صحة مصدرٍ تاريخي ما؛ ما لم يكن باستطاعته أن يبرهن على أن هذا المصدر منقوص، فإذا لم تقم حجة معقولة أي علمية، على الشك في المصدر نفسه أو في أحد رواته المتأخرين، وإذا لم يكن ثمة من الناحية الثانية خبر آخر يناقضه؛ كان حتمًا علينا حينئذ أن نقبل الحديث على أنه صحيح"[1].

ويوضح محمد أسد معايير تمييز الصحيح من الموضوع فيقول: "إن علم الحديث بدأ لما مسّت الضرورة إلى تمييز الحديث الصحيح من الحديث الموضوع، وإن صحيحي الإمامين البخاري ومسلم ليسا سوى نتيجة مباشرة لهذا التمييز، فوجود الأحاديث الموضوعة إذن لا يمكن أن يكون دليلاً على ضعف نظام الحديث في مجموعه، كما أنه لا ينتظر من قصص ألف ليلة وليلة أن تبرهن على شيء يتعلق بالإثبات أو بالطعن في صحة الأخبار التاريخية المروية على عصر تلك القصص"[2].

ويشيد محمد أسد بصحيح الإمام البخاري وصحيح مسلم في هذا الباب فيقول: "أما المصنف الأكثر أهمية –لأنه الأكثر تأثيراً– فهو ذلك الكتاب الخالد صحيح البخاري، والبخاري نفسه معارض كبير لمبدأ الرأي، ثم تبعه كتاب صحيح مسلم، الذي يوازيه قدراً، وتلاهما مصنفات أخرى زمناً وأهمية"[3].

ويؤكد محمد أسد على عدالة الصحابة رضوان الله عليهم في حفظ السنة وتدوينها فيقول: "فهل يمر في خيالنا أن أولئك الرجال الذين كانوا على استعداد؛ لأن يضحوا أنفسهم وما يملكون في سبيل رسول الله كانوا يتلاعبون بكلماته؟ لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار[4]))[5].

ويتحدث موريس بوكاي عن جهود علماء الحديث في التدقيق والتمحيص في قبول ورد الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "وعلى الرغم من أن قدرًا من هذه السُّنَّة كان قد تم تسجيله كتابة نجد أن قسطًا كبيراً منه قد تواتر تواترًا شفهيًا؛ ولذلك فإن الذين اشتغلوا بجمع هذه الأحاديث النبوية الشريفة قد احتاجوا إلى بذل جهود وعمل تحقيقات تتسم دائمًا

(١) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٩٢-٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص٩٦.

(٣) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ٦٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، (٥٢/١) ح (١١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٩٤.

بالصعوبة كما هو الشأن عادة في حكاية وتمحيص الأحداث بعد زمن طويل من حدوثها، ولقد كان هَمُّ علماء الحديث الذين عملوا في مجالات جمع الأحاديث النبوية وتمحيصها ينصَبُّ أولاً وقبل كل شيء على التدقيق في ضَبْط هذه المعلومات الكثيرة الخاصة بكل حديث أو حادثة في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك التدليل على صحة الأحاديث التي تقوم الأدلة على صحة نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم"(١).

ويستمر موريس بوكاي في كتاباته عن جهود المحدثين في تتبع السند للتأكد من صحة الحديث فيقول: "ولقد كانوا يتتبعون أسماء الأشخاص الذين نقلوا أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله ليصلوا بها إلى الإسناد الأول لها إلى شخص من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الرعيل الأول من صحابته ممن يجوز ولا يستحيل أن يكونوا قد سمعوا أو شاهدوا هذه الأحاديث والمعلومات مباشرة من محمد صلى الله عليه وسلم نفسه"(٢).

ويذكر دقة المتابعة من قبل علماء الحديث وتتبع كل راو في الحديث فيقول: "وكذلك كانوا يدققون كل التدقيق في بحث حالة من تُسْنَدُ إليه رواية الحديث من حيث جدارته بالثقة، أو عدم جدارته بالثقة لأي سبب من الأسباب، وكانوا يستخدمون هذا المنهج في كل سلسلة الأفراد الذين ينسب إلى أي واحد منهم رواية الحديث في أجيال متتالية، وكانوا ينبهون إلى ضرورة صرف النظر عن أي حديث تُسند روايته إلى أي شخص غير مشهود له بحُسْنِ السيرة وصدقِ الرواية، وكانوا يصرفون النظر عن أي شخص يُؤثر عنه الكذب أو ضعْف الرأي؛ مما يشكك في روايته لوجود أي سبب من أسباب الشك في روايته، وهذه خاصية انفرد بها علماء الإسلام فيما يتعلق بأحاديث نبيهم صلى الله عليه وسلم"(٣).

كما يثبت موريس بوكاي بأن هناك علماً معروفاً يعرف بعلم الحديث فيقول: "وهكذا ظهرت إلى الوجود مجموعات من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وأصبحت تعرف الآن في العلوم الإسلامية باسم محدد هو: علم الحديث، ومعناه: الكلام الذي نطق به النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولكن معناه أيضًا يتضمن كل ما يحكى عن أفعاله وتصرفاته فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات، ويعتبر

---

(١) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٧٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٠.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧٠.

صحيح البخاري بصورة عامة هو أكثر كتب الحديث صحة بعد القرآن الكريم"[1]، ولا شك أن صحيح الإمام البخاري هو أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل كما أقر به المحدثون.

وأجرى موريس بوكاي مقارنة بين الحديث النبوي وما ورد في الإنجيل في جانب النقل والدقة فيقول: "وفي هذا المقام نجد أنه من الممكن إجراء المقارنة بين عملية تدوين وترجمة الأحاديث النبوية وبين عملية تدوين وترجمة الأناجيل من حيث أصول النصوص فيها، وإن نصوص مجموعات الأناجيل قد قام بكتابتها كُتَّاب لم يكونوا شهود عيان للأقوال والأفعال التي كتبوا عنها، وما كتبوه لم يظهر إلى الوجود إلا بعد انقضاء مدة على صدور الأقوال عن شخص قائلها أو الأحداث كما حدثت في حين حدوثها، ولهذا لم تعتبر الأناجيل كلها صحيحة ثابتة موثوقة بصحة نصوصها، وكذلك الشأن بالنسبة للأحاديث النبوية؛ إذ أن علماء الحديث لم يقبلوا كل الأحاديث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم كلها، ويمكن أن يوجد في أي مجموعة من المجموعات التي تحويها كتب الحديث أحاديث مرفوضة رفضًا قطعيًا أو مشكوك فيها أو ضعيفة أو ضعيفة جدًا، وذلك إلى جانب أحاديث تعتبر صحيحة"[2].

وتبين مريم جميلة دقة علماء الحديث في النقل وضبط الرواة في رواية أحاديث وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام فتقول: "وبنظرة سريعة خلال أي مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة يعطينا فكرة عن مدى الدقة والعناية بتسجيل أدق التفاصيل حول تعاليم حياة النبي صلى الله عليه وسلم، هناك يجد المرء تفاصيل مدهشة لملامحه وأطراف جسمه، مشيته، أسلوب محادثته وخطابه، ابتسامته، لباسه، غذائه، نومه، طريقته في الأكل والشرب، حبه للعطور، وأناقته، وذوقه، وولعه بالركوب، وحبه للعبادة، أسلوبه في التحية، تعابير وجهه، سلوكه في الفرح والحزن، حروبه، طريقته في تقديم العزاء، وطريقته في أداء الصلاة ومراقبة الصوم، حجاته، ولائه وإخلاصه لله عزوجل، مشاعره النبيلة والعاطفية، وتعامله مع أتباعه، وأمانته، كرمه، عاطفته القوية نحو أقاربه وأصدقائه، وتعامله مع الغرباء، ومع الأعداء، كراهيته للغيبة والغرور، بساطته، شجاعته، تصميمه، صدقه، تمسكه بوعوده، وعفوه، سلوكه مع من

(١) المرجع السابق، ص٢٧١.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٠-٢٧١، الفرق شاسع وخطير في هذه المقارنة، ولا يزعم أحد من المسلمين أن الأحاديث النبوية هي كلام الله كما يزعم أصحاب الأناجيل أنها كلام الله، كلام الله في الإسلام هو القرآن الكريم؛ أما الأحاديث فهي كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وأي خطأ يتعلق بأي حديث من الأحاديث النبوية ليس سببه هو خطأ من النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولكنه خطأ في النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويسقطه المسلمون من حسابهم عند ثبوت الخطأ فيه، وتعتمد العقيدة على القرآن وحده في الإسلام، وتتعلق الأحاديث بالشريعة في الغالب الأعم وبشرط أن يدعم القرآن ما يتصل منها العقيدة (المترجم).

هم في سنه، ومع الشيوخ والصغار، معاملته للنساء، شفقته على البشر والحيوان، وسائله في إعالة أهله، تجاربه كمسافر، و محارب مشرع، وكأب، و أخ، وحاكم، ورسول وعابد، وحَكَمٍ، في الحقيقة أن كل مراحل وجوانب حياته سجلت بعناية ودقة تامة"[١].

ويشـــيد مراد هوفمان بعلم الجرح والتعديل فيقول: "جرى تدوين الأحاديث النبوية بكل دقة وعناية، وبشـــكل خاص تم التحقق فيما إذا كانت هناك ســلســلة من الرواة تعود بالفعل إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مُؤَلفة من شخصيات موثوقة (ما من سلسلة منها زادت عن تسعة أعضــاء) ومن أجل هذا الهدف نشـأ فرع من العلوم اسمه (علم الجرح والتعديل) علم الرواة من رجال ونساء، وكعلماء تاريخيين دقيقين قدم جامعو الحديث المسلمون مستوى لم يكن قد بلغه أحد بعد في تاريخ السيرة"[٢].

وينقل مراد هوفمان الضوابط والمعايير لعلماء الحديث لإثبات صحة الحديث وسنده فيقول: "لقد حاول علماء علم الحديث مواجهة هذه الظاهرة بتحديد معايير شـــديدة الدقة لإثبات صـــحة الحديث وســنده، ولقد اتفق العلماء على عدم قبول صــحة أي حديث إلا إذا توافرت له الشــروط التالية: – أن تتصل سلسلة الرواة حتى الرسول صلى الله عليه وسلم.

– أن يكون الرواة ثقات (الأمانة) وضـــابطين (الإتقان) (نشـــأ لتحقيق هذا الشـــرط علم (الرجال) أي تراجم وسيرة ذاتية محققة بدقة عن الشخصيات التي يُروى عنها).

– أن يكون الحديث بلا علل لا في السند ولا في المتن.

ولقد كان هؤلاء العلماء حريصـــين على التدقيق في شـــروط الحديث الصـــحيح عندما يختص الأمر بالأحكام، أكثر من حرصهم عندما يختص الأمر بمكارم الأخلاق والزهد والرقائق"[٣].

ويشـــيد مراد هوفمان بجهود العلماء في التصـــنيفات وعلى رأســـهم الإمام البخاري فيقول: "ومعلوم أيضاً كيف قاسى علماء أتقياء كالبخاري ومسلم ليُنَقُّوا الحديث النبوي مما ليس منه، ولكن من يضـمن نجاحهما الكامل؟ لهذه الشـكوك ما يبررها، فكتب الحديث السـتة الصـحيحة تم جمعها بالأسلوب نفسه، وبخاصة في التبجيل المطلق لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يتم نقد الإسناد

(١) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٤٢.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٨١.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢٧٣.

والمتن كما لو استخدمت التحليلات اللغوية والاجتماعية التاريخية الحديثة"[١]، وفي موضع آخر يشيد بالصحيحين فيقول: "أهم كتاب الصحاح: صحيح البخاري، وصحيح مسلم"[٢].

ويبين مراد هوفمان دقة الإمام البخاري أثناء تصنيفه للصحيح فيقول: "ويعد صحيح البخاري أصح المراجع، مع موطأ مالك[٣]، وبعدهما صحيح مسلم، فقد قام الإمام أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري (٨١٠-٨٧٠م) بغربلة (٦٠٠) ألف رواية وفحصها وفق المعايير العلمية، ثم اطمأن إلى أقل من ثلاثة آلاف حديث جمعها في كتابه المشهور، وأدى تكراره لأجزاء منها إلى أن وصلت إلى أكثر من سبعة آلاف حديث في كتابه، ولكن معظم علماء الحديث، وهم يغربلون الأحاديث المختلفة، كان أكثر اهتمامهم ينصب على صحة السند وليس على المتن، أي مضمون الرواية، ولم يستعينوا بعوامل اللغة والتاريخ والأوضاع السياسية في فحصهم للمتون، وهذه هي المشكلة"[٤].

فليست هناك مشكلة البته وهذا غير صحيح، بل أخطأ في ادعائه على العلماء والمحدثين في افترائه وأن أكثر اهتمامهم ينصب على صحة السند وليس على المتن، بل العلماء اهتموا بالسند والمتن معاً وهناك مؤلفات كثيرة في هذا الباب، وسيأتي مزيد بيان في الباب الثالث.

ويعدد مراد هوفمان المصنفات الست الثقات في السنة النبوية فيقول: "عدة آلاف من هذه الأحاديث تم جمعها في مجلدات من قبل الجيل الرابع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن بينها تتمتع ستة بالثقة، فما ورد فيها يكاد يكون موثوقاً كلياً وهي: مجموعة البخاري، ومسلم، ابن ماجة، أبو داود، الترمذي، النسائي، وقد أطلق عليها اسم الصحاح الستة، وهذا يعني أن ما وضعه آخرون لم تثبت صحته، ولكن يمكن الظن بصحته[٥].

يتبين من خلال ما مضى أن محمد أسد وموريس بوكاي ومريم جميلة ومراد هوفمان قاموا بإبراز علم الجرح والتعديل وبيان جهود علماء الحديث في تحديد معايير شديدة الدقة لإثبات صحة الحديث وسنده ودقة العلماء في النقل وضبط الرواة، وبينوا أن هذا العلم سمة من سمات المحدثين فقط دون

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠م، ص١١٠.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٥٠.

(٣) هنا ملاحظة بسيطة فالمعروف عند المحدثين أن صحيح الإمام مسلم يأتي في المرتبة الثانية بعد صحيح الإمام البخاري رحمهما الله.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢٧٤.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص ٨٠.

غيرهم، وهذه خاصية انفرد بها علماء الإسلام، وكذلك أشادوا بجهود علماء المصنفات وجهودهم في تنقية الحديث الصحيح من السقيم كالإمامين البخاري ومسلم وغيرهما من علماء الحديث.

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في ترجمة السنة النبوية وتقويمها.

المطلب الأول: جهودهم في مجال ترجمة السنة النبوية.

للسنة النبوية مكانة عالية في التشريع الإسلامي، وتعد المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وقد بذل علماء الأمة على مر التاريخ منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم وحتى وقتنا الحاضر جهودًا عظيمة تتمثل في رواية السنة وجمعها وشرحها وبيانها، ومن واجب الأمة المسلمة السير على نهجهم والعمل على نشرها وخدمتها بكل الطرق والوسائل المتاحة، ومن أهم تلك الوسائل ترجمة السنة النبوية بمختلف اللغات، وأصبحت ضرورة ملحة؛ بل واجبة حتى يتم التبليغ للبشر كافة، ويتآكد هذا الأمر خصوصًا بعد ظهور حملات إساءة للنبي صلى الله عليه وسلم، من باب نشر السنة النبوية ومناصرة النبي صلى الله عليه وسلم، ودفع الشبهات المثارة حول السنة والنبي صلى الله عليه وسلم.

وتعد جهود المستشرقين الذين أسلموا في ترجمة السنة النبوية أحد هذه الجهود الطيبة التي نحن بحاجة إلى إظهارها ودراستها وتقويمها؛ حيث يتربع على عرش ترجمة السنة النبوية بين مؤلفات المستشرقين الذين أسلموا بل يكاد يكون الأوحد ترجمة بعض كتب صحيح البخاري لمحمد أسد، وفي هذا المطلب سيتم التركيز على دراسة هذا الكتاب وتقويمه، وأبدأ بتعريف وافٍ لهذا الكتاب.

تعريف مختصر بالكتاب:

ترجمة محمد أسد لصحيح الإمام البخاري لم تكن كاملاً، فقد ترجم فقط أربعة كتب من صحيح البخاري، من أصل تسعة وتسعين كتاباً، وهذه الكتب هي: كتاب بدء الوحي، وكتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأجزاء من كتاب المناقب الذي سماه بداية الإسلام، وكتاب المغازي.

عنوان الكتاب:

ترجمة صحيح البخاري (السنوات المبكرة للإسلام).

القيمة العلمية للكتاب:

يكفي في ذكر أهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية بين سائر الكتب أنه الأوحد من بين كتب المستشرقين الذين أسلموا في ترجمة السنة المطهرة، وتعتبر هذه الترجمة هي أول ترجمة لصحيح البخاري باللغة الإنجليزية كما ذكر محمد أسد[١].

ويعد هذا الكتاب من أضخم المشاريع التي قام بها محمد أسد، ولقد عكف على العمل به وكتابته مدة عشر سنوات.

طبعات الكتاب:

طبعت أول طبعة لترجمة صحيح البخاري لمحمد أسد في عام ١٩٣٨م في لاهور بالهند عن دار عرفات للطباعة والنشر (نسخة الأصل)، ثم طبعت مرة أخرى في عام ١٩٨١م، ثم أعيدت طباعته في عام ١٩٩٣م بدار الأندلس بجبل طارق، وكانت حقوق النشر محفوظة باسم السيدة بولا حميدة أسد، ثم في عام ٢٠٠٢م ظهرت طبعة فاخرة للكتاب عن دار الكتب الإسلامية بماليزيا.

والكتاب نادر جداً، وغير متوفر في مكتباتنا العربية الوطنية، والحكومية، كما لا يمكن شراؤه عن طريق مواقع بيع الكتب على شبكة الإنترنت.

منهجه في التأليف.

قام محمد أسد بترجمة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الواردة في كتاب صحيح البخاري إلى اللغة الإنجليزية حسب الأبواب، مع ما تضمنه الكتاب من نبذة تاريخية عن الرسالة النبوية، والأعوام الأولى لظهور الإسلام حتى معركة بدر الكبرى، ولعل هذه النبذة التاريخية تفسير لعبارة (السنوات المبكرة للإسلام)، والتي ذكرها محمد أسد ضمن عنوان الكتاب، ومنهجه في الترجمة قائم على التعليق على الحديث بتعليقات مختصرة في غالب الأحيان، ويستطرد في بعض المواضع، وأبرز التعليقات عبارة عن تفسير وترجمة غريب الحديث بشكل مبسط، ويذكر بعض الفوائد واللطائف نقلاً من فتح الباري أو عمدة القارئ، ويجتهد من تلقاء نفسه في بعض التعليقات التي يجانبه الصواب في كثير منها[٢].

---

(١) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري، صفحة V.

(٢) المرجع السابق، صفحة V-XI .

ويقع الكتاب في ثلاث مئة وست صفحات من القطع الكبير، وعلى حد علم الباحث فمازال الكتاب باللغة الإنجليزية، ولم يترجم إلى أية لغة أخرى، كما أنه لا توجد دراسات بحثية علمية على الترجمة، رغم أنها من أقدم وأندر الترجمات الإنجليزية لصحيح الإمام البخاري.

منهجه في الكتابة والتنظيم والإخراج والطباعة

التزم محمد أسد بالمعنى الأصلي للنص غالباً متجنباً الوقوع في تقصير اللغة الإنجليزية، ثم قام بتدوين تعليقاته في الملاحظات، وقد وضع بين الأقواس إيضاحات المعاني لكي ينبه القارئ إلى أن هناك إضافة خارجية من نص الحديث، وقسم كل حديث إلى قسمين: القسم الأول السند، والقسم الثاني المتن، واستخدم الأحرف المائلة لكتابة تراجم الأبواب كما ترجم لها الإمام البخاري، ووضع حرف (I) إشارة إلى الحديث المعلق، وحرف (h) إشارة إلى التحويل لرواة آخرين، والتزم محمد أسد بإدراج السند كاملاً لكل حديث رغم اعتراض البعض عليه خشية الإطالة، فيقول معللاً: "لابد أن يكتب السند كاملاً فهو جزء ضروري لكل حديث؛ لأنه بمثابة العمود الفقري للجسم، ولأن الإسناد هو الذي يجعله صحيحاً أو ضعيفاً، فبدون الإسناد يصبح الحديث مجرد مقولة يمكن قبولها أو رفضها، كما أن كتابة السند تجعل القارئ يدرك بنفسه مدى الدقة والحيطة في تدوين الحديث، وبالتالي يتقبل القارئ الحديث وهو على يقين أنه صحيح"(١).

اعتمد محمد أسد في ترجمته على نسخة صحيح البخاري التي أمر السلطان عبد الحميد رحمه الله بطباعتها في مطبعة الأميرية بالقاهرة عام ١٣١٣هـ، ووضع المؤلف نص الحديث باللغة العربية بجانب الترجمة الإنجليزية، رغم عدم استحسان بعض أصدقائه لذلك بحجة زيادة حجم الكتاب وبالتالي تكاليف الطباعة، ولكن محمد أسد أصر على رأيه؛ لأن طباعة النص العربي هو الطريقة الصحيحة لإخراج الكتاب؛ لأن القارئ يستطيع أن يقارن في كل خطوة من الترجمة مع أصل النص، وبالتالي يزداد فهمه واستيعابه، ويستطيع تحديد الإضافات والجمل التي لا وجود لها في النص الأصلي، كالتعليقات المضافة من قبل المترجم(٢).

---

(١) المرجع السابق، ص v-viii.

(٢) المرجع السابق، ص p. v-viii.

سبب تأليف الكتاب.

حينما كان يدرس محمد أسـد الحديث في المسـجد النبوي أدرك أهمية الأحاديث النبوية لفهم تعاليم الإسـلام فهماً صـحيحاً، فعزم على ترجمة صـحيح الإمام البخاري لتحقيق الهدف الذي ذكره، فيقول محمد أسـد في ذلك: "فكرة ترجمة الصـحيح إلى الإنجليزية والتي لم تتم من قبل طرأت لي أثناء إقامتي في المدينة المنورة عندما كنت أدرس الحديث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، في هذا الجو الإيماني سيطرت علي بقوة فكرة ضرورة البحث مرة أخرى عن اتصال مباشر مع جوهر الإسلام، وأدركت أن معرفة آراء السلف ليست كافية؛ حيث إنهم عاشوا في زمن ليس له علاقة مباشرة بأمور الحياة العصـرية، ونحن بحاجة إلى فهم تعاليم الإسـلام فهما صـحيحاً، ولا يكون ذلك إلا بدراسـة الأحاديث النبوية الشريفة على أكمل وجه، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبنا مباشرة"(١).

ظروف عدم إكمال الكتاب.

محمد أسـد لم يسـتطع إكمال ترجمته كاملاً نظراً لظروف اندلاع الحرب العالمية الثانية، واعتقل ما بين عام ١٩٣٩م إلى ١٩٤٥م، وفي صيف ١٩٤٧م حاول استئناف العمل؛ لكن الاضـطرابات ومظاهر التسـلح والإبادة الجماعية التي كانت في الهند حالت دون ذلك، وفقد بسـبب تدمير مكتبته الشـخصية ثلاثة أرباع مشـروع الترجمة، وفقد أيضاً الكثير من الكتب العربية والإسـلامية، ولم يبق إلا أجزاء من مشـروعه في الترجمة، وهي التي بين أيدينا اليوم، يقول محمد أسـد وهو يحكي عن فقدان بعض أجزاء من كتابه: "لقد شـهدت أجزاء من الترجمة تطفو على مياه نهر رافي -نهر يقع في شمال غرب الهند وشرق باكستان- بالإضافة إلى بعض الكتب العربية التي كانت في مكتبتي"(٢).

اهتمام مريم جميلة بدراسة كتب السنة

اهتمت مريم جميلة بدراسـة كتب السـنة والاطلاع على أهم تراجمها وخاصـة ما ترجم باللغة الإنجليزية، فكانت من ضـمن اهتمامها ترجمة صـحيح البخاري لمحمد أسـد، وناقشـت هذه الترجمة من عدة جوانب:

الجانب الأول: عرفت بالمترجم محمد أسـد والظروف التي أحاطت به أثناء الترجمة؛ حيث تقول: ما بين عام ١٩٣٠م وعام ١٩٣٨م نشـرت خمس دفعات لصـحيح البخاري، وهو الكتاب

(١) المرجع السابق، ص p. v.

(٢) المرجع السابق، ص viiii.

الذي يحوي أقوى الأحاديث الصحيحة حجية، قام بترجمتها محمد أسد في لاهور بناء على اقتراح العلامة إقبال، وكان يهدف إلى الانتهاء من تأليفه خلال خمس أو ست سنوات، وقامت في تلك الفترة الحرب العالمية الثانية؛ فكان المؤلف رهن الاعتقال البريطاني من سنة ١٩٣٩م إلى عام ١٩٤٥م، وحينما أوشك على استئناف نشر ترجمته أتلفت المحرقة التي تلت حرب التقسيم بين الهند وباكستان في شبه القارة الهندية مكتبته وما تحويه من الكتب العربية بما في ذلك ما يقارب الثلاثة أرباع من مخطوطات صحيح البخاري؛ وبذلك كانت نهاية عمل وبحث مكثف دام لأكثر من عشر سنوات، والنسخة التي تحت المراجعة هي الجزء الوحيد الذي نجا[١].

الجانب الثاني: تقول مريم جميلة عن المكانة العلمية لهذه الترجمة: ظهرت ترجمات عديدة منذ عام ١٩٣٨م؛ ولكن هذه الترجمة لا تزال تتفوق عليها جميعاً، وربما هذا يسجل أيضاً على أنه أفضل أعمال محمد أسد[٢].

الجانب الثالث: تبين مريم جميلة مميزات هذه الترجمة من حيث المنهج والتنظيم فتقول: وخلافاً للتراجم الأخرى يتم الاحتفاظ بالإسناد الكامل أو سلسلة المحدثين مع الترجمة الإنجليزية جنباً إلى جنب مع النص الأصلي باللغة العربية، الطباعة، غلاف الكتاب، والورق جداً جميلة، وتدلنا تعليقات المؤلف على أنه عالم متمكن في الحديث واللغة العربية، كما بينت مدى تأثير هذا الكتاب؛ حيث ذكرته بوصف يحرك القلوب فتقول: والمحتويات عبارة عن أربعة أقسام هي: بدء الوحي، كتاب فضائل الصحابة، بداية الإسلام، كتاب المغازي، إن الفصل الأول كان مبهراً حقاً وكأنه رسولنا الكريم يتحدث إلينا مباشرة، فالسرد كان حياً جداً وكأنها صور الماضي البعيد تتحرك فوق هذه الصفحات، وكأنها رسولنا الكريم وصحابته أحياء يتنفسون اليوم[٣].

الجانب الرابع: رغم إعجابها بالترجمة، لم تغفل مريم جميلة نقدها لمنهج محمد أسد في تفسيره لبعض الأحاديث؛ حيث تقول: ولكن للأسف في بعض الأحيان ملاحظاته التفسيرية تخون محاولاته الحماسية بتفسير كل شيء بعقلانية -وهذه إشكالية ظاهرة عند محمد أسد-، مثال: هو يفسر معراج الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى السماء على أنها تجربة روحية محضة، في حين أن الصحابة قد

---

(١) مقالة للمؤلفة مريم جميلة بعنوان: محمد أسد هدية أوروبا للإسلام تحرير وتعليق وكتابة م. إكرام شقاتاي، مجتمع الحقيقة وسائغ ايميل للنشر، لاهور، باكستان، وهو باللغة الإنجليزية، ص٥٩٥.

(٢) المرجع السابق، ص٥٩٥.

(٣) المرجع السابق ص٥٩٥-٥٩٦.

أجمعوا على انتقال الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى القدس والسماء بجسده وروحه، وحاول أن يفسر معجزة شق جبريل عليه السلام لصدر النبي الكريم-صلى الله عليه وسلم- وغسله وتنقيته لقلبه بقوله: هذا لا ينبغي أن يفهم حرفياً، في حين أن أحد الأحاديث يبين بوضوح تام أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة؛ إلا أنه يقول أن ذلك الحكم يخص دور العبادة، والأشد غرابة أنه يجعل أحكام الحجاب والبقاء في المنزل خاصة بزوجات الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقط(١).

الجانب الخامس: تذكر مريم جميلة سبب لجوء محمد أسد إلى التفسير العقلي: إن محمد أسد يصر على أن باب الاجتهاد لازال مفتوحاً ولم يغلق أبداً، ومن حق كل مسلم أن يمارس حقه في التفكير الحر؛ لأن ذلك يعتبر شرطاً أساسياً للنهضة الإسلامية، ولكن إذا كانت هذه هي نتائج الاجتهاد الحر فيمكن للمرء أن يميل قليلاً لإغلاق هذا الباب، ثم بينت أن محمد أسد رغم استخدامه للمنهج العقلي عند تفسير الأحاديث إلا أنه يؤمن بصحة ودقة صحيح البخاري؛ حيث تقول: بيد أن الكاتب يقبل تماماً بصحة الأحاديث ويشيد بعناية ودقة صحيح البخاري، في مقابل أي وثيقة تاريخية عادية(٢).

فالتفكير الحر بدون تقييد لمنطلقات الكتاب والسنة مشكلة حقيقية، حيث تكون النتائج وخيمة كما حصل لمحمد أسد في منهجه متأثراً بالمنهج العقلي الحر غير المنضبط بالكتاب والسنة، أيضاً جعل التفكير الحر من أسباب النهضة تعسف، فلا نهضة إلا باتباع الكتاب والسنة.

---

(١) المرجع السابق، ص٥٩٥-٥٩٦.

(٢) المرجع السابق، ص٥٩٦.

المطلب الثاني: تقويم ترجمة المستشرقين الذين أسلموا للسنة النبوية.

بعد أن تعرفنا على ترجمة صحيح البخاري لمحمد أسد، يرصد الباحث هنا أبرز الأخطاء التي وقع فيها محمد أسد في شرحه وتأويله لبعض النصوص، والتطويع في ألفاظها بطريقة تتلاءم مع قناعاته، وما استقر عليه رأيه من مفاهيم وأفكار، فمحمد أسد يؤكد "أن ليس هناك من يضارع الصحابة في فهم الإسلام ونصوص وحْيِه بفضل التصاقهم برسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بدايات دعوته للوحدانية والإيمان باليوم الآخر إلى أن أصبح الإسلام، إلى جانب هذا، نظاماً أخلاقياً واجتماعياً واقتصادياً، وكذلك بفضل إيمانهم العميق وإخلاصهم الكامل؛ مما يَعِزّ أن نجد له ضريباً في التاريخ؛ إلا أن هذا كله لا يعني عنده بالضرورة أن يكون فهمهم للإسلام ملزماً لنا، فهم رجال، ونحن رجال"(١).

ويمكن تلخيص هذه الأخطاء والمؤاخذات في نقاط ومن أبرزها:

أولاً: جانب محمد أسد الصواب في مسألة القضاء والقدر، وأنها من الأشياء المشكلة على الناس، وذهب إلى مذهب القدرية(٢) والله المستعان(٣).

ثانياً: جانب محمد أسد الصواب في اتهام العلماء بأنهم اختلفوا في تعريف الصحابي، وقال أن الصحابي هو الذي عاش مع النبي صلى الله عليه وسلم فترة طويلة وكان من أصدقائه، وذكر أن العلماء قد توسعوا كثيراً بعد القرن الثالث في هذا المعنى بسبب توقيرهم الزائد للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، فجعلوا كل من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم ولو لحظة من الصحابة، وذكر بعض الأدلة على ذلك(٤)، وهذه الأدلة ربما لا تؤيد ما ذهب إليه، وقد رد ابن حزم

---

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ٩٦.

(٢) انقسم الناس في القدر إلى ثلاثة أقسام: **قسم** آمنوا بقدر الله عزَّ وجلَّ وغلوا في إثباته، حتى سلبوا الإنسان قدرته واختياره، وقالوا: إن الله فاعل كل شيء، وليس للعبد اختيار ولا قدرة، وإنما يفعل الفعل مجبرًا عليه؛ بل إن بعضهم ادعى أن فعل العبد هو فعل الله، ولهذا دخل من بابهم أهل الاتحاد والحلول، وهؤلاء هم الجبرية، **والقسم الثاني** قالوا: إن العبد مستقل بفعله، وليس لله فيه مشيئة ولا تقدير، حتى غلا بعضهم، فقال: إن الله لا يعلم فعل العبد إلا إذا فعله؛ أما قبل؛ فلا يعلم عنه شيئًا، وهؤلاء هم القدرية، مجوس هذه الأمة، **والقسم الثالث**: أهل السنة والجماعة؛ قالوا: نحن نأخذ بالحق الذي مع الجانبين؛ فنقول: إن فعل العبد واقع بمشيئة الله وخلق الله، ولا يمكن أن يكون في ملك الله ما لا يشاؤه أبدًا، والإنسان له اختيار وإرادة، ويفرق بين الفعل الذي يضطر إليه والفعل الذي يختاره، فأفعال العباد باختيارهم وإرادتهم، ومع ذلك؛ فهي واقعة بمشيئة الله وخلقه، انظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة الواسطية للعثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ ج٢، ص٦٧.

(٣) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري، ص٦.

(٤) المرجع السابق، ص١٣-١٦.

قوله: "وقد قال قوم: إنه لا يكون صاحباً من رأى النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة؛ لكن من تكررت صحبته، قال أبو محمد: وهذا خطأ بيقين؛ لأنه قول بلا برهان، ثم نسأل قائله عن حد التكرار الذي ذكر، وعن مدة الزمان الذي اشترط، فإن حد في ذلك حداً كان زائداً في التحكم بالباطل، وإن لم يجد في ذلك حداً كان قائلاً بما لا علم له به، وكفى بهذا ضلالاً، وبرهان بطلان قوله أيضاً أن اسم الصحبة في اللغة إنما هو لمن ضمته مع آخر حالة ما؛ فإنه قد صحبه فيها، فلما كان من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير منابذ له ولا جاحدٍ لنبوته قد صحبه في ذلك الوقت وجب أن يسمى صاحباً"[١].

ثالثاً: قال محمد أسد في شرح الحديث: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم))[٢] أن المراد بالولاء في قوله: (يلونهم) أنه لا يراد به المعنى الزمني فقط؛ بل المقصود في المحل الأول هو الاقتراب من المثال الذي كان صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم يجدونه في التقوى والخلق والسلوك[٣]، وهذا التأويل غير صحيح، ويرده الحديث نفسه؛ إذ قال في رواية مسلم: (ثم يتخلف من بعدهم...) فهو واضح وصريح أن كلامه منصب على الترتيب الزمني للقرون، وأن قرن الصحابة أفضل ثم قرن التابعين ثم أتباعهم، وهؤلاء هم أقرب الناس اتباعاً للنبي صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: هاجم عدة مرات مروان بن الحكم رضي الله عنه، وادعى أنه كان يسب علياً –رضي الله عنه– علانية، وأنه قتل عثمان –رضي الله عنه–، وأبدى استغرابه من الإمام البخاري بأنه أخرج له أحاديث باعتبار أنه صحابي[٤]، كما أخطأ في الصحابي الجليل سعد بن عبادة –رضي الله عنه–، واتهمه بأنه شديد الانفعال والحدة، ويتسم بالتميز القبلي[٥]، وهذا الكلام غير سائغ؛ إذ لا يجوز للمسلم أن يتعرض للصحابة بسوء، والأدلة على ذلك مستفيضة؛ منها: أن الله تعالى ذكر المهاجرين والأنصار ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [سورة الحشر: ١٠]. وقد قال النبي

(١) ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج٥، ص٩١.

(٢) سبق تخريجه في المطلب السابق.

(٣) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري، ص ١٨، وكذلك محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٩٤– ٩٥.

(٤) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري، ص٦٣.

(٥) المرجع السابق، ص١٢٠.

صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))(١).

خامساً: جانب محمد أسد الصواب في نهجه منهج التأويل في وصف الجنة خلال تعليقاته على صحيح البخاري؛ فقال تعقيباً على قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها، أو ألين)) (٢)، أن هذا الثواب في الجنة مجاز(٣)، وفسر (سدرة المنتهى) وأوّلها بمعنى: نهاية العلم الذي يمكن للخلق إدراكه، وأن العلم المختص بالخالق لا يمكن للإنسان إدراكه حتى في الجنة(٤)، وأخطأ أيضاً حينما أوّل قول النبي عليه الصلاة والسلام: ((وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت)) (٥)، إلى تقديم الإشكالات الميتافيزيقية بصورة جسدية يدركها السامع(٦).

سادساً: جانب محمد أسد الصواب في شرحه لحديث النبي عليه الصلاة والسلام: ((اهتز العرش لموت سعد بن معاذ))(٧)، وقال بأنه وصفٌ لمحبة الله بطريقة مجازية، فإن من الشائع في العربية أن يقال: اهتز له، بمعنى: فرح بقدومه(٨).

سابعاً: يثبت محمد أسد وجود الجن، لكنه يؤول ذلك إلى عدة تفاسير بأنها قوى شيطانية، وقوى الظلام، وقد جانبه الصواب في ذلك(٩).

ثامناً: جانب محمد أسد الصواب في تفسيره لعذاب عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي طالب فهو يفسر العذاب الذي ذكرت بعض الأحاديث أن أبا طالب سوف يعذّبه في الآخرة، وهو غليان

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً، (١٣٤٣/٣) ح (٣٤٧٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه، (١٣٨٣/٣) ح (٣٥٩١).

(٣) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري ص١١٧.

(٤) المرجع السابق، ص١٩١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة: ٣٠]. (١٢١١/٣) ح (٣١٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري، ص٢٤١-٢٤٢.

(٧) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه، (١٣٨٤/٣) ح (٣٥٩٢).

(٨) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري، ص١١٧.

(٩) المرجع السابق، ص١٦٣-١٦٤، ١٧١.

دماغه من ضحضاح النار الذي سيبلغ كعبيه، بأنه رمز على أن معاناته ستكون معاناة عقلية بسبب تأكده أن ابن أخيه نبي صادق وأن دينه هو الدين الصحيح، ثم عدم إيمانه به رغم ذلك[١].

تاسعاً: جانب محمد أسد الصواب في ادعائه بأن الإسراء والمعراج كانا بروح النبي صلى الله عليه وسلم دون جسده[٢].

عاشراً: جانب محمد أسد الصواب في تعليقه لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب))[٣] بأنها وصف رمزي للجوائح الاجتماعية التي سوف تأتي على قواعد الثقافات المشرقية وتدفع المشارقة دفعاً إلى التقليد الأعمى للغرب على أساس أن النار ستلتهم ما تبقى من حيوية الثقافة الخاصة بشعوب المشرق، ومن ثم لا يعود هناك اتصال بين ماضيهم وحاضرهم[٤]، وهذا التأويل لا أساس له، ويتبين ذلك من قراءة الحديث؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن أشراط الساعة: ((وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))[٥] ووجه الدلالة أن هذه النار تخرج من اليمن، فهي نار حقيقية قد حدد النبي صلى الله عليه وسلم مبدأها، وبين منتهى هذه النار، وأنها تدفع الناس إلى المحشر، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن المحشر في الشام، فلا تعلق لهذا الحديث بالحضارة الغربية والكوارث الاجتماعية.

الحادي عشر: جانب محمد أسد الصواب حينما علق على قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد))[٦] فقال: في هذا الحديث إشارة إلى مسألة متعلقة بالبحث العلمي الحديث، وهو سبب كون الولد يشبه الوالد أو الوالدة، حتى البحث العلمي لم يستطع اكتشافه حتى الآن، ولكن ماء المرأة عند الجماع لا يؤثر في بيولوجية الطفل؛ بيد أنه توجد نظرية حديثة يبين خلال نظريته أن جنس الجنين يرجع إلى مدى حيوية وقوة النشاط لأحد الزوجين خلال الجماع، فيمكن أن يفسر الحديث بهذه النظرية[٧]، وهذا التأويل الذي ذهب إليه محمد أسد

(١) المرجع السابق، ص١٨٤، وكذلك محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ٦٨.

(٢) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري، ص١٨٤-١٨٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، (٢٢٢٥/٤) ح (٢٩٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري ص٢٤١، وكذلك انظر: محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ٥١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، (٢٢٢٥/٤) ح (٢٩٠١)، من حديث حذيفة بن سعيد الغفاري.

(٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب كيف آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، (١٤٣٣/٣) ح (٣٧٢٣).

(٧) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري، ص٢٤٢.

بعيد عن مضمون الحديث، وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، أنثا بإذن الله))[(١)]، فلا يجوز تأويل كلام النبي صلى الله عليه وسلم بما يخرجه عن معناه بنظريات علمية، سواء كانت للمسلمين أو للكفار.

الثاني عشر: جانب محمد أسد الصواب في إنكاره لمسألة مهمة في الفقه الإسلامي؛ حيث عدَّه علماء الإسلام من ضمن الأدلة المعتبرة في الشريعة وهو القياس[(٢)].

الثالث عشر: جانب محمد أسد الصواب في دعوته إلى ترك النظر إلى ما كان عليه المسلمون في السابق وما ألفه الفقهاء من المؤلفات في السياسة الشرعية[(٣)]، وهذه الدعوة غير صحيحة؛ لأن مؤلفات العلماء في السياسة الشرعية يستفاد منها كثيراً لا سيما ما ألفه علماء أهل السنة كشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية؛ لأن هؤلاء العلماء قعّدوا القواعد العامة بناء على الأدلة من الكتاب والسنة في السياسة الشرعية التي يمكن تطبيقها في كل عصر ومصر، ولا يعني ذلك إغلاق باب الاجتهاد في النوازل الجديدة.

الرابع عشر: جانب محمد أسد الصواب في تفسير الشورى بالديمقراطية الغربية، ودعا إلى الانتخابات العامة، واتباع رأي الجمهور سواءً كان مخطئاً أو مصيباً، وأن قرارات مجلس الشورى ملزمة للحاكم[(٤)]، وكل هذا الكلام في الحقيقة غير مأخوذ من نصوص الكتاب والسنة، وإنما هو مأخوذ من الديمقراطية الغربية.

الخامس عشر: استدل محمد أسد بحديث ضعيف وهو: ((اختلاف علماء أمتي رحمة))[(٥)]، هذا ليس بحديث وإنما هو مما اشتهر على الألسنة؛ قال الشيخ الألباني: لا أصل له، ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا، وقال ابن حزم: وأما الحديث المذكور، فباطل مكذوب من توليد أهل الفسق[(٦)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، (٢٥٢/١) ح (٣١٥).

(٢) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري ص١١-١٢.

(٣) المرجع السابق، ص١١-١٤.

(٤) المرجع السابق، ص٤٣-٤٧.

(٥) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري، ص٤٨.

(٦) السيوطي، تدريب الراوي ١٦٧/٢، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة لا أصل له، انظر محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة (٤١٤/١) حديث ٥٧.

السادس عشر: جانب محمد أسد الصواب في ترجمته لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسيا امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام))(١) بأننا لا يمكن أن نفضل عائشة رضي الله عنها على سائر النساء في الماضي والحاضر، وأن فضلها جاء على نساء عصرها فقط، ولا يشمل كل العصور، على أنه يجب علينا أن نتذكر فضلها ومكانتها العلمية(٢).

السابع عشر: ومن الأخطاء التي وقع فيها محمد أسد أثناء ترجمته لصحيح البخاري اختصاره للصلاة والسلام على النبي الأمي، حيث يكتب في مواضع الترجمة (ص)(٣)، وكذلك فعل حين اختصر الترضي على صحابته رضوان الله عليهم فجاء في مواضع عديدة من ترجمته الرمز (رض)(٤)،

ومما لا شك فيه أنه من غير اللائق، والمكروه اختصار كتابة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جرت عادة السلف والخلف بكتابة الصلاة والسلام على النبي الأمي، موافقة للأمر في كتاب الله العزيز في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [سورة الأحزاب: ٥٦].

كما يستحب للمسلم الترضي على الصحابة رضي الله عنهم عند ذكرهم، وفي ذلك يقول الإمام النووي رحمه الله في مقدمته لشرح صحيح مسلم: "يستحب لكاتب الحديث إذا مر بذكر الله أن يكتب عز وجل، أو تعالى، أو سبحانه وتعالى، أو تبارك وتعالى، أو جل ذكره، أو تبارك اسمه، أو جلت عظمته، أو ما أشبه ذلك، وكذلك يكتب عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكمالها لا رامزاً إليها ولا مقتصرا على بعضها، ويكتب ذلك وإن لم يكن مكتوباً في الأصل الذي ينقل منه فإن هذا ليس رواية وإنما هو دعاء، وينبغي للقارئ أن يقرأ كل ما ذكرناه وإن لم يكن مذكوراً في الأصل الذي يقرأ منه ولا يسأم من تكرر ذلك، ومن أغفل ذلك حرم خيراً عظيما"(٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [سورة التحريم: ١١]. إلى قوله ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [سورة التحريم: ١٢]. (١٢٥٢/٣) ح (٣٢٣٠).

(٢) محمد أسد، ترجمة صحيح البخاري، ص٩٨.

(٣) المرجع السابق، ص٣، ٤، ٥.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨، ١٩، ٢٠.

(٥) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ، ج ٢٢ص ١٠١.

الثامن عشر: بالنسبة للحديث الخاص ببداية الوحي وعودة الرسول ﷺ إلى خديجة من الغار يرتجف وطلبه إليها أن تزمّله، يقول محمد أسد: إن الهدوء النفسي الذي تجلبه تغطية الجسد كله كان أمراً معروفاً لدى كهان الجاهلية، وإن من المحتمل جداً أن تكون هذه التغطية هي التي حدت بمشركي مكة إلى الاستنتاج الخاطئ بأنه صلى الله عليه وسلم كان واحداً من هؤلاء الكهان، ولقد كنت أود لو أن محمد أسد أورد ما يدل على أن كهان الجاهلية كانوا يتغطون على هذا النحو عندما يعتريهم انفعال شديد؛ أما أن يذكرهم في سياق المقارنة بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم دون داع البتة فأخشى أن يغري بعض النفوس المريضة بادعاء الادعاءات السخيفة عليه مع بعده صلى الله عليه وسلم عنهم بعد السماء عن الأرض ونفوره منهم وتشديده في النهي عن الاختلاف إليهم أو تصديقهم حسبما ذكر أسد ذاته في موضع آخر، ثم من قال: إن التغطية هي التي جعلت المشركين يتهمونه بالكهانة؟ إن ذلك شيء لم يذكره القرآن ولا السنة ولا كتب التاريخ، كما أنها لم تحدث إلا مرة واحدة ولم يطلع عليها إلا خديجة رضوان الله عليها، لكنى مع أسد، رغم ذلك، في أن مبعث شعور الرسول صلى الله عليه وسلم بالخوف آنذاك هو تواضع نفسه الشريفة التي لم يكن يخطر لها في بال أنه يمكن أن يكون نبيا رسولا"[1].

هذه بعض الأخطاء التي وقع فيها محمد أسد خلال ترجمته وتعليقه على صحيح البخاري، وقد ذكرتها على سبيل التمثيل وليس الحصر، ويلاحظ القارئ منهج محمد أسد في هذه الترجمة يتمثل في تأويله لكثير من النصوص تأييداً لقناعته ونصرة لأفكاره بلا حجة ولا دليل، ونستنتج من ذلك تأثره بالبيئة الفكرية التي عاش فيها وعدم قدرته الانفكاك منها رغم إسلامه، فزلَّ في كثير من التفسيرات وتغلب فكره المادي على مسائل الغيبيات، فأوَّل بلا دليل وحرَّف بلا برهان، والكمال لله جل وعلا.

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص ٩٣.

الفصل الثالث

جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن العقيدة

وتحته مبحثان:

المبحث الأول:

جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن (أركان الإسلام الخمسة)

المبحث الثاني:

جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن (أركان الإيمان الستة)

الفصل الثالث: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن العقيدة.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن (أركان الإسلام الخمسة).

يطلق أركان الإسلام على الأسس الخمسة التي بني عليها الإسلام، وهي من أعظم الواجبات التي يجب على كل مسلم الالتزام بها، وقد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله)) (١).

فالإسلام لغة: الانقياد والاستسلام والخضوع، وشرعاً: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ومعاداة أهله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٥](٢).

فالمسلمون جميعًا يعلمون أن الإسلام له خمسة أركان، وعلى كل مسلم بالغ عاقل أن يلتزم بتلك الأركان الخمسة، ولأهمية هذه الأركان كان للمستشرقين الذين أسلموا كتابات في هذا الجانب.

معنى الإسلام

يعرف لورد هدلي الإسلام بقوله: "ما هو الإسلام؟ الإسلام معناه الحقيقي هو الخضوع لإرادة المولى سبحانه وتعالى"(٣).

ويبين مارتن لينجز إن "الدين الإسلامي ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: الإيمان وهو يحتوي على كل ما يجب أن يؤمن به الإنسان؛ الإسلام، القانون، وهو يحتوي على كل ما يجب أن يفعله الإنسان؛ الإحسان، الفضيلة الفعالة، والتي تمنح الإيمان والأفعال الصفات التي تجعلهما كاملين"(٤).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان، (١٢/١) ح (٨).

(٢) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص٢٥٥.

(٣) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٤٠.

(٤) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٢م، ص١٠٢-١٠٣.

بينما تعرف مريم جميلة الإسلام فتقول: "معنى الإسلام هو الاستسلام والخضوع لإرادة الله، ولا يمكن التقرب إلى الله من دون أن يجعل الإنسان نفسه خاضعاً لشرع الله وأوامره في حياته اليومية"[١].

كما أن مراد هوفمان يقول عن الإسلام بأنه: "دين عالمي ويجيب على أسئلة أساسية وهي: من أين؟ وماذا علي فعله؟ وإلى أين؟ "[٢]، وأيضاً يقول: "وأن محمداً لم يأت بدين جديد؛ وإنما أعاد بناء الدين الأول، وهو الخضوع والاستسلام التام الله"[٣].

أركان الإسلام الخمسة

يعدد روجيه دوباسكويه أركان الإسلام الخمسة فيقول: "للإسلام أركان خمسة: الشهادة، الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج"[٤].

كما يعدد مارتن لينجز أركان الإسلام الخمسة وسماها بالفروض الإسلامية فيقول: "الفروض الإسلامية والمعروفة أكثر بالأركان الخمسة هي الشهادة، وشعائر الصلاة خمس مرات يوميًا والزكاة والصوم في شهر رمضان والحج لمكة لمن استطاع إليه سبيلاً، هذا الفرض الأخير هو الفرض الوحيد المشروط"[٥].

في حين يذكر مراد هوفمان أركان الإسلام الخمسة تحت مسمى قواعد الإسلام الخمس فيقول: "بعد ذلك ينفرد الإسلام بأنماط سلوكية تتمثل في الفرائض والعبادات، وقواعد الإسلام الخمس إلى جانب الشهادة:

١ – شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.
٢ – إقامة الصلاة (الصلوات المفروضة).
٣ – إيتاء الزكاة.
٤ – صوم رمضان.
٥ – حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً[٦].

(١) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص١٣٦.
(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه مسلم ألماني، ص٢٣.
(٣) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام ص ٧٣، ربما قصد هوفمان بكلمة الدين العقيدة؛ لأن الشرع مختلف.
(٤) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٠.
(٥) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٥م، ص٧١.
(٦) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٠.

وكما يعدد مراد هوفمان في موضع آخر أركان الإسلام الخمسة قائلاً: "أما المسلم أو المسلمة بمفهوم الدين الإسلامي في إطاره التاريخي المحدد فهو فقط من ينطق بالشهادتين؛ لأنه يصلي على الطريقة الإسلامية ويصوم ويؤدي فريضة الحج إلى مكة"(١).

أهمية تطبيق أركان الإسلام

أركان الإسلام الخمسة لها أهمية كبرى في حياة العبد؛ حيث تبين مريم جميلة أهمية تطبيقها في حياتنا اليومية بقولها: "عندما يدرك الناس حاكمية الله عز وجل وسيادة شريعته، فإن كل القيم المزيفة ستزول من نفسها، سيكون عالماً البشر فيه عبيد الله لا لبعض، سيغني التحرر من كل أشكال الطغيان، سيكون عالماً يُحكم على الرجل فيه بأخلاقه لا بنجاحه الدنيوي، ولن يكون هناك مكان للتفرقة العنصرية والتحاسد الطبقي، وستوجد صلاة الجماعة والحج والصيام والزكاة، أواصر المحبة القوية والثقة والمسؤولية بين المرء وأخيه، سيتمتع الأغنياء بثرواتهم على أساس أنها نعمٌ من الله للفقير فيها حق تؤكده الشريعة، سيكون عالماً خالياً من التصنع والخداع، ولن تحاول النساء التشبه بالرجال ولن يأنف الكبار من سنّهم"(٢).

وتكمن خطورة عدم تطبيق هذه الأركان في أنها سبب لانهيار المجتمع؛ حيث يقول مراد هوفمان "تقوم فروض العبادة في الإسلام على أركان الإسلام الخمسة، وفي الواقع ينهار المجتمع الإسلامي آجلاً أو عاجلاً إذا ما انهار ولو ركن واحد من هذه الأركان، فهي تدعم بعضها بعضًا وتشكل معًا الطابع الأخلاقي للمسلم القدوة، وفي الحج تتجمع هذه الأركان الخمسة في حزمة واحدة"(٣).

يتبين من خلال ما سبق أن الذين أشاروا إلى أركان الإسلام الخمسة من المستشرقين الذين أسلموا هم لورد هدلي وروجيه دوباسكويه ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان، ويتفقون مع اعتقاد أهل السنة والجماعة في الإيمان بها؛ بل أكدوا على مكانة هذه الأركان وأهمية الالتزام بها، واستدلوا على ذلك من الكتاب والسنة النبوية، وضرورة تطبيقها في حياة المسلم اليومية.

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١١٩-١٢٠.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٩٢-٩٣.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص ٦١.

المطلب الأول: جهودهم في الدفاع عن الركن الأول (الشهادتين).

الشهادتان هما: أول الأركان وأعظمها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فهما المفتاح الذي يدخل به الإنسان إلى دائرة الإسلام، ومعناهما الاعتقاد الجازم بأن الله وحده لا شريك له، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، جاء برسالته داعياً إلى عقيدة التوحيد، وأن هاتين الشهادتين هما أساس قبول الأعمال وصلاحها.

"معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله، ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر به واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع"(١).

ولعظم هاتين الشهادتين ومكانتهما كان للمستشرقين الذين أسلموا كتابات وأطروحات في هذا الركن المهم فيقول اتيين دينيه عن الإيمان بالشهادتين: "وحينما عاد إلى مهبط الوحي ظهر له جبريل من جديد في صورة رجل فقال: "يا محمد إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك منه السلام، ويقول لك: أنت رسول الله إلى الجن والإنس، فادعهم إلى قول: لا إله إلا الله(٢)"(٣).

بينما يفسر روجيه دوباسكويه معنى الشهادتين بقوله: "بدأ بالنفي (لا إله) ثم تأكيد الحقيقة (إلا الله) فتحدد مكان المرء أمام الله، وتقتضي الشهادة بالحقيقة المطلقة ومن ثم الشاملة لله، الامتثال الضروري -الذي لا محيد عنه- له، التسليم لمشيئته، وهذا هو تمامًا معنى الإسلام، ومن هنا تأتى الخطوة الثانية في ترتيب إلهي يدركه المنطق الإنساني (محمد رسول الله) تستمد أهميتها من الشق الأول للشهادة، وتقرر أنه لتحقيق الامتثال والتسليم لله لا توجد وسائل أفضل من اتباع رسوله"(٤).

وتتميز الشهادتان بالوضوح بعيداً عن الغموض "فالإسلام قديم وحديث في وقت واحد، قديم لأنه ينقل حقيقة معروفة للإنسان منذ أقدم العصور، وحديث في وسائله التي تمكن الناس أن يعيشوا تلك الحقيقة، تظهر الحداثة أولاً في بساطة التعبير عن مبادئه العقيدية، أولها وأهمها على الإطلاق الشهادة: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله) هذه الشهادة بوحدانية الله التي

---

(١) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص٢٥٦.

(٢) عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ (١/ ٢٤٤).

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١١٣.

(٤) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٩.

أعلنتها رسالة محمد للبشرية بتعبير واضح يجعل تقبلها سهلاً للرجل العصري والذي لا يحتاج حتى يصبح مسلمًا أن يقر بغوامض ومبهمات تستعصى على فكره"(١).

والشهادة لا تحتاج إلى مراسم وطقوس فلها "أهمية مركزية بين الأركان التي هي بصورة ما تصديقًا أو تطبيقًا لها، وهي المدخل للإسلام والانتماء إلى الأمة الإسلامية، ولا تحتاج الشهادة لمراسم خاصة للنطق بها؛ بل هي تتخلل حياة المسلم لتذكره دائمًا بالواحد الأحد القادر الصمد، تُلَقَّن في أذن المولود، ويشهد بها من يُفارق الحياة، ويُذَكِّره بها من حوله، ويُعطر بها المؤذن الفضاء خمس مرات في اليوم، ويتلوها المصلي مرتين كل صلاة، ومرة واحدة في صلوات الركعتين، وهي من الأذكار التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين"(٢).

والشهادتان هما أصل الإسلام وأساس الملة حيث "ينبغي أن نتذكر دائماً أننا نحن المسلمين لا يمكن أن نتخلى عن عقيدة التوحيد ونبذ الشرك بالله، وشهادة أن محمداً رسول الله إلى العالم كله ليبلغ كلمة الحق"(٣)، "والشهادتان هما أول وأهم ركن من أركان الدين الخمسة"(٤).

ولا يكفي النطق بالشهادتين؛ حيث "يفهم من هذا الفرض عادةً أنه مجرد النطق الطوعي والمدرك بالعبارة الإسلامية التي تقوم على دعامتين وهي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هكذا يصبح المرء مسلمًا؛ ولكن شكليًا فقط، فالأمر لا يتم بمجرد ذلك؛ بل هناك موقف مطلوب من المسلم الذي يؤدي الشهادة؛ ليصبح مؤمنًا في قرارة نفسه، فعبارة مسلم مشتقة من الكلمة العربية (إسلام)، ومعناها يعود إلى الجذر اللغوي لأحرف السين واللام والميم الذي يعبر عن معنى أسلم؛ أي التسليم(٥) في الوقت نفسه السلام، فالمسلم بهذا المعنى هو الذي يحقق ذلك ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ١٩﴾ [سورة آل عمران: ١٩]. والتسليم هو موقف روحاني يعبر بوعي ثابت قدر الإمكان عن الارتباط بالله تعالى وذكره، وهو في الوقت نفسه تنبيه وإنذار، فالتفكير الدائم بالله هو الأكبر ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥]. هذه التقوى هي التي تميز المسلم الحقيقي، وهي التي تجعل

(١) المرجع السابق، ص١٨.

(٢) المرجع السابق، ص١١٠.

(٣) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٧٥.

(٤) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٢م، ص١٠٣.

(٥) الأصوب أن معنى الإسلام هو: دين الإسلام ولا نحتاج إلى تأويل بأنه التسليم والسلام في هذا الموضع وإن كان من معانيه، وسيأتي مزيد بيان في الباب الثالث.

الشهادة مفعمة بالحياة ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الفتح: ٢٦]"[١].

والشهادتان لهما شطران أساسيان، "ففي الشطر الأول من الشهادة التي ينطق بها المسلم عن اعتقاد يؤكد إيمانه بالله بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله، وننبه تنبيها إلى أن المسلم لا يشهد الله وإنما يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، فينزه الله تعالى عن الصاحبة والولد والشريك والتثليث وكل شكل من أشكال الشرك بالله، وفقاً لسورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [سورة الإخلاص: ١]. ولهذا يؤكد الشطر الثاني من الشهادة أن محمداً رسول الله، وهذا الشطر لازم كل اللزوم لإتمام الشهادة، أما ختم شيء أو أمر فمعناه عند الحديث عن الوحي أنه تم واكتمل"[٢].

فيما سبق تضمن الحديث عن معنى الشهادتين وأهميتهما، وأنهما الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة؛ حيث تُعد من أعظم الذكر وأجله، وبها يُلَقَّن في أذن المولود، ويُعطر بها المؤذن أرجاء الفضاء خمس مرات في اليوم والليلة، ويتلوها المصلي في صلواته، والذي جاء من خلال كتب المستشرقين الذين أسلموا وهم: اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان، وهم بذلك متفقون مع أهل السنة والجماعة.

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص ٦١-٦٢.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٣٧-٣٨.

المطلب الثاني: جهودهم في الدفاع عن الركن الثاني (الصلاة).

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام؛ بل هي عمود الإسلام، والصلة بين العبد وربه، ولها مكانة عظيمة في الإسلام، وتعني التعبد لله والتوجه إليه ومناجاته ودعاءه كما شرعها سبحانه وتعالى، ويجب أداؤها في أوقاتها المحددة، وبالصفة التي أداها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يعتقد العبد بأن الله تعالى أوجب على كل مسلم خمس صلوات في اليوم والليلة: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [سورة النساء: ١٠٣].

فالصلاة في اللغة: الدعاء بخير[١]، أو الدعاء ومنه قول تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ [سورة التوبة: ١٠٣][٢]، وشرعًا: أفعال وأقوال مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، بشرائط مخصوصة[٣].

ونظراً لأهمية هذه الشعيرة العظيمة تحدث عنها أغلب المستشرقين الذين أسلموا في كتاباتهم، وأشاروا إلى وجوبها ومكانتها وفضلها، كما تحدثوا عن أهمية صلاة الجماعة وبعض جماليات الصلاة.

حُكم الصلاة

فرضت الصلاة في السماء السابعة عندما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقد "حدد الصلاة بخمسين مرة في اليوم والليلة، يؤديها المؤمن اعترافًا بفضل مانح النعم، ولما نزل المصطفى تقابل مع موسى الذي سأله قائلاً: ((يا رسول الله، كم فرض الله على أمتك من الصلوات؟ خمسون صلاة في اليوم والليلة، عد يا خير الخلق إلى إلهنا وسيدنا، فاطلب منه التخفيف؛ لأن أمتك لا تطيق، ذلك حمل ثقيل على الضعفاء والكسالى من بني الإنسان، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، وعاد محمد إلى رب العالمين وتكررت عودته إلى أن فرض الله على أمته خمس صلوات فقط في اليوم والليلة)) [٤]، هذا الرمز الذي كان من شأنه تحديد عدد الصلاة نهائيًا يدل أيضًا على أن المغالاة في العبادة ليست إلا

---

(١) بدر الدين أبو الفضل ابن قاضي شهبة، بداية المحتاج في شرح المنهاج، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ، ج ١ ص٦٢.

(٢) شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، كتاب الصلاة من شرح العمدة، تحقيق خالد بن علي بن محمد المشيقح، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ، ص٢٧.

(٣) بدر الدين أبو الفضل ابن قاضي شهبة، بداية المحتاج في شرح المنهاج، ج ١ ص٦٢، وكذلك إبراهيم بن محمد بن مفلح، المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ، ج١ ص ٢٦٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الصلاة، باب: كم فرضت الصلاة في الإسراء، (٧٨/١)، ح/٣٤٩، وأخرجه مسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم رقم ١٦٣.

ابتعادًا عن روح الإسلام: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة النساء: ٢٨]. وما حاجة الله إلى صلاة البشر؟ ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [سورة طه: ١٣٢][(١)].

ففرض الصلاة بخمس صلوات دليل على عدم المغالاة لأنها بمقدور الإنسان إتيانها وليس فوق طاقته.

"والصلاة في الإسلام هي عماد الدين ومن أقامها فقد أقام الدين"[(٢)].

والدليل على أهميتها قوله صلى الله عليه وسلم: ((حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة[(٣)]))[(٤)].

والصلاة لها منزلة كبيرة في الإسلام، فهي أول عبادة يحاسب عليها المسلم؛ حيث يقول مراد هوفمان "تتمتع الصلاة في دين الإسلام بأعلى مرتبة في الحياة والعبادة، وقد خصصت كتب الفقه الإسلامي الجامعة، ككتاب منهاج الطالبين للإمام النووي، وغيره من كتب الفقه الأخرى المعتمدة في القرن الثالث عشر، الفصول الأولى منها للصلاة، وأما في الكتب المتقدمة كموطأ الإمام مالك رضي الله عنه فقد خصص ما لا يقل عن أربعة عشر فصلاً من الأبواب والفصول الأولى في كتابه عن شروط الصلاة وأحكامها بشكل خاص، وبناء على هذه الأحكام فينبغي على كل مسلم أن يحترم بشدة صلاة المصلين فلا يزعجهم، ولا يقطع عليهم تركيزهم ويشوش عليهم أفكارهم، كما أنه يحدد مكانٌ للمصلي سواء أتمَّ تعليم ذلك والإشارة إليه أم لا (وهو على قدر قياس سجادة الصلاة حيث يتمكن المصلي من السجود براحته، أو في المكان الذي يضع نظارته قريباً من مكان سجوده) بحيث لا يتجاوزه المارون بين يدي المصلي في أي حال من الأحوال تقريباً، وبناء على هذه المدنية التي يمكن ملاحظتها في أي بلد من البلدان الإسلامية؛ فمن السهل نسبياً للمسلم المصلي أن يجتهد في التركيز باستغراق وعمق على صلاته، سواء أكان يصلي في محطة البنزين أو على رصيف أحد الشوارع أو حتى على سقالة بناء مرتفعة، وإن قوة الإسلام يُنظر إليها في الغرب غالباً على أنها لغزٌ محير، ومع

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٥٨-١٥٩.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٥١.

(٣) سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، (٦١/٧) ح (٣٩٤٠) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٥٥.

ذلك فيمكن التعرف على هذه القوة لهذا الدِّين العظيم بمنتهى السهولة والوضوح، إنها ناتجة ونابعة من قدرة المسلم على الصلاة"(١).

ويجب على كل مسلم بالغ عاقل ذكر أو أنثى أن يؤدي الصلوات الخمس؛ لأن" تارك الصلاة، الذي يقطع صلته بالله، فليس من اليسير اعتباره مسلمًا، فالصلاة المفروضة لابد من أدائها؛ أما الأدعية والصلوات غير المفروضة (السنة) فليست بفرض يحاسب المسلم على تركه، إنها تقرب إلى الله بذكره كثيرًا، وتسبيحه بكرةً وأصيلاً، ونحن نعلم كيف كان الرسول -صلى الله عليه وسلم-يتهجد ويقوم الليل، نصفه أو ثلثه"(٢).

وإن من صفات المؤمنين المحافظة على الصلاة، "فالدين يعني رباطاً يربط الإنسان بربه، وإذا كان الإسلام يعني أن يهب المسلم نفسه لله فقد كان أهم واجباتي بوصفي مسلماً حديث عهد بالإسلام في الخمسينيات من العمر أن أتعلم صلاة الإسلام"(٣).

صفة الصلاة وكيفيتها

الصلاة في الإسلام لها صفة مخصوصة، ولها أركان وواجبات وشروط كما أن لها سنناً، فيبدأ المسلمون صلاتهم بالوضوء، "فيتطهرون أتم الطهارة، ثم على طهر من أجسامهم وأرواحهم ينتظرون صفوفًا طويلة، متحاذين بمرافقهم، متوجهين وجهة واحدة نحو كعبة مكة المقدسة، وهناك يقومون وأجسامهم منتصبة، ورؤوسهم في انحناء يسير وعيونهم حاسرة، ساكنين في تلافيف أرديتهم الطويلة، وكأنما تحولوا إلى حشد من التماثيل، وعلى قدوة بالإمام الواقف أمامهم بنفس الهيئة ولنفس القصد معلنًا كل وضع جديد من الصلاة بالتكبير (الله أكبر)، يرفعون كذلك أيديهم مفتوحة حتى تحاذي أفوادهم، مظهرين بذلك روعتهم أمام القدرة اللانهائية لرب العالمين، ثم في حركة واحدة يحنون جميعًا ظهورهم ويركعون أمام جلال الألوهية"(٤).

فالمحافظة على الصلاة في وقتها من أحب الأعمال إلى الله تعالى؛ حيث تؤدى "الصلاة خمس مرات في اليوم، تنظم وتنقي حياة المسلم وتطهر روحه بمخاطبة الله، وتمنعه من غفلة الاستغراق في الدنيا، كذلك تطهر جسده بالوضوء أو الغسل وملبسه ومكان صلاته، ويمكن أن تقام الصلاة في

---

(١) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١١٢.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤١.

(٣) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٥٧.

(٤) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٦٩-٧٠.

أي مكان طاهر على وجه الأرض، وتُفَضَّل دائمًا صلاة الجماعة في المساجد(١)، والمسلم الذي يؤدي الصلوات الخمس ليس فقط يمارس عبادة تظهر تسليمه لله؛ ولكنه أيضًا ينتظم في توافق داخل سلسلة لا تنقطع من صلاة المسلمين منذ أربعة عشر قرناً؛ لأنه على مدار اليوم هناك وقت للصلاة المفروضة في مكان ما على الأرض، يقرأ فيها المصلون سورة الفاتحة ويتشهدون مرتين في كل صلاة -عدا صلاة الصبح مرة- مع ما يصاحب ذلك من قراءة وتسبيح ودعاء، وليست الصلاة عملاً عقلياً فقط بل تسمو بكل كيان المصلي"(٢).

ومن أركان الصلاة السجود، فالسجود لله تعالى أعظم شرف للمسلم، وهو أحد البراهين على إيمان العبد وتوحيده لله سبحانه وتعالى، "فيعبر السجود في الصلاة عن تطلع العابد للتسليم الكلي للذات الإلهية، وليس ذلك هو المستغرب من الإنسان؛ بل التيار العام للعلمانية والتحرر–طبقًا لشعار مشهور لا يعترف بإله فوق الإنسان– هو المستغرب، وذكر الله من شعائر الإسلام ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [سورة البقرة: ١٥٢]. يقف هذا بوضوح في صراع مباشر ضد الأسلوب التقليدي للحياة الحديثة الذي أصبح في حالة عامة من الغفلة المعتادة عن الخالق"(٣).

وفي هذا الشأن يذكر محمد أسد صفة الصلاة وكيفيتها عندما سأل حاجاً عنها مندهشاً من صلاة المسلمين فيقول: "أصابتني الحيرة حين شاهدتُ صلاة تتضمن حركات آلية للبدن، فسألت الحاج ذات يوم وكان يفهم بعضًا من اللغة الإنجليزية: هل تعتقد حقًا أن الله ينتظر منك أن تظهر له إيمانك بتكرار الركوع والسجود؟ ألا يكون من الأفضل أن تنظر إلى داخلك وتصلي إلى ربك بقلبك وأنت ساكن؟ لماذا كل هذه الحركات بالجسد؟.

بمجرد أن انتهيت من تساؤلاتي أحسست بالندم فقد أكون قد جرحت مشاعر الرجل الدينية؛ إلا أنه لم يبدُ على الحاج أي أثر لإهانة أو جرح، ابتسم كاشفًا عن فم يخلو من الأسنان ورد قائلاً: بأي وسيلة أخرى تعتقد أننا يمكن أن نعبد الله؟ ألم يخلق لنا الروح والجسد معًا؟ وكونه خلقنا جسدًا وروحًا، ألا يجب علينا أن نصلي بالجسد والروح؟ اسمع، سأخبرك لماذا نصلي نحن المسلمين كما

---

(١) صلاة الجماعة واجبة أداؤها في المساجد.

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٢.

(٣) المرجع السابق، ص٢٠-٢١.

نصلي ونتوجه إلى الكعبة وهي أول بيت لله في مكة(١)، ونعلم أن وجوه كل المسلمين في أي موضع كانوا من الأرض تتوجه إليه أثناء الصلاة، فنشعر أننا جسر واحد نتوجه إلى مركز واحد بفكرنا ووجداننا، نبدأ أولاً بالوقوف منتصبين، ونتلو بعض آيات القرآن واضعين نصب أعيننا أنها كلام الله أُنْزِلَ للبشر لهدايتهم ونفعهم في الحياة الدنيا، ثم نقول: الله أكبر؛ مذكرين أنفسنا أنه لا يوجد من يستحق العبادة غير الله وحده، ثم نركع أمامه؛ لأننا نجله فوق كل شيء ونسبح بعظمته وقدرته، ثم نسجد على الأرض وجباهنا على أديمها حتى نشعر أننا لسنا إلا ترابًا وأننا لا شيء أمامه، وأنه خالقنا والحافظ لنا، ثم نرفع وجوهنا ونجلس وندعوه أن يغفر لنا، وأن ينزل رحمته وسكينته علينا وأن يهدينا الصراط المستقيم وأن يهبنا الصحة والرزق، ثم نسجد من جديد على الأرض ونمس الأرض بجباهنا اعترافًا بعظمته وقدرته، ثم نجلس وندعوه أن يصلي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي بلَّغ رسالة الله إلينا، كما ندعوه أن يصلي على الأنبياء الذين سبقوا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يباركنا ويبارك كل من اهتدى بهديه، ثم ندعوه أن يرزقنا من خير الدنيا وحسناتها وأن يهبنا حسنات الآخرة، ثم نختم صلاتنا بأن ندير رؤوسنا إلى اليمين ثم إلى اليسار، قائلين في اتجاه: السلام عليكم ورحمة الله، وهكذا نحيي كل من اتبعوا الحق أينما كانوا، هكذا صلى نبينا وهكذا علَّم من آمنوا كيف يصلون في كل عصر وفي كل آن؛ فهم يسلمون أرواحهم وأبدانهم لله -وذلك هو ما يعنيه الإسلام- فيكون البشر في علاقة سلام مع الله ومع ما قدره لهم"(٢).

وللصلوات الخمس ركعات محددة فصلها الشارع الحكيم، "فصلاة الصبح ركعتان، صلاة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات؛ أما صلاة المغرب فهي ثلاث ركعات، وفي كل ركعة تتلى فاتحة الكتاب ذات الآيات السبع أو السبع المثاني ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الحجر: ٨٧](٣).

كما أن للصلاة عدة شروط، وهذه الشروط خارجة عن ماهية الصلاة، ولا بد للمصلي الإتيان بها حال القدرة، ولا تصح الصلاة إلا بها؛ وذلك" بأن يكون طاهراً، أي أن يغسل يديه ووجهه وساعديه حتى المرفقين، ويمسح على شعره وأذنيه، ويغسل قدميه إلى الكعبين، وهذا ما يعرف بالوضوء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ

(١) ليس أول بيت في مكة؛ وإنما أول بيت في الأرض قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة آل عمران: ٩٦].

(٢) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٤٠-١٤١، هذا حوار بين المؤلف وبين رجل كبير في السن إمام قابله في القدس.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٦٤.

بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ [سورة المائدة: ٦]. وفي أوقات محددة، وباللغة العربية، وباتجاه القبلة: أي باتجاه مكة المكرمة"(١).

ومن شروط صحة الصلاة دخول الوقت، فحدد الشارع الحكيم أوقاتاً مخصوصة لأداء الصلوات، "فصلاة الصبح (الفجر) تؤدى قبيل شروق الشمس، وصلاة (الظهر) عقب منتصف النهار، وصلاة العصر بعد صلاة الظهر، والصلاة الرابعة (المغرب) عقب غروب الشمس، يعقبها بعد (٩٠) دقيقة صلاة العشاء، وهذا يعني أن الجزء الفعال من اليوم، أي من شروق الشمس حتى المساء يمكن أن يكرس للصلاة دون أن تقطع وقت العمل، وهناك تسهيلات للمسافرين؛ إذ يسمح لهم أن يختصروا من الصلوات المفروضة أو يجمعوها معًا"(٢).

صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم

صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم أعدل صلاة وأكمل صلاة عليه الصلاة والسلام؛ حيث "كانت الصلاة والطهارة شرط يتقدمها أول واجب تلقنه النبي -صلى الله عليه وسلم- من فم رسول السماء -عليه السلام- وحينما عاد إلى مهبط الوحي، ظهر له جبريل من جديد في صورة رجل، فقال: يا محمد إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك منه السلام، ويقول لك: أنت رسول الله إلى الجن والإنس، فادعهم إلى قول: لا إله إلا الله، ثم أخذه في ناحية الوادي؛ حيث ضرب برجله الأرض، فتفجرت عين من الماء، فتوضأ جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر، ليريه كيف الطهور الذي يتقدم الصلاة، ثم قام جبريل، فصلى بالنبي صلى الله عليه وسلم ركعتين، وكان النبي يقتدي به في حركاته، من ركوع وسجود، وفيما يقوله أثناء ذلك(٣)"(٤).

(١) المرجع السابق، ص٦٢-٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص٦٣.

(٣) عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ (١/ ٢٤٤).

(٤) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١١٣.

شعيرة الأذان

الأذان له أهمية كبرى في إظهار شعيرة من شعائر الإسلام؛ حيث "ألمح الآن شعاعًا ورديًّا يتدفق في الأفق، والنجوم يبهت لونها، ويطرق مسمعي لحن موسيقى[1]، يتردد صداه في هدأة الفجر: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح"[2].

والأذان إعلام بدخول وقت الصلاة؛ حيث "كان هناك مسجد صغير ذو مئذنة قصيرة كنت أسمع منها الأذان للصلاة خمس مرات كل يوم، يظهر رجل ذو عمامة بيضاء في شرفة المئذنة يرفع كفيه إلى جانبي وجهه، ثم يرفع عقيرته بالأذان: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، في تحوله البطيء في شرفة المئذنة ليوجه النداء إلى الجهات الأصلية الأربع، يرتفع صوته متسلقًا الأعالي، ويتضخم ويتضاعف في الجو الصافي، بعمق الأصوات الحلقية للكلمات العربية، يتماوج، يتقدم ويتراجع، جهيرًا عميقًا، ناعمًا وقويًا واسع المدى، إلا أنك تدرك أن تلك الصفات الجمالية الصوتية التي تميز الأذان إنما هي ناتجة عن توهج إيماني، لا عن نوع من الصنعة الفنية"[3].

والأذان له تأثير كبير على مسامع الناس، "فأذان المؤذنين الذي كنت أسمعه في الأيام التي قضيتها بالقاهرة، هو ذاته الأذان الذي كنت أستمع إليه بالقدس، وقدر لي أن أسمعه بعد ذلك في كل البلاد الإسلامية رغم اختلاف اللغات واللهجات وأصوات الأداء، جعلني توحد الأذان أدرك في تلك الأيام عمق التوحد الإسلامي بين كل الشعوب الإسلامية، وأدرك أن الاختلافات مصطنعة ولا معنى لها، تميز ذلك التوحد عقيدة واحدة وتوحد أساليب التفكير والتميز بين الصواب والخطأ والحلال والحرام، وإدراك واحد لما يجب أن يكون عليه صلاح الحياة"[4].

توجه المسلم إلى القبلة

من شروط الصلاة استقبال القبلة، ولا تصح الصلاة إلا به، "فكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- في أول عهده بالرسالة يترك للمؤمنين حرية اختيار قبلتهم في الصلاة؛ وذلك لأن: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ

---

(١) لم يوفق المؤلف في وصف الأذان بالموسيقى، وممكن تسميته باللحن والنغم لأن الموسيقى مختلف فيه بين أهل العلم ويتبادر إلى الذهن الغناء الفاحش.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٦٩-٧٠.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٦٩.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٩.

وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ [سورة البقرة: ١١٥]. وبينما الرسول–صلى الله عليه وسلم– يوشك أن يتم مسجده الأول؛ إذ أحس بمقدار التسامي والجمال الذي سوف تصل إليه الصلوات؛ إذا ما اتجهت القلوب كلها نحو وجهة واحدة، فاتحدت النفوس في مثل أعلى واحد نشأ عن ذلك الاتجاه الواحد؛ لذا عمد إلى قالب مصنوع من الحجر والطين ووضعه ملاصقًا للحائط الشمالي من المبنى وبه عين القبلة الأولى، وكانت بيت المقدس، ولكن الوحي أمر بأن تكون القبلة مكة: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ [سورة البقرة: ١٤٤]. ومنذ ذلك اليوم ومكة هي القبلة الثابتة لجميع مسلمي العالم"[١].

وإذا أراد المسلم أن يصلي فإنه يستقبل القبلة، "فمنذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا من الشواطئ الأفريقية للمحيط الأطلنطي إلى الشواطئ الصينية للمحيط الهادي؛ يستدير أكثر من مائتي مليون من المسلمين خمس مرات في كل يوم إلى ناحية الكعبة المقدسة في مكة؛ حيث تتجمع الملايين من صلواتهم متناسقة لتصعد إلى الملأ الأعلى؛ كي تشهد الله على ما للروح الإسلامية نحوه من ولاء لا يمكن أن يتحول"[٢].

ولا خلاف في أن من شروط صحة الصلاة استقبال القبلة، "فقداسة الكعبة تخص المبنى بأكمله كقبلة لكل العالم الإسلامي في اتجاه هذا الرمز إلى وحدانية الله، يوجه مئات الملايين من المسلمين أوجههم نحوها في الصلوات الخمس كل يوم"[٣].

وتُعد الكعبة المشرفة قبلة المسلمين التي يتوجهون إليها في صلاتهم بناءً على أمر الله سبحانه وتعالى، "فالرسول –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه كان يجب عليهم أن يهاجروا من مكة إلى المدينة، كان له أهمية كونية حتى يمكن للقِبلَة أن تتخذ مكانها منذ العهد الرسولي وبالتالي كتقدم رسولي، القوة المضافة التي تعني استدارة المتغرب تجاه داره [أي ربه] ما زال يُحتفظ بكثير من ذلك الحنين حتى يومنا هذا، بمعنى أن المسلمَ –كونه عربيًا أو غير عربي– يعي أن جذوره الروحانية في مكة، وعي يُشحَذ مرة في العام في كل مجتمع إسلامي بسفر الحجيج وعودتهم؛ وفي شعائر الخمس صلوات اليومية، في كل

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص٧١.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٥٤٣.

دورة من التحركات التي تتكبَّد في سجود يمكن وصفه بانهمار النفس في اتجاه مكة، ولكن لا يجب أن ننسى ذكر الله أكبر من إقامة الصلاة"[١].

أهمية صلاة الجماعة وفضلها

صلاة الجماعة فضلها عظيم وثوابها كبير، فهي أفضل من صلاة الفرد وحده بسبع وعشرين درجة، "فالصلاة الجامعة هي بلا شك أكثر الصلاة نفعًا، وفيها يسري الإخلاص والتحمس من روح كل مسلم إلى روح جاره، ولقد قال عنها الرسول -صلى الله عليه وسلم-: ((إنها تعدل الصلاة المنفردة سبعًا وعشرين مرة)) فمن المهم إذن، والأمر كذلك، جمع كل المؤمنين في وقت محدد، خمس مرات في اليوم، ومنذ ذلك الحين من أعلى المنارات المرتفعة الرشيقة في جميع بقاع العالم يدعو المؤذن للصلاة خمس مرات في اليوم"[٢].

والصلاة مع الجماعة في المساجد لها حِكَم بالغة ومزايا عديدة؛ "حيث ينبغي أن يصطف المصلون في صف مستقيم تتلاصق فيه الأقدام وتُسد الفرج، وهذا التلاصق يرمز بالنسبة لي أكثر من مجرد ضم صفوف، إنه يرمز إلى التضامن على نحو يؤثر فيَّ مجدداً كل مرة، ويتجدد هذا التضامن في نهاية كل صلاة مع تحية: السلام عليكم التي ينطقها المصلي وهو يلتفت يميناً ويساراً، وبعد ذلك يمسح وجهه بكلتا يديه إعلاناً عن انتهاء الصلاة، وبعدها يمد يديه إلى جاره في الصلاة مصافحاً ومتمنياً أن يتقبل الله صلاته: تقبل الله صلاتك"[٣].

وهنا ملحظ فالأمور التي ذكرها المؤلف من مسح الوجه والتصافح بعد الصلاة والدعاء بالقبول غير مشروعة؛ وإنما اعتاد بعض الجماعات المسلمة فعلها وليست هي من أساس الصلاة.

حِكَم وجماليات الصلاة

للصلاة في الإسلام حِكم بالغة ومزايا خاصة، بخلاف الصلوات في الديانات الأخرى؛ حيث يقول اتيين دينيه "فالحركات والإشارات في الصلاة الإسلامية هي ذات بساطة ولطافة ونبالة لم يسبق لها مثيل من نوعها في صلاة غيرها، كما أنها لا تدعو الوجوه بالتظاهر والتكلف، ولا العيون بالشخوص إلى السماء واستنزال الدموع، حقاً إن الصلاة الإسلامية خالية من تلك الأمور الشائنة التي خصها

---

(١) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٣٦.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٨٤-١٨٥.

(٣) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٥٩.

المسيحيون بالصور المسيحية؛ مما جعلها في غير جمال وجلال ولا وقار، حقاً إن الأقوال والحركات التي في الصلاة الإسلامية هي ذات دلالة على الرزانة والهدوء والاطمئنان، وهي خالية من مبالغات الورع وتكلفات الخشوع والتظاهر بذلك؛ مما هو غريب في العبادات؛ لأن الله سبحانه وتعالى عليم بما في الصدور وهو الغني العزيز"(١).

كما أن للصلاة ثمرات كثيرة وفوائد جمة، "وحركات الصلاة الإسلامية، فوق تعبيرها التام عما تحمل نفوس المؤمنين من العاطفة النبيلة نحو المولى الكريم، تقوم للجسم بأعظم مزايا الحركات الرياضية، فهي مفروضة الأداء خمس مرات في اليوم الواحد، وكم من شيخ كبير وبدين سمين يستطيع كلاهما السجود والركوع والوقوف دون كبير عناء ولا مشقة؛ مما لا يستطيعه مسيحي في مثل هذه السن أو في مثل هذه الحال ما لم يكن قد تريض على ذلك من قبل، أضف إلى ذلك حكمة الوضوء الذي يسبق كل صلاة، ففيها للبدن انتعاش وصحة ونظافة، والنظافة من الإيمان"(٢).

ومن ثمرات الصلاة أيضاً ما يجده المصلي من الراحة النفسية والبدنية؛ حيث "تمكن بني البشر من الراحة التامة خمس مرات يوميًّا، فتحول بينهم وبين الانفعالات والعواطف المثيرة التي تؤدي تارة إلى المغالاة في الفرح؛ وذلك طريق يؤدي إلى الرذائل، وتارة إلى المغالاة في الحزن؛ وذلك طريق قد يؤدي إلى جنون اليأس، خمس صلوات يوميًّا، بما لهن من مقدمات في الطهارة، يلزمن الإنسان العمل على نظافة بدنه وصفاء روحه"(٣).

وللصلاة في الإسلام جماليات عديدة، "فعندما ينادى المؤذنون بالصلاة يسرع المؤمنون إلى الفضاء الرباعي الفسيح، فيملؤونه وكأنهم البحر تتضارب أمواجه، فلا تترك فيما بينها متسعًا إلا ما يكفي للسجود، ويكبر الإمام، فيردد المؤمنون تكبيره في زفرة تخرج من كافة الصدور في آن واحد، وتعتري الجموع المحتشدة حركة تموجية، فيحنون رؤوسهم مثل المياه المنسابة على الشاطئ، ثم يكبر الإمام تكبيرة ثانية، فيخر المؤمنون ساجدين، وكأن الأرض قد مادت تحت أرجلهم، جباههم بالأرض؛ حيث تصبح الأجسام وكأنها سحقت تحت ثقل الخشوع والشكر والعبادة، كالأشعة تتجه

---

(١) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٥٨-١٥٩.

نحو مركز واحد، هو الحرم الذي يبدو كأنه ارتفع بمقدار انخفاض سجدة الحجاج، والكساء الحريري الأسود يخفق بأنفاس ريح خفية، يعتقد بعض الناس أنها رفرفة أجنحة الملائكة"(١).

ويواصل محمد أسد وصف المظاهر الجمالية في الصلاة قائلاً: "ذهبت مع صديقي ومضيفي إلى الجامع الأموي يوم الجمعة، الأعمدة الرخامية التي تعلوها قبة عظيمة كانت تلمع تحت ضوء الشمس الساقط من النوافذ، الجامع يفوح برائحة المسك، الأرض مغطاة بأبسطة حمراء وزرقاء، اصطف مئات المصلين في صفوف طويلة منتظمة خلف الإمام، ركعوا، سجدوا، مسوا الأرض بجباههم، ثم نهضوا من جديد؛ كلهم في توحد مثل الجنود، كان المكان يسوده الصمت والناس وقوف، يسمع المرء صوت الإمام العجوز من أعماق صحن الجامع الواسع، يتلو آيات من القرآن؛ وحين يركع أو يسجد يتبعه كل المصلين كرجل واحد، يركعون ويسجدون لله كما لو كان حاضرًا أمام أعينهم، في تلك اللحظة أدركت مدى قرب الله منهم وقربهم منه، بدا لي أن صلاتهم لا تنفصل عن حياتهم اليومية؛ بل كانت جزءًا منها، لا تعينهم صلاتهم على نسيان الحياة؛ بل تعمقها أكثر بذكرهم لله، قلت لصديقي ومضيفي ونحن ننصرف من الجامع بعد الصلاة: ما أغرب ذلك وأعظمه! إنكم تشعرون أن الله قريب منكم، أتمنى أن يملأني أنا أيضًا مثل ذلك الشعور، رد صديقي: ما الذي يمكن أن تحسه غير ذلك يا أخي؟ الله يقول في كتابه العزيز: إنه أقرب إلينا من حبل الوريد"(٢).

ومن أهم حِكَم الصلاة الخضوع لله، "فالصلاة هي علامة خضوع التجلي (الظاهر) إلى الأصل (الجوهر)"(٣).

والصلاة في الإسلام لها قدسية عظيمة؛ حيث يقول مراد هوفمان "تبدأ الصلاة الإسلامية، وإن بدا ذلك أمراً غريباً(٤)، من الحمام أو عند مصدر المياه في الفناء الأمامي للمسجد بالوضوء، وينبغي تعلم ذلك بحسب تتابعه وتسلسله، وكيف يغسل المرء اليدين، وكيف يمسح الرأس، وكيف يتأكد من غسل الكعبين، كل شيء وُضع وحُدد على نحو دقيق تماماً، وحينما ينوي المرء الصلاة

(١) المرجع السابق، ص٣١١.

(٢) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٩٦.

(٣) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص١٠٤.

(٤) لماذا الغرابة في ذلك؟ بل الطهارة ميزة وجمال.

ويرفع اليدين إلى الرأس مكبراً مفتتحاً الصلاة فإنه ينفصل تماماً عن مشاغل حياته اليومية وهذا يؤكد قدسية الصلاة بالنسبة له"(١).

ومن الحِكم والأسرار الجميلة في الصلاة: "التجمع بين الروح والجسد، فالمسلم لا يجلس على مقعد أو ينحني بين حين وآخر، فهو يقف ويركع ويسجد، ويجلس على قدمه اليسرى؛ أمّا في أثناء صلاة الجماعة فيلامس جسده جسد المصلين الآخرين على يمينه وشماله، والجميع يتابعون الإمام بشكل متزامن، يبدأ الإمام كل جزء من الصلاة بعبارة الله أكبر والتي تعني أيضًا بأن الله وحده هو الأكبر ولا يجوز أن يقارن به أحد ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾ [سورة النحل: ٧٤]. وبالتالي فإن صلاة المسلمين توحد الروح والجسد، وبما أن المصلي يقيم مناجاة مع خالقه وحافظه – تواصل وجودي– فإن المسلم الذي لا يصلي لا يستحق هذا الاسم، فنوعية سلوكه الأخلاقي تتعادل مع نوعية صلاته، والمسلم الحقيقي يؤدي الفرائض من صلواته؛ لأن لديه حاجة تأملية مصدرها حبه لله"(٢).

ومن جماليات الصلاة الانسجام والتنسيق والتنظيم؛ حيث "يلاحظ أن حشود الحجاج الكبيرة ليست صاخبة ولا طاغية بأي حالٍ من الأحوال؛ بل على النقيض من ذلك تراهم يؤدون صلاتهم بتساوق وانسجام: يؤدون الصلاة بصمتٍ تام يحمي خصوصية كل شخصٍ من المصلين، ويطوف حول الكعبة المشرفة عشرة آلاف حاج وزائر بصمتٍ وهدوء وسكينة، ولعلك تلحظُ آثار ذلك على النفس كأنه تنويم مغناطيسي، ولقد استمتعنا بالشعور الرائع الذي شعرنا فيه بالترحيب بنا، وأننا آمنون تماماً بين إخواننا المسلمين، وأدركنا حقيقة ماذا تعني عبارة السلام عليكم؛ حيث إنها كانت متحققةً تماماً في هذا المكان، ولقد لمسنا هناك العزة والكرامة والجمال والبهاء والإيمان والنظرة العالمية الحقيقية إلى الأمور، ولقد شعرنا بأننا ذراتٌ من هذا الكون الفسيح المترامي الأرجاء، نعم! تختفي في مكة الفوارق العنصرية! وخلال الصلاة فقط كنت أتمكن من رؤية الأقدام الملونة من غيرها لأدرك أن كافة الألوان والأجناس البشرية من كافة القارات مجتمعة هناك(٣).

وفي ضوء ما تقدم يتبين أن اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان تحدثوا بإسهاب عن أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام، وأكدوا على فرضيتها

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٥٨.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٦٤-٦٥.

(٣) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٠١-١٠٢.

ووجوب أدائها مع الجماعة في المساجد، وهم بذلك متفقون مع اعتقاد أهل السنة والجماعة، واستدلوا على أقوالهم من الكتاب والسنة النبوية، وذكروا أيضاً بعضاً من حكمها وفضائلها وتميزها عن الديانات الأخرى؛ حيث تلتقي الروح والجسد معاً، وكذلك بينوا صفتها وعدد ركعاتها وبعض شروطها من اتجاه للقبلة ولزوم الطهارة، ويجدر بالذكر هنا انبهارهم بهذه الصلاة وبكل جزئية من جزئياتها إلى درجة استغراقهم فيها؛ ومحاولة تفسير كل قول وفعل يأتي به المصلي في صلاته؛ بلغة شاعرية أخّاذة تسمو بخيال القارئ، وربما تدفعه لأن يعيد النظر في صلاته إن لم يصل بها إلى هذا المبلغ من السمو ورفرفة الروح.

□

المطلب الثالث: جهودهم في الدفاع عن الركن الثالث (الزكاة).

الزكاة في اللغة: الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة. ويقال الطهارة زكاة المال[(١)]، وفي: الشرع حق يجب في مال خاص، لطائفة مخصوصة، في وقت مخصوص، وتسمى صدقة؛ لأنها دليل لصحة إيمان مؤديها وتصديقه، وهي أحد أركان الإسلام، وهي واجبة بالإجماع[(٢)].

والزكاة هي الركن الثالث بعد الصلاة، فإيتاء الزكاة عبادة مالية فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده، طهرة لنفوسهم من الشح والبخل، ولما كان المؤمنون إخوة والأخوة تقوم على الإحسان والرحمة؛ أوجب الله على المسلمين زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣]، ولم يترك الإسلام للمسلم حرية التصرف في هذه الزكاة؛ بل حددها في مسالك ثمانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [سورة التوبة: ٦٠].

وهنا يذكر الباحث ما جاء في كتابات المستشرقين الذين أسلموا في شأن هذا الركن الثالث وهو إيتاء الزكاة، فتحدثوا عن مفهومها ووجوب إخراجها، والحكمة من مشروعيتها، وكذا الفرق بينها وبين الصدقة.

مفهوم الزكاة

الزكاة دليل على صـــدق إيمان المزكي وعلامة تصـــديقه بأحكام الله، "فالزكاة هي التخلي عن الأشياء وبالتالي التخلي عن العالم"[(٣)].

حكم الزكاة

فرض الله على عباده الزكاة، وجعلها من مباني هذا الدين العظيم، "فالزكاة: فريضة إجبارية على المال تطهره: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [ســورة التوبة: ١٠٣]. فهي تهذب الغني بتعويده على الإنفاق وتقيه الشـح، وتعين الفقير وتقيه الحقد والحسـد، وتزرع التكافل والتراحم، فتمنع كثيراً من الشـرور، وقد حدد القرآن مصـارف الزكاة في الآية السـتين من سـورة التوبة: ﴿إِنَّمَا

(١) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٧).

(٢) إبراهيم بن محمد بن مفلح، المبدع في شرح المقنع، ج٢ ص ٢٩١.

(٣) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص١٠٤.

ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ [سورة التوبة: ٦٠][1]".

والله عز وجل ليس بحاجة إلى عبادتنا، فالله غني عنا وليس كما زعم عنه أحد اليهود، "فعندما أرسل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى بني قينقاع يحثهم على الإسلام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .... رد أحدهم متهكماً على أبي بكر رضي الله عنه ساخراً: إن ربكم إذن فقير حتى يطلب قرضاً منا"[2].

وجاءت أدلة كثيرة على وجوب الزكاة وإخراجها حين يتم الحول في أي وقت والبدار بها، "فمن الواجبات الدينية المفروضة على المسلم وعلى قدم المساواة مع الصلاة هناك الركن الخامس[3] من أركان الإيمان[4]؛ ألا وهو أداء الزكاة، قسم منها عما يمتلكه الإنسان والقسم الآخر عن دخله، يدفعها سنوياً، وغالباً ما يتم ذلك في رمضان[5]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٧]. كذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ﴾ [سورة المزمل: ٢٠][6].

الحكمة من مشروعية الزكاة

فريضة الزكاة أحد محاسن الدين الإسلامي الذي جاء بكل ما من شأنه المودة والرحمة بين المؤمنين وتقوية الإخاء فيما بينهم وتأليف قلوبهم، "ولما كانت تغذية الفقراء يومًا واحدًا في العام وذلك عقب الصيام لا تكفي؛ فرض الله تعالى زكاة الأموال، وهي جزء ميسور يؤخذ من أموال الأغنياء ويعطى للفقراء، وبذلك يضمن المجتمع الحياة لهم"[7].

---

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٤-١١٥.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٥١.

(٣) الأصل أن الزكاة هي الركن الثالث وليس الركن الخامس.

(٤) الزكاة ليس من أركان الإيمان وإنما هو هو ركن من أركان الإسلام الخمسة.

(٥) ليس صحيحاً وقت تحديد إخراج الزكاة في رمضان؛ لكن بعض المسلمين تعودوا على إخراجها في رمضان من باب فضل الشهر، وربما يشير المؤلف إلى ذلك؛ لكن الصحيح إخراج الزكاة إذا حال عليها الحول.

(٦) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٧٢.

(٧) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٨٧.

كما شـــرع الله الزكاة وحث على أدائها؛ لما فيها من تطهير النفس من رذيلة الشـــح والبخل، "فضـريبة الثروة والمال[1] (الزكاة) في الإسـلام هي أحد أركانه الخمسـة، ومن ثم فإنها عبادة مفروضـة، ولعل المرء يلاحظ الذكر المتكافئ الوارد في الآية (٢٧٧) من ســورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾ [سورة البقرة: ٢٧٧]. فكما أن الصلاة تقضي على غرور الإنسان، وكما أن الصوم يهذب النفس ويقاوم شهوات الإنسان؛ فإن إخراج الزكاة يقهر بخله وشحه[2]"

والمسـلم يبادر إلى إخراج زكاة ماله، "فيؤدي الكثيرون من العمال الأجانب المسـلمين في ألمانيا الزكاة، وليس أدل على ذلك من وجود مئات المســـاجد والمراكز الثقافية الإســـلامية بها، ويوجد بالمسـاجد أماكن لتلقي الزكاة التي تؤدى مرة واحدة في السـنة، وعادة ما يكون المبلغ المجموع كبيراً بما يمكن من تخطيط الميزانية على نحو أفضل"[3].

الأموال التي تجب فيها الزكاة

بين الشـارع الحكيم أصناف الأموال التي تجب فيها الزكاة وهي خمسـة: "وبينت السنة تفاصيل الزكاة، ففي الأموال الســائلة (٢،٥٪) بعد مرور ســنة[4]، وفي الإنتاج الزراعي (٥٪)، وإذا كان ري الأراضـــي بالأمطار أو بدون تكاليف ترتفع إلى (١٠٪) من إنتاج الأرض، وفي المعادن (١٠٪) و(٢٠٪) عند بعض الفقهاء"[5].

"وهذه الزكاة التي هي أحد أركان الإسلام الخمسة تجب على الثروة الثابتة وعلى الدخل سواءً كان ذلك ذهبًا أو فضةً أو أنعامًا أو فواكه أو زرعًا، فيؤخذ جزء من ذلك يتراوح بين العشر وربع العشر معونة للفقراء كل عام، ويجب أن يعطى في رقة بالغة وفي تواضع تام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي

(١) أخطأ المؤلف في تسمية الزكاة ضريبة مالية، وقد سبق ذكرها.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١١٩-١٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص١٢١.

(٤) يقصـد المؤلف بالأموال السـائلة النقدين: وهما الذهب والفضـة، وكذلك ما يقوم مقامهما من العملات الورقية المتداولة اليوم، وكذلك عروض التجارة: وهي كل ما أعدَّ للبيع والشراء لأجل الربح.

(٥) روجيه دوباســكويه، إظهار الإســلام، ص١١٤-١١٥، ولم يذكر المؤلف زكاة بهيمة الأنعام: وهي الإبل، والبقر، والغنم، وذكر المؤلف المعادن ولم يصرح بالرِّكاز: وهو ما يوجد في الأرض من دفائن الجاهلية، قال صلى الله عليه وسلم: ((وفي الركاز الخمس)).

ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٦٤-٢٦٥]"[١].

"ولذلك تفرض الضريبة[٢](الزكاة) بنسبة (٢،٥٪) على المال بعد مرور سنة، وكثيراً ما يجد المرء أن الزكاة تترجم خطأ في كتابات المستشرقين على أنها الصدقة أو ضريبة الصدقة (وهو ما ينطوي على تناقض)"[٣].

الفرق بين الزكاة والصدقة

هناك فرق كبير بين فريضة الزكاة والصدقة، "فالزكاة تختلف عن الصدقة، فهي ليست كذلك؛ بل ضريبة حقيقية[٤]، ومعظمها ضريبة اجتماعية؛ لأن الإسلام قد حدد بالتفصيل الأوجه السبعة من النفع العام الذي تصرف فيها الزكاة وهم: الفقراء والغارمون (المدينون) والمأسورون والمسافرون والإدارة الحكومية ومنها الدفاع والمؤلفة قلوبهم ودعم الإسلام: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٠]. والضريبة في الإسلام (أي الزكاة) لا تلغي فرض الدولة الإسلامية ضرائب إضافية لصرفها على أمور الدولة المذكورة آنفاً وأمور أخرى"[٥].

أما الصدقة فشأنها أن "يؤديها المسلم طواعية بإرادته الحرة تماماً؛ لأن الإسلام يحض على الإحسان؛ أما الزكاة فضريبة[٦] معلومة مفروضة، يحق للدولة المسلمة أن تتلقاها؛ بل وأن تجمعها حتى تستطيع أن تفي باحتياجات بعينها، وفصلها القرآن في الآية (٦٠) من سورة التوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٠]. فالدولة المسلمة تتلقى أو

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٨٧.

(٢) أخطأ المؤلف في تسمية الزكاة ضريبة مالية، فالزكاة فريضة معلومة تؤخذ من الأغنياء وتعطى للفقراء ولا تسمى الزكاة ضريبة في الإسلام، بخلاف الضريبة فهي مال يؤخذ مقابل خدمات معينة وتفرضها الدولة سواء من الغني والفقير.

(٣) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١١٩-١٢٠.

(٤) أخطأ المؤلف في تسمية الزكاة ضريبة مالية وقد سبق بيانها.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٧٢.

(٦) أخطأ المؤلف في تسمية الزكاة ضريبة مالية وقد سبق بيانها.

تجمع الزكاة لإنفاقها على رعاية الفقراء والمساكين وحديثي العهد بالإسلام وعابري السبيل والمدينين والمسجونين تنفيذاً لعقوبة والإنفاق على أعمال الإدارة والدفاع ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي في العمل من أجل إعلاء شأن الإسلام والعمل على نشره، والزكاة في الإسلام الذي يرى نفسه ديناً ودولة عنصر بناء حيوي، فحينما امتنعت بعض القبائل العربية عن أداء الزكاة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حاربهم خليفته أبو بكر(١) على أنهم مرتدون"(٢).

يؤكد كلٌ من اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان على أهمية الزكاة ومكانتها في الإسلام وأنها واجبة، فاتفقوا بذلك مع أهل السنة والجماعة، وكذلك بينوا نصابها والأموال التي تجب فيها الزكاة ومصارفها، واستدلوا على ذلك من الكتاب والسنة، أيضاً ذكروا بعضاً من حِكمها وفضائلها من مواساة للفقير وإعانته والبعد عن الحسد والحقد وزرع التكافل بين المجتمع وقهر النفس عن البخل والشح وغيرها، وذكروا أيضاً الفرق بين الزكاة والصدقة؛ بيد أن هناك ملاحظة على مراد هوفمان في تسميته الزكاة بالضريبة، وقد جانبه الصواب في ذلك، "فالضريبة: بفتح فكسر، جمع ضرائب، وهي ما تفرضه الدولة من المال على أشخاص"(٣)، "والضريبة عند علماء المالية هي: فريضة إلزامية، يلتزم الفرد بأدائها إلى الدولة تبعا لمقدرته على الدفع، بغض النظر عن المنافع التي تعود عليه من وراء الخدمات التي تؤديها السلطات العامة، وتستخدم حصيلتها في تغطية النفقات العامة"(٤).

و"يشير الدكتور الفَنْجَرِيُّ إلى الفروق الجوهرية بين الزكاة والضريبة فيقول: "الزكاة تختلف عن الضرائب؛ فالزكاة فريضة دينية، وركن من أركان الإسلام، ولها أنصبة ومصارف محددة تنفق فيها، ولا نستطيع أن نصرف منها على الجهاز الإداري للدولة، ومن هنا يبيح الإسلام للدول أن تفرض ضرائب على المواطنين للصرف منها على المرافق مقابل الخدمات التي يحصل عليها الأفراد كالتعليم والصحة والمرافق المختلفة والمصالح الخدمية في الدولة، ومن هنا فإن الزكاة لا تغني عن الضرائب، وكذلك الضرائب لا تغني عن الزكاة"(٥).

(١) المؤلف لم يرضّ عن الصحابة رضوان الله عليهم في هذا الكتاب، وهذا خطأ واضح؛ إذ إن منهج أهل السنة والجماعة الترضي عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتي مزيد بيان في الباب الثالث.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١١٩-١٢٠.

(٣) محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ، ص ٢٨٤.

(٤) مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، عدد ١٣، ص٤١.

(٥) الزكاة بلغة العصر، ص١١١-١١٣.

"وتختص الزكاة بأنها تؤخذ من الأغنياء الذين يستوفون شروط وجوبها ويملكون نصابها، وتصرف في مصارفها الثمانية، وهذا عكس الجبايات، والضرائب والمكوس، والتي تفرض من الحكومات، فهي تؤخذ من الفقراء وأوســـاط الناس، وتُرَد على أغنيائهم وأقويائهم؛ إذ إنها في أغلبها تصـــرف في الاســـتقبالات والاحتفالات، وفي نفقات الولائم والمهرجانات، وغيرها من الأمور التي يدفع فيها الضعيف؛ ليستفيد منها القوي"(١).

□

(١) معالم الفكر الاقتصادي في ضوء فكر الفنجري، ص١٧٧-١٧٨.

المطلب الرابع: جهودهم في الدفاع عن الركن الرابع (الصوم).

جماع معنى الصيام في أصل اللغة: الكف والإمساك والامتناع، وذلك هو السكون، وضده الحركة[1]، ثم خُصَّ في لسان الشرع والعرف الغالب ببعض أنواعه، وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وغيرها مما ورد به الشرع في النهار على الوجه المشروع[2].

وفرض الله تعالى صيام شهر رمضان، وجعله رابع أركان الإسلام الخمسة، وجاءت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة تبين أحكامه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

فالصيام يزكي النفس ويقيمها على تقوى الله جل وعلا، ويستشعر الفرد والمجتمع رقابة الله عليه في السر والعلانية، فالصيام يحيي القلب، ويزهد في الدنيا، ويرغب فيما عند الله، ويذكر الأغنياء بالمساكين وأحوالهم، فتعطف قلوبهم عليهم، ويعلمون ما هم فيه من نعم الله فيزدادون شكرًا.

ولأهمية هذا الركن العظيم ومكانته في الإسلام لم يفت المستشرقين الذين أسلموا، الحديث عن هذا الركن العظيم في كتاباتهم ومؤلفاتهم من تعريف للصيام ومفهومه وبيان وجوبه وذكر بعض من حكمه وفوائده وثمراته.

مفهوم الصيام

يحقق الصيام الاستسلام والعبودية لله جل وعلا "فالصوم هو التخلي عن الرغبات وبالتالي التخلي عن الأنا"[3].

تعريف الصيام

ورد تعريف الصيام في كتابات المستشرقين، فتجد من عرفه بقوله بأنه "الصيام هو الامتناع عن الطعام والشراب والتدخين والعلاقات الجنسية، وهذا ما يطلق عليه الصوم (جمعه صيام[4]) طالما أن المرء قادر صحياً على ذلك، ويتم الإعلان عن شهر الصوم حسب التقويم القمري بحيث يتقدم سنوياً

---

(١) شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، كتاب الصيام من شرح العمدة، تحقيق زائد بن أحمد النشيري، دار الأنصاري ط١٤١٧هـ، ج١ ص٢٣.

(٢) المرجع السابق، ج١ ص٢٤.

(٣) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص١٠٤.

(٤) صيام: ليس جمعاً؛ بل مصدر مثل: صوم.

أحد عشر يوماً بالنسبة للتقويم الشمسي، وبالتالي تكون مدة الصوم اليومي منذ ما قبل بزوغ الفجر حتى غروب الشمس"(١).

حكم الصيام

الصيام فريضة فرضها الله على عباده المسلمين كما فرضه على الأمم السابقة؛ لتحقيق التقوى لله جل وعلا، "فصوم رمضان فرض على المسلمين، ويعدونه عبادة بوصفه أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا تحتاج إلى تسويغ مقنع، فالمسلم بوصفه عبداً لربه يصوم لأنه أمره بالصوم، فالطاعة هنا واجبة، ويستطيع المرء أن يكتشف بسهولة أن هذا الفرض إنما فرض من الله لمنفعة الناس، ومن ناحية الصوم الإسلامي فإنه يفي بهذا الغرض وزيادة، فهو يؤدي على سبيل المثال إلى إذكاء الإحساس الاجتماعي؛ حيث يشعر الصائم مرة واحدة على الأقل في السنة بما يشعر به من يرغم على الصوم في العام كله بسبب ما يعانيه من شح في الغذاء أو المال"(٢).

وصوم رمضان فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل مطيقاً للصوم، "فلا يقتصر صيام المسلمين على شهر رمضان المبارك فقط، لكن فرض الصيام على كل مسلم يقتصر على هذا الشهر الفضيل الذي تتراوح مدته بين (٢٩و ٣٠) يوماً"(٣).

وسجل فريضته في القرآن الكريم ليبقى خالداً خلود القرآن "فنزل عليه الوحي بما يأتي: قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]. بهذه الآيات فرض صوم رمضان، وكانت نتيجة هذه الفريضة الخير الكثير؛ ذلك أن الإنسان وهو مجبول على الأنانية يبحث عن كل ما يلذ له ماديًا، ويتجنب كل ما من شأنه أن يكون من حظ الفقراء الضعفاء، وليس هناك من علاج لهذه الأنانية سوى الشعور القوى ببؤس الآخرين من جوع وظمأ، والمؤمنون وقد تخففوا من ثقل الطعام يجتمعون أثناء النهار،

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٦٧.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٨٥.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٦٧.

فيتزودون بالغذاء الروحي الذي تحمله إليهم صلواتهم، وإن شوقهم إليه لأشد من شوقهم إلى الغذاء المادي"(١).

حِكم وفوائد الصيام

وللصيام حكم كثيرة وفوائد متعددة، فالصوم يقوي الإرادة ويشحذ العزيمة، فهو جهاد للنفس وكبح للشهوة وصفاء للروح، "فإن الإنسان، في جو المدينة الملتهب، يشعر شعورًا قاسيًا بألم الظمأ أثناء أيام الصيف التي لا تكاد تنتهي، وإن بعض المؤمنين وقد جفت حناجرهم ظمأ ليلهثون ويوشكون أن يقطعوا صومهم عند منظر الماء البلوري الصافي يسيل من السواقي، ينساب في صوت خافت مغرٍ؛ ولكنهم ينظرون إلى إخوانهم ذوي العزيمة القوية، فتعود إليهم شجاعتهم، ويواصلون صومهم، وتتقوى بهذه الرياضة الروحية أواصر الأخوة بينهم، وينتصر المؤمنون متعاونين على هذا العدو الشرس، أعني الجوع والظمأ، فيصبحون أكثر استعدادًا وأوثق تعاونًا لمجابهة أشد أعدائهم مراسًا من بني البشر"(٢).

والصيام يقوي البدن ويصح الجسم، "فالصوم تضحية بسيطة تقدم شكرًا لمانح النعم، وهذا الاختبار الديني التعبدي يُحيي الأرواح ويقوي الأجسام، ولأجل أن يعبر المؤمنون الصحراوات الرهيبة التي تحيط بهم لفتح العالم، كي تكون كلمة الله هي العليا، كان لابد لهم من هذا التدريب الذي يعتبر هينًا بالنسبة لما سيلاقونه من الشدائد في فتوحاتهم، ولما قدر المؤمنون نعمة الغذاء بعد الحرمان حق قدرها فرض الله عليهم زكاة الفطر، وهي حق معلوم في مال الأثرياء للفقراء"(٣).

كما أن من حِكم الصيام تحقيق التقوى لله جل وعلا، "فصيام رمضان: ثالث الأركان(٤)، يقوي إرادة المسلم وينظم ويهذب رغباته، ويُقلل الصيام الاتصال الجسدي بالمادة ويزيد الاتصال الروحي بالله، ويتساوى المسلمون في الامتناع عن الأكل والشرب والمتع الجنسية من الفجر حتى الغروب، ويزداد التراحم والتكافل بينهم، ويؤدون زكاة الفطر في نهاية الشهر، ويصعب إنكار إعجاب المرء بصيام المسلمين، ويفيد الصيام الصحة بصفة عامة؛ ولكن يستثنى من يضرهم الصيام كالمرضى

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٨٦.

(٣) المرجع السابق، ص١٨٥-١٨٧.

(٤) الصوم: هو الركن الرابع من أركان الإسلام الخمسة، وليس الركن الثالث كما ذكره المؤلف.

أو المسافرين أو الحوامل فيفطرون ويصومون أيامًا أخر؛ أما أصحاب الأعذار الدائمة -كمرض لا يشفى منه- يفطر ويطعم كل يوم مسكيناً"[١].

والمقصود من الصيام هو تطهير النفس من الآثام والذنوب، "فلا مقارنة بين هدف الصيام يوماً واحداً من مغرب الشمس إلى غروب شمس اليوم التالي بهدف التطهير من الذنوب[٢] بصيام رمضان شهراً كاملاً لتقوية الإرادة ومقاومة الوساوس والشهوات والارتقاء بالنفس من الحيوانية إلى تحقيق درجة استحقاق خلافة الله على الأرض، وتتساءل مريم جميلة: لماذا ينحصر طلب المغفرة يوماً واحداً في العام وفي الإسلام تطلب في كل وقت من كل يوم وفي الخمس صلوات؟ وكيف يكفي يوم واحد للتطهر؟"[٣].

ومن ثمرات الصيام استمتاع الصائم بالصفاء الذهني والارتياح الجسدي، "فإن من يصوم حقاً يتوصل إلى الاستمتاع بثمرات شهر رمضان الروحية والأخلاقية والجسدية، مثل: الابتعاد قدر الإمكان عن الصخب اليومي، التأمل، السيطرة على النفس، الإحساس بشعور الفقراء الجائعين، وكذلك التقليل من الشحوم في الدم وإنقاص الوزن الزائد، يضاف إلى ذلك السعادة في تناول الإفطار اليومي ضمن دائرة الأسرة والأصدقاء، وهذا ما يخلق نوعاً من التآلف لا يتحقق إلا في أثناء موسم الحج، ومما يحقق السعادة للصائم أيضاً هو أداء زكاة الفطر للفقراء قبل انتهاء شهر الصوم"[٤].

ومن أهم ثمرات الصيام: تربية النفس على الصبر وقوة الإرادة، والصبر على الشهوات، "فبعد أسبوع من الصوم بما لا يقل عن ثماني عشرة ساعة يومياً؛ إذا صادف أن يكون شهر رمضان في فترة الصيف؛ يصل الصائم إلى حدٍّ يصبح فيه اقتصاد الحركة والكلام أمراً طبيعياً، ويبدو كذلك يوماً بعد يوم أن معنويات الصائم تنمو باستمرار تماماً مثلما تنمو ثقة المرء بترتيب أولوياته بشكل صحيح، وبنتيجة التحليل النهائي يمكننا أن نوجه السؤال التالي: ألا يعني هذا الصيام بشكل رئيسٍ تطوير المناعة ضدَّ الإغواء الذي يسمى: الشرك؟ وهو خطر تعظيم ما هو غير أساسي في حياة الفرد إلى حد العبادة"[٥].

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٣.

(٢) يقصد صيام اليهود.

(٣) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٥٥.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٦٨.

(٥) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص٥٤.

والصيام وقاية من الأمراض، ويكسب الصائم مناعة طبيعية من داخل الجسم؛ حيث ينقل مراد هوفمان تجربته مع الصوم فيقول: "إنني أحتفظ لنفسي بما أسميه (مفتاح رمضان)، فعندما تكون هناك ضرورة بين الحين والأخر على مدار العام لترك وجبة أو وجبتي طعام؛ أضغط ذهنياً على هذا المفتاح الذي يعيدني نفسياً إلى رمضان بالوضع نفسه، والشعور نفسه وسرعان ما أحتمل جوعي ولا أعيره اهتماماً"(١).

وشعور المسلم لا يوصف خلال شهر رمضان، "فإن صيام رمضان لا يصبح مناسبة تسعد المرء على مدار العام كله إلا عندما يكون في محيط مسلم؛ حيث يكون شهراً مشبعاً تماماً بالروحانيات، شهر سلام داخلي وإخاء، ويشتمل الصوم في الإسلام مثل كل العبادات على مكونات مادية وأخرى معنوية لا ينفصل بعضها عن بعض"(٢).

ومن مظاهر الجمال في هذا الشهر الكريم: مراسم إعلان دخول هذا الشهر في البلاد الإسلامية؛ حيث "يعلن عن نهاية يوم الصوم في العالم الإسلامي بإطلاق مدفع، وعندئذ يتناول المرء بعضاً من الماء أو من العصير وعدداً فردياً من التمر أو الزيتون، ثم يؤدي صلاة المغرب شاكراً لله أن أعانه على صيام اليوم"(٣).

فيما سبق تجد أن كلاً من اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان يتبعون منهج أهل السنة والجماعة في إثبات فريضة الصيام ويرون أنها واجبة وأحد أركان الإسلام الخمسة، وكذلك بينوا مكانة الصيام في الإسلام وصفته، واستدلوا على ذلك من الكتاب والسنة، وعدَّد البعض منهم شيئاً من حِكمها من تطهير للذنوب والآثام، وكبت للشهوات والمنكرات، ووضحوا بعضاً من فوائدها وثمراتها من إذكاء الإحساس الاجتماعي لدى الصائم وشعوره بحالة الفقراء وقلة ذات اليد، وما يثمر عن الصيام من صحة وعافية، كما ذكروا مظاهر الفرح لدى المسلمين بدخول هذا الشهر الكريم ومراسم إعلانه.

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص٨٠.

(٣) المرجع السابق، ص٨١.

المطلب الخامس: جهودهم في الدفاع عن الركن الخامس (الحج).

الحج لغة: جماع معنى الحج في أصل اللغة: قصد الشيء وإتيانه، ومنه سمي الطريق محجة؛ لأنه موضع الذهاب والمجيء[1]، ثم غلب في الاستعمال الشرعي والعرفي على حج بيت الله سبحانه وتعالى وإتيانه[2].

والحج واجب في الجملة، وهو أحد مباني الإسلام الخمسة، وهو من العلم المستفيض الذي توارثته الأمة وتناقلته خلفاً عن سلف، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ٩٧][3].

وهو الركن الخامس من أركان الإسلام الخمسة، وهو: قصد بيت الله الحرام في زمن مخصوص بنية أداء المناسك من طواف وسعي ووقوف بعرفة وغيرها.

وحينما تقلب النظر وتقرأ في مؤلفات المستشرقين الذين أسلموا تجد الغالب منهم، كتب في هذا الركن العظيم؛ بل إن بعضهم خصصه بمؤلفات مستقلة، وأسهب في ذكر مواقف ومشاهد الحج الذي قام بأداء مناسكه العظيمة مثل اتيين دينيه في كتابه (الحج إلى بيت الله الحرام)، ومراد هوفمان في كتابه (رحلة إلى مكة) ومحمد أسد في كتابه (الطريق إلى مكة)[4].

مفهوم الحج

في الحج إعلان للتوحيد الذي بعث الله به رســـله وإظهاره في الأقوال والأفعال، "فالحج هو العودة إلى المركز، إلى القلب، إلى الذات"[5].

حُكم الحج

الحج ركن عظيم من أركان الإسلام، فرضه الله سبحانه على المسلم المستطيع، "فالحج خامس أركان الإسلام ويعني الكثير، قبل كل شيء هو عودة للمركز، للكعبة، يقترب المسلم من الله عند زيارته

---

(١) شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة تحقيق د. صالح بن محمد الحسن، مكتبة الحرمين، الرياض، السعودية ط ١، ١٤٠٩هـ، ج١ ص٧٣.

(٢) المرجع السابق، ج١ ص٧٥.

(٣) المرجع السابق، ج١ ص٧٦.

(٤) سبق تناول هذه المؤلفات باستفاضة في التمهيد.

(٥) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص١٠٤.

للكعبة التي يصلي إليها خمس مرات يوميًا، يحس كل حاج أنه جاء من المحيط إلى المركز، ويتأكد ويؤكد وحدة العالم الإسلامي على اختلاف أجناس المسلمين، وتتلاشى الاختلافات وتذوب الفوارق، فكلهم جاء في نفس الوقت لنفس المكان؛ ليقوم بنفس الشعائر، وفي زي واحد كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته منذ أربعة عشر قرن"[١].

"والحج كما يعلم الجميع فرض على من استطاع إليه سبيلا: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ۝٩٧﴾ [سورة آل عمران: ٩٧]. فهو فريضة على من تسمح له حالته الصحية، ويفيض ماله عن حاجة أهله وجيرانه؛ إذ لا يجوز لمسلم أن يحج إذا كان جاره في حاجة إلى مال[٢]، وبالرغم من ذلك يبيع بعض الفلاحين -عندما تتقدم بهم السن- ما يمتلكونه من أراض زراعية هي عماد معيشتهم ليحجوا"[٣].

صفة الحج

الحج من أفضل الأعمال ومن أجل القربات عند الله جل وعلا، وله شروط وواجبات وأركان، فالنبي ﷺ وضح للأمة مناسك الحج بفعله وقوله، "فيبدأ الحاج بالطواف حول الكعبة سبع مرات، ثم يصلي ركعتين، ثم يسعى بين الصفا والمروة سبع مرات، وفي السعي إحياء لذكرى سعي هاجر بحثًا عن الماء لابنها إسماعيل حتى فجر الله لهما زمزم فسقتهما والعرب والمسلمين حتى اليوم، يقف الحاج في عرفة التاسع من ذي الحجة، ثم يقضي الليل أو أكثره أو جزءًا منه بالمزدلفة، ثم يرجم الشيطان[٤] بمنى ويذبح الأضحية، ويرجع لطواف الركن حول الكعبة، ثم يصلي ركعتين، ثم يحلق، وفي اليوم التالي يعود لرمي الجمار، كذلك اليوم الذي بعده إن بقي مكة، ثم يطوف طواف الوداع"[٥].

---

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٥-١١٦.

(٢) يجب الحج على كل مستطيع وجوباً عينياً، فهو مقدم على التصدق على جارك الفقير؛ لأنه ممن لا تلزمك نفقته، وصدقتك عليه، والحالة هذه هي من باب التطوع والنفل، والفرض مقدم على التطوع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الحج على الوجه المشروع أفضل من الصدقة التي ليست بواجبة، وأما إن كان له أقارب محاويج، أو هناك فقراء تضطرهم الحاجة إلى نفقة فالصدقة عليهم أفضل؛ أما إذا كان كلاهما تطوعاً فالحج أفضل؛ لأنه عبادة بدنية ومالية، انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام بن تيمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ (٣/ ١٨٦).

(٣) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٢٧-٢٨.

(٤) لا يسمى بالشيطان بل التسمية الصحيحة الجمرات.

(٥) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٥-١١٦.

وإن أحسن ما يؤدي به المسلم مناسك الحج أن يؤديها على الوجه الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، "ففي الهجرية العاشرة نوى النبي -صلى الله عليه وسلم- الحج وأعلم المسلمين بذلك، فصاحبه في حجة الوداع أكثر من مائة وأربعين ألف مسلم[١]، ونزلت عليه يوم عرفة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [سورة المائدة: ٣]. وعلَّم المسلمين مناسك الحج، ثم خطبهم يوم النحر بمنى خطبة الوداع، وفيها نصائحه الأخيرة للمسلمين، ثم سألهم قائلاً: ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم فاشهد"[٢].

الهدي والأضاحي

الهدي والأضحية شعيرة من شعائر الله، وهي من العبادات التي أكّد عليها الله تعالى في القرآن الكريم، وأكّد عليها النبي صلى الله عليه وسلم في سنته، وهي ما يُذبح من الأنعام طلبًا للأجر والثواب وتقربًا لله تعالى، "ففي التضحية[٣] إحياء لذكرى فداء إسماعيل من الذبح، وتصدق على الفقراء بلحم الأضحية، وهدية للمعارف، كذلك يماثل رجم الشيطان ما فعله إبراهيم معه، وهناك رواية أن آدم وحواء التقيا بعد خروجهما من الجنة على جبل عرفات؛ بهذا يؤكد الحاج عودته إلى المركز ليس فقط انتماءه لأمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ بل اتصاله بإبراهيم وآدم -عليهما الصلاة والسلام-، وبعد إتمام الشعائر، يخرج الحاج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"[٤].

وتعبّد المسلم بالأضحية والحاج بالهدي يُعدّ اقتداء بنبينا صلى الله عليه وسلم وكذا النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام، "فينتهي الحج بعيد الأضحى الذي يستمر ثلاثة أيام، والذي يجب فيه على كل

(١) ذكر أبو زرعة الرازي شيخ مسلم بن الحجاج أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يزيدون على المائة ألف، قال: البرماوي في شرح الزهر البسام: هذا على الأصح في النقل عنه كما رواه ابن المديني في ذيله كتاب الصحابة، وروى أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ممن روى عنه صلى الله عليه وسلم وسمع منه، وجزم بهذا العدد الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى، انظر: شمس الدين محمد السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ (١/ ٣١).

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٦١-٦٢.

(٣) يجهل الكثير من الناس الفرق بين الهدي والأضحية؛ إذ إن الأضحية شيء مختلف عن الهدي، فالهدي هو هدي التمتع، أي ما يُذبح في منى أو في مكة المكرمة أيام النحر، ويكون هذا عند حج الرجل أو المرأة حجًا مقرنًا، وعلى كل حاج مقرن ذبح هدي، والهدي ذبيحة من الغنم أو سبع من البقر أو سبع من البدنة؛ إذ يقول تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ﴾ [سورة البقرة: ١٩٦]. ويكون الذبح بحسب ما تيسّر من هذه الأنعام؛ أما الأضحية فهي ما يُذبح في أيام عيد الأضحى من قبل المسلمين المتواجدين في أي مكان، وليس شرطاً في مكة أو منى، ويمكن أن يُضحي الإنسان عن نفسه أو عن أهل بيته، ويمكن أن يُضحي بشاة أو بقرة أو بدنة

(٤) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٥-١١٦.

مسلم سواء أكان حاجاً أم لا وحسب إمكانياته أن يضحي بحيوان وهو غالباً ما يكون خروفاً، وهو التقليد الذي اتبعه إبراهيم قبل (٣٥٠٠) عام مع كبشه بدلاً من التضحية بابنه إسماعيل ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة الصافات: ١٠٧]. بالطبع يعلم المسلمون بأن تقواهم هي التي تصل إلى الله، وليس لحم أو دم الضحية: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [سورة الحج: ٣٧][(١)]، وشهدت لأول مرة عام ١٩٨٢م في إسطنبول كيفية نحر الأضحية؛ حيث شاهدت شاة تذبح على رصيف أحد الشوارع في مناسبة افتتاح محل جديد لبيع الأحذية، ولقد أحسست بعدم الارتياح وأنا أشاهد هذا المشهد، وما أزال حتى اليوم أشعر بعدم الارتياح، عندما أشاهد حيواناً يذبح على الرغم من أنني شاهدت ذلك عشرات المرات"[(٢)].

وهنا نقطة مهمة فربما يسيء القراء أو بعضهم فهم المراد من كراهيته لمشهد الذبح؛ خصوصاً إذا كانوا من غير المسلمين، ولو بين أن كراهيته مجرد أمر شخصي يتعلق بنفسيته هو لكان أفضل.

فضائل وجماليات الحج

شرع الله تعالى فريضة الحج إلى بيته الحرام لحِكم بالغة؛ إذ يجتمع المسلمون لأداء مناسك مخصوصة، في زمن معين، ومكان معين؛ وبذلك يتجدد الإيمان في قلوبهم، فيصف محمد أسد بعضاً من جماليات الحج؛ إذ يقول: "كان بلاط الرخام يغطي الأرض في دوائر حول الكعبة تعكس ضوء الشمس، يسير عليها بشر كثيرون، رجال ونساء، يطوفون حول بيت الله، كان من بينهم من يبكون، وآخرون يدعون الله جهرة في الصلاة، وغيرهم ممن لم يجد كلامًا ولا دمعًا راح يطوف ورأسه منكس في الأرض، ومن شعائر الحج أن تطوف سبع مرات حول الكعبة لا لتظهر تبجيلك للكعبة؛ ولكن لتذكير المسلمين بأساسيات الحياة، فالكعبة رمز لوحدانية الله، وطواف المسلمين حولها رمز لأنشطة الحياة، يتضمن أن عبادة الله لا تكون بالفكر والمشاعر وحدهما وكل ما يمكن تسميته الحياة الداخلية؛ بل بالفعل البدني والجسدي؛ أي بالمسعى والفعل؛ وبذلك يكون الوجود الإلهي محور الوعي الذهني والفعل البدني"[(٣)].

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٦٩-٧٠.

(٢) ربما يسيء القراء أو بعضهم فهم المراد من كراهيته لمشهد الذبح؛ خصوصاً إذا كانوا من غير المسلمين، ولو بين أن كراهيته مجرد أمر شخصي يتعلق بنفسيته هو لكان أفضل.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٥٤٥.

وفي الحج يجتمع المسلمون على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم في صعيد واحد، يدعون ربًا واحدًا، ويتوجهون لبيت واحد، فتتوحد الأهداف والغايات، وتصبح الأمة على قلب رجل واحد؛ "فإن الحج في الإسلام يخلو من أي مظهر وثني، وهو اجتماع عالمي للمسلمين، تتجلى فيه أخوتهم وتضامنهم، وهذا هو السبب الحقيقي الذي يثير حقد اليهود على هذه الشعيرة ومحاولة تشويهها، وهناك سبب آخر وهو أن تحويل القبلة إلى الكعبة وهي أحد مراكز توجه الحجيج كان بمثابة إعلان إلهي عن إنهاء دور بني إسرائيل المرتبط بالقدس والمعبد المدمر، وإعلاء أبدي لشأن الإسلام"[(١)].

ومن الحِكم البالغة في الحج الرباط الوثيق بين الروح والجسد؛ حيث يتحقق "هناك ربط في مناسك الحج ظاهرياً وباطنياً مادياً وروحياً، وهذا الأمر ليس بغريب على المسلمين الذين تؤلف عقيدتهم بين الروح والمادة معاً؛ إذ إن التوجه إلى الله في الإسلام لا ينحصر في الروح فقط أو الجسد فقط، فالمسلم في صلاته وفي صومه وفي نحره للأضحية وفي حجه ليس حاضراً بروحه وعقله وقلبه فقط؛ وإنما بلحمه ودمه أيضاً؛ فهو إما أن يكون هو كله حاضراً؛ وإما ألا يكون حاضراً ألبتة، وهذا ناتج عن التوحيد بوصفه مبدأً جامعاً من منظور إسلامي"[(٢)].

والحج شعيرة من شعائر الله فيجب على الحاج مراعاة بعض الآداب؛ حيث "يدعو القرآن الكريم المقبل على الحج إلى أن يراعي آداب الحج، فعلى المحرم أن يتنزه عن مباشرة النساء وعن المعاصي من السباب وغيره وعن الجدل والمراء مع رفقته في الحج، وعليه أن يجتهد في فعل الخير: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٩٧]"[(٣)].

ويذكر مراد هوفمان مثالاً واقعياً لهذه الآداب أثناء رحلته إلى الحج؛ إذ يقول: "كان هذا الأمر[(٤)] كفيلاً في ظروف غير عادية باستفزاز الركاب وإثارة غضبهم؛ أما في هذه الظروف وكل الركاب من الحجاج وغالبيتهم من النساء القاصدين مكة لأداء فريضة الحج فإن الأمر يختلف؛ لأن

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٦٠-٦١.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨.

(٤) الأمر يتعلق بتأخير رحلة الطيران والانتظار الطويل في الصالات وتغيير موعد الإقلاع.

القرآن الكريم يعلمهم قائلاً: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴿١٩٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٩٧]"(١).

ولا شك أن للحج مكانة كبيرة في نفوس المسلمين أجمعين؛ حيث "لا يشعر المسلم بأنه أصبح مسلماً بكامل قيمته إلا بعد أن يحصل على لقب (حاج) أو (حاجي)، بعد هذه الخطوة يمكن للمرء أن يحدد بشكل واضح إلى ماذا يتوجه في صلاته، وتصبح رحلة الحج بمثابة بداية جديدة، بمثابة وقفة تجعل ما قبلها من حياة تصبح نسبية، أي بمثابة جاهلية شخصية، وتبقى مسألة عالمية الأمة الإسلامية شيئاً لا ينسى، فحالما غادر الحاج مكة والمدينة يشعر بالحنين لهما"(٢).

وهذا الحج موافق لما توارثه الناس عن إمام الحنفاء إبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، ودعا إليه محمد صلى الله عليه وسلم، "فها نحن أولاء نقف في تقليد إبراهيمي أمام أقدم معابد التوحيد في العالم(٣)أمام الكعبة، والكعبة مكعب مجوف خال تماماً، مبنى بأحجار ضخمة"(٤).

نستنتج مما سبق أن اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان كلهم يؤكدون وجوب الحج وفرضيته لمن استطاع إليه سبيلاً، وهم بذلك متبعون لأهل السنة والجماعة، وكذلك أظهروا مكانة الحج وأنه الركن الخامس من أركان الإسلام، وبينوا صفته وأركانه وواجباته، واستدلوا على ذلك من الكتاب والسنة النبوية، وذكروا بعضاً من حِكَم وجماليات الحج من تأكيد على وحدة العالم الإسلامي على اختلاف أجناس المسلمين وتلاشي الاختلافات وذوبان الفوارق؛ حيث يعد الحج اجتماعاً عالمياً للمسلمين تتجلى فيه أخوتهم وترابطهم.

وفي ختام هذا المبحث تحسن الإشارة إلى أمر في غاية الأهمية وهو: انبهار المستشرقين الذين أسلموا ببعض جماليات أركان الإسلام الخمسة؛ لأن الله شرع لعباده عبادات متنوعة، منها: ما يتعلق بالبدن كالصلاة، ومنها: ما يتعلق ببذل المال المحبوب إلى النفس كالزكاة، والصدقة، ومنها: ما يتعلق بالبدن وبذل المال كالحج والجهاد، ومنها: ما يتعلق بكف النفس عن محبوباتها وما تشتهيه، كالصيام؛ حيث نَوَّع الله العبادات ليختبر العباد فيرى من يقدم طاعة ربه على هوى نفسه، ويقدم الدليل الفعلي على صحة إسلامه بالتزامه بأداء الأركان الخمسة وتطبيقها في حياته.

---

(١) المرجع السابق، ص٧.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٧٠.

(٣) جانبه الصواب في إطلاق كلمة (معبد) فالأصل أن يسمي الكعبة.

(٤) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٨.

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن (أركان الإيمان الستة)

الإيمان بالله أجل المطالب وأهم المقاصد وأنبل الأهداف، به يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، كما أنه ينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

فالإيمان لغة: التصديق والإقرار، وشرعًا: اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح[1].

ولا يخفى على كل مسلم ومسلمة أهمية الإيمان بالله وعظم شأنه، وأن أسس العقيدة الإسلامية ستة وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهي أركان الإيمان الستة التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]. وكذلك ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور بحديث جبريل: ((أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))[2].

فهذه النصوص دالة على وجوب الإيمان بهذه الأركان الستة كلها، وأنه لا يتم إيمان العبد إلا بها، فالإيمان بها إجمالاً فرض عين على كل مكلف، فمن جحد واحداً منها كفر، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

وفي هذا المبحث الوجيز يجد القارئ نماذج من كتابات المستشرقين الذين أسلموا في أصول العقيدة الإسلامية وهي أركان الإيمان الستة، ويجد ذلك مجملاً في أهمية هذا الركن ثم مفصلاً ركناً تباع ركن.

فمن كتابات المستشرقين في تعداد أركان الإيمان ما كتبه لورد هدلي عن أركان الإيمان بقوله: "هناك سبعة أركان للعقيدة في الإسلام وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والبعث بعد الموت"[3].

---

(١) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص٢٥٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، (٣٦/١) ح (٨).

(٣) لورد هدلي، الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام، ص ١٥٠.

عدَّ روجيه دوباسكويه سبعة أركان للإيمان فالأشهر والصواب ستة أركان كما جاء في الحديث النبوي الذي مر معنا؛ حيث زاد المؤلف (البعث بعد الموت) وهو داخل في اليوم الآخر.

وما ذكره روجيه دوباسكويه عن أركان الإيمان بقوله: "ويتضمن الإيمان بالله أن يؤمن المرء بوحدانيته وتنزيهه كما جاء في القرآن والسنة، كذلك الإيمان بالملائكة والكتب المنزلة والأنبياء: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥][١]، "ويسمى بشعب الإيمان الأساسية[٢]، وهي متفق عليها من كل المذاهب"[٣]، لكن روجيه لم يذكر ركناً وهو الإيمان بالقدر خيره وشره.

ويحاول مارتن لينجز أن يعرف الإيمان والإسلام فيقول: "الدين الإسلامي ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: الإيمان، وهو يحتوي على كل ما يجب أن يؤمن به الإنسان، الإسلام، القانون، وهو يحتوي على كل ما يجب أن يفعله الإنسان، الإحسان، الفضيلة الفعالة، والتي تمنح الإيمان والأفعال الصفات التي تجعلهما كاملين"[٤]، ويعدد بعض أركان الإيمان في كتابه: "فالعقيدة الإسلامية يعبر عنها في القرآن كإيمان: ﴿بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]. والفقرة التالية مهمة أيضاً في هذا السياق، لا يوجد ما يمكن أن يقارن بها لا في اليهودية ولا في المسيحية على سبيل المثال: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]"[٥].

ويستدل مراد هوفمان على أركان الإيمان من القرآن الكريم فيقول: "يصف القرآن الكريم أركان الإيمان في سورة البقرة على الشكل التالي: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ

---

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٠.

(٢) يشير المؤلف إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)) والذي أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، (٦٣/١) ح (٣٥).

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١١.

(٤) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص١٠٢-١٠٣.

(٥) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٢٢-٢٣.

رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [سورة النساء: ١٣٦][1].

ويعدد مراد هوفمان أركان الإيمان في موضع آخر فيقول: "وهو بعد يؤمن بالأصول الست[2] كما بينها القرآن لنا في سورتي البقرة والنساء: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

١ - وجود الله.

٢ - وجود مخلوقات غير مرئية لنا (الملائكة).

٣ - نزول كتب سماوية على بعض الأنبياء.

٤ - إرسال الله رسله وأنبياءه إلى الأمم.

٥ - القيامة والبعث يوم الحساب.

٦ - القضاء والقدر"[3].

كما يذكر ما يجب على المسلم، ومن أهمها أركان الإيمان فيقول: "أما المسلم أو المسلمة بمفهوم الدين الإسلامي في إطاره التاريخي المحدد فهو فقط من ينطق بالشهادتين؛ لأنه:

- يؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه وباليوم الآخر.
- يعتبر أن القرآن هو كلمة الله الأصلية والحقة.
- يعترف بأن محمداً هو خاتم الأنبياء وسنته هي الأسوة الحسنة.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٤٦.

(٢) الأصول الست يقصد بها أركان الإيمان الستة.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٠.

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة النور: ٥٤].

- لا يشك بمبادئ الشريعة.

إن من يؤمن بذلك ويتمسك به يمكن أن يصف نفسه بأنه مسلم؛ ولكن لا يصبح مؤمناً إلا بعد أن يدخل الإيمان إلى قلبه: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٤]"(١).

من خلال ما سبق نلحظ أن جملة من المستشرقين الذين أسلموا أمثال: لورد هدلي وروجيه دوباسكويه ومارتن لينجز ومراد هوفمان، ساهموا في الحديث عن أهمية الإيمان بالله تعالى، وأكدوا عدد أركانه الستة مجملة، وعززوا أقوالهم بالاستدلال عليها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهم بذلك قد وافقوا منهج أهل السنة والجماعة؛ لكن الباحث وقف على ملاحظة يسيرة وهي أن المستشرق لورد هدلي عدَّ أركان الإيمان سبعة أركان؛ حيث أضاف البعث بعد الموت مع أنه داخل في الركن الخامس وهو الإيمان باليوم الآخر، والصحيح أنها ستة أركان كما ورد ذلك في الكتاب والسنة الصحيحة.

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١١٩-١٢٠.

المطلب الأول: جهودهم في الدفاع عن الركن الأول (الإيمان بالله).

"الإيمان بالله عز وجل هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأناً، وأعلاها قدراً؛ بل هو أساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه، والإيمان بالله عز وجل هو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله؛ بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنما سمي توحيداً؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندَّ له"(١).

"والإيمان بالله تعالى: هو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق، الرازق، المحيي، المميت، وأنه المستحق للعبادة دون ما سواه، وأن يُفرد بالعبادة والذل والخضوع وجميع أنواع العبادات، وأن الله هو المتصف بصفات الكمال والعظمة والجلال، المنزَّه عن كل عيب ونقص"(٢).

وهنا يذكر الباحث أبرز ما جاء في كتابات المستشرقين الذين أسلموا فيما يتصل بالإيمان بالله من خلال حديثهم عن أنواع التوحيد الثلاثة.

أولاً: توحيد الربوبية

توحيد الربوبية: "هو الإقرار بأنَّ الله تعالى رب كلّ شيء ومليكه وخالقه ورازقه، وأَنه المحيي المميت النافع الضار، المتفرِّد بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجع الأمرُ كله، لا شريك له في ذلك"(٣).

وكان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزخرف: ٩]. ولم يعلم أن أحداً من الأمم أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى، وكثير من الملحدين ممن أنكر الله تعالى مكابرون غير معتقدين لما يقولون كما حصل من فرعون عندما نسب الربوبية لنفسه فقال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة النازعات: ٢٤].

---

(١) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص٩.

(٢) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ص٧.

(٣) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص٩.

وللمستشرقين الذين أسلموا كتابات حول إثبات توحيد الربوبية وإقراره وكذلك جوانب من أهمية الإيمان به:

الإقرار بتوحيد الربوبية.

يقر مارمادوك بكثول بتوحيد الربوبية بقوله: "إذا وُحد الله وعُرِف جلاله وملكه" [(١)]، وكذلك قوله: "لابد أن يكون التدبر في الكون للإقرار بتوحيد الربوبية وأن الله هو الملك والمسيطر"[(٢)].

وذكر روجيه دوباسكويه الإيمان بالله وتوحيد الربوبية في كتابه بقوله: "قول الله تعالى في القرآن: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة فصلت: ٥٣]. فالتأمل في الخلق الخارجي وسيلة للنفاذ إلى العالم الداخلي المتوافق معه، وتنص آيات قرآنية كثيرة على علامات الخالق الواضحة في الطبيعة الشفافة: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة البقرة: ١٧٩].

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠]. ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٩١]. تقول نصوص القرآن وكأنها تدحض مقدمًا الافتراض الحديث الذي يصيح بالخلق عن طريق الصدفة: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٩١]"[(٣)].

وذكر روجيه دوباسكويه في كتابه شيئاً عن عقيدة التوحيد فقال: "مما يثير الفضول أن الأديان الآسيوية مثل البوذية والهندوسية اكتسبت بوضوح -منذ أكثر من قرن- تعاطفاً واهتماماً أكبر من الإسلام؛ مع هذا فيمكن توصيف الإسلام بأنه الديانة الأزلية، فهو مبني على عقيدة التوحيد وهي أزلية، فهو لا يأتي بأساس جديد؛ بل جاء لإعادة تأسيس الديانة الأصلية -التوحيد- ولإعادة تأكيد الحقيقة الأزلية"[(٤)].

---

(١) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام، ٩٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٧.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٣٤-٣٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٧.

كما يثبت محمد أسـد توحيد الربوبية بقوله: "الفكر الإسـلامي يؤكد على وجود الله الذي لا تدركه الأبصار"[1]، "ولا يقبل القرآن إلا عقيدة التوحيد ديناً، ويؤكد القرآن مراراً وتكراراً على أن هذه الحقيقة ميسرة لكل إنسان راشد عاقل"[2].

ويقول موريس بوكاي عن الإيمان بتوحيد الربوبية: "فإن ثقافة علمية بوسـعها أن تجلب في العصر الحاضر الأسباب التي تقرب إلى فكرة الله، وليست الأسباب التي تبعد عنه، هذا التنسيق المدهش لظاهرات الحياة واستمرارها الذي ينتهي بنا إلى الاعتقاد الجازم بوجود الخالق ليس بالاحتمال؛ بل بالحقيقة الكاملة"[3].

ويضـرب مارتن لينجز مثالاً واقعياً على الإيمان بوجود الله، "فبالتماثل القياسـي نسـتطيع أن نقول: إن وجود الأذن يثبت وجود الصـوت: "لقد سمعنا مقولة أن أجنحة الطيور تثبت وجود الهواء، وبنفس الطريقة في الظواهر الدينية، القبليّة المشـتركة عند كل الناس تثبت وجود محتواها، وهو الله وما بعد الحياة: وهذا في صميم الموضوع إذا كلّف أحد نفسه عناء دراسته بعمق"[4].

ويبين مراد هوفمان مفهوم توحيد الربوبية؛ حيث يقول: "توحيد الله: مفهوم المسـلم لله، الله الواحد الأحد ليس كمثله شيء، الله المتعال الأول الآخر الحي الصمد الذي يتجاوز الزمان والمكان، الله الحق الحي القيوم، إنه المفهوم الوحيد الذي يرضـى به الإنسـان المثقف المعاصـر، التوحيد الدين الخالص لعبادة الإله الواحد دون أي زخارف مصطنعة، هذه هي ميزتنا الأساسية"[5].

كما يثبت مراد هوفمان توحيد الربوبية بقوله: "وهذا يفسر مكان وزمان ومضمون الرسالة التي بعث بها محمد-صلى الله عليه وسلم-، والتي ورد في القرآن عنها في سورة الأحقاف: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩﴾ [سورة الأحقاف: ٩]. لقد كان محمد آخر الرسل، هدف رسالته كان إعادة الوحدانية النقية، الإيمان بالله الواحد

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص ٣٧٧، عبارة (الفكر الإسلامي) فيها نوع من الغموض وعدم الدقة، وكان الأولى أن يستخدم مصطلح (العقيدة الإسلامية)؛ لأنه يتحدث في سياق وجود الله جل وعلا، فالعقيدة الصحيحة مصدرها رباني قائم على الكتاب والسنة، بخلاف الفكر الإسلامي، فيحتمل فيه الخطأ والاختلاف.

(٢) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٧٠.

(٣) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ ص٢٠٦. الأصوب استخدام عبارة (الإيمان بالله) بدلاً من (فكرة الله).

(٤) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص٤٣.

(٥) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص١٠٥.

دين إبراهيم، الدين القيم، هذا الدين الذي يتطابق مع الفطرة الإنسانية؛ ولذلك فقد كان محمد يعلم المسلمين بناء على ما ورد في القرآن: الله واحد ليس كمثله شيء"[١].

وأن اعتقاد المسلمين في الله وحده سبحانه وتعالى "وجود إله واحد لا شريك له، خالق الكون وحافظه، باطنه وظاهره، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة ق: ١٦]. وكذلك أيضاً: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣]. أو ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] [٢]"، فإن وجود الله وذاته نادراً ما تتعرض للمناقشة في داخل العالم الإسلامي، الاثنان يعتبران من القضايا المسلم بها، قدمت امرأة عجوز نموذجا لهذا الموقف عندما قيل لها: إن أبا حامد الغزالي (مات ١١١١ ميلادية الفيلسوف والصوفي المسلم المشهور)، قد قدم ألف دليل على وجود الله، فكانت إجابتها الخالدة: ماذا بعد؟ ما لم يكن لديه ألف شك ما كان عليه البحث عن ألف دليل!"[٣].

نعم لا شك "أن المسلمين يؤمنون بوجود الله؛ لأن وجوده ثابت لهم بثبوت وجود الوجود أو العالم؛ إذ لكل معلول علة ولكل وجود موجد أوجده، وهذه حقيقة أولية جلية حادثة فعلاً"[٤]، "فيعتبر القرآن أن الله هو العلة الأولى لكل العلل المخلوقة بواسطته، والتي يقوم على رعايتها بلا سنة ولا نوم ولا لغوب إلى درجة أنه: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ٥٩][٥].

أهمية الإيمان بتوحيد الربوبية.

رغّب روجيه دوباسكويه في الإيمان بالله وحذر من الشرك؛ حيث "ركزت السور المكية الأوائل -من بين ما ركزت- على التوحيد ويوم البعث لتلقى الجزاء على العمل، خلود في جنات النعيم أو خلود في نيران الجحيم مؤمنًا بذلك، ودعا الرسول-صلى الله عليه وسلم- أهل مكة للتسليم لله

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢٠١-٢٠٢.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٤٦.

(٣) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص٨٧.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٣٧-٣٨.

(٥) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص١٠٢.

الواحد الأحد، خالق السماوات والأرض، إله الخير القادر الجبار، واستلزم ذلك دحض فكرة عبادة الأصنام، ولم يكن هناك مفر من إثارة عداوة المشركين"[١].

والبشر جميعاً مفطورون على الإيمان بالله؛ حيث "يعلن الإسلام أن جذور المبدأ التوحيدي للوجود لدى البشر موجودة بالفطرة البشرية بعكس المفهوم المسيحي الذي يرى أن الإنسان يولد وهو يحمل ذنب الخطيئة الأولى، وبعكس التعاليم الهندوسية أيضًا التي ترى أن البشر بطبيعة خلقهم أدنياء ومذنبون، ولا بد لهم أن يجاهدوا بكل عنت ومعاناة عبر سلسلة طويلة من التجسد وحلول الروح في كائنات مختلفة؛ حتى تحقق هدفها النهائي للوصول إلى الكمال؛ أما في القرآن فيقول الله جل شأنه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [سورة التين: ٤]. والتقويم ليس إلا حالة من النقاء لا يلوثها ولا يدنسها إلا السلوك السيء للإنسان: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ [سورة التين: ٥-٦]"[٢].

ومما يدل على أهمية الإيمان بتوحيد الربوبية، انتقاد محمد أسد الغرب في عدم إيمانهم بالله، "فالمدنية الغربية لا تجحد الله ألبتة ولكنها لا ترى مجالاً ولا فائدة لله في نظامها الفكري الحالي، وبما أن قضية وجود الله لا تقع تحت هذا الوجه ولا تحت ذاك فإن العقل الأوروبي يميل بداءة إلى إسقاط (الله) من دائرة الاعتبارات العملية[٣]، وكذلك يهاجم الغرب في جعل معبوداتهم المصانع والمختبرات، "فإن هياكل هذه الديانة إنما هي المصانع العظيمة ودور السينما والمختبرات الكيماوية وباحات الرقص وأماكن توليد الكهرباء، وأما كهنة هذه الديانة فهم الصيارفة والمهندسون وكواكب السينما وقادة الصناعات وأبطال الطيران"[٤].

وكتبت مريم جميلة في كتابها "لكن الإسلام يفترق عن المسيحية في حفاظه على صفاء ونقاء فكرة التوحيد بإعلانه عن نبوة عيسى وتكفيره لدعاة التثليث، والإسلام يحفظ الشريعة الإلهية التي أسقطها المسيحيون قائلين بعدم نفعها ونسخها"[٥]، وكأنها تشير بذلك إلى أهمية التوحيد والإيمان بالله.

---

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥٢.

(٢) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٢٢٥.

(٣) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص٤٧-٤٨.

(٥) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإسلام، ص١٤٠.

ويبين مارتن لينجز أن الإيمان بالله مهم فيقول: " الإيمان بالله والكتب المقدسة اليوم يميلان إلى أن يكونا أضعف من أي وقت على الإطلاق؛ وبالنسبة للغربيين فقد تم استبدالهما باللاأدرية[(١)] بدون أن نذكر الإلحاد الذي يتم ترسيخ عقيدته في الأطفال منهجيًا منذ طفولتهم في مناطق شاسعة من الأرض، وأيضًا الانتشار الواسع للإيمان بالتطوّر والتقدم لا يساعد على التفكير بما يتمشى مع نفس خطوط أفكار الأجداد"[(٢)].

والإيمان بالله عز وجل عند المسلمين يتميز بالنقاء والصفاء: "فإن إيمانهم بالإله الواحد هو فقط الإيمان النقي والحقيقي، وأن اعتقاد اليهود بأنهم (شعب الله المختار) على أساس بيولوجي فقط، لا ينسجم من وجهة النظر الإسلامية[(٣)] مع الخطاب الإلهي الحق والخيّر إلى البشرية جمعاء، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [سورة المائدة: ١٩]. أو قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦﴾ [سورة الجمعة: ٦]. ومما لا يمكن أن ينسجم مع جلال الله من وجهة نظر المسلمين هو اعتقاد اليهود بأنهم مقربون من الله بموجب عقد أبرموه معه؛ أما المفهوم المسيحي لله الذي تؤطره مسألة اختلاق مسألة الخلاص من الخطيئة الأول (الموروثة) ومما ترتب على ذلك من تجلي الله في صورة المسيح؛ فإنه أيضاً مرفوض من قبل المسلمين، والتصور بأن إنساناً -ولو كان نبياً- يمكن أن يكون مساوياً له في الجوهر، كما صاغه المجتمع العالمي للكنيسة في نيقية عام ٣٢٥م كعقيدة كنيسة، يعتبره المسلمون تأملات نظرية عرفانية (غنوصية[(٤)])"[(٥)].

---

(١) اللاأدرية: ينكرون العلم بثبوت شيء وعدم ثبوته، ويزعمون أنهم يشكون، ثم يشكون في أنهم يشكون، وهلم جرا، انظر: يحيى بن أبي بكر العامري الحرضي، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، دار صادر بيروت، ج٢، ص ٣١١.

(٢) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص١٣.

(٣) عبارة (وجهة النظر الإسلامية) غير مناسبة فالأولى أن يقول: (العقيدة الإسلامية).

(٤) الغنوصية: كلمة يونانية معناها المعرفة؛ ولكنها تطورت حتى صارت تعني التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا أو تذوق المعارف تذوقاً مباشراً بطريقة الكشف، وهذا هو معنى الذوق عند الصوفية، انظر: عبد الرؤوف محمد عثمان، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة بالرياض، ط١، ص١٦٣.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٢٧.

وكذلك من أهمية الإيمان بالله "قيام حقوق الإنسان أو سقوطها إنما يتعلق أولاً وأخيراً بالإيمان بالله: فإذا أنكر امرؤ وجود الله؛ فإنه بهذا يضع كافة الحقوق تلقائياً تحت تصرف الإنسان أو رحمته، حتى لو استطاع بذلك خداع نفسه حيناً من الدهر، بإشارته إلى الحقوق الطبيعية المزعومة"(١).

ومن أهمية الإيمان بالله اتباع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ حيث يقول مراد هوفمان: "أتذكر وقد كنت أستمع إلى محاضرة يتكلم فيها المحاضر عن الإيمان بالله مستشهداً ببعض الآراء الفلسفية، وبعد المحاضرة طلبت التعقيب عليها فقلت: إن المتتبع لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد أن يؤمن بالله، فإيمانه وثقته التي لاتحد والنور الذي يشع من إيمانه هو بالله سبحانه وتعالى، وأثر ذلك على كل تصرفاته لهي أكبر معين ننهل نحن منه، فمن نوره نقتبس نور إيماننا، فهو النور الذي لا ينضب، وهو المثال العملي الذى يغنينا عن آراء الفلاسفة؛ وذلك أدعى إلى الإيمان الثابت الذى لا يتزعزع"(٢).

من خلال ما مضى نرى أن اتيين دينيه ومارمادوك بكثول وعبد الواحد يحيى وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد وموريس بوكاي ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان كلهم تحدثوا عن توحيد الربوبية وأقروا به، وأكدوا أهمية الإيمان بالله جل وعلا، واستدلوا على ذلك من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهم بذلك وافقوا منهج أهل السنة والجماعة في إقرارهم بتوحيد الربوبية وبيانهم لأهميته في حياة الفرد والمجتمع.

ثانياً: توحيد الألوهية.

توحيد الألوهية: "هو إفراد الله وحده بالذلِّ والخضوع والمحبَّة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبادة لا شريك له"(٣)، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة البقرة: ١٦٣]. وهذا الإيمان يقتضي تخصيصه بالعبادة وأن لا يصرف شيء منها لغيره تعالى، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]. وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف، وهو الأساس الذي تنبني عليه صحة جميع العبادات، وبه يتحقق الإخلاص الذي أمر الله به في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الزمر: ٢].

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٨٨.

(٢) جاري مللر، القرآن المعجز، ص٢٤.

(٣) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص٩.

ولأهمية هذا التوحيد كان للمستشرقين الذين أسلموا كتابات بارزة.

الإقرار بتوحيد الألوهية.

يثبت اتيين دينيه توحيد الألوهية بقوله: "فإن أصل الدين هو دين الأنبياء، وهو إصلاح ما أفسدته البشرية من التوحيد"(١)، وأن "الإسلام هو الدين الوحيد من الديانات الكبرى الذي ليس فيه وسطاء ولا قرابين"(٢)، أيضاً "الإسلام حارب البدع والخرافات من بداياته، وأما أضرحة الأولياء وعبادة القديسين والشفعاء من الأولياء والوسطاء التي حرمها القرآن تحريماً قاطعاً؛ فقد وجدت بعد قرنين من الهجرة تقليداً للمسيحية، ولم يقبله العبيديون وألغاه الوهابيون"(٣).

وهنا ملحوظة في عبارة اتيين دينيه (ولم يقبله العبيديون)؛ حيث إن العبيديين عرف عنهم نشر الشرك والبدع والضلالات وبناء المساجد والأضرحة على القبور، وملحوظة أخرى أيضاً في قوله: (وألغاه الوهابيون)؛ فمعروف أن العلماء حتى قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ينكرون مثل هذه الشركيات بل وحاربوها، مع تحفظي أيضاً على التسمية بـ (الوهابية)؛ لأنها تقال من باب السخرية والازدراء؛ بل الأصل أن نقول: مذهب أهل السنة والجماعة

ويقول لورد هدلي عن توحيد الألوهية: "الله وجوده ثابت مطلق وحقيقة كونية، وذكر أن التوحيد نوعان: توحيد الألوهية والربوبية، وأن الإسلام حامل دين التوحيد منذ ١٤٠٠ سنة"(٤)، وأنه "ليس هناك في الإسلام إلا إله واحد نعبده ونتبعه"(٥)، وأن الإيمان بالله انتشر في بلاد العرب "خلال مدة وجيزة وسنوات قليلة؛ إذ بدلاً من الكفر والإلحاد وإنكار الوحي والتعصب الديني أخذ الناس يعبدون الله الواحد الحق العليم القادر الموجود في كل الوجود"(٦).

وتقول مريم جميلة عن توحيد الألوهية مستدلة بقوله تعالى: "﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ﴾ [سورة الإسراء: ٨]. في الآيات السابقة وعد الله عز وجل اليهود بالرحمة إن تركوا إفسادهم وآمنوا بالقرآن، وإنه لمن الغريب أن اليهود لا زالوا يعتبرون أنفسهم الشعب المختار على الرغم من إيقاع العقوبات

(١) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص١٥.

(٢) اتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم، الحج إلى بيت الله الحرام، ص٧١.

(٣) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص١٩، ٢٤، ومحمد رسول الله ص٣٤٦-٣٤٧.

(٤) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ص٢٠، ٢٣، ٤٤.

(٥) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٥٧.

(٦) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٣١.

الشديدة عليهم، ومن أهم المزايا التي تتعدى حدود الجمال في الإسلام هي عقيدتنا بالإله الواحد للبشرية جمعاء، وأنه لا أحد ولا حتى المسلمين هم شعب الله المختار، فالمختارون عند الله هم المؤمنون فقط، الذين لا يشركون مع الله إلها آخر"(١).

وتستدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم، "فبعض التعاليم من القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١-٢٢](٢).

فالمفهوم الحقيقي إذن لتوحيد الألوهية هو "عالمية عقيدته وبأنها لجميع البشـــر، وقد أعلنت المسيحية ذلك قبل الإســلام بقرون عديدة، ولكن الإســلام تفرق عن النصـرانية، باستعادة مفهوم التوحيد، كما أخبر به إبراهيم وموسى بصورته النقية، أخبرنا القرآن بأن عيسى المسيح عليه السلام رسول من الله، ولكن رفض ذلك وأصبح جزءاً من الثالوث، كما صرح القرآن بأن الإيمان بالتثليث بدلاً من توحيد الله لا يرجى منه تحقيق النجاة في الآخرة"(٣).

ويثبت مراد هوفمان توحيد الألوهية بقوله: "لكي يكون المرء مسلماً؛ فلا بد من توافر شرطين اثنين فيه الأول: الإيمان بإله واحد، مع تنزيهه عن الجنس، لا تدركه الأبصـــار وهو يدرك الأبصـــار، آثاره الملموسة في العالم تدل على وجوده، الشرط الثاني: الإيمان بما أنزله الله من الوحي"(٤).

أهمية الإيمان بتوحيد الألوهية

ولا شك أن المسلمين جميعاً يؤمنون بتوحيد الألوهية؛ حيث "يقف المسلم-على النقيض من الرجل الثائر- متيقنًا أن الله خلقه ونفخ فيه من روحه وكلفه أن يكون شاهده على الأرض، فهو محور كل المخلوقات، سخرها له، بنعمة تسليمه لخالقه، ولما جعل الله الإنسان خليفته في الأرض، كلفه بمسؤولية الأمانة، يقوم بها وحده من بين المخلوقات: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢]. هذه الأمانة هائلة، تمنح الإنسان حرية الاختيار بين الخير والشر، الحقيقة والزيف، الجنة والجحيم، إنها تطوق الحالة

(١) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٣.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص ٧.

(٣) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٢٠٩.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٣٧.

الإنسانية بتكريم إلهي؛ ولكنها تحمل مخاطرة رهيبة أظهر فيها الإنسان أنه كان ظلومًا جهولاً، أعطاه الإسلام على أحسن ما يكون السبل الصحيحة التي تنجيه، وباستعمال حريته في العمل تقوده خلال التسليم لله إلى الخير، إلى الحق، إلى الله"(١).

بخلاف الرجل الغربي الذي لا يؤمن بالله، "فينظر إلى العالم كشيء يتصرف فيه كيف يشاء ليشبع حاجاته أو طموحاته أو أهواءه المتقلبة، فطالما لم يتبين أي أهمية له أو ما يستدعي احترامه، أليس هو لقيط الصدفة؟! وبعد تجريده من أي قداسة؛ يستغله وينتهكه ويدمر انسجامه ويثير الأزمات البيئية المقلقة، وعلى النقيض يرى المسلم في الخلق عملاً إلهيًا مجيدًا، تمثل عنده الأكوان بما تحويه علامات ناطقة بنظام علوي، لا يوجد في الطبيعة شيء سخيف أو متروك للصدفة. ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٣]"(٢).

وهنا تكمن أهمية التسليم لله في جميع شؤون الحياة، "فلا يخرج شيء عن نطاق القدرة الإلهية، ولا يوجد بين المخلوقات من لا يسلم لله؛ ولكن الإنسان وحده يفعل ذلك بوعي وإرادة عندما يكون مسلمًا، لا يكفي التسليم بوجوب التسليم لله حتى يكون المرء مسلمًا حقيقيًا؛ ولكنه ممارسة عملية يطيع فيها المسلم الله؛ حيث أنعم الله على الإنسان بامتيازات تقدمه على بقية المخلوقات: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة السجدة: ٩]. وهبه الفكر وبالمعرفة يصنع اختياره قال تعالى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾﴾ [سورة البلد: ١٠]. كذلك يقول الله تعالى في القرآن: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الإنسان: ٣]"(٣).

والغاية من خلق الإنسان هو العبادة لله وحده، "فيجب أن تتمثل في نفسها فكرة الله ووحدانيته على أنها مركز لها، كما قال القرآن الكريم: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]. ويختلف إدراك العبادة في الإسلام مما هو في كل دين آخر: إن العبادة في الإسلام ليست محصورة في أعمال من الخشوع الخالص كالصلوات والصيام مثلاً؛ ولكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية أيضًا، وإذا كانت الغاية من حياتنا على العموم عبادة الله فيلزمنا حينئذ ضرورة أن ننظر إلى هذه الحياة"(٤).

---

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٢٢-٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٧.

(٣) المرجع السابق، ص٣٤.

(٤) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٢٣.

وهناك دلالة واضـــحة إلى أهمية العبادة لله جل وعلا، "فالكعبة رمز لوحدانية الله، وأما عبادة الله لا تكون بالفكر والمشـــاعر وحدها؛ بل بالفعل البدني والجســـدي، أي بالعمل"[1]، ويأتي الالتزام بالدين من الأهمية بمكان في هذا الشأن، "فإن الإسلام، خلافاً لغيره من الأديان أمر الإنسان بالالتزام بالدين بكامل وجوده، بتعبير آخر لا يقتصر الإسلام على مشكلات الإيمان الشخصي والأخلاق الشـخصـية؛ بل يؤثر على كافة جوانب الحياة، من هنا قال النبي صـلى الله عليه وسـلم: ((الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل))[2] مما يقودنا إلى القول: إنه الإيمان الذي يصدقه العمل الصالح"[3].

فالعبادة مظهر الطاعة لله عز وجل، "فإن المســار الصــحيح لحياة الإنســان أن يعيش في طاعة تامة لله عز وجل، وليس للإنســان تحديد طريقة العبادة والطاعة، والبت في هذا الأمر لا يكون إلا لله وحده، ولأن الله عز وجل هو الحاكم؛ فقد تولى رسله هداية البشر من وقت لآخر، وكذلك أنزل كتبه إليهم، فمن واجب الإنسان أن يأخذ قوانين حياته من هذه المصادر للتوجيه الرباني"[4].

إذن فالغاية من خلق الخلق العبودية لله، "فإن أســـس الإيمان في الإســـلام هو الاعتقاد بأن الإنســـان عبد الله، والمدلول العربي لهذا المفهوم هو (عبدالله) الذي هو من أشـــهر الأسماء في كل بلد إسـلامي، والإسـلام نفسـه يعني حرفياً (الخضـوع لإرادة الله) وإن جميع من يختارون العمل بذلك هم مسـلمون،... وغاية الحكم الإسـلامي في تطبيق شـريعة الله كما جاءت في الكتاب والسـنة، والحاكم المسـلم لا يسـتطيع أن يجعل القانون يوافق هواه،... فكل شـيء لله، والإنسـان لا يملك شـيئاً ويعتمد كلية على الله، وكل ما للإنسـان حتى جسـده معار له من الله تعالى لينتفع به على أحسـن وجه، فإذا قصّر إنسان في هذه المسئولية فسوف يعاقب عقاباً شديداً،.... والعبودية لله تعني التحرر من طغيان البشر، فالمسلم الحق لا يخاف أي إنسان ولا يخشى إلا الله"[5].

ولا شـك أن عقيدة التوحيد هي العقيدة الصـافية النقية في الإسـلام، "فالتوحيد يجعل المؤمن يتعاطف مع كل المخلوقات التي أوجدها نفس الإله، ويقيه الخوف من غير الله، ويدفعه إلى التقوى

---

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة ص٤٩٢-٤٩٣، قوله: (الكعبة رمز لوحدانية الله) فيه نظر؛ لأن لا دليل عليه ولم يسبقه أحد في هذا القول، ولو قال: إن الكعبة رمز لوحدة المسلمين لاستقام المعنى.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٦٣/٦ ح (٣٠٣٥١)، كتاب الإيمان والرؤيا، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: وهذا سند ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للألباني، (٢١٨/٣)، دار المعارف، الرياض بالمملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

(٣) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٤٩.

(٤) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر ص ٤٤.

(٥) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٣٨-٣٩.

وعدم اليأس، ويبث فيه العزاء بأن الله القوي القادر خالق كل شيء يستطيع نجدته برحمته، وفي ظل الإيمان بعقيدة التوحيد فالانتحار والتشاؤم والقنوط أمور لا محل لها في نفس المؤمن، فالمؤمن الحق يصبر ويثابر، ويثق في الله ويتوكل عليه، ويمتلئ قلبه بالشجاعة، وهو مستعد دومًا للتضحية بكل شيء في سبيل الله؛ لأنه يعلم أن لله كل شيء، والله في عقيدة المؤمن هو مالك كل شيء ومسبب الأسباب، وهو الذي يعطي ويمنع"[1].

والمسلم يعيش كما أراده الله، "فلا يرفض أي حكم ورد في القرآن، كما أنه لا يمكن أن يبقى وثيق الصلة بالحياة العصرية، إن هدفه الأسمى في هذه الحياة أن يعيش كما يريد منه الله سبحانه، ولا يحزنه شيء أكثر من أن يغضب ربه، هو لا يعتبر التقيد بالشريعة الإسلامية ثقلاً عليه؛ بل يحس بالمتعة"[2].

ويشير مارتن لينجز إلى الإحسان وهو مرتبة أعلى من الإيمان فيقول: "تعريف النبي صلى الله عليه وسلم للإحسان الذي له علاقة مباشرة بمعرفة القلب: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[3].

ويذكر مراد هوفمان أهمية الإيمان بالله وصرف العبادة لله وحده؛ لأن "القرآن يصور المسلم مخلوقاً ملتزماً بمبادئ خلقية دون تقييد؛ بحيث ينبغي له أن يكون مواطناً حراً، وينبغي عليه في الوقت نفسه أن يصدر في أقواله وأفعاله عن إيمان بالله، فيكون الله سبحانه محور حياته الرئيس أولاً وآخراً"[4].

والإيمان بالله "هو معرفة الله، وتوجيه الحمد إليه، والانقياد لهديه"[5]، "فالإنسان باعتباره كائناً أخلاقياً، قد أوكلت إليه مسيرة من خلال طريق محدد (الشريعة)، وأن عليه ألا يتعدى حواجز معينة (الحدود)، وكل ذلك من أجل فلاحه وظيفة الشرع الإلهي هي أن يحيا الإنسان في وئام مع خالقه وبيئته ونفسه"[6].

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٥٢.

(٢) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص١٣٧.

(٣) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٥٧.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٣٨.

(٥) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص١٠٤.

(٦) المرجع السابق، ص١٠٥.

نفي الوسطاء في الإسلام

من جماليات الإسلام عدم وجود وسطاء بين العبد وربه؛ حيث "توجد في الإسلام الحرية الكاملة للأنفس في العبادات، ولا توجد هناك كهنة أو قديسين أو عذارى للدعوات حتى يكونوا وسيطين بين العباد وبين الله"(١).

"فالإسلام يرتكز على إيمان حقيقي أنه لا وساطة بين المخلوق وخالقه، وغياب كل أشكال الكهانة يجعل كل مسلم يوقن أنه يشارك بإيجابية في عمل جماعي من أجل العبادة، وأنه لا يحضر فقط لمشاهدة وسطاء يقومون بالنيابة عنه بأداء طقوس العبادة، لذلك يؤدي كل المسلمين صلاة الجماعة، ولأنه لا توجد أسرار ولا طقوس مقدسة في الإسلام؛ فإن كل مسلم بالغ ورشيد بإمكانه القيام بأي وظيفة دينية، كأن يؤم المصلين في صلاة الجماعة، ويقوم بإجراءات عقود الزواج أو بالصلاة على الميت قبل دفنه، لا توجد حاجة في الإسلام إلى ترسيم وظائف وتخصصات دينية لعبادة الله"(٢).

وخير برهان على نفي الوسطاء دعوته صلى الله عليه وسلم، "فعندما يدعو النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أول لحظة إلى الله الواحد الذي لا شريك له العليم بما في قلوب الناس ومن ثم لا يحتاج وسيطاً بينه وبين أي من خلقه؛ فإن دعوة كهذه بدت لهم ضرباً من الجنون، كما أن إنكار النبي التام لوجود الآلهة المختلفة التي كان يعبدها أهل مكة كان يعني كذلك رفضاً لكثير من المناسبات والعادات القبلية المرتبطة بتلك العبادة، بإيجاز كانت الدعوة خطراً على البنية الوثنية للمجتمع الذي أكسبها الزمن مكانة كبيرة لديهم"(٣).

نعم بالتأكيد لا يحتاج المسلم إلى وساطة؛ حيث "يعيش المسلم في عالمه الذي لا يوجد فيه نظام القساوسة الكاثوليك ولا نظام التدرج الوظيفي في مراتب القساوسة الصارم، ولا يتخذ وسيطًا أو شفيعًا مهما علا قدره عند الصلاة أو الدعاء، بينما يتوسل المسيحي بعيسى ومريم أو الروح القدس أو غير ذلك من القديسين عندما يتضرع أو يبتهل أو يصلي، فالمسلم في هذا حر متحرر لا يتوسل بغير الله إلى الله، ولا تشوب عبادَتَهُ طقوسٌ أو شعائرُ غامضة"(٤).

(١) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ص١٥.

(٢) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٣) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٩٧.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٦.

من خلال ما مضى نرى أن اتيين دينيه ولورد هدلي وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان كلهم تحدثوا عن توحيد الألوهية وأهمية الإيمان به، واستدلوا على ذلك من الكتاب والسنة، واتبعوا منهج أهل السنة والجماعة في إقرارهم بتوحيد الألوهية واعتقادهم بأن الله عزوجل هو الإله المعبود وحده الذي لا يستحق العبادة أحد سواه، وأظهروا بعض مميزات الإسلام ونفي الوسطاء والشفعاء بين الخالق والمخلوق بخلاف العالم المسيحي، ونفوا بأنه ليس هناك أسرار ولا طقوس مقدسة في الإسلام، فالغاية من خلق الإنسان هي العبادة لله وحده، وأن الإنسان حمَّله الله الأمانة من بين كل المخلوقات.

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات.

من مقتضى الإيمان بالله سبحانه الإيمان بأسمائه وصفاته، وهو "إفراد الله تعالى بما سمى ووصف نفسه به في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه، والإقرار بأن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيُّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنه الملِك القدوس السلام المؤمن"[1].

"فأهل السنة والجماعة يثبتون صفات الله تعالى: بلا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تكييف، ويمرُّونها كما جاءت مع الإيمان بمعانيها وما تدل عليه[2]، وهو أنهم يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وبكل ما أخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم إيماناً سالماً من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل"[3].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى: ١١].

وفي كتابات المستشرقين الذين أسلموا إشارات واستشهادات من خلال كتبهم فيما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات؛ حيث يتحدث اتيين دينيه عن الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات فيقول: "الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الإله شكلاً بشرياً أو ما إلى ذلك من الأشكال؛ أما في المسيحية فإن لفظ «الله» تحيطها تلك الصورة الآدمية: رجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال، فمن تجاعيد بالوجه غائرة إلى لحية بيضاء مرسلة مهملة تثير في النفس ذكرى الموت والفناء"[4].

ويقول هدلي عن توحيد الأسماء والصفات: "الله خالقنا، ورازقنا، إله الرحمة والمحبة، صاحب النعم اللامحدودة، والبركات اللامحدودة، واسمك المعظم عزيز عندنا[5]، المسلمون يعبدون إلهاً واحداً،

---

(١) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص٩.

(٢) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، ص١٠، ١٦.

(٣) المرجع السابق، ص١٦.

(٤) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٢٥.

(٥) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ٢٨، ١٢٤.

كلي القدرة، ليس كمثله أحد، وليس له شريك، لم يلد ولم يولد، الله فوق كل شيء، وقبل كل شيء، الموجود الدائم، قريب من عباده، هو نور السماوات والأرض"(١).

وفي موضع آخر يناجي الله سبحانه وتعالى فيقول: "أنت قائدنا هادينا ولينا وحافظنا الدائم، أنت الأب، قريب جداً منا ونشعر بوجودك في كل مكان، أرنا الطريق الصحيح في ظلام الليل ونور النهار"(٢)، ويقول: "أنت الملك، افتح قلبك واسمح لي بالدخول فيه، أنا أعلم كرمك، وقوتك، ومحبتك، وأنك تسكن عاليا في السماء"(٣).

وهنا عدة ملاحظات فقوله: (أنت قائدنا) لم يرد عن الله عز وجل في الشرع، فالأولى الابتعاد عنه، وكذلك كلمة الأب أو الآب استخدام لورد هدلي لكلمة (الأب) لله تعالى؛ وهو خطأ صريح وواضح؛ لأن لفظ (الأب) شاع استخدامه في النصرانية، وليس من أسمائه الأب، فلا يسمى الله بما لا يسمي الله تعالى به نفسه ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، وكذلك قوله: (افتح قلبك واسمح لي بالدخول فيه) خطأ صريح ولا يجوز نسبة القلب إلى الله تعالى؛ لأنه لم يرد في الكتاب والسنة، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ويعدد لورد هدلي بعض أسماء الله تعالى الحسنى: "هو الرحمن الرحيم، المجيد، العظيم، الجميل، الدائم، الأزلي، الأول والآخر المدبر، والرازق، والسميع، والقوي، وهو القدير، العليم، العدل، المعز، الولي، الهادي، الناصر، والحافظ للمخلوقات"(٤).

ويقول مارمادوك بكثول عن توحيد الأسماء والصفات: "هناك ذات ذو قوة فوق طبيعية، وغير قابل للإدراك، الذي قبلت وحدانيته دون مناقشة، وهو واحد، ورحمن ورحيم للجميع"(٥).

ويثبت عبد الواحد يحي صفة الاستواء لله فيقول: "فمن جهة الحق تعالى نجد الرحمن المستوى

(١) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ص ٢٤ والصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام ص٢٦، ١٥١.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٧.

(٤) لورد هدلي، الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام، ص ١٦، ٥٥.

(٥) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام، ١٠.

وأشار روجيه دوباسكويه أثناء حديثه إلى عدة صفات لله جل وعلا فيقول "ولأن الله رؤوف رحيم كما يقرر ويكرر القرآن ذلك ولأن رحمته تسبق غضبه فلا يتصور أنه يترك أكثر البشر آلاف السنين في جهل بلا هداية"[(١)].

وتبين مريم جميلة منهج أهل السنة والجماعة في باب صفات الله جل وعلا فتقول: "والحقيقة التي يرتاح إليها العقل هي: أن الطريق الوحيد لمعرفة الله هو الوحي المنزل من عنده وما علمه نبيه المرسل نقلاً عنه؛ أما الخوض في ذات الله وحقيقته فهو ليس عملاً دينياً جليلاً وواجباً مفروضاً؛ بل هو على أفضل التصورات وبدون التشكيك في دوافع من يقدمون عليه لا يعدو أن يكون نشاطاً عقلياً يرجمه بالغيب والظن، ويصنع فيه الإنسان صورة للإله على مثاله وحسب مدركات ذهنه وخياله في فترة معينة ومكان معين وداخل إطار ثقافة ما ووفقاً لنظام فلسفي ديني منطقي أو آخر، ولا يخرج هذا النشاط عن طرح تصور وضعي للإله لا يلزم إلا واضعيه حتى ولو لجأ في بعض الأحيان إلى استعارة ثياب دينية إسلامية أو غير إسلامية، فالمصدر المعتمد هو الوحي المعصوم المتواتر الذي يحدد أن الله ليس كمثله شيء، وهو ليس مقولة فلان أو علان"[(٢)].

ويقول مراد هوفمان عن توحيد الأسماء والصفات: "ومجمل القول: إنني بدأت أنظر إلى الإسلام كما هو، بوصفه العقيدة الأساسية الحقة التي لم تتعرض لأي تشويه أو تزوير، عقيدة مؤمن بالله الواحد الأحد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص: ٣-٤]. رأيت فيه عقيدة التوحيد الأولى، التي لم تتعرض لما في اليهودية والمسيحية من انحراف؛ بل ومن اختلاف عن هذه العقيدة الأولى عقيدة لا ترى أن معتنقها هم شعب الله المختار، كما أنها لا تؤله أحد أنبياء اليهود، لقد وجدت في الإسلام أصفى وأبسط تصور لله، تصور تقدمي، ولقد بدت لي مقولات القرآن الجوهرية ومبادئه ودعوته الأخلاقية منطقية جداً حتى إنه لم تعد تساورني أدنى شكوك في نبوة محمد"[(٣)].

ويثبت مراد هوفمان بعض أسماء الله الحسنى فيقول: "التي يمكن أن تؤخذ من الأسماء الحسنى من خلال قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]؛ حيث أمر الله أن ندعوه بها، والبالغ عدد ما نعرفه منها تسعة وتسعين اسماً، ليس من بينها الاسم الأعظم الذي لا يستطيع العقل البشري المحدود أن يحيط به علما، ولا يفهمن

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥٠.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص١٩١.

(٣) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٥٤-٥٥.

أحد خطأ أن الأسماء تعني التشخيص أو الأشخاص، فإنما هي صفات جوهرية للذات الإلهية، تبين للبشر جوانب أو بعض ملامح من الذات الإلهية التي أراد الله أن يظهرنا عليها فيقفنا، سبحانه، على العلم ببعض صفاته، سبحانه، ليس كمثله شيء، مثلا: (العليم) عالم الغيب والشهادة، الخبير، المحيط، المحصي، الحسيب، السميع، البصير، الرائي الذي يرى كل شيء، يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ: ٣]"(١)، وذكر غيرها من الصفات.

ويواصل مراد هوفمان حديثه في إثبات أسماء الله وصفاته فيقول: "ويحتوي القرآن الكريم على العديد من أسماء الله الحسنى من صفات تدل على كماله، منها الودود ومنها المنتقم، وقد وردت في سورة الحشر أكبر قائمة تضم أسماء الله الحسنى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الحشر: ٢٢-٢٤]. وهناك قوائم مختلفة تضم ما مجموعة (٩٩) اسماً من أسمائه الحسنى، والتي ليست جميعها أسماء قرآنية، وكذلك ليست كلها مذكورة في القرآن، هذه الأسماء الحسنى نجدها مكتوبة بخط جميل ومعلقة كقطعة تزيينية على الجدران داخل البيوت. ويُفسّر اقتصار هذه الأسماء على (٩٩) اسماً وعدم وجود الاسم المئة بأن كل هذه الأسماء لا تحيط بعظمته وجلاله"(٢).

ويستمر مراد هوفمان في ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلى فيقول: "تركز على صفات الكمال المختصة به، كما أوحى بها القرآن، وجاءت في السنة النبوية، فيما يعرف بأسماء الله الحسنى، أسمائه التسعة والتسعين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النحل: ٦٠]. ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الإسراء: ١١٠]. ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [سورة طه: ٨]. ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الحشر: ٢٤]. يذكر القرآن الله باسم الرحمن مراراً وأيضاً الرحيم، أكبر عدد من صفات الله وهو (١٦) صفة تذكر في مكان واحد، توجد في سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٩٧-٩٨.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٤٦.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الحشر: ٢٢-٢٤]؛ حيث ذكر الله بأنه الرحمن، والرحيم، وعالم الغيب والشهادة، والملك، والقدوس، والسلام، والمؤمن، والمهيمن، والعزيز، والجبار، والمتكبر، والخالق، والبارئ، والمصور، والعزيز، والعليم"(١).

ويبين مراد هوفمان منهج أهل السنة والجماعة في إثبات أسماء الله وصفاته فيقول: "فإن المفهوم الإسلامي(٢) عن الله سبحانه وتعالى هو سليم وواضح غير متميع، وقد أوضح هذه الصورة بكلامه سبحانه وتعالى في كتابه العظيم؛ القرآن الكريم قائلاً في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الحشر: ٢٢-٢٤]. فهو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، وهو الخالق المصور البارئ، الذي ليس كمثله شيء، وهو الفرد الصمد، الذي لا يحتاج لأي من مخلوقاته، وهو الهادي لعباده من خلال رسله عليهم السلام، وهو الغني سبحانه عن الصاحبة والولد والتضحية أو الاتحاد أو غيره، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، وبالنظر لهذه التأملات النصرانية التي انتشرت وكثرت مؤخراً؛ فمن المناسب اليوم كما كان الحال خلال القرون الأربعة عشر الماضية أن نقرأ سورة الإخلاص من القرآن الكريم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [سورة الإخلاص: ١](٣).

وينفي مراد هوفمان عن الله الشبه والنظير فيقول: "فقد اخترتُ بوحي من فكري وعقلي وطائعاً مختاراً أن أسلم أمري، وفكري، وعقلي، إلى الحقيقة الكبرى التي أشعر بأنني ذرة صغيرة منها وأسلمت لله رب العالمين: الله أكبر كبيراً، وهو أكبر مما يمكن أن نتصور، وإنني إذ أقول ما قلت، لا أريد أن أقود أي شخص إلى منزلق شديد الزلل لتعريف الله عز وجل، فإذا استطعنا تعداد أسماء الله الحسنى وصفاته التسعة والتسعين؛ فإننا لن نستطيع وصفه سبحانه وتعالى بلغتنا البشرية القاصرة المحدودة؛ إذ إنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وكما أننا محدودون بمفرداتنا ومصطلحاتنا

---

(١) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص٩١-٩٢.

(٢) الأفضل أن نقول: العقيدة الإسلامية بدل المفهوم الإسلامي.

(٣) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص١٩٨.

اللغوية؛ فإننا لا نســـتطيع، حتى بما نقرؤه من كلام الله، أن نعبِّر عن ذاته العظيمة التي ليس كمثلها شيء، ولو أنني قلت المزيد لانتقصتُ من قدر الموضوع"[١].

.

(١) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١١٩.

المطلب الثاني: جهودهم في الدفاع عن الركن الثاني (الإيمان بالملائكة).

إن من أركان الإيمان الستة أن يؤمن الإنسان بوجود الملائكة وأنهم خلق من مخلوقات الله تعالى، فتعريف الملائكة: "جمع مَلَك، أخذ من الأَلُوكِ وهي: الرسالة، وهم: خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون"(١).

فالإيمان بالملائكة "ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقق الإيمان إلا به، وقد نص الله على ذلك في كتابه، وأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]. فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله، وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلوا ذلك، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]"(٢).

أيضاً الإيمان بالملائكة "هو الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودون مخلوقون من نور، وهم كما وصفهم الله عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الله الليل والنهار لا يفترون، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بها كما تواترت بذلك النصوص من الكتاب والسنة، فكل حركة في السماوات والأرض فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض امتثالاً لأمر الله عز وجل، فيجب الإيمان بمن سَمَّى الله منهم على وجه التفصيل، ومن لم يسمِّ منهم فيجب الإيمان به على وجه الإجمال"(٣).

فتجد في كتابات المستشرقين الذين أسلموا من أثبت منهم وجود الملائكة وضرورة الإيمان به، والبعض منهم ذكر أصناف الملائكة، والبعض الآخر أثبت جبريل عليه السلام أمين الوحي.

(١) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص٩٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٥.

(٣) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، ص٧.

الإيمان بوجود الملائكة.

من أركان الإيمان الستة الإيمان بوجود الملائكة؛ حيث أشار لورد هدلي إلى ذلك بقوله: "إن توحيد الله وحق الجار، والإيمان بالملائكة والأنبياء، والقرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم من أساسيات الإسلام"(١).

كما يثبت روجيه دوباسكويه وجود الملائكة فيقول: "خلق الله آدم ثم أمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس قال: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [سورة الأعراف: ١٢]. فلما طرده الله من الجنة ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤﴾ [سورة الأعراف: ١٤]. فأنظره الله إلى يوم البعث، ومنذ ذلك الوقت عمل إبليس على صد البشر عن الطريق المستقيم ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾ [سورة الأعراف: ١٧-١٨]"(٢).

في حين يشير مارتن لينجز إلى أهمية الإيمان بالملائكة فيقول: "العقيدة الإسلامية يعبر عنها في القرآن كإيمان: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]. والفقرة التالية مهمة أيضاً في هذا السياق، لا يوجد ما يمكن أن يقارن بها لا في اليهودية ولا في المسيحية على سبيل المثال: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]"(٣).

أمين الوحي جبريل عليه السلام

استشهد اتيين دينيه على إثبات نزول جبريل عليه السلام بهذا الحديث: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((أتاني جبريل في غار حراء وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ، فقلت: ما أقرأ، فغطني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما اقرأ، فغطني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [سورة العلق: ١]. فقرأتها، ثم انتهى، فانصرف عني، وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابًا، فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتًا من السماء

(١) لورد هدلي، الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام، ص ٩٨.

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٢٤.

(٣) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٢٢-٢٣.

يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته ثم قال ثانية: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، وانصرف، فانصرفت راجعًا إلى أهلي[(١)]))[(٢)].

كما يثبت اتيين دينيه نزول جبريل والملائكة في غزوة بدر فيقول: "هذا العمود الطائر إنما كان أثرًا لجبريل وهو على فرسه حيزوم، يقود ثلاثة آلاف من الملائكة لإغاثة المسلمين"[(٣)]-يقصد نزول الملائكة في غزوة بدر الكبرى-.

كما يؤكد محمد أسد إثبات نزول جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء؛ حيث يقول: "كان محمد يتعبد وحيدًا كما اعتاد أن يفعل، يصلي للحقيقة بقلبه حين يظهر له فجأة ملاك أمره قائلاً: اقرأ، كان محمد شأنه شأن أهل عصره وموطنه لم يتعلم أبدًا القراءة؛ وفضلاً عن ذلك لم يعرف ما الذي يريده الملاك أن يقرأ، أجابه في روع: ما أنا بقارئ، حينئذ ضمه الملاك ضمة قوية شعر محمد معها أنه فقد قواه"[(٤)].

أيضاً موريس بوكاي يثبت نزول جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: "لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بواسطة الملاك جبريل عليه السلام"[(٥)].

ومراد هوفمان أيضاً يثبت نزول جبريل عليه السلام بالوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "في نهاية العقد الرابع نزل عليه أول الوحي في شهر رمضان المبارك عام٦١٠م وهو في غار حراء في ظاهر مكة بشكل مباشر وبقوة، وجاءه الملاك جبريل وأمره -وهو الأمين- أن يقرأ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٤/١) ح(٣)، أيضاً في كتاب التفسير، باب تفسير سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق العلق، (١٨٩٤/٤)، ح (٤٦٧٠)، أيضاً في كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، (٢٥٦١/٦)، ح (٦٥٨١)، وفي صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (١٣٩/١) ح (١٦٠)، وكذلك مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث عائشة رضى الله تعالى عنها، (٢٣٢/٦) ح(٢٦٠٠١) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٠٨-١٠٩.

(٣) المرجع السابق، ص٢٠٥.

(٤) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٤٢٨.

(٥) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٧٥.

ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾﴾ [سورة العلق: ١-٥]. وفي السابع والعشرين من رمضان يتذكر المسلمون كل عام هذه الحادثة التاريخية التي جاء عنها في القرآن الكريم: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾﴾ [سورة القدر: ١][(١)].

أصناف الملائكة

ومن المستشرقين من ذكر بعض أصناف الملائكة؛ حيث يقول مراد هوفمان: "يعلمنا القرآن الكريم بأن هناك كائنات حية تأتمر بأمر الله، منها الملائكة مثل: جبريل وميكائيل، وهما الملاكان الحارسان: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الرعد: ١٣]. وهناك ملائكة العقاب والموت: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة العلق: ١٨]. وكذلك الجن، أي كائنات روحانية طيبة أو شيطانية، وهي بمرتبة أدنى، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴿١١﴾﴾ [سورة الجن: ١١]. وكذلك: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الجن: ١٤][(٢)].

من خلال ما مضى يثبت كل من اتيين دينيه ولورد هدلي وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد وموريس بوكاي ومارتن لينجز ومراد هوفمان وجود الملائكة وأكدوا وجوب الإيمان بهم، واتبعوا في ذلك أهل السنة والجماعة في الإقرار بالإيمان بالملائكة، وأنه أحد أركان الإيمان الستة، واستدلوا على ذلك من الكتاب والسنة النبوية، وكذلك أثبتوا نزول الملائكة في غزوة بدر، وقصة خلق آدم ثم أمر الملائكة بالسجود له، وعدد بعضهم بعض أسمائهم كجبريل وميكائيل وملك الموت.

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص٤٨.

المطلب الثالث: جهودهم في الدفاع عن الركن الثالث (الإيمان بالكتب).

والإيمان بالكتب: "هو التصديق الجازم بأن لله كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله، وهي من كلامه حقيقة، وأنها نور وهدى، وأن ما تضمنته حق، ولا يعلم عددها إلا الله، ويجب الإيمان بها جملة إلا ما سمَّى الله منها، ويجب الإيمان به على وجه التفصيل وهي: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، ويجب مع الإيمان بالقرآن وأنه من عند الله الإيمان بأن الله تكلم به كما تكلم بالكتب المنزّلة، كما يجب مع هذا كله اتباع ما فيه من أوامر، واجتناب ما فيه من زواجر، وأنه مُهَيْمِن على الكتب السابقة، وأنه مخصوص من الله بالحفظ من التبديل والتغيير، فهو كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود"[١].

"والإيمان بكتب الله التي أنزل على رسله كلها ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٦]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٦]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٦]. فأمر الله عباده المؤمنين في الآية بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه[٢].

"فيجب الإيمان بهذه الكتب على ما جاءت به النصوص، من ذكر أسمائها، ومن أنزلت فيهم، وكل ما أخبر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم عنها، وما قُصَّ علينا من أخبار أهلها"[٣].

ويجد القارئ من خلال مؤلفات المستشرقين الذين أسلموا أن بعضاً منهم أشار في كتاباتهم أو تحدثوا عن الإيمان بالكتب المنزلة؛ بل خصص بعضهم مؤلفات متخصصة في إثبات حجية القرآن الكريم وأنه منزل من عند الله كمؤلف موريس بوكاي بعنوان (التوراة والأناجيل والقرآن الكريم) وكذلك

---

(١) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، ص٧، ٨.

(٢) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص١٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٦.

جاري مللر ومؤلفه يحمل عنوان (القرآن المعجز) وفي المقابل ترجم محمد أسد القرآن الكريم تحت عنوان (رسالة القرآن)، وكذلك مارمادوك ترجمه تحت عنوان (ترجمة معاني القرآن الكريم)[١].

ويذكر الباحث هنا أبرز أقوالهم في الإيمان بالكتب مجملة؛ حيث يقول لورد هدلي في ذلك: "هناك سبعة أركان للعقيدة في الإسلام وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والبعث بعد الموت"[٢].

ويقول روجيه دوباسكويه عن الإيمان بالكتب: "يؤمن المسلمون بالكتب المنزلة، ومنها التوراة ومزامير داود والإنجيل؛ ولكنهم يؤمنون أن هذه الكتب تم تحريفها"[٣].

ويقول موريس بوكاي عن الإيمان بالكتب: "والقرآن الكريم يقدم معلومات وأخباراً كثيرة موجودة في التوراة العبرية والأناجيل؛ حيث يقتبس كثيراً[٤] من التوراة والأناجيل، والقرآن الكريم يوصي بالإيمان بالكتب السابقة عليه كما هو الشأن في قول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٦]"[٥].

ويقول مارتن لينجز عن الإيمان بالكتب: "العقيدة الإسلامية يعبر عنها في القرآن كإيمان: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]. والفقرة التالية مهمة أيضاً في هذا السياق، لا يوجد ما يمكن أن يقارن بها لا في اليهودية ولا في المسيحية على سبيل المثال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]"[٦].

---

(١) سبق تناول هذه المؤلفات باستفاضة في الباب الأول في الفصل الأول في المبحث الثاني.

(٢) لورد هدلي، الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام، ص ١٥٠، وجعلها سبعة أركان فالأشهر ستة أركان كما جاء في الحديث؛ حيث زاد المؤلف (البعث بعد الموت) وهو داخل في اليوم الآخر.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٠.

(٤) أخطأ المؤلف في قوله (يقتبس كثيراً) ولا يليق به أن يقول مثل ذلك، فهذه إحدى شبه المستشرقين، ولم يقتبس القرآن من الكتب السماوية؛ لأن الكتب السماوية قد حرفت وبدلت؛ بيد أن جميع الأنبياء جاؤوا لهدف واحد وهو توحيد الله، ومن الطبيعي جداً التشابه في كثير من المسائل.

(٥) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٨.

(٦) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٢٢-٢٣.

ويقول مراد هوفمان عن الإيمان بالكتب: "يفترض في المسلمين احترام جميع الكتب المنزلة من الله والنظر إليها كذلك، عملياً سوف يتمسك المسلم بالدرجة الأولى بالقرآن الكريم ويفضله على الكتب الأخرى، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [سورة الأنبياء: ١٠]. كما أن الطبيعة هي أيضاً تجلي الله وكتاب يجب تفسير رموزه، وهذه أيضاً تسمى آيات"(١).

تبين للباحث من خلال ما سبق أن المستشرقين الذين أسلموا وردت منهم إشارات عن الإيمان بالكتب، وعدّد بعضهم الكتب المنزلة وهي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، ويؤمنون بأن القرآن منزل من عند الله عز وجل لم يعتره النقص ولا التحريف بخلاف الكتب المقدسة الأخرى، وهم بذلك اتفقوا مع أهل السنة والجماعة "في الإقرار بوجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالى، أنزلها على رسله بالحق والهدى والنور والضياء، وأن من كذب بها أو جحد شيئا منها فهو كافر بالله خارج من الدين"(٢).

والذين أشاروا إلى ذلك هم: لورد هدلي وروجيه دوباسكويه وموريس بوكاي ومارتن لينجز ومراد هوفمان.

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٥٢-٥٣.

(٢) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص١٢٩.

المطلب الرابع: جهودهم في الدفاع عن الركن الرابع (الإيمان بالرسل).

"الإيمان بالرسل: هو التصديق الجازم بأن الله أرسل رسلاً لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، واقتضت حكمته تعالى أن يرسلهم إلى خلقه مبشرين ومنذرين، فيجب الإيمان بهم جميعاً على وجه الإجمال، ويجب الإيمان بمن سمَّى الله منهم على وجه التفصيل وهم: خمسة وعشرون ذكرهم الله في القرآن الكريم، ويجب الإيمان بأن لله رسلاً غيرهم وأنبياء لا يُحصي عددهم إلا الله، ولا يعلم أسماءهم إلا هو جل وعلا، كما يجب الإيمان بأن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضلهم وخاتمهم، وأن رسالته عامة للثقلين، ولا نبي بعده صلى الله عليه وسلم"[1].

"والإيمان برسل الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين، وركن عظيم من أركان الإيمان، وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]. وقد بين الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسل. فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٠-١٥١]. فأطلق الكفر على من كذب بالرسل أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم، ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقًّا، أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة"[2].

وتجد في كتابات المستشرقين الذين أسلموا من كتب في الإيمان بالرسل؛ بل خصص بعضهم مؤلفات في هذا الجانب، فلورد هدلي له مؤلف بعنوان (ثلاثة أنبياء عظماء للعالم)، واتيين دينيه له مؤلف بعنوان (محمد رسول الله)، ومارتن لينجز له مؤلف بعنوان (محمد رسول الله وحياته)[3].

ويشير الباحث إلى أبرز ما جاء في كتاباتهم مجملة عن الإيمان بالرسل، فمما يستشهد به في هذا الجانب ما ذكره اتيين دينيه؛ حيث عدد بعض أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ إذ يقول: "إننا نحفظ للمسيح عليه السلام في قلبنا ما نحفظ لإخوانه الأنبياء والمرسلين مثل إبراهيم وموسى ومحمد

(١) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، ص٨.

(٢) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص١٣٥.

(٣) سبق تناول هذه المؤلفات باستفاضة في التمهيد وكذلك سيأتي معنا في الفصل الرابع حينما نتناول سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

عليهم السلام من آيات الإجلال والاحترام"(١)، وأن "الأنبياء رسل يوحى إليهم من الله؛ ولكنهم مع ذلك يجري عليهم ما يجري على أمثالهم من بني البشر، وأن الذي يهم الناس من أمر الأنبياء هو ما جاءوا به من التعاليم التي أوحى بها إليهم"(٢)، "والمبادئ المشتركة بين الأديان الثلاثة تدل على أن أصلها واحد وهو شريعة إبراهيم(٣)، وإن المسلمين يحملون لعيسى عليه السلام في نفوسهم التبجيل والتعظيم، في حين أن النصارى يمطرون محمداً صلى الله عليه وسلم وابلاً من اللعنات والسخطات"(٤).

ومن الإيمان بالرسل الإيمان برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث يقول لورد هدلي: "فهذا النبي العظيم والرسول الكريم الأمين ببصر نبوي صادق حقيقي أن سيسود الوهن والخلل في عصر كهذا؛ لذا فقد أمدنا مقدمًا أيضًا مددًا كافيًا، أمدنا بكل هاتيك الجواهر الأساسية من إيمان حقيقي واعتقاد ثابت لا يتزعزع، جواهر تكوّن بناءً عظيمًا -هو صرح الإسلام المجيد- صرح يشهد بعظمة وجلال دين يتبعه ما ينوف عن مائتي مليون من الناس، محمد اسمه-صلى الله عليه وسلم- إنه لنبي عظيم بين أنبياء الله العظام، وبالنسبة لنا فإنه أعظمهم حقًا جميعًا صلى الله عليه وسلم"(٥).

بخلاف المناهج العصرية التي تتجه للعقلانية والفلسفة فإنها تجحد الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ حيث "تتشكّل الفلسفة العمومية على ما هي عليه منحصرة في الجانب الظاهري، لزم إقصاء الجانب الباطنيّ إلى حدّ إنكار وجوده بكل بساطة، وهذا بالتحديد ما آل إليه عند المحدثين التوجّه الذي ابتدأه اليونانيون، فالتوجّهات التي ظهرت بجلاء عند الإغريق دفعها المحدثون إلى أقصى مآلاتها، والأهمّية المفرطة التي أضفوها على الفكر العقلاني تفاقمت إلى أن آلت إلى الفلسفة العقلانية، وهي تُعبِّر عن وضعٍ حديث (تَميّز به العصر الحديث)، لا يتمثل بكل بساطة في تجاهل كل

---

(١) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) الشريعة الإبراهيمية ، الإبراهيمية بدعة أوروبية ويقصد بها الديانات الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية، "وظهرت هذه الدعوة من بعض الناس اليهود والنصارى غالبًا بغرض إفساد عقائد المسلمين، ولكي يتقبل المسلمون ما عليه اليهود والنصارى ولا عكس، ويستخدمون لذلك شعارات مثل اللقاء الإبراهيمي أي تجميع الأديان في الديانة الإبراهيمية نسبة لإبراهيم الخليل عليه السلام؛ عليه فهذه الدعوة دعوة إلى الكفر؛ وردة عن الإسلام؛ إذ كيف يجتمع الحق والباطل والهدى والضلال؟ قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة النساء: ٨٩]. والله أعلم، انظر: أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري، الولاء والبراء في الإسلام، دار الدعوة الإسلامية، ط١، ١٤٣٣هـ، ص٦٤.

(٤) المرجع السابق، ص٢٠.

(٥) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٤٢-٤٣.

ما هو من طراز فوق عقلاني فحسب؛ وإنما في إنكار صريح لوجوده، أي إنكار الإيمان بالغيب وما جاءت به الرّسل من عند الله تعالى"[١].

ومما يستشهد به في هذا الشأن "قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة فاطر: ٢٤]. ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٦٣]. هكذا بنص القرآن، تقوم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام في إطار الرسالات الإلهية للبشر، جاء ليذكر الإنسان الذي يميل دائمًا للنسيان أو الانحراف بالرسالة الخالدة من الذات الإلهية التي لا تتغير-فما يتغير لا يكون حق[٢]- الرسالة التي أكدها الله من وقت لآخر بطريقة تتيح لكل الناس في كل مكان وزمان -بدون استثناء- أن يعرفوها، واكتمل التنزيل بمحمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين، وبكل تأكيد لم تؤسس ديانة عظمى أخرى بعد وفاته، ولم يظهر في تاريخ البشرية مثله، واختلفت أشكال التنزيل من نوح؛ بل من آدم؛ ولكن ظلت مبادئ معينة راسخة لا تتغير، المبدأ الرئيسي بينها لها طابع ميتافيزيقي، تأكيد الحقيقة العلوية المطلقة ذات القدرة المطلقة (لا إله إلا الله)، شهادة تجمع الحقيقة الرئيسية بكلم يليق بالكمال الإلهي وبطريقة لم يسبق لها مثيل، ومبدأ ثان أن البشر مسئولون عن أعمالهم وسيحاسبون عليها بعد انتهاء الوجود الأرضي، ولأن الله رؤوف رحيم، كما يُقرر ويكرر القرآن ذلك، ولأن رحمته تسبق غضبه؛ فلا يُتصور أنه يترك أكثر البشر آلاف السنين في جهل وبلا هداية، بين القرآن أنه ما من أمة إلا جاءها نذير، وجاء في خطابه لمحمد أن الرسالة لم تنحصر في الرسل الذين ذكرهم القرآن بالاسم"[٣].

فيجب على المسلمين الإيمان بالرسل جميعاً؛ حيث "يؤمن المسلمون بموسى وعيسى وأنهما من ذوي العزم من الرسل، وأن عيسى جاء للوجود بمعجزة ولادته من عذراء لم يمسها رجل، ولأمه مريم مكانتها السامية عند المسلمين، وهو بشر وليس ابن الله، فهذا القول شرك وأنه لم يُقتل ولم يُصلب؛ بل شُبه لهم، ورفعه الله وسيعود آخر الزمان"[٤].

---

(١) عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث، ص ١٧-١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧-١٨.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٤٩-٥٠.

(٤) المرجع السابق، ص١١١.

فقد "بين القرآن لنا أن الله يبعث أنبياءه كل حين من أمة أو جماعة ثقافية، وهم رسل يدعون إلى رسالة حق واحدة وهي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن الإنسان مسؤول عن أعماله ومقاصده الواعية كلها أمام الله، ويذكر القرآن أسماء الكثيرين من أولئك الأنبياء، ويذكر أيضاً أنه قد بعث أنبياء كثيرين غيرهم، ومن هؤلاء الهداة المذكورين في القرآن أنبياء الكتاب المقدس وعلى رأسهم إبراهيم وموسى وعيسى، ويأتي ذكرهم مثلما يُذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان جوهر دعوتهم جميعاً عقيدة واحدة، لكن القرآن يقول لنا أيضا: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المائدة: ٤٨][(١)].

وأول الرسل الذي يجب الإيمان به أبو البشر آدم عليه الصلاة والسلام، "فإن بدء تسجيل الإنسان للكلمة الشفهية بالكتابة كان بأمر من الله، وليس بسماح من الله فقط، رغم كل ذلك إنها ليست الكتابة؛ بل الطباعة هي المسؤولة عن تحويل العالم إلى كومة من قمامة الكتب الموجودة اليوم، مع هذا لا يمكن أن يقال: إن الكتابة أنعمت على الإنسان بأي تفوّق أبدًا، ومن دون شك سيكون من الحقيقي أن نقول إنها أصبحت ضرورية فقط كأهون الشرور بعد الوصول إلى نقطة معيَّنة من الانحدار الإنساني، ومن جهة أخرى كان الحديث دائمًا يعتبر أحد أمجاد الإنسان في اليهودية، كما في الإسلام أيضًا نجد مذهب أن آدم تعلَّم اللغة الحقيقية بالوحي الإلهيّ، أي تعلَّم اللغة التي يتطابق فيها الصوت تمامًا مع المعنى"[(٢)].

ومن بين الرسل الذي نؤمن به "عيسى نبي ورسول يهودي[(٣)] مصلح (الرؤية الإسلامية)[(٤)]، ثم إن المسلمين يؤمنون أن الله بين لعبيده حقاً طريق الهدى، وذلك عن طريق أنبياء التوحيد المرسلين، مثل إبراهيم وموسى وعيسى، وختم الله هذه الرسالات بالقرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ٤]. والذي نزله على محمد خاتم النبيين والمرسلين، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في سورة الأحزاب، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الأحزاب:

(١) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٦٩.

(٢) مارتن لينجز، معتقدات قديمة وخرافات حديثة، ص٢٢.

(٣) جانب المؤلف الصواب في قوله (رسول يهودي) ولكن الأولى أن يقول مثل ما قال الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ٤٩]. فكل الأنبياء مسلمون.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢١٣.

٤٠]. فمنطلق علم الأصول أو الدين الإسلامي أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يرد ذكره في التوراة فحسب وإنما في الإنجيل كذلك، أي في العهدين القديم والجديد، وقد بشر عيسى نفسه بمقدم الرسول الذي تعني ترجمة اسمه أحمد مشتقاً من الحمد ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ [سورة الصف: ٦]. وقد نص في ذلك نصاً على أنه آخر الأنبياء وخاتم المرسلين"(١).

والدليل العقلي على وجوب الإيمان بالرسل ما ذكره مراد هوفمان بقوله: "جواز حدوث النبوة هو من مقتضيات الإيمان بالله كخالق وحافظ للكون، والقادر على هداية خلقه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾ [سورة الأنعام: ٩١]. فجواز حدوث النبوة هو في الحقيقة لا يمكن تجاوزه منطقياً، ما دام قد حصل اليقين بوجود الله"(٢).

أهمية الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

من الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام الإيمان بما جاؤوا به من الشرائع والأحكام، وأن مصدرها واحد من عند الله، "فيجب أولاً أن يلاحظ جليًا أن الإسلام ليس بدين جديد؛ لأنه موجود منذ خلق الله العالم، وقد كان كل أنبياء الله ذوي العزم كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم مسلمين، وكانت تعاليمهم هي تعاليم محمد آخر الأنبياء بالضبط والدقة، فمحمد -صلى الله عليه وسلم- لم يأت برسالة عن دين جديد؛ بل كانت رسالته لإرجاع وإعادة الديانة الإسلامية الحقيقية إلى نقائها وفضائلها السابقة، فأصلح ما أساء فهمه وأفسده الناس بعد موت موسى وعيسى"(٣).

فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوا إلى عبادة الله وحده، "فالقرآن يؤكد مرة تلو المرة أن الدين الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليس ديناً جديداً؛ لأن مبادئه الروحية وأولها شهادة ألا إله إلا الله هي نفسها المبادئ التي دعا إليها كل أنبياء الله منذ ميلاد وعي الإنسان، أي أن أنبياء

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٥٢.

(٢) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص٩٢.

(٣) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٣٦.

الله نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً دعوا جميعاً إلى إسلام الإنسان إلى الله، ومن هنا جاءت كلمة الإسلام بوصف ذلك مبتدأ كل دين حق ومنتهاه، وقد أقام الإسلام عقيدته على هذه الحقيقة الثابتة عند كل مسلم، ودعا المؤمنين مراراً ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [سورة البقرة: ١٣٦]. معنى ذلك أن تعظيم كل الأنبياء فرض إسلامي بصرف النظر عن أي اختلاف بين ما أتوا به من شرائع تتفق مع مقتضيات زمانهم وتطور مجتمعاتهم الثقافي، وأن أي تجاوز في حق أي من الأنبياء السابقين أو ما أتوا به يمثل من وجهة النظر الإسلامية تعدياً على إرادة الله كما تتجلى في القرآن، وأن إهانة أي من هؤلاء الأنبياء السابقين أو الاستخفاف بهم يعني إهانة القرآن نفسه أو الاستخفاف به وما جاء به النبي محمد الذي نزل عليه القرآن؛ ولكن القرآن يذهب إلى أبعد من هذا ويأمر المؤمنين ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨] [١].

والحكمة من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام هداية للبشر؛ لذا يجب الإيمان بهم، "فالقرآن الكريم يؤكد المكانة البارزة التي يحتلها رسل الله مثل سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم وسيدنا موسى في مسار هداية الله للبشر عن طريق الوحي الإلهي لمثل أولئك الأنبياء والرسل، وكذلك الشأن بالنسبة إلى المسيح عليه السلام الذي يخصه المسلمون باعتبارات تقدير واحترام إضافية خاصة به من بين الأنبياء والرسل"[٢].

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنزل إليهم الكتب من عند الله جل وعلا؛ مما يجب على البشر الإيمان بهم "فإن طريق الحياة الصحيحة للإنسان هو تمام الطاعة لله، والإنسان لا يحدد كيفية الطاعة والعبادة؛ بل يرسمها الله، وهو بصفته ربًا قد بعث بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من وقت لآخر لهداية البشر وأنزل عليهم الكتب، وواجب الإنسان أن يأخذ منهاج حياته من ينابيع الهداية الإلهية هذه، وهو مسئول أمام الله عن أفعاله في الحياة، وزمن المساءلة هو القيامة؛ أما فترة الحياة القصيرة ففرصة للتحضير لهذا الامتحان العسير، ويجب أن تتركز كل جهود الإنسان في هذه الحياة الدنيا على ابتغاء مرضاة الله في الآخرة، والإنسان بكل قواه ومواهبه في حالة امتحان، وسوف توزن أعماله

(١) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٨٤.

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٩.

وسلوكه وزناً عادلاً من قبل رب لديه السجل الكامل والصحيح لكل حركات وتصرفات الإنسان؛ بل وخطراته ومشاعره ونواياه"(١).

وتتجلى أهمية الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام، أنهم جاؤوا لتبليغ رسالة الله وتعليم الناس، "فجوهر العقيدة الإسلامية فهو الاقتناع بأن الله قد أرسل رسله بدءاً من آدم إلى الشعوب جميعاً ليعلموهم ما هو نافع لهم، وكذلك ليدلوهم على عدالته، وليخبروهم عن يوم القيامة ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [سورة طه: ١٢٢]، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة يونس: ٤٧]، ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [سورة القصص: ٤٥]. وبشكل خاص كان أنبياء العقيدة الموسوية واضحين، وهم الذين اختار الله من أجلهم أبناء إسرائيل: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الدخان: ٣٢]"(٢).

فالمسلمون يؤمنون بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بخلاف المسيحيين؛ حيث "يفترض بالمسيحيين أن يعترفوا بكل الأنبياء اليهود الذين ورد ذكرهم في العهد القديم؛ أما اليهود فلا يعترفون بالمسيح على أنه نبي موسوي أو ابن الله، ومن هنا فإن المسلمين هم الأكثر سماحة، فالقرآن ذكر (٢٥) نبياً، من آدم إلى أيوب ونوح، مروراً بداود وسليمان وموسى حتى يوحنّا المعمدان يحي والمسيح، وبذلك يعترفون أساساً بجميع الأنبياء الذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس، وقد جاء التعبير عن ذلك في عدة آيات قرآنية كريمة منها: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٣٦]. ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٤](٣).

مما مضى يتبين أن المستشرقين الذين أسلموا أكدوا وجوب الإيمان بالرسل جميعاً، واستدلوا على ذلك من الكتاب والسنة، وعدد بعضهم بعض أسماء الأنبياء والرسل مثل آدم وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وكذلك بينوا وجوب الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه ورسالته، ووجوب اتباع سنته وما جاء به من الوحي، وممن أشار إلى ذلك هم: اتيين دينيه ولورد هدلي وعبد

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٥٠.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٢٨-٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص٤٩-٥٠.

الواحد يحيى وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد وموريس بوكاي ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان، وهم بذلك متفقون مع أهل السنة والجماعة.

□

المطلب الخامس: جهودهم في الدفاع عن الركن الخامس (الإيمان باليوم الآخر).

يعد الإيمان باليوم الآخر ركناً رئيساً من أركان الإيمان الستة، وهو أن يؤمن الإنسان بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم من حديث عما بعد الموت وعن أحوال القبر والبرزخ والبعث والحساب والنشر، ومن حديث عن النار والجنة والصراط المستقيم.

"فالإيمان بالبعث بعد الموت: هو الاعتقاد الجازم بأن هناك داراً آخرة يجازي الله فيها المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويغفر الله ما دون الشرك لمن يشاء، والبعث شرعاً: هو إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها، فيخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر أحياء مهطعين إلى الداعي، فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة"[1].

والإيمان باليوم الآخر أمر معلوم من الدين بالضرورة، ومنكره خارج عن الإسلام، ولقد خص ذكر اليوم الآخر بمزيد من العناية والتعظيم لشأنه في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد أجمع على ذلك المسلمون قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٧٧].

وفي كتابات المستشرقين الذين أسلموا نرى التنوع بين من ذكر أهمية الإيمان باليوم الآخر ومن ذكر بعض علامات الساعة وبين من ذكر الحساب والجزاء أو ذكر الجنة والنار.

ضرورة الإيمان باليوم الآخر

الركن الخامس من أركان الإيمان الستة الإيمان باليوم الآخر؛ حيث "بدأ محمد –صلى الله عليه وسلم– يبشر برسالته وأخذ الوحي يتتابع في سرعة، ويلبس أسلوبًا رهيبًا معلنًا قرب الساعة، حاثًا بذلك على العمل ودافعًا إليه، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ [سورة القارعة: ١-٤]. أما موعد هذه القارعة التي سيجازي فيها المسيء على إساءته فقد كان محمد يعتقد أنه وشيك الوقوع؛ ولذلك ضاعف من نصائحه ووعظه

(١) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، ص٨، ٩.

لمواطنيه ليخرجهم-قبل قيام الساعة- من الظلمات إلى النور؛ ولكنهم كانوا يجيبونه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ ۝٣﴾ [سورة سبأ: ٣]. وبأمر الله أعلن محمد: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥٩﴾ [سورة غافر: ٥٩]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾ [سورة الحج: ١]. ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾ [سورة الزلزلة: ١]. هذه الأنباء المفزعة التي كان يعلنها الرسول -صلى الله عليه وسلم- في يقين جازم كانت تبعث في قلوب الكفار القلق والاضطراب، لكنهم لما لم يروا أنها قد تحققت، ولما لم يروا علامات تدل على قرب وقوعها، أخلدوا إلى ما كانوا فيه من ضلال، وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يجهل موعد قيام الساعة: إذ ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٧]؛ ولكنه كان على يقين من عذاب ما لهم منه من محيص في هذا العالم، أو في العالم الآخر: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ۝٤٠﴾ [سورة الرعد: ٤٠][(١)].

فالإيمان بيوم البعث والنشور داخل في الإيمان باليوم الآخر، "فليس احتشاد الناس على عرفات بأقل روعة من ذلك، فجبل عرفات المخروطي الشكل، ذو الجوانب الخالية من كل نبت، والتي تبرز فيها الصخور الهائلة، يرتفع وسط واد مقفر ليس على سفوحه ولا في جواره أي أثر للحياة؛ بل في كل مكان صورة الخراب وسكون الموت؛ غير أنه في كل سنة في التاسع من شهر ذي الحجة يبدو هذا المكان الكئيب في منظر رائع، يبعث في النفس صورة يوم البعث، فالأرض والرمال والصخور تختفي كلها تحت ثوب من الآدميين المرتدين لباس الإحرام الأبيض حتى يحسبهم الناظر أمواتًا بعثوا، فبدأوا في خلع أكفانهم بعد أن دفعوا الصخور التي كانت غطاء أضرحتهم، موقف من مواقف الحشر حقًا، إن جميع أجناس الإنس على تباينها تحتشد في ذلك المكان الذي اعتاد الإقفار"[(٢)].

ومن الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالغيب، فيجب الإيمان به، "فإن إنكار أو تجاهل كل عرفان روحي خالق وفوق عقلي (وهو المعبَّر عنه في الإسلام بالإيمان بالغيب) فتح الطريق الذي أدّى حتمًا منطقيًا إلى الفلسفة الوضعية، وإلى اللا أدرية (أي المذهب الذي ينكر وجود معرفة حقيقية) وهما لا يستمدان إلا من أضيق حدود العقل وموضوعه"[(٣)].

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٢٠-١٢١.

(٢) المرجع السابق، ص٣١٢.

(٣) عبد الواحد يحيى، شرق وغرب، ص٥٦.

ومما يستدل على وجوب الإيمان باليوم الآخر "قول الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾ [سورة الأنبياء: ١] [١]، وبقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٤﴾ [سورة الواقعة: ١٣-١٤]"[٢].

وانطلاقاً من هذه الآيات الكريمات واتباعاً لما جاء به القرآن الكريم "يؤمن المسلمون بيوم الحساب، يبعث الله فيه كل البشر ويحاسبهم على أعمالهم، فإما إلى خلود في الجنة أو خلود في النار، وأن الله يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك، وسيشفع محمد في المسلمين"[٣].

ويطلق على اليوم الآخر يوم الحساب أيضاً؛ فيجب الإيمان به؛ حيث "تتبع صلاحية الإنسان في الاختيار مسؤوليته الكاملة عن الاحتفاظ بوضعه المحوري بين الخلق، بالطبع ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۝٣٨﴾ [سورة النجم: ٣٨]؛ ولكن على المجموعات والمجتمعات والدول مسؤولياتها الجماعية؛ لأن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾ [سورة الرعد: ١١]. وتستلزم هذه المسؤولية على الإنسان كفرد وأيضًا بنفس الدرجة كعضو في المجموعة أن يحسب كل أفعاله في حياته الأرضية، ويوم الحساب هو أحد التعابير الإسلامية عن يوم القيامة على أي حال، هذا بالنسبة للإسلام يقين مطلق لا مفر منه ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩﴾ [سورة آل عمران: ٩][٤].

"والآن أستطيع أن أدرك لماذا كان الإيمان باليوم الآخر من الأمور الضرورية في الإسلام؟ ولماذا يؤكد عليه القرآن في كل آية تقريباً؟ فإن الإنسان إذا آمن باليوم الآخر، فالأشياء التي كانت لديه ذات أهمية سرعان ما تفتقد أهميتها، إن الإيمان باليوم الآخر يعطي الإنسان وجهة نظر صحيحة عن الحياة الدنيا، ويمكنه من التمييز بين ما هو ذو أهمية في الواقع وما لا أهمية له، ومن ثم يقوي صلته بالأشياء التي تبقى للأبد، ولا يلتفت إلى الأغراض المادية التي تفنى سريعة من غير أن تترك لها أثراً من ورائها، والإيمان بأن الله يحكم بين العباد في اليوم الآخر هو العامل المؤثر وراء القوانين الأخلاقية، ولا مفهوم للدين من دون الاعتقاد في البعث بعد الموت، وإذا كانت هذه العقيدة ضرورة أخلاقية فلا يمكن أن تكون نتيجة التفكير النفعي كما يزعم أهل الشك؛ بل هي حقيقة ذات هدف معلوم، لقد

(١) عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث، ص ٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١١.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١١.

(٤) المرجع السابق، ص٣٦.

ذكرت لكم ســابقاً مدى الانعزال الرهيب الذي أشــعر به عن أولئك الأفراد الذين لا يشــاركوننا في التفكير"[1].

من هنا تتبين ضـرورة اتصـال الإنسـان بالآخرة، "ففي الإسـلام أن التكليف مرفوع عن النائم والمجنون والطفل حتى يبلغ، فإذا بلغ فإنه حر الإرادة في أن يذنب أو يحسـن، وهو مسـئول عند تمتعه بكامل قواه العقلية، وتأتي كرامة الإنســـان من نجاحه في مقاومة الإغراء بالخطيئة رغم قدرته على ارتكابها، والحياة بالنسبة له اختبار يتصل بالآخرة، فمن يستسلم لله وشريعته وأوامره كما جاءت في القرآن والســنة ويضــحى بمتع هذا العالم في ســبيل الحياة الآخرة فقد فاز؛ أما من ينكر حاكمية الله ويطيع غيره ويرفض الشـريعة الإلهية مفضـلاً القوانين البشـرية ويتبع هواه فسـيدان يوم القيامة ككافر ويخلد في العذاب، وتنطبق هذه الحرية والمســئولية على كل فرد رجلاً كان أو امرأة، وإذا خرجنا عن إطار هذا التصـور الإسـلامي العام للخطيئة أو الذنب الذي يمكن للإنســان أن يتوب عنه أمام الله وحده وفي أي وقت شاء ويطمع في المغفرة إذا ندم وأحسن التوبة"[2].

ومن الأهمية بمكان الإيمان بأن هناك حســاباً وعقاباً في الآخرة، "فمن القرآن الكريم عرفت أن هذه الرغبة ممكنة التحقيق، فالعمل الطيب ابتغاء مرضـاة الله لا يضـيع أبداً، وإن لم يحصـل الإنسـان على جزاء أو تقدير دنيوي؛ فأجره مؤكد في الآخرة؛ بل يخبرنا القرآن بأن أولئك الذين لا يتبعون أي هدي روحاني أو أخلاقي إلا النفعية اللاأخلاقية والنفاق الاجتماعي، والذين يفضــلون الحرية ليفعلوا ما يحلو لهم أولئك سيكونون من الخاسرين يوم الحساب مهما حققوا من نجاح دنيوي ورخاء مادي، ومهما كانت قدرتهم على اقتناص اللذة والمتعة في حياتهم القصيرة الأرضية، فالإسلام يعلمنا أننا لكي نخلص في قيامنا بواجباتنا تجاه الخالق عز وجل وتجاه إخواننا؛ لابد وأن نهجر كافة الأفعال التافهة الزائلة التي تلهينا عن هذه الغاية، وتجد تعاليم القرآن هذه واضـــحة جداً في الأحاديث النبوية التي كانت تماماً تلائم نفسيتي وطباعي"[3].

مما يوضح أهمية الإيمان بالجزاء والحساب في الآخرة للمؤمن "أنه في يوم الحساب لا يمكن الادعاء بالجهل بحقائق الدين الأساسيّة، فالعقيدة الدينية محل السؤال نجدها معبرًا عنها ضمنيًّا أو جليًّا بطرق متنوعة، على سبيل المثال الإسلام بينًا على وجه الخصوص: ذُكِرَ في القرآن، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ

(١) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص١٩٤.

(٣) الرسائل المتبادلة بين مريم جميلة وأبو الأعلى المودودي، ص٦٥.

مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢]. ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢] والذي أجابوا عليه بالإيجاب، ويضيف القرآن ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢][1].

بخلاف الغرب الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، "فالإنكار لله الذي يعيشه الغرب، هو عدم مبالاة بأمور الآخرة أكثر منه إلحادًا وتأليهًا للإنسان، وسيكون لهما على المدى الطويل آثار وخيمة العاقبة؛ بل سيجلبان الخراب بعينه، وإن طال الأمد"[2].

إثبات حقيقة الموت

الموت حق وهو أول منزل من منازل الآخرة، فيجب الإيمان به، وهو داخل في الإيمان باليوم الآخر، "فالحياة في هذه الدنيا معبر إلى الآخرة، يُبعث الموتى يوم القيامة ويحاسبون على أعمالهم، فإما خلود في الجنة وإما خلود في النار"[3]، "فلا يوجد في أي حضارة -خلاف الحضارة العصرية- مثل هذا الجهل الكامل عن سبب ميلادنا، لماذا نعيش، ولماذا يجب أن نموت"[4].

ولا يقتصر الإيمان على الموت فقط؛ بل يجب الإيمان بما بعد الموت؛ حيث "يتحدث القرآن مراراً عن استمرار الحياة بعد الموت، أي أن الموت ليس نهاية الوجود الإنساني؛ بل إنه بداية مرحلة جديدة لا حد لها، وتسمى هذه البداية في القرآن بالبعث، وهو بعث الإنسانية كاملة بالمعنى الموضح في إجابتي للسؤال السابق، ويستحيل علينا طبعاً أن نقول أو نتصور نوع الكيان الذي ستتمتع به الشخصية بعد البعث، فكل الإشارات القرآنية إلى حياتنا بعد الموت مصوغة في لغة رمزية[5]، وهذا حتمي؛ لأنها تصل إلينا عن طريق اللغة البشرية، ومن ثم فهي قائمة على مفاهيم نشأت عن الخبرات الإنسانية التي اكتسبناها في حياتنا الراهنة، وهناك جانب واحد في حياتنا يسمى الموت يشار إليه دائماً بتوكيد في القرآن وهو استمرار وتواصل الوعي الفردي، ففي هذا الأمر لا يوجد أي انقطاع بين وجود الإنسان قبل موته الجسدي وبعده"[6].

---

(١) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص٧.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣١.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٣٣-٣٤.

(٤) المرجع السابق، ص١٠.

(٥) هذا منهج محمد أسد في إثبات الغيبيات وتأويلها بالرمزيات وسيأتي مزيد تفصيل في الباب الثالث.

(٦) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٦٤.

والموت من مفاتيح الغيب، فالملائكة تبشر المؤمن بالجنة، "والمسلم الصحيح لا يخشى الموت، فما الموت إلا طريق المرور لحياة خالدة في رحاب الله، وإذا أصـــابه المرض عمل كل ما يمكنه طبياً ليعجل من شفائه؛ ولكن بعد أن يعمل كل ما في وسعه وإذا فشلت الوسائل الطبية في إعادة صحته إليه وفي إنقاذ حياته أو حياة المصابين أمثاله ممن يحب فإنه يتقبل الموت بتسليم خالص، إن المسلم يعتقد أن الله قد قدر أجل كل إنسان مقدماً؛ ولذلك فلا يمكن أن يموت إنسان قبل انقضاء أجله المقدر له، كما أنه لا يمكن لكل الأطباء مجتمعين والأدوية في العالم أن تطيل من أجله لحظة واحدة"[١].

بخلاف اليهود الذين يؤثرن الحياة الدنيا على الآخرة؛ حيث "يتبلور هذا الاتجاه اليهودي في خوف مرضي من الموت يتناقض مع تقبل المسلم كأمر الله وكقدر لا مفر منه، وينظر اليهود إلى الموت باعتباره أفظع الشرور التي يمكن أن تحيق بالإنسان .... وهم يتجنبون ذكر كلمات الموت في لغتهم اليومية"[٢].

والدليل على أن الموت حق ما ورد في السنة النبوية "في الحديث المعروف لرسول الله صلى الله عليه وســـلم: ((اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا))[٣] وهو يفرض من ناحية الكمال -يمكننا أن نقول الإحكام بصـبر- الملزم على الإنســان كممثل لله على الأرض؛ ومن الناحية الأخرى فهو يطالبه بأن يكون جاهزًا لترك هذا العالم بإخطار لحظي.... ويتم تذكيرنا في هذا السياق بقول النبي صلى الله عليه وسلم ((موتوا قبل أن تموتوا[٤]))[٥].

وذكر مراد هوفمان الموت عرضـاً أثناء حديثه عن النســك فيقول: "أليس الإحرام يشــير إلى الموت؟ ويوم عرفة ألا يجعلنا نتوقع يوم القيامة؟"[٦].

---

(١) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٤٠.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإسلام، ص٤٩.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٦٣/٦ ح (٣٠٣٥١)، كتاب الإيمان والرؤيا، باب. وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: وهذا سند ضعيف. (٢١٨/٣).

(٤) قال ابن حجر في الأسئلة والأجوبة: غير ثابت، انظر: الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع، ويليه أسئلة من خط الشيخ العسقلاني، لابن حجر العسقلاني، تحقيق أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ص ٩٨.

(٥) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٣٤-٣٥.

(٦) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ٢٩.

كما أشـــار إلى مرحلة البرزخ بقوله: "نجد في الإســـلام وصـــفاً لما يحدث ما بين الموت ويوم البعث، منها تصـــور وجود مملكة متوســـطة -برزخ- وبما أن الأموات هم خارج الزمان والمكان فإنهم جميعاً طالما هم أموات سيكون لهم الشعور نفسه فور موتهم ومثولهم بين يدي الخالق، حيث يعطى كل منهم كتابه الذي سجلت فيه كل أفعاله"(١).

ذكر بعض علامات الساعة

جعل الله لقرب الساعة أمارات وعلامات صغرى وكبرى، فمن أبرز العلامات الصغرى: التطاول في البنيان، "فالقرآن ينص على وجه التحديد أنه ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الإسراء: ٥٨]. ويمكن أن يفترض أنه سيسبق كل ذلك جنون من العمران؛ لأنه عندما سُئِل الرسول صلى الله عليه وسلم عن العلامات التي ستنذر بقرب قدوم الأيام الأخيرة ذكر على وجه الخصوص الارتفاعات الشاهقة للمباني التي سيبنيها الإنسان(٢)"(٣).

كذلك من علامات الساعة الصغرى رفع العلم وفشو الجهل وشرب الخمر وظهور الزنا، "ولقد حذر النبي صـلى الله عليه وسـلم أن كل جيل سـيكون أقل تمسـكاً بعقيدته من الجيل الذي سـبقه، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لن يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم))(٤)وسيكون من قرب علامات الســاعة حدوث مثل هذه الظواهر التي جاءت في أحاديث كثيرة منها قوله: ((إن من أشـراط السـاعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشـرب الخمر، ويظهر الزنا))(٥) وسـينقسـم المسـلمون على أنفســـهم، ويتشـــرذمون في مجموعات تفوق فرقة اليهود والمســـيحيين، كما جاء في الحديث: ((افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة(٦)))(٧).

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٥٦.

(٢) لعل المؤلف يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم عن أشراط الساعة ((وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)) (٣٧/١).

(٣) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٢، ص٩٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، (٢٥٩١/٦) ح (٦٦٥٧) من حديث الزبير بن عدي.

(٥) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ٢٧/١ ح (٨٠).

(٦) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة، (١٩٧/٤) ح (٤٥٩٦) قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(٧) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٠.

ومن أبرز العلامات الكبرى: خروج يأجوج ومأجوج وكذلك خروج المهدي؛ حيث "تسيطر قوى الشر على الأرض وتخرج يأجوج ومأجوج، ولكن سيأتي المهدي المنتظر الذي يقهر أعداء الله، ويُعد الأرض لاستقبال المسيح ابن مريم، وينشر الاثنان رسالة محمد، ويسود الحق والعدل، وقد يختلف الفقهاء في أحداث ما قبل القيامة؛ ولكنهم يتفقون على انتصار الإسلام في النهاية، كما يؤمنون بيوم الحساب يتحقق فيه ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [سورة الفاتحة: ٤]. ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝١٦﴾ [سورة غافر: ١٦]. والله أعلم"[١].

ومما يستدل به على هاتين العلامتين ما رواه "أبو سعيد قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: ((المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا، ويملك سبع سنين))[٢] أخرجه أبو داود والحاكم وهو حسن لشواهده، ولكن عند اقتراب نهاية حكمه أو بعده يتوقع الإسلام قدوم المسيح الدجال، ويقال: إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد ذكر أن كثيرين قد تنبأوا بقدوم أعظم الشرور؛ ولكنه هو كان الأول في كشف علامة جسدية واضحة يمكن التعرف عليه منها، سيكون رجلاً أعمى في عينه اليمنى، أطفئت بها كل الأنوار، حتى لو كانت عنبة كما هو الحال في المسيحية، في الإسلام يعتقد أيضًا أنه سيشيع الفساد، وبقوّته في عمل العجائب سيكسب كثيرين لصالحه، ومع ذلك سيتم مقاومته، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال))[٣] وكان يعني بذلك أن فترة وجوده متضمنة، كما يظهر فيما قاله عن مقاومة المسيح الدجال؛ ((عندما يتعجلون للقتال، حتى عندما يضبطون خطوطهم للصلاة عندما يؤذن لها، سينزل المسيح ابن مريم وسيقودهم في الصلاة، وعندما يرى عدو الله المسيح سيذوب مثل الملح في الماء إذا ترك لحاله سيذوب حتى يفنى، ولكن الله سيذبحه على يد المسيح الذي سيريهم دمه على رمحه[٤]))[٥].

كما "تروي السنة ظهور المسيح الدجال قبل قيام الساعة، فيفتن الناس بمعجزاته الزائفة، ويتبعه كثيرون، فيرتكبون كل أنواع الشرور والفساد ويُرَّدون للوثنية".

---

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٧٦-١٧٧.

(٢) سنن أبي داود، كتاب المهدي، (١٠٧/٤) ح (٤٢٨٥) قال الشيخ الألباني: حسن.

(٣) سنن أبي داود، أول كتاب الجهاد، باب في دوام الجهاد، (٤/٣) ح (٢٤٨٤) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم، (٢٢٢١/٤) ح (٢٨٩٧).

(٥) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص٩٤.

وهنا لا نسميها معجزة وإنما هي فتنة؛ لأن المعجزات لا تطلق إلا ما هو متعلق بالأنبياء.

ومن علامات الساعة الكبرى النفخ في الصور؛ حيث "يتحدث القرآن الكريم أيضاً عن نهاية الكون بقوة ككارثة كونية، عندما تحين الساعة على حين غرّة وينفخ في الصور لليوم الآخر: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة المزمل: ١٧]"[١].

الإيمان بالجنة ونعيمها وبالنار وجحيمها

يجب الإيمان بأن الجنة والنار حق لا شك فيهما، "قال رسول الله: ((خلق الله الجنة لمن أطاعه، ولو كان عبدًا حبشيًا، وخلق النار لمن عصاه، ولو كان شريفًا قرشيًّا[٢]))[٣]، كما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الجنة أثناء سرده لقصة بيعة العقبة الأولى: "ثم التفتنا إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- قائلين: ((تكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتلا رسول الله القرآن وذكر أسس الإسلام، ثم أضاف: أبايعكم على أن تمنعوني وأتباعي مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، فبايعناه في تحمس عام قائلين: ونحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابر، وقبيل البيعة وأخذ العهد، قام العباس بن عبادة، وقال: يا معشر الأوس والخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأسود والأحمر من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا، أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله، إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال، وقتل الأشراف فخذوا، فهو والله خير الدنيا والآخرة، فأجابوا في غير تردد: إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف طالما أن ذلك لمصلحة الإسلام، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: الجنة))[٤]، وأنتم فيها خالدون ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرعد: ٢٢-٢٤]. ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٥٤.

(٢) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، معناه أن من قصر في الأعمال الصالحة اتكالاً على أنه ابن الحسين مثلاً لا يلحقه نسبه إلى الحسين بدرجة العاملين، فقد وعد الله عز وجل الطائع بالجنة وإن كان عبداً حبشياً، وأوعد العاصي بالنار وإن كان شريفاً قرشياً (إن أكرمكم عند الله أتقاكم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية (١٤/٢٠١).

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٤٣.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث كعب بن مالك الأنصاري رضى الله تعالى عنه، (٣/٤٦٠) ح (١٥٨٣٦) تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث قوي وهذا إسناد حسن، وأخبار مكة للفاكهي (٣/ ٣٩٥).

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥]. ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الواقعة: ٢٢-٢٥]. فلما سمع المؤمنون بما لا يخطر على قلب بشر من نعيم الجنة -هذا النعيم الذي أعلنه الرسول- صلى الله عليه وسلم- في الصورة الوحيدة التي هي في متناول العقل الإنساني العاجز الضعيف- أحسوا بالأمل يدب في أرواحهم"(١).

فالجنة دار أولياء الله المتقين، والنار دار أعداء الله الكافرين، فقد "أخبرنا بأن نعتقد أن الله سيكافئنا بأعظم المسرات في العالم الأخير، ونحن نعلم بأن أعظم وأنقى سرور لنا في هذه الحياة الدنيا يتصل بالنساء-أمهاتنا وزوجاتنا- لذا من الحكمة والعقل أن نعتقد أن المسرات السماوية ستأتي في شكل يجسم لنا تلك المسرات التي اختبرناها من قبل والتي نعترف بأنها أعظم لذة عجيبة ترى وتوجد في الجسم البشري، ليس المقصود بذلك حالة غليمية كما يجتهد أن يفعل المتهتكون المبتذلون؛ بل شكر واعتراف واستحسان لنعيم ترضاه العقول والنفوس والأجسام التقية تقوى صحيحة، ومسرات من تلك المسرات العظيمة التي سترقي وتحسن في الآخرة بطرق يعلمها الله فقط وتتعدى ذهن الإنسان"(٢).

والآيات الدالة على إثبات الجنة والنار كثيرة، "فقد امتلأ القرآن الكريم بأوصاف مجازية(٣) كثيرة عن الجنة والنار والجحيم، كما أضاف رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان بالأمور الأخروية التي تتعلق بالآخرة ما رآه صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء إلى بيت المقدس، والمعراج إلى السماء(٤)، "ويذكر القرآن الكريم، بكل تفصيل، ما لاعينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت: المكافأة بالسعادة الأبدية في الجنّة، والعقاب الأبدي في جهنم؛ حيث: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة طه: ٧٤](٥)، ومن أوصاف الجنة وعد المؤمنين بالحور العين والحسان، بحيث يمكن الانطلاق من فرضية أن للنساء في الجنة الفرص نفسها من النعيم المتاح للرجال"(٦).

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٦٤-١٦٦.

(٢) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٨٣-٨٤.

(٣) أوصاف حقيقية وليست مجازية.

(٤) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص١٨٥.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٦٢-٦٣.

(٦) المرجع السابق، ص٥٧.

من خلال ما مضى يتضح رأي المستشرقين الذين أسلموا في تأكيد وجوب الإيمان باليوم الآخر وأهميته في حياة المسلم، واستدلوا على ذلك من كتاب الله عز وجل ومن السنة النبوية، وهم بذلك متفقون مع أهل السنة والجماعة في إقرارهم بهذا الركن، وتنوعت كتاباتهم في ذبك بين من ذكر الموت والبرزخ والحساب والمحشر والبعث والنشور، وما يكون هناك من الجزاء والحساب، والبعض منهم تحدث عن علامات الساعة الصغرى مثل رفع العلم وثبوت الجهل وشرب الخمر وظهور الزنا وخروج المهدي، وكذلك ذكر بعض علامات الساعة الكبرى مثل نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وخروج الدجال ويأجوج مأجوج، والبعض منهم ذكر الجنة والنار ونعيم الآخرة، وممن تحدث في ذلك: اتيين دينيه ولورد هدلي وعبد الواحد يحيى وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان.

المطلب السادس: جهودهم في الدفاع عن الركن السادس (الإيمان بالقدر خيره وشره).

القَدرُ هو: "ما يقدره الله عزوجل من القضاء[1]"، "ويحكم به من الأمور، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [سورة القدر: ١]. أي الحكم أو التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى"[2].

"فالإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى: هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر هو بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلاً قبل إيجادها ثم أوجدها بقدرته ومشيئته على وِفْقِ ما علمه منها، وأنه كتبها في اللوح المحفوظ قبل إحداثها"[3].

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثباته وتقريره، فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [سورة القمر: ٤٩]. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [سورة الأحزاب: ٣٨]. وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [سورة الفرقان: ٢]"[4].

فمن مقتضى الإيمان بالقدر أن يؤمن الإنسان بأن الله تعالى هو الذي يقدر الخير والشر للإنسان، وأن كل ما في الوجود بيد الله تعالى، وأن الموت والحياة بيد الله تعالى وكل شيء عند الله تعالى بمقدار، قال تعالى في سورة القمر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [سورة القمر: ٤٩].

وحينما تتبع أقوال الفرق في مسألة القدر تجد لغطاً كبيراً، فقد افترقوا إلى عدة مذاهب، ولأهمية هذا الموضوع تجد للمستشرقين الذين أسلموا كتابات مشرقة ومقالات بارزة يحسن تتبعها وإيرادها.

أهمية الإيمان بقضاء الله وقدره

الإيمان بالقدر هو الأصل السادس من أصول الإيمان، ويجب الإيمان بقدر الله خيره وشره؛ لأن "عقيدة القضاء والقدر لا تتعارض مع الجهاد الصحيح في سبيل التقدم، وأن هناك من المسلمين من يسيئون فهم التوكل، والقضاء والقدر في الإسلام أقل خطورة منه في المسيحية لو اتبع المسيحيون حرفية تعاليم الإنجيل الذي يقول: "ولذا أقولها لكم: لا يقلقنكم أن تبحثوا عن الجهة التي تجدون فيها ما

---

(١) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ، ج٢ ص٧٨٦.

(٢) أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ، ج١، ص٤.

(٣) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، ص٩.

(٤) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص٢٤٤.

تأكلون وما تشربون لاستبقاء حياتكم، ولا الجهة التي تجدون فيها الثياب لكساء أجسادكم" [إنجيل متى: ٥/ ١٨][(١)].

وقدر الله وقضـــاؤه له حكم وأســـرار لا ســـبيل للخلق إلى معرفتها؛ لأجل هذا كيف لنا أن "نقول: إن عقيدة القضاء والقدر تَشُل كل عمل عند المسلمين، والرسول صلى الله عليه وسلم كان أنشــط الناس وأكثرهم مثابرة وجهاداً، والإســلام هو الدين الوحيد الذي جاء عقب نشــأته مباشــرة بالفتوح الواسعة، وأن كلمة إسلام تعني الرضى بأوامر الله بما لا يمكن لأي قوة إنسانية أن تحول دونه، وليس في الأمور التي يمكن أن يحصل فيه تغيير، وإن هذه العقيدة في الإسلام هي مصدر قوة وليست مصدر ضعف"[(٢)].

ويستدل على ذلك من القرآن الكريم "قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلّٞ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾﴾ [سورة النساء: ٧٨]. وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾﴾ [سورة النساء: ٧٩]. فإن الآيتين السابقتين حول القدر وحرية الإرادة قد تبدوان متعارضتين في أول وهلة؛ لكنهما ليستا كذلك؛ لأنهما تشيران إلى نكسة المسلمين في القتال حيث قتل بعضهم، فصار هناك تشويش لدى البعض فنزلت الآيات وأزالت الإشكال؛ لأن الموت لا يسيطر عليه أحد وسيصيب كل أحد عاجلاً أم آجلاً، وكل إنسان مسير تحت أقدار الله، والرسول صلى الله عليه وسلم بشر يجري عليه ما يجري على غيره في الآجال المحددة عند الله؛ أما الهزيمة التي حصلت للمسلمين، فكانت بسبب مخالفة بعض المسلمين لأوامر الله ورسوله، في حين أن النصر كان حليفهم في بداية القتال عندما كانوا مطيعين الله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾﴾ [سورة النساء: ٧٩]. وذلك بسبب عصيان لأوامر الله، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يغير من أقدار الله وآجاله شيئا"[(٣)].

ولا شـك أن تقدير الله في المخلوقات يتضـمن خيراً وشـراً وفق ما يرونه هم، فلا مجال للعبد إلا الرضـا والتسـليم؛ لأن "اتباع الرسـول أولاً: أن تقبل كل ما في القرآن وتعمل به، ثانيًا: تمتثل لتعاليم

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص٣٤٩-٣٥٠.

(٣) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام ص١١٦-١١٧.

الرجل الذي نقل لنا الوحي الإلهي: محمد وتتخذه أسوة، أن تكون مسلمًا يعني أن تسلم لمشيئة الله ليس أكثر من ذلك"[1]، "فيؤمن المسلمون بالقدر خيره وشره، ويسلمون لله راضين بقضائه[2].

بخلاف الرجل التائه في الغرب الذي لا يعترف بمشيئة الله، "فيقف الرجل العلماني العصري- على نقيض المسلم الذي يُسلم لمشيئة الله- غير قادر على أن يخضع نفسه، غير قادر على العبادة، غارق في فيضان الإمكانيات التي أطلقتها الحضارة الكمية، والتي تقدم له كل شيء عدا ما لا يُستغنى عنه، والتي تمهل ما يُعطي معنى للحياة، فيعيش في حالة عدم رضا لا يجد لها علاجًا شافيًا رغم ما تحت تصرفه من موارد عديدة متنوعة بطريقة غير مسبوقة، زاد عجزه عن العلاج من حالة التمرد عنده على الأحوال الحاضرة، وبالذات ضد بقايا الأديان وبالتالي على الله، وبهذا أصبح الإنسان الثائر شعار القرن"[3].

ولا يصح إيمان العبد إلا بإيمانه بالقدر خيره وشره، "فليس المقصود من هذه الحياة أن تكون نزهة؛ بل هي أقسى امتحان تتحقق نتائجه في الحياة الأخرى، وعلى ذلك فالشدائد والمصائب التي نقاسيها في هذه الحياة ليست نهائية؛ بل هي اختبارات لأصالة إيمان الفرد وقوته، وذلك كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة البقرة: ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١٤][4].

فكل شيء في هذا الكون يحدث بقضاء الله وقدره، "فالموت والحياة يحدثان بقضاء الله، فالإسلام يعتبر الانتحار من أقبح الذنوب؛ لأن القضاء على الحياة الشخصية يدل على الفقدان التام للإيمان بالله واليوم الآخر"[5].

وقد قدر الله عز وجل جميع الأشياء في الأزل، وكتب ذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، "فقدر كل إنسان مدون في كتاب كبير على غرار القرآن (اللوح المحفوظ)، وسواء

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٩.

(٢) المرجع السابق، ص١١١.

(٣) المرجع السابق، ص٢١.

(٤) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٥٠.

(٥) المرجع السابق، ص٤٩.

أكان مقسوماً أم مكتوباً؛ فإن كل المسلمين على اقتناع بأنه ما من شيء يقع دون معرفة أو علم سابق من الله العليم بكل شيء، ويقر كثير من المسيحيين أيضاً بذلك؛ ولكنهم لا يحبون مع ذلك أن يعترفوا بالنتيجة الحتمية التي لا بد من أن تترتب عليه، وهي أن ما نفترض أنها إرادة حرة لا يمكن إلا بصعوبة وصفها بأنها حرة، وأنا أعرف أن كثيرين من الفلاسفة المسلمين فكروا كثيراً في القدر وحرية الإرادة (أي ما إذا كان الإنسان مخيراً أم مسيراً)، ومن ثم فليس هناك من حرج في أن نقر بعجزنا عن إدراك الكيفية التي يثيب الله العادل أو يعاقب بها الناس على أفعالهم التي كان بمقدور الله العليم الرحيم القادر أن يمنعها"[1].

الرد على مذهب الجبرية

من الأمور التي حدثت في الأمة الاختلاف في مسألة القدر، فزعمت الجبرية بأن العبد مجبر على أفعاله ولا اختيار له، وأن الفاعل الحقيقي هو الله، "والجبر ليس من الإسلام في شيء، ولا يصلح أن يقال: إن سبب انحطاط المسلمين هو عقيدة القضاء والقدر؛ لأن المسلمين الأوائل قاموا بأعمال وحققوا نجاحات باهرة، وهم متمسكين بالدين بحذافيره، وسبب انحطاط المسلمين هو الابتعاد عن مبادئ الدين، وأن الإنسان لديه حرية الإرادة كما هو مذكور في القرآن، لكن سيطرة الله شاملة لا يستطيع أحد الخروج عن قانون المآلات، وحرية الإرادة هي التي هزت العالم المسيحي كما هز العالم الإسلامي في فترات من التاريخ"[2].

كما يزعم الجبرية أن العبد مسير لا خيار له أبداً، "وبذلك لا يحق له الاعتذار بالجهل، فمسؤوليته قائمة، تصور الآية القرآنية ذلك ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢] هذا يعني أن الله أودع في كل نفس بشرية الإيمان، فهي مولودة مهيأة للإسلام؛ ولكن أيضًا لها الاختيار الهائل بين اللجوء لله أو نقض الميثاق والانحلال في الأوهام، وينسب الغربيون جبرية مزعومة على الإسلام، وكثيراً ما يدعون بانعدام حرية الإرادة فيه، فعلى العكس يتعلق بحرية الإرادة في الإسلام – والاختيار بين التسليم لله أو عصيانه– مسؤولية المرء عن أفعاله، وقد تعرض الإشكال الظاهري بين حرية الإرادة والقدر لدراسات فكرية موسعة والتي كثيراً ما تشير إلى النص القرآني ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [سورة

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٠٣.

(٢) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام، ص١١٥، ١٨٨.

الإنسان: ٢٩-٣٠]. يرى المسلم حل هذه المشكلة في قبول إرادة الله، وهذا يلائم المفهوم الرئيسي للإسلام، ويزول هذا التعارض إذا عرفنا حرية الإنسان بأنها مشاركة محدودة في الحرية المطلقة اللامحدودة لله، وعلى أي الأحوال لا ينكر أحد ممارسته الاختيار بين الامتثال أو الرفض للمشيئة الإلهية، وتمثل حرية الاختيار التي أنعم الله بها على الإنسان-والتي هي جزء من مشيئة الله- تعبيراً عن الوضع المحوري للإنسان في الحياة الدنيا، كخليفة الله على الأرض"(١).

ويكفي دليلاً للرد على الجبرية وبطلان قولهم قصة آدم وخروجه من الجنة؛ حيث "تمثل قصة خروج آدم وحواء من الجنة تلك الحرية في الاختيار ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [سورة الأعراف: ١٩]. وبالطبع كان عدم احترام النهي الإلهي ممارسة لحرية الاختيار الممنوحة من الله؛ ولكن الله طوق حرية الاختيار بجعل عصيانه يُضيق الخناق على العاصي، ويجعله أكثر اعتمادًا على قيود الوجود، وأكثر تعرضًا للعالم المادي ومحن الحالة الأرضية ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤﴾ [سورة الأعراف: ٢٤]. وندم آدم ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [سورة البقرة: ٣٧]. وقبل الله ندم آدم وتوبته، ومنحه طريق الهداية ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾ [سورة البقرة: ٣٨]"(٢).

"والجبر في الإسلام على سبيل المثال فرية كانت شائعة في الغرب المسيحي عن الإسلام، قامت الوثيقة بإعادة النظر فيه واستعانت بذكر آيات قرآنية موجودة في نصوص القرآن تعارض فكرة أن الإنسان مجبر ومكره في كل تصرفاته، وتفيد مسؤولية الإنسان النابعة من حرية اختياره لأفعاله مما يسوغ ويبرر محاسبة الإنسان عن أعماله ومعتقداته"(٣).

"ولا يجوز للمسلم أن يكون قدرياً أو سلبياً، وإلى أنه ينبغي عليه أن يسعى جاهداً من أجل الخير في هذا العالم، وهذا السعي هو أولى وأرقى معاني كلمة (جهاد) التي يهوى بعض أدعياء الاستشراق ترجمتها إلى (حرب مقدسة)!(٤).

فالإيمان بقضاء الله وقدره مفتاح سعادة العبد، "ولا يعني هذا أن المسلم قدري فيما يختص بالمستقبل أو أنه يجوز له أن يتواكل في أمر من أموره؛ بل ينبغي عليه النقيض من ذلك؛ أن يكون

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٣٨-٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص٣٨-٣٩.

(٣) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٥٨.

(٤) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١١٥.

عضواً نشطاً في جماعة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤]. وكذا: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١١٤]. فهل هذه دعوة إلى القدرية؟!، ولقد فسر رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم هذا الأمر في صيغة بسيطة بقوله: ((اعقلها وتوكل))[(١)]، أي أن على المرء أن يعقل ناقته وأن يترك ما بقي لله، ولقد تسلحت بهذا اليقين حينما كنت بالجزائر دون أن أتوهم لحظة واحدة أنني أستطيع بمسدس أن أطيل حياتي ولو ثانية واحدة إذا حان أجلي وكنت دائماً شديد الاقتناع بأن الرصاصة التي لم تصبني لم تكن تمثل خطراً بالنسبة لي أياً كانت درجة قربها مني"[(٢)].

والعبد يرجو ما عند الله من الثواب والخير العميم نظير صبره وإيمانه بقدره، "فالمسلم يثق في أن الله سيجزيه خيراً على أفعاله الخيرة، ليس لأن الله مجبر على ذلك، ولكن لأن الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، هكذا كتب على نفسه الرحمة، والمسلم يخشى عقاب الله على ما اقترف من المعاصي؛ ولكنه يعلم أنه يرجو عفو الله ومغفرته، لا يقنط من رحمته؛ لأن المسلم يعرف أن كل شيء بين إصبعي الرحمن، الذي ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٨٨]. فإنه يستهل أعماله وأقواله بذكر الله، وعلى بركة الله منادياً ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ [سورة الفاتحة: ١]. فإذا آنس خيراً فإنه يقرنه بالمشيئة (إن شاء الله)، فإذا قرت عينه لنجاح أو فلاح أرجعه إلى الله منادياً (ما شاء الله)، وهو في كل ذلك واثق من رحمة الله التي تسعه إلى أن يأذن الله له بلقائه: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة يونس:٤][(٣)].

ولا بد للعبد أن يعتقد أن المسبب للأشياء هو الله جل وعلا، وأنه محيط بكل شيء، فالعبد قاصر عن إدراك ذلك، "فإن الإيمان شيء والجبرية أو الإيمان بالقضاء والقدر شيء آخر، ويجب أن يكون المسلم مدركاً للحقيقة المعروفة وهي أن الله مسبب كل الأمور، وأنه السبب الأول في مجريات

---

(١) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٦٦٨/٤) ح (٢٥١٧) قال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١١٢.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٠١-١٠٢.

الأمور والحوادث كلها... ويجب على المرء أن يصلي صلاة مودِّعٍ لهذه الحياة، إلا أنه يجب عليه أيضاً أن يخطط ويعمل وكأنه سيعيش خمسين سنة أخرى"[١].

فيما مضى تجد أن اتيين دينيه ومارمادوك بكثول وروجيه دوباسكويه وموريس بوكاي ومريم جميلة ومراد هوفمان تحدثوا عن أهمية الإيمان بالقدر، ويرون وجوب الإيمان به، وهم بذلك اتفقوا مع منهج أهل السنة والجماعة، وذكر بعضهم مراد الشرع من ذلك ومفهومه، وأنه لا ينافي التوكل على الله، وردوا على الجبرية فيما ذهبوا إليه من أقوال واعتقادات باطلة.

وفي نهاية هذا المبحث لا بد من الإشارة إلى أمر مهم وهو أن المستشرقين بالجملة يعتقدون بوجوب الإيمان بالأركان الستة والإقرار بها، فهم بذلك وافقوا أهل السنة والجماعة في الإيمان بأركان الإيمان الستة، وأن من أخل ركناً من أركانه فقد أنكر أصلًا من أصول الإيمان، وهو كافر دون شك، ولم ينفعه إيمانه في بقية أركان الإيمان، فالإيمان أن يؤمن الإنسان بكلِّ الأركان جملة وتفصيلًا، وإنكار أي ركن من الأركان الستة، هو إنكار لما جاء في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

---

(١) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٦٣.

الفصل الرابع

جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن السيرة النبوية

وتحته ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في بيان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل النبوة
- المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في بيان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد النبوة
- المبحث الثالث: جهود من أسلم من المستشرقين في رد الشبهات المثارة حول الرسول صلى الله عليه وسلم

الفصل الرابع: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن السيرة النبوية.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في بيان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل النبوة.

السيرة لغة: تطلق على عدة معانٍ: فالسيرة السنة[١].

والسيرة: الطريقة، يُقال: سار بهم سيرةً حسنةً. والسيرة: الهيئة، وفي التنزيل: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١﴾ [سورة طه: ٢١]. والسيرة: الضرب من السَّيْر[٢].

والسيرة النبوية اصطلاحًا: هي الترجمة المأثورة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم[٣].

أو هي: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[٤].

وهذا التعريف ذكره المحدِّثون للسُّنَّة، وهو تعريف للسيرة أيضًا؛ لأنّ من معاني السيرة في اللغة: السنة، ولأنّ التعريف اشتمل على ذكر حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلها قبل البعثة؛ أي: من ولادته وبعدها حتى وفاته.

وإذا قيل: السيرة النبوية، فإنما يراد بها سيرة نبي الله ورسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، والتي تشتمل على ذكر أدق التفاصيل عن حياته صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية والمدنية، وعلى هذا درج المؤلفون عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم بتسمية مؤلفاتهم بالسيرة النبوية؛ كالسيرة النبوية لابن إسحاق، وتهذيبها لابن هشام، والسيرة النبوية لابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، والسيرة النبوية لعبدالغني المقدسي (ت٦٠٠هـ)، والسيرة النبوية لابن عساكر (ت٥٧١هـ)، المطبوعة ضمن تاريخه الشهير بتاريخ ابن عساكر وغيرها[٥].

---

(١) لسان العرب، مادة: (سير).

(٢) لسان العرب، مادة: (سير)، والقاموس المحيط، مادة: (سير).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (١٥٢/٢).

(٤) قواعد التحديث: للقاسمي، ص ٣٥-٣٨.

(٥) رياض بن حمد بن عبد الله العُمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم، جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط-١، ص٤٠٤-٤٠٥.

ولقد أولى المسلمون السيرة النبوية اهتماماً كبيراً، وحرصوا على معرفة كل صغيرةٍ وكبيرةٍ في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، ومعرفة تفاصيل سيرته صلى الله عليه وسلم حتى يمكن الاقتداء به في جميع شئون الحياة، ولقد توفر لسيرته صلى الله عليه وسلم من الحفظ والصون ما لم يتهيأ لبشر من قبله ولن يتوفر لكائن من كان من بعده صلى الله عليه وسلم، وقاموا بتأليف كتب متخصصة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما ألفه بعض المستشرقين الذين أسلموا في هذا الباب وكتبوا كتابات متخصصة؛ مما يحسن إبرازها ويتطلب دراستها؛ لنضيء مصباحًا جديدًا حول أهمية السيرة يسترشد بها المتشككون ويستأنس بها التائهون.

وحينما يتحدث الباحث عن كتابات المستشرقين الذين أسلموا في السيرة النبوية كمؤلفات مستقلة يتبادر إلى الذهن مؤلفان مهمان وهما: كتاب (محمد رسول الله) للمستشرق اتيين دينيه والذي اشترك فيه مع أحد الباحثين الجزائريين وهو سليمان بن إبراهيم، وكتاب (محمد رسول الله وحياته) لمارتن لينجز، وسيأتي استشهادات كثيرة لهما أثناء عرض سيرته صلى الله عليه وسلم والتركيز عليهما لتخصصهما في هذا الباب، بالإضافة إلى استشهادات أخرى متفرقة من كتب المستشرقين الآخرين، ولنبدأ في تعريف الكتابين وأهم ما ورد فيهما من مواقف وأحداث في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

أولاً: **كتاب (محمد رسول الله)** للمؤلف اتيين دينيه.

تعريف بالكتاب:

هذا المؤلف من المؤلفات المتخصصة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ حيث ألفه بالاشتراك مع سليمان بن إبراهيم باعمر؛ وقد ألفاه سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، وقام بتعريبه الدكتور عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود، ويقع هذا الكتاب في (٣٦٨) صفحة من الحجم المتوسط.

وتحدث دينيه في مقدمته عن حدود دراسته ومصادره فقال: "إن حدود هذا السفر لن تسمح لنا بأن نقدم جميع التفاصيل، وجميع النواحي، لحياة حافلة بالعظائم إلى هذا الحد، كما هو الشأن في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولذا نجد لزامًا علينا أن نتخير للعرض أهم الحوادث لكي نعطيها العناية التي نراها ضرورية. وإذن فعملنا هذا إنما هو سلسلة من اللوحات التصويرية، وليس تاريخًا كاملاً نقدمه للقراء. وقد اعتمدنا في استمداد عناصرها على أقدم المؤلفين: كابن هشام، وابن

سعد، وسواهما؛ ثم على مؤرخ من المحدثين هو: (علي بن برهان الحلبي)، الذي حشد في كتابه المسمى (السيرة الحلبية) مختلف الروايات لأشهر المؤرخين"[١].

محتوى الكتاب:

يحتوي الكتاب على سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من ولادته وحتى وفاته، وسرد المؤلف معظم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب.

القيمة العلمية للكتاب:

تكمن القيمة العلمية لهذا الكتاب في تخصيصه من قبل مؤلفه لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ حيث من الندرة أن تجد كتاباً كاملاً مخصصاً سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبخاصة من قِبل المستشرقين الذين أسلموا، وله قيمة علمية كبيرة لاعتماد المؤلف على مراجع أصيلة كسيرة ابن هشام وابن سعد، وكان هدف المؤلف من تأليفه بيان الصورة الصحيحة لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم المضادة؛ لما كان يفعله المستشرقون في تشويه سيرته صلى الله عليه وسلم بالافتراءات والضلالات.

لغة الكتاب:

كتبه باللغة الفرنسية مع صديقه الجزائري الحميم السيد الفاضل سليمان بن إبراهيم، وزينه بالصور الملونة البديعة الكثيرة المتعددة بريشته الخاصة يمثل فيها المناظر الإسلامية في بلاد الجزائر ومعالم الدين فيها، وطبعه طباعة غاية في الإتقان والعناية، وقدمه لأرواح الجنود الشهداء الذين استشهدوا في الحرب الكبرى وهي تحارب ضد الاحتلال الفرنسي، وكذلك نشره باللغة الإنجليزية بنفس الحجم الكبير والإتقان التام، وتحلى الكتاب بمختلف أنواع اللوحات الزخرفية الملونة ذات الأشكال العربية، غاية في الدقة والإبداع، وهي اللوحات التي قام بعملها خاصة السيد محمد راسم الجزائري أشهر رجال الزخرفة العربية ببلاد الجزائر[٢].

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص ٥٣.

(٢) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ٤١.

وقسم المؤلفان الكتاب إلى عشرة فصول:

الفصل الأول: الأذان، أداء الصلاة، أوقات الصلاة، وصف مكة، الكعبة والحجر الأسود، عين زمزم، زواج عبد الله بن عبد المطلب (والد النبي صلى الله عليه وسلم).

الفصل الثاني: مولده صلى الله عليه وسلم وحادثة الملكين في صباه، ومحمد والراهب، وبنيان الكعبة ووضع الحجر الأسود.

الفصل الثالث: عزلة محمد، محمد لم يؤلف القرآن، الرؤيا الصادقة، الوحي، المسلمون الأُوَل، والجهر بالدعوة، القيامة، إسلام حمزة ومعجزة القرآن.

الفصل الرابع: الهجرة، إسلام عمر بن الخطاب، حصار بني هاشم إلى الشعب، أكل الأرضة الصحيفة، وفاة أبي طالب وخديجة، خروج الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى الطائف، الإسراء والمعراج، بيعتا العقبة الأولى والثانية.

الفصل الخامس: هجرة الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، قصة سراقة، وصول الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى قباء، الرسول يصل إلى يثرب، صوم رمضان، الزكاة وتحريم الخمر، زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة، غزوة بدر.

الفصل السادس: زواج علي رضي الله عنه، زواج الرسول-صلى الله عليه وسلم- بحفصة وبأم المساكين، معركة أحد، زواج محمد صلى الله عليه وسلم بزينب، غزوة ذات الرقاع وبني المصطلق والخندق ومعاهدة الحديبية.

الفصل السابع: غزوة بني قينقاع ويهود بني النضير وبني قريظة وخيبر وعمرة القضاء وغزوة مؤتة وفتح مكة وغزوة حنين.

الفصل الثامن: خبر الإفك وغزوة تبوك، بلاد ثمود، حجة الوداع.

الفصل التاسع: مرض النبي صلى الله عليه وسلم وموته ومبايعة أبي بكر.

الفصل العاشر: أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا، أثر الأخلاق الإسلامية، مستقبل الإسلام.

خاتمة: الإسلام والعصر الحديث، المسلمون ومساعدة فرنسا، تطلع أوروبا إلى الروحانية، من مميزات الإسلام[1].

ثانياً: **كتاب (محمد رسول الله وحياته)** حسب المصادر الأولى (القديمة) لمارتن لينجز.

هذا المؤلَّف مختص بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ حيث أصدر المؤلف كتابه ورائعته البليغة (محمد رسول الله وحياته) اعتمادًا على أقدم المراجع، وذلك عام ١٩٨٣م[2].

محتوى الكتاب:

هذا الكتاب يحتوي على مختصر لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ولادته وحتى وفاته، وذكر المؤلف أغلب أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وعدد صفحات الكتاب (٣٥٩) صفحة، والكتاب باللغة الإنجليزية، وتُرجم إلى عدة لغات[3].

القيمة العلمية للكتاب:

تتضح القيمة العلمية وأهمية هذا الكتاب من خلال عنوانه، فالكتاب متخصص في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقل ما تجد لدى المستشرقين الذين أسلموا كتاباً متخصصاً في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم معتمداً على المراجع الأصيلة، وخير دليل على قيمته وأهميته نيله لجائزة الرئيس الباكستاني، ونالت أعماله حول النبي صلى الله عليه وسلم باللغة الإنجليزية تقدير المؤتمر الوطني للسيرة النبوية بإسلام أباد في عام ١٩٨٣م[4].

أبرز موضوعات الكتاب:

- بيت الله وقريش ونذر عبد المطلب بذبح ابنه عبد الله.
- عام الفيل
- مولد الرسول-صلى الله عليه وسلم- وقصة بحيرا الراهب
- شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) استقصاء من الباحث من خلال الاطلاع على الكتاب.

(٢) راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص٢٥٩.

(٣) ترجم الباحث بعض الشواهد من هذا الكتاب ممن له دراية واسعة باللغة الإنجليزية.

(٤) راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ص٢٥٩.

- زواجه من خديجة
- إعادة بناء الكعبة
- الخلوة في الغار ونزول الوحي
- الأوس والخزرج
- أبو جهل وحمزة
- الهجرة إلى الحبشة
- قصة إسلام عمر
- الجنة والخلود
- عام الحزن
- الهجرة إلى المدينة
- معركة بدر
- غزوة بني قينقاع
- معركة أحد
- غزوة بني النضير
- غزوة الخندق
- غزوة بني قريظة
- صلح الحديبية
- غزوة خيبر
- فتح مكة
- معركة حنين وحصار الطائف
- غزوة تبوك
- حجة الوداع
- الخلافة ووفاته والدفن

وخلال الأسطر القادمة يستعرض الباحث أبرز الوقائع التي تناولها المستشرقون الذين أسلموا من عهد ما قبل النبوة عبر هذه النقاط التالية:

- مولده صلى الله عليه وسلم.
- رضاعته صلى الله عليه وسلم.

- طفولته صلى الله عليه وسلم في بني سعد ووفاة أمه.
- سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب
- زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها
- بنيان الكعبة وحادثة الحجر الأسود

١/ مولده صلى الله عليه وسلم:

يقول روجيه دوباسكويه عن ولادة وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم مختصرة: "ولد خاتم النبيين عام ٥٧٠م في مدينة محاطة بصحاري قاسية ومن قبيلة قريش الحاكمة، تيتم في سن مبكرة ورباه عمه الذي نآى كاهله بعائلته، وعمل محمد في قوافل التجارة ليكسب عيشه، وسافر إلى الشام"(١).

ويشير مارتن لينجز إلى ولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيذكر خبر وفاة عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ وهو مازال في بطن أمه السيدة آمنة بنت وهب، وعم الحزن في مكة، ومع اقتراب موعد الولادة وفي يوم من الأيام سمعت صوتاً يقول لها: "إنك قد حملت بسيد الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: إني أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سمّيه محمداً، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بُصْرى من أرض الشام، فلما وضعته أمه ﷺ أرسلتْ إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأْته فانظر إليه، فأتاه فنظر إليه، ثم أخذه فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها"(٢).

ويقول مراد هوفمان في موضع آخر: "وُلد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لعائلة تحظى بالاحترام والتقدير؛ لكنها فقيرة تيتّم في سن مبكرة، فتولّى عمّه رعايته في مكة"(٣).

٢/ رضاعته صلى الله عليه وسلم:

ويتحدث اتيين دينيه عن قصة إرضاع حليمة السعدية لمحمد صلى الله عليه وسلم فيقول: "لنستمع الآن إلى حليمة تفصل قصة الرضاع فتقول: وصلنا أخيرًا إلى مكة، وقد سبقنا إليها النسوة، فأخذن الأطفال، ما عدا محمدًا، كان والد محمد قد مات، وكانت أسرته في يسر قليل رغم مكانتها العليا بين سادة قريش؛ لذلك أبت النسوة احتضانه، وامتنعت أنا وزوجي من أخذه لنفس السبب: أعني اليتم وعدم الثراء، غير أني في النهاية خجلت أن أرجع ولم آخذ رضيعًا فأكون فضلاً عن الفشل موضع السخرية، ثم إني شعرت بعطف متوقد نحو ذلك الطفل البارع الجمال، الذي سيؤذيه هواء البلدة الفاسد، ملأت العاطفة جوانحي، وشعرت يا للمعجزة باللبن يعود إلى ثديي متحفزًا؛ لأن يسيل في فم محمد، فقلت لزوجي: والله إني لأجد رغبة ملتهبة في أن آخذ هذا اليتيم.. الخ"(٤).

---

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥١-٥٢.

(٢) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق، ص٣٠.

(٤) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٨٢.

ويتحدث مارتن لينجز عن إرضاع النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر العادة عند الحاضرين من العرب قديماً أن يلتمسوا المراضع لأولادهم، ابتعاداً لهم عن أمراض الحواضر، وذلك حتى تقوى أجسامهم وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم، ولذلك التمس عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء، فاسترضع له امرأة من بني سعد ابن بكر يقال لها: حليمة ابنة أبي ذؤيب وزوجُها الحارث بنُ عبد العزى من نفس القبيلة.

وينقل مارتن لينجز حديثاً عن حليمة السعدية رضي الله عنها فتقول: "فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ، فإذا قيل: يتيم تركناه وقلنا: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه؟ إنما نرجو المعروف من أب الولد، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا؟ فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعًا غيري، فلم أجد غيره، قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه، فقال: لا عليك، فذهبت فأخذته، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي، فأقبل على ثديي بما شاء من لبن، وشرب أخوه حتى روى، وقام صاحبي إلى شارفي تلك، فإذا بها حافل، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا، فبتنا بخير ليلة، فقال لي صاحبي: يا حليمة، والله إني لأراك أخذت نسمة مباركة... الخ القصة[1].

٣/ طفولته صلى الله عليه وسلم في بني سعد ونشأته ووفاة أمه:

يذكر اتيين دينيه طفولته صلى الله عليه وسلم في بني سعد فيقول: "كان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ تسعة أشهر إلا وكان يتكلم بسحر ولهجة يصلان إلى حبات القلوب، كان بعيدًا عن الأقذار، وكان لا يبكي ولا يصرخ قط، إلا إذا ترك عريانًا فتعرض لأنظار الآخرين؛ أما إذا قلق أثناء الليل ولم ينم فكنت أخرج به من الخيمة، فلا يلبث أن ينظر في إعجاب إلى النجوم، فيستولى عليه السرور، حتى إذا شبعت عيناه من هذا المنظر أطبقهما، وأخذ النوم بمعاقد أجفانه"[2].

ويتحدث مارتن لينجز عن نشأته صلى الله عليه وسلم فيذكر "أنه نشأ ﷺ في أسرةٍ كريمةٍ وعريقة، هي الأسرة الهاشمية التي هيَّأت له أسباب الرعاية، فقد مات أبوه وهو في بطن أمِّه، فتولَّى أمره جدُّه عبد المطلب، فاعتني به أفضل عنايةً ورعاه حقَّ الرعاية، واختار له من المرضعات أكفأهن، فاسترضع له امرأةً من بني بكر وهي حليمة السعدية، فنشأ ﷺ أول حياته في بادية بني سعد أولته

(١) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٢٨.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٨٣.

حليمةُ عنايتها، وحرصت على بقائه عندها حتى بعد إكمال السنتين، وهكذا بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني سعد حتى السنة الرابعة أو الخامسة من مولده، فوقعت له حادثة شق الصدر"(١).

ثم يختم اتيين دينيه بقصة موت آمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "ترعرع محمد تحت رعاية آمنة، أكثر الأمهات حبًّا، وفي ظل عنايتها أخذ يزداد كل يوم جمالاً وحكمة، غير أنه لم ينعم بحنان الأم الذي لا يعوض غير قليل: فقد ماتت أمه فجأة بالأبواء سنة ٥٧٦م عند عودتها من سفر إلى يثرب رافقتها فيه محمد، وكان لآمنة جارية حبشية تدعى أم أيمن، تحب محمدًا وتخلص له الإخلاص التام، اصطحبتها آمنة في السفر، فعادت باليتيم البائس إلى مكة، وكانت هي وخمس من الإبل كل ما له من ميراث"(٢).

٤/ سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام للتجارة

يتحدث اتيين دينيه عن قصة سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام بعد أن ذكر رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم للسفر مع عمه فيقول: "ورق أبو طالب لما أبداه محمد من حب غير متكلف، وأحس برغبة ابن أخيه القوية في مرافقته، فقال: والله لأخرجن به معي، ولا أفارقه ولا يفارقني أبدًا فمسح محمد دموعه، واستولى عليه الفرح، ونشط في استكمال التأهب للسفر، ثم قفز خلف عمه على الناقة"(٣).

ثم ذكر اتيين دينيه قصة الراهب بحيرا وملاحظته لسحابة تظل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بإعداد الطعام حتى استغرب أهل مكة منه متسائلين ما شأنك اليوم؟ ودعا القوم جميعاً وتفقدهم كلهم حتى دعا محمداً الذي كان صغيراً بين القوم فيقول اتيين: "حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرا فقال: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، ولم يرد بحيرا بقسمه عليه باللات والعزى بعد أن سمع القوم يحلفون بهما إلا امتحانه فقال محمد: لا تسألني باللات والعزى شيئًا، فو الله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما.... الخ"(٤).

---

(١) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٣٠-٣١.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٨٧.

(٣) المرجع السابق، ص٨٨-٨٩.

(٤) المرجع السابق، ص٩٠-٩١.

ويقول روجيه دوباسكويه عن سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب: "تيتم في سن مبكرة، ورباه عمه الذي نأى كاهله بعائلته، وعمل محمد في قوافل التجارة ليكسب عيشه وسافر إلى الشام، عرف كل من تعامل معه فضائله وذكائه"[١].

ويذكر مارتن لينجز سفره مع عمه أبي طالب؛ حيث خرج أبو طالب في ركب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل رقّ قلبه لرسول الله ﷺ، فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وصنع لهم طعاماً ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه، قال بحيرا: يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا، قالوا له: يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سناً، قال: ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، ثم أتوا برسول الله ﷺ، ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم، .... الخ[٢].

٥/ زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها:

يذكر اتيين دينيه قصة زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله عنها، وبدأ بالحديث عن حوار خديجة مع ميسرة فيقول: "إن هذا السحاب الذي لاحظْته لم يتخلف قط عن مرافقتنا منذ أن غادرنا مكة إلى أن عدنا إليها، ومنذ أن تركنا بُصرى. وقد عرفني رهبان (حوران) العلماء من هو محمد: فعرفت أن هذا السحاب ليس إلا أجنحة ملكين مكلفين بوقاية سيدي من قيظ الشمس المهلك". ثم قص ميسرة على سيدته كل ما حدث أثناء الطريق من حوادث استدل منها على أن محمدًا شخص قد بارك الله فيه، وأصغت خديجة في انتباه، وكلما سكت خادمها استزادته"[٣].

ثم ذكر اتيين دينيه حوار ميسرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض خديجة رضي الله عنها الزواج من رسول الله حتى قال: "كانت خديجة أول زوجة بنى بها الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وبقيت طيلة حياتها الزوج الوحيدة المحببة التي لا يجد غيرها إلى قلبه سبيلاً، وقد أنجبت له سبعة أولاد، ثلاثة ذكور وهم: القاسم والطاهر والطيب؛ وأربع إناث: رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة، وبعد مولد

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥١-٥٢.

(٢) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٣٢-٣٣.

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٩٦.

القاســـم الذي كان أول من أنجب الرســـول -صـــلى الله عليه وســـلم-من الذكور كني محمد بأبي القاسم"[١].

ويقول روجيه دوباسكويه عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها، عرف كل من تعامل معه فضـــائله وذكاءه، وتاجر لخديجة في أموالها، تلك الأرملة التي من طبقته الأرســتقراطية ومن أحد أهم العائلات التجارية، ولم يمض وقت طويل حتى تزوجها وهو في الخامســة والعشـــرين وهي في الأربعين، وأثبت في حياتها -وبعد وفاتها- حبًا ووفاءً عظيمين لها، ولم يتزوج ثانيًا إلا بعد وفاتها، استمر محمد في عمله في التجارة"[٢].

ويذكر مارتن لينجز قصة خديجة ابنة خويلد وتجارتها مع الرسول صلى الله عليه وسلم وزواجها منه فيقول: "خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شـرف ومال، تسـتأجر الرجال في مالها وتضـاربهم إياه بشـيء تجعله لهم منه، وكانت تزوجت برجلين قبل رسـول الله ﷺ، فلما بلغها عن رسـول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام، مع غلام لها يقال له ميسـرة، فقبله منها رسـول الله ﷺ، وخرج في مالها ذلك، حتى قدم الشـام، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان"[٣].

ويقول مراد هوفمان عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها: "تزوج الرسول عليه الصلاة والسلام الذي كان أميًا لا يحسن القراءة والكتابة كما ورد في سورة الأعراف ﴿ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨]؛ لكنه كان معروفًا بأمانته حتى لقب بالأمين الذي حاز على احترام الناس وتقديرهم من السيدة خديجة التي كان يعمل في تجارتها، وكانت تكبره بخمسة عشر عامًا، وهي أم ابنته فاطمة، وعاش معها حياة زوجية سعيدة لا تشوبها شائبة، ولم يتزوج غيرها طالما كانت على قيد الحياة"[٤].

فإيراد الأمية وكأنها عيب ونقص لا ينبغي في حق الرسول، والصواب أنها ميزة للرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) المرجع السابق، ص٩٩.

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥١-٥٢.

(٣) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٣٧-٣٨.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٣٢.

٦/ بنيان الكعبة وحادثة الحجر الأسود

يقول اتيين دينيه عن حادثة بنيان الكعبة: "تهدمت الكعبة في بعض أجزائها بسبب حريق حدث بها، فلم تصلح كما ينبغي وتصدع سقفها، فدخل اللصوص من هذه الفجوات وسرقوا بعض كنوزها التي تكونت من هبات الحجيج، فكانت الحاجة ماسة إذن إلى إصلاحها من جديد، غير أن حيطانها كانت هي أيضًا بحالة لا تحتمل أي ثقل عليها، فاستلزم الأمر هدمها"(١).

ثم يواصل اتيين دينيه حديثه عن اختلاف قريش فيمن يضع الحجر الأسود فيقول: "أجمع أهل مكة أمرهم على هدمها وإقامتها على أساسها القديم، ذلك الأساس الذي كان مؤلفًا من كتل من الأحجار، ترتكز في تماسكها على تداخل بعضها في بعض، بطريقة هي غاية في المهارة والإحكام، ثم جزأت قريش الكعبة، وخصص لكل عشيرة قسم تبنيه، بدأ القريشيون البناء، في تحمس يوجده دائمًا التنافس، فأقاموه بسرعة، حتى بلغ البنيان موضع الركن، حيث يوضع الحجر الأسود، من يضع الحجر الأسود؟ مَنِ الأجْدَرُ بنيل هذا الشرف الجليل؟ هنا ثار الخلاف وأخذت كل قبيلة تذكر شرفها الأصيل، أو جدارتها التي لا تنكر، واحتدم النزاع والحوار، وتحالفوا وأعدوا للقتال"(٢).

ويستمر اتيين دينيه في سرد قصة اختلاف قريش فيذكر اقتراح أبي أمية فيقول: "ومكثت قريش على ذلك أربعة أيام، يتهدد بعضها البعض ويتوعد وينذر، ويراقب حركات الآخرين، وأخيراً قال لهم أبو أمية وكان عامئذ أسن قريش: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه، أول من يدخل من باب هذا المسجد، يقضي بينكم فيه"(٣).

وختم اتيين دينيه بذكر حكمة محمد صلى الله عليه وسلم في وضع الحجر الأسود وكان ذلك توفيقاً واصطفاء فيقول: "أخذ المتخاصمون في النهاية بهذا الرأي، وما لبثوا حتى رأوا شابًّا في نحو الثلاثين قادمًا، فلما عرفوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر، لم يأخذ في الإصغاء إلى حجة كل فريق، وإنما قال في بساطة: هلم إليّ بثوب وانشروه على الأرض"(٤).

ويذكر مارتن لينجز قصة بنيان الكعبة؛ حيث أقامت قريش في كل قبيلة منها أشراف، فليس بينها اختلاف، ثم إن قريشاً أجمعوا على بنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك فيهابون هدمها، فأرادوا

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٩٩.

(٢) المرجع السابق، ص٩٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٠٠.

(٤) المرجع السابق، ص١٠٠.

رفعها وتسقيفها؛ وذلك أن نفراً من قريش سرقوا كنز الكعبة، وكان يكون في بئر جوف الكعبة، وذكر قصة السفينة التي تحطمت واستفادوا من خشبها وقصة الحية التي صرفها الله عنهم واستعداد الرجل القبطي النجار للعمل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة، ولما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب عامر بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده حتى رجع إلى موضـــعه، ثم إن الناس هابوا هدمها، وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدأ في هدمها، فأخذ المعول فقام عليها، ثم قال: اللهم لا تردع، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر ماذا يصيبه... الخ(١).

ثم يذكر مارتن لينجز حادثة الحجر الأسود حيث جمعت القبائل من قريش لبنائها، ثم بنوا حتى بلغ البناء موضـع الركن، فاختصـموا في رفع الركن، كل قبيلة تريد أن ترفعه دون الأخرى، فقالت كل قبيلة: نحن نرفعه، حتى تحازبوا أو تحالفوا، وأعدوا القتال حتى اقترح عليهم رجل حكيم فقال: اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب المسـجد، فلما توافقوا على ذلك ورضـوا به، دخل رسـول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضـينا بما قضـى بيننا، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر، فقال: هلموا ثوبا، فأتوه به، فوضـــع رســـول الله ﷺ الركن فيه بيديه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعاً، فرفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه رسول الله ﷺ بيده ثم بنى عليه(٢).

ويشـير مراد هوفمان إلى حادثة وضـع الحجر الأسـود فيقول: "ناهيك عن أن محمداً صـلى الله عليه وسلم شخصياً هو الذي وضعه حيث هو اليوم، فعند إعادة بناء الكعبة تنازع أشراف مكة على شـرف وضـع الحجر الأسود في موضعه القديم، وقام محمد صلى الله عليه وسلم بحل نزاعهم، عندما اقترح وضـع الحجر الأسـود في ثوب يمسـك بأطرافه جميع أشـراف مكة لرفعه، ليقوم هو الحكم المحايد بوضعه حيث هو الآن"(٣).

من خلال ما سبق توصل الباحث إلى أن من تحدث من المستشـرقين الذين أسلموا عن مولده صلى الله عليه وسلم ورضاعته هم: اتيين دينيه ومارتن لينجز ومراد هوفمان، والذين تحدثوا عن طفولته صـلى الله عليه وسـلم في بني سعد ووفاة أمه وحادثة شـق الصـدر هما اتيين دينيه ومارتن لينجز، كما

---

(١) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٣) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٢١.

تحدث كل من اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومارتن لينجز عن سفره مع عمه أبي طالب، وعن زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها تحدث كل من اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومارتن لينجز، وأخيراً تحدث كل من اتيين دينيه ومارتن لينجز ومراد هوفمان عن بنيان الكعبة وحادثة الحجر الأسود، ولوحظ بعض الأخطاء في بعض أقوالهم أشرت إليها أثناء الحديث.

كما يلاحظ المتأمل اعتماد اتيين دينيه خلافًا لجمهور المستشرقين على المصادر الإسلامية فقط في تناوله للسيرة النبوية مؤثرًا استبعاد أي مصدر غربي في المناقشة والتحليل لأي من أحداث السيرة، كما يقول في مقدمته: "ولعل في هذه الملاحظة ما يكفي لتنبيه القراء إلى أنهم لن يجدوا في هذا السفر شيئًا من تلك المذاهب الغربية الغالية، التي تعمل على هدم السنة، والتي شغف بها حبًا أولئك المستشرقون المحدثون بما لهم من غرام وشهوة بكل ما هو بدع من الرأي أو غريب"(١).

وذلك لأنه رأى أنه يستحيل أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم وبيئاتهم ونزعاتهم المختلفة عند دراساتهم في السيرة النبوية، وهم "رغم ما يزعمون من اتباعهم لأساليب النقد الحديثة، فإننا نلمس في كتاباتهم محمدًا يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان المؤلف ألمانيًا، ومحمدًا يتحدث بالإيطالية، إذا كان الكاتب إيطاليًا، وهكذا تتغير صورة محمد بتغير جنسية الكاتب"(٢).

(١) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص٥٣.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٤٢.

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في بيان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد النبوة.

في هذا المبحث يتواصل الحديث عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد النبوة؛ حيث سبق الحديث في المبحث السابق عن سيرته صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، وسيتم التركيز في هذا المبحث على أبرز الوقائع والأحداث التي ذكرت في كتابات المستشرقين الذين أسلموا عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النبوة عبر النقاط التالية:

- نزول الوحي في غار حراء.
- مراحل الدعوة إلى الإسلام (الدعوة السرية والجهرية).
- الهجرة إلى الحبشة.
- الإسراء والمعراج.
- هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة النبوية.
- غزواته صلى الله عليه وسلم وفتح مكة.
- حجة الوداع وموته صلى الله علليه وسلم.

١/ نزول الوحي في غار حراء:

يبدأ اتيين دينه في تعريف الوحي فيقول: "أما الوحي -وهذا الملك هو الوسيط الرمزي له- فإنما هو التجلي الإلهي، ويجب أن نعتبره أسمى درجة تصل إليها تلك القوة الخفية التي نسميها بالإلهام، وهي بالبداهة خارجة عن محيط الفرد؛ لأنها مستقلة عن إرادتها تمام الاستقلال"[١].

ويقول اتيين دينيه عن بدء نزول الوحي للنبي عليه الصلاة والسلام: "وبلغ محمد صلى الله عليه وسلم الأربعين من حياته الكريمة، وكان خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة يتحرى في عباداته، حائرًا قلقاً، استخلاص الدين الحنيف، دين التوحيد، دين جده إبراهيم، من بين الأباطيل التي أدخلها عليه مواطنوه، وهناك في غار حراء في اليوم الخامس والعشرين، أو السابع والعشرين، أو التاسع والعشرين من شهر رمضان (١٥-١٧-١٩- يناير سنة ٦١١م) حدثت الحادثة الخالدة؛ إذ تجلت رأفة الرحمن بعباده، فأنزل إليهم الوحي عن طريق الرسول صلوات الله عليه وسلامه[٢].

(١) المرجع السابق، ص١١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٩.

ثم يواصل حديثه عن الوحي فيقول: "قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-: ((أتاني جبريل في غار حراء وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ، فقلت: ما أقرأ، فغطني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما اقرأ، فغطني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [سورة العلق: ١].

فقرأتها، ثم انتهى، فانصرف عني، وهببت من نومي؛ فكأنما كتبت في قلبي كتابًا، فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته، ثم قال ثانية: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، وانصرف، فانصرفت راجعًا إلى أهلي، ولم يكد الرسول -صلى الله عليه وسلم- يغشى داره حتى هرع إلى خديجة وخبأ رأسه في حجرها، وقال وقد أخذته رعدة المحموم: دثروني، دثروني[(١)]))"[(٢)].

ويقول لورد هدلي عن نزول الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "وفي غار حراء وفي ليلة القدر ظهر لمحمد صلى الله عليه وسلم شخص قوي، ذو طاقة وعلم، هو جبريل عليه السلام، وقال له: أنت محمد رسول الله وأنا جبريل"[(٣)].

ويقول روجيه دوباسكويه عن نزول الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "وعند الأربعين وعندما كان في غار حراء جاءه جبريل يبلغه أن الله اختاره رسولاً للبشرية، ارتجف فؤاد محمد وعاد إلى منزله مضطربًا، فطمأنته خديجة وهدأت من روعه، ولم تشك لحظة في إلهية مصدر البلاغ وحقيقة الرسالة التي ائتمن عليها محمد صلى الله عليه وسلم، وتتابع نزول جبريل على محمد مؤكدًا أنه رسول الله، وقرأ عليه آيات القرآن التي تتابعت في النزول ثلاثة وعشرين عامًا، وبدأ محمد تنفيذ الأمر الإلهي بدعوة الأقربين للإسلام فقراء وأغنياء على حد سواء"[(٤)].

بينما يقول محمد أسد عن نزول الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه عاد مرتجفًا إلى مكة، ودخل بيته وهو ينادي زوجه خديجة قائلاً وهو يرتعد: زمليني زمليني، كان يرتعد مثل غصن

(١) تقدم تخريجه في المطلب الثاني من هذا الباب.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص ١٠٩.

(٣) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ص ١٠٥.

(٤) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥١-٥٢.

شجرة في مهب الريح، فدثرته بدثار حتى سكن روعه، ثم أخبرها بما وقع له وقال: أنا خائف، إلا أن خديجة رضـي الله عنها بوضـوح رؤيتها الذي لا ينتج إلا عن حب أدركت على الفور أنه خائف من عظم المسؤولية التي ألقيت على عاتقه؛ وقالت له مطمئنة لخوفه: أَبْشِرْ فوالله لا يُخزيك الله أبدًا، والله إنَّك لتصـل الرَّحِم، وتصـدق الحديث، وتؤدِّي الأمانة، وتحمل الكلَّ، وتقري الضَّـيف، وتُعين على نوائب الحق"[١].

ويؤكد محمد أسد في موضع آخر نزول الروحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان محمد يتعبد وحيدًا، كما اعتاد أن يفعل، يصلي للحقيقة بقلبه، حين يظهر له فجأة ملاك، أمره قائلاً: اقرأ، كان محمد –صلى الله عليه وسلم– شأنه شأن أهل عصره وموطنه لم يتعلم أبدًا القراءة؛ وفضلاً عن ذلك لم يعرف ما الذي يريده الملاك أن يقرأ، أجابه في روع: ما أنا بقارئ؛ حينئذ ضمه الملاك ضمة قوية شعر محمد معها أنه فقد قواه؛ ثم أطلق الملاك وأعاد عليه الأمر: اقرأ .... الخ"[٢].

ويذكر مارتن لينجز عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان إلى حراء، وهو في عامه الأربعين؛ حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى، فجاء جبريل، فقال له: اقرأ، قال: ما أقرأ؟ إلى آخر القصـة المعروفة، ثم ينقل مارتن لينجز ما حدث للرسول صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من الغار على لسانه صلى الله عليه وسلم فقال: "ثم انصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا ابن عم واثبت، فو الذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة"[٣].

ويقول مراد هوفمان عن نزول الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام بالأمر الإلهي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [سورة العلق: ١]. الموجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء قرب مكة المكرمة"[٤].

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٤٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢٨-٤٢٩.

(٣) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٤٦-٤٧.

(٤) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٤١.

٢/ مراحل الدعوة إلى الإسلام:

أولاً: المرحلة السرية.

يقول اتيين دينيه عن بدء مرحلة الدعوة السرية بعد نزول الوحي للنبي عليه الصلاة والسلام: "في هذه الظروف لا يمكن للدعوة الإسلامية أن تنتشر إلا سرًا وبين الأصدقاء، ولهذا كان تقدم الإسلام في سنواته الثلاث الأولى تقدمًا بطيئًا، ومع ذلك ففي أثنائها انقطع الوحي فجأة، وشعر محمد بأنه لم يعد معضدًا بإلهام الله القدير، فشق ذلك عليه وأحزنه"(١).

ثم يذكر اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم انطلاقاً لدعوته فيقول: "وأراد الرسول- صلى الله عليه وسلم- أن يتفادى مثل هذه الحوادث، فقرر أن يتخذ من بيت الأرقم -لبعده- مصلى، وكان بيت الأرقم يقع على رأس الصفا، ومع ذلك فقد كان الغيظ يزداد في قلوب المشركين، لقد كانوا فيما مضى يهزون أكتافهم استهتارًا أو سخرية حينما كان محمد يقتصر على دعوتهم إلى الإسلام"(٢).

يذكر اتيين دينيه صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم مستخفياً في شعاب مكة فيقول: "ومنذ ذلك اليوم وعلي يتبع الرسول-صلى الله عليه وسلم- إذا حان موعد الصلاة، إلى شعاب مكة ليؤدي الفريضة، مستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه، فيصليان، ثم إن أبا طالب عثر عليهما فجأة يومًا وهما يصليان بنخلة، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي، ما هذا الذي أراك تدين به؟ " فقال: هذا دين الله، ودين ملائكته ورسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إلى الله تعالى، وأعانني عليه، فقال أبوطالب: إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ومع ذلك فإني أعلم من صدقك ما يجعلني أومن بحقيقة ما تدعو إليه، ووالله لا يصل إليك أحد بشيء تكرهه ما بقيت، والتفت إلى ابنه فقال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه"(٣).

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١١٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص١١٥-١١٦.

ثانياً: المرحلة الجهرية.

يتحدث اتيين دينيه عن قصة عداوة قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم وذهابهم لعمه أبي طالب فيقول: "ولم يفتر نشاط محمد في الدعوة إلى الإسلام؛ ولكن عداوة القرشيين ازدادت، واتخذت وجهًا أخطر وأعظم، فرجع الوفد إلى أبي طالب ليقولوا له: يا أبا طالب إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك لابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا: من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا؛ حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك؛ حتى يهلك أحد الفريقين، فعظم عليه فراق قومه، ولم يطب نفسًا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه، وبعث أبوطالب وهو في حالته النفسية هذه إلى رسول الله يستدعيه، فلما حضر قص عليه رسالة قريش، ثم قال: تدبر الأمر، وأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فأجابه الرسول-صلى الله عليه وسلم-: ((يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته[1]))[2].

ثم يسرد قصة مؤامرة قريش في تكذيبه وإلصاق التهم عليه صلى الله عليه وسلم فيقول: "واقترب موسم الحج، فاجتمع مشركو قريش في دار الوليد بن المغيرة ليتشاوروا في أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال الوليد: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، وأقم لنا رأيًا نقل به؛ بل أنتم فقولوا أسمع، نقول: كاهن، لا، والله، ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن، ولا سجعه، فنقول: مجنون، ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته، فنقول: شاعر، ما هو بشاعر، لقد عرفنا جميع أنواع الشعر فما هو بالشعر، فنقول: ساحر، ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم .... فاتفقوا على أن يدعو أن محمدًا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته"[3].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ، المقدمة ص٦٦.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص١٢٤-١٢٥.

ويقص اتيين دينيه تعرض قريش لوفود الحجاج وتحذيرهم من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: "ولما بدأت وفود الحاج تأتي من كل فج عميق، تعرض لهم الوليد وأعوانه في الطريق المؤدية إلى مكة، ولم يمر بهم أحد إلا حذروه من محمد وسحره"(١).

ويذكر اتيين دينيه قصة عتبة وقيامه بإغراء الرسول صلى الله عليه وسلم بالملك والمال والنساء فيقول: "فقام عتبة حتى جلس إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– وقال له في أسلوب عاطفي رقيق: يا بن أخي، إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها، لعلك تقبل منا بعضها"، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع، قال يا بن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا أموالاً، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا"(٢).

ويتحدث اتيين دينيه عن عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على نشر الدعوة خارج مكة فيقول: "فعزم الرسول–صلى الله عليه وسلم– على نشر الدعوة خارج مكة، ورأى أنه لو وفق في حمل بعض العرب من خارج مكة على اعتناق دعوته، فإن تعضيدهم لأنصاره المكيين الذين بلغوا عددًا لا بأس به يجعل للإسلام حزبًا يفرض نفسه على المناوئين، وتوجهت أولى محاولات الرسول من هذا النوع إلى الطائف –وهي بلدة صغيرة شرقي مكة وعلى بعد اثنين وسبعين ميلاً منها تقريبًا، وهي مشهورة بعنبها وتينها ورمانها وتمرها وأزهارها وحدائقها الفيحاء– ولما وصل الرسول–صلى الله عليه وسلم– إليها، ومعه زيد بن حارثة؛ عمد إلى حيث يجتمع سادة ثقيف فجلس إليهم، وكلمهم فيما جاء له من نصرتهم للإسلام، والقيام معه على ما خالفه، وبدأ حديثه يأخذ بأفئدة أغلب الحاضرين، ويؤثر كعادته في من يصغون إليه، وإذا بثلاثة إخوة من أشراف ثقيف، ممن لهم الرأي المسموع فيها، يقطعون عليه فجأة حديثه، فقال أحدهم مكذبًا: إني أقطع ثياب الكعبة إن كان الله قد أرسلك، وقال الثاني: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا؛ لئن كنت رسول الله

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٩–١٣٠.

كما تقول لأنت أعظم قدرًا من أن أرد عليك، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك"[١].

ثم يذكر اتيين دينيه ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم من أذى في سبيل تبليغ دعوته فيقول: "كل ذلك وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج وجهه بحجر كانت قوة صدمته بحيث طرحته أرضًا، هكذا سار الرسول -صلى الله عليه وسلم- في طريقه يسقط مرة ويقوم أخرى، ويجر نفسه جرًا ثقيلاً أليمًا بين سخرية الدهماء وعبثهم، وكذلك كان زيد حتى وصلا في النهاية إلى حائط بستان وجدا وراءه مأمنًا، وهناك سقطا من الإعياء مستظلين بشجرة كرم، ثم دعا الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي؛ إلى من تكلني؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي[٢]))[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، جامع المسانيد والسنن (٥/ ١٢٥) قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد: ٦/٣٥.

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٥٥.

٣/ الهجرة إلى الحبشة:

يسرد اتيين دينيه قصة أصحاب رسول الله إلى الحبشة لأجل بطش كفار قريش بهم فيقول: "الهجرة إلى الحبشة سنة ٦١٥م، سافر أول من سافر من المسلمين ستة عشر، من بينهم عثمان بن عفان وزوجته رقية -إحدى بنات رسول الله- وفي جنح من الليل خرج المهاجرون من مكة سيرًا على أقدامهم، وحينما وصلوا إلى شاطئ البحر الأحمر استأجروا فلكًا حملهم إلى الشاطئ الآخر، ومن هناك ذهبوا إلى بلاط النجاشي فرحب بهم، وما لبثوا أن لحق بهم غيرهم، فأصبحت الجالية الإسلامية في الحبشة مؤلفة من ثلاثة وثمانين رجلاً وثمان عشرة امرأة"(١).

ويذكر اتيين ردة فعل المشركين حينما علموا بهجرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة فيقول: "ثارت ثورة الوثنيين حينما رأوا أن ضحاياهم تفر من بين أيديهم، واشتعل غيظهم حينما علموا أن المهاجرين أفراداً من أسرهم، مثل أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأرسلوا إلى النجاشي سفيرين هما عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، ومعهما هدايا نفيسة، وكانت غاية السفيرين رد اللاجئين، فصوراهم للنجاشي في صورة ثائرين خطرين، في مقدورهم أن يثيروا فتنًا ضده"(٢).

ويبين اتيين دينيه موقف النجاشي من السفيرين فيقول: "كان النجاشي قد شاهد عكس ما قالاه، وكانت فضائل المهاجرين قد بعثت في الناس تقديرهم وعطفهم، فلم يكن عنده استعداد لقبول دعوى السفيرين رغم نفاسة الهدايا، فرأى السفيران عند ذلك أن يثيرا النزعة الدينية عند الملك المسيحي، وأن يحذراه من الخطر الإسلامي، فقالا له: إذا أردت أن تعلم خبر هؤلاء المغررين فإننا على علم بهم، إنهم جاءوا ليردوا رعيتك عن دين عيسى، كما حاولوا أن يردوا قريشًا عن دين أجدادها، وإذا أردت دليلاً على صدقنا فما عليك إلا أن تسألهم عن عقيدتهم في عيسى سيدكم، وأقر النجاشي رأيهم، وسأل أعلم المهاجرين عن عيسى، فأجابه جعفر ابن عم النبي بالآية القرآنية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٧١﴾ [سورة النساء: ١٧١]. وهذه الإجابة طمأنت النجاشي، نعم إنها لم تتضمن الاعتراف بألوهية عيسى، بيد أنها على الأقل برهنت على الاحترام العميق الذي تكنه صدور المسلمين

(١) المرجع السابق، ص١٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٥.

نحو عيسى، وأزالت شكوكه من ناحية غايتهم، فصرف السفيرين ورد إليهما هديتهما، ولم يجب لهما رجاء"(١).

ويقول روجيه دوباسكويه عن هجرة أصحابه إلى الحبشة: "ازدادت وطأة الاضطهاد والتعذيب، حتى أرسل محمد مجموعة من أصحابه إلى الحبشة في الهجرة الإسلامية الأولى، ورحب بهم حاكم الحبشة المسيحي وتأثر حتى البكاء لما سمع الآيات القرآنية في تبجيل عيسى ومريم العذراء"(٢).

وينقل مارتن لينجز ما عرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة فيقول: "لما رأى النبي ﷺ ما يصيب أصحابه من أذى زعماء قريش لهم، فقال لأصحابه: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه" فكانت أول هجرة في الإسلام، وبعد عودة بعض المهاجرين إلى مكة أذن لهم النبي في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية، فخرجوا، وكان عددهم في المرة الثانية حوالي ثمانين، ولم يخرج المسلمون المهاجرون دفعةً واحدةً؛ لكنهم يخرجون جماعات تلو جماعات(٣).

ويشير مراد هوفمان إلى هجرة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة فيقول: "هاجرت مجموعة من أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم عام ٦١٥م إلى الحبشة ووجدت فيها ملاذاً، ومن أجل البحث عن مكان آمن بعد أن ضاقت بهم مكة قرر المسلمون جميعاً عام ٦٢٢م الهجرة التي أصبحت بداية التاريخ الإسلامي حسب التقويم القمري"(٤).

(١) المرجع السابق، ص١٤٥.

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥٣.

(٣) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٨٥-٨٨.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٣٥-٣٦.

٤/ حادثة الإسراء والمعراج:

يصف اتيين دينيه حادثة الإسراء والمعراج فيقول: "وفي الليلة السابعة والعشرين من شهر ربيع الأول تلقى جبريل -وهو الموكل بكواكب النور[١]- الأمر من الله تعالى أن يأخذ من ضوء الشمس ليزيد في ضوء القمر، وأن يأخذ من ضوء القمر ليزيد في ضوء النجوم، لتزدهر القبة الزرقاء، وتتلألأ سناءً وإشراقًا[٢]، ثم ينزل إلى محمد فيوقظه من النوم، ويرفعه إليه تعالى مخترقًا طبقات السماء السبع، وفي ذلك يقول الرسول: ((بينا أنا نائم؛ إذ أتاني جبريل بالبراق -وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء- لا يماثله حيوان من حيوانات الأرض، فهو بين البغل والحمار، أبيض من البَرَد، له وجه إنسان؛ بيد أنه لا يتكلم، وله جناحان كبيران يرتفع بهما في الهواء، ويشق بهما طبقات الفضاء؛ أما ذؤابته وذيله ولبانه وشعره فقد كانت محلاة بأنفس الجواهر التي بلغ لألاؤها من السناء بحيث يضارع لألاء آلاف النجوم، ورَكِبْتُه فحملني مثل لمح البصر من الحرم المكي إلى بيت المقدس، فلما نزلت ربطته حيث كان يربطه الأنبياء، وجاءني رجل يحمل إلي إناءين، في أحدهما خمر، وفي الآخر لبن، فشربت اللبن وتركت الخمر، فقال لي جبريل -الذي رافقني وحاذاني طيلة رحلتي-: هُديتَ إلى الفطرة، ولو اخترت الخمر وفضلته على اللبن، لفضَّلت أمتك الضلال على الهدى[٣]))، وبعد أن طاف الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالمسجد الأقصى[٤] صعد على الصخرة التي انحنت تشريفًا له، وتمكينًا من أن يمتطي البراق، وتابع الرسول -يقوده جبريل مبعوث السماء- رحلته خلال طبقات القبة الزرقاء، ولا يمكننا أن نعرض هنا لكل ما ذكر من وصف المعراج؛ غير أننا نلاحظ أن بعض المؤلفين، وعلى الأخص الفرس، قد أطلقوا لخيالهم العنان"[٥].

ويقول روجيه دوباسكويه عن حادثة الإسراء والمعراج: "وفي اليوم التالي للإسراء قص النبي -صلى الله عليه وسلم- الرؤيا للناس، فمنهم من صدق ومنهم من كذب، وقال أبو بكر -رضي الله عنه- والله لئن كان قاله لقد صدق، ومن وقتها سماه النبي (الصديق)، وأصبح لبيت المقدس مكانته في الإسلام، وكان المسلمون في ذلك الوقت يصلون إلى بيت المقدس، وبعد الهجرة إلى المدينة استمروا يصلون إليه حتى جاء الأمر الإلهي في القرآن بتحويل القبلة إلى الكعبة، وبعد اشتداد الاضطهاد بمكة أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ

(١) المعروف عن جبريل عليه السلام أنو موكل بالوحي.

(٢) هذه المعلومة غير صحيحة، ولم ترد في الكتب الموثقة، ولا يعلم الباحث من أين أتى المؤلف بهذه الخرافة.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي، (٢/ ٣٥٧) أخرجه من حديث طويل: ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه من طريق أبي العالية.

(٤) لم يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم طاف بالمسجد الأقصى.

(٥) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٥٦-١٥٧.

ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ [سورة الإسراء: ١]"(١).

ويذكر مارتن لينجز عن حادثة الإسراء والمعراج؛ حيث أسري بالدابة إلى بيت المقدس، فوجد فيه الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى في نفرٍ من الأنبياء، فأمّهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم في صلاته، ثمّ أُتاه جبريل بوعائين، في أحدهما خمر، وفي الآخر لبن، قال: خذ، فأخذ النبي محمد إناء اللبن وشرب منه، وترك إناء الخمر، فقال لهُ جبريل: هديتَ للفطرة، وهديت أمّتك يا محمّد، وحرّمت عليكم الخمر، ولما فرغ النبي ﷺ مما كان في بيت المقدس أوتي بالمعراج فصعد ﷺ وجبريل فيه، ثم صعدوا إلى السماء الأولى ثم الثانية حتى إلى السماء السابعة، وهناك التقى بالأنبياء ما بين السماوات، ثم رُفعوا الى سدرة المنتهى، وهناك رأى جنة المأوى، ثم فرضت الصلوات الخمس(٢).

□

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥٩.

(٢) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ١٠٥-١٠٦.

٥/ هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة:

يذكر اتيين دينيه قصة الهجرة بالتفصيل فيقول: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة، فسأله أبوبكر في لهفة وتوسل: الصحبة يا رسول الله، قال: الصحبة، قالت عائشة: فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم إن أبي أنبأ الرسول بأمر ما أعده للسفر، وكانت الراحلتان على أتم الاستعداد، فدفعتا إلى عبدالله بن أرقط، وكان على الرغم من إشراكه موضع ثقة أبي بكر المطلقة، وكان على عبدالله بن أرقط أن يرعاهما ثلاثة أيام ثم يأتي بهما لميعاد بينه وبين أبي بكر إلى غار بجبل ثور، وكان بأسفل مكة، بينه وبينها ساعة ونصف سيرًا، ويقع على الطريق المؤدي إلى البحر، ثم كان عليه أيضًا أن يهديهما الطريق حتى يثرب، وخرج المهاجران خفية من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، فساروا على أطراف الأصابع متجهين نحو جبل ثور"[١].

ويصف اتيين دينيه الهجرة بأنها كانت رحلة موفقة فيقول: "كانت نهاية هذه الرحلة الموفقة ظهر يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، واشتهرت السنة التي رحل فيها الرسول باسم سنة الهجرة، واتخذها المسلمون بدءًا لتاريخهم، وهي توافق سنة ٦٢٢م"[٢].

ويتحدث اتيين دينيه عن لحظة وصوله المدينة النبوية فيقول: "فاجأته ساعة الصلاة وهو يمر بأرض بني سالم بن عوف فترجل، ولأول مرة قام بصلاة الجمعة في دار الهجرة، وقد أمّ جموع المؤمنين الذين اصطفوا وراءه خاشعين، وانتهت الصلاة، فالتفت إلى المسلمين يعظهم، ثم اعتلى ناقته ودخل يثرب دخول المنتصر، يحف به الشعب الذي ثار في نفسه حماس مُتَّقِد، وكان الرسول أينما سار، سواء في حي بني بياضة أو بني ساعدة أو بني الحارث أو بني عدي، يقابله وفد من أشراف القوم، ويمسكون بخطام ناقته قائلين: أقم عندنا يا رسول الله في العدد والعزة والمنعة فيقول: ((خلوا سبيل الناقة ودعوها فإنها مأمورة[٣] ثم يبتسم في عطف ويقول: بارك الله فيكم))[٤].

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٧٣-١٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٨.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٠١)، وفي إسناده عطاف بن خالد وثقه ابن معين وابن حنبل وأبو داود وضعفه الدارقطني وابن حبان، وقال ابن عدي في الكامل (٥/ ٣٧٩ / ت ١٥٤٣): والعطاف روى عنه أهل المدينة وغيرهم ويروي قريبًا من مئة حديث كما قال أحمد بن حنبل. ولم أرَ بحديثه بأسًا إذا حدّث عنه ثقة، انظر: صحيح وضعيف تاريخ الطبري، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ (٢/ ٧٥).

(٤) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٨٠.

ويذكر اتيين دينيه قصة قيامه صلى الله عليه وسلم بأول عمل بعد وصوله المدينة فيقول: "كان أول ما شغل الرسول عندما قدم المدينة أن يقيم بها مسجدًا، وبحث عن أصحاب الأرض التي بركت فيها الناقة فقيل له: إنها لأخوين يتيمين هما سَهل وسُهيل"(١).

ويقول لورد هدلي عن هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم: "لقد حصل أمر مهم جداً: لما كان محمد صلى الله عليه وسلم يتابع من قبل أعدائه في غار ثور وعندما صرح أبو بكر بخوفه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ما بالك باثنين الله ثالثهما))(٢) وتعليقاً على هذه القصة يقول هدلي: الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسأل حتى العون من الله؛ لأنه كان متيقنا منه"(٣).

ويصف روجيه دوباسكويه حياة المجتمع المدني بعد وصول المصطفى صلى الله عليه وسلم المدينة فيقول: "منذ وصول النبي المدينة بدأت حياة الأفراد والمجتمع في الامتثال للنظام الإلهي، حتى أصبحت المدينة -دار الإسلام- المثال الملهم للمسلمين في القرون الآتية، وضرب المهاجرون المثل في تخليهم عن بيوتهم وأموالهم وأوضاعهم في مكة لطاعة الله واتباع رسوله، وتكونت المدينة من المهاجرين والأنصار واليهود، وبدأ النبي بتأسيس رابطة الأخوة بين المهاجرين والأنصار، ثم فعل ما بوسعه مع اليهود لإقناعهم بالإسلام أو ليعيشوا كيهود في سلام مع المسلمين، وعقد ميثاقًا بين سكان المدينة واليهود"(٤).

ويقول محمد أسد عن سبب هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم: "وينبغي تذكر هذا التعريف لمصطلح هجرة كلما استخدمناه لوصف هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة؛ لأن تلك الهجرة التي وقعت بعد ثلاث عشرة سنة من الاضطهاد الشديد للنبي ومن اتبعوه من المؤمنين على يد المشركين من أهل موطنهم مكة، كان يرجي منها أن يجدوا في المدينة -أو يثرب كما كانت تسمى وقتها- تربة صالحة لنشر الدين القائم على القرآن الذي يدعو إليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، دين الإسلام"(٥).

---

(١) المرجع السابق، ص١٨١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة التيمي رضي الله تعالى عنه، (١٣٣٧/٣) ح (٣٤٥٣).

(٣) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ص ١٠٥، ١٠٧، لم يوفق دينيه حينما قال: "الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسأل حتى العون من الله؛ لأنه كان متيقنا منه" فالرسول عليه الصلاة والسلام مهما بلغه من اليقين فإنه لا يترك عبادة اللجوء إلى الله والاستعانة به سبحانه.

(٤) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥٤-٥٦.

(٥) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص١٩٥.

ويصف محمد أسد تفاصيل الهجرة ولحظة مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم لمكة فيقول: "وقعت الهجرة في عام ٦٢٢ ميلادية، وكانت سمتها الغالبة ذلك السعي الواثق المنكر للذات نحو خير أخلاقي يُرجى، وهو ما كان يدفع النبي وأصحابه، وهذا الإيمان يعبر عنه دعاء النبي عند خروجه من مكة مسقط رأسه تعبيراً كاملاً: ((إنك أحب البلاد إلى الله وأحب البلاد إلى نفسي، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت))(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد))(٢)، ((اللهم اجعل فيها ضعفي ما جعلت في مكة من البركة))(٣)، وانطلق النبي في رحلته الطويلة إلى يثرب التي عرفت بعد ذلك بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم، أو بالأحرى المدينة"(٤).

ويذكر مارتن لينجز عن هجرة المصطفى بالتفصيل؛ حيث ظل النبي محمد صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يُؤذَن له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر رضي الله عنهما، ولما رأت قريش خروج المسلمين خافوا خروج النبي محمد صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا واتفقوا أن يأخذوا من كل قبيلة من قريش شابًا فيقتلون محمدًا فيتفرّق دمه بينَ القبائل، وأخبر جبريل محمدًا صلى الله عليه وسلم بالخبر وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة، فأمر محمد عليًا رضي الله عنه أن يبيت في فراشه بدلاً منه ويتغطى ببرده الأخضر، واجتمع أولئك النفر عِند بابه؛ لكنه خرج من بين أيديهم لم يره منهم أحد، وهو يحثو على رؤوسهم التراب تاليًا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [سورة يس: ٩].(٥).

ويقول مراد هوفمان عن الهجرة والمدينة: "قَبِلَ محمد صلى الله عليه وسلم دعوة الرجال والنساء الذين آمنوا بالإسلام من مدينة يثرب، المدينة الواحة، التي تبعد ٤٠٠ كيلو متر عن مكة من جهة الشمال، والتي تعرف اليوم باسم المدينة المنورة؛ ليتم فيها تأسيس كيان الدولة الإسلامية"(٦).

ويؤكد مراد هوفمان على تميز تأسيس أول كيان إسلامي على الانتماء الديني بعد هجرته صلى الله عليه وسلم المدينة فيقول: "وفي الحقيقة أقام الرسول صلى الله عليه وسلم عقب وصوله يوم الاثنين

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، كتاب المناسك، باب فضل مكة (٤/ ٢٤٨).

(٢) صحيح البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة، (٢/٦٦٧) ح (١٧٩٠)، وكذلك في صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، (٢/١٠٠٣) ح (١٣٧٦).

(٣) صحيح البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث، (٢/٦٦٦) ح (١٧٨٦).

(٤) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص١٩٥.

(٥) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ١٢١-١٢٣.

(٦) مراد هوفمان الإسلام كما يراه مسلم ألماني، ص٣٥.

الواقع في ٣١ أيار مايو عام ٦٢٢م اتحاداً إسلامياً -يهودياً[(١)]، أصدر بموجبه أول دستور دولة في التاريخ، كانت هذه الدولة ثورية؛ لأنه ولأول مرة لم تتحدد فيها المواطنية على أساس العرق أو اللغة أو القبيلة؛ بل يحددها فقط الانتماء الديني، وجاء ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [سورة الحجرات: ١٣]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [سورة الحجرات: ١٠]. ومن هذا الجانب كانت المدينة دولة تقوم على الفكر (الإيديولوجيا) نتيجة تبدل حقيقي للمفاهيم، وكان سكانها يشكلون الخلية الأولى للجماعة الإسلامية التي هزت العالم والمؤلفة من إخوة وأخوات يشكلون الأمة التي أعرضت منذ ذلك الوقت عن التطرف لتكون أمةً وسطاً، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [سورة البقرة: ١٤٣][(٢)].

□

(١) جانب الصواب المؤلف في قوله (إسلامياً يهودياً) ماذا يقصد بذلك؟ ولو اكتفى بقوله (إسلامياً) فقط لكان أصوب، أو استبدالها بائتلاف إسلامي يهودي أو تحالف إسلامي يهودي.

(٢) مراد هوفمان الإسلام كما يراه مسلم ألماني، ص٣٥-٣٦.

٦/ غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وفتح مكة:

غزوة بدر الكبرى

آن أوان الحديث عن أولى الغزوات الكبرى التي غزاها رسول لله صلى الله عليه وسلم وأصحابه خارج المدينة النبوية؛ حيث يذكر اتيين دينيه سبب غزوة بدر فيقول: "لقد صبر محمد طويلاً، وصبر المؤمنون معه كذلك حقبة طويلة على إيذاء المشركين الذين أخرجوهم من ديارهم بعد أن أذاقوهم فيها أليم العذاب، فرأى المسلمون -مؤيدين بالقرآن- أن لهم الحق في استعمال السيف دفاعًا عن أنفسهم، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إليها دون تفرقة بينهم، ولبى المسلمون النداء، فبلغ عددهم أكثر من ثلاث مائة، وكلهم رغبة في أن يذيقوا المشركين مثل ما أذاقوهم من عذاب، وكان في هذه الحملة ثلاثة وسبعون من المهاجرين ومائتان وأربعون من الأنصار، وكانت الإبل يومئذ سبعين بعيرًا تحمل الماء والزاد، ويتعقبها المشاة، ولم يكن معهم سوى أربعة أفراس"[(١)].

ويبين اتيين دينيه خروج النبي للمعركة ووصوله إلى بدر فيقول: "وكان الحباب بن المنذر مشهورًا بجودة الرأي وإخلاص النصيحة، فخاطب رسول الله قائلاً: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أو هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله: بل الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بالمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماء، ثم نقابل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشرت بالرأي، ثم أخذ رسول الله ينفذ النصيحة خطوة فخطوة، وتحدد بذلك مكان الموقعة فسيضطر المشركون بلا شك إلى الحضور لينازعوا المسلمين على الماء، فليس في الوادي غيره"[(٢)].

ثم يذكر اتيين دينيه مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم ربه فيقول: "فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: ((اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد، واستغرق في الدعاء والتضرع حتى سقط رداؤه دون أن يشعر، فأعاده أبوبكر وهو يقول: يا نبي الله بعض مناشدتك ربَّك، فإن الله منجز لك ما وعدك[(٣)]))[(٤)].

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٩٢-١٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، (١٣٨٣/٣) ح (١٧٦٣).

(٤) المرجع السابق، ص٢٠٣.

ثم يصف اتيين دينيه المعركة فيقول: "وعلى إثر ذلك خرج ثلاثة من أبطال المشركين يدعون المؤمنين إلى المبارزة الفردية، وهم: عتبة بن ربيعة؛ وابنه الوليد بن عتبة، وأخوه شيبة بن ربيعة، فأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبيدة بن الحارث، وحمزة، وعليًّا، فأما حمزة فلم يمهل شَيبَة أن قتله؛ أما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين فأثبت كل منهما صاحبه فوقعت الضربة في ركبة عبيدة، فأطاحت رجله، وصار مخ ساقه يسيل، فأصبح تحت رحمة عدوه، فأدركه علي وحمزة فأجهزا على خصمه، ثم احتملا صاحبهما في رفق إلى جوار الرسول الذي أسند رأسه ووضعه على فخذه، وأخذ يواسيه ويبشره بالثواب الذي ينتظره بين أرجاء الفردوس الفسيحة، ولم يلبث عبيدة أن لفظ النفس الأخير، فكان أول شهيد في الجهاد"(١).

ثم يبين اتيين دينيه هزيمة المشركين في الغزوة وعدد قتلاهم فيقول: "قتل في هذه المعركة سبعون من المشركين، ومن هؤلاء كل الذين تعاهدوا على قتل الرسول في مكة ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٧﴾ [سورة الأنفال: ١٧]. وكان من ضمن قتلى المشركين أربعة وعشرون من أشراف قريش، أمثال عتبة والوليد، وشيبة، وأمية بن خلف، وحنظلة بن أبي سفيان، وأهم من هؤلاء جميعًا قائد الحملة أبو جهل؛ أما المؤمنون فلم يفقدوا سوى أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وهؤلاء وقد أصبحوا خالدين على مر الزمن أول الشهداء الذين استشهدوا في الجهاد"(٢).

ويقول روجيه دوباسكويه عن غزوة بدر: "وبعد الهجرة بسنتين انفجر الصراع في موقعة بدر، فهزم المسلمون جيشًا ثلاثة أضعافهم وأفضل تسليحًا منهم، وأظهر النبي عبقريته الاستراتيجية والإنسانية، فبخلاف أعراف القتال السائدة ذلك العصر أمر قواته بإحسان معاملة الأسرى وعدم قتل الجرحى ولا غير المقاتلين، ونزل القرآن يذكر المؤمنين بأن النصر من عند الله"(٣).

وأشار مارتن لينجز إلى غزوة بدر الكبرى، وذكر أنها وقعت في السابع عشر من رمضان في العام الثاني من الهجرة، وتطلَّع الرسول ﷺ وأصحابه من المهاجرين إلى الاستيلاء على قوافل قريش التجارية من مكة إلى الشام، وبدأت المعركة بالمبارزة؛ إذ خرج ثلاثة نفرٍ من قريش هم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، ومن جانب المسلمين خرج لهم: حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث

(١) المرجع السابق، ص٢٠٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠٦-٢٠٨.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥٦-٥٨.

بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، هؤلاء الثلاثة من قتل مبارزي قريشٍ، وقاتل الملائكة ضد كفار قريش في معركة بدر، وانتهت معركة بدر بنصرٍ مؤزرٍ للمسلمين وهزيمة نكراء لقريشٍ، فقد قُتل كثيرٌ من خيرة رجالها وفرسانها، كما أسر آخرون، وقد افتدى بعضهم بدفع الفِدية أو بتعليم القراءة والكتابة للمسلمين[١].

كما يشير مراد هوفمان إلى انتصار المسلمين في غزوة بدر فيقول: "ومن موقع الدفاع الاستراتيجي اكتسب الرسول صلى الله عليه وسلم، كونه رئيس الدولة، شخصية غير عادية وقدرات سياسية ودبلوماسية واستراتيجية وإدارية وقضائية، يعود الفضل إليها في إفشال كل محاولات الزعماء المكيين لتحقيق الانتصار العسكري على المسلمين بدءاً من معركة بدر ٦٢٤م التي انتصر فيها (٣١٢) مسلماً على (٩٥٠) محارب مكّي"[٢].

غزوة أحد

يصف اتيين دينيه معركة أحد فيقول: "معركة أحد سنة ٣هـ/ ٦٢٥م رجع أهل مكة من هزيمتهم في بدر، فلم تقر لهم بعدها عين، ولم يهدأ لهم بال، ونظروا نظرة اليأس إلى مستقبلهم، فلقد قطع عليهم الرسول بتلك الغزوة الجريئة طريق الشام، ولم تعد القوافل تجرؤ على ارتيادها، وبدا لهم أن الخراب والمجاعة أقرب إليهم من حبل الوريد، ومن أجل ذلك عزموا على تخصيص الأرباح الهائلة التي تدرها عليهم قافلتهم التجارية الكبيرة لتجهيز حملة تثأر لقتلاهم وتهيئ الأمن لقوافلهم"[٣].

ثم يقول عن قادة قريش: "وكان على رأس ذلك الجيش المكوّن من ثلاثة آلاف مقاتل رجال ممن أصيب أهلهم يوم بدر، كصفوان وعكرمة، كذلك كان هناك خالد بن الوليد البطل المقدام، ولم تكن النساء أقل تحمسًا لطلب الثأر، فخرجت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان، يرافقها زمرة صواحبها، وقد وطدن العزم على سد الطريق في وجه كل جندي يريد الفرار"[٤].

ثم يذكر رؤيا للرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "ولقد رأى محمد رؤيا، قال: ((إني قد رأيت والله خيرًا، رأيت بقرًا تذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلمًا، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأولتها بالمدينة، فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو

(١) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ١٤٢-١٥٦.

(٢) مراد هوفمان الإسلام كما يراه مسلم ألماني، ص٣٧.

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢١٧.

(٤) المرجع السابق، ص٢١٧.

رجل من أهل بيتي يقتل، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشـــرِّ مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها[(١)])"[(٢)].

ويصـــف اتيين دينيه جيش المســـلمين ورجوع المنافق عبد الله بن أبي بن ســـلول بثلث الجيش فيقول: "وكان عدد جند المؤمنين يبلغ الألف من المشاة، غير أنه لم يكن في جيشهم إلا جوادان، وقد دفع لواء المهاجرين إلى مصـعب بن عمير، وسـلم لواء الأوس إلى أسـيد؛ أما لواء الخزرج فكان بيد الحباب، ثم قام عبد الله بن أبي بن سلول ينشر بذور الفتنة حتى انحاز إليه ثلث الجيش الصغير الذي لم يبق منه إلا ما يقرب من السـبعمائة رجل، وقفل المنافق راجعًا إلى المدينة في المنخذلين، وتشـيعهم سخرية المسلمين المخلصين"[(٣)].

ويصف اتيين دينيه سير المعركة وانهزام جيش المشركين ونزول الرماة فيقول: "كان النصر –من غير ما شك– للمسلمين، ولقد وقع لواء القرشيين تحت كومة هائلة من القتلى؛ فلم يجسر أحد منهم على رفعه، وشرع أعداء الله في الهرب وانقلب حنق هند وصواحبها إلى رعب، فشمرن عن سيقانهن استعدادًا للفرار، وشاهد الرماة عند مضيق الوادي على سفح جبل أحد ذلك المنظر مهللين، غير أنهم لم يستطيعوا صبرًا حتى انتهاء المعركة –خشية أن تفوتهم الغنائم– وعبثًا حاول أميرهم عبدالله بن جبير أن يوقفهم ويذكرهم بأوامر الرسول المشددة، وواجبهم الذي يقضي بحماية ظهر الجيش، وبأن ذلك لا يتأتى إلا بالصمود في مكانهم، فقد أجابوه غاضبين: انهزم المشركون، فما مقامنا ها هنا؟ وانحدروا إلى الوادي كالسيل الجارف، غير عابئين بأوامر الله ورسوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٥٢][(٤)].

ثم يذكر اتيين دينيه موقف أبي ســـفيان بعد انتهاء المعركة فيقول: "ثم اقترب أبو ســـفيان من المؤمنين حتى صار في استطاعته محادثتهم، وهم متحصنون بسفوح أحد، فصاح فيهم: أمحمد بينكم؟ فلم تلق جوابًا، فاستنتج أن محمدًا قد مات، فصاح بأعلى صوته قبل أن ينصرف: أنعمت فعال، إن

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم، باب أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، (٢٧١/١) ح (٢٤٤٥) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢١٨.

(٣) المرجع السابق، ص٢١٩.

(٤) المرجع السابق، ص٢٢٣.

الحرب سجال، يوم بيوم بدر، أعلى هبل، فلما سمع الرسول ذلك الإسفاف أمر عمر بالرد عليه، فصاح عمر قائلاً: الله أعل وأجل، فعرف أبو سفيان صوت عمر، فسأله: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمدًا؟ قال: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، فخاب ظن أبي سفيان فقال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر، لقول ابن قمئة لهم: إني قد قتلت محمدًا، ثم نادى أبو سفيان: إن موعدكم بدر للعام القابل، فأجاب عمر: نعم هو بيننا وبينك موعد"(١).

ويقول روجيه دوباسكويه عن غزوة أحد: "وأعد المكيون العدة للانتقام وبعد بدر بثلاثة عشر شهرًا خرجوا إلى المدينة بجيش قوى مدعم بالفرسان، وخرج المسلمون إليهم بجيش أقل عددًا وعدة، والتقى الجيشان عند سفح جبل أحد، ونظم النبي جيشه وأمر الرماة أن يبقوا لحراسة المؤخرة ولا يغادروا موقعهم مهما حدث، وبدأت المعركة وسرعان ما انتصر المسلمون، وانهزم المكيون وانسحبوا من الميدان، وتبعهم المسلمون، فلما رأى الرماة ذلك تركوا مواقعهم ولحقوا بالجيش ليشاركوا في النصر والغنائم، وهنا التف خالد بن الوليد بفرسانه حول جيش المسلمين وهاجمهم من الخلف، فانقض عليهم قتلاً وجرحًا وتشتيتًا، وجرح رسول الله وزعم المكيون قتله؛ مما زاد اضطراب وتشتت جيش المسلمين، ولكن لم يحرز أي من الجيشين انتصاراً حاسماً"(٢).

وذكر مارتن لينجز غزوة أحد وتحدث عنها فقال: "بعد أن هُزمت قُريش ومن معها في غزوة بدر على يد المسلمين، وقُتل من قُتِلَ من رجالها، اشتدَّ حقدها على رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، فكانت الرغبة بالثأر والانتقام من المسلمين، وجمعت ما يقارب ثلاثة آلاف رجل وأكثر من قريش وحلفائها، ووقعت غزوة أحد في بالقرب من جبل أُحد، وجبل أحد يقع في سلسة جبال شمال المدينة المنورة، وفي بداية المعركة انتشر المسلمون انتشارًا كبيرًا على شكل كتائب متفرقة ورشقوا النُبُل على المشركين حتّى همّت جيوش المشركين بالهرب، حتى صاح بعض الرماة الذين كانوا على الجبل: الغنيمة الغنيمة، ونزلوا من الجبل مخالفين أمر رسول الله ﷺ"(٣).

ويشير مراد هوفمان إلى غزوة أحد بقوله: "ولم يكن أي من الجانبين قادراً على حشد قوة أكبر، وخلال مجمل النزاعات التي دامت قرابة ثماني سنوات بين مكة والمدينة، من عام ٦٢٢م حتى ٦٣٠م

---

(١) المرجع السابق، ص٢٢٧.

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥٦-٥٨.

(٣) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ١٨١-١٨٦.

لم يسقط إلا (٢٤٠) قتيلاً وشهيداً، وبلغت أكبر الخسائر التي مني بها المسلمون في يوم واحد (٧٠) شهيداً، عند سفح جبل أُحُد"[١].

غزوة ذات الرقاع (سنة ٤هـ، ٦٢٦م)

يقول اتيين دينيه عن غزوة ذات الرقاع: "علم الرسول أن بني محارب وبني ثعلبة بنجد، قد أعدوا العدة ليحملوا عليه، فعزم على سبقهم والتقدم لمواجهتهم، ولم يستطع لعجلته في الرحيل أن يجمع إلا القليل من الجمال، فكان نصيب كل ستة من الجنود بعيرًا، يتناوبونه بينهم كل بدوره، فلحق بأرجلهم أذى من أثر الصخور الحادة التي أدمتها وخلعت منها الأظافر، فكان المؤمنون يلفونها برقاع من القماش، ومن ذلك سميت الغزوة بذات الرقاع"[٢].

ويصف اتيين دينيه سير المعركة فيقول: "وبعد أن عسكر جند محمد في بطن نخل، وجدوا أنفسهم أمام الأعداء مجتمعين، فثبت الجيشان متواجهين لا يجرؤ أحدهما على البدء بالقتال، ولم يتقدم المؤمنون؛ إذ كانوا قلة بالنسبة إلى أعدائهم، ولم يتقدم المشركون؛ إذ حل بهم الرعب من جند الإسلام بعد انتصاراتهم المتوالية، وفي هذه الأثناء شرع الرسول صلاة الخوف، فقسم المؤمنين فئتين تتناوبان الصلاة وملاحظة العدو"[٣].

وتحدث مارتن لينجز عن غزوة ذات الرقاع: فيقول: "هي غزوة قام بها النبي ﷺ ضد بني ثعلبة وبني محارب من غطفان بعد أن بلغه أنهم يعدون العدة لغزو المدينة، فخرج إليهم في أربعمائة من المسلمين، وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالصحابة صلاة الخوف لأول مرة في الإسلام، فلما علمت قبائل غطفان بقدوم المسلمين هربت، فلم يقع قتال، وعاد المسلمون منتصرين"[٤].

---

(١) مراد هوفمان الإسلام كما يراه مسلم ألماني، ص٣٧.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٣١.

(٣) المرجع السابق، ص٢٣١.

(٤) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٢١٣-٢١٤.

غزوة بني المصطلق (سنة٥هـ، ٦٢٧م):

يقول اتيين دينيه عن غزوة بني المصطلق: "تحرك بنو المصطلق بدورهم وتآمرهم على الإسلام، فعقد محمد العزم على ردعهم، فقام إليهم في جيشه، حتى لحقهم في أرضهم بقديد، عند ماء يقال له المريسيع فتقاتل الجيشان واقتتلا"(١).

وينقل اتيين دينيه حادثة الإفك على رواية عائشة رضي الله عنها فيقول: "قالت عائشة: ولما فرغ رسول الله من غزوة بني المصطلق توجه قافلاً؛ حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلاً فبات فيه بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع، واحتملوه فشدوه على البعير، ولم يشكوا أني فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى المعسكر وما فيه من داع ولا مجيب، قد انطلق الناس فالتففت في جلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو افتقدت لرجع القوم إليّ، فو الله إني لمضطجعة؛ إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن المعسكر لبعض حاجاته، فلم يبت مع الناس فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف عليّ، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقمت ثم قرب البعير، واستأخر عني فركبت، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعًا يطلب الناس حتى لحقنا برسول الله"(٢).

ثم يقول اتيين دينيه معلقاً على هذه الحادثة فيقول: "واتخذ أهل النفاق من ذلك الحادث مطية لإفكهم وقالوا في عائشة ما قالوا، وأحس محمد بالشك يغزو قلبه، فابتعد عن عائشة رغم احتجاجها وتأكيدها براءتها ورغم تألم صهره أبي بكر لذلك، ثم أخيرًا نزل الوحي على النبي، فجاء بلسمًا شافيًا لشكوكه، ودواء ناجعًا قاطعًا للظنون؛ إذ استنكر فيه الله تعالى الإفك وكذب أهله"(٣).

ويذكر مارتن لينجز عن غزوة بني المصطلق؛ حيث سمع النبي صلى الله عليه وسلم باجتماع قبيلة بني المصطلق استعدادها للإغارة على المدينة، فما كان منه إلا أن جمع المسلمين وانطلق إليهم لرد شرهم، قبل أن يشكلوا خطراً على المدينة، وباغتهم عند منطقة تعرف بماء المريسيع، وعندها حصل قتال غير متكافئ بين المسلمين وبني المصطلق لهول المفاجأة؛ لأن النبي محمداً صلى الله عليه

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨٩.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨٩.

وسلم قام بالإغارة على بني المصطلق وأنعامهم تسقي الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم، وغنم المسلمون غنائم كثيرة وسلبوا عددًا كبيرًا من نساء القبيلة، وكان من بين السبايا جويرية بنت الحارث ابنة زعيم بني المصطلق الحارث بن ضرار، والتي أصبحت ملكة يمين عند النبي صلى الله عليه وسلم، لاحقاً تزوجها نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، وحصلت بعد هذه الغزوة حادثة شهيرة هي حادثة الإفك التي اتهمت فيها عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم[١].

غزوة الخندق

يقول اتيين دينيه عن غزوة الخندق: "وكانت المدينة محصنة من كل جانب بالسدود والقلاع والبساتين، غير أن الجانب الشمالي كان ضعيفًا يعرض للأعداء منفذًا يخشى منه هجوم عنيف، فأشار سلمان الفارسي وكان حديث عهد بالإسلام على الرسول باتخاذ تدبير مفيد للدفاع، وهو أن يحفر خندقًا يحيط بالموقع الضعيف، وكان سلمان قد رأى شيئًا من ذلك في بلاده، واقتنع محمد بحجج الفارسي؛ مما جعله يأمر في الحال بحفر الخندق، فنزل جميع المسلمين إلى ساحة العمل، مؤمنين بصواب رأي نبيهم وبصدق بصيرته"[٢].

ويقول روجيه دوباسكويه عن هذه الغزوة: "في السنة الخامسة حزَّب يهود بني النضير سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم قريش لحرب المسلمين واستئصالهم، وكذلك فعلوا مع غطفان، فخرجت قريش ومن تبعها من بني كنانة وأهل تهامة، وخرجت غطفان ومن تبعها من نجد، وكانوا عشرة آلاف، وخرج النبي بثلاثة آلاف، وأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة"[٣].

وذكر مارتن لينجز عن هذه الغزوة فيقول: "هي غزوة وقعت نهاية العام الخامس من الهجرة بين المسلمين بقيادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والأحزاب الذين هم مجموعة من القبائل العربية المختلفة، التي اجتمعت لغزو المدينة المنورة والقضاء على المسلمين والدولة الإسلامية، وبعد أن خرج يهود بني النضير من المدينة إلى خيبر، خرجوا وهم يحملون معهم أحقادهم على المسلمين، فما أن استقروا بخيبر حتى أخذوا يرسمون الخطط للانتقام من المسلمين، فاتفقت كلمتهم، وخرج الوفد

(١) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٢٤٢-٢٤٤.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٣٥.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥٦-٥٨.

الذي يتكون من زعماء اليهود وسادات بني النضير إلى قريش بمكة، ثم إلى غطفان، ثم طاف الوفد في قبائل قريش يحرضونهم على غزو الرسول محمدٍ صلى الله عليه وسلم"(١).

صلح الحديبية

يقول اتيين دينيه عن صلح الحديبية: "رأى الرسول فيما يرى النائم أنه دخل مكة بين أصحابه، وأنه طاف، فعزم على تحقيق ذلك الحلم، وفي شهر ذي القعدة رحل الرسول في أربع عشرة مائة حاج يسوقون أمامهم الهدي سبعين بدنة، وخرج من المدينة قاصداً مكة؛ ولكنه أراد أن يبين للناس أن لم يخرج للحرب، ثم أحرم في ذي الحليفة فلبس ثوب الحج وسمع الرسول باستنفار قريش لخروج النبي عليه الصلاة والسلام، وسلك طريقاً آخر مجهولاً وعراً، فعلم أهل مكة الاتجاه الجديد، فأرسلوا رسلاً لاستطلاع الأخبار"(٢).

وذكر اتيين دينيه موقف عروة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: "ورأى عروة أثناء إقامته عند الرسول ما يحيطه به أصحابه من إجلال: لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، فلما رجع قال لمن بعثه: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، فو الله ما رأيت ملكًا في قوم قط مثل محمد في أصحابه، لا يبغون منه مالاً ولا جاهًا كالعهد بأصحاب الملوك، ولقد رأيت قومًا لا يسلمونه لشيء، فَرَوْا رأيكم"(٣).

ويقول روجيه دوباسكويه عن هذا الصلح: "اختار النبي أن يعتمر في الأشهر الحرم التي ما زالت قريش تحترم فيها الدماء، فخرج في ذي القعدة من السادسة الهجرية ومعه حوالي ألف وأربعمائة من الصحابة عزل من السلاح، وجاءتهم وفود قريش تستكشف وتستفهم سبب حضورهم الذي وضحه النبي وحال المسلمين العزل من السلاح، ثم أرسل النبي عثمان إلى قريش ليؤكد أنهم جاءوا للعمرة، فلما تأخر عثمان في مكة وسرت شائعة بقتله؛ جدد النبي البيعة من الصحابة تحت شجرة الرضوان، عاد عثمان وجاء من مكة سهيل بن عمرو، فعقد النبي صلح الحديبية"(٤).

(١) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٢٤٤.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٤٤.

(٣) المرجع السابق، ص٢٤٤.

(٤) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٥٩.

ويذكر مارتن لينجز صلح الحديبية فيقول: "أعلن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه يريد المسير إلى مكة لأداء العمر، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخشى أن تتعرض له قريش بحرب أو يصدوه عن البيت الحرام؛ لذلك استنفر من حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، فأبطؤوا عليه، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار وبمن لحق به من العرب، ولبسوا ملابس الإحرام ليؤكدوا لقريش أنهم يريدون العمرة ولا يقصدون الحرب، وعندما وصلوا إلى ذي الحليفة أحرموا بالعمرة، فلما اقتربوا من مكة بلغهم أن قريشاً جمعت الجموع لمقاتلتهم وصدهم عن البيت الحرام"[١].

ثم ذكر مارتن لينجز بيعة الرضوان؛ حيث أُرْسِل عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش؛ ولكنه تأخر في الرجوع إلى المسلمين، فخاف النبي صلى الله عليه وسلم عليه، وخاصة بعد أن شاع أنه قد قتل، فدعا إلى البيعة فتبادروا إليه وهو تحت الشجرة، فبايعوه على أن لا يفروا، وهذه هي بيعة الرضوان، وقام قريش بإرسال سهيل بن عمرو لعقد الصلح، فتكلم سهيل طويلاً، ثم اتفقا على شروط الصلح، ومن أهم شروط الصلح أن يمنعوا الحرب لمدة (١٠) سنين، وأن يعود المسلمون ذلك العام على أن يدخلوا مكة معتمرين في العام المقبل[٢].

غزوة يهود بني قينقاع (سنة ٢هـ، ٦٢٤م):

يذكر اتيين دينيه سبب غزوة بني قينقاع فيقول: "جلست امرأة عربية إلى صائغ من بني قينقاع، فتعرضت لأشنع المجون: إذ عمد يهودي إلى ذيل ثوبها، فعقده إلى ظهرها، دون إثارة انتباهها، فلما اعتدلت واقفة انكشفت سوأتها أمام يهود الحانوت، الذين انتفضوا ضاحكين على أقبح الصور، وغضب أحد العرب الحاضرين فضرب المستهتر بعصاه ضربة ألقته صريعًا، وثارت حمية أهل اليهودي، فانقضوا على العربي وأردوه قتيلاً، وهرع العرب إلى المكان يطلبون ثأر أخيهم، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع، وسالت الدماء من الجانبين"[٣].

ثم يصف اتيين دينيه سير المعركة، فيقول: "فجمع محمد المسلمين وسيرهم لغزو بني قينقاع الذين ما كادوا يرون جند الله حتى فروا هاربين مخلفين وراءهم غرورهم وغطرستهم، واعتصموا بقلاعهم

---

(١) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٥٣.

في ضواحي المدينة، فتتبعهم الرسول وحاصرهم حتى أرغمهم على الاستسلام المطلق بعد خمسة عشر يوماً من المقاومة، وأجلوهم إلى الشام، وقسمت أموالهم بين المنتصرين"[(١)].

ويتحدث مارتن لينجز عن هذه الغزوة ويذكر سـبب حدوثها بأن امرأة مسـلمة كانت قد جاءت للبيع أو تبادل بعض السلع تعرضت للإهانة الجسيمة من قبل صائغ يهودي فصاحت فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله، فقام اليهود على المسلم فقتلوه، فحاصر المسلمون اليهودَ حتى دبّوا الرعب في قلوبهم، ونزلوا على حكم رسـول الله، وألقوا سـلاحهم وأخرِجوا من ديارهم وطردوا من المدينة، إلى بلدة من بلاد الشام، وقد تولى عملية إجلائهم الصحابي الجليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه[(٢)].

غزوة يهود بني النضير (سنة ٣هـ، ٦٢٥م):

يقول اتيين دينيه عن غزوة بني النضير: "طالب بنو النضير بدية رجلين من بني جلدتهم، قتلهما جند عمرو، فخرج الرسول إليهم مستوضحًا القضية، وبذل لهم ما أرضاهم؛ غير أن جحاش بن كعب اليهودي أراد أن يكيد لمحمد -صلى الله عليه وسلم-، فصعد مستترًا إلى دار تطل على النبي وجماعة من الصـحابة، وقد جلسـوا في ظل حائط يتجاذبون أطراف الحديث، وأعد ابن جحاش صـخرة ضخمة قاصدًا رمي الرسول بها وسحقه، وبينما الشقي على وشك تنفيذ خطته؛ إذا بمحمد قد أتاه إلهام سماوي، فرفع رأسـه ناظرًا إلى أعلى ورأى المكيدة، فأسـرع بالابتعاد عن الحائط جاذبًا أصـحابه معه، ولم يكد يرجع إلى المدينة حتى جمع جنوده، وسـار فيهم لمعاقبة أولئك الغادرين، ولما رأى بنو النضير أنهم قد باءوا بالفشل التجأوا إلى قلاعهم؛ ولكنهم بعد ستة أيام من المقاومة أرغموا على مثل ما فعل بنو قينقاع، فاسـتسـلموا صـاغرين ضـارعين إلى المنتصـر، يطلبون منه الرحمة، فعفا عنهم وأجلاهم، ولم يسمح لكل منهم إلا بحمل بعير من أموالهم الطائلة"[(٣)].

ويشـير مارتن لينجز إلى هذه الغزوة فيقول: "بينما جلس النبي صـلى الله عليه وسـلم إلى جنب جدار بيت من بيوتهم وجلس معه أبو بكر وعمر وطائفة من أصـحابه؛ صعد يهوديٌ من بني النضـير على سـطح المنزل لينفذ فعلته المشؤومة؛ ولكنّ الله سبحانه وتعالى أرسـل جبريل إلى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ليُعلِمه بما همُّوا به، فأخبره جبريل، فنهض النبي صـلى الله عليه وسـلم مسـرعًا وتوجَّه

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٥٤.

(٢) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ١٦٥-١٦٦.

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٥٤-٥٥.

إلى المدينة، فلحقه أصحابه فقالوا: نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همَّ به اليهود، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إلى يهود بني النضير يقول لهم: اخرجوا من المدينة، وقد أجلتكم عشرًا، فمن وجدته بعد ذلك منكم ضربت عنقه[١]"، ثم ذكر المؤلف موقف رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول؛ "حيث بعث إليهم أن اثبتوا وتمنَّعوا ولا تخرجوا من دياركم، فإنَّ معي ألفي رجل يدخلون معكم حصونكم، يدافعون عنكم، ولم يطل الحصار طويلاً، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فانهزموا وتهيأوا للاستسلام وإلقاء السلاح، فأرسلوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم نحن نخرج عن المدينة"[٢].

غزوة يهود بني قريظة (سنة ٥هـ، ٦٢٧م):

يقول اتيين دينيه عن غزوة بني قريظة: "تشتت شمل الحلفاء بعد فشلهم في غزوة الخندق، فطوى المسلمون السلاح وباتوا يريحون بالنوم أبدانهم المرهقة من أثر السهرات الطويلة والمتاعب الكثيرة التي عانوها أيام الحصار، وبينما هم على هذه الحال إذا بصوت المؤذن يوقظهم ويدعوهم إلى صلاة العصر في بني قريظة، وكان ذلك بأمر من الرسول؛ إذ رأى أن غدر بني قريظة الذين نقضوا ميثاقهم وانقلبوا عليه متحالفين مع أعدائه؛ لا يستحق إلا صارم العقاب وعاجله، فعسكر في اليوم نفسه عند (بئر أنى) أمام قلاعهم، وأجبرهم على الاستسلام بعد خمسة عشر يومًا من الحصار"[٣].

ويذكر مارتن لينجز سبب هذه الغزوة، وهو غدر بني قريظة بالمسلمين في معركة الخندق رغم العهود والمواثيق التي كانت بين المسلمين وبني قريظة وهجومهم على نساء المسلمين أثناء انشغال المسلمين في حماية المدينة حول الخندق، ولما رجع رسول الله من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: وضعت السلاح، والله ما وضعته، أخرج إليهِم، قال النبي: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه، قال: فإني أحكم فيهم: أن تقتل المقاتلة، وأن تُسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم[٤].

(١) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٢٠٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٥٥.

(٤) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٢٢٤-٢٢٦.

غزوة يهود خيبر (سنة ٦هـ، ٦٢٨م):

يقول اتيين دينيه عن غزوة يهود خيبر: "اعتقد أهل خيبر أنهم بمأمن من ضربات المسلمين، فلم يألوا جهدًا في سبيل الكيد لهم، ووجدوا في الطريقة التي اتبعها محمد حيال أهل مكة خير معين للوصول إلى مآربهم، وكانت قبيلة بني غطفان حليفهم، تسود البلاد الواقعة بين خيبر والبحر؛ فتآمروا على قطع السبيل على كل القوافل الخارجة من المدينة في طريق سوريا، وأثر ذلك على حالة المدينة الاقتصادية، ففكر الرسول مرارًا في غزو يهود خيبر؛ غير أن انشغاله بأمر مكة منعه من تنفيذ فكرته، حتى رجع من الحديبية وقد عقد مع القريشيين هدنة السنين العشر، فأزال ذلك عن كاهله كل هم من ناحيتهم، ونزل عليه الوحي: ﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ [سورة الفتح: ١٨]. فاعتقد النبي أن ذلك الوحي لا ينطبق إلا على خيبر، فلم يتردد، وعقد العزم على فتح آخر معقل لليهود في بلاد العرب"[١].

ثم ذكر اتيين دينيه فتح الصحابة الحصون والقلاع حتى فتح الله خيبر وغنم المسلمون غنائم كثيرة[٢].

ويذكر مارتن لينجز هذه الغزوة فيقول: "لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوى أجنحة الأحزاب الثلاثة وهو قريش، وأمن منه تماماً بعد صلح الحديبية؛ أراد أن يحاسب الجناحين الباقيين اليهود وقبائل نجد حتى يتم الأمن والسلام، ويسود الهدوء في المنطقة؛ لأن خيبر هي وكرة الدس والتآمر، ومركز الاستفزازات العسكرية، ومعدن التحرشات وإثارة الحروب، كانت هي الجديرة بالتفات المسلمين أولًا"[٣]، ثم يذكر مارتن لينجز "خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بروح إيمانية عالية، مخلصين لله موقنين بالنصر، مستبشرين بالغنيمة التي وعدهم الله إياها وهم في طريق عودتهم من الحديبية، وحاصر المسلمون حصون خيبر متأهبين لقتال اليهود، وقد أخذوا أسلحتهم وأعدُّوا عدتهم لذلك، وسقطت حصون وقلاع خيبر، وختم مارتن بالإشارة إلى زواج النبي صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حيي بن أخطب"[٤].

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥٦.

(٣) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٢٠٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٠٩.

غزوة مؤتة (سنة ٧هـ، ٦٢٩م):

يقول اتيين دينيه عن غزوة مؤته: "بلغ النبي أمر سفيره الحارث بن عمير، فاشتد عليه، وعزم أن يثأر له ثأرًا عاجلاً وإن كان لم يخف عليه ما يتعرض ذلك من العقبات، ولم يكن على المؤمنين في هذه الحملة أن يقاتلوا فقط عرب سوريا الذين يفوقون عرب الحجاز عددًا؛ بل كان عليهم أن يواجهوا أيضًا جند الروم التي تحتل بلاد البلقاء، وجهز الرسول ثلاثة آلاف من الجند، وأمر عليهم زيد بن حارثة؛ غير أنه أدرك أن قائد الحملة قد قتل في ذلك الصراع الذي تتفاوت فيه قوى الجانبين، فعين لهم جعفر بن أبي طالب أميرًا إن أصيب زيد بن حارثة، فإن أصيب جعفر فعليهم بعبدالله بن رواحة من بعده، فإن أصيب عبدالله فليرتضوا رجلاً منهم فليجعلوه عليهم"(١).

غزوة حنين (سنة ٨هـ، سنة ٦٣٠م):

يقول اتيين دينيه عن غزوة حنين: "اعتمد الثقفيون والهوازنيون على مناعة مدينتهم: الطائف، وكانوا على ثقة من أنها كفيلة بحمايتهم في حالة الهزيمة، فرفضوا الخضوع للرسول؛ بل أعدوا العدة لقتاله، فاجتمعوا بوادي أوطاس، برئاسة البطلين الشهير مالك بن عوف، ودريد بن الصمة.

ويستمر اتيين دينيه حديثه في وصف مشاهد المعركة فيقول: "وعلم محمد بما يبيتون له من شر، فبعث بابن أبي الحدْر مستطلعًا، فلما وافاه بالمعلومات الدقيقة؛ عزم على القيام إليهم، وانضم إلى جيش النبي، وكان عدد رجاله عشرة آلاف، ما يربو على الألفين من أهل مكة الذين أسلموا بعد الفتح، فدفعتهم حميتهم إلى إظهار شجاعتهم وإخلاصهم، فزاد ذلك في عظمة جيش المؤمنين، حتى كان من روعته وقوته حينما مر بالصحراء أن ارتفع صوت من رجل يقال إنه من بني بكر هاتفًا: لن نغلب اليوم من قلة، وقد غضب الرسول -صلى الله عليه وسلم- إذ سمع ذلك القول الغرير، ولام قائله أشد اللوم؛ لأن الغرور يوهن العزيمة وينسى الإنسان أن النصر إنما يأتي من لدن الله"(٢).

ويشير مارتن لينجز إلى هذه الغزوة فيذكر امتنان الله على النبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة؛ حيث كان لهذا الفتح الأعظم رد فعل معاكس لدى القبائل العربية الكبيرة القريبة من مكة، وفي مقدمتها قبيلتا هوزان وثقيف، فقد اجتمع رؤساء هذه القبائل، وسلموا قيادة أمرهم إلى مالك بن عوف سيد هوزان، وأجمعوا أمرهم على المسير لقتال المسلمين قبل أن تتوطد دعائم نصرهم، وتنتشر

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨٠.

طلائع فتحهم، ولحقت الهزيمة بالمسلمين في بداية غزوة حنين، وفر معظمهم في ميدان المعركة؛ لأنهم فوجئوا بما لم يتوقعوه، وقعت الهزيمة في الجولة الأولى لعدة أسباب أهمها: أن شيئًا من العجب تسرب إلى قلوب المسلمين لما رأوا عددهم، فقد قال رجل منهم: لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت الهزيمة في البداية(١).

ويشير مراد هوفمان إلى هذه الغزوة بقوله: "كانت أقوى قوة ضاربة، استطاع المسلمون بناءها حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، تضم اثني عشر ألف مقاتل فقط (كان ذلك في غزوة حنين) بهذه القوة العسكرية الصغيرة التي كانت تتناسب مع قلة عدد السكان العرب وقوتهم الاقتصادية"(٢).

فتح مكة (سنة ٧هـ، ٦٣٠م):

يذكر اتيين دينيه سبب فتح مكة وغدر بني خزاعة فيقول: "لم يلبث أهل مكة أن نقضوا معاهدة الحديبية؛ إذ باغتوا ليلاً جماعة من مسلمي بني خزاعة في مخيمهم عند بئر الوثير، فقتلوا منهم عشرين رجلاً، وإزاء هذا الاعتداء الأثيم لم يتردد النبي في العزم على مهاجمتهم، وأعد العدة لتسيير الحملة، ولم يشك أهل مكة في أنهم سوف ينالون جزاء غدرهم، فبعثوا بأبي سفيان إلى المدينة ليصالح المسلمين، ويطلب إبقاء المعاهدة"(٣).

ويصف اتيين دينيه تحرك الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة فيقول: "وفي اليوم العاشر من شهر رمضان استخلف الرسول على المدينة كلثوم الغفاري، وسار إلى مكة في جيش عظيم انضم إليه في الطريق الكثير من القبائل، فبلغ عدد الرجال عشرة آلاف رجل، وباشر المؤمنون الصيام حتى وصلوا بئر الكديد في وضح النهار، وصل الرسول إلى ذي طوى، فوقف دابته وأشرف على مكة التي كان قصارى مناه أن يدخلها دون إراقة دماء عشيرته، فحمد الله القدير الكريم، وطأطأ رأسه حتى مست لحيته مقدم رحله"(٤).

ويواصل اتيين دينيه حديثه في وصف دخول الرسول صلى الله عليه وسلم مكة مع أصحابه فيقول: "وكان الرسول معتلياً ناقته المفضلة القصواء، وقد أركب على عجزها أسامة بن زيد بن حارثة، فركع على رحله وتلا سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ [سورة الفتح: ١]. واعتجر الرسول

(١) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٢٠٨-٢١٠.

(٢) مراد هوفمان الإسلام كما يراه مسلم ألماني، ص١٢٤.

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٧٠.

(٤) المرجع السابق، ص٢٧١-٢٧٤.

عمامة سوداء فوق وشاح مخطط بالأحمر على رأسه، وترك طرفها يرفل بين كتفيه، ثم يمم راكبًا شطر الكعبة ليقضي الطواف، فحيا الحجر الأسود بأن استلمه بطرف محجن، ثم نزل عن راحلته ليغشى البيت؛ ولكنه تراجع يغمره النفور؛ إذ أبصر الأصنام التي كانت به، وصاح أمام لوحة تصور إبراهيم ممسكًا بالأزلام: قاتلهم الله؛ حيث جعلوه شيخًا يستقسم بالأزلام، وأمر بتمزيق تلك الصورة الآثمة، كما أنه هشم بيديه صورة لحمامة منحوتة على الخشب، ثم دخل البيت قائلاً: الله أكبر، واتجه إلى الأصنام المحيطة بالحرم، وكان عددها ثلاثمائة وستين، فبدأ بالصنم الأكبر صنم هبل، وجعل يضرب في عينيه بمحجنه قائلاً: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝﴾ [سورة الإسراء: ٨١][١].

ويقول روجيه دوباسكويه عن هذا الفتح العظيم: "أمر النبي بتجهيز الجيش لمكة وخرج في عشرة آلاف، وجاء أبو سفيان المدينة في محاولة لإيقاف الفتح المحتمل؛ ولكنه فشل فرجع مكة، وخرج من مكة ليلة لاستطلاع الأحوال، فلقي العباس في جيش الفتح، فاقتاده للنبي ليدخل في الإسلام، وقال له النبي ليخبر أهل مكة: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، وفتح المسلمون مكة بدون مقاومة حقيقية إلا ما كان من قلة قليلة أسفر قتالها عن أقل من عشرين قتيلاً، وعفا النبي عن المشركين بقولته الشهيرة: [اذهبوا فأنتم الطلقاء]"[٢].

ويذكر مارتن لينجز بأن قبيلةَ قريشٍ نقضت الهدنةَ التي كانت بينها وبين المسلمين، بإعانتها لحلفائها من بني الدئل بن بكرٍ في الإغارة على قبيلة خزاعة، الذين هم حلفاءُ المسلمين، فنقضت بذلك عهدَها مع المسلمين الذي سمّي بصلح الحديبية[٣].

وكما يشير مراد هوفمان إلى هذا الفتح فيقول: "أخيراً استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم عام ٦٢٨م تحقيق ضربة صائبة هي وقف القتال مع المكيين، وكان ذلك استسلاماً مسبقاً، وفي الحقيقة استطاع المسلمون عام ٦٣٠م الاستيلاء على المدينة (مكة) دون مقاومة ومن خلال عفو عام"[٤].

(١) المرجع السابق، ص٢٧٥.

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٦٠-٦١.

(٣) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٣٠٣-٣٠٥.

(٤) مراد هوفمان الإسلام كما يراه مسلم ألماني، ص٣٧.

٧/ حجة الوداع:

يصف اتيين دينيه حجة الوداع فيقول: "حجة الوداع (ذو الحجة سنة ١٠هـ- مارس ٦٣٢م) عزم الرسول في السنة التالية على قيادة الحج إلى مكة بنفسه، فمنذ هجرته إلى المدينة لم يكن قصد مكة إلا للعمرة، إذ كانت مكة لا تزال مشركة؛ غير أن الحج الأكبر وهو من فروض الإسلام الخمس يحتم زيارة بيت الله كما يحتم زيارة جبل عرفات[١](وقد سمي هكذا؛ لأن جدينا آدم وحواء، تعارفا عليه بعد طردهما من الجنة)، وبلغ عدد الحجاج الذين خرجوا معه من المدينة أو التقوا به في الطريق حوالي مائة ألف حاج"[٢].

ويواصل اتيين حديثه في وصف مشاهد الحج فيقول: "ووصل المؤمنون إلى ذي الحليفة، فأحرم النبي كما سبق شرحه في فصل الحديبية، وتبعه في ذلك المؤمنون، فارتدوا ثوب الإحرام المكون من قطعتي قماش غير مصبوغ، لا خياطة فيهما، تلف إحداهما على الصدر، وتستر الأخرى العورة؛ أما الرأس والرجلان والذراعان فتبقى عارية، ونادى الرسول ملبيّا، فردد المؤمنون بصوت واحد من بعده التلبية: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)[٣].

ويصف اتيين دينيه مناسك الحج فيقول: "وسلك الرسول في حجه هذا عين الطريق الذي سلكه في عمرته، فدخل مكة في وضح النهار، وأناخ ناقته أمام باب الحرم، المعروف بباب السلام، وأبصر البيت، فقال: ((اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا ومهابةً وبرًّا، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا وبرًّا))[٤]، وبدأ الرسول بحمد الله والثناء عليه والتعظيم له ثم قال: ((أيها الناس، اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا، أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغْت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها[٥]))[٦].

---

(١) الواجب هو الوقوف بعرفة وليس زيارة الجبل في عرفات.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٠٥.

(٣) المرجع السابق، ص٣٠٥.

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٥، (٤/ ٣٠١).

(٥) سنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب الاقتداء بالعلماء، (٨٦/١) ح (٢٢٧) قال حسين سليم أسد: إسناده حسن.

(٦) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٠٨.

ثم يكمل اتيين دينيه خطبة الرسول عليه الصلاة والسلام فيقول: "((فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا، أمرًا بينًا: كتاب الله وسنة رسوله، أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعَلَّمُنَّ: أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟ فأجاب المائة ألف حاج بصوت واحد يفيض إخلاصًا وإيمانًا صادقًا: اللهم نعم! فقال الرسول: اللهم فاشهد! [1]))[2].

ويكمل اتيين دينيه حديثه عن باقي المناسك والنحر فيقول: "فلما وصل الركب إلى المزدلفة صلى بها الرسول العشاء ثم الفجر في اليوم التالي، ثم ركب ناقته وبلال يقودها، وأسامة على عجزها رافعًا ثوبًا يظله به من الحر، واتجه الرسول شطر وادي منى؛ ليرمي بحصيات سبع كلاً من الأعمدة الثلاثة القائمة هناك والمعروفة بالجمرات، تذكرة للحصيات التي رمى بها إبراهيم الشيطان الذي حاول ثلاثًا أن يقفه في هذا المكان، ثم أعتق محمد ثلاثة وستين عبدًا، ونحر بيده ثلاثة وستين بعيراً"[3].

ويذكر اتيين دينيه تميز الحج في الإسلام فيقول: "والميزة الخاصة التي يمتاز بها حج المسلمين هي عدم وجود تلك المعابد الكثيرة ذوات القباب الضيقة التي تحبس الأرواح، وتقفها في وثبتها إلى الخالق، فتبقيها على الأرض رهن رحمة القسيس، ويمتاز أيضًا بانعدام جيش القديسين العرمرم، الذي تشغل عبادته عن عبادة (الإله الخالد) الذي ينسى عادة في مثل تلك الأوقات، وأخيرًا فالذي يمتاز به الإسلام، انعدام القسس ورجال الدين على اختلاف درجاتهم الذين يتحاسدون ويتنافسون في اجتذاب الحجاج والاستيلاء على أمكنة الحج لإرضاء وتمجيد طوائفهم، أو درجات كهنوتهم"[4].

ويذكر اتيين دينيه جماليات الحج في الإسلام فيقول: "ثم هناك الصوماليون، والسودانيون ذو البشرة السوداء التي تلمع في ضوء الشمس، فتعكس أشعة قمرية، وهناك الفرس المترفون، والشراكسة ذو الجرأة والإقدام، والصينيون ذوو العيون المشدودة، وأهل جاوة ذو الوجنات البارزة، إلى آخر ما هناك؛ فلن ترى في العالم جمعًا اجتمع، فعرض في آن واحد كل تلك الوجوه الآدمية المختلفة الشبه، وكل تلك اللهجات واللغات المتباينة، وبعد صلاة العصر يقوم الخطيب على ناقته المزينة بأحسن زينة، ويعتلي جبل عرفات، فيلقى على الناس خطبة كثيرًا ما تقطعها التلبيات: لبيك اللهم لبيك، وعندما

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠٤).

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٠٦-٣٠٨.

(٣) المرجع السابق، ص٣٠٩.

(٤) المرجع السابق، ص٣١٠.

يهتفون بالتلبية، يحرك الحجاج أطراف ثيابهم البيضاء فوق رؤوسهم، فيبدو الجبل وكأنه يضطرب باضطراب الآلاف المؤلفة من الأجنحة الموشكة على الطيران، بينما تسمو إلى السماء وتتردد صداها في الصحراء صيحة قوية ترتفع من جنبات الوادي، صيحة يرددها مائتا ألف حاج قد وضعوا جانبًا لغاتهم الخاصة، ليتحدوا في لغة واحدة، لغة العرب"(١).

ويعدد اتيين دينيه بعض حكم الحج في توحيد الأمة: "لقد تآخى هؤلاء جميعًا في تلك الساعة العظيمة، تآخوا لغةً وقلبًا، ونسوا فروق الأجناس، والدرجات والطبقات، نسوا أحقادهم: مذهبية كانت أم سياسية، في عرفات يرجع الإسلام إلى اتحاده الشامل، وحماسته القوية كما كان في أيامه الأولى، ألا ما أجمله من دواء لجروح أبناء الإسلام! قال الرسول: ((مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))(٢)، وفي عرفات لا يخشى الإسلام شيئًا من فضول أعدائه، فيستطيع لم شعثه وإصلاح حاله وتدبير مستقبله، وبالرغم مما عاناه الإسلام؛ فهو اليوم أقوى وأشد حيوية مما كان، هذا هو الشعور الذي يرجع به الحاج إلى بلاده بعد أن يرى ذلك اليوم العظيم؛ فضلاً عن لقب حاج الذي يغبطه عليه الكثيرون"(٣).

ويقول لورد هدلي عن خطبة الوداع: "في حجة الوداع -سنة ما قبل وفاته- خطب الناس خطبة احتوت على أوامر وتعليمات للحفاظ على النفس والمال، وحرمت الرشوة، وقضت على العداوات القائمة على الدم، وأمرت بالرحمة والعدل مع العبيد، وشددت على أخوة المؤمنين، ووصت المسلمين بالإنصاف مع جميع البشر"(٤)

وذكر مارمادوك بكثول خطبة الرسول في حجة الوداع بكامله عند الحديث عن الأخوة الإسلامية والتمسك بالدين(٥).

ويتحدث مارتن لينجز عن حجة الوداع؛ حيث أعلن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم للنّاس عن نيّته بالحجّ، وأشعرهم بذلك ليصحبه من شاء منهم، فخرج عليه الصلاة والسّلام من المدينة في أواخر شهر ذي القعدة، وأحرم للحج حتى دخل مكة، وطاف بعدها بالبيت سبعة أشواط،

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣١٠-٣١١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (١٩٩٩/٤) ح (٢٥٨٦).

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣١٢-٣١٣.

(٤) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ص٣٢.

(٥) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام ص٤٩-٥٠.

واستلم الحجر الأسود، وصلّى ركعتين عند مقام إبراهيم، ثم سعى بين الصفا والمروة، وفي اليوم الثامن من ذي الحجة توجه إلى منى فبات فيها، وفي اليوم التاسع توجه إلى عرفة، ثم خطب خطبته التي سميت فيما بعد خُطبة الوداع، أشار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى الكثير من القضايا المهمة كحرمة دماء المسلمين وأموالهم إلا بحقها، وبعد غروب شمس يوم عرفة نزل الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون إلى مزدلفة، ثم نزل إلى منى وأتم مناسك الحج من رمي الجمار والنحر والحلق وطواف الإفاضة، وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بعد الانتهاء من مناسك الحج عشرة أيام، ثم عاد إلى المدينة المنورة(١).

موته صلى الله عليه وسلم

يصف اتيين دينيه لحظات وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيقول: "غير أن مرض الرسول كان يشتد عليه يومًا فيومًا، فيضعفه، حتى لم يعد يقدر على التنقل إلا بجهد أليم وكانت عادة الرسول أن يقسم لياليه بين بيوت زوجاته، فلما كان ببيت ميمونة أحس بآلامه تعاوده، وبمرضه يشتد عليه، فدعا بزوجاته واستأذنهن في أن يمرض ببيت عائشة، فأذنّ له، قالت عائشة: "فخرج رسول الله من بيت ميمونة بين الفضل وعليّ، عاصبًا رأسه، تخط قدماه، حتى دخل بيتي"(٢).

ويواصل اتيين دينيه حديثه واصفاً مشاهد حياة المصطفى قبل وفاته فيقول: "دخل الرسول بيت عائشة بعد ذلك الجهد المضني، فأغمي عليه، فلما نادى المؤذن للصلاة اعتدل وطلب ماء ليتوضأ، وليقوم إلى الصلاة، فيؤم القوم؛ ولكن إغماءه عاوده ثلاث مرات فلم يستطع قيامًا، وأخبر أن المؤمنين ينتظرونه في المسجد، فبعث ببلال إلى أبي بكر ليؤم القوم مكانه، فلما علم الناس بالخبر بكوا بكاء شديدًا، وقد اشتد به الأمر، وكان عنده قدح فيه ماء، فصار يدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه الشريف بالماء ويقول: ((اللهم أعني على سكرات الموت(٣)))"(٤).

ولقد تأثر ناصر الدين دينيه ومن معه في رحلة حجه أيما تأثر، وهو يقف أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ففي تلك اللحظة المهيبة رأى بعينه وبكامل جوارحه وأحاسيسه أن وراء ذلك

(١) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٣٣٦-٣٤٠.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣١٩.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٥١٩/١) ح (١٦٢٣) قال الشيخ الألباني: ضعيف.

(٤) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٢٠.

الشباك يرقد أعظم رجل أنقذ البشرية من عالم الحيرة والتيه والضياع، ومن الجاهلية العمياء، وسار بها وفق تعاليم الله تعالى إلى عالم الحق والمساواة والعدل وإلى معالم الإخاء والتسامح؛ بل وإلى كل ما يضمن للإنسانية السعادة في الدنيا الزائلة وفي الحياة الباقية: إن وراء هذا الشباك يرقد في قبره أشرف البرية، الذي حقق أروع نبوءة عرفها العالم(١).

ويذكر روجيه دوباسكويه عن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "بقي النبي صلى الله عليه وسلم في مكة أيامًا قليلة عاد بعدها إلى المدينة، وأصبح الآن في الثالثة والستين، وأحس باقتراب أجله بعد أن قام برسالته خير قيام، واستأنف وصاياه الأخيرة لأمته، ثم حل به مرض الموت، فلزم بيته عدة أيام لا يستطيع حتى إمامة الناس للصلاة، حتى توفاه الله في ١٢ ربيع من الحادية عشرة هجريًا ٨ يونيه ٦٣٢م"(٢).

ويشير محمد أسد إلى وفاة الرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: "بدأ نزول القرآن على محمد، واستمر نزوله على مدى ثلاثة وعشرين عامًا، حتى توفي الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة في سن الثالثة والستين"(٣).

ويذكر مارتن لينجز أن الرسول صلى الله عليه وسلم خُيّر بين الموت والخلد، فاختار ما عند الله، ومرض النبي صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه، فاستأذن أزواجه في أن يمرَّض في بيت عائشة، فأذنَّ له، فأمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس، وتوفي النبي ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأوّل في العام الحادي عشر للهجرة(٤).

ويقول مراد هوفمان عن قرب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم: "في ضوء هذا نتبين المغزى العميق للآية الثالثة من سورة المائدة، فقد نزلت تلك الآية الكريمة في اليوم التاسع من ذي الحجة للعام العاشر الهجري الموافق عام ٦٣٢م، أي قبل وفاة الرسول بيوم أو يومين، والمؤذِنة بانتهاء مهمة الرسول في أداء الأمانة وإبلاغ الرسالة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣﴾ [سورة المائدة: ٣]."(٥)

(١) اتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم، رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص٣٨.

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٦٢.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٤٢٨-٤٢٩.

(٤) مارتن لينجز، محمد رسول الله وحياته، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٣٩.

من خلال ما مضى تجد أن من تحدث من المستشرقين الذين أسلموا فيما يتعلق بنزول الوحي وبدأ الرسالة كلٌ من اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد ومارتن لينجز ومراد هوفمان، في حين أن اتيين دينيه تحدث وحيداً عن الدعوة السرية والجهرية، والذين تحدثوا عن الهجرة إلى الحبشة هم اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومارتن لينجز ومراد هوفمان، ومن تحدث عن حادثة الإسراء والمعراج هم اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومارتن لينجز، ومن كتب عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة اتيين دينيه ولورد هدلي وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد ومارتن لينجز ومراد هوفمان، ومن تحدث عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وفتح مكة هم اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومارتن لينجز ومراد هوفمان، ومن تحدث عن حجة الوداع وموته صلى الله عليه وسلم اتيين دينيه ومارمادوك.

ولاحظ الباحث على اتيين دينيه استبعاده للمعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم رغم ذكره لبعض المعجزات؛ لأنه رأى في ذلك مخالفة لنصوص القرآن الكريم، وقد كتب في مقدمة سيرته قائلاً: "ويلحظ القارئ في هذه السيرة النبوية خلوها من بعض الأخبار التي تتعلق بمعجزات مادية وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الروايات الصحيحة في ذلك، فإتيين دينيه رأى أن مثل هذه الأخبار تعد مخالفة لنصوص القرآن الكريم، وذكر في مقدمة كتابه (محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم قوله: "ولقد آثرنا، بالاتفاق مع نصوص القرآن –وهو الكتاب الوحيد الذي لم يعارض ولا يقبل المعارضة– وبالاتفاق مع علماء الإسلام للصدر الأول، ومع أصحاب الفكر الحر من المعاصرين كالشيخ محمد عبده الذائع الصيت، أن نضرب صفحًا عن جميع الخوارق التي نسبت إلى النبي العربي بعد زمن طويل من وفاته، والتي يبدو أن في نسبتها إليه ما يسلبه سيماه الحقيقية، والحق أننا نرى من بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات أن محمداً هو الوحيد الذي استطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية، معتمداً فقط على بداهة رسالته ووضوحها وعلى بلاغة القرآن"(١).

ورغم أن هذا التعليل الذي ذكره دينيه في إضرابه عن مثل هذا النوع من أحداث السيرة، يعد غير كاف في مقابل الأحاديث النبوية المتواترة المثبتة لمثل هذه المعجزات؛ إلا أن موقف دينيه المبدئي من الإسلام باعتباره دين العقل، بالإضافة إلى تأثره بالمنهج العقلي الذي سلكه بعض دعاة الإسلام المعاصرين له كالشيخ محمد عبده من الممكن أن يكون قد دفعه إلى هذا الموقف؛ ولهذا فقد اعتمد دينيه على الفهم اللغوي (البسيط) في تأويل ما جاء في القرآن الكريم من آيات المعجزات دون الالتفات

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٦٢.

لما ورد فيها من الأحاديث النبوية، ومن ذلك أنه أورد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [سورة الشرح:١]، ثم أتبعه بذكر الروايات المعروفة في شق صدره عليه الصلاة والسلام، ثم قال: "وهذه القصة؛ ككل القصص التي من نوعها، والتي يجدها القارئ أثناء قراءته لهذا الكتاب؛ يجب أن تؤوَّل تأويلاً رمزيًا، والقصة التي نحن بصددها تعني أن الله تعالى شرح صدر محمد إلى الفرح بحقيقة التوحيد، إذ أزال عنه منذ الطفولة وزر الوثنية[١]"[٢].

(١) المرجع السابق: ص ٧٧، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي، ص١٦٢-١٦٦.

(٢) رياض بن حمد بن عبد الله العُمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم، ص٤٠٠-٤٠١.

المبحث الثالث: جهود من أسلم من المستشرقين في رد الشبهات المثارة حول الرسول صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: جهودهم في رد شبهة (اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون والسحر).

أسهم الاستشراق ولا يزال في شن حرب فكرية على الإسلام، وتأجيج نار حرب الكلمة، وهو الذي تولى كبر هذه الحرب، فكان بمثابة المصنع الذي يصنع الشبهات، وينسج الأباطيل والمفتريات، واستهدفت حملاتُ الاستشراق كل ما يمت إلى الإسلام بصلة والنيل منه، فمن أبرز تلك الحملات النيل من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ومحاولة تجريده من صفة النبوة والاصطفاء الإلهي له صلى الله عليه وسلم للرسالة.

نعم، حرص المستشرقون على تشويه صورته عليه الصلاة والسلام، وراحوا ينسجون كثيراً من الشبهات حول شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أبرزها: اتهامه صلى الله عليه وسلم بالجنون والسحر، وهذه الصفات التي وصفه بها كفار قريش لما جاءهم بالحق وتحداهم به ولم يستطيعوا له رداً، فجنحوا إلى هذه التهم والأوصاف حتى يصدوا الناس عنه، ولأجل أهمية الرد على هذه الشبهة، تناول المستشرقون الذين أسلموا في كتاباتهم هذه الفرية وقاموا بالرد عليها ومناقشتها ومدارستها؛ حيث ينقل اتيين دينيه قول أحد الغربيين في عظم مكانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في تاريخ البشر؛ إذ يقول: "والعلماء الغربيون أنفسهم قد بدأوا يتحررون من ضلالاتهم العتيقة وراحوا ينصفون مؤسس الإسلام، إذا كانت قيمة الرجال تقدر بعظمة أعمالهم فإنه يكون من المستطاع أن نقول: إن محمدًا كان من أعظم الشخصيات التي عرفها التاريخ"(١)، وكفى بذلك رداً مفحماً على تلك الافتراءات.

ويصف لورد هدلي أخلاق محمد عليه الصلاة والسلام بقوله: "أنه يفهم ويعرف جيدًا أنه لا يتمكن من العفو إلا من أصبح قاهرًا وله القوة التي تمكنه من أن يصب جام غضبه وانتقامه على أعدائه الذين كان بين أيديهم ضعيفًا حتى يقدّر الظروف التي كان فيها تحت رحمة الآخرين، لا يمكن لأحد أن يدعي الرحمة وهو لم يقع تحت طائل رحمته أي إنسان قط، وليس هناك في التاريخ من يمكن أن تنسب له تلك الخاصية كمحمد النبي الكريم الذي رأى أعظم الإذلال، وابتدأ حياته يتيمًا وإن

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٢٥.

كانت عين الله ترعاه، ومرت عليه كل أطوار الحياة المختلفة وهو مستسلم الاستسلام الكلي لمولاه، ولم تتلوث أخلاقه العذبة أبدًا بأي عمل دنئ أو خسيس ولم يرتكب الظلم قط"(١).

ويصف قائلاً: "نحن نعتبر أن نبي بلاد العرب الكريم هو أخلاق متينة وشخصية حقيقية، وزنت واختبرت في كل خطوة من خطى حياته، ولم ير فيها أقل نقص أبداً، وبما أننا في احتياج إلى نموذج كامل يفي بحاجاتنا في خطوات الحياة فحياة النبي المقدس تسد تلك الحاجة، فحياة محمد كمرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراقي والسخاء والكرم والشجاعة والإقدام والصبر والحلم والوداعة والعفو وباقي الأخلاق الجوهرية التي تكوّن الإنسانية، ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة"(٢)، "فهذا يكفي رداً لشبهة من يزعم بأنه ساحر أو مجنون"(٣).

ويؤكد لورد هدلي في موضع آخر أن الرسول صلى الله عليه وسلم تخلق بالأخلاق العالية من إحسان وشجاعة وكرم ورحمة، فكيف بهذه الصفات الحسنة تتأتى من مجنون أو كاهن؟ حيث يقول: "كان صلى الله عليه وسلم مثابرًا ولا يخشى أعداءه؛ لأنه كان يعلم بأنه مكلف بهذه المأمورية من قبل الله، ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه، وقد أثارت تلك الشجاعة التي لا تعرف الجفول -تلك الشجاعة التي كانت حقًا إحدى مميزاته وأوصافه العظيمة- إعجاب واحترام الكافرين وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله، ومع ذلك فقد انتهت مشاعرنا وزاد إعجابنا به بعد ذلك في حياته الأخيرة أيام انتصاره بالمدينة عندما كانت له القوة والقدرة على الانتقام واستطاعته الأخذ بالثأر ولم يفعل؛ بل عفا عن كل أعدائه، فالعفو والإحسان والشجاعة ومثل هاتيك المكارم كانت ترى منه في كل تلك المدة حتى وإن عددًا عظيمًا من الكافرين اهتدوا إلى الإسلام عند رؤية ذلك"(٤).

ويؤكد محمد أسد بشرية الرسول ونطق بحبه الحجر فضلاً عن البشر؛ وبالتالي يدحض زعم من يزعم أنه مجنون أو كاهن فيقول: "وأكد القرآن ذلك وشدد عليه وأكد بشرية محمد: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤]. وقد أكد القرآن في أكثر من موضع على بشرية محمد وأنه من خلق الله مثل كل البشر: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا

---

(١) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص١٠٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٦.

(٣) المرجع السابق، ص٩٤-٩٦.

(٤) المرجع السابق، ص٩٧-١٠٢.

شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨]. وأكد القرآن، وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم أنه بشر مثلهم، وعاش كأي رجل، ينعم بالمسرات، ويعاني المرض الذي يعاني منه البشر؛ لذلك أحاطه من كانوا حوله ومن عاشوا معه بحبهم، وتجاوز ذلك الحب حياته وامتد في قلوب أتباعه من المسلمين، ولقد عاش في المدينة وينطق بحبه كل حجر من أحجارها العتيقة، وتستطيع أن تلمس ذلك الحب بيديك، إلا أنك لا تستطيع أن تُعبر عنه بأي كلمات، مهما كانت بلاغتها"(١).

وتلفت مريم جميلة إلى جانب مهم جداً في الرد على دحض شبهة الجنون والسحر، فالنبي صلى الله عليه وسلم خضع لأدق مراقبة ومتابعة تعرض لها بشر، ولم تثبت تلك المزاعم ولم ينقلها أحد عنه فتقول: "ونعرف الآن عن فلاسفة اليونان أكثر مما نعرف عن حياة موسى وعيسى؛ أما محمد عليه الصلاة والسلام فقد خضع لأدق مراقبة ومتابعة تعرض لها بشر، وما كان يطيقها لولا أنه نبي مكلف بالتبليغ والهداية والتبيين، لقد سجلت السيرة كل تفاصيل حياته حتى أدقها وأخصها، فعرفنا مشيته وجلوسه وطعامه وملبسه وملامح وجهه وأعضاء جسده وحديثه وخطابته وابتسامته ونومه وأكله وعطره وركوبه وعبادته وتحيته وتعبيرات وجهه وفعله عند السرور والحزن وكيفية صلاته وحربه وصومه وحجه وتقواه وخشيته لربه ومعاملاته وأمانته وصبره وحسن ضيافته وبره وأحواله مع قرابته ومع الغرباء والأعداء وكراهيته للنميمة والغرور وتواضعه وشجاعته وعزمه ومعاملته للكبار والصغار والرجال والنساء واكتسابه لرزقه وشفقته على الحيوان، ولا تكاد السيرة تترك جانباً من حياة الرسول إلا وتحدثنا عنه حتى تدخل عليه بيته وحياته الخاصة مع زوجاته، تتبع الجميع حياته ومنهم أعداؤه فلم يجدوا إلا الخير والقدوة فهل هذا إلا نبي؟"(٢).

وتثبت مريم جميلة بالدليل المنطقي والعقلي دحض هذه الشبهة فتقول: "إن الإنسان ليعجب من صراحته وشجاعته التي مكنته من جعل حياته العامة والخاصة مفتوحة أمام الناس، من يستطيع أن يتحمل محنة التطوع بتقديم نفسه هدفاً للمراقبة أربعاً وعشرين ساعة طوال حياته؟ إلا شخص صاحب أمانة واستقامة وخلق غير عادي، ويمتلك درجة عالية من الثقة بالنفس وضبط النفس والعزيمة الذاتية التي تمكنه من القيام بذلك؛ ذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم وحده القادر على أن

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٣٧٧.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٤٨.

يصـــمد في هذا الامتحان، هو لم يأذن فقط للناس بمجرد النظر إلى التفاصـــيل الخاصـــة من حياته الشريفة؛ بل كان يحثهم على نقلها للآخرين؛ لأن هذه الجوانب مضاءة بنور الله للعمل بها"(١).

ويربط مارتن لينجز بقاء الإسلام وكماله لأكثر من (١٤٠٠) عامٍ بتوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه المثل الأعلى فيقول: "إذا كان عصرنا يزيدنا علمًا أدنى مستوى، فلا يوجد أي عصر أقل تعليمًا فيما يخص طبيعة الحكم الإلهيّ، أحدث حلول العناية الإلهيّة لمشـــكلة الحكومة تم تحقيقها منذ ١٤٠٠ عام عندما تأســـست أول دولة إســـلامية في المدينة، كانت ناجحة بإعجاز في بدايتها، الكمال الأولي لم يدم طويلاً؛ ولكن بفضـــل الســـجلات المفصـــلة يبقى حتى اليوم كمثل أعلى ومثال ومعيار (يحتذى به)، كل جهد ممكن تم بذله ليظل هذا الكمال واضحًا في عقول الناس، وبشكل ما عاش الإســـلام على هذا المثال طوال القرون (الماضـــية) بتجســـده في تعاملات وتوصـــيات رســـول الله، هذا المثل الأعلى يكوّن السلطة الروحية الثانية للدين بعد الوحي (السلطة الروحية الأولى)"(٢).

ويبين مراد هوفمان سبب عداوة المسيحيين هو اعتقادهم أن محمداً دجالٌ والعياذ بالله؛ مع أن محمداً بلغ في الواقع أعلى مقاماً وتواضعاً فيقول: "ترجع عداوة المسيحيين للإسلام تاريخياً، لاعتقادهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان دجالاً، كان ذلك سيئاً بما يكفي في عيون المسيحيين، الذين من الناحية الأخرى تفهموا أن يظل اليهود متمســـكين بالإيمان الموســـوي، نتيجة الميل الطبيعي عند الناس للتمســـك بالعادات والاعتقادات القديمة، ألم يكن ذلك موقف كفار قريش من الدعوة"(٣)، ولقد كان محمد الإنســـان الرجل بشـــراً، بلغ من استواء الشـــخصـــية والشـــفافية والصـــفاء والأمانة، والوعي والفطنة أعلى مقام(٤)، "تلك الهالة من التقديس تجعلنا نذكر بإصـــرار أن محمداً عليه الصـــلاة والســـلام كان بشراً، خاشعاً متواضعاً، لا يخجل أن يؤكد أنه أمي لم يتعلم الكتابة والقراءة، ويكرر هذا في ليلة القدر في غار حراء، رداً على قول جبريل له: اقرأ ولئن كان هذا واحداً من أسباب عظمة الرسول"(٥).

ويذكر مراد هوفمان أن محمداً كان قائداً عظيماً مما يدحض شـــبهة الزاعمين بأن به جنوناً وسحراً فيقول: "نجد أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد برز في التاريخ من خلال مصادر سيرته الرائعة

---

(١) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق ص٨.

(٢) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص٥٤.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٤٦.

(٤) المؤلف لم يوفق للصواب، فكيف كيف يقارن برسول رجل لم يؤمن بالله مهما بلغ شأنه الدنيوي؟

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٥.

على أنه له شخصية رجل الدولة القيادية التي لها رونقها وجاذبيته المتميزة، ولها إرادتها القوية، وقدرتها ومهارتها الاستراتيجية التكتيكية الفريدة"[(١)].

ويؤكد مراد هوفمان في موضع آخر أنه صلى الله عليه وسلم يتصف بالحكمة؛ مما يتنافى معه الجنون والسحر فيقول: "وقد أظهرت الفترة الواقعة ما بين هجرته من مكة إلى المدينة، وعودته إليها ليفتحها سلمَاً بعد عقدٍ من الزمان تقريباً، تبين حنكته وقدرته الاستراتيجية التي تجعله في مصاف المخططين الاستراتيجيين العظماء"[(٢)]، "وقد استخدم نبيُّنا محمد صلى الله عليه وسلم كلاً من الحرب الاقتصادية والنفسية، كما استخدم مفاوضات الرقابة على السلاح كوسيلة أو أداة للسياسة الخارجية، وقد كان لمعاهدة الصلح التي قبلها في الحديبية والتي أذعرت أصحابه انقلاباً دبلوماسياً من النوع الأول، وأدرك أهل مكة خلال فترة وجيزة أنهم وقعوا بأيديهم على استسلامهم وهزيمتهم القريبة"[(٣)].

ويذكر مراد هوفمان في موضع آخر أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من النجاحات الهائلة في جميع شؤون حياته شأواً عظيماً؛ إذ يقول: "وإذا أخذنا بعين الاعتبار كلاً من النجاح الذي أحرزه محمد صلى الله عليه وسلم في المجال التجاري، وحكمته كقاضٍ ومُحكِّمٍ، وبراعته صلى الله عليه وسلم كمحدِّثٍ بليغ ذي أسلوبٍ بياني رائع ساحر يأخذ بالألباب؛ فليس بوسع المرء أن يصف أو أن يشرح كيف يمكن أن يكون لهذا النبي الأمي العربي الذي لم يعرف القراءة والكتابة أن يمتلك مثل تلك الصفات والمزايا؟ ولا شك أن هناك أمراً خارقاً غريباً حول ذلك، ولا شك أن هناك وحياً إلهياً حول ذلك ومنه ما جاء في سورة النساء ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [سورة النساء: ١١٣][(٤)]، فكيف بمجنون أو ساحر يحقق كل هذه النتائج والنجاحات؟

ويستغرب مراد هوفمان من تشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم رغم تيقنهم بكمال الإسلام فيقول: "كل هذه الادعاءات القذرة رغم غرابتها وبعدها عن الواقع لا تزال في التداول حتى يومنا هذا، وهي تظهر بوضوح في كل ادعاء بما يسمى بالإرهاب الإسلامي، وفي كل هجوم على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والذي بلغ ذروته في كتاب سلمان رشدي الشهير، لقد كان تشويه

(١) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٢٨.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٥.

(٣) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٢٨.

(٤) المرجع السابق، ص١٢٨-١٢٩.

صورة النبي صلى الله عليه وسلم إلى درجة أن الكنيسة الكاثوليكية رغم اعترافها أخيراً قبل خمسة وثلاثين عاماً بالإسلام طريقاً للخلاص لا زالت ترفض قبول رسول الله صلى الله عليه وسلم مرشداً على تلك الطريق"[١].

ويؤكد مراد هوفمان مرة أخرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمعت فيه صفات الكمال مما يتنافى معها صور الجنون والسحر فيقول: "إن محمداً صلى الله عليه وسلم -دون أدنى شك- هو واحد من أكثر الشخصيات التي افتُري عليها في تاريخ الإنسانية؛ ولذلك فمن المهم لغير المسلمين أن يعلموا أنه بالنسبة للمسلمين الإنسان الكامل الذي اختاره الله، فهو التقي المتواضع المتقشف الزاهد العطوف المؤتمن المسالم الشجاع ورجل الدين الحكيم، وهو أيضاً الصديق والتاجر والزوج والأب والقاضي والجندي وصاحب الاستراتيجية والمشرّع ورجل الدولة الناجح، كل هذه الصفات اجتمعت في شخص واحد، ومن وجهة نظر إسلامية يكمن الكمال في التحقق المتوازن لفطرة الإنسان المتصوف[٢] الذي يدافع في الوقت نفسه كجندي عن العقيدة، وتفيد السيرة النبوية بأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن هو الذي أوجد الإسلام؛ بل كان الوعاء الجدير بتلقي وتبليغ الرسائل الإلهية المنزلة عليه، وبالرغم من كل ما يحظى به من احترام وتقدير نتيجة اختياره وإنجازه؛ لا يعتبره المسلمون مؤسس ديانة ولا كائناً عُلوياً أو أن الإله قد تقمصه؛ ولذلك فمن المضلل والجارح لشعور المسلمين أن نتحدث عن المحمدية أو القانون المحمدي أو المحمديين"[٣].

لاحظ الباحث فيما سبق أن الذين قاموا بالرد على شبهة اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون والسحر من المستشرقين الذين أسلموا وتصدوا لها بالأدلة والبراهين هم: اتيين دينيه ولورد هدلي ومحمد أسد ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان.

(١) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٥٠-٥١.

(٢) لم يوفق المؤلف بإضافة كلمة المتصوف، فالأولى تجنبها والاكتفاء بفطرة الإنسان التي فطر الله عليها.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٣٨.

المطلب الثاني: جهودهم في رد شبهة (تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم).

من القضايا التي تتكرر أثناء تناول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل بعض المغرضين من المستشرقين وغيرهم، قضية تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم واتهامهم جنابه بالشهوة وحب النساء، وقد تناول أغلب المستشرقين هذه الدعوى قديماً وحديثاً لمحاولة الطعن في خلقه صلى الله عليه وسلم، فهذه دعوى كاذبة، وهي كلمة يصدق عليها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [سورة الكهف: ٥].

ولأهمية التصدي لهذه الشبهة الشائعة، كان لعلماء المسلمين جهود واسعة وكتابات في ذلك، فكل من عرف سيرته وقرأ بإنصاف عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يملك إلا أن يثني عليه، الذي أفنى حياته في سبيل الله وتبليغ رسالته، وإكمالاً لجهود علماء المسلمين في هذا الباب والتصدي لهذه التهم الباطلة، يحسن أن يستشهد الباحث بكتابات بعض المستشرقين المسلمين الذين تصدوا مشكورين لرد هذه الفرية العظيمة، ولنتابع فيما يلي طرفاً من جهود هؤلاء في الرد على هذه المفتريات.

فهذا اتيين دينيه يرد على كل من اتهم الرسول صلى الله عليه وسلم في تعدد زوجاته، وذكر بأسلوب جميل تداعيات وحكم زواجه صلى الله عليه وسلم من بعض زوجاته فقال: "إن حفصة سوف تتزوج بخير من عثمان –رضي الله عنه–، وإن عثمان سوف يتزوج بخير من حفصة –رضي الله عنها–، وزوج النبي ابنته أم كلثوم لعثمان –رضي الله عنهما–، بينما تزوج هو من حفصة المتكبرة[1] إكرامًا لعمر، وتزوج الرسول زينب بنت جحش تنفيذًا لحكم الله وقضائه المفروض: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [سورة الأحزاب: ٣٨]. ولما كان زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم من الله وحده، ولا دخل لأمر آخر فيه كانت تفتخر بذلك وتقول لباقي الزوجات: إن الله تعالى تولى إنكاحي"[2].

ويذكر اتيين دينيه قصة زواجه صلى الله عليه وسلم من جويرية رضي الله عنها فيقول: "فهزم الله بني المصطلق، وأوقع في يد جند الإسلام غنائم عظيمة، من إبل وغنم وسبايا، وكان من بين السبايا ابنة سيد بني المصطلق، وكانت فتاة مليحة تدعى جويرية، وقد وقعت في السهم لثابت بن قيس، فكاتبته على نفسها بمبلغ من المال كبير نظير عتقها، ثم أتت الرسول فقالت له: يا رسول الله،

---

(١) أخطأ المؤلف في وصفه لحفصة إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها بهذه الصفة التي لا تليق بها، بل يعتبر سوء أدب معها.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر الإباحة للإمام أن يزوج بالمكاتبة إذا جعل صداقها أداء ما كوتبت عليه، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ كتاب النكاح، (٩/ ٣٦٢) ح (٤٠٥٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فجئتك أستعينك على كتابتي، فقال لها: ((أقضي عنك كتابك وأتزوجك))[1]، فقبلت، وعزم النبي -صلى الله عليه وسلم- على الزواج منها رغم غيرة عائشة التي رأت من جويرية ملاحةً وجمالاً، وفي هذه الأثناء أتى الحارث بفدية ابنته فأعاد محمد جويرية إليه؛ لكن ليخطبها في الحال ويمهرها أربعمائة درهم، وما إن ذاع خبر ذلك الزواج حتى قال المؤمنون: أصهار رسول الله أصهارنا، وأرسلوا إلى بني المصطلق بما في أيديهم من غنائم وسبايا، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها من جويرية"[2].

ويسرد دينيه قصة زواجه من أم حبيبة بنت أبي سفيان فيقول: "وكان أيضًا من بين القادمين أم حبيبة ابنة أبي سفيان، ألد أعداء الرسول، وقد خرجت أم حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش مهاجرة، فلما استقرا بأرض الحبشة تنصر الزوج ومات بمهجره، بينما بقيت الزوجة مخلصة لإسلامها، فأراد الرسول أن يجزيها أجر إخلاصها وأن يستميل إليه عدوًّا لدودًا، فبعث بعمرو بن أمية إلى النجاشي راجيًا منه أن يزوجها له، ويرسلها مع بقية المهاجرين، وهكذا كان، فلما وصلت أم حبيبة المدينة؛ دخلت في ذمة زوجها العظيم"[3].

ويذكر أسباب زواجه صلى الله عليه وسلم من ميمونة ومارية القبطية وعائشة رضي الله عنهن فيقول: "أما محمد فقد عقد على امرأة مكية تدعى ميمونة، وهو لا يزال في حالة الإحرام لامتياز خاص يرجع إلى كونه رسول الله، وكان عمر ميمونة يقرب من الخمسين، وكانت فقيرة معدمة، إلا أن هذا الزواج كان من شأنه أن يجلب للإسلام الكثير من الأشراف، وعلى الأخص العباس عم محمد، وكان العباس وكيلاً لميمونة فأعلن زواجها بالرسول، غير أن الزواج لم يتم إلا في طريق الرجوع إلى المدينة، بعث المقوقس ملك مصر بالهدايا الثمينة إلى محمد، وكان من بين تلك الهدايا جارية شابة بارعة الجمال يقال لها: مريم القبطية"[4]، وكذلك رغب رسول الله في الاعتراف لأبي بكر الصديق بتضحيته التي لا تحد في سبيل الدين، وأراد أن يزيد فيما بينهما من صلة، فتزوج بابنته عائشة، في الفترة التي بنى بها بسودة تقريبًا؛ ولم تكن عائشة إذ ذاك في سن الزواج، فقد كانت تبلغ من العمر عشر سنين تقريبًا، ولذلك لم يدخل بها الرسول إلا بعد سنوات عدة، بعد أن هاجر وأقام بالمدينة"[5].

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٦٢.

(٤) المرجع السابق، ص٢٦٥-٢٦٦، وليست مريم القبطية بل هي مارية القبطية.

(٥) المرجع السابق، ص١٦٠-١٦١.

ويستشهد اتيين دينيه بحديث النبي عليه الصلاة والسلام، ويذكر بعض الأسباب الداعية للزواج، وأنه امتاز بالعفة الحقيقة غير المصطنعة فيقول: "كان صلوات الله عليه وسلامه، يقول: ((حبب إليّ ثلاث: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة))(١)، وكان محمد يحب النساء، وقد عاب عليه الكثير من الأعداء ذلك، وحقًا كان محمد رجلاً بكل ما في الكلمة من معان خلقية ومادية، ورجولته امتازت بالعفة التي لا تتعارض مع أسباب اللذة البريئة المجردة من الدنس، وعلى منواله سلك العرب الذين يمتازون حتى أيامنا هذه بالحياء والعفة الخاليتين من كل تكلف ورياء، لا كحياء المغالين في الدين وعفتهم المصطنعة المدعاة، وإذا كان محمد قد عقد على ثلاث وعشرين زوجة(٢) فإنه لم يتصل إلا باثنتي عشرة منهن؛ أما الأخريات فتزوجهن لأسباب سياسية محضة(٣)، إذ كانت كل القبائل ترغب في شرف مصاهرته، وقد كثرت عليه الطلبات في شأن ذلك، ويروى أن عزة أخت دحية الكلبي ماتت من شدة الفرحة عند ما نبئت أن الرسول قبل الزواج بها"(٤).

وتحدث اتيين دينيه باستفاضة عن مسألة التعدد في الإسلام بشكل عام، وبين أنه دين اليسر والواقعية فيقول: "التساهل في سبيل تعدد الزوجات، وهو الموضوع الذي صادف النقد الواسع والذي جلب للإسلام في نظر أهل الغرب مثالب جمة ومطاعن كثيرة، ومما لاشك فيه أن التوحيد في الزوجة هو المثل الأعلى(٥)؛ ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق؛ بل هو الحال الذي يستحيل تنفيذه، لم يكن للإسلام أمام الأمر الواقع وهو دين اليسر إلا أن يستبين أقرب أنواع العلاج فلا يحكم فيه حكماً قاطعاً ولا يأمر به أمراً باتاً، والذي فعله الإسلام أول كل شيء أنه أنقص عدد الزوجات الشرعيات، وقد كان عند العرب الأقدمين مباحاً دون قيد، ثم أشار بعد ذلك بالتوحيد في الزوجة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾ [سورة النساء: ٣]"(٦).

---

(١) أخرجه سنن النسائي، كتاب عشرة النساء باب حب النساء (٧ / ٦١) ح (٣٩٤٠) قال الشيخ الألباني صحيح.

(٢) لم يوفق المؤلف في إيراد هذا العدد، يقول ابن قيم في زاد المعاد: "وقال بعضهم: هن ثلاثون امرأة، وأهل العلم بسيرته وأحواله صلى الله عليه وسلم لا يعرفون هذا، بل ينكرونه" انظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ (١/ ١١٠).

(٣) لم يوفق المؤلف في إيراد كلمة (سياسية محضة)؛ بل كانت الأسباب متنوعة كما تمت الإشارة من المؤلف سابقاً، فتنوعت بين الأسباب الدينية والاجتماعية وغيرها.

(٤) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٢٩.

(٥) يبقى هذا الرأي للمؤلف، والعلماء مختلفون في هذه المسألة.

(٦) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٣١.

ويهاجم اتيين دينيه التقرير الجبري للديانة المسيحية في مسألة التعدد ويتهكم من تطبيقها على أرض الواقع فيقول: "وأي رجل في الوجود يستطيع أن يعدل بين زوجاته المتعددات؟ ولذلك كان التعداد بهذا الشرط مستحيل التنفيذ؛ ولكن انظر كيف وضعه الإسلام وضعاً هو غاية في الرقة والدقة واللطف مع الحكمة، ثم انظر هل حقيقي أن الديانة المسيحية بتقريرها الجبري، الفردية الزوجية والتوحيد فيها وتشديدها في تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه؟ وإلا فهؤلاء مثل ملوك فرنسا — دع عنك الأفراد — الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفي الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم وإكرام"(١).

ويستطرد اتيين دينيه المفاسد والسيئات التي جنت المسيحية من نظرية التوحيد في الزوجة فيقول: "إن تعدد الزوجات قانون طبيعي، ولذلك فإن ما فعلته المسيحية لم يأت بالغرض الذي أرادته، فانعكست الآية معها وصرنا نشهد الإغراء بجميع أنواعه، وكان مثلها في ذلك مثل الشجرة الملعونة التي حرمت ثمراتها فكان التحريم إغراءً، على أن نظرية التوحيد في الزوجة وهي النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهراً تنطوي تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء - تلك هي الدعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين"(٢).

ويتساءل اتيين دينيه: لماذا الهجوم على الإسلام ورسولنا الكريم، بالرغم من انتشار التعدد في أرجاء العالم؟ فيقول: "وإننا نحن في صدد الطلاق لا تفوتنا حكمة التشريع الإسلامي، وهو يرى السوء في فوضى الطلاق، فيسمع النبي الكريم يقول: ((أبغض الحلال إلى الله الطلاق(٣)))(٤)فالواقع يشهد بأن تعدد الزوجات شيء ذائع في سائر أرجاء العالم، وسوف يظل موجودًا ما وجد العالم، مهما تشددت القوانين في تحريمه، ولكن المسألة الوحيدة هي معرفة ما إذا كان من الأفضل أن يشرع هذا المبدأ ويحدد، أم أن يظل نوعًا من النفاق المتستر، لا شيء يقف أمامه ويحد من جماحه"(٥).

ويسهب اتيين دينيه في اعتراف الرحالة الغربيين بأن تعدد الزوجات عند المسلمين أقل منهم فيقول: "وقد لاحظ جميع الرحالة الغربيين أن تعدد الزوجات عند المسلمين، وهم يعترفون بهذا المبدأ،

---

(١) المرجع السابق، ص٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص٣٣.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الطلاق تفريع أبواب الطلاق، باب في كراهية الطلاق، (٢/٢٥٥) ح (٢١٧٨) قال الشيخ الألباني: ضعيف.

(٤) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٥٥-٣٥٦.

(٥) المرجع السابق، ص٣٥٦.

أقل انتشـــارًا منه عند المســـيحيين الذين يزعمون أنهم يحرمون الزواج بأكثر من واحدة، وليس ذلك بالأمر الغريب على الفطرة البشـرية: فالمسـيحيون يجدون لذة الثمرة المحرمة عند خروجهم على مبدئهم في هذا"(١).

ويعدد اتيين دينيه المسـاوئ الجمة في حال زوال التعدد فيقول: "ومع ذلك فإننا نتسـاءل: هل في زوال تعدد الزوجات فائدة أخلاقية؟ إن هذا أمر مشكوك فيه، فالدعارة التي تندر في أكثر الأقطار الإسـلامية سـوف تتفشـى فيها وتنشـر آثارها المخربة، وكذلك سـوف يظهر في بلاد الإسـلام داء لم تعرفه من قبل، ذلك هو عزوبة النسـاء التي تنتشـر بآثارها المفسـدة في البلاد المقصـور فيها الزواج على الواحدة، وقد ظهر ذلك فيها بنسبة مفزعة، وخاصة عقب فترات الحروب"(٢).

ويصـف لورد هدلي أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم في جانب تعدد الزوجات فيقول: "ما يقارب (٩٩%) من النصارى البريطانيين يتصورون أن الدين الإسلامي هو دين الشهوانية، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كانت لديه نساء كثيرات، وهم يتغافلون عن أبسط الحقائق عن ديانة ملايين من البشـــر، لقد كان نبي العرب عفيف النفس طاهراً، وكان وفياً لزوجته الوحيدة خديجة التي كانت أكبر منه بخمس عشـرة سـنة، وكانت أول من آمنت بالرسـالة الإلهية، وبعد موتها تزوج بعائشـة، وكذلك تزوج بعدد كبير من أرامل أصـــحابه الذين قتلوا في المعارك حتى يوفر لهم المســـكن والمكانة التي فقدنها"(٣).

ويقول لورد هدلي في مســـألة تعدد الزوجات مادحاً فيها اتيين دينيه: "لقد دافع المؤلف دفاعًا مجيدًا عن مبدأ تعدد الزوجات في رسالته القيمة (أشعة خاصة بنور الإسلام) ونحن ننقل دفاعه الرائع فيما يلي:

١/ من محاسن الإسلام مسايرة الطبيعة الإنسانية؛ حيث يقول اتيين دينيه: "لا يتمرد الإسلام على الطبيعة التي لا تغلب، وإنما هو يســاير قوانينها ويزامل أزمانها؛ بخلاف ما تفعل الكنيســة من مغالطة الطبيعة ومصـادمتها في كثير من شـؤون الحياة؛ مثل ذلك الفرض الذي تفرضـه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة، فهم لا يتزوجون وإنما يعيشـون أعزابًا، وعلى أن الإسـلام لا يكفيه أن يسـاير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها، وإنما هو يدخل على قوانينها ما يجعلها أكثر قبولاً وأســهل تطبيقًا، في

(١) المرجع السابق، ص٣٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص٣٥٦-٣٥٧.

(٣) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص١١-١٢.

إصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور، حتى لقد سمى القرآن لذلك بالهدى؛ لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة، ولأنه الدال على أحسن مقاصد الخير، والأمثلة العديدة لا تعوزنا، ولكنا للقصر نأخذها بأشهرها، وهو التساهل في سبيل تعدد الزوجات: وهو الموضوع الذي صادف النقد الواسع، والذي جلب للإسلام في نظر أهل الغرب مثالب جمة ومطاعن كثيرة"[(١)].

٢/ إن التعدد يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق فيقول اتيين: "ومما لاشك فيه أن التوحيد في الزوجة هو المثل الأعلى؛ ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق؛ بل هو الحال الذي يستحيل تنفيذه، لم يكن للإسلام أمام الأمر الواقع، وهو دين اليسر، إلا أنه يستبين أقرب أنواع العلاج فلا يحكم فيه حكمًا قاطعًا ولا يأمر به أمرًا باتًا، والذي فعله الإسلام أول كل شيء أنه أنقص عدد الزوجات الشرعيات، وقد كان عند العرب الأقدمين مباحًا دون قيد، ثم أشار بعد ذلك بالتوحيد في الزوجة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ۝٣﴾ [سورة النساء: ٣]"[(٢)].

٣/ يعدد المؤلف اتيين دينيه مساوئ زوال التعدد فيقول: "إن تعدد الزوجات قانون طبيعي وسيبقى ما بقي العالم؛ ولذلك فإن ما فعلته المسيحية لم يأت بالغرض الذي أرادته فانعكست الآية معها، وصرنا نشهد الإغراء بجميع أنواعه، وكان مثلها في ذلك مثل الشجرة الملعونة التي حرمت ثمارها فكان التحريم إغراء، على أن نظرية التوحيد في الزوجة، وهي النظرية الآخذة منها المسيحية ظاهرًا تنطوي تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء تلك هي: (الدعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين)"[(٣)].

٤/ يستشهد المؤلف بأمراض اجتماعية فتاكة تحدث من زوال التعدد فيقول اتيين دينيه: "إن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الأخلاقية لم تكن تعرف في البلاد التي طبقت فيها الشريعة الإسلامية تمام التطبيق، وإنما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية، ومن الأمثلة القائمة على ذلك: ما كان من أمر وادي (ميزاب)؛ حيث تسكن القبيلة التي بهذا الاسم في بلاد الجزائر؛ إذ لم تدخلها الدعارة إلا بعد ضمها إلى فرنسا عام ١٨٨٣م، وقد وصل بها الحال اليوم أن أربع بلدان من مجموع كله سبع بلدان قد ابتليت بهذا الداء الوبيل، ومما نرويه من هذا القبيل: ما جاء

(١) المرجع السابق، ص١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٢.

(٣) المرجع السابق، ص١٣.

في كتاب (الإسـلام)[١] أنه عند ما غادر الدكتور مافر وكورداتو الآسـتانة ١٨٠٧م إلى برلين لدراسـة الطب لم يكن في العاصـــمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة، كما لم يعرف فيها داء الزهري (وهو السفليس المعروف في الشرق بالمرض الإفرنكي)، فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين أي سنة ١٨٣١م تبدل الحال غير الحال، وفي ذلك يقول الصدر الأعظم الكبير رشيد باشا في حسرة موجعة: إننا نرسل أبناءنا إلى أوروبا ليتعلموا المدنية الإفرنكية[٢] فيعودون إلينا مرضى بالداء الإفرنكي"[٣].

٥/ ذكر المؤلف اتيين دينيه محاســـن الطلاق فيقول: "أنه من جهة أخرى نرى أن الطلاق قد يخفف بعض الشـيء من أضـرار هذا التعنت في القصـر على زوجة واحدة؛ ولكن من جهة ثانية نرى أن الطلاق سـيئة من السـيئات، إذن ماذا؟ إذن أي الأدوية قد خلا تمامًا من بعض السـميات؟ على أن الكنيسـة قد أسـاءت كذلك في مسـألة الطلاق بمثل ما أسـاءت في أمر التوحيد في الزوجة، وذلك بمخالفتها أيضًا لقوانين الطبيعة، انظر هل أشـد من الحكم على زوجين شـابين لم يستطيعا لبعضـهما صبرًا، وقد خاب ظنهما في الزواج، ولم يدركا السعادة التي طلباها من وراء ذلك؛ هل أشد من الحكم عليهما بأن يخلدا يقضــيان بقية أيامهما في عذاب ونكد وشــقاء؟ كذلك إذا كان أحدهما عاقرًا أو كان غير كفء لزميله، هل يحرم الآخر من أن يبني لنفسه بآخر وأن يقيم له عائلة من جديد؟"[٤].

٥/ يعدد المؤلف اتيين دينيه دوافع زواجه صـلى الله عليه وسـلم؛ حيث يقول: "ورد لي في أحد الأيام خطاب من أحد المســيحيين المتدينين يخبرني فيه بأن الدين الإســـلامي إنما هو دين لذة، وإن النبي كانت له زوجات عديدات، وأن ذلك قاعدة في الإسـلام، فما أغرب هذه الفكرة عن الإسـلام! إلا إنها فكرة راســخة في عقول تســعة وتســعين بالمائة من البريطانيين الذين لم يعنوا ببحث الحقائق الواضـحة لديانة ما ينوف عن مائة مليون من رعاياهم، ولو درسـوا تلك الديانة لتبين لهم أن نبي بلاد العرب صلى الله عليه وسلم كان مشهوراً في كبح النفس عن الهوى وردها عن الشهوات، وكان مخلصًا لزوجته الوحيدة السيدة خديجة التي هي أكبر منه بخمس عشرة سنة والتي كانت أول من آمن برسالته السماوية وبعد وفاتها تزوج بالسيدة عائشة، وقد تزوج أيضًا ببعض أيامي متبعيه الذين استشهدوا في إعلاء كلمة الله؛ وذلك لا بدافع الشـــهوة؛ بل لكي يعولهن ويمنحهن مســـاكن وينزلهن منزلة ما كن ليحصـلن عليها لولاه، نحن معشـر البريطانيين نعجب بأننا نحب العدل والإنصـاف؛ ولكن ماذا أعظم

---

(١) تأليف شتمز دومولان.

(٢) معنى الإفرنك في الأصل عملة فرنسية أو بلجيكية أو سويسرية.

(٣) المرجع السابق، ص١٣.

(٤) المرجع السابق، ص١٣.

جورًا وحيفًا من الحكم الذي يصدره كثير منا على الدين الإسلامي دون أن يجتهد أو يحاول أن يعرف ولو مجملاً بسيطًا من عقائده؟ حتى أنهم لا يفقهون معنى لكلمة الإسلام"[١].

يقول مارمادوك في مغزى تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه لم يكن بحاجة إلى الزوجات، لكن بعض أصحابه الذين ماتوا في الجهاد، تزوج زوجاتهم حتى يكرمهن ويصونهن، وفعلاً حصلن على السعادة"[٢].

ويدحض روجيه دوباسكويه مزاعم الطاعنين في تعدد الزوجات قائلاً: "يجب النظر إليه كحالة بشرية طبيعية كاملة الفضائل، أجمعت المصادر أنه كان أميناً صادقاً عادلاً رؤوفاً رحيماً كريماً متواضعاً بسيطاً بالإضافة إلى أنه كان مضرب المثل في الحيوية والشجاعة اللتين احتاجهما للقيام بمهمته مع تسليمه الكامل لله، وعندما تزوج النساء وأحبهن اتهمه كثير من الغربيين بالغرق في الشهوة واللذات الجنسية، وهذا الاتهام غير صحيح وتكذبه الحقائق، يجب أن يتذكر المرء أولاً أنه ظل أكثر من عشرين سنة زوجًا مثاليًا لسيدة تكبره بخمس عشرة سنة، أنجب منها ستة أبناء لم يعش أحد منهم بعده إلا فاطمة التي تزوجت علياً وأنجبا ذرية محمد، وعاش بعد وفاة خديجة عدة سنوات بلا زواج في طهر وعفة حتى تزوج في الثالثة والخمسين، ليس من المعقول الادعاء -كبعض الكتاب الغربيين- أنه استسلم فجأة لإغراءات الجنس في المدينة؛ بل أصبح على رأس مجتمع ينمو تأثيره بقوة، فكانت أكثر زوجاته تقوية لبناء المجتمع، وكانت زيجات سعيدة استمتع بها وشكر الله عليها، فكل حياته كانت امتثالاً لله"[٣].

ويعدد روجيه دوباسكويه الحكم العظيمة في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ويذكرها بالتفصيل قصة قصة فيقول: "بعيدًا عن البعد الأخلاقي لتعدد الزوجات، يجد المرء مغزى في تعدد زوجات الرسول كمؤسس لديانة عالمية عظمى، كان عليه أن يسن طريقة الحياة للأجيال التالية، وينظم العلاقات الزوجية والأسرية وبين أفراد المجتمع ويضع قواعد لاستقراره، تلك التي لم يستطع أحد بعد أربعة عشر قرناً أن يأتي بأفضل منها"[٤]، "خذ مثلاً زواجه من أم حبيبة بنت أبي سفيان، كانت في الحبشة مهاجرة مع زوجها الذي ارتد هناك، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي في الحبشة؛ لتجد العوض المناسب عن الزوج والأهل، وبقيت بالحبشة عدة سنوات، وكذلك قصة زواجه من

(١) المرجع السابق، ص١٣.

(٢) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام ص١٠٤.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٦٣.

(٤) المرجع السابق، ص٦٤-٦٥.

حفصة بنت عمر معروفة؛ أما عائشة ففضلاً عن أنها بنت الصديق الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما من أحد له يد علينا إلا كافأناه بها إلا أبو بكر))[1] فقد أدى صغرها؛ لأن عاشت طويلاً بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ونقلت من السنة الصحيحة أكثر من أي زوجة؛ بل أكثر من أي صحابي إلا ما كان عن أبي هريرة وابن عمر وأنس، مع تميزها بالذكاء والفقه كذلك، زواجه من جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه الذي أدى لتحرير بني المصطلق، حتى أن عائشة أكثر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم غيرة قالت: أعتق بزواجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم بامرأة كانت أعظم على قومها بركة منها"[2].

ويبرهن روجيه دوباسكويه بأن التعدد كان موجوداً قبل الإسلام فيقول: "وكان تعدد الزوجات موجودًا قبل الإسلام وبلا أي تحديد لعدد الزوجات، وكان لداود وسليمان عشرات الزوجات في آن واحد، وفي تاريخ المسيحيين في مصر وأوروبا وأمريكا؛ بل حتى اليوم في أمريكا عند بعض الطوائف المسيحية تعدد زوجات، ولا يمنعه إلا القانون المدني"[3].

وتشدد مريم جميلة على خطورة الانسياق إلى القيم الغربية في مسألة تعدد الزوجات فتقول: "لم يفتر على أي نظام إسلامي كما افتري على نظام تعدد الزوجات، وهو يعتبر إزاء هذا برهاناً لا يقبل الرفض على انحطاط المرأة في الإسلام، ويفسر بأنه رخصة حسية محضة، وإن مصلحينا المجددين في أحسن الأحوال ينتقصون من أهميته، فيعتبرونه خاصاً بالمجتمعات المتأخرة فقط، ولا يقبل إلا في أحوال استثنائية جداً وغير عادية، وعلينا أن نفهم أن هذا التفسير الذي يدافع به مجددونا؛ ليس له أساس لا في القرآن الكريم ولا في الحديث الشريف، وإنما هو النتيجة المطلقة للعبودية الفكرية لقيم الحضارة الغربية، والفزع الذي ينظر به الغرب لتعدد الزوجات معزو إلى الفردية الغالبة التي تسيطر على المجتمع الحاضر لدرجة أن الزنا يعتبر أقل منه بغضاً"[4].

---

(١) سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ط٢ (١٢/ ١١٩).

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٧٠.

(٣) المرجع السابق، ص١٢٩.

(٤) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٨٠.

وحينما يتحدث الباحث عن مسألة التعدد وما ذكرته مريم جميلة في هذا الباب ودافعت به؛ إنه لمن المهم الإشارة إلى "أن هذه المرأة المؤمنة لم تمانع في التعدد، وقد اقتنعت به وهي ما زالت في أمريكا، وكانت تحزن من المانعين له أو من المبررين له تبريراً ضعيفاً، ثم طبقته بنفسها في لاهور"(١).

واستشهدت مريم جميلة في تفسير آية ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٢٩﴾ [سورة النساء: ١٢٩]. بما جاء في تعليقات مارمادوك بكثول على ترجمته الإنكليزية لمعاني القرآن الكريم "لا تعرف القدسية في الإسلام بالتبتل، التبتل في العالم المسيحي هو الفكر الديني الصارم، وأن الزواج الأحادي رخصة للبشرية؛ أما في الإسلام فإن الزواج الأحادي هو المثل الأعلى، وتعدد الزوجات رخصة لبني الإنسان، والرسول صلى الله عليه وسلم قدم بزواجه من خديجة مثالاً عظيماً لزواج الأحادي، بينما قدم مثالاً عظيماً لتعدد الزوجات أيضاً للذين يستطيعون أن يعيشوا حياة صالحة من الذين يتمتعون بالخلق والأوصاف التي تؤهلهم للتعدد"، وتدافع مريم جميلة عن مسألة التعدد فتقول: "الإسلام لم يأت بقانون التعدد؛ بل كانت العادة موجودة، فحددها بأربع زوجات شرعية لرجل واحد، ومنح لكل امرأة شخصية قانونية وحقوقاً شرعية، فيجب على الرجل أن يراعي مشاعرها، وأن يتحمل مسؤوليته الشرعية تجاه كل امرأة، وإن تعدد الزوجات وعدمه في أي بلد أو حقبة من التاريخ ينبغي أن يربط بالظروف الاجتماعية والاقتصادية لذلك البلد أو تلك الفترة من التاريخ"(٢).

وتناقش مريم جميلة مسألة تعدد الزوجات من الناحية النفسية فتقول: "جاء في كتاب (تعدد الزوجات من وجهة نظر المرأة) لأنور علي خان ما يلي: لا شك في الحقيقة أن أقوى حجة في جانب حظر تعدد الزوجات هي أنها لا توجد امرأة تتقبل فكرة منافسة دائمة شريكة في فراش زوجها، وإن حجة السيدة مريم جميلة تفتقد الكثير من وزنها في نظر المرأة المسلمة العادية؛ لأنها صادفت أن كانت هي الزوجة الثانية لزوجها، فمن المعروف جيداً أن المرأة الأولى وليست الثانية هي التي تعاني عادة في أسرة تأخذ بتعدد الزوجات؛ إلا أن تعدد الزوجات ضروري، لا ليحد من اللاأخلاقية والنزعات الفطرية المختلطة عند الرجال فحسب؛ بل ولينقذ إلى حد بعيد جداً النساء البريئات من الارتماء في أيدي الوحوش، فالزوج الذي صمم على الزواج بأخرى سيفعل ذلك مهما كان القانون، وأولئك الذين يطالبون بالتحريم التام لتعدد الزوجات يريدون بقصد أو بدون قصد أن كل من يريد الزواج

---

(١) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص٢١.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٢-١٣٤.

بأخرى عليه أن يخرج زوجته الأولى من بيته مع كل أبنائها، وإلا كان من الواجب أن يطالبوا لا بتحريم تعدد الزوجات فقط؛ بل بعدم السماح بالطلاق أيضاً بأي حال، وأنه يجب على الرجال أن يعيشوا مع زوجاتهم الأوليات مهما كانت الظروف، وهذا ما فرضته المسيحية قبل حلول العصر الحاضر، وثبوت الفشل المفجع لهذا الشرط لم يعد خافياً، وعلى ذلك فإن رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام وصحابته وعلماءنا الأجلاء الذين تزوجوا بأكثر من واحدة قد يعتبرون مجرمين في نظر تشريعاتنا الحديثة، والقوانين الإسلامية التي تتعلق بالطلاق قد هوجمت بقسوة كما في تعدد الزوجات تقريباً، واعتبر الحق الشخصي الذي أعطته الشريعة للرجل لطلاق زوجته دليلاً آخر على انحطاط منزلة المرأة في التشريع الإسلامي"[1].

وتطرقت مريم جميلة لموضوع تعدد الزوجات في اليهودية فتقول: "إن هذا الكتاب لا يدين التعدد، وكل الأنبياء الموقرين فيه يمارسون التعدد برضى الإله، ولكن تبلورت آراء مختلفة في اليهودية تجاه تعدد الزوجات تحت التأثير المسيحي، وتلمح هذا التضارب في التلمود؛ إذ يقول أحد الحاخامات أنه يجب أن يسمح للرجل بأي عدد من الزوجات شاء بينما يعلن آخر أن عدد الزوجات يجب أن يتوقف عند أربع (وهو رأي الإسلام)، ويذهب آخر إلى القول بأنه ينبغي على الزوج إذا تزوج بأخرى أن يمنح الطلاق للزوجة الأولى إذا رغبت في ذلك"[2].

وتقارن مريم جميلة بين نظرة الإسلام للزواج ونظرة المسيحية له فتقول: "تنظر المسيحية إلى الزواج باعتباره سراً مقدساً من أسرار عقيدتها، ويلجأ دعاة النصرانية إلى استخدام هذا المفهوم لرفض تعدد الزوجات، فإذا كانت العلاقة مع الإله هي علاقة وحدانية ورفض للتعدد فهي مع الزوجة علاقة توحيد ورفض للتعدد، والعلاقة الزوجية تتم من خلال التوحد النفسي والروحي بين جسدين بحيث يصبحان شخصاً واحداً؛ ولأن هذا الشخص الواحد المكون من جسدين قد تكون في ظل الكنيسة وبمباركة وجمع الرب فإنه لا يصح له أن ينفصل ليعود شخصين كما كان قبل الزواج، وإن مفهوم الزواج في الإسلام يختلف فهو ليس سراً مقدساً كهنوتياً يكرر في البشر تلك الوحدة التي تراها المسيحية في الإله ذي الثلاثة أشخاص؛ بل هو عقد يهدف إلى إضفاء مشروعية على العلاقات الجنسية وإيجاد الأسس لجو أسري صحى لتربية الأطفال، وإذا كان الإسلام يحرم العلاقات الجنسية

(١) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٨١.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٨٩.

خارج إطار الزواج فإنه يحيل هذا التحريم إلى حقيقة عملية بتسهيل الزواج والطلاق وإعادة الزواج بحيث لا يكون هناك عذر للعلاقات المحرمة"[١].

وتعود مريم جميلة إلى محاسن الزواج في الإسلام فتقول: "أما مفاهيم الإسلام فهي جد مختلفة، فلا يوجد هناك شيء اسمه اتحاد روحي بين بشرين بحيث يصبحان شخصاً واحداً، ومن يسعى إلى مثل هذا الاتحاد فسيضل الطريق؛ بل هناك التعاطف والحب؛ لكن كل روح بشرية وحيدة من المهد إلى اللحد؛ إلا إذا حظيت بالتعرف إلى الله والتقرب منه، وكل روح حرة ومستقلة عن كل روح أخرى، وهي مسئولة مسئولية كاملة، وعليها أن تحمل عبئها بالكامل، وتجد طريقها بأداء الواجب بين مصاعب الحياة، ولا فرق بين الرجل والمرأة في هذا المجال، ولا يوجد في الزواج اندماج للشخصيات؛ بل يبقى كل من طرفيه متميزًا ومستقلاً، وكل ما فعلاه هو أنهما دخلاً اتفاقاً لأداء واجبات معينة نحو بعضهما البعض، وهو اتفاق يديمه الاحترام المشترك والحب، وإذا لم يستمر التعاطف والحب فمن الأفضل أن ينتهي الاتفاق بالطلاق، والزواج في الإسلام ليس سراً مقدساً ذا قيمة غيبية وليس قيداً؛ بل هو عقد بين عَبدٍ لله وعبدة لله وكلاهما حر، وقد أوصى الله بالمحبة بينهما، وحدد بوضوح حقوق كليهما على الآخر، ورسم لعلاقتهما خطوطها وقواعدها المتسمة بالشرف والاحترام، فإذا لم يشعرا بالمحبة بينهما ويخافان أن يخالفا الحدود يتحتم إنهاء العقد، وتحتفظ المرأة بكامل شخصيتها وممتلكاتها واسمها، ولها حق المسكن المستقل في حالة التعدد، وإزاء هذه الحقوق فإنه لا يهم أن تسود المجتمع الزيجات المتعددة، وفي الحقيقة فإن تحريم التعدد أدى إلى العديد من الأمراض والشرور الاجتماعية؛ أما عن سهولة الطلاق وهي لم تكن أصلاً في النظام الغربي فقد أدخلت فيه مؤخراً، وإن في حدود ضيقة تحف بها الدعاية والفضائح؛ نظراً لبحث قضايا الطلاق في المحاكم العلنية، ووجود رخصة التعدد في الإسلام يدل على أن الزواج فيه قد جعل للرجل والمرأة، ولم يجعل الرجل والمرأة للزواج"[٢].

وتصدت مريم جميلة للرد على كل المزاعم التي ألصقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وتذكر زيجات الرسول المتعددة كدليل على حبه الشديد للنساء فتقول: "إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بعد موت زوجته خديجة رضي الله عنها، وفي العشر الأواخر من عمره، كان يتزوج لسببين: أولهما: لكي يرعى الأرامل اللواتي قضى أزواجهن في الجهاد من أجل الإسلام واللواتي لم يكن لهن من يرعاهن، وثانيها: لكي يقوي أواصر الصداقة والتماسك بين العشائر والقبائل، إن رجلاً في الخامسة والعشرين

(١) المرجع السابق، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠٨-٢٠٩.

من العمر يقصد إشباع غرائزه ليس إلا؛ لن يتزوج امرأة في الأربعين من العمر ترملت مرتين، ثم يبقى وفياً لها كل الوفاء مدة ربع قرن حتى بعد وفاتها، ويحفظ ذكراها للنهاية، وإن رجلاً يتزوج لملذاته الحسية لن يتخذ زوجاته من المعدمات والمتوسطات في العمر والأرامل المسنات"(١).

وتنبه مريم جميلة إلى أولئك الطاعنين في شرف محمد صلى الله عليه وسلم فتقول: "وأنبه هؤلاء إلى أنه لا يوجد في التاريخ نموذج للزيجة الواحدة أنصع من زواج استمر ستة وعشرين عامًا بين الرسول والسيدة خديجة، وقد كان مثاليًا وهو متزوج بواحدة كما كان عندما تعددت زوجاته، ولم يطبق عدم التعدد في بلدان الغرب تطبيقًا حقيقيًا؛ لكن أثر هذا التحريم أدى إلى معاناة أعداد لا حصر لها من النساء وأطفالهن، ويعمد الإسلام إلى تحطيم كل المحرمات التي تؤدي إلى إتعاس أقسام من مخلوقات الله؛ أما في أوروبا فإننا بجانب عبادة المرأة من ناحية نرى الحط من مكانتها واليأس الذي يصيبها من ناحية أخرى، والنظام الإسلامي إذا طبق بأكمله يعتبر الرجل مسؤولاً عن تصرفه تجاه كل امرأة وعن نتائج هذا التصرف"(٢).

وتذكر مريم جميلة محاسن تعدد الزوجات في الإسلام فتقول: "وتعدد الزوجات الضيق المسموح به في الإسلام يقلل الجنس المبتذل إلى أدنى حد؛ ذلك أن الرجل إذا أراد الاتصال بامرأة أخرى فعليه أن يتزوجها أولاً، ويتحمل مسؤولية إعالتها وكفالتها، والإسلام يعارض تحديد النسل على مستوى وطني ودولي، كما تعارضه الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ولنفس الأسباب، وبالنسبة للعقلية المسلمة فلا شيء أسوأ من ممارسة العلاقات الزوجية ثم تعطيل الغاية منها بعد ذلك، واستعمال موانع الحمل مرخص به في حالات فردية استثنائية وعلى أسس طبية، والأسباب الاقتصادية المجردة غير كافية لتقليل عدد الأولاد المتعمد؛ ذلك لأن الله هو الذي يوفر الرزق للإنسان وليس الإنسان"(٣).

وتذكر مريم جميلة الحِكَم والأسرار من التعدد فتقول: "أقر الإسلام تعدد الزوجات حماية لإناث الأمة، وكمعادلة توازنية لما قد يعتري المجتمع الإسلامي من اختلالات تنتج عن نقص الرجال بسبب الحروب أو هجرتهم للخارج أو ما شابه، لقد سارت الأمة الإسلامية على هذه التعاليم والمبادئ الإسلامية دون اعتراض أو تفنيد، ولم يحدث للمجتمع المسلم أبداً أن تمرد عليها، فقد عاش عزيزاً بها قوياً بتنفيذها؛ إلى أن جاء الاستعمار الغربي لينتهك استقلالية العالم الإسلامي وينال من كرامته

---

(١) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٢٩.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإسلام، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٣) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٤٣.

وينهب ثرواته ويمزقه ويضعفه، ويقطع حبل الله المتين الذي يلتف حوله، فظهر الاستعمار كعدو للدين من الخارج، وظهرت رموزه وعملاؤه في الداخل، وكلاهما لا يكل ولا يتوقف عن طعن الدين في الصميم بحقد مسعور، ونوايا إضعافيه للهيمنة والتسيد وبالتالي للنهب والتسلط"(١).

وفي سبب التعدد عند الرسول صلى الله عليه وسلم يقول مراد هوفمان "إن معظم زواجات النبي صلى الله عليه وسلم كانت لدوافع دعوية وتشريعية؛ لأنها تمت من نساء مطلقات وأرامل"(٢)، ثم يقول هوفمان: "إن محمداً صلى الله عليه وسلم -دون شك- هو واحد من أكثر الشخصيات التي افتري عليها في تاريخ الإنسانية"(٣).

ويستنكر مراد هوفمان ادعاء المسيحية والتقول على جناب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "الادعاء أن محمداً قلد -برداءة- بعض تعاليم المسيحية وجذب دينه الجديد البسطاء ببدائيته الجنسية، ألم يسمح الإسلام بالزواج من أربع؟ ألم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم متعدد الزوجات؟(٤)، ويصرح أن اتهام الإسلام بسبب التعدد اتهام باطل لوجوه فيقول: "ليس تعدد الزواج دائماً وفي كل حالة منافياً للقيم والعادات، حتى في نظر القانون الألماني اليوم؛ لهذا فإن اتهام تعدد الزوجات في الإسلام اتهاماً مطلقاً بأنه غير أخلاقي، اتهام باطل، وليس ذلك فحسب؛ بل إنه يدل على عدم البصر أو قصر النظر"(٥).

ويعدد مراد هوفمان بالتفصيل دواعي وأسباب زواجه من أمهات المؤمنين فيقول: "كان تعدد الزوجات موجودًا قبل الإسلام ولم تحدده اليهودية ولا المسيحية بأي عدد، وزوجات داود وسليمان أكثر عشرات المرات من زوجات محمد، ومع هذا لم نسمع أحدًا في الغرب يتهم أيًا منهما بأنه مهووس جنسيًا؛ بل إن داود هو في نظر اليهود والمسيحيين على السواء الرجل الكامل، وجاء الإسلام لأول مرة في تاريخ الديانات بتحديد عدد الزوجات، ولنأخذ على سبيل المثال من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(١) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ترجمة طارق السيد خاطر، مكتبة مريم جميلة، ط بدون، ص٣٨.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص٣٨.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٤٨.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢٠١.

-أم حبيبة: تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي في الحبشة التي هاجرت إليها مع زوجها المسلم هروبًا من إيذاء قريش، فلما ارتد زوجها تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي في الحبشة ولا يعلم متى ستعود.

-حفصة: تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد استشهاد زوجها وبعد أن عرضها عمر على أبي بكر وعثمان فلم يردها أيهما.

-جويرية بنت الحارث: قالت عائشة أكثر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم غيرةً لم أعرف امرأة أكثر خيرًا على أهلها من جويرية بزواجها من النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومعلوم زهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف كان يستأذن من عائشة ليتفرغ للعبادة(1).

ويذكر مراد هوفمان دوافع زواج الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "توفيت خديجة عام ٦١٩م، فتزوج بعدها الرسول صلى الله عليه وسلم عام ٦٢٢م من عائشة، التي كانت في مطلع صباها وذات ذكاء وقاد، وهي ابنة أقرب أصحابه إليه أبي بكر الذي أصبح فيما بعد أول الخلفاء الراشدين، وباعتباره مؤسس أُمَّة تزوج بعد ذلك عشر مرات كانت معظمها لدوافع دعوية وتشريعية؛ لأنها تمت من نساء مطلقات وأرامل، ولترسيخ سريع لكيان الدولة الإسلامية في أنحاء شبة الجزيرة العربية ونخبها القيادية، أطلق على زوجاته اسم أمهات المؤمنين"(2).

ويختم مراد هوفمان قائلا: "يتبين من خبراتي التي قدمتها في قائمة صغيرة مفصلة أن تعدد الزوجات بما يتفق وهدف القرآن لا يمثل مشكلة للإسلام بصفة عامة، وإذا جاز لي بوصفي مسلماً أن أراهن على شيء فإنني أراهن على أن تعدد الخليلات في العالم الغربي أكثر من تعدد الزوجات في العالم الإسلامي"(3).

وفي نهاية هذا المطلب من المهم جداً أن يلخص الباحث بعض النقاط المرتبطة بمسألة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم:

أولاً: عقد النبي صلى الله عليه وسلم أنكحة كثيرة لأسباب متعددة:

١/ أسباب إنسانية.

(١) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٤٨-٤٩.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص ٣٨.

(٣) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٣٥.

تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابيات اللائي توفي عنهن أزواجهن، كزواجه من سودة بنت زمعة رضي الله عنها التي توفي عنها زوجها السكران بن عمرو بعد عودته من الحبشة، وكانت امرأة مسنة، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة، وكذلك زواجه من أم سلمة وهي أيضاً من المسنات التي توفي عنها زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد بعد إصابته في أحد، ومن هذا زواجه من أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان التي ارتد عنها زوجها عبد الله بن جحش في الحبشة وتركها وحيدة، وأيضاً زواجه من زينب بنت خزيمة التي كانت قبله عند جهم بن عمرو، ثم عند عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب الذي استشهد بعد إصابته في بدر، ومثل هذا زواجه من النساء اللائي لم يجدن أزواجاً، ومنهن حفصة بنت عمر التي مات عنها زوجها خنيس بن حذافة السهمي، فعرضها أبوها على عثمان وأبي بكر رضي الله عنهما فأبيا نكاحها، فضمها النبي صلى الله عليه وسلم إلى نسائه.

٢/ أسباب دعوية.

زواجه من جويرية بنت الحارث ابنة سيد بني المصطلق الذي كان ارتباطه بها سبباً لإسلام أهلها.

٣/ أسباب اجتماعية.

زواجه من صفية بنت حيي بن أخطب التي كانت من سبايا خيبر فأعتقها وتزوجها، ومن الواضح أن أقرب تفسير لهذا الزواج هو أنه أراد إكرامها باعتبارها من علية القوم.

زواجه من ميمونة بنت الحارث التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: الأدلة العقلية على التهم الموجهة للرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الباب:

١- اتهامه صلى الله عليه وسلم باتباع الشهوات، أو التلميح والتلويح به كما هو حال كثير من المستشرقين المعاصرين؛ هو مجرد اتهام باطل، فكل زوجاته ما عدا عائشة رضي الله عنها ثيبات، ولو أراد الرسول صلى الله عليه وسلم تلبية الرغبة في النكاح لارتبط بالأبكار الجميلات، وقد كان هذا في مقدوره وحاشاه صلوات ربي وسلامه عليه.

٢ - أن قيام النبي صلى الله عليه وسلم بأمر زوجاته كان مثالاً يحتذى به في تعامله مع زوجاته رضي الله عنهن؛ حيث كان يقسم بينهن في الكسوة والمبيت ويقرع بينهن في السفر، حتى أثناء مرضه للرعاية لم ينتقل إلى بيت عائشة رضي الله عنها إلا بعد استئذانه من نسائه.

ثالثاً: كان تعدد الزوجات ولا يزال سلوكاً بشرياً قبل نزول القرآن وبعده، وليس القرآن من شرعه، وإنما تعامل معه كظاهرة موجودة، ويحسب للقرآن الكريم أنه أبعده عن الفوضى حينما حدد سقفه وفرض عليه جملة من قيم العدل والإحسان.

رابعاً: الذين تحدثوا في هذا الباب من المستشرقين الذين أسلموا وقاموا بالرد على شبهة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم هم: اتيين دينيه ولورد هدلي ومارمادوك بكثول وروجيه دوباسكويه ومريم جميلة ومراد هوفمان.

الباب الثاني

جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن قضايا المسلمين

وتحته ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول**: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق المسلمين في الغرب
- **الفصل الثاني**: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن القدس
- **الفصل الثالث**: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق وقضايا المرأة المسلمة المعاصرة

الفصل الأول

جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق المسلمين في الغرب

وتحته مبحثان

- المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الحقوق الدينية
- المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الحقوق الاجتماعية.

الباب الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن قضايا المسلمين.

الفصل الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق المسلمين في الغرب.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الحقوق الدينية.

المطلب الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حق أداء العبادات وممارسة الشعائر الدينية.

لقد حرص الإسلام على أن يعيش أبناؤه في تلاحم وتعاون؛ حتى يسود المجتمع الأمن والاستقرار، فالحقوق محفوظة، والواجبات معروفة، من شأنها أن تشد الروابط بين المسلمين، وتزيد الألفة فيما بينهم، وتحفظ وحدتهم، خاصة إن كانوا في دولة كافرة؛ حيث تعظم المسؤولية على عاتق من يملك نوع من أنواع السلطة في نصرة إخوانه في هذه البلاد الكافرة.

ويحض الشارع الحكيم على التعاون والتناصر، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ [سورة التوبة: ٧١]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا))[1]، لذا كان لزاماً على المجتمعات المسلمة وخاصة في بلاد الغرب، أن تتوهج في نفوسها المعاني الكريمة للتناصر والتراحم، وأن يتوهج السمو الروحي في الأخوة والتضامن.

وفي هذا المطلب سيتم تركيز الحديث على جهود من أسلم من المستشرقين فيما يتصل بحقوق المسلمين في الغرب من خلال كتاباتهم.

ابتداءً من الحديث عن واقع معاناة الأقليات المسلمة في الغرب، ومروراً ببيان المطالبات للاعتراف بالدين الإسلامي من قبل هؤلاء المستشرقين وتسهيل أمور المسلمين هناك، ثم ذكر الجهود التي تبذل عبر المنظمات للاعتراف بالإسلام، وانتهاءً بذكر انتشار الإسلام في هذه البلاد ووجود المسلمين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره (١/ ١٠٣) ح (٤٨١).

وتوسعهم فيها، وتصدر من كتب في هذا الشأن مثل مراد هوفمان؛ حيث أبلى بلاءً حسناً في الدفاع عن حقوق إخوانه المسلمين.

أولاً: واقع معاناة الأقليات المسلمة في الغرب

١/ معاناتهم في بناء المساجد ورفع المآذن.

إنه من الثابت أو المتعارف عليه بين كل الأمم والثقافات أن اتباع دين "ما يُعد من الأمور الخاصة، كنوع من الفولكلور[١] والقاعدة العامة في ذلك: كل شيء يجوز! إلا إذا كان الدين المعني هو الإسلام، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يشمله التغاضي اللطيف أو التسامح الجميل، أسباب ذلك معقدة ومتنوعة، يرجع بعضها إلى الحروب الدموية بين المسيحيين والمسلمين، والصراع السياسي والتجاري"[٢].

وذلك لأن مستشرقي الغرب ينتهجون نهج (الكيل بمكيالين) في أي مسألة يكون المسلم طرفاً فيها، "فيضطر المسلمون للفصال[٣] على كل متر ترفعه المنارة -ويا له من سخف مضحك- فعليهم أن يَعِدُوا بأن تلك المنارة لن يستعملها المؤذن حتى لا يزعج السكان ويقطع عليهم السكون والهدوء، وبالطبع هنا مفارقة مع أجراس الكنائس التي يمكنها أن تدق في أي وقت، حتى في ساعات الصباح المبكرة، وإذا أراد المجتمع اليهودي في أوروبا أن يذبح حيواناً طبقاً لتقاليده فبكل تأكيد لا غبار عليه في ذلك، ولكن إذا أراد المجتمع المسلم الكبير الشيء نفسه فبكل تأكيد تعوقه كثير من الحجج القانونية، وتنكر عليه حقه في الحصول على اللحم الحلال"[٤].

ولوسائل الإعلام نصيب هائل في الترويج لهذه الأفكار، إذ "تتحدث وسائل الإعلام من وقت إلى آخر بشكل لائق وفي احترام بالغ عن طقوس اليهودية المتشددة، ويتابعون بحرص طقوس الفصل بين الجنسين، تدابير الزيجات وتصفيفات شعرهم ذات المغزى الديني وملابسهم وغطاء الرأس وآداب الطعام والنحر ورفض تناول لحم الخنزير، ولكن لا يتهمهم أحد بانتهاك حقوق المرأة أو أن هذه

(١) فُلْكُلور مفرد: (فن) فولْكُلور؛ تراث شعبي؛ مجموع التقاليد الشعبيَّة والعادات الخاصّة بثقافة بلدٍ ما وحضارته "فُلْكلور شعبيّ/ تراثيّ/ غنائيّ- الفُلْكلور هو مرآة عادات الشعوب، انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣، ص ١٧٤٣.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٤٥-٤٦.

(٣) هكذا في النص (الفصال) ربما خطأ مطبعي وأقرب كلمة النضال.

(٤) المرجع السابق، ص٥٨.

الطقوس رجعية أو متعصبة، ولكن هذه هي الصفات التي تلصق بالمسلمين إذا ما سلكوا هذا المسلك نفسه"(١).

"ولم يخطر ببال أحد أن يصف الأسلحة الذرية التي أسقطت على نجازاكي وهيروشيما بالقنبلة المسيحية، ولكن إذا ما تناثرت شائعات أو حامت شكوك حول قيام دولة إسلامية بصنع أسلحة ذرية، يكثر الحديث فوراً عن القنبلة الإسلامية، كما أنني ألحظ أن صفة متعصب حجزت سابقاً للمسلمين"(٢).

أما عن معاناة الأقليات المسلمة في بناء جامع أو رفع مئذنة: "فلا يتم التصريح بأمر البناء إلا بعد عدة سنوات من تقديم الطلب، ويصرح بالبناء في موقع بغيض بجوار سلخانة أو خلف القطارات، لابد أن تساوم من أجل ارتفاع كل متر للمئذنة، كما لو أن هناك قانوناً يلزم بألا ترتفع المئذنة عن أي كنيسة (لم يتم التصريح ببناء قبة الجامع؛ لأنها -وإن توافقت مع النسب الكلاسيكية- إلا أنها ترتفع (٥٠سم) أكثر مما ينبغي) أما إذا تم بناء الجامع، فكثيراً ما يتم منع استخدام المئذنة للنداء للصلاة بدون إبداء أي سند قانوني لهذا المنع، ولكنهم يأتون بأسباب واهية، يتم هذا بالرغم من تصريح المسؤول عن شؤون الأجانب في الحكومة الاتحادية عام ١٩٩٧م بأن الأذان المنبعث من مكبرات الصوت خاضع للحماية الدستورية، وبالتالي فإنه ليس في حاجة للحصول على إذن، كما أنه لا يسبب أي أضرار للبيئة ولا يلحق أضراراً بالمرور أو الصحة"(٣).

"وغالباً ما يضطر المرء لخوض غمار حرب في المحاكم للحصول على تصريح البناء، ولقد شن أحد مواطني مدينة **kehi** عام ١٩٨٩م حرباً صليبية شعواء لوقف بناء جامع، حتى إن حربه هذه وصلت آخر الأمر إلى المحكمة الإدارية الاتحادية، وقد طالب هذا المواطن المحكمة بحمايته من الإزعاج الذي يصيبه ليلاً عندما يرتفع صوت الأذان ليدعو لصلاة الفجر، ولكن لسوء حظه فإن الحي الذي يقطنه يعج بأماكن تنبعث منها الضوضاء وبه كذلك كنيسة تدق أجراسها"(٤).

وهناك كبير فرق بين بناء الجامع والكنيسة: "فإنه لبناء الجامع غالباً ما يضطر المسلمون لانتزاع تنفيذ ذلك خطوة وراء خطوة، وسبيل ذلك يكون بأمر من المحكمة، وكثيراً ما يرفض المسؤولون إعطاء

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٢١١.

(٢) المرجع السابق، ص٢١١.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣٣٢.

(٤) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٩٠.

التصاريح، مع أن القانون لا يمانع في التصريح بهذه الإجراءات، ولا يختلف الوضع في فرنسا عنه في ألمانيا، لا تملك أي ديمقراطية حيال المقاومة السلبية للبيروقراطية حلاً"[(١)].

ومن أشد أنواع معاناة المسلمين المخزية في بناء المساجد حتى بعد حصولهم على التصريح "عملية المساومة بشأن ارتفاع المئذنة حتى إذا ما أخذت تصريحاً لبناء جامع فلا يجب أن يتعدى ارتفاع المئذنة ارتفاع برج الكنيسة المجاور؛ أما في مدينة آخن حيث يواجه المسلمون صعوبات هائلة لتوسيع الجامع الذي ضاق برواده في هذه المدينة لا يحاول حزب الخضر إخفاء أسبابه الحقيقية أو حتى التعبير عنها بشكل دبلوماسي في وضع العراقيل أمام المسلمين لتحقيق هذا الغرض، وأسبابهم تلك إنما هي أسباب سياسية بحتة، وهم بذلك إنما يحرمون في واقع الأمر ٢٠ ألف مسلم يعيشون في آخن وما حولها من ممارسة حرياتهم الدينية بالمعنى العميق والدقيق للكلمة، وهذا بمنزلة إعلان الحرب على الإسلام"[(٢)].

وحتى بعد الموافقة على رفع المئذنة "فلا يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل يتعداه إلى صور أخرى من التعسف، فبعض المصالح تسمح ببناء مئذنة؛ ولكن مع الالتزام والتعهد بعدم استخدامها في غرضها الأساسي، أي لرفع الأذان!! ويكون هذا الشرط مقبولاً إذا ما منعت هذه المصالح دق نواقيس الكنائس، ولكنهم بالطبع لا يفعلون، لأن الكنائس تتمتع بحماية يكفلها لها (الحق العرفي) وكأن مادة الدستور التي تنص على المساواة لا قيمة لها مقارنة (بالحق العرفي)، ولقد لجأ مسلمو إسبانيا إلى هذه الحجة القانونية ونجحوا من خلالها في رفع الأذان مرة أخرى في قرطبة عام ١٩٩٤م بعد انقطاع دام خمسة قرون، وأتساءل أحياناً متهكماً: هل تصبح الجوامع في ألمانيا محتملة إذا ما دقت الناقوس إيذاناً بموعد الصلاة بدلاً من رفع الأذان؟!! أو أن ينطلق المؤذن مردداً (بِم بَم- بِم بَم) بدلاً من (الله أكبر)"[(٣)].

ويدين مراد هوفمان النصارى الأسبان الذين دمروا المساجد فيقول: "إنني أعلم علم اليقين أن النصارى الإسبان بعد المحررين، قد دمَّروا بشكل شنيعٍ كل مسجدٍ من مساجد المسلمين من ملقا إلى غرناطة ومن صقلية إلى طليطلة إلا أن البناء الرائع في قرطبة نجا واكتفوا بتخريبه بشكل بشعٍ لسبب

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣٣٣.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٩٢.

(٣) المرجع السابق، ص١٩١.

واحد فقط، وهو أنه كان يمكن تحويله إلى كاتدرائية، وقد تعرَّض المسجد الكبير في الجزائر للمصير ذاته في القرن التاسع عشر"[١].

ناهيك عن التمييز العنصري الممارس ضد المسلمين، "ففي كل مرة يضرب فيها مسلم -في مكان ما لسبب ما ومن دون تسويغ مشروع- ستزداد معاناة الجاليات الإسلامية في الغرب من عدم الثقة بهم وبممارسة التمييز ضدهم وإدانتهم، وقد بدأت الهجرة المعاكسة، هجرة العودة إلى الأوطان، إلى سوريا ومصر وغيرهما وبدأت المساجد في أوروبا وأمريكا تحترق"[٢].

٢/ معاناتهم في مسألة الحجاب.

أما عن ازدواجية تعامل الأسبان مع المسلمين وغيرهم في منح الحقوق الدينية؛ فقد "اكتشف المسلمون في أثناء تعاملهم مع الأطر القانونية، أن امتلاكهم لحقوق معينة شيء ومنحهم هذه الحقوق شيء آخر، ففي ألمانيا على المسلمين أن يعبروا نظام المحاكم كله لكي يحصلوا على حقوقهم القانونية المتعلقة مثلاً بالحجاب الذي ترتديه معلمات المدارس، وحقهم في الذبح الحلال على الطريقة الإسلامية، وحقهم في تعليم الإسلام بأنفسهم في المدارس الرسمية، ومع ذلك تحبط الإدارة؛ بل وتقاطع في غالب الأحيان القواعد الشرعية وقرارات المحاكم"[٣].

ولقد امتدت المعاناة حتى إلى الأطفال والفتيات، "فالنصيب الأوفر من هذه المشكلات والقدر الأكبر من الأضرار الناجمة عنها، فينالهما الأطفال، فالفتيات يتعرضن للسخرية بسبب ارتدائهن الحجاب، أو لامتناعهن عن دروس السباحة المشتركة مع الفتيان، أو لرفضهن ارتداء ملابس بحر مكونة من قطعتين، وهو الأمر الذي يعرضهن للمساءلة أمام محكمة القضاء الإداري"[٤].

---

(١) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص٤٥.

(٢) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص١٧٧.

(٤) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٨٧، يقول المؤلف ومن دواعي سروري أن محكمة القضاء الإداري بميونخ أقرت في عام ١٩٩٠م أنه فيما يخص دروس السباحة المختلطة فإن حق التربية الذي يتمتع به الوالدان يمكن أن يحد من واجبات وتكاليف التربية التي تتمتع بها الحكومة، وبصفة خاصة إذا ما استند الوالدان إلى أسباب دينية، هذه الواقعة تلتها حادثة أخرى عام ١٩٩١م؛ حيث أعفت محكمة القضاء الإداري في مدينة بريمن تلميذة تركية من حضور دروس الألعاب الرياضية المشتركة للسبب ذاته -أسباب دينية- أما أكثر ما أسعدني فهو قرار المحكمة بأن تفسير القرآن شأن يخص الوالدين، وليس المسؤولين أو المحكمة، أي إنه ليس من حق أحد من غير المسلمين أن يفرض على الوالدين التركيين تفسيراً للقرآن، انظر: مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٨٧.

ولا تنتهي معاناة المرأة المسلمة مع الحجاب عند هذا الحد؛ إذ يعد "غطاء الرأس الذي ترتديه المسلمة -قطعة النسيج هذه التي تستطيع أن تهز جمهوريات بأسرها- فإذا كان ارتداؤه يعد دعاية للإسلام"(١).

٣/ معاناتهم في مسألة الذبح

"إن المسلمين ليسوا بالحالمين فهم لا يتوقعون أن تمنحهم دولة غربية حقوقهم كاملة أو حتى حق تقرير أشياء تخصهم، أعني أي شكل من أشكال الحكم الذاتي"(٢)، "ويتحدث المسلمون بسخرية لاذعة عن الكيل بمكيالين في أمر الذبح وفق الشريعة الإسلامية، فمن المعروف أن هذا الذبح يتطابق مع ذبح اليهود لذبائحهم، فبينما مسموح لليهودي بالذبح وفق شريعته يُعَدّ نفس أسلوب الذبح عندما يقوم به مسلم سلوكاً مخالفاً لحقوق حماية الحيوان والرفق به"(٣).

وتمنع الحكومة الألمانية ذبح الأنعام وفق الشريعة الإسلامية؛ حيث يقول مراد هوفمان "فوفقاً للشريعة الإسلامية يذبح الحيوان راقداً وبسكين حادة جداً، ولتجنيب الحيوان الإحساس بآلام نفسه لا بد من أن يغذى تغذية جيدة إلى أن يحين موعد ذبحه وألا يتعرض لمشاهدة حيوان آخر وهو يذبح، وألا يشاهد حتى السكين وهي تُشحذ؛ بل إن من آداب الذبح في الإسلام أن يخفي الجزار السكين خلف ظهره وهو مقبل على الحيوان لذبحه، والجزار المدرب يقطع الحلق والمريء وشرايين الرقبة بضربة سكين واحدة، حتى يغيب الحيوان عن الوعي مرة واحدة فينزف دمه تماماً، ويسلم الروح دون ألم، وبالنظر إلى كل ذلك يُسمح للجماعة اليهودية بألمانيا أن تُذْبح ذبائحها وفق الشريعة اليهودية في حين يمنع المسلمون من هذا الحق وهو أمر يدعو إلى السخرية، وفي شأن ذلك يقول القرآن: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٥﴾ [سورة الأنعام: ١٤٥]. وتستنتج السلطات الألمانية من ذلك نتيجة منطقية مؤداها أنها إذا منعت المسلمين من أن يذبحوا ذبائحهم وفق شريعتهم فسوف يضطرون إلى أكل لحوم حيوانات لم تذبح وفقاً لها، ولكن هذا التصور ينطوي على خطأ فادح في الحساب؛ لأن اضطرار المسلم الذي ورد ذكره في القرآن ينطوي على محاولته درء خطر موت يتهدده جوعاً، ومن ثم فالمسلم في ألمانيا مضطر؛ إما إلى الاستغناء عن اللحوم والأطعمة النباتية؛ وإما إلى شراء

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص٣٣١.

(٣) المرجع السابق، ص٣٣٥.

اللحم من الجزارين اليهود، ويُحذر القرآن من تحريم ما أحله الله للناس من طعام: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأعراف: ٣٢]. ومن ثم فإنه يحث على تناول مواد غذائية بعينها كاللبن والتمر والزيوت النباتية والأعناب والعسل الذي وصفه أنه دواء ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة النحل: ٦٩]. لذلك يضعه المرء في جميع الحلويات تقريباً في العالم الإسلامي كالبقلاوة في سبيل المثال"[١].

٤/ معاناتهم مع المناهج الدراسية

تبدأ هذه المعاناة في إشراف الحكومة على تدريس المناهج الإسلامية، "فالسماح بإعطاء دروس دين إسلامي في المدارس تحت إشراف الحكومة لهو انتصار وهمي للمسلمين، فوزارة التعليم تحدد مناهج الدين الإسلامي للمسلمين في مدارسها دون الرجوع للمسلمين أو الاتفاق معهم أو حتى السماح لهم بمراجعة هذه المناهج! ولا أستبعد أن يتعلم أطفال المسلمين (على يد مدرسين غير مسلمين بطبيعة الحال) أن صيام رمضان في مجتمع صناعي كألمانيا لهو أمر غير عملي وغير قابل للتطبيق، وغير ذلك كثير"[٢]، ويشير إلى موضوع في غاية الأهمية وهو عدم ذوبان المجتمع الإسلامي مع المجتمع الألماني فيقول مراد هوفمان: "يتضح أن المسلمين الذين يستوطنون ألمانيا يتأقلمون، ولكنهم لا يذوبون ولا تضيع هويتهم الأصلية، ولقد تكونت على مر الوقت صورة تشمل ثلاثة أجيال تشترك في خصائص واحدة إن لم تكن تتطابق في كل من فرنسا وإنجلترا وألمانيا"[٣].

ومعاناة المسلمين مع مادة الدين الإسلامي تفوق الوصف، "فإن معاناة نحو (٥٠٠ آلاف) طفل مسلم في المدارس الألمانية ما تزال مستمرة، وذلك لأن تدريس مادة الدين الإسلامي بالمدارس الحكومية لم يصبح بعد أمراً طبيعياً مسلماً به، وتدعي بعض البلدان الاتحادية أن تدريس مادة الدين الإسلامي بالمدارس، يتطلب الاعتراف أولاً بالدين الإسلامي ديناً لجماعة ما متمتعة بالحقوق العامة"[٤].

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٩٨-٩٩.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣٣٦.

(٣) المرجع السابق، ص٩٩.

(٤) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٨٩.

"ويعاني الأطفال المسلمون أكثر ما يعانون في أثناء دروس التاريخ، بسبب التشويه والافتراءات التي يتعرض لها الإسلام وتاريخه على صفحات كتبهم المدرسية، ولقد تكونت في اللقاء الخامس للمسلمين الألمان عام ١٩٧٧م مجموعة عمل لتصحيح هذا الوضع، وتحمل هذه المجموعة اسم (كتاب مدرسي) وانبثق عنها في كولونيا مشروع بحثي عن الإسلام في الكتب المدرسية في ألمانيا الاتحادية"[١].

٥/ معاناتهم مع فريضة الصوم.

الصوم غير مرحب به في المجتمعات الغربية، "فصيام العمال والأطفال خلال شهر رمضان، يقابل بشيء غير قليل من التوجس وعدم الترحيب، ويسعد الأطفال أيما سعادة إذا ما أعفوا يوماً واحداً من المدرسة في أثناء عيد الفطر"[٢].

٦/ معاناتهم مع إجراءات الدفن

ولا تنتهي معاناة المسلمين حتى أثناء وفاتهم، "فربما يعتقد المرء أن مشكلات المسلم في ألمانيا التي يواجهها في حياته قد تنتهي بوفاته، ولكن هيهات!! فإجراءات الدفن وفق الشريعة الإسلامية تلقى اعتراضات هائلة، وتُقام بشدة!! فالمسلم يرغب في أن يدفن راقداً على جنبه الأيمن مولياً وجهه شطر مكة، ولكن هذا الشرط لا توفره إلا مقابر محدودة جداً، ويجب أن يدفن المسلم في ثلاثة أكفان بيضاء ولا يتم وضعه في نعش، والمدافن الألمانية لا تجيز ذلك بطبيعة الحال (وهم يطيلون بذلك في المدة الزمنية وهذا يزيد من احتمال التعفن)"[٣].

٧/ معاناتهم في الجوانب المالية ومسألة الميراث

معاناة المسلمين لا تقف عند حد معين؛ بل تعدى ذلك إلى الجوانب المالية، "فلا يوجد في ألمانيا بعد مؤسسة مالية إسلامية، وهذا أمر لا يثير الدهشة على الإطلاق، عندما يتابع المرء الصعوبات التي ما تزال تواجه باكستان في سعيها إلى إقامة اقتصاد بلا فوائد، فكيف تجمع شركة رأس المال بدون فائدة؟ كيف إذا كان ذلك سيقترن بمخاطر كبيرة لرأس المال؟ كيف يعمل تخصيص

---

(١) المرجع السابق، ص١٨٧-١٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٨٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٩٢.

الموارد دون فائدة معياراً للربحية؟ كيف يمارس المصرف المركزي سياسة نقدية غير دورية في غياب الفائدة بعَدها أداة؟

إن الحل لا يمكن أن يكون في طلب مسلم ألماني من المصرف الذي يتعامل معه أن يفتح له حساباً ادخارياً بدون فائدة، لأن هذا طلب من شأنه أن يهدم النظام المصرفي بأكمله، وسيكون رد موظف الشباك المتوقع استناداً إلى خبرته هو أولاً: إننا لم نفعل هذا على الإطلاق من قبل، وثانياً: إننا كنا نفعل دائماً شيئاً آخر، وثالثاً: إن هذا سيكون سابقة يستند إليها أي شخص، وإن محاولة إيجاد حل من هذا القبيل تعني ببساطة أنه من الخطأ محاولة أسلمة نظام اقتصادي عن طريق إلغاء الفائدة، فإلغاء الفائدة يمكن دائماً أن يكون مجرد جزء من عملية تغيير عميقة ناجحة متعددة الجوانب، لتقليص الرأسمالية نظاماً أو لتعديلها حتى لا تعارض النظام الإسلامي"[(١)].

وتستمر معاناة المسلمين في الجوانب المالية وتتسع لأبعاد أخرى، "ولا ينتهي الأمر عند حد الوفاة؛ بل يتعداه إلى مسألة الميراث، فالمسلمون يتمسكون بقوانين الميراث المنصوص عليها في القرآن، والتي تنظم وتحدد جميع الموضوعات المتعلقة بالإرث في أدق تفصيلاتها مثلها مثل القوانين المدنية إن لم تتفوق عليها في الدقة والعدل، ولذلك لا يجد المسلم في ألمانيا مخرجاً إلا توزيع ثروته في حياته على المستحقين من الورثة وفق النص القرآني؛ أما إذا اعترض أحد الورثة ولم يقبل بهذا فإن محاولة المسلم تطبيق شريعته تلقى الإخفاق"[(٢)].

٨/ ممارسة الحريات

وكثيراً ما يمنع المسلمون من ممارسة شعائرهم الدينية، "وإنه لمن المثير للتفكير وللدهشة في آن واحد أن يضطر المسلمون إلى اللجوء للقضاء حتى يحصلوا على حقوقهم ويتمكنوا من ممارسة حرياتهم، ويدل هذا بطبيعة الحال على أننا نحيا في دولة يحكمها الدستور؛ لكنها لا تعمل في حقيقة الأمر بروح هذا الدستور!"[(٣)].

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٣-١٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٢.

(٣) المرجع السابق، ص١٩١.

"ولقد تطور هذا السلوك حتى إنه اتخذ شكلاً عبثياً، فالمسلم يصنف متعصباً إذا لم يصدر منه أي سلوك يؤخذ عليه سوى الصلاة والصيام؛ أما إذا كان ملتحياً فتلصق به فوراً صفة متهم ويلقى صعوبات هائلة من موظفي الجوازات"[1]، إن لم يوضع بقائمة الإرهاب.

(١) المرجع السابق، ص٢١١.

ثانياً: المطالبة والاعتراف بالدين الإسلامي.

بعض الدول الأوروبية مثل ألمانيا لديها دستور واحترام لبعض الشعائر الدينية، "فالدين والدولة في جمهورية ألمانيا الاتحادية على سبيل المثال يبدوان منفصلين، ولكن هناك أعياد وإجازات دينية تقرها الدولة وتحميها، وهناك كذلك جمعيات دينية تحظى باعتراف وحماية الدولة، وتحصل الجهات المالية الحكومية ضريبة الكنيسة من أجل مساندتها، يقوم مدرسون حكوميون بتدريس مادة الدين في المدارس الحكومية، كذلك يتم الأخذ بالقسم بالله أمام المحاكم، وفي القوات المسلحة، كما يتم توظيف رجال الدين بهذه القوات، وتجد على حوائط الفصول الدراسية بالمدارس المسيح مصلوباً"(١).

والمطالبة باعتراف الأقليات المسلمة في الغرب من الأهمية بمكان؛ حيث "لا يعطى المسلمون حالياً أدنى اهتمام لمسألة حقهم في الاعتراف بهم كجماعة دينية لها كافة الحقوق العامة، هذا هو حال الغرب مع مسلميه ونحن على أعتاب الألفية الثالثة والتي تَعدُ بأنها ستكون مشحونة، وسيقوم الإسلام بأداء دور فيها، فلماذا لا يُترك له المجال ليقوم بتأدية دور إيجابي؟"(٢).

ومن باب التعايش بين أصحاب الديانات المختلفة فإن المطالبة بالسماح لبناء مساجد أمام الكنائس من باب الاعتراف بالإسلام مهم جداً، "فما الذي يتوقعه المسلمون هنا من معاملات في ظل هذه المؤشرات، خاصة أنهم أكثر اختلافاً عن غالبية الألمان عما كان عليه الكاثوليك آنذاك؟ كما يعتقد الكثيرون أن المسلمين يتم تحريكهم من مكة، فهل سنرى يوماً ما مسجداً يقف بالقرب من كنيسة كاثوليكية تقابلها كنيسة بروتستانتية؟ هل ينضم الجامع إلى مشهد الكنيستين المختلفتين اللتين تقفان إحداهما قبالة الأخرى رمزاً للتعايش والتوافق؟ هل سيتحقق هذا، أم سيتم نبذ الإسلام كما لو كان جسماً غريباً عن هذا المجتمع؟"(٣).

ولا شك أن منح المسلمين في الدول الغربية حق المواطنة يساهم كثيراً في إظهار شعائر الإسلام في مجتمعاتهم، كالذي حدث من "تميز وضع المسلمين في الولايات المتحدة عن غيرهم من مسلمي أوروبا مثل ألمانيا، وتمتعهم بحق المواطنة، فغالبية مسلمي أمريكا يحملون الجنسية الأمريكية، ولقد

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٤١-١٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص٣٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٦٢.

ســـاعد هذا على اندماجهم في مجتمعهم الجديد؛ بل إنهم يحاولون غرس جذورهم في هذا الوطن الجديد"[١].

ومهما تأخر الغرب أو تلكأ في الاعتراف بالدين الإســـلامي رسمياً فإنه موجود وحاضـــر على أرض الواقع بقوة؛ إذ "لا يســتطيع المرء أن يتجاهل وجود البنية الأســاســية للمســلمين والدالة على وجودهم، مثل: المســـاجد والمراكز الثقافية والمدارس والاتحادات ودور النشـــر والمكتبات والجزارين والمدافن، وإذا أقيمت منارة في كل مكان يجتمع فيها المسلمون لأداء الصلاة، لأصبحت أوروبا أشبه ما تكون بإقليم مسلم إذا ما نظر المرء إليها من فوق، لا شك في الأمر: الإسلام موجود"[٢].

ودور الجاليات المســلمة ضـرورة في الغرب، "فالمســتقبل العالمي للإســلام مرتبط في أنحاء العالم بظهور دور للمسلمين الغربيين، وكلي أمل في أن تطور الجالية المسلمة الغربية مبادرة متألقة تؤثر على البلدان الإســـلامية وتفيد الإســـلام على الصـــعيد العالمي، ولفهم أهمية هذا التطور لا بد من إدراك حقيقة أن غالبية المســلمين طوال ألف الســنة المنصــرمة قد ولدوا لأســر إســلامية أو عاشــوا الثقافة الإسلامية؛ لذلك فقد استوعبوا الإسلام ديناً وحضارة، لا يفرقون بين الدين والحضارة، ويمكن التحقق من ذلك بين المسلمين المهاجرين إلى الغرب الذين غالباً ما يتمسكون بتراثهم الثقافي كله بغض النظر عما إذا كان دينياً أو تراثاً شـــعبياً، والواقع أنهم غير قادرين على التمييز بين مجموعتي الأحكام التي يطيعونها طاعة عمياء، ونتيجة لذلك يمارس المســـلمون في الغرب الخرافات والانحرافات الكبرى كتقديس الأولياء والتمائم"[٣].

بيد أن هناك جوانب إيجابية لاتحاد المسلمين في الغرب، "ويمكن أن يحقق إنجازات هائلة:

١ – تمثيل المسلمين في المجالات الخارجية كافة.

٢ – انتخاب الإمام الأكبر للمسلمين في ألمانيا.

٣ – العمل على الاعتراف بالإسلام، هيئة أو جمعية دينية.

٤ – إدارة مكتبة مركزية، وأرشيف للرجوع إليه لأغراض وثائقية.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥٦.

(٣) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٨٢.

٥- إصدار مرجع للمسلمين في ألمانيا.

٦- تنظيم لقاءات ومعارض ورحلات حج وغيرها من الرحلات الجماعية.

٧- إصدار نشرة تتضمن إعلانات بما فيها إعلانات زواج.

٨- تشجيع بناء المساجد.

٩- توزيع منح دراسية لغير القادرين من الطلبة المسلمين"[١].

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٩٤-١٩٥.

ثالثاً: الجهود المبذولة في الاعتراف بالدين الإسلامي

المنظمات الإسلامية لها جهود طيبة في نيل الأقليات المسلمة لبعض الحقوق الدينية والاجتماعية؛ حيث "أصبح لها مكانة في كل من بلجيكا والنمسا، كما أصبحت تحظى باحترام حكومي واضح في إسبانيا حتى أصبحت إسبانيا صالحة لتكون مثالاً ونموذجاً يحتذى به في تشكيل وتحديد العلاقة بين الدولة الغربية ومسلميها، ولقد فوض البرلمان في مدريد الحكومة في عقد اتفاق مع د. منصور عبدالسلام إسكودرو[1]، وبعد التصديق على الاتفاق تم نشر هذا الاتفاق بصفته القانون رقم (٢٦) لعام ١٩٩٢م بتاريخ ١٠ من نوفمبر عام ١٩٩٢م في الجريدة القانونية، وينص هذا الاتفاق على تدريس مادة الدين الإسلامي في حالة طلبها حتى في المدارس الخاصة، وكذلك توافر الرعاية الإسلامية في القوات المسلحة والسجون، كما أن للمسلمين الحق في التوقف عن العمل لأداء الصلاة، ولكن عليهم أن يقوموا لاحقاً بأداء ما فاتهم من ساعات العمل، وتتمتع المساجد والعاملون بها وأرشيفها بالحصانة ولأئمة المساجد سلطة عقد الزيجات، وللمسلمين الحق في الحصول على إجازات في أعيادهم على أن يعملوا في الإجازات المسيحية، وأخيراً تم افتتاح جامع في قرطبة بعد (٦٠٠) عام من إغلاق الجوامع بها؛ أما في طليطلة فأقيمت بتاريخ: ١٩٩٨/١٠/٣٠م صلاة جمعة في جامع كان قد أغلق لمدة (٥٠٠) عام، ولقد نالت إسبانيا بهذا الاتفاق استحساناً بالغاً في العالم العربي والإسلامي"[2].

وللمنظمات الإسلامية في بلاد الغرب دور هام في تحقيق مطالب وحقوق المسلمين الدينية؛ حيث يوجد أكثر من "(٢٥٠٠) مؤسسة ومجموعة دينية في ألمانيا، منها جوامع حقيقية كتلك التي في آخن وبون وهامبورغ ومانهايم وميونيخ وبفورتسهايم، وهناك مراكز تعليمية إسلامية حاليًا في عدة أماكن منها أكاديمية الملك فهد في بون، والأكاديمية الإسلامية فيلا هاننبورغ في كولن، والمدرسة الابتدائية الإسلامية في ميونيخ، كما دخلت دروس الديانة الإسلامية شيئًا فشيئًا في ألمانيا من خلال منهاج يقوم بإعداده مربّون مسلمون، ويمكن الحصول على معلمين مسلمين مؤهلين أكاديميًا لغتهم ألمانية من مصادر مختلفة، منها الأكاديمية الإسلامية للتربية الدينية في فيينا"[3].

---

(١) د. منصور عبد السلام إسكودر رئيس إحدى المنظمات المركزية الإسلامية المعترف بها حكومياً، انظر: مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢٨٣.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١٥٣.

ومن تلك المنظمات "منظمتان إسلاميتان متعاونتان باستمرار وهما:

ب/ المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا- ومقره مدينة كولن.

ج/ المجلس الإسلامي في بون[1].

وكذلك تم تشكيل روابط مركزية إسلامية عليا سواء على المستوى الأوروبي مثل:

د/ مجلس التعاون الإسلامي في أوروبا ومقره مدينة ستراسبورغ[2].

أو على المستوى الوطني المحلي مثل:

هـ/ المجلس الإسلامي في بريطانيا[3].

و/ اللجنة الإسلامية في إسبانيا، حيثُ يُعترف رسمياً بالإسلام منذ عام ١٩٨٩م[4].

ومثل مراد هوفمان إحدى هذه المنظمات فيقول: "إنني أشارك هذا العام في المؤتمر العالمي للمجلس الأعلى الإسلامي في مصر كماهي الحال في عامي ١٩٩٣م و١٩٩٥م إلا أنني لم أعد أمثل نفسي فقط؛ بل إنني أمثل المجلس المركزي لمسلمي ألمانيا الذي تمَّ إنشاؤه عام ١٩٩٥م، والذي نأمل أن يكون منظمة للإسلام في بلدي، تعمل كمظلة حقيقية أصيلة له"[5].

وأثمرت هذه الجهود في الاعتراف بالدين الإسلامي ونتجت عنها: "حلقة صغيرة في (بيت الإسلام) في قرية (هيسين) جنوب فرانكفورت، ونناقش كيف يمكننا تحقيق اعتراف رسمي بالإسلام في ألمانيا، وإن هذا الاعتراف هو مطلب أساسي لا بد من الحصول عليه لتقديم تدريس الدين الإسلامي في المدارس ولجمع ضرائب الكنيسة من خلال الإدارة المالية للولاية، والمطلب الأساسي المطلوب توفره لتحقيق هذا المطلب والتقدم هو أن يوحد المسلمون أصواتهم ويتكلموا بصوت واحد،

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١٥١-١٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٥١-١٥٢، ومدينة ستراسبورغ في فرنسا.

(٣) المرجع السابق، ص١٥١-١٥٢.

(٤) المرجع السابق، ص١٥١-١٥٢.

(٥) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٢٦٠.

ونحن ندرك أن السلطات الألمانية ترغب التعامل مع شريك واحد فقط وهناك تكمن نقطة الاحتكاك"(١).

وتأتي أهمية هذه المنظمات في "الإصرار والعزم على إعلاء كلمة الله، وذلك دون مزايدات أو صراع، فهي تعقد مؤتمراً تلو الآخر وتقيم معسكرات للشباب وتنظم أسابيع إعلامية بشكل مكثف، إلى جانب تنظيم رحلة حج تلو الأخرى، وفي كل ذلك يجري العمل بإيمان عميق وتفان منقطع النظير ولا ينقصه الإخلاص ولا الأمانة والأخوة، ويطلق على هذا الأسلوب من أساليب العمل: العمل من القاعدة أي رعاية جذور الشجرة بصبر وتأنٍ بدلاً من الرغبة في جني ثمارها حتى من قبل أن تنمو، وإنني أشيد بنشاط الجماعة الإسلامية بميونخ، وليس من قبيل المصادقة أن تقام أولى دور الحضانة الإسلامية وأول مدرسة ابتدائية إسلامية في ألمانيا بميونخ، وتضم المدينة بالإضافة إلى ذلك أول مركز للخدمة العامة بصيغتها الإسلامية، كما تتخذ منها هيئة تحرير (مجلة الإسلام) مقراً لها، وهي إلى جانب ذلك تضم المركز الرئيس للكشافة الإسلامية والمركز الرئيس لمنظمة المعونة والإغاثة (المسلمون يتعاونون) كل هذه المؤسسات في ميونخ أو بالقرب منها"(٢).

ولا تقل أهمية اللقاءات الدينية الدورية عن المنظمات في "إيجاد حلول للمشكلات الملحة التي تواجه المسلمين في ألمانيا مثل: الدروس الدينية بالمدارس ومراجعة الكتب المدرسية وإعادة النظر فيها وإقامة مظلة تضم مسلمي ألمانيا كافة، ولقد كنت أشارك في المدة من (١٩٨٠م-١٩٨٧م) في اللقاءات الشتوية بمسجد بلال في مدينة آخن، ولقد عادت هذه اللقاءات عليّ بمكاسب طائلة خصوصاً تلك اللقاءات التي تعقد في عطلة نهاية الأسبوع ولا يعود ذلك إلى المحاضرات ومجموعات العمل ومعارض الكتب فقط؛ بل وأيضاً إلى لقائي بمسلمين جدد، وكذلك لمتعة الأحاديث المتجددة والشائقة والتي نتجاذب أطرافها حين تضمّنا مائدة طعام واحدة حيث كان كل منا يضيف للآخر شيئاً جديداً، وتمتاز هذه اللقاءات بالتنويع؛ لأن معظم المشاركين فيها مسلمون أجانب ينتهزون هذه الفرصة لارتداء أزيائهم الوطنية، وتستطيع أيضاً أن تتبين من هيئة بعض المسلمين الألمان ما إذا كان الذين عاونوهم في التعرف على الإسلام عرباً أو أتراكاً أو باكستانيين حيث يتأثرون بهم حتى في ملبسهم"(٣).

(١) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٣٠-١٣١.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٨٤-١٨٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٨٦.

لكن يطرأ ســؤال "هل تتم خدمة الإســلام والعمل على رفعة شــأنه في هذا البلد عن طريق تشجيعه وتنميته سالكين الطريق من القمة هبوطاً أو من السفح صعوداً؟

وتتمثل الإجابة "دائماً في تصــريح بأن الطريقتين لا تمثلان خيارين؛ بل هما عمليتان متزامنتان تكملان بعضهما، ونصل بذلك إلى نتيجة مفادها: لا بد من المحاولة في الاتجاهين، ويشير مفهوم من القمة هبوطاً في المقام الأول إلى المجهودات التي تبذل حتى ينال الإســلام اعترافا حكومياً حتى تتاح لممثليه إمكانات العمل على نشــره في الحياة العامة في ألمانيا، وبشــكل علني يتمتع بحماية الحكومة، تلك الإمكانات التي تتمتع بها كل من الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية وكنيسة الإصلاح وكذلك الجماعات اليهودية، ومن البديهي أن تنعكس آثار مثل هذا الاعتراف على مجالات عدة، هي على سبيل المثال وليس الحصر: المدرسة، الدخل المالي، ضريبة الكنائس، تنظيم الأعياد، التعامل مع وسائل الإعلام، وغيرها من المجالات.

وعقد مراد هوفمان مؤتمراً حول شــروط وفروض تحقيق هذا الاعتراف، وقد عقد هذا المؤتمر في (بيت الإســلام) في يومي ٧-٨ من مارس عام ١٩٨٧م، يقول هوفمان "وقد ارتكز هذا المؤتمر على مذكرة كنت قد نشرتها من قبل موضوعها تأسيس جماعة إسلامية ولقد أوضحت للمشاركين أن المادة الرابعة من الدستور تشكل نقطة الانطلاق والبداية التي يستند إليها اعتراف قانوني وشامل بالإسلام في ألمانيا الاتحادية، وذلك لأنه بناءً على هذه المادة فإن الدســتور يكفل لكل جماعة دينية مبدأ (ممارسة الدين بدون إزعاج) أما تفسير هذا فنجده في المادة الخاصة بالدين الواردة في دستور فايمار والذي انتقل عبر المادة (١٤٠) إلى الدستور الحالي"(١).

وهناك مفارقة واضحة؛ حيث يختلف وضع المسلمين في ألمانيا عنه في أمريكا، "فإنك أن ترى المسلمين يعملون في واشنطن ذاتها: مجلس المسلمين الأمريكيين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في هيرندون بولاية فيرجينيا، ومدرسة الدراسات العليا للعلوم الإسلامية والدراسات الاجتماعية التابعة له في ليزبيرغ بولاية فيرجينيا، ومعهد العلوم الإســلامية والعربية في فيرفاكس بولاية فيرجينيا، فهذا أمرٌ إلا أنك إن تَرَ الإسلام الأمريكي في المحافظات والمدن، فهذا دون شك أمر آخر مختلفٌ تماماً عن الأول، وقد شاهدت الحياة الإسلامية في سانتا كلارا في آناهايم ولوس أنجلوس بكاليفورنيا وفينيكي أريزونا وديترويت ميتشيغن وشيكاغو وملواكي ولانسينغ وباتيرسون ونيوجيرسي فقد زادني هذه المرة تفاؤلاً

(١) المرجع السابق، ص١٩٢-١٩٣.

على ما كنت عليه من قبل"[١]، و"إذا أراد المسلمون في ألمانيا أن ينالوا الاعتراف بهم فإن عليهم إقناع الناس بأن يأخذوهم مأخذ الجد، وإذا رغب المسلمون في تحقيق هذا وجب عليهم في المقام الأول أن يحذروا من أدنى شبهات الدجل والاحتيال والنفاق في عملهم"[٢].

و"من الضروري أن نشير إلى أن مسلمي أمريكا يواجهون الكثير من الصعاب، فهم لا يجدون أنهاراً من اللبن والعسل في أمريكا؛ بل يواجهون موقفاً صعباً شرساً نظراً لوجود آلة الإعلام الصهيونية والنفوذ الصهيوني المتغلغل في كافة المجالات والمنظمات، وهناك الكثيرون بينهم يعتقدون أنهم يفيدون إسرائيل عندما يشوهون صورة الإسلام، وبالنسبة لهذه النقطة على وجه التحديد فإن وضع المسلمين في أوروبا أفضل بكثير من مسلمي أمريكا"[٣].

وتكمن هذه الفروقات الجوهرية بين الإسلام في أوروبا وأمريكا في "ست نقاط وهي كما يلي:

١/ بما أن هناك عدداً كبيراً من أبناء الجالية الإسلامية غير المهاجرين -المحليين من سكان البلاد الأصليين- في الولايات المتحدة الأمريكية فلا يستطيع أحد أن يقول للمسلمين الأفرو-أمريكيين -الزنوج/الأمريكيين السود- مثلاً لماذا لا تعودون إلى المكان الذي أتيتم منه؟ كما هو حال المسلمين الأجانب في أوروبا حيث يقال لهم هذا غالباً.

٢/ ليست هناك فئة عرقية مسيطرة، علماً بأن هناك الكثيرين من المسلمين المهاجرين في الولايات المتحدة الأمريكية (ما عدا ما نراه في ديربورن حيث هناك كثافة عالية من المسلمين اللبنانيين من الشيعة) وأما في أوروبا فعلى خلاف ذلك فإن غالبية المسلمين في فرنسا مثلاً هم من شمال إفريقية، وأما في المملكة المتحدة فهم من شبه القارة الهندية، وأما في ألمانيا فهم من الأتراك، وبالتالي فإن المشهد الأمريكي هو أقل تأثراً بالتمييز العرقي أو الخوف من الانغماس الحضاري.

٣/ إن كثيراً من المسلمين الأمريكيين وأولادهم متعلمون ويحصلون على مستويات دخل جيدة، وهم مواطنون محترمون، بينما نلاحظ في أوروبا أن غالبية المسلمين المهاجرين يدخلون البلاد على أنهم عمال وهم عمال غير مؤهلين وليسوا ذوي كفاءات مهنية عالية.

٤/ لقد كانت أمريكا دائماً متعددة الأديان وأما أوروبا فليست كذلك.

---

(١) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٢٦٢.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٨٣.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣١٤.

٥/ يعاني الأوروبيون من الذكريات الجماعية التي تعود جذورها إلى الحروب الصليبية والحملات العثمانية على أوروبا الوسطى، وكذلك فإن أوروبا تقع على حدود الدول الإسلامية: فإلى جنوبها تقع شمال إفريقيا وإلى شرقها تركيا وآسيا الوسطى، وإن هذا يسبب قلقاً ومخاوف متبادلةً من قبل الطرفين لا يعاني منه الفرد الأمريكي العادي.

٦/ إن معظم المسلمين الأمريكيين هم مواطنون أمريكيون وهذا خلاف ما عليه الحال في أوروبا ولا يمكن أن يحصل المسلم على التأكيد اللازم دون الحصول على جنسية اللهم إلا بصعوبة بالغة، ولا بد لي أن أضيف هنا نقطة أخرى: إن المسلمين الأمريكيين هم أمريكيون، وهذا يعني بالتالي أنهم حركيون ونشطون ومبتكرون مبدعون وملمون بالتقنية وجريئون مقدامون ومنظمون بشكل جيد، كما هي حال الأمريكيين بشكل عام"[١].

(١) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٢٦٣-٢٦٤.

رابعاً: انتشار الإسلام في الغرب

يؤكد كثير من المستشرقين الذين اعتنقوا الإسلام ومنهم مراد هوفمان أن الإقبال على الإسلام "قد وجد لنفسه موضعًا رصينًا وعميقًا في أمريكا وغربي أوروبا، خاصة بعد سبعينيات القرن، وهذا الوجود الذي ترسخ بمرور الوقت يُعَدُّ نقله وقفزة نوعية في العلاقات الثنائية، أي علاقات الإسلام بالغرب، فلقد أصبح الإسلام حتى في ألمانيا -سواء باعتراف حكومي أو لا- ظاهرة دائمة متمثلة كذلك في ٢٥٧٨ مسجدًا"[(١)].

والإحصائيات الدالة على انتشار الإسلام حول العالم ناطقة بذلك؛ حيث بلغ عدد من "يعتنق الدين الإسلامي الآن (٢،١) مليار إنسان وعددهم في ازدياد، ولا يعيش هؤلاء في العالم الإسلامي فقط، أي في خمس وخمسين دولة عضوٍ في منظمة المؤتمر الإسلامي؛ بل أيضاً في الغرب وفي كل مكان، ففي ألمانيا يعيش قرابة ثلاثة ملايين مسلم، منهم (٢،١) مليون تركي، إضافة إلى العديد من المصريين والألبان والجزائريين والبوسنيين والمغاربة والفلسطينيين والسوريين والتونسيين، وهناك أيضاً حوالي ٨٠ ألف ألماني يعتنقون الإسلام، والأهم من ذلك هو الحضور الإسلامي في فرنسا، فمن أصل مواطنيها المسلمين الذين يصل عددهم إلى ستة ملايين، هناك ثلاثة ملايين تعود أصولهم إلى دول المغرب العربي، ومليونان من إفريقية السوداء، و (٤٠٠) ألف من تركيا، بالإضافة إلى حوالي (١٠٠) ألف مواطن فرنسي اعتنقوا الإسلام؛ أما مسلمو بريطانيا العظمى الذين يبلغ عددهم مليوني نسمة، فمعظمهم من المسلمين الهنود الباكستانيين، وإذا ما اعتمدنا على التقديرات فسوف يصل عدد المسلمين في أوروبا الوسطى والغربية عام ٢٠٢٠م إلى ما لا يقل عن (٤٠) مليون مسلم، ويشكل المسلمون حالياً أكبر أقلية دينية عرفتها أوروبا حتى الآن وبشكل خاص يتطور الإسلام تطوراً ديناميكياً في أميركا الشمالية؛ حيث تضاعف عدد الجوامع فيها منذ عام ١٩٩٠م ليصل إلى (١٢٥٠) جامعاً"[(٢)].

ومن المبشرات أن "كل واحد من أصل خمسة أطباء في الولايات المتحدة مسلم، ومن أصل حوالي ثمانية ملايين مسلم أميركي يشكل الأميركيون من أصل إفريقي (٥،٣٧٪) منهم، ثم (٢٥٪)

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٧-١٨، والإحصائيات التي ذكرها المؤلف وقت تأليفه للكتاب وهو عام ٢٠٠٣م، ويبلغ عدد المسلمين في عام ٢٠٢٠م أكثر من مليار و ٩٠٠ مليون حسب دراسات مركز بيو الأمريكي، انظر: جريدة المحيط الإلكترونية، وتم استرجاعه بتاريخ ١٤٤٢/٤/٣٠هـ.

من أصـل عربي ومثلهم من أصـل هندي باكسـتاني، وبلغ عدد المسـلمين الأميركيين عام ١٩٩٩م (٩،٤) ملايين كانوا يشـكلون (٢٪) من مجموع سـكان الولايات المتحدة، وتشـير التوقعات إلى أن عددهم سيزداد بحلول عام ٢٠١٠م إلى عشرة ملايين، وهذا يعني أكثر من (٣٪) من المجموع المتوقع لعدد السكان، ويفخر المسلمون الأميركيون أن واحداً منهم ولأول مرة، قد حصل عام ١٩٩٨م على جائزة نوبل للطب وهو الدكتور فريد مراد"[١].

ومما يدل على انتشار الإسلام ارتفاع نسبة تعداد المسلمين اليوم، "وأنه ليست هناك أية دولة على هذا الكوكب تخلو من مسـلمين نشـطين من كوريا إلى كولومبيا ومن أيسـلندا إلى نيوزيلندا، لقد كان تعداد المسلمين لا يتجاوز سبع البشر قبل (١٠٠) عام؛ أما اليوم فأصبحوا خمس سكان العالم، وهناك الآن مساجد في مدن عديدة منها: لندن وباريس وروما وفيينا ولشبونة وزغرب ونيويورك ولوس أنجلوس والأهم من ذلك كله: وبفضل العمال المهاجرين والطلاب في الجامعات الغربية، أصبح تعداد المسـلمين في أوروبا والولايات المتحدة بالملايين، ويتحول الإسـلام في كل مكان اليوم إلى ثاني أكبر ديانة، وتكاد لا تخلو أي صحيفة أو برنامج تلفزيوني اليوم من مواد عن الشؤون الإسلامية، وأصبحت الآن والآن فقط ثروة من الأدب الإسـلامي الكلاسـيكي متوفرة بكافة اللغات الأوروبية الرئيسـة، وأصبح القرآن الكريم أكثر كتاب تمت ترجمته وأكثر كتاب تتم قراءته على وجه الأرض"[٢].

وخير برهان على انتشـار الإسـلام إقرار حكومة النمسـا بالدين الإسـلامي؛ حيث "تعترف النمسا بالإسلام رسميًا كمجتمع إسلامي، وهذه نتيجة متأخرة لحقيقة أن النمسا -هنغاريا من خلال احتلالها عام ١٨٧٨م، وضم البوسنة عام ١٩٠٨م أصبحت مسلمة جزئيًا، والشريك في الحوار هو الجمعية الدينية الإسلامية في النمسا، ويجد هذا الاعتراف التعبير عنه في فيينا في الجامع الضخم الواقع في الدائرة (٢١) من العاصمة النمساوية وفي الأكاديمية الإسلامية للتربية الدينية في الدائرة الثامنة، وفي المدرسة الثانوية الإسلامية في الدائرة الخامسة عشر"[٣].

من خلال ما سبق تجد أن مراد هوفمان قد أبلى بلاءً حسناً في الدفاع عن حقوق المسلمين في الغرب، وقام بجهود مشـكورة ودفاع مسـتميت كشـف الغطاء عن هوية السـياسـة الغربية والكيل بمكيالين في أي مسألة يكون المسلم طرفاً فيها، وأجاد في تشخيص الواقع والمعاناة التي يعيشها إخوانه

(١) المرجع السابق، ص١٩.

(٢) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٩٨-٩٩.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١٥٣.

المسلمون في الغرب، وتحدث بكل حيادية وموضوعية، وطالب بالحقوق الدينية والاجتماعية للأقليات المسلمة في الغرب وبكل جرأة وشجاعة، والاعتراف بهم كجماعة دينية لها كافة الحقوق العامة، والسماح لهم بممارسة حرياتهم الدينية والشعائر الإسلامية من بناء للمساجد ورفع المآذن وذبح الأضاحي على الطريقة الإسلامية، وتحدث عن واجب الأقليات المسلمة في الغرب في تقديم المبادرات النوعية والمشاريع الإسلامية؛ لأن المستقبل المنشود للإسلام مرتبط في أنحاء العالم بذلك.

المطلب الثاني: جهودهم في تحسين صورة الإسلام في بلدانهم.

في هذا المطلب سيتم التركيز على جهود من أسلم من المستشرقين في تحسين صورة الإسلام في بلدانهم، ومن أهم تلك الجهود كتاباتهم ومؤلفاتهم حول الإسلام والمسلمين، وفيما يلي نستشهد بأهم ما جاء في مؤلفاتهم عن الإسلام وتحسين صورته لبني جلدتهم وكذلك أقوالهم في رد الشبهات الواردة حول الإسلام:

أولاً: ذكر محاسن الإسلام وجمالياته.

لدى بعض المستشرقين الذين حسن إسلامهم جهود طيبة وكتابات جميلة في ذكر محاسن الإسلام وجمالياته يحسن إبرازها؛ لأن معيار التفاضل في الإسلام يختلف عن معايير التفاضل في غيره من الديانات والثقافات، فيذكر أحدهم: "قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((علو الهمة من الإيمان))[(١)] وذلك أنه لما كانت الشريعة الغراء قد ساوت بين الناس، ولما كان لا بد للناس من مراتب ودرجات، لم تجعل لأحد منهم فضلاً على أحد إلا بعلو الهمة[(٢)] في مكارم الأخلاق وبالنبل وبالذكاء وفي هذا فليتنافس المتنافسون[(٣)]، ولا ريب أن الإسلام صالح لجميع الأجناس، "فكما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات"[(٤)]، ويذكر من محاسن الإسلام فيقول: "وهناك شيء مهم، وهو انتفاء الواسطة بين العبد وربه، وهذا هو الذي وجدته العقول العملية في الإسلام، لخلوه من الأسرار وعبادة القديسين، ولا حاجة به إلى الهياكل والمعابد؛ لأن الأرض كلها مسجد لله"[(٥)].

والدين الإسلامي هو الدين الصحيح، ولا يعترف بالخرافات والجهل؛ حيث يقول لورد هدلي "أجد أناساً أتحدث إليهم عن الدين الإسلامي يقولون لي بأنه كل ما تقوله عن الدين الصحيح هو نفس رأيي عن الدين، ويرغبون في الاستماع ومعرفة الدين الصحيح، ويقولون: إذا كان الإسلام كما تقول أنت فأنا مسلم"[(٦)]، ويعترف لورد هدلي بحاجة الغرب إلى الإسلام بقوله: "إن الغرب بحاجة إلى

(١) هذا ليس بحديث.

(٢) بالتقوى وبعلو الهمة.

(٣) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٢٦.

(٤) المرجع السابق، ص٣٧.

(٥) المرجع السابق، ص٣٦٢.

(٦) لورد هدلي، الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام، ص ٨-٩.

دين كدين الإسلام"[١]، ويذكر تحسن الفهم الغربي للإسلام: "هناك ظواهر تشير إلى أن الخرافات والجهل ليس لها مكان في العالم، كان الإنسان في القديم يسعى لمعرفة ما حوله، فعرف النهر والبحر، وكانت المصائب والمتاعب جعلتهم يستنجدون بأي شيء، حتى كانوا يلقون بأولادهم وأحبابهم في البحر والنهر؛ لاسترضاء رب البحر أو النهر أو لوقف السيول، أو لإرسال المطر"[٢] وأن "هناك عودة البريطانيين والغربيين إلى الفهم الصحيح للإسلام"[٣].

وهذه تجربة رائدة لمستشرق عاش بين قومه، ويعدد محاسن الإسلام والمسلمين ويخاطب بني قومه: "بأن معظمنا راضٍ بالدين الذي وجد عليه آباءه وأننا من حيث حب الذات والأنانية محقون في ذلك طبعًا، لأنه يوفر علينا كثيرًا من التعب فنسير متبعين الطريق التي كان يسير فيها أسلافنا رافضين أن نبحث أو أن نلقي ولو نظرة واحدة على أي دين آخر ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [سورة النساء: ٦١]. وقد عشت أيضًا في الشرق وأنه ليسرني أن أعترف بأن ليس هناك بغض بين المسلمين؛ بل هناك المحبة بأوسع معانيها وهي منتشرة بينهم أكثر مما هي منتشرة بين المسيحيين في الجزر البريطانية فالمسلمون مثلاً متسامحون جدًا ومطبوعون على إيتاء الخير إزاء جميع المسيحيين بخلاف ما عليه فروع الكنيسة بإزاء بعضها، إنني لا أعتذر من أجل وضعي للفصول القليلة التي ستظهر بين غلاف هذا الكتاب وليس لدي أقل خوف من الاتهام بالإلحاد والجحود اللذين سأرمى بهما لابتعادي عن المسيحية واهتدائي بهدي الإسلام"[٤].

ولا ريب أن الإسلام أثمن علاج للغرب في العصر الحاضر؛ حيث "يقدم الإسلام سواء في الغرب الغنى في الماديات والفقير في الأخلاقيات، أو في بلاد العالم الثالث الفقيرة في الماديات أشفى وأكثر الحلول جذرية ووضوحاً للتحدي المعاصر، يقدم للأفراد والجماعات التي تقبله وتعمل به أثمن علاج وأكثره فعالية لمرض العصر"[٥].

ومن محاسن الإسلام أنه دين اتزان ووسط، "ويبين الإسلام للمرء كيف ينجو من إبليس ليقوم بعمله في الأرض، فيُسلم لله، ويستمتع بتكريم الله ومباركته له ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الإسراء: ٧٠]. ولا

(١) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص١٧-٢٩.

(٢) لورد هدلي، الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام، ص ٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢، ١٩.

(٤) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٩-١١.

(٥) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٢٧.

ينكر الإسلام على المرء التمتع الكامل بما حلله الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [سورة البقرة: ١٧٢]. ويعترف الإسلام بنصيب الدنيا فهو دين اتزان، دين وسط وإن كانت الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [سورة القصص: ٧٧]. ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤﴾ [سورة الضحى: ٤]"(١).

ومن أهم محاسن الإسلام بقاؤه حياً قروناً طويلة، وأن "واحدة أخرى من معجزات الإسلام فتوحاته الواسعة خلال قرنين عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، سرعة الفتوحات وامتدادها الشاسع وعلى الأخص النتائج المتحققة من الفتوحات، أذهلت العالم وحيرت المؤرخين الذين كثيرًا ما أكدوا غموض الظاهرة واستعصائها على الفهم، ويقدم التاريخ أمثلة لفتوحات مفاجئة كبيرة؛ ولكن تفككت تلك الإمبراطوريات بنفس السرعة التي تكونت بها، ونادرًا ما جاوزت عمر مؤسسها، فقط شمخت إمبراطورية الإسلام قروناً طويلة بقي الإسلام في الغالبية العظمى من الدول المفتوحة حتى اليوم ويستثنى من ذلك إسبانيا وصقلية استعادتها المسيحية في أواخر العصور الوسطى تعرضت كل تلك البلاد الإسلامية إلى تغيرات سياسية، ولكن بقى الإسلام بها وتأسست إمبراطورية الإسلام في القلوب وتعمقت ورسخت جذورها"(٢).

كما يعدد مراد هوفمان مظاهر الجمال في الإسلام فيقول: "فإن الإسلام دينٌ قادرٌ على ترجمة مظاهر محددة من الإيمان إلى مبادئ في علم الجمال، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن هندسة العمارة الإسلامية، وتحسين المناظر الطبيعية، والديكور الداخلي، بغضِّ النظر عن تنوعاته الكثيرة، تثير جميعها مشاعر إسلامية مكانية تتفاوت ما بين الأخاذة إلى المتكلِّفة وإلى الحميمة، ويمكننا على سبيل المثال تذوُّق هذا في مباني الحمراء، وساحات وأفنية أبنية غرناطة، أو في المساجد التي تشتمل على هذه المزايا على غرار تلك الموجودة في قرطبة والقيروان والقاهرة وإسطنبول، وفي الأخيرة بشكل خاص في السليمانية، ومسجد السلطان أحمد وروتم باشا، ومسجد سكولو محمد باشا، وينطبق الشيء ذاته على الحمراء ومنطقة الحرم المكي، وإن هناك عدة عناصر مسؤولة بشكل أساسي عن النوعية الإسلامية المتميزة لهذه التجربة الفنية، وهي كما يلي:

(١) المرجع السابق، ص٢٤-٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص٧٤.

١/ مثالية التواضع في المظهر الخارجي، وهذا ما يحكم الأمكنة الإسلامية تماماً بمثل الطريقة التي ترتدي المرأة المسلمة الجميلة حجابها عندما تخرج من بيتها.

٢/ الديمقراطية [والمساواة] والبنية اللاهرمية في الإسلام والتي تحكم أيضاً تخطيط المصليات والمساجد.

٣/ درجة التجريد العالية، والتي تنضبط بالمفهوم الإسلامي عن الله سبحانه وتعالى، وأنه يَتَمَيَّزُ عن الشبيه والمثيل والندِّ والنظير سبحانه وتعالى.

٤/ الأبعاد البشرية للتناسب الهندسي للعمارة، والذي يعكس الاهتمام الإسلامي بالتوازن والاعتدال، والأسلوب المعتدل في كافة المواضيع والأمور.

٥/ تهوية الغرف بشكل يخالف التهوية السحرية المستخدمة في عبادات الطقوس، والتي تثبت غياب كلِّ من الطقوس الدينية، والسرِّ المقدس، والغموض والألغاز في الإسلام.

٦/ شكلُ الحدائق يتبعُ ما ورد في القرآن الكريم من وصفٍ للجنة، فإذا وجد الإنسان نفسه في مثل تلك الأمكنة تحرَّك في داخله شعور بالابتهاج والسرور والاطمئنان (بكل ما في الكلمة من معنى) فالذي لا يستطيع أن يصلي في المسجد، لن يتعلم كيف يصلي في الكاتدرائية"[١].

"ومن الأهمية بمكان أن يتضح للقارئ أن الإسلام دين الوسط، وأن الله جعل المسلمين ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]. كما نصت الآية في سورة البقرة، فالإسلام يرفض التطرف والغلاة، وطغيان العاطفة أو الوجدان الظالم، والحسد الكاره للحق، والقنوط واليأس سخطا على الماضي، والعنف والتمرد، بصفة كل ذلك مبادئ أو قيما عليا، وعلى المسلم أن يتحلى بقيم خلقية أوضحها له القرآن مثلا ما بينته الآيات الكريمة في سورة طه، ونشير فقط إلى الآية الحادية والثلاثين بعد المائة ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [سورة طه: ١٣١][٢].

ومن أبرز محاسن الإسلام: "أنه دين الوسطية، يتميز بالحساسية لكل أنواع الغلو، لم يربط الجنس بالنار مطلقًا ولم يتورط في تحليل الإسراف فيه؛ بل على اليقين، فإن دافع الجنس قد نظر إليه المسلمون

---

(١) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص٢٨-٣٠.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٣٣.

على أنه نعمة من الله طبيعية، وأنه ليس مصدر للتكاثر فحسب؛ بل أيضًا للمتعة والحب المشترك بالتبعية، لم يعرف العالم الإسلامي أيًّا من الرهبنة بأسلوبها في التدين الخالي من الجنس: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الحديد: ٢٧]"[(١)].

ومن محاسن الإسلام الجميلة: "أنه يخلو من الأسرار والغموض، فالإسلام لا يعرف الذنب الموروث، ولا التجسيد، ولا الثالوث، ولا موت المخلص، ولا رحلة يسوع السماوية ورحلة مريم السماوية، ولا وجود الله متمثلاً في النبيذ والخبز، ولا التخلص من الذنوب عن طريق التعميد، ولكنه يعرف معجزة الوحي القرآني فقط"[(٢)].

ومن محاسن الإسلام أن المسلم لا يحتاج إلى واسطة في عبادته، "فالنصوص الإسلامية الأساسية متاحة للكل، لا يستطيع أحد أن يدعي أنه يحتكر تفسيرها، كما أن خادم الحرمين الشريفين بالرياض لا يعتلي عرش البابوية، ولا توجد محكمة كنسية كالتي في روما، وليس هناك نسق كنسي وليس هناك فتوى ملزمة للمسلم والزواج ليس رباطاً مقدساً لا يفصم، ويستطيع كل مسلم أن يؤدي أي عبادة دون وجود وسيط"[(٣)].

ومن محاسنه أن الدين الإسلامي "دين خالٍ من الطقوس: يشعر الشباب بالتحرر ويريدون المحافظة على تلك الحرية، فهم يكرهون الهرميات وقرابين الكهنة والعقائد الغامضة وكل ما يذكرهم بالمؤسسات الكنسية، ويسر هؤلاء الشباب عندما يفاجؤون بأن الإسلام لا يعرف كنائس ولا بابوية ولا قرابين ولا قداديس ولا عقائد محيرة كتجسد الله في المسيح عليه السلام، أو الثالوث المقدس أو الخلاص على الصليب أو الخطيئة الموروثة، ويستبشرون عندما يعلمون أن المسلمين هم أكثر المؤمنين عتقاً وتحرراً؛ لأنهم لا يصدقون بوساطة كاهن أو شفاعة قديس عندما يقفون بين يدي الله خاشعين في صلاتهم، ولا بد أن يعجب هؤلاء عندما يعلمون أن كل مسلم مهما كانت منزلته الاجتماعية مؤهل ليؤم الناس في الصلاة"[(٤)].

(١) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص١٠٩.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢٦٠-٢٦١.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨٩.

(٤) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص١٠٩-١١٠.

وكذا من محاسنه عدم التفرقة ونبذ العنصرية؛ حيث "فهم العالم الإسلامي على مر العصور الأمر الإلهي بِشأن عدم التفرقة بين الناس إلا في التقوى؛ بل إن الله وحده هو الذي يحكم، لا البشر ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٣] [١]، وإن السنة قوم يفهمون الإسلام على أنه دين يسوي تسوية كاملة عادلة بين المسلمين كافة، سواء كانوا أندونيسيين أو صينيين أو نرويجيين أو عرباً ولو كانوا قرشيين خاصة، أو كانوا منتمين إلى قوميات أخرى، ويفهمون الإسلام بصفته ديناً يفزع إليه كل إنسان دون استثناء"[٢].

عالمية الإسلام

لا ريب أن المسلمين كانوا يحتلون المكانة العظمى بين قوى العالم فترة طويلة من التاريخ قبل أن يدركهم الضعف والهوان "فمنذ ظهور الإسلام احتل المسلمون مكانة القوى العظمى أكثر من أي قوى أخرى فالاتحاد السوفيتي لم يزد عن خمسين عاماً، وقبله إنجلترا وفرنسا وأوروبا بصفة عامة أقل من قرنين، ويتوقع الكثيرون ألا تكمل الولايات المتحدة قرنها الثاني؛ أما المسلمون فقد أصبحوا قوة عظمى من أيام عمر وحتى أواسط الدولة العباسية ثم كانوا قوة عظمى أكثر من خمسة قرون خلال الفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين- الذين دقوا أبواب فيينا وروما- والدولة الإسلامية بالأندلس، ولم يجبر المسلمون أحدًا على اعتناق الإسلام وكانت الفتوحات للقضاء على أي قوة تمنع تبليغ الرسالة أو ممارستها، وأثبت التاريخ الإسلامي تسامحًا مع كل الأديان، وقد انتشر الإسلام في بلاد كثيرة في أفريقيا وآسيا من خلال قوافل التجارة والطرق الصوفية، بينما يزخر تاريخ أوروبا بمذابح البروتستانت للكاثوليك والكاثوليك للبروتستانت والاثنين لليهود وإسبانيا للمسلمين واليهود، حتى أن اليهود بعد خروج المسلمين من إسبانيا ذهبوا لتركيا مقر الخلافة الإسلامية، واليوم والمسلمون كغثاء السيل يدخل في الإسلام عقول نابغة في أوروبا وأمريكا، ويلقى المسلمون في فلسطين والبوسنة والهرسك والهند وكشمير والفلبين وغيرها أقسى أنواع الاضطهاد والإرهاب والإجرام والقتل، فيزداد تمسكهم بدينهم"[٣].

ويعد الإسلام اليوم من أهم القوى المقاومة للحضارة العلمانية المادية التي لا تقيم وزناً للأخلاق ونزاهة الضمير، و"إذا ظهر ازدياد معتنقي الإسلام اليوم فإنه يبقى في تعارض مع الاتجاهات الهدامة

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٢.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٩٨.

في الحضـــارة العلمانية الحديثة وقد يكون أهم القوى التي تقاومها، وجاء في الحديث النبوي ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء[١]))[٢].

ولقد "أصبح الإسلام ديناً عالمياً لأول مرة، كما كان يراد له، فقد كان المرء قبل خمسين سنة يجد بلداناً ليس فيها مسلم واحد، مثل أيسلندا، فلم يعد ذلك ممكناً اليوم فالإسلام في أمريكا وأوروبا يعد الدين الثاني والأســـرع في الانتشـــار، إن لم يكن هو الدين الوحيد الذي ينمو ويتعاظم، وكان الإسلام يعد قبل مئة سنة في طريقه إلى الزوال وسيختفي في غضون جيل، ومع ذلك أصبح عدد المسلمين منذ الوقت (١,٣) بليون"[٣].

ولا ريب أن "الإسلام دين عالمي يسعى دائماً لكسب مسلمين جدد، ونحن بخلاف المسيحيين لا نحس بالحاجة لمبشرين محترفين، فكل مسلم مبشر وواجبه المقدس أن ينشر الإسلام بكل ما في وسعه، ولعله من المدهش لغير المسلمين أن يعلموا أن بقاعاً شاسعة من العالم –وعلى الأخص جنوب شرقي آسيا وأفريقيا– اعتنقت الإسلام بنشاط التجار المسلمين العاديين العرب والهنود، فلم تستعمل القوة ولا العنف على الإطلاق ولم تخضع لهم أي من هذه البلدان سياسياً، وكان هذا الانتشار ممكناً؛ لأن التجار المسلمين يضعون الإسلام نصب أعينهم أولاً ثم أعمالهم بعد ذلك، وكاليهودي المتدين فإن المسلم يعتقد أنه يتقرب إلى الله باتباع شرائعه، فهو لذلك لا يضع حداً فاصلاً بين الشعائر الدينية والسلوك الشخصي، فهي متداخلة لا تقبل الانفصال"[٤].

وخير برهان على عالمية الإســـلام "بأنه الدين الوحيد من بين أديان العالم الذي أوجد أخوة عالمية تقوم على وحدة النظرة إلى الحياة ووحدة الشعائر والسلوك والمثل، وهو مثلما يوحد بين البشر يوحد بين مختلف نشاطات الحياة ولا يقبع في المساجد، فالمسلم ليس مسلمًا في المسجد وحده وقوميًا أو اشتراكيًا في السياسة، كذلك فإن الإسلام دين مفتوح للجميع بدون تمييز يقوم على القومية أو المستوى الثقافي والفكري أو الوضع الاجتماعي أو السن أو الجنس، والمسلم يعتبر أن غير المسلم يمكن أن يصبح مسلمًا؛ لأن الهداية من عند الله وهو مأمور بالعدل والإحسان معهم ليكون قدوة في

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وإنه يأرز بين المسجدين، (١٣٠/١) ح (١٤٥).

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص ٩٢.

(٣) العدد في ازدياد ولله الحمد وما ذكره المؤلف إحصائية وقت تأليف الكتاب، ويبلغ عدد المسلمين في عام ٢٠٢٠م أكثر من مليار و٩٠٠ مليون حسب دراسات مركز بيو الأمريكي، انظر: جريدة المحيط الإلكترونية، وتم استرجاعه بتاريخ ١٤٤٢/٤/٣٠هـ.

(٤) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٤١.

سـلوكه، والمسـلم وهو يؤمن بأن دينه هو الحق وأن غيره هو الباطل ليس متعصـبًا أو مغرورًا ولا يجبر أحدًا من غير المسلمين في ظل حكم الإسلام على اعتناق هذا الدين"[١].

"ويستحوذ عالم الإسلام في السنوات الأخيرة للقرن العشرين على اهتمام الغرب وحيرته، وبرغم طفرات الحضـارة الحديثة، احتفظ الإسـلام بالقيم التقليدية التي هجرها الغرب، وبقي عالم الإسـلام –في نواح كثيرة– عالم الإيمان والصلاة، حتى في أوروبا التي وصل عدد المسلمين فيها حول خمسة عشر مليون"[٢].

وتفتخر مريم جميلة باعتناقها الإسـلام منادياً بني قومها: "ولعلكم تستغربون من أكون أنا؟ إنني امرأة أمريكية شابة أبلغ ستاً وعشرين سنة من العمر، وقد أعجبت بالإسلام إعجاباً جعلني أعتقد فيه أنه المنقذ الوحيد للعالم"[٣].

ولأجل عالمية الدين الإسـلامي يدعو مراد هوفمان بني قومه إلى التمسـك بالإسـلام؛ "لأن الإسـلام يهدف إلى أن يعيد المسـيحية لتقف على قدميها، بدلاً من الوقوف على رأسـها، وأن الإسـلام يمكن أن يكون ذا نفع هائل لإعادة الصحة إلى الحضـارة الغربية، ولكن هذا ليس مقصـدي هنا، ولكن ألا تسـتدعي مجرد أصـول المعاملة المهذبة واللياقة، وعدم تجاهل رسـول يؤمن به ما يزيد على مليار إنسان ويحترمونه؟"[٤].

انتشار الإسلام

من محاسـن الإسـلام وجماله انتشـار الإسـلام سـلماً في عدد من دول العالم، "فوضـع الإسـلام قدمه في الصـين وبورما والهند الصينية، كذلك تغلغل سلميًا في سـيريلانكا وأصبح معتنقوه الآن أقلية هامة ونشـيطة، وإذا بدت الأمور ثابتة على نحو ما في آسـيا في القرن الماضـي فلم تكن كذلك في أفريقيا حيث حقق الإسلام انتشارًا مثيرًا للإعجاب في اتجاه الجنوب، وأحبط مجهودات بعثات التبشير المسـيحية، بالرغم من تفوقها الهائل في الإمكانيات المادية المسـخرة لها وشـهدت بذلك المصـادر المسـيحية، ويجب الإشـارة –في النهاية– أن الإسـلام ليس غائبًا تمامًا عن الأمريكيتين، ويعيش في سـورينام –غيانا الهولندية سـابقًا– مسـلمون من أصـل إندونيسـي أو هندي أو أفريقي يمثلون ربع

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٥٢.

(٢) طبعا هذه الإحصائية حين تأليف المؤلف الكتاب.

(٣) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص٧٢.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢١١.

السكان، كذلك في البرازيل والأرجنتين مسلمون من سوريا ولبنان، بينما ظهرت في أمريكا موجة دخول في الإسلام بين السود"[1].

وخير شاهد على انتشاره ما يحدث في دول الاتحاد السوفيتي السابق؛ حيث إن "من الصعب تقدير عدد المسلمين في الاتحاد السوفيتي السابق، وعلى أي حال فرقم الثلاثين مليون الذي يُعطى في العادة يمثل التقدير الأدنى وفي الغالب فإن الرقم الحالي أكبر بكثير، لم يتوان النظام السوفيتي السابق في اضطهاده العنيف للمسلمين ودفعهم للتخلي عن شعائرهم، واستمر الغليل -الذي لا يشفى- والذي تفصح عنه الدعاية الرسمية للدولة، يشهد على استمرار ذلك حتى وقت قريب، ولا يهتم العالم الإسلامي-إلا قليلاً- بمسلمي آسيا الوسطى، الذي يستحقون بكل تأكيد عطفًا وتضامنًا أكثر من ذلك كبقية المسلمين في أي مكان آخر بالعالم"[2].

ومما يدل على تقدم الإسلام وانتشاره مقابل خفوت المسيحية ما يحدث في غرب الأورال التي "ما زالت الغالبية العظمى من المسلمين على إيمانها ما زال الله عندهم حق؛ بل الحقيقة ويصلي كثيرون بانتظام، وعلى وجه العموم لا يمكن إنكار تقدم الإسلام في الوقت الذي تتراجع فيه الديانات العظمى الأخرى، وانتشار الإسلام في مقابل خفوت المسيحية هو أحد الحقائق العظمى في التاريخ الحديث[3]، "وأن الإسلام هو الطريق الطبيعي للمفكر الأوروبي"[4].

ومما يجدر ذكره هنا وله دلالة كبيرة في انتشار الإسلام أنه وإن كان "الغرب قد هيمن في جميع أنحاء العالم خلال خمس مئة السنة المنصرمة عسكرياً واقتصادياً وتكنولوجياً، ولكن خلال المدة ذاتها اكتسب الإسلام أناساً أكثر من أي دين آخر، فحوالي ٤٠٪ من المسلمين كافة اليوم هم من نسل من كانوا قبل خمس مئة سنة غير مسلمين، وهناك أربع مسلمين في مجلس اللوردات البريطاني – وهو أمر لم يكن يخطر ببال قبل قرن، وفي أمريكا كل عشرة أطباء بينهم طبيب مسلم – وهو أمر لم يكن يخطر ببال قبل خمسين سنة! وفي ألمانية صحيفة إسلامية لم يسمع بمثلها أحد من قبل"[5].

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٨٩.
(٢) المرجع السابق، ص٩١-٩٢.
(٣) المرجع السابق، ص٥.
(٤) المرجع السابق، ص٧.
(٥) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٣٤.

ومع انتشار الإسلام وتوسعه اكتسب المسلمون في هذا العصر قوةً وتمكيناً أكثر من ذي قبل، "فقبل مائة سنة كان الحرم المكي القديم الذي هو أصغر بكثير من الحرم الجديد، يتسع للحجاج كلهم بسهولة؛ أما الآن فلو سمح بالحج لمن يريد لبلغ عدد الحجاج سنوياً من (٥ إلى ١٠ ملايين حاج)، وقبل مئة سنة كانت البلدان الإسلامية المستقلة الوحيدة هي الإمبراطورية العثمانية وأجزاء من الجزيرة العربية؛ أما اليوم فتضم منظمة المؤتمر الإسلامي أكثر من خمس وخمسين دولة مسلمة، وقبل مائة سنة كذلك لم يكن أحد يتخيل الثروة التي تملكها البلدان الإسلامية المنتجة للنفط، ولم يكن أحد يتخيل أن تقوم دولة مسلمة مستقلة في أوربا بما في ذلك البوسنة والهرسك وألبانية، ولا أن يكون في أوروبا (١٥) مليون مسلم وفي أمريكا (٨) ملايين، بما في ذلك مليونا مسلم من السكان الأصليين السود، وفي لوس أنجلوس وحدها (٥٦) مسجداً، والوضع في شبكة الإنترنت يبدي توازناً مماثلاً فأقل ما يقال: إن الإسلام هو الأكثر حضورا في الشبكة، كل هذا فرضه على الصعيد العالمي يعد تحسيناً هائلاً"[١].

الحِكَم والمنافع من التشريعات الإسلامية

هنا يعدد الباحث بعض الحِكَم والمنافع من التشريعات الإسلامية، "فالامتناع عن أكل الخنزير- وهو حيوان خسيس قذر يأكل أيًا ما يجد -يُذَكِّر المؤمن بضرورة حفظ نفسه وليس فقط فيما يأكل، ولكن من كل ما ليس بطاهر؛ أما الخمر-وما يشابهها من المغيبات- فصلاة المرء خمس مرات في اليوم تستلزم وعيًا كاملاً لمخاطبة الله، كذلك كل أنواع الذكر والدعاء على مدار اليوم، وأيضاً التزام أحكام الشرع أضف لهذا ما يتعرض له السكران من مهانة واستهزاء وخسارة في الأرواح والممتلكات له ولغيره، كذلك يجب أن نذكر تحريم الربا والميسر، وقامت دراسات كثيرة قديمة وحديثة عن تحريم أخذ الفوائد وبين كثير منها انحطاط أخذ العائد من الناحية الأخلاقية والاجتماعية؛ بل الاقتصادية، وسوف نلزم أنفسنا هنا بمراعاة أن أحكام الشرع وغاياته تسمو -بما لا يمكن مقارنته- عن أي تقدم اقتصادي اجتماعي مزعوم أو مظنون بالعقل البشري، وتعمل على حماية المرء من العبودية للمادة، وأكثر من ذلك لا يُمكن إنكار أن استحالة خلق القروض لمال الفائدة يُضعف جوهريًا قوة المال، وأما الميسر فهو يناقض روح المسؤولية التي يغرسها الإسلام في النفوس، ويوقع الميسر العداوة والبغضاء في النفوس، ويلهي عن ذكر الله والصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ

(١) المرجع السابق، ص١٣٥.

وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ [سورة المائدة: ٩١]. فضلاً عن أن العمل هو وسيلة كسب المال وسند الشرعية مع النهي عن التبذير وإضاعة المال"(١).

وكذا "يعلمنا الإسلام أن السمو الروحي لا يكتسب إلا من خلال المشاركة النشطة في الحياة اليومية وهو لذلك يرفض الرهبانية والعزوف عن الدنيا والعزوبية، وعقائده بسيطة واضحة وهو واقعي عملي في معالجته للمشاكل البشرية ويأمر بالاعتدال والتوسط في كل الأمور، ولا ينوء بعبء لاهوت معقد أو طقوس متعبة وإذا كانت الأديان الأخرى تعاني من عنصرية وانغلاق على قوم زعموا أنهم مختارون أو من إلغاء للتبعية بكفارة للذنوب على يد ابن الإله المثلث الأقانيم فإن رسالة الإسلام جلية لا لبس فيها"(٢).

وكذلك "يحرص الإسلام على السلامة العامة لكافة أفراد المجتمع، وذلك بتحريمه المطلق للحم الخنزير، والخمور والمسكرات، والمخدرات أيًّا كان نوعها، ويلح في الوقت نفسه على المسؤولية التامة لمن يسيء تعاطي العقاقير السامة أو نحوها من مواد الإدمان، بدلاً من استخدامها في التداوي من الأمراض وشؤون الطب المشروعة"(٣).

أما الحِكَم في الجانب الاقتصادي "فيمكن أن يبرز الإسلام كوسيلة خلاص، ففي الوهلة الأولى يمكن اعتبار تحريم الربا سذاجة وليس عملياً أبداً، ولكن الناس تعيد التفكير في هذه المسألة عندما تدرك أن تحريم الربا يمكن أن يساعد على الدفاع عن الروح الريادية لرجال الأعمال التي بنيت عليها الرأسمالية، كيف ذلك؟ إن الإسلام بإصراره على إبرام ترتيبات مالية تقوم على المشاركة في الربح والخسارة إنما يحارب التشبع والكساد اللذين يستشريان عندما يستخدم رأس المال بشكل رئيس في أشكال استثمارية خالية من المخاطر"(٤).

فلسفة الخطيئة في الإسلام

الإسلام لا يعترف بالخطيئة الأولى بتاتاً، "فيتحمل المرء مسؤولية أفعاله قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ [سورة التين: ٤]. ولهذا فإذا فشل في اتباع السبيل الذي هداه الله، فإنه ينحط

---

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٨-١١٩.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٥٠.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٦.

(٤) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص١١٣.

دون مستوى بقية المخلوقات، وجاء في الحديث النبوي ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه [١]))[٢].

وبخلاف العقيدة المسيحية "فإن الإسلام يؤكد على خيرية الإنسان، فهو مفطور على الخير، حين يولد لا يحمل معه أي ذنب، بعكس المفهوم المسيحي الذي يرى أن الإنسان يولد وهو يحمل ذنب (الخطيئة الأولى)، وبعكس التعاليم الهندوسية أيضاً التي ترى أن البشرية بطبيعة خلقهم مذنبون، ولابد لهم أن يجاهدوا بكل عنت، ومعاناة عن سلسلة طويلة من التجسد، وحلول الروح في كائنات مختلفة حتى تحقق هدفها النهائي في الوصول إلى الكمال"[٣].

والدليل على إنكار مفهوم الخطيئة الأولى في الإسلام "قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤].

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤]. تتضمن معنى أساسياً آخر وهو: رفض وإنكار مفهوم الخطيئة الأزلية الموروثة، فإذا لم ينطلق أحدنا من فرضية أننا جميعاً بحاجة ماسة للنجاة، فلن يبحث أي منا عن المنقِذ، وبالتالي فلن يجد منقذاً له؛ ولذا فإن هذه الآية الكريمة من القرآن الكريم سلَّطتْ كثيراً من الضوء على الآلية التي يمكن أن تؤدي إلى خروج النصرانية عن السكة وانحرافها عن المسار الصحيح، وبعد أن فهمت هذا أدركت أيضاً أن الإسلام لم يكن رجعياً تقليدياً بالمفهوم المتعارف عليه بين الناس؛ بل على النقيض من ذلك فقد دفع عجلة البشرية إلى الأمام باستمرار"[٤].

كما أن هناك أدلة أخرى على إنكار هذا المفهوم؛ حيث "ورد في القرآن الكريم أن الله تعالى قد غفر لآدم وحواء بدلاً من أن يلعنهما وذريتهما ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة البقرة: ٣٧]. و ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة طه: ١٢٢]. فالاعتقاد الخطير بالخطيئة الأولى (الموروثة) التي تثقل على الإنسانية، هو باطل من وجهة نظر المسلمين؛ إذ يبين القرآن الكريم بوضوح أن تقويم الإنسان لا يكون إلا حسب حسناته وسيئاته، وما من أحد يتحمل

---

(١) صحيح البخاري، كتب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين (٤٥٦/ ١) ح (١٣١٩).

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٣٧.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٢١٧.

(٤) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١١٨.

مسؤولية ما قام به آخر، ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ [سورة يونس: ٤١]. ومن وجهة نظر إسلامية تمثل الخطيئة الأولى (الموروثة) نظرية مضللة والتي طبعت مسار التاريخ المسيحي بأسلوب تراجيدي وتسبب -وبشكل مرعب- بالكثير من البؤس والشقاء"[١].

تسامح المسلمين

لا شك أن تأثير الإسلام وجماله ظاهر في أخلاق المسلمين أثناء الفتوحات وتسامحهم مع غيرهم؛ حيث "أمر النبي صلى الله عليه وسلم مقاتليه بأن لا يجهزوا على جريح ولا يقتلوا النساء ولا الصبيان ولا من يعتزل القتال ونهى عن الغدر والمثلة، وعلى سنته قال أبو بكر لجنوده ستجدون قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ولا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرمًا؛ بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر في القتال باجتناب الوجه[٢]، فقد بذل وسعه لتخفيف ويلات الحرب، واكتسب المسلمون تعاطف البلاد المفتوحة التي رأت تسامحهم وقيودهم في استخدام القوة، ورحبت بهم بلاد كثيرة كفاتحين، ولا يمكن الزعم أن المقاتلين المسيحيين أظهروا قدر أكبر من الكرم والتسامح تجاه أعدائهم من الديانات الأخرى؛ بل هناك العديد من الأمثلة التاريخية التي تشهد على العكس خصوصًا خلال الحروب الصليبية، فبعد احتلال جود فري البولوني للقدس عام١٠٩٩م، ذبح رجاله- تقريبًا- كل السكان المسلمين واليهود بينما فتحها عمر ٦٣٨م بدون إراقة قطرة دم واحدة، كذلك فعل صلاح الدين عندما استعادها ١١٨٧م، فحافظ على كل نسمة مسيحية بها، قبل المسلمون في كل الأراضي التي فتحوها بوجود أديان أخرى، وعلى النقيض عندما استعاد المسيحيون إسبانيا قتلوا المسلمين أو أجبروهم على التحول للمسيحية أو طردوهم"[٣].

وهنا استشهاد آخر لتسامح المسلمين أثناء الفتوحات، فإن "مما يثير العقول ملاحظة التناقض بين ما حدث في أراضي البلقان الواسعة التي ضمها العثمانيون إلى إمبراطوريتهم واحترموا الأمر القرآني ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]. فأسلم بعض السكان وبقيت الأكثرية على ديانتهم المسيحية،

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٥٤-٥٥.

(٢) لعل المؤلف يشير إلى حديث أبي هريرة قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه ولا تقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله تعالى خلق آدم على صورته)) أخرجه مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة رضى الله تعالى عنه، (٢٥١/٢) ح (٧٤١٤) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٧٥-٧٦.

بينما اعتنق الإندونيسيون الإسلام بعدما عرفوه من التجار المسلمين الذين جاءوهم من الهند وشبه الجزيرة العربية وإندونيسيا اليوم أكبر بلد إسلامي"(١).

وتتوالى الشواهد على هذا التسامح، "فإن الفاتحين المسلمين لم يسمحوا فقط لأتباع النصرانية أن يستمروا في كنائسهم الموجودة؛ بل إنهم سمحوا لهم ببناء المزيد من الكنائس تحت ظل الحكم الإسلامي، فكيف إذن يمكن أن يستمتع السياحُ اليوم بجواهر مثل كنيسة كورا البيزنطية الشهيرة (كاريا كامي) واليونان الأرثودوكس والكاتدرائيات الأرمنية في إسطنبول؟ إن العلامة الفارقة بين التشدد النصراني والتسامح الإسلامي تعتمد على الأمر القرآني الصارم أن يتسامح المرء مع مؤمني أهل الكتاب، والذي تطور فيما بعد ليصبح قانوناً مفصلاً لحماية كل من الأقليات والأجانب، وتنص الآية (٢٥٦) من سورة البقرة بوضوح على ما يلي قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦](٢).

من خلال ما سبق نجد أن كلاً من اتيين دينيه ولورد هدلي وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد ومريم جميلة ومراد هوفمان عددوا محاسن الإسلام وجمالياته من انتفاء الواسطة في الإسلام بين العبد وربه، وخلوه من الأسرار وعبادة القديسين، وعلى خيرية الإنسان في أصل خلقته وأنه لا يعترف بالخطيئة الأولى، وأن الأرض كلها مسجد لله فلا حاجة إلى الهياكل والمعابد، وأن الإسلام صالح لجميع الأجناس، ويتسم بالاعتدال والتوسط في كل الأمور، وأنه دين التسامح والسلامة والأمان، ويؤكدون أن حاجة الناس في الغرب إلى معرفة الإسلام شديدة وأن الإسلام أثمن علاج للغرب مما يعاني منه اليوم على مختلف الصعد والمجالات؛ لأن الإسلام دين عالمي إنساني أتى بالعجائب فيما يتعلق بتنظيم الحياة البشرية واختلالاتها.

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٨٨.

(٢) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص٤٦.

ثانياً: رد الشبهات الواردة حول الإسلام.

بعد أن ذكر الباحث خلال الأسطر الماضية جهود المستشرقين الذين أسلموا في ذكر محاسن الإسلام وجمالياته، يحسن بالباحث لكي تكتمل الصورة الإشارة إلى كتاباتهم فيما يتصل بالردود الجميلة على بعض الشبهات الواردة حول الإسلام.

الشبهة الأولى: تسمية المسلمين بالمشركين.

الرد على الشبهة: يرد على هذه الشبهة لورد هدلي بقوله: "النصارى سموا المسلمين بالمشركين والوثنيين وذلك لاعتقادهم بأنهم يعبدون صنماً اسمه محمد، في حين أن المسلمين يعرفون تفاصيل النصرانية، ومن جهلهم يرون أن هناك معبودات للمسلمين بزعمهم"(١).

الشبهة الثانية: تسمية المسلمين من قبل الغرب بالعالم المحمدي

الرد على الشبهة: ترد على هذه الشبهة مريم جميلة بقولها: "إن عنوان هذه المقالة نفسها (العالم المحمدي) هي تسمية خاطئة فنحن (مسلمون) ولسنا (محمديين) وإن هذه التسمية المحمدية والمحمدي ابتكرها الصليبيون ليثيروا الكراهية للإسلام في أوروبا، وذلك بنشر الفرية القائلة بأن رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، كان يسعى لأن يعبده المسلمون كما يعبدون الله، وهذا هو السبب الذي من أجله يأبى المسلمون بشدة أن يسموا محمديين لقد وجد الإسلام منذ العصور الأولى، فكل الأنبياء العظماء: إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، كانوا مسلمين حقاً، والإسلام يعني الخضوع لإرادة الله، وكل من يختار ذلك ويريده هو مسلم، ولذلك فإنا لن نفكر مطلقاً بتسمية عقيدتنا باسم محمد"(٢).

الشبهة الثالثة: وصف دين الإسلام بالجمود والتخلف

الرد على الشبهة: وتتحدث مريم جميلة عن هذه الشبهة في معرض الرد عليها فتقول: "فالمبشرون والمستشرقون يلقون التهم المتكررة ضد الإسلام بوصفه ديناً جامداً ومتخلفاً أشاع بين أتباعه الجهل والجمود والتعصب، وترى مريم جميلة أن هذه التهمة قد ذاعت وشاعت من جراء الإلحاح عليها إلى حد أن الطبقات الحاكمة والمثقفة في بلاد المسلمين صارت تؤمن ببديهية، وأن

(١) لورد هدلي، الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام، ص ٨٧-٨٨.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٢٨.

الإسلام هو سبب التخلف العملي والاقتصادي للمسلمين، وهي لا تلجأ إلى التفاصيل المطولة التي ألفناها في الكتابات الدفاعية لتضرب الأمثلة على قيام حضارة إسلامية علمية واقتصادية زاهرة، لكنها تعمد إلى ذكر بعض الأمثلة التي تلقي بتهم معاداة العلم والتقدم على الغير وتترك لهم عبء الرد عليها إن استطاعوا، تقول: إن المسيحية حكمت وسادت أثيوبيا لما يقارب الألفي عام فما هو حال ذلك البلد اليوم؟ وتكشف لنا جانباً من مذابح وأفعال وحشية ارتكبها مسيحيون في هذا البلد ضد مسيحيين آخرين خلال بعض حروب الصراع على العرش في فترة العشرينات من القرن الحالي"[1].

وهنا إشكالية فالطبقات الحاكمة لا تؤمن بأن الإسلام هو سبب التخلف بل يؤمنون بأن الإسلام هو سبب حضارة المسلمين وتفوقهم كما سيأتي بيانه في الباب الثالث.

الشبهة الرابعة: الإسلام سبب تخلف المسلمين.

الرد على الشبهة: وترد على هذه الشبهة مريم جميلة متسائلةً "هل الإسلام حقاً هو المسئول عن تدهور المسلمين في النواحي العلمية ومعها الجوانب الاقتصادية أم أن البعد عن الإسلام هو السبب؟ وهل المسيحية التي ينهال مبشروها الغربيون بالتهم على الإسلام في حالة أفضل سواء في الماضي والحاضر؟ وماذا عن مظاهر الفقر والتخلف البشع في بلدان مسيحية عريقة بجنوب أوروبا وأمريكا الجنوبية؟ وهل يسوغ القول أمام هذه المظاهر بأن المسيحية هي السبب وبأنه على المبشرين أن ينشغلوا بإصلاح دينهم؟ وتجيب على هذا السؤال الأخير بالإيجاب، إن ما دفع الغرب إلى الثورة العلمية والاجتماعية والاقتصادية التي رفعته إلى مكانة السيطرة على العالم، لم تكن المسيحية؛ بل ظهور ونمو النزعة الإنسانية لليونان والرومان بما امتزج بها من عناصر وثنية وملحدة ودنيوية فيما عرف بعصر النهضة بجانب إحياء الأذهان واستنارتها بفضل نشاط العلماء والفلاسفة المسلمين، وكانت هذه النهضة بطابعها الثوري العنيف ضد الكنيسة هي المؤدية إلى تقدم الغرب الراهن"[2].

في طيات كلامها دعوة إلى اعتماد منهج الغرب وهذا غير صحيح، فاتباع منهج الكتاب والسنة هو المنهج الصحيح المعتمد لدى المسلمين، فالغرب يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون.

---

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢١٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢١٥-٢١٦.

الشبهة الخامسة: الإسلام دين عفى عليه الزمن

الرد على الشبهة: ويرد على هذه الشبهة مراد هوفمان بقوله: "تدعم وسائل الإعلام الانطباع السائد بأن الإسلام دين عفى عليه الزمن بلا أدنى بادرة أمل في تنويره، وبذلك لا يزال قابعاً في ظلمات العصور الوسطى، والنمط السائد لتحقيق هذا الانطباع وتقويته هو إبراز ثغرات الإسلام، خاصة إذا ما قورنت بالنموذج الغربي فيما يخص الجانب الشخصي للإنسان (الوعي الفردي، المواطنة، المجتمع المدني والعقلانية)، وتبلغ الادعاءات ذروتها بإلحاح وسائل الإعلام على ذكر الإسلام مصحوباً دائماً بصفات، مثل الاستبداد الشرقي، وذكر الوحشية في قطع الأيدي، قمع النساء المخالف لحقوق الإنسان، وتمسكه بأخلاقيات بالية عفى عليها الزمن مثل: العفة قبل الزواج، وموقفه من العلاقات خارج الزواج، والخيانة الزوجية، والإجهاض والشذوذ الجنسي[(١)]؛ أما الحدود التي تقرها الشريعة، كعقوبات جسدية، فهي وفق المفهوم الغربي لحقوق الإنسان، قاسية وغير إنسانية ومهينة وغير دستورية وبخاصة جلد الزاني وقطع يد السارق، ويقع المسلمون في الغرب دائماً في حيرة عند مواجهتهم بهذا الأمر بدلاً من ذكر حقيقة وهي أن الولايات المتحدة الأمريكية -وهي المثال الأخلاقي للغرب- تبيح عقوبة الإعدام؛ بل وتمارسها سنوياً بأشكال شتى مثل الشنق والكرسي الكهربائي والحقن بالسم، وعقوبة القتل هذه هي أقسى أنواع ودرجات العقوبات الجسدية"[(٢)].

الشبهة السادسة: الإسلام دين عدواني

الرد على الشبهة: ويرد على هذه الشبهة مراد هوفمان بقوله: "لم يرَ السواد الأعظم من النصارى الأمور على هذا النحو، فلكي يشبعوا غرورهم وينقذوا ماء وجوههم، رأوا أنه لا بد لهم من إلباس الإسلام ثوب الشياطين بحياكة أساطير، بعضها لا يزال شائعاً حتى يومنا هذا، ألا وهو أن الإسلام دين عدواني، أسماه بعضهم (دين حرب) يسعى إلى شن حرب مقدسة وقد شوهوا صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم تشوه صورة أحد من قبل أو من بعد وأظهروه في صورة مدعٍ شهواني شبقٍ متعطشٍ للدماء"[(٣)].

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٢-١٣٣.

(٣) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٥٠-٥١.

من خلال ما مضى تجد أن لورد هدلي ومريم جميلة ومراد هوفمان كان لهم قصب السبق في صد العدوان الغربي لبعض الشبهات الرائجة من قبل النصارى واليهود وغيرهم ومما ألصق من تهم تجاه الإسلام والمسلمين، فقاموا بالرد بالأدلة الواقعية والأمثلة الحية، ومن أبرزها مسألة اعتقاد الكفار أن المسلمين يعبدون صنماً اسمه محمد –حاشاه–، وكذلك الرد على بعض المصطلحات التي ألصقت بالإسلام مثل قولهم (العالم المحمدي)، فهي تسمية خاطئة فنحن (مسلمون) ولسنا (محمديين)، وكذلك الرد على بعض الشبهات التي روج لها الإعلام الغربي من أن الإسلام دين عفى عليه الزمن وأنه لا يزال قابعاً في ظلمات العصور الوسطى، وإبراز ثغرات الإسلام، مثل الاستبداد الشرقي المزعوم، وذكر الوحشية في قطع الأيدي وقمع النساء المخالف لحقوق الإنسان، وتمسكه بأخلاقيات بالية عفى عليها الزمن مثل: العفة قبل الزواج، وموقفه من العلاقات خارج الزواج، والخيانة الزوجية، والإجهاض والشذوذ الجنسي.

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الحقوق الاجتماعية.

قامت حركات شعبية في القرن الماضي للمطالبة بالحقوق الاجتماعية، ومحاولة فرض الاتفاقيات وسن القوانين لتنظيم هذه الحقوق، وهي ما اصطلح على تسميتها فيما بعد بـ(حقوق الإنسان) عقب الحرب العالمية الثانية، حين أعلنت هيئة الأمم المتحدة الميثاق العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨م، ورغم الدعاوى العريضة عن حقوق الإنسان في الغرب إلا أن الواقع الملموس في بلادهم أنها حقوق خاصة بهم دون سائر الناس وخاصة المسلمين.

وفي هذا العصر نرى في بعض البلاد الكافرة كيف يمارس الظلم على المسلمين المستضعفين منهم، ويستغيث هؤلاء بإخوانهم لنصرتهم وإعانتهم، فيلزمهم التحرك ويأخذوا بحقهم، ولو بأبسط أدوات النصرة ووسائلها! بالكلمة، وبذل المعروف، وكف الأذى؛ والدعاء، أو على الأقل أن يشعر المرء في قلبه بتقصير في حقهم، ويعتذر إلى الله بضعفه وعدم قدرته.

إن إخواننا المسلمين الذين يعيشون في دولة الكفر في أشد الحاجة إلى الوقوف بجانبهم ونصرة قضاياهم، فنحن أمة واحدة يجب علينا أن نسعى في نصرة بعضنا البعض، وخصوصاً عندما يعتدي الكفار على المسلمين، فيجب أن نُري الله من أنفسنا خيراً، وللمستشرقين الذين أسلموا جهود تذكر فتشكر فيما يتصل بإبراز الجوانب الإيجابية والنقاط المشرقة عن الإسلام المتمثلة في الحقوق الاجتماعية والتي ذكرت من قبل المستشرقين في كتاباتهم والمطالبة بها في مجتمعاتهم وحكوماتهم.

وإن من أهم الحقوق الاجتماعية ما يتصل بحق المواطن وواجب الحكومة "أن توجد نظامًا للتعليم يتيسر تحصيله على كل رجل وامرأة في البلاد، والقرآن والسنة يفضيان بأحكام تحض المسلمين على طلب العلم بكل وسيلة ممكنة، وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية طلب العلم في كثير من الأحاديث كقوله: ((من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة[١]))"[٢].

ولأجل أن توفر الحكومة الحياة الكريمة لكل مواطنيه، "فإن عليها أن تضطلع بعبء العمل على تحقيق السعادة الدنيوية لهم، أي أن من واجبها أن تمدهم بالوسائل الاقتصادية الضرورية لتوفير الرفاه المادي لهم وصيانة كرامتهم، وليس هناك شيء يمكن له أن يوضح هذا المعنى ويؤكده كحديث

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (٢٠٧٤/٤) ح (٢٦٩٩).

(٢) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص١٥٣.

صاحب الرسالة: ((ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته[١]))"[٢].

وضمانة لتحقق ذلك "فإن دستور الدولة الإسلامية يجب أن يتضمن نصًا يؤكد حق كل مواطن:

أولاً: في الحصول على عمل مدرّ مثمر ما دام الشخص صحيح الجسد قادرًا على العمل.

ثانيًا: في الحصول على التدريب اللازم على نفقة الحكومة إذا اقتضى الأمر على العمل اللائق به.

ثالثًا: في الحصول على العلاج المجاني في حالة المرض.

رابعًا: في الحصول على الغذاء الكافي والملبس والمأوى في حالة العجز عن الكسب بسبب المرض أو الترمّل أو الكهولة أو صغر السن أو البطالة أو لأية أسباب خارجة عن إرادة الفرد"[٣].

ومن أبسط حقوق المواطن الضمان الاجتماعي والذي أقره الإسلام، "فقد يظن بعض القراء أن مثل هذا المشروع للضمان الاجتماعي إنما هو من بدع القرن العشرين؛ ولكنني أحب أن ألفت النظر إلى أن هذا النظام كان مطبقاً على أوسع نطاق قبل أن يخترع له هذا الاسم الحديث بقرون عديدة؛ بل حتى قبل أن تظهر الحضارة الصناعية الحديثة الحاجة إليه، وكان ذلك في زمن الدولة الإسلامية في عهود الخلفاء الراشدين، لقد كان عمر هو الذي أسس في عام ٢٠ للهجرة إدارة حكومية خاصة أطلق عليها اسم الديوان، وكان من مهمة الديوان أن يجري إحصاء للسكان في فترات منتظمة، وعلى أساس هذا الإحصاء كانت الدولة تدفع رواتب لفئات متنوعة[٤]، ولعل من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، (٣٠٤/١) ح (٨٥٣).

(٢) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص١٥٤-١٥٥.

(٣) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص١٥٩.

(٤) وأشير هنا إلى أسبقية صحيفة المدينة قبل عهد عمر بن الخطاب، قال محمد بن إسحاق: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم: ((بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي، بين المؤمنين والمسلمين، من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم، يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط، وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين))، ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار، وأهل كل دار، بني ساعدة، وبني جشم، وبني النجار، وبني عمرو بن عوف، وبني النبيت، إلى أن قال: ((وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم أو عدوان، أو فساد بين

خير ما نختتم به هذا الفصل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضــــتُ فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلانًا قد مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم! اســـتطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمتَ أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم! اســـتســـقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي؟[(١)]))"[(٢)].

ومن الحقوق الاجتماعية التي أقرتها الشـريعة الإســلامية احترام الكبير ورحمة الصـغير فقد "أمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إن من الواجب على المؤمنين في الإسلام أن يولوا صغارهم الحب الكبير، وكبارهم الاحترام الكثير، وعندما اقترب أعرابي من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وقال بأن له عشـرة أبناء؛ ولكنه لم يقّبل واحداً منهم أبداً، زجره الرسول صلى الله عليه وسلم بعنف وقال له: ((من لا يَرحم لا يُرحم))[(٣)] والإسلام لم يأمر المسلمين بتعاليمه أن يحبوا ويعاونوا أسرهم فحسب؛ بل أن يوثقوا عرى التعاون المتبادل مع جيرانهم وإخوانهم في الدين وشـــعور الجماعة القروي هذا هو خير حافظ للصحة العقلية"[(٤)].

والإســـلام هو دين التوازن الوحيد حتى في الجوانب الاجتماعية فهو "وســـط كل الأديان، الإسلام هو الدين الوحيد الذي يمهد للإنسان طريقاً متكاملاً للعيش، يسمح له وللمجتمع أن يعيشا معاً في رخاء وفي توازن فريد، الباقون كلهم؛ إما يســحقون فردية الإنســان، أو يحدون من مسـئولياته الاجتماعية"[(٥)].

ومن أبرز القيم الاجتماعية في الإسـلام قيمة المسـاواة، "فإن الإسـلام في مجمله يتسـم بدرجة عالية من المساواة بين البشر؛ ذلك أن القرآن ذكر أن المرء بتقواه وعمله وليس بغناه ونفوذه ولا بحسبه

المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم... الخ، انظر: البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ (٤/ ٥٥٥ – ٥٥٦).

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، (٤/١٩٩٠) ح (٢٥٦٩).

(٢) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص ١٦٠– ١٦٢.

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (٥/٢٢٣٥) ح (٥٦٥١).

(٤) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٥٠.

(٥) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص١٠٥.

ونسبه ولا بجماله وشهرته، ومن التجارب المؤثرة أن تشاهد بعض البدو في السعودية بملابسهم البالية وهم يحاورون ولي العهد الأمير عبد الله في مجلسه الأسبوعي ويواجهونه برأيهم؛ بل ويلوحون بشدة بأصابعهم في وجهه، هذا الاحترام خاصة لمن هم أكبر سناً، هذه الفضيلة التي ينفر الغرب عنها بصفتها رذيلة"[١].

وهنا مثال واقعي ملموس؛ حيث إن "أجمل تعبير للمساواة وانعدام التفرقة بين أفراد الأمة تصادفه سنوياً أثناء الحج، وإن وجود ملايين المسلمين في مكان واحد يجمعهم إحساس واحد بالمساواة والانتماء ووحدة الهدف، وقد أتوا من مختلف قارات العالم ليؤدوا في ظل ظروف قاسية شعائر دينهم، يصلون معاً ويدعون معاً ويعيشون ويتناقشون معاً، لهو تجربة فريدة من نوعها ذات طبيعة سامية حتى إنها استطاعت برقيها وسموها وما تتضمنه من كل المعاني والدلالات النبيلة أن تحرر مالكو لم إكس، هذا الإنسان النشط ذو البشرة السوداء من عنصريته العنيفة البغيضة، فالحج هو أكثر الأعمال تأثيراً في نزع أي فكر عنصري وأقدر الأفعال على مواجهة العنصرية"[٢].

ويتسم المسلمون بشعور الإخاء والتكافل الاجتماعي فيما بينهم؛ حيث "يتجلى شعور المسلمين بالإخاء في حبهم لبذل المال بعضهم لبعض، هذه الظاهرة التي تسجل في الولايات المتحدة الأمريكية أرقاماً قياسية، فبجانب أموال الزكاة التي تُعَدّ أحد أركان الإسلام الخمسة هناك الكثير من الصدقات التي يدفعها المسلمون في أمريكا لأعمال الرعاية الاجتماعية"[٣].

بخلاف الغرب الذي يتسم بالعنصرية "ولقد أعلن هذا البلاء الذي عرفه القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عن عودته بقوة وشراسة أكثر والنصيب الأعظم في العالم الإسلامي يذوقه البوسنيون والأكراد والفلسطينيون والشيشانيون ومواطنو كوسوفا وكشمير، لقد تم حسبان اختفاء العنصرية نتيجة لعقلانية الحداثة والتي تجتمع معها العنصرية أمراً مفروغاً منه وواحداً من الوعود الكثيرة التي لم تف بها الحداثة، فما نراه اليوم من تفرقة ذات تسميات مختلفة مثل القومية والنازية وغيرها ما هي إلا تقسيمات على لحن بدأ منذ عام ١٤٩٢م متمثلاً في عنصرية دينية إثنية منظمة ضد اليهود والمسلمين"[٤].

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٥٠-٥١.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٣) المرجع السابق، ص٤٨.

(٤) المرجع السابق، ص٢٤٠.

وخير مثال على هذه العنصرية وهضم الحقوق الاجتماعية زيادة "أعداد اللاجئين نتيجة أسباب دينية عرقية في النصف الثاني من القرن العشرين، أي أعداد أخرى مسجلة في التاريخ، وقد تسمَّى القرن العشرون بحق: قرن اللاجئين والمشردين"(١).

ومن أهم القيم الاجتماعية ترابط الأسرة المسلمة بخلاف الغرب، "فلا يمكن لأي حضارة أن تدوم طويلاً إذا تحطم كيان الأسرة كما نراه اليوم، العائلة تتعرض لهجوم شامل حتى من الدولة التي تبذل كل ما في وسعها للترويج للعلاقات خارج رباط الزواج، لقد ارتفعت معدلات الطلاق إلى درجة عالية جداً، وأصبح نصف أعداد الأسر في المدن الرئيسة يتكون من العازبين بمن فيهم نسوة ينشدن الحمل والولادة دون زواج، وينمو عدد هائل من الأطفال بميلهم المتزايد إلى العنف، لقد تدنى احترامهم للكبار والعائلة وأصبح الأطفال اليوم في أمريكا قادرين على تقديم دعاوى في المحاكم يطلبون فيها الطلاق من آبائهم وأمهاتهم لانعدام حبهم لهم"(٢).

لأجل الحفاظ على هذا الكيان يعظم دور الآباء والأمهات المسلمين في الغرب في تربية أبنائهم "ولعل أفضل أسلوب في التفاعل الإيجابي هو الاتباع التام لنمط الحياة الإسلامي وسط المجتمع الغربي بلا زيادة ولا نقصان، ويجب على المهاجرين المسلمين أن يصبحوا مثالاً حياً يناقض الصورة التي يتهمهم الغرب بها، وبعد أن يراقب الغرب هذا النمط لفترة من الزمن ويرى أن المسلم لا يضرب زوجته، ولا يقطع الأيدي وأن الأطفال نظيفون وأن الآباء يعون مسؤولياتهم المدنية وأن المشروبات الكحولية بعيدة عن حياة المسلم كل البعد يعي الناس الحقيقة، بدءا بفضول وانتهاء بتقدير"(٣).

فيما مضى يلاحظ الباحث أن كلاً من محمد أسد ومريم جميلة ومراد هوفمان تحدثوا عن الحقوق الاجتماعية للمسلمين في الغرب ومن أبرزها حق المواطن وواجب الحكومة من توفير الحياة الكريمة للمواطنين، وقاموا بإبراز الجوانب الاجتماعية المضيئة في الإسلام؛ حيث إنه الدين الوحيد الذي يمهد للإنسان طريقاً متكاملاً للعيش، ويسمح له وللمجتمع أن يعيشا معاً في رخاء وفي توازن فريد وانعدام التفرقة بين أفراد الأمة، فالمساواة من أهم المبادئ الاجتماعية في الإسلام في حين يستنكرون عودة العنصرية إلى بلاد الغرب، ويبرهنون على هضم الحقوق الاجتماعية من قبلهم، وخير دليل على ذلك زيادة أعداد اللاجئين نتيجة أسباب دينية عرقية في النصف الثاني من القرن العشرين

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢٤٣.

(٢) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص١٠٦.

(٣) المرجع السابق، ص٧٠.

حتى إنه يسمَّى قرن اللاجئين والمشردين؛ لأن الغرب لا يعترف من القيم والمبادئ سوى قوانين الاقتصاد وتطبيقها في كل شيء، فأصبحت المادية تطغى عليهم في جميع شؤون حياتهم.

الفصل الثاني

جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن القدس

وتحته مبحثان:

- المبحث الأول:

جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن المسجد الأقصى.

- المبحث الثاني:

جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق الفلسطينيين.

الفصل الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن القدس.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن المسجد الأقصى.

المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال، فهي الأرض المباركة، والأرض التي شهدت مسيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والأرض التي حوت الكثير من المقدسات، وبها أولى القبلتين وثالث الحرمين، وعلى ترابها صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم إمامًا بالأنبياء والمرسلين، وهو مسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [سورة الإسراء: ١]. بقاعٌ باركها الله وبارك ما حولها، أكثر أرض في هذه الدنيا خطى فيها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وتعد قضية القدس من أهم القضايا التي تشغل أمتنا الإسلامية في زماننا الآن، إن لم تكن أهمها على الإطلاق، فقضيتنا في القدس لا تنفصل عن الإسلام، فليست أرضاً فلسطينية أو عربية فحسب؛ بل إنها أرض المسلمين جميعاً.

وإن المسلم ليتألم من تدهور قضية القدس من وضع سيئ إلى وضع أسوأ منه، وحسبنا أن نبرز دور بعض المحايدين من بني جلدتهم ممن كتبوا ودافعوا عن القدس من المستشرقين الذين أسلموا، فقضية القدس هي قضية جميع المسلمين، ومن هنا كان من المهم أن نعرف ما هو دور المستشرقين الذين أسلموا في هذه القضية المهمة عبر نقاط عدة.

وصف مدينة القدس وسكانها

يصف محمد أسد مدينة القدس وسكانها، فيقول وهو على سطح منزل خاله في مدينة القدس القديمة متأملاً مكانتها الدينية وذكرياتها التاريخية: "ومن السطح كنت أنظر إلى المدينة القديمة وشوارعها الملتوية وأزقتها كأنها منحوتة من الصخر؛ أما المسجد الأقصى أكثر المساجد قدسية بعد مسجد مكة المكرمة ومسجد المدينة المنورة فقد كان يقوم على حافتها القصوى وقبة الصخرة في الوسط. كانت القدس عالما جديدا بالكلية بالنسبة إلى كانت هناك ذكريات تاريخية تنبعث من كل زاوية من زوايا المدينة القديمة: الشوارع التي أضفت إلي موعظة النبي أشعيا، والأحجار التي مشى

عليها المسيح والجدران التي كانت قديما عندما راجع خط الجيوش الرومانية والأقواس فوق المداخل التي كانت تحمل نقوش صلاح الدين"(١).

وإن جولة سريعة بين جنبات مدينة القدس تدل دلالة أكيدة أنها ذات هوية عربية أصيلة؛ حيث "أوحت تلك المدينة العربية القديمة لكاتبنا بتراثها وتاريخها وشعبها بأن العرب هم الأقرب إلى أرضها من غيرهم، رغم أنها مدينة عالمية اختلط فيها الناس من خلفيات دينية وقومية مختلفة وكتب عليهم العيش معا منذ زمن بعيد، إلا أن كاتبنا وصفها بعين شاهد يهودي بأن هواءها وأرضها وعربها بلباسهم وسماتهم هم أهلها وأصحاب الحق فيها ولا أحد غيرهم"(٢).

وسكان مدينة القدس يختلفون بين عرب فلسطين واليهود في هيئاتهم ولباسهم "فالعرب رجالاً ونساءً الفلاحين منهم بكوفياتهم البيضاء وعماماتهم البرتقالية، والفلاحات اللاتي مازلن يظهرن في سن الشباب رغم تجاوزهن الستين، والبدو بعباءاتهم الثقيلة، بأنهم يوحون بالثقة ومنسجمون مع بيئتهم ومحيطهم؛ أما اليهود البولنديون والروس وغيرهم فهم يحملون معهم كثيراً من تفاهات حياتهم الأوروبية وضيقها ويبدون في ملابسهم وحركاتهم نشازاً في جوهرة المدينة العربية العريقة، وهؤلاء هم الذين يقفون وراء الاضطرابات بين العرب واليهود ويرسمون الحياة والسياسة اليهوديتين"(٣)، "وكان العرب ممتلئين حركة تلقائية ونبلاً، وقد أوحوا إلي منذ البداية أنهم أصحاب الأرض، أصحابها الذين نشأوا من ترابها وتاريخها وكانوا جزءاً لا يتجزأ من الهواء الذي يحيط بها"(٤).

مكانة مدينة القدس وقدسيتها

لمدينة القدس مكانتها وقدسيتها عند المسلمين، "ولا يصعب فهم سبب توجه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في صلاته إلى بيت المقدس، وهو في مكة في سنوات بعثته الأولى، فقد كانت القدس له ولكل مسلم من بعده مكاناً مقدساً وظلت مقدسة، حتى بعد نزول الآية القرآنية بتحويل القبلة إلى المسجد الحرام بعد ذلك بسنوات؛ بل زادت قداسة القدس عندما ذكرت في القرآن بوصفها مقصد رحلة الإسراء ومنطلق المعراج، تلك التجربة الروحية العظيمة، فكما روى النبي نفسه بعد ذلك، بعد الإسراء به وجد نفسه يؤم الصلاة داخل هيكل سليمان الذي لم يكن موجوداً؛ لأنه أزيل

---

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف، ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٥-١٢٦..

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٤.

من على الأرض قبل ذلك بحوالي ألف عام وخلفه من سبقوه من الأنبياء، وهذه إشارة رمزية، لا شك إلى العقيدة القرآنية أن رسالة النبي محمد ليست ديناً جديداً؛ بل نقطة تمام وختام لرسالة الله إلى الناس"[١].

"وتعبر الإشارة القرآنية إلى معجزة رحلة الإسراء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى القدس ثم المعراج إلى السماء عن الارتباط الداخلي بين الرسالة التي دعا إليها والرسالات التي دعا إليها الأنبياء السابقون، وترد أسماء أغلبهم في الكتاب المقدس «المسجد الأقصى» هو صراحة هيكل سليمان أو بالأحرى موقعه؛ أما سليمان الذي لا يعده اليهود أكثر من ملك، ولو كان ملكاً عظيماً ورائعاً، فهو بالنسبة إلى المسلمين نبي مثل أبيه داوود، ضمن سلسلة من أنبياء بني إسرائيل بدأت بإبراهيم وانتهت بعيسى، ولأن كثيرا جداً من الأنبياء كما يقول القرآن عاشوا في الأرض المحيطة بالموقع الذي بني عليه سليمان هيكله، فالقرآن يصفه في الآية المذكورة بتعبير ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [سورة الإسراء: ١]. ويفسر لماذا كان ذلك، منذ بداية العصر الإسلامي، كان الاسم الإسلامي لأورشليم (بيت المقدس) أو باختصار (القدس)، ويفسر سبب تقديس المسلمين لها بعد مكة والمدينة بوصفها ثالث الحرمين الشريفين"[٢].

ويستحسن هنا أن نستجلي حقيقة النظرة الإسلامية تجاه القدس؛ حيث إن "الاتجاه الإسلامي نحو القدس وبالطبع نحو فلسطين كلها، لا يرتبط بزعم ملكية عائلية، فلا يوجد مسلم يدعي أنه من نسل سليمان أول من أنشأ ما كان يعده العرب وقت نزول القرآن المسجد الأقصى، لكن كل مسلم يعظم سليمان بوصفه نبياً، وبالمثل فبرغم أن حوالي نصف القبائل العربية تقريباً ومن بينها قبيلة النبي محمد يعدون إبراهيم، جد سليمان جدهم أيضاً، لكن لا يوجد مسلم يولي لهذه الرابطة العرقية أي أهمية في حد ذاتها، وخلافاً لليهود الذين يعظمون إبراهيم لأنه في المقام الأول أبوهم، أي أحد أصول عرقهم، فإن المسلمين يعلون ذكره لأسباب دينية خالصة؛ لأن إبراهيم كان من رسل الله المقربين حيث يصفه القرآن في سورة الأنعام بأنه وصل إلى نور الهداية القلبية والنظر الفطري في حقيقة توحيد الله دون توجيه من أحد، فهو النموذج الأصلي للساعي إلى الله الذي يبلغ هدفه بهدي من قلبه وعقله"[٣].

---

(١) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٩١.

وحق المسلمين في القدس يتجلى في "الاتجاه الإسلامي نحو القدس فهو أيديولوجي وتاريخي في الوقت نفسه: أيديولوجي لأنه قائم على القرآن، وتاريخي لأنه ينشأ عن حقيقة التواصل في الخبرة الدينية الإنسانية، وهو أصل في الدين الإسلامي، وتحديداً؛ لأن أغلب الأنبياء الذين يعظمهم المسلمون عاشوا في فلسطين وماتوا فيها، والقدس هي في القلب من فلسطين، ويشير القرآن إلى هذه العناصر جميعاً في أول آية من سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [سورة الإسراء: ١] [١]، "وإن اسم مدينة القدس وحده يعني استحالة اعتبارها إرثاً أو حقاً بالميلاد لهذه الأمة أو تلك، كما يعني أنها ليست عقاراً يمتلكه شعب أو جماعة، فهي تخص كل من يأتيها بتواضع نشأ عن إيمان بالله الواحد، لاسيما من يؤمنون بالله ورسله، ولا يفرقون بين أحد من رسله"[٢].

"وللقدس دلالة دينية إنسانية عامة ولا يمكن أن تختزل في إرث أبوي لأي أمة، لذلك ألا يصح أن يتقرر مصيرها السياسي بعيداً عن المدينة نفسها؛ بل في مكان آخر؟ ليس داخل برلمان إسرائيلي ولا بقراره؛ بل في مجال أرحب كثيراً؟"[٣].

طمع اليهود في القدس

ويتضح جلياً مدى طمع اليهود في القدس؛ حيث "استمرت المشكلة الفلسطينية في جذب اهتمام المسلمين والأسباب الداعية لذلك كثيرة، كانت الحركة الصهيونية فعليًا دائمًا ضد المسلمين ولم يقتصر دور الدولة التي زرعتها على أن تكون مصدرًا للدعاية والسياسات المعادية للإسلام؛ بل أصبحت تمثل بفضل آلة الحرب الفعالة التي شيدتها أمريكا تهديدًا عسكريًا للبلاد والشعوب التي في قلب الأمة الإسلامية، بل ولأماكنهم المقدسة، هذا رغم أن عدد المسلمين في العالم اليوم يجاوز البليون"[٤] "ولكن ليس لهذا الرقم الأهمية القصوى فالإسلام يهتم دائمًا بالكيفية أكثر من الكمية، ولكن الذي يجب الانتباه إليه أن الإسلام خاتم التنزيل الإلهي ينتشر في وقتنا الحالي بالعناية الإلهية

---

(١) المرجع السابق، ص ١٩١.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٤.

(٣) المرجع السابق، ص١٩٤.

(٤) هذا العدد وقت التأليف، وبلغ عدد المسلمين في عام ٢٠٢٠م أكثر من مليار و٩٠٠ مليون حسب دراسات مركز بيو الأمريكي، انظر: جريدة المحيط الإلكترونية، وتم استرجاعه بتاريخ ١٤٤٢/٤/٣٠هـ.

ويُعطي لعصرنا المظلم أشعة الشمس الأخيرة ليوم ذاهب ذابل تعبيرًا عن الرحمة الإلهية التي تنادي البشر حتى نهاية العالم"[١].

وقد تصدت الحركة الصهيونية ورجالاتها لتأسيس الكيان الصهيوني في القدس، "فمؤسس الصهيونية العالمية فهو تيودور هرتزل[٢]، فقد كان يغطي محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي النقيب ألفريد دريفوس في باريس خلال يناير ١٨٩٥م كمراسل صحفي وساءته روح التعصب لدى القضاة والجمهور والصحافة ضد هذا الضابط المتهم خطأ بالخيانة العظمى، وبعد رؤيته لتخفيض رتبة دريفوس وسط صيحات (الموت لليهود) سارع إلى كتابة رسالته المشهورة (الدولة اليهودية) والتي صدرت عام ١٨٩٦م متضمنة برنامج الصهيونية السياسي، وقد تخلى هرتزل عن إيمانه السابق بالاندماج وبدأ حملة محمومة لإقناع كل ذوي النفوذ في أوروبا بفكرة الدولة اليهودية، وخاطب وقابل البابا والملوك ووزراء الخارجية ورجال البنوك وكانت جهوده منصبة على الحصول من السلطان عبدالحميد الثاني حاكم فلسطين على ميثاق قانوني يسمح بإقامة دولة يهودية فيها"[٣].

"وعقد هرتزل عام ١٨٩٧م أول مؤتمر صهيوني في مدينة بازل في يومي ٢٩-٣١ أغسطس، وبينما فشلت جماعة محبي صهيون في تحقيق نتائج ملموسة من مؤتمرها الذي عقدته في مدينة كاتوفيتسا البولندية عام ١٨٨٥م نجح هرتزل وانضم إليه أفراد هذه الجماعة، وتمخض مؤتمر بازل عن برنامج يعلن: "إن هدف الصهيونية هو إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين يحميه القانون العام"، وتأسست المنظمة الصهيونية العالمية وجناحها المالي الصندوق الإعماري اليهودي قبل نهاية المؤتمر الذي صرح بعده هرتزل بثقته الأكيدة في أن الدولة اليهودية ستقوم بعد خمسين عامًا وقد تأخر ميعاد قيامها عن ذلك التاريخ بعام واحد فقط"[٤].

---

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٩١-٩٢.

(٢) هوتزل هو مؤسس الحركة الصهيونية الجديدة ولد في بودابست في عام ١٨٦٠م، وانتقل إلى فيينا، له مؤلف بعنوان (الدولة الصهيونية) انتخب رئيساً للمنظمة اليهودية، وأصدر المؤتمر قراراً للحصول على موافقة دولية لمشروعية هجرة اليهود الجماعية إلى فلسطين، حاول إنشاء وطني قومي لليهود، وتوفي عام ١٩٠٤م في فيينا ودفن فيها ثم نقل رفاته إلى القدس، انظر مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ص٣٩٧.

(٣) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإسلام، ص١٠٦-١٠٧.

(٤) المرجع السابق، ص١٠٧.

ولا ننسى ما نتج عن وعد بلفور[١] "الذي صدر عام ١٩١٧م واعدًا اليهود بوطن قومي في فلسطين مناورة سياسية في غاية القسوة والوحشية، وتم إصداره لترسيخ السياسة التي اتبعتها كل القوى الاستعمارية، وهي سياسة فرق تسد، فيما يخص فلسطين كان ذلك هو القرار الأقسى والأكثر إثمًا؛ ففي عام ١٩١٦م وعد البريطانيون شريف مكة وهو الشريف حسين بدولة عربية مستقلة من البحر المتوسط إلى الخليج العربي مقابل تحالفه معهم ضد العثمانيين الأتراك، ثم حنثوا بوعدهم بعد ذلك بعام باتفاقية أخرى أقاموها مع فرنسا تحمل اسم سايكس بيكو[٢] (أطلقت فيها بريطانيا يد فرنسا في سوريا ولبنان) كما تضمنت الاتفاقية استثناء فلسطين من وعدهم للشريف حسين"[٣].

"إن الدعاية الصهيونية المركزة ضد العرب هي ما دفع بالأمريكيين[٤] إلى مساندة إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧م، وتعكس هذه الدعاية كراهية متأصلة للإسلام وهي تقتبس من صحف ومجلات هذه الفترة، تقول جريدة التايمز اللندنية يوم ٢١ يونيو من عام الهزيمة: إن القضية ليست أمرًا فنيًا يتعلق بحرية المرور في خليج العقبة إنها قضية بقاء إسرائيل وهي جزء من عالمنا الغربي، وتقول مجلة التايم الأمريكية يوم ٩ يونيو: إن إسرائيل جزيرة من الثقافة الغربية والحرية والقانون وسط وحل من الكراهية النابعة من العصور الوسطى، وتعود نفس المجلة لتقول يوم ٢٣ يونيو: إن الإسلام ثقافة متحجرة لم تمر بإصلاح سياسي أو ديني حقيقي ينقلها إلى العصر الحديث"[٥].

ولأجل تحقيق هدفهم فإن ما "سعى إليه زعماء الصهيونية من هذا العمل هو استغلال إبادة النازي لأعداد من قومهم (وهي التي ضخموا فيها حتى وصلت إلى ستة ملايين شخص) للقيام بحملة دعائية كبرى لكسب تعاطف شعوب العالم الغربي مع قضيتهم وإخافة اليهود المتبقين في أوروبا الشرقية والوسطى وإقناعهم بالهجرة إلى فلسطين، ومع الدعوة في الغرب إلى منح اليهود المضطهدين وطنًا في

---

(١) وعد بلفور هو إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، انظر: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير -الاستشراق-الاستعمار، ص١٧٨.

(٢) في عام ١٩١٦ م كان من بنود اتفاق مؤتمر (سايكس بيكو) بين بريطانيا وفرنسا وروسيا دخول العراق تحت الانتداب الإنجليزي عقب انتهاء معارك الحرب العالمية الأولى، وكان اتفاق سايكس بيكو من أجل تقسيم أملاك الدولة العثمانية بين الدول الثلاث؛ إذ كان من بنوده ما يلي: أ- أن يكون لفرنسا الجزء الأكبر من سوريا وجانب كبير من جنوب الأناضول، ومنطقة الموصل في العراق، ب- أن يكون لإنكلترا البلاد الواقعة بين الخليج والمنطقة الفرنسية (العراق وشرق الأردن ثم حيفا وعكا، جـ- إنشاء إدارة دولية في فلسطين بسبب وجود الأماكن المقدسة فيها، د- حقوق لروسيا في الأناضول والمضايق، انظر: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير-الاستشراق-الاستعمار، ص١٧٧.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص ١٤٧.

(٤) هنا وقفة تأمل فالدافع لمساندة إسرائيل عقدياً وليس سياسياً.

(٥) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإسلام، ص١١١.

فلسطين شنت الدوائر الصهيونية حملة تشويه إعلامي ضخمة في الغرب ضد العرب مصورة إياهم بالتخلف والعداء للحضارة الغربية وذلك للتغطية على جرائم هذه الحركة ضد الفلسطينيين والتي بدأت مع إجرام عصابات مناحم بيجين وأمثاله، وفي نفس الوقت ساعد الصهاينة أن قوانين الهجرة المتشددة في أمريكا وبريطانيا وأستراليا وكندا والأرجنتين حالت دون ذهاب اليهود الأوروبيين إليها كما كانوا يرغبون وسهلت إقناعهم بالذهاب إلى فلسطين ولو على مضض، وهكذا فإن الدول الغربية التي ساعدت على قيام إسرائيل في أرض المسلمين هي التي رفضت استقبال اليهود المهاجرين رغم تباكيها على الإنسانية الضائعة ووحشية النازي ضد اليهود المساكين"[1]، "فالفرق بين الصهيونية والاستعمار في مفهوم الحرب، فالاستعمار الغربي لا يلجأ في بلاد المسلمين إلى الإبادة على نطاق واسع والنفي الجماعي؛ أما الصهيونية فتمارس هذه الأشياء في فلسطين استنادًا إلى مفاهيم اليهود العنصرية عن الحرب"[2].

تسليم القدس

إنه ليوم حزين يوم تسليم القدس؛ حيث "كتب كانون ويليم باري الدكتور الكهنوتي في التيمس الكاثوليكية ما يأتي: يوم ٢٤ يوليو سنة: ١٩٢٢م سيكون يومًا مشهودًا في الأيام المقبلة لأنه يومئ إلى انتهاء الحروب الصليبية اكتسبنا فلسطين وامتلكنا بيت المقدس وطرد التركي بحاله وماله نهائيًا من الأراضي المقدسة التي تركها لعناية الإنجليز كما سلم سوريا لفرنسا، وكان التركي في كل القرون سيف الإسلام الذي انكسر وقد كان يحكم الأراضي المقدسة عند المسيحيين واليهود والمسلمين إلا أن سيطرته أصبحت في خبر كان، تلك التي نسميها عصبة الأمم التي جعلت هدفها إيجاد السلام للعالم أجمع، قد فوضت في هذا اليوم المذكور القوات الغربية وعهدت إليها إدارة الأحكام والنظام من حدود مصر إلى توروس الكيليكية وإنا لمنورون البصائر والأبصار كيف جعل محمد بيت المقدس (القبلة) التي يتجه إليها المسلمون في صلاتهم وكيف أنه أمل حتى وهو على فراش موته أن يحتل الشام وكيف أتم هذا العمل عمر وكيف نظم هذا الجندي العظيم المعبد الذي يرتفع عليه بعظمة ذلك الجامع الذي يحمل اسمه"[3].

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٩-١١٠.

(٢) المرجع السابق، ص٦٤.

(٣) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٧٧-٧٨.

وتتذكر مريم جميلة ذكرى تقسيم فلسطين "وهي في طفولتها تحضر الدروس التي تقيمها مدرسة الأحد اليهودية وتسمع الحاخام وهو يخبرهم بأن العرب واليهود هم أبناء إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم، فصارت تتمنى أن تذهب إلى فلسطين لرؤية أولاد عمها والاجتماع بهم، ثم إنها صدمت بعد ذلك يوم رأت أبويها يحتفلان بقرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧م ويجمعان التبرعات لإقامة الدولة اليهودية ثم يحتفلان بانتصار اليهود سنة ١٩٤٨م، فصارت تناقش أبويها بقوة في موضوع إقامة دولة اليهود على أحزان العرب وآلامهم، فكانا يعجبان من كلامها، ومن المفارقات العجيبة أن معظم زعماء اليهود يعتقدون أن الله وكيل للعقارات يهبهم الأرض ويخصهم بها دون غيرهم، كل هذه التناقضات جعلت مريم تكتشف زيف اليهود سريعاً، وتكتشف أيضاً حقد العلماء اليهود على المسلمين وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لذا كانت الهوّة تتسع مع مرور الوقت، ويزداد النفور كلما اقتربت من اليهود وتعمقت في أفكارهم"(١).

دور المسلمين تجاه القدس

ينبغي أن يكون دور المسلمين تجاه القدس دوراً عظيماً؛ حيث إنه "في القرون التالية باستثناء أقل من مائة عام هي فترة الحروب الصليبية واحتلال الفرنجة لفلسطين، كانت عقيدة التواصل الديني الإنساني القرآنية أساس الحياة الاجتماعية كلها في الأرض المقدسة، كانت قدسية القدس تحت الحكم الإسلامي تتجلى في انفتاحها على أتباع الديانات السماوية الثلاثة، فقد حظيت بالحماية كل الكنائس والأديرة المسيحية من كل الطوائف وتم بناء غيرها مع الزمن؛ أما القلة من اليهود الذين عادوا تدريجياً فلم يكن لهم هيكل، لأنهم كانوا يؤمنون أن المسيح وحده حسب عقيدتهم الذي سيظهر آخر الزمان، هو من يملك حق إعادة بناء هيكل سليمان المدمر ورده إلى سابق مجده، مع ذلك فقد كان لهم دور عبادة وكانوا يتمتعون بحرية العبادة أمام آخر ما تبقى من هيكل هيرود، وهو ما يسمونه (حائط المبكى) الذي لم يمسه المسلمون، ومع مرور القرون كان يأتي الحجيج من الأديان الثلاثة يختلطون في شوارع القدس العتيقة، المدينة المقدسة لهم جميعاً"(٢).

وانطلاقًا من دور المسلم الحق دافع محمد أسد عن القضية في الصحف فيقول: "أصبح لي الآن أصدقاء كثيرون بفلسطين من اليهود والعرب، وفي الحقيقة نظر إليَّ الصهاينة نظرات دهشة واسترابة بسبب تعاطفي مع العرب الذي كان واضحًا في مراسلاتي التي أبعث بها إلى صحيفة فرانكفورتر

(١) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص١٤.

(٢) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص١٩٤.

ذيتونج، كانوا في حيرة من أمري إن كان بعض العرب قد اشتروني (كان الصهاينة يؤمنون بأن شعب فلسطين اعتاد شرح مواقفه بالمال) أم أنني من ذوي الأفكار الشاذة الذين يهوون الإثارة، ولكن لم يكن كل اليهود الذين كانوا بفلسطين في ذلك الوقت من الصهاينة، كان بعضهم قد قدم إلى فلسطين من دون دافع سياسي؛ ولكن بشغف ديني للأرض المقدسة وما تثيره في أنفسهم الأحداث التوراتية من حنين لرؤيتها"(١).

وكان محمد أسد قبل إسلامه يدافع عن القضية الفلسطينية ويستنكر الأعمال الصهيونية، وبعد إسلامه أصبح موقفه الدفاعي ينطلق من ارتباطه الديني بالقضية الفلسطينية، ومن ذلك ما رواه الأستاذ (أحمد زكي يماني) أنه حضر ندوة عالمية لمناقشة قضية القدس، اشترك فيها مندوبون عن الأديان الثلاثة، وتحدث المتحدثون والخطباء، وكان الشيخ اليماني أحد شهود هذه الندوة، فقال في روايته: إن أحد المتحدثين اليهود زعم في خطابه أن اليهودية أول الأديان، وأنها بذلك أولى ببيت المقدس من سائر الأديان، فانبرى له الأستاذ محمد أسد غاضباً متحمساً وأخذ يناقشه فقال: إنكم معشر اليهود لا تؤمنون برسالة عيسى، بل لقد آذيتموه وحاربتموه وطعنتم في شرف أمه فأنتم لديانته خصوم، كما أنكم لا تعترفون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم لديانته خصوم إذا فأنتم لا تؤتمنون على بيت المقدس، وما يقال عنكم يقال عن النصارى الذين لا يعترفون بالرسالة المحمدية وهم لها خصوم فهم أيضاً لا يؤتمنون على بيت المقدس، كما رفض محمد أسد "أن يكون عميلاً للصهيونية ضد المسلمين في فلسطين حيث حاولت الصهيونية، والدوائر الحكومية في الولايات المتحدة الأمريكية أن تجنده لصالحها وتتخذه عميلاً للصهيونية ضد المسلمين مقابل حفنة من الدولارات مستغلين وجود صلة قرابة بينه وبين مذيعة في راديو إسرائيل، ولكنه رفض رفضاً قاطعاً وبتر صلته بالشخص الذي كان يحاول تجنيده"(٢).

ومن أهم الأدوار المنوطة تجاه القدس، "دعوة المسلمين لتعليم الحفاظ على الهوية والذات من اليهود الذين احتفظوا بتماسكهم لمئات من السنين رغم وجودهم في بيئات معادية لهم، كما أن مريم جميلة توجه سؤالاً إلى أصدقائها السابقين من اليهود: هل لو عاد موسى إلى الحياة وذهب إلى إسرائيل بقراها الشيوعية وازدهار تجارة الخنازير بها سيجد فيها المؤمنين به حقاً أم سيجدهم في مصر التي هربوا منها مكدسين بالآلاف في معسكرات اعتقال عبد الناصر يعذبون لأنهم إخوان ومسلمون؛

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٠١.

لكنهم سينسون آلام التعذيب حالما يرون موسى ويلتفون حوله باكين بدموع الفرح والإيمان؟ وهل موسى ديان أولى بداود أم شهداء الأردن الذين احترقوا بالنابالم في شوارع القدس ومدن الضفة؟ وكم هي مؤثرة كلمات مريم وهي تهتف بحسرة إن نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم عن دخول المسلمين جحور الضب وراء اليهود والنصارى قد تحققت، فها هم الحكام المنتسبون اسماً للإسلام يذبحون المسلمين ويقتلونهم ويبيعون أراضيهم للأعداء ويفعلون بهم ما لم يفعله هؤلاء المخالفون من أهل الكتاب"(١).

ويعظم دور المسلمين تجاه القدس؛ "لأن الهدف الأساسي للصهيونية هو إفناء الإسلام ليس في فلسطين وحدها وإنما في مكة والمدينة كمرحلة تالية ولا بد من إعلان الجهاد للمواجهة العسكرية الحاسمة وهي السبيل الوحيد للحصول على الحقوق وليس التفاوض وقبل الجهاد لا بد من اتخاذ الخطوات الآتية:

١- تسوية جميع الخلافات بين الدول الإسلامية والتعاون لتكوين جيش إسلامي دولي تحت قيادة موحدة.

٢- ضرورة تصفية جيوب وحركات الماسونية في العالم الإسلامي.

٣- التحرر الكامل من التبعية الاقتصادية لأمريكا أو روسيا والاكتفاء الذاتي عسكرياً.

٤- القيام بحملة إعلامية واسعة لإبعاد العالم المسيحي عن تأييد الصهيونية.

٥- التأكيد على الطبيعة الإسلامية للجهاد أو حرب التحرير وذلك باستبعاد أية دوافع قومية أو اشتراكية أو عنصرية.

وإذا كتب النصر للجهاد الإسلامي العالمي فيجب اعتقال قادة إسرائيل والمطالبة بتسليم قادة الحركة الصهيونية العالمية ومحاكمتهم على جرائم الحرب التي ارتكبوها ويعدمون فوراً بعد إدانتهم، كما يعامل اليهود والمسيحيون المقيمون في فلسطين كأهل الذمة ويقتضي ذلك أن يتمتعوا بكامل حرية العبادة اتباع شرائعهم وتعليم أديانهم لأبنائهم والحفاظ على سلامة معابدهم وكنائسهم، ويدفعون الجزية بديلاً عن الزكاة ويعفون من الخدمة العسكرية؛ ولكن لا ينتخبون أو يعينون في مناصب كبيرة لعدم إيمانهم بالإسلام، وتغلق محافل الماسونية ويعاقب من يؤيدها بعد ذلك بالنفي، ويسمح لمن يريد

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص١٣١-١٣٢.

من اليهود مغادرة فلسطين بالهجرة كما ينفي من لا يقبل وضع الذمة منهم، ولا بد من إعادة كل الممتلكات والأراضي فوراً إلى أصحابها"[1].

من خلال ما سبق يثبت كل من لورد هدلي وروجيه دوباسكويه ومحمد أسد ومريم جميلة قدسية المسجد الأقصى، وبينوا مكانة القدس في الإسلام، وأكدوا سلب الصهاينة للقدس وأن الحركة الصهيونية دائماً موجهة ضد المسلمين، وأن الهدف الأساسي للصهيونية هو إفناء الإسلام ليس في فلسطين وحدها وإنما في مكة والمدينة كمرحلة تالية، وأنه لا بد من إعلان الجهاد للمواجهة العسكرية الحاسمة، وبينوا معارضتهم أن يكون القدس عاصمة إسرائيل، وقاموا بفضح عوار وعد بلفور وتقسيم فلسطين.

(١) المرجع السابق، ص١٢٧-١٣٠.

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق الفلسطينيين

إن قضية فلسطين قضية إسلامية، والعدوان عليها عدوان على دار من ديار الإسلام، فالسعي لتحريرها فريضة إسلامية، والدفاع عن حقوق أهلها مسؤولية المسلمين أجمعين، ونصرة المسلمين بعضهم بعضاً من الحقوق التي أوجبها الله تعالى عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأنفال: ٧٢]. والواجب نصرة الشعب الفلسطيني والوقوف بجانبه والسعي لرفع الظلم عنه كل حسب استطاعته، فعلى المسلمين جميعاً أن يقفوا ضد العدوان الإسرائيلي بالمرصاد، فالأغنياء ببذل أموالهم وإعانتهم، والإعلام بطرح قضيتهم، والكتاب يدافعون بأقلامهم.

ولأقلام المستشرقين الذين أسلموا صولات وجولات في الدفاع عن قضية إخوانهم الفلسطينيين من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم؛ حيث يعد محمد أسد من أبرز الشخصيات التي سعت في الدفاع عن القضية الفلسطينية، ومواجهة الأعداء الصهاينة وكشف مخططاتهم، فقد وقف موقفاً مشرفاً من القضية الفلسطينية، ولم تمنعه ديانته اليهودية سابقاً وتعصب أسرته لتراثها اليهودي من الدفاع عن حق العرب في فلسطين وبيان جرائم الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني.

محاورات مستشرق

في الدفاع عن حقوق الفلسطينيين مجالات عدة، ومن ضمنها المحاورات الجادة مع رؤساء الصهيونية من أجل نصرة الفلسطينيين؛ حيث إن نظرة اليهود للقضية تبرز من خلال هذه الواقعة التي يحكيها محمد أسد: "حينما ذكرت هذا الأمر للسيد أوزيشكين رئيس جمعية رواد المجتمع الصهيوني الذي التقيت به في ذلك الوقت، كان يبدو لي أن الصهاينة لا يميلون إلى إعطاء أية أهمية إلى حقيقة الأغلبية العربية، ومعارضتها للظاهرة الصهيونية، ولذلك لم يبدُ على أوزيشكين أي رد فعل لما قلته غير إظهار ازدرائه للعرب وقال: "لا توجد حركة مقاومة عربية حقيقية في فلسطين ضدنا، لا توجد حركة مقاومة ذات جذور بين الناس، كل ما تراه وتظنه مقاومة ليس إلا صراخًا وصياحًا من بعض الساخطين الملتاثين، وسينهارون خلال بضعة أشهر أو بضعة أعوام على الأكثر"[1].

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٤٦-١٤٧.

وهنا محاورة أخرى مع قائد الحركة الصهيونية من أجل الفلسطينيين يتبين لك من خلالها مدى التخطيط الخبيث للصهيونية، وهي "مناقشة مختصرة مع قائد الحركة الصهيونية حاييم وايزمان[1] بلا منازع؛ فقد أتى في واحدة من زياراته الدورية إلى فلسطين، والتقيت به في منزل صديق يهودي لم أملك إلا الإعجاب بالطاقة الفائقة لذلك الرجل –وهي طاقة ظهرت في حركات بدنه بخطواته الواسعة التي كان يقطع بها الغرفة جيئةً وذهابًا وقوة عقلية وذهنية بدت في جبهة عريضة ونظرات نفاذة– كان يتحدث عن المصاعب المالية التي تعوق تحقيق حلم الوطن القومي اليهودي في فلسطين، واستجابة اليهود الضعيفة في الخارج، تملكني انطباع أنه هو أيضًا مثل أغلب الصهاينة يميل إلى إلقاء المسؤولية الأخلاقية لكل ما يحدث بفلسطين على العالم الخارجي، دفعني ذلك إلى استغلال فترة صمت في حديثه إلى مستمعين ينصتون وكأن على رؤوسهم الطير وسألته: وماذا عن العرب؟ بدا كما لو كنت قد ارتكبت خطأ جسيمًا بتلك الملاحظة الشاذة؛ فقد أدار الدكتور وايزمان وجهه ببطء إليّ ووضع القدح الذي كان يحمله بيده وكرر سؤال: ماذا عن العرب؟ وأكمل: حسنًا، كيف تتوقع بأية حال أن تكون فلسطين وطنك القومي وتلك المقاومة العنيفة من العرب تواجهنا وعدا ذلك يشكلون أغلبية؟ هز الزعيم الصهيوني كتفيه كإجابة لتساؤله ثم أردف بجفاء: "نتوقع ألا يكونوا أغلبية بعد بضعة أعوام"، فرددت قائلاً: "ربما أنت تسعى في هذا الأمر على مدى أعوام طويلة ولا بد أنك تعلم حقائق الموقف أفضل مني؛ ولكن بعيدًا عن المشاكل السياسية التي قد تضعها المعارضة العربية أو لا تضعها في طريق تحقيق أهدافكم، ألم يؤرقك الجانب الأخلاقي من المشكلة في أي وقت؟ ألا تظن أنه من الخطأ من جانبكم طرد شعب عاش طول عمره في هذا البلد؟

أجاب وايزمان رافعًا حاجبيه في تحفز: ولكنها أرضنا، نحن لا نفعل أكثر من استرداد ما سُلِبَ منا بطريق الخطأ.

رددت: ولكنك كنت بعيدًا عن فلسطين على مدى ألفي عام تقريبًا، قبلها كنت سيد هذا البلد ليس كله بالطبع لمدة تقل عن خمسمائة عام، ألا تعتقد أن العرب بإمكانهم بالمنطق ذاته المطالبة بإسبانية– فهم على الأقل حكموا إسبانيا لمدة سبعمائة عام وخرجوا منها من خمسمائة عام فقط؟

(١) د. حاييم وايزمان قائد الحركة الصهيونية، ولد في روسيا عام ١٨٧٤م، ودرس في جامعات ألمانيا وسويسرا، كان مولعاً بالصهيونية منذ صغره، وفي عام ١٩٠٧م طالب اليهود بتوحيد العمل السياسي للحصول على وطن يهودي في فلسطين، ثم في عام ١٩٤٩م انتدب كأول رئيس لدولة إسرائيل حتى مات سنة ١٩٥٢م، انظر مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، ص٣٦٠.

تحول الدكتور وايزمان إلى حالة من نفاد الصبر الواضح قال: كلام فارغ، العرب غزوا إسبانيا فقط، لم تكن أبدًا أرضهم، والصحيح والصواب في نهاية المطاف أن يطردهم الأسبان منها.

رددت على حجته قائلاً: عفوًا، يبدو الأمر وكأن هناك تجاوزًا الرؤية التاريخية، فرغم أي شيء جاء العبرانيون أيضًا كغزاة لفلسطين، قبلهم بعصور طويلة كانت قبائل سامية وغير سامية تسكن فلسطين- العموريون والأدوميون والفلسطينيون والموآبيون والحوثيون، واستمرت تلك القبائل في المعيشة في فلسطين حتى بعد غزو العبرانيين لها، وكذلك في عصر مملكتي يهودا وإسرائيل واستمروا في العيش هنا بعد أن طرد الرومانيون أسلافنا اليهود من أرض فلسطين، وهم ما زالوا يحيون على الأرض ذاتها حتى اليوم، حتى إن العرب المسلمين الذين غزوا فلسطين وسوريا في القرن السابع الميلادي كانوا أيضًا أقلية مقارنة بسكان البلاد؛ كان السكان الذين يشكلون الأغلبية هم من نطلق عليهم اليوم عرب فلسطين وعرب سوريا أي سكان البلاد الذين تعربوا، بعضهم تحول إلى الإسلام عبر القرون الماضية وظل آخرون على ديانتهم المسيحية، وتزاوج من أسلموا مع إخوانهم في الدين أهل الجزيرة العربية؛ ولكن هل تنكر أن الكتلة الرئيسة للشعب الذي يعيش على أرض فلسطين، ويتحدث العربية سواء مسلم أو مسيحي، هم الامتداد المباشر ونسل السكان الأصليين الذين كانوا على هذه الأرض من آلاف السنين؟ وكانوا أيضًا يعيشون هنا قبل وصول العبرانيين بقرون طويلة؟ ابتسم الدكتور وايزمان في أدب ردًا على حماسي وأدار الحوار في اتجاه آخر ومواضيع أخرى"(١).

ومحاورة أخرى مع مراسل صهيوني دفاعاً عن الفلسطينيين؛ حيث "انتمى صديقي الهولندي جاكوب دي هان إلى تلك الفئة الأخيرة، كان قصيرًا، بدينًا، ذا لحية شقراء في بدايات الأربعينيات من عمره، وكان قد درس القانون في واحدة من كبرى جامعات هولندا وكان في ذلك الوقت مراسلاً خاصًا لجريدة هاندلسبلاد التي تصدر من أمستردام ولصحيفة ديلي إكسبريس اللندنية، كان ذا إيمان ديني قوي- مثله مثل يهود أوروبا الأرثوذكس- إلا أنه لم يقبل المخطط الصهيوني، كان يؤمن بأن عودة شعبه إلى أرض الميعاد لا بد أن تنتظر حتى تتحقق عودة المسيح كما ورد في التوراة.

قال في أكثر من مناسبة: نحن اليهود طردنا من الأرض المقدسة وتشتتنا في جميع أرجاء العالم لأننا رسبنا في أداء المهمة التي كلفنا الرب بها، لقد اختارنا لنبشر بكلمته؛ ولكن في ذروة عنادنا الأجوف اعتقدنا أنه اختارنا كشعب مختار من أجل خاطرنا نحن وهكذا خنا ما اختارنا لأدائه، ولم

(١) المرجع السابق، ص١٤٨-١٥٠.

يتبق لنا إلا أن ننقي ونطهر قلوبنا وحين نصبح مستحقين تلك الأمانة من جديد وأن نكون حملة رسالته، فإنه سيرسل مسيحه ليقود عبيده إلى الأرض الموعودة.

سألته: ولكن ألا تشكل الفكرة المسيحانية هذه أساسًا للحركة الصهيونية أيضًا؟ أنت تعلم أنني لا أوافق عليها، ولكن أليست رغبة طبيعية لكل شعب أن يكون له وطن قومي خاص به؟

نظر الدكتور دي هان إليَّ بسخرية: هل تعتقد أن التاريخ ليس إلا سلسلة من الحوادث؟ أنا لا أعتقد بذلك، لم يجعلنا الرب نفقد الأرض بلا غاية محددة ولم يشتتنا بلا هدف، إلا أن الصهاينة لا يريدون أن يقبلوا ذلك ويعترفوا به صراحة بينهم وبين أنفسهم، إنهم يعانون هم أيضًا من ذلك العمى الروحي الذي تسبب في انهيارنا، كانت آراء جاكوب دي هان السياسية سببًا في أن يكون مكروهًا بشدة من قِبل الصهاينة وبالفعل بعد مغادرتي لفلسطين بفترة وجيزة أصبت بصدمة حين علمت أنه اغتيل بإطلاق الرصاص عليه من قِبل إرهابيين صهاينة، حين تعارفنا كانت علاقاته الاجتماعية محدودة بعدد قليل من اليهود الذين يؤمنون بوجهة نظر مماثلة لوجهة نظره وبعض الأوروبيين والعرب"[١].

تعصب قادة الصهيونية وظلمهم للأبرياء

قادة الصهيونية رغم معرفتهم للحق يفتقدون إلى المنطق والحجة، "فلم يتوقع أن تكون الخطة الصهيونية بهذا التهافت وافتقاد المنطق والحجة: أملت أن يبعث دفاعي عن القضية العربية بعض التشكك لدى قادة الخطة الصهيونية عدم يقين قد يدفعهم إلى مراجعة أفكارهم ودوافعهم، وربما أدى عدم اليقين إلى استعداد أكبر لقبول وجود حق أخلاقي وراء المعارضة العربية، إلا أن أي من ذلك لم يحدث، بل على العكس وجدت أني أقابل بحائط بارد من النظرات المتسائلة: نظرات استنكار لتهوري وجرأتي على التشكيك فيما لا يقبل الشك، وهو حق اليهود في أرض أسلافهم، وتعجبت، كيف يمكن لأناس تميزوا بذكاء مبدع وخلاق مثل اليهود أن يفكروا في الصراع بوجهة نظر أحادية فقط؟ ألم يرد إلى أذهانهم أن مشكلة اليهود في فلسطين من الممكن أن تحل المدى البعيد بتفاهم وتعاون ودي مع العرب؟ هل هم فاقدو البصر بدرجة ميؤوس منها لما يمكن أن تؤدي إليه سياستهم

(١) المرجع السابق، ص١٥٤-١٥٦.

في المستقبل من آلام؟ معاناة ومرارة وكراهية ستتكون وتولد في نفوس العرب ضد جزيرة يهودية صغيرة- حتى لو نجحوا مرحليًا- وسط بحر عربي معاد؟"(١).

بل تعدى الأمر إلى ظلم قادة الصهيونية للأبرياء الفلسطينيين؛ حيث "عانت مثل تلك المعاناة العسيرة ووقعت عليها مظالم عديدة في مسيرة هجراتها الطويلة المؤسفة، ثم توقع الظلم الذي عانت منه برؤية أحادية الجانب، على أمة أخرى بريئة من الآلام والفظائع والويلات التي تعرض لها اليهود في أرجاء العالم مثل تلك الظاهرة، كما أعرف لم تكن الأولى في التاريخ إلا أنها كانت مبعث حزني الشديد؛ لأنها تقع هذه المرة على مرأى مني"(٢).

فضح الصهيونية

ويعلن محمد أسد معاداته للصهاينة: "ومع أنني كنت يهوديًا فإنني تبنيت موقفًا معاديًا للصهيونية، وأدنت الموقف اللاأخلاقي للقوة العظمى التي تدفع بالمهاجرين اليهود من كل أنحاء الأرض حتى يصبحوا أغلبية وينتزعوا الأرض والبلاد من أصحابها الشرعيين الذين يحيون فيها من أزمان سحيقة، لذلك كنت أميل إلى الوقوف في صف العرب في كل مناسبة تثار فيها المسألة اليهودية العربية، وكان موقف يصعب فهمه لكثير من اليهود الذين صادفتهم أو جمعتني بهم مناسبات مختلفة في تلك الشهور، لم يفهموا ما الذي أراه في العرب الذين لا يرون فيهم إلا أناسًا متخلفين همجًا، ولم تكن نظرتهم إليهم ترقى عن نظرة الأوروبيين إلى الإفريقيين في وسط إفريقيا، لم يهتموا بأي قدر بما يشغل فكر العرب ولم يكلف أحد نفسه عناء تعلم اللغة العربية، تقبلوا جميعًا بلا أي قدر من التشكك أن فلسطين حق لهم وأنها إرثهم التوراتي"(٣).

وتكشف مريم جميلة الدعاية الظالمة من قبل الصهاينة في حرب ١٩٤٨م فتقول: "وصلت الدعاية الصهيونية في أمريكا ذروتها في الحرب الفلسطينية سنة ١٩٤٨م وصاحب التعاطف مع اليهود حملة منظمة في الإذاعة والصحافة، تبثُّ الكراهية الشديدة العمياء للعرب، لقد أحسست بفطرتي دجل الدعاية الصهيونية، ويا لخيبة أسرتي! فقد انحزت أكثر فأكثر إلى جانب العرب، وبعد أن قرأت كل كتاب عن تاريخ العرب وثقافتهم تيسر لي في المكتبة المجاورة لنا، وعلى الرغم من اللهجة الجافة بل المعادية، فقد اقتنعت جازمة أن الدعاية ضدهم كانت ظالمة، فكل ما قرأت عنهم في تلك الأيام

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٩-١٥١.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٩-١٥١.

(٣) المرجع السابق، ص١٤٧-١٤٨.

كان يثير إعجابي، وإن الميزات نفسها التي تنفّر الرجل الأمريكي أو الأوروبي العادي هي التي كانت تجتذبني"[1].

القدس عربية

مما لا شك فيه أن القدس عربية، وأول من سكنه العرب بعكس المفاهيم المغلوطة من قبل الغرب عنه، "فما الذي كان يعرفه الأوروبي العادي عن العرب في تلك الأيام؟ عمليًا لا شيء حين هاجر اليهودي الأوروبي إلى فلسطين جاء مصحوبًا بمفاهيم عاطفية مغلوطة ولو كان لديه حسن نية وذكاء ذهن، كان سيقر أنه لم يكن لديه فكرة عن الوجود العربي بها، أنا أيضًا قبل أن آتي إلى فلسطين لم أعرف أبدًا أنها أرض عربية تخص العرب، كنت أعرف فقط بشكل مبهم أن بعض العرب يعيشون فيها، إلا أنني تخيلت أنهم بعض قبائل مرتحلة تعيش في خيام وأنهم رعاة يسكنون واحات صحراوية، وأغلب ما قرأته عن فلسطين في أعوامي السابقة كتبه صهاينة -يعرضون قضيتهم فقط- لم أكن أعرف أن مدن فلسطين مدن عربية يعيش فيها العرب كانت النسبة السكانية عام ١٩٢٢م تبلغ خمسة من العرب مقابل كل يهودي ويعني ذلك بكل وضوح أنها بلد عربية"[2].

"ومن الواضح تعذر فصل هذا السؤال عن مشكلة البلد الكبير الذي تقع القدس في رحابه، أي المشكلة الفلسطينية نفسها وسكانها الشرعيين، أود أن أوضح أن معنى استخدام تعبير (الشرعية) هنا ليس بالمعنى الأخلاقي المجرد، بل بالمعنى المحدد المترتب على ألف سنة من التاريخ الفلسطيني، قد يبدو لأول وهلة كما يردد مؤيدو فكرة الدولة الصهيونية نفسها دائماً من اليهود والمتعاطفين معهم في الغرب؛ أن اليهود الذين استوطنوا فلسطين لعدة قرون في عصر ما قبل المسيحية وطردهم منها الرومان منذ ما يقرب من ألفي عام لهم فيها الأولوية الأخلاقية والتاريخية، ولكن فساد هذا الرأي يتضح بمجرد أن نتذكر أن التاريخ يعج بحركات التنقل أو التهجير الجماعي، ولذلك لا يمكن بناء حق لأي شعب في أي بلد بعد التهجير بقرون طويلة أو لألفي عام كما في حالة بني إسرائيل، ولو صح استخدام هذا السند الأخلاقي لإثبات (حق) فللعرب بناء على هذا السند الحق في العودة إلى إسبانيا التي حكموا أغلبها لأكثر من سبعة قرون وفقدوها كاملة منذ خمسة قرون فقط، ولكن لا يوجد عربي عاقل يعلن ادعاء عجيباً كهذا ولو نظرياً، لأنه يعلم أن عودة أسبانيا إلى الأسبان المسيحيين حقيقة تاريخية ترسخت بمرور سبعة قرون، ومن ثم لا مجال للتنازع السياسي حولها، برغم الصلات العاطفية القوية

(١) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص١٧.

(٢) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٤٦..

التي ما تزال تربطنا بذكرى أسبانيا المسلمة؛ أما في الحالة الفلسطينية فتبدو مسألة الملكية الشرعية ببعد جديد، فمن الضروري ألا نغفل أن العبرانيين غزوا فلسطين تدريجياً في الألفية السابقة على ميلاد المسيح ولم يدخلوا أرضاً خالية السكان فقبلهم بمدة طويلة كان هناك العموريون والإدوميون والفلسطينيون والمؤابيون والحيثيون وغيرهم"(١).

ولأجل تحقيق مطالب الصهيونية أقاموا المستعمرات اليهودية في فلسطين؛ حيث "كان يتملكني اعتقاد أن فكرة إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين ليس إلا فكرة مصطنعة، والأسوأ من ذلك أنها تهدد بتحويل ونقل كل التعقيدات والمشاكل المستعصية على الحل في المجتمعات الأوروبية إلى بلد كان سيظل أسعد حالاً لو لم يأتوا إليه، لم يكن اليهود يأتون إلى فلسطين كما يعود الغائب إلى منزله، بل كانوا يحاولون ويسعون أن يجعلوها منازلهم مخدوعين بالنموذج الأوروبي، باختصار كانوا غرباء يقفون على الأبواب ولذلك لم أجد أي غضاضة في إصرار العرب على مقاومة فكرة إقامة وطن قومي لليهود في قلب بلادهم"(٢).

و"ظلت تلك القبائل تستوطن فلسطين بعد أن طرد الرومان اليهود في القرن الأول الميلادي، وهم يعيشون هناك الآن في مخيمات اللاجئين بالقرب منها ويسمون (عرب فلسطين)، وهم مجموعة عرقية تختلف عن عرب الجزيرة العربية الذين انتزعوا فلسطين من البيزنطيين في القرن السابع الميلادي، كان هؤلاء العرب من الجزيرة العربية دائماً أقلية صغيرة بين السكان؛ أما الغالبية الساحقة ممن نسميهم اليوم بالعرب الفلسطينيين فهم في الحقيقة سكان البلاد الأصليين (المستعربون) وقد اعتنق كثير منهم الإسلام عبر قرون عديدة، ومنهم من بقي على المسيحية، وقد تزاوج مسلموهم مع مسلمي الجزيرة العربية، واتخذوا جميعاً العربية لغة لهم ودخلوا حوزة الحضارة العربية، باختصار الفلسطينيون (عرب) بالمعني الثقافي فقط مثل أغلب سكان العالم العربي خارج الجزيرة العربية حالياً؛ أما من الناحية العرقية فهم نسل سكان فلسطين الأصليين متعددي الأعراق، وهم أصليون بمعني أنهم عاشوا فيها لقرون لا حصر لها قبل ظهور العبرانيين، وأرجو المعذرة على هذا الاستطراد التاريخي لأني مقتنع بأهميته في سياق السؤال عن السكان الشرعيين لفلسطين، ومن ثم من الناحية التاريخية فإنهم الأوصياء الشرعيون على أماكنها المقدسة لاسيما القدس"(٣).

(١) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٨٧.

(٢) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص ١٤٧.

(٣) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٨٧.

وبناء على ما سبق فإن المسلمين هم الأحق برعاية القدس وقيادتها سياسياً ودينياً؛ حيث "ينبغي أن يتولى المسلمون رعاية القدس لتكون مدينة مفتوحة لأبناء الديانات الثلاث- وفي هذا التزام بالدعوة القرآنية للمؤمنين أن يذودوا عن ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [سورة الحج: ٤٠]. إن صفة الشمول التي يتصف بها الدين الإسلامي تؤهل أتباعه لهذه المهمة المقدسة، وهي تكلفهم بها بالمعنى التاريخي العميق الذي لا يبلغه أي قرار من الأمم المتحدة، أو أي دعوة ملفقة قائمة على ما حدث في فلسطين منذ ألفي عام"[١].

"ويتجلى الخلق الإسلامي تاريخياً في إقرار المسلمين عرباً وعجماً حق اليهود والنصارى في حرية العبادة في الأماكن المقدسة في القدس وكذلك في غيرها مما يقدسونه من أراضٍ، وعلى ذلك فالمسلم يعد القدس دائماً مدينة مفتوحة، والسؤال الآن هو كيف نحمي هذا الانفتاح من أثر التكتلات والاعتبارات السياسية الحالية والعابرة؟ أي منا ينبغي أو يستطيع أن يكون الضامن لانفتاحها؟"[٢].

رواية ومطالبة

ومن الجهود الجميلة التي ينبغي الإشارة إليها ما كتبت مريم جميلة من رواية باسم أحمد خليل وهي عبارة عن الحلقة الأخيرة لرواية أحمد خليل وهي ترجمة حياة لمهاجر عربي فلسطيني، بدأت مريم جميلة في كتابتها في أغسطس ١٩٤٩م وهي في الخامسة عشر من عمرها، فالفصل الأول من الرواية: يبدأ الحديث فيه عن طفولة أحمد خليل في قرية صغيرة بجنوب فلسطين وعن بيته وبيئته وأعضاء أسرته، وينتهي بذكر المأساة المفجعة التي حلت به وبأسرته؛ إذ أخرجوا من ديارهم أيام الحرب الفلسطينية في ١٩٤٨م، وهدمت القرية بأسرها بل قضي على كامل نظام الحياة فيها باستخدام القوات العسكرية الصهيونية الهائلة.

أما الفصل الثاني، فيبدأ النصف الثاني منه بأن أحمد خليل الذي كان قد بلغ الثامنة عشر من عمره يقرر مغادرة مخيمات اللاجئين من دون إذن من الحكومة، فيجمع الحوائج المتبقية لعائلته ويسافر للحج وينوي البقاء بالمدينة المنورة إلى أن يحين وقت العودة إلى فلسطين.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٧.

أما البقية الباقية من الرواية فإنها تدور حول ابن عمه راشد الذي كان رفيق سفره، وصديق حله وترحاله وحول أخيه الصغير خليفة الذي كان مصاباً في عقله، وابنه الوحيد إسماعيل الذي كان في حالة شك وعنف متزايدين على مر الزمن، وحول عبد الرزاق الطالب الكفيف بالأزهر الذي كان قد كفله أحمد خليل فكان راحة لقلبه وسكناً لروحه الجريحة.

الحلقة الأولى من الرواية تؤكد ما عليه المادية الغربية من الأخطار الوحشية، متخفية تحت شعار الإمبريالية الصهيونية وأهدافها، كما أن الحلقات الأخيرة تؤكد ما لصناعة الزيت في السعودية من الأضرار البالغة والآثار السيئة على الحياة اليومية، وفي آخر القصة النهاية لهذه العائلة المسلمة العربية(١).

فالمسلمون لا يتحملون أي شيء؛ بل "تتحمل إسرائيل المسؤولية الأكبر عن وجود هذا الجو التهديدي، لأنه لا يمكن إذلال شعب واضطهاده والاستشهاد عليه دون أن تثير رداً عنيفاً من ذلك الشعب، وللأسف ليس هناك أي أمل في أن توقف إسرائيل سياسة الاحتلال وتفكيك الفلسطينيين ودفعهم إلى اليأس، وقتلهم كلما خطر ببال المسؤولين الإسرائيليين ذلك، كما ليس هناك أمل مسوغ في أن توقف الولايات المتحدة تسليح الدولة اليهودية ودعمها سياسياً مهما تصرفت، وهكذا فإن القدس العزيزة جداً على المسلمين سوف تظل برميل بارود يهدد السلم العالمي، وهكذا سيظل بعض المسلمين بسبب اليأس المطبق يقاتلون إسرائيل والولايات المتحدة غير آبهين بكل الوسائل المتاحة لهم، ومن ثم يبدو أن مزيداً من التصعيد سوف يحدث بالتأكيد في تلك الحالة، سيتابع الشعب الغربي وحكوماته محاولاتهم الهستيرية الدفاع عن أنفسهم ضد هجمات إرهابية محتملة متخذين إجراءات غاضبة مثل ما يجري في خليج غوانتانامو الأمر الذي يؤكد أن الإرهاب سوف يستمر"(٢).

من خلال ما سبق يؤكد كلٌ من محمد أسد ومريم جميلة ومراد هوفمان أن أرض فلسطين حق للفلسطينيين العرب وليس لليهود وهي من أعظم حقوقهم، ويبرهنون على ذلك بالشواهد والأدلة التاريخية، وأن المسلمين هم الأولى لقيادة القدس، وكشفوا الدعاية الظالمة من قبل الصهاينة في الحرب الفلسطينية سنة ١٩٤٨م، ويحملون إسرائيل المسؤولية الأكبر عن وجود هذا الظلم العلني لشعب عزل.

(١) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص١١٣-١١٤.

(٢) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٦٣-١٦٤.

الفصل الثالث

حقوق من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق وقضايا المرأة المسلمة المعاصرة

وتحته مبحثان:

- المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق المرأة المسلمة
- المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن قضايا المرأة المسلمة

الفصل الثالث: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق وقضايا المرأة المسلمة.

المبحث الأول: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن حقوق المرأة المسلمة.

المطلب الأول: جهودهم في بيان مكانة المرأة في الإسلام.

لقد كرم الإسلام المرأة، وجعلها شريكة الرجل في عِمارة هذا الكون، وشريكته في العبودية لله دون فرقٍ بينهما في عموم الدين: في الاعتقاد والتوحيد، وفي الحقوق والواجبات، ومنحها حقوقاً لم تمنحها لها الأديان الأخرى.

وجاء الإسلام برفع مكانة المرأة وشأنها؛ بل أمر بإكرامها أمًّا وزوجة وبنتًا وأختًا وعمة وخالة، وحث على رعايتها وهي طفلة إلى امرأة وحتى الشيخوخة، ونظراً لأهمية موضوع المرأة في هذا العصر وما يثار حوله من مواضيع وشبهات، فإنه حري بنا أن نسلط الضوء على كتابات المستشرقين الذين أسلموا وما جاء في مؤلفاتهم فيما يتصل بمكانة المرأة المسلمة وواجباتها مع عدم إغفال بيان وصف المرأة لدى الغرب.

مكانة المرأة في الإسلام

تنجلي مكانة المرأة في الإسلام بكل نصاعة ووضوح لمن ينظر إلى تشريعاته وأحكامه نظرة سريعة؛ "لأنه أعطى المرأة موقعها المناسب والعادل، والإسلام لم يخرج المرأة فقط من غياهب الاحتقار الذي غرقت فيها قبل عهد الإسلام، وإنما أعطت المرأة موقعاً متميزاً في الشريعة ليس لها مثيل في أديان العالم كلها، الإسلام حرم المعاملة السيئة مع النساء التي عرفت قبل الإسلام، وإن تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم أثبتت المساواة بين الرجل والمرأة، وكل التهم الخاطئة الموجهة إلى ديننا سببه هو الجهل الكامل بالإسلام، والنساء كانت لهن مشاركات في التعليم والإدارة وحتى في القتال"(١).

وهنا إشكالية فإطلاق كلمة المساواة في هذا الموضع غير صحيح، والصواب استخدام كلمة العدل، وأن الإسلام وضع معيار العدل بين الرجل والمرأة.

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية خير دليل على هذه المكانة المتميزة للمرأة المسلمة، "فحينما يشير القرآن إلى المرأة فإنما يأمر باحترامها وتبجيلها مثلا حب الأم من المسلمات والرعاية الكريمة

---

(١) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٣٤-٣٥.

للزوجة من الأمور المهمة في الإســلام، وأن الآيات والأحاديث ترشــد إلى الرفق بالنســاء والمعروف إليهن"[1].

وقد جاء في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ما يدل على رفع مكانة المرأة والوصية بها خيراً، وحيثما "أشير إلى النساء في القرآن وجد التبجيل والاحترام مفروضًا علينا لهن، فحب الأمهات مسلم به؛ أما الاعتناء بالزوجات ومعاملتهن بكل عطف وحب وشفقة فقد حتم علينا بكل التأكيدات القوية والآيات الآتية وردت في القرآن الكريم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]. ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [سورة النساء: ٤]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١٢٨][2].

"وقد وعد الله في القرآن عباده من النساء الطاهرات العفيفات الفوز في الآخرة كما وعدها للأتقياء والورعين من الرجال، قال تعالى: ﴿﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥]"[3].

وفي سبيل إعلاء مكانة المرأة "منح الإسلام لها مركزًا عادلاً حسنًا يمكن أن تحصل عليه بمحض إرادتها في أي وقت شاءت فضلاً عن أنه لم ينتشل المرأة من أعماق هاوية الانحطاط التي كانت غارقة فيها في الجاهلية فحسب بل منحها مركزًا شرعيًا محددًا لا يمكن أي دين آخر أن يوجد نظيرًا له"[4].

وهنا دلالة أخرى على رفع مكانة المرأة وشأنها في القرآن الكريم؛ حيث "يعلم القارئ أن القرآن ليس فيه سـورة واحدة اسمها الرجل أو الرجال، بينما خصـص القرآن سـورة للمرأة تكريماً، وإن القرآن وهو الكتاب الحكيم الذي لا تناقض فيه ولا اختلاف فضـلاً عن وحدة النظم والنسـق والتكامل فيه، يوجه الحديث مخاطباً الرجل والمرأة معاً، دون تفريق بينهما، ويفترض بعض غير المســلمين أن النســاء ممنوعات من الدخول إلى المســاجد، أو أداء فريضــة الحج، بل إن البعض لا يزالون يظنون أنه يُعْتَقَد

(١) المرجع السابق، ص٤٠-٤١.

(٢) المرجع السابق، ص٧٦-٧٧.

(٣) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٤) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٦٨-٧١.

أن النسـاء لا أرواح لهن. يا لها من فظاعة! كيف سـتكون علاقة الإنسـان بالحقيقة إذا كان الأمر كذلك؟ إن من البشـاعة بمكان أن تسـتمر حياة مثل تلك الرموز في وجه البرهان الأكيد على ما يخالف ذلك؟"(١).

والمرأة الرجل في الإسلام " كلاهما من خلق الله متساويان، وقد خاطبهما القرآن الكريم على قدم المساواة، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥]. ولهم على الأرض الخطاب نفسه: التسليم لله، أي اتباع الإسلام وبلوغ السعادة عند الله في الجنة ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [سورة البقرة: ٢٥]. وبما أن الرجل والمرأة كل منهما يُكَمِّل الآخر فقد أنكر الإسلام (الرهبنة) باعتبارها نمط حياة يرضي الله ظاهريًا، بل الإسلام يرغّب في النكاح فمن استطاع الزواج فليفعل، ولكن على أساس عقد نكاح وذلك لعدة مقاصد"(٢).

وجاء التأكيد على مكانة المرأة في الإسـلام والرفع من شـأنها بأنه "لا يضـيع من شـأن المرأة أو يحتقرها في قياسـه لها بالرجل؛ لأن المعاملة في القانون الإسـلامي تقوم أن الجزاء من جنس العمل، فالحسـنة بالحسـنة، والسـيئة بالسـيئة، وهنا مربط الفرس ولب المشـكلة، فالنظرية الغربية تنكر الفروق القانونية المهمة بين الجنسين أصلاً وبشكل رئيسي، بينما لا ينساق الإسلام كلية وراء هذا الافتراض الخيالي"(٣).

"واتسـمت صورة المرأة في الإسـلام بالإيجابية، نظراً لأن القرآن لم يُلصق بحواء صفة الغواية، مما كان له عظيم الأثر نفسـياً في إضـفاء الإيجابية على المرأة، كما أن القرآن لا يذكر أنه عاقب حواء على غوايتها لآدم بأن كتب عليها عقوبة الحمل، أي حمل الجنين في رحمها، فالقرآن يصـف الذنب الذي ارتكبه كل من آدم وحواء على أنه فعل مُشترك أدى بأن ينزل كلاهما من الجنة إلى الأرض"(٤).

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٩٦.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٩٩.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٩١.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٧١.

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم

أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالنساء خيراً؛ ولذلك فإنه يُعد "بحق من أكبر أنصار المرأة إن لم يكن أولهم، لقد كان بهن رحيماً وعليهن رحيماً، عظيم الاحترام لهن وأوصى في خطبة حجة الوداع بالنساء خيرا"[(١)].

"وكان من حبه للنساء، فضلاً عن حبه للإنسانية والعدالة، أن عطف عليهن جميعًا وحاول في كل مناسبة إنصافهن، فحرم أول ما حرم وأد البنات، تلك العادة القبيحة القاسية التي تحدثنا عنها فيما سبق، ثم وضع حدًّا لتعدد الزوجات، فجعل العدد الأقصى منهن أربعًا، وزاد على ذلك أن نصح المؤمنين بالتفكير في الآية: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [سورة النساء: ٣]. ومن أحاديثه: ((أبغض الحلال إلى الله الطلاق))[(٢)].

"وقد منع النبي صلى الله عليه وسلم الجور الذي كانت تلقاه النساء قبل بعثه كما أمر أتباعه من المؤمنين باحترام الجنس اللطيف، أو لم يقل القرآن ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]. لقد فرضت تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم المساواة[(٣)] بين الجنسين وأني أقول دون أن أخشى في ذلك لوم المعارضين أن الإسلام قد وضع أقوم الطرق لتثقيف المرأة عقليًا واجتماعيًا، أمر بإكبار المرأة الفائق واحترامها الزائد وحبذا لو تعلمت الغربيات اللغة العربية وأمكنهن دراسة القرآن الدرس الكافي الذي يكفل إزاحة كثير من سوء التفاهم"[(٤)].

ومن الحقائق التاريخية في حسن تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع المرأة أنه كان من "أكبر المنتصرين لقضية المرأة إطلاقاً، وذلك حيث رفع من شأنها بشكل واضح وجلي، وكانوا يعتبرون ولادة الأنثى شؤماً ولعنة ويدفنون أحياء، وهناك حالات عديدة حيث تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع النساء بالرحمة مثلاً: سامح الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة اليهودية التي دست السم في طعامه الذي تسبب في موته مؤخرا"[(٥)].

(١) اتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم، الحج إلى بيت الله الحرام، ص٨٨.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطلاق تفريع أبواب الطلاق، باب في كراهية الطلاق، (٢/٢٥٥) ح (٢١٧٨) قال الشيخ الألباني: ضعيف.

(٣) إطلاق كلمة المساواة غير صائبة وإنما كلمة العدل أنسب وأصوب.

(٤) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٦٨-٧١.

(٥) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام ص١٤٩-١٥٠، نعم سامحها لفعلتها لكنه صلى الله عليه وسلم عاقبها قصاصاً لقتلها أحد الصحابة.

وهناك أحاديث كثيرة من أقواله صلى الله عليه وسلم ما يدل على وصيته بحسن التعامل مع المرأة، "فالنصوص القرآنية والنبوية في ذلك كثيرة منها ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [سورة الإسراء: ٢٣]. ((الزمها فإن الجنة تحت أقدامها))[١]، ((أمك ثم أمك ثم أمك، ثم أبوك))[٢]، ((خيركم، خيركم لأهله))[٣]، ((كفى بالمرء إثمًا أن يضيع أهله))[٤]، ((أوصيكم بالنساء خيرًا))[٥]، ((الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة))[٦]، وانفرد الإسلام بفرض جزء من الميراث للأم والزوجة والبنت والأخت[٧].

ودلالة أخرى على حسن تعامله صلى الله عليه وسلم مع نسائه وبيان فضل إحداهن "فقد قال الرسول ذات مرة لعائشة عن فضل زوجته السابقة خديجة أنها آمنت به حين كذبه الناس، وواسته بمالها حين صرفه الناس، ورزق منها الأولاد حين لم يرزق من غيرها، وكانت عائشة بذكائها ودقتها مصدراً موثوقاً به في رواية الحديث، إن مقت الإسلام ونهيه عن التبرج وارتداء الملبس الخليع وتحريمه لاختلاط الجنسين غير المقيد، هو في واقع الأمر لصالح المرأة وتعزيز مكانتها فعلاً، وليس لمصلحة الرجل كما يحاول أعداء الإسلام المغالطة بعكس الواقع"[٨].

فالإسلام كرم المرأة، "وليس أدل على تكريمها وإسباغ أعظم التقدير عليها، من أحاديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- في هذا الصدد، وأشهرها ما معناه ((أن الجنة تحت أقدام الأمهات)) [٩]، هذا التكريم والتعظيم للمرأة إنما هو لانفرادها عن الرجل بقدرتها على حمل حياة في أحشائها، ومدها بما تتطلبه لتتطور التطور الطبيعي كما شاء الله، ألا يكفي دليلاً على ذلك التقدير، شدة العقوبة الرادعة التي توقعها الشريعة على الذين يرمون البريئات من المحصنات بأنهن زانيات؟ يقول الله تعالى في سورة

---

(١) سنن النسائي كتاب الجهاد، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة، (١١/٦) ح (٣١٠٤) قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، (١٩٧٤/٤) ح (٢٥٤٨).

(٣) رواه الترمذي كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، (٧٠٩/٥) ح (٣٨٩٥)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) المؤلف ربما يشير إلى هذا الحديث، عن خيثمة قال ((كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو إذا جاءه قهرمان له فدخل فقال أعطيت الرقيق قوتهم قال: لا قال: فانطلق فأعطهم قال قال: رسول الله كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته)) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم، (٦٩٢/٢) ح (٩٩٦).

(٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، (١٩٨٧/٥) ح (٤٨٩٠)، والحديث رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا)).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، (١٠٩٠/٢) ح (١٤٦٧).

(٧) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٢٩.

(٨) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ١٠٦.

(٩) سنن النسائي كتاب الجهاد، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة، (١١/٦) ح (٣١٠٤) قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

النور الآية الرابعة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [سورة النور: ٤][(١)].

ومما يدل على حرص النبي صلى الله وسلم على النساء والوصية بهن خيراً ما كان منه في خطبة الوداع؛ حيث "ألقى محمد صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأسابيع قليلة في عام ٦٣٢م في عرفة خطبة تقرأ كل عام في ذات اليوم، وذات المكان، لقد خاطب المسلمين في ذاك اليوم قائلاً: "أوصيكم بالنساء خيراً"[(٢)]، ولقد كان النبي نفسه بلا ريب، رجلاً بكل ما لهذه الكلمة من مدلول، وكانت المرأة تحتل لديه مكانة عليا، وتتمتع بتكريمه لها، متحملة مسؤوليات كبرى"[(٣)].

واجبات المرأة المسلمة

المرأة المسلمة عالٍ شأنها كما على عاتقها واجبات عدة، "فالواجب الأول للأم المسلمة هو أن تربي أولادها على حب القرآن وحب الرسول عليه الصلاة والسلام وآل بيته بعد أن تكون هي نفسها قدوة ممتازة لذلك، وأعني بالتعبير قدوة ممتازة أن كثيرات من النساء المسلمات في البلدان الإسلامية يقرأن القرآن وحسب دون أدنى فهم أو تنفيذ عملي لمعانيه، وهكذا الحال تجد فتياتهن المتدينات خاصة من طلبة المدارس يقرأن القرآن والحديث والكتب الإسلامية"[(٤)].

ولقد جاء التأكيد على دور الأم المسلمة "في التدين والوقار والاحترام والنظافة والاجتهاد في الالتزام بأعباء المنزل من نظافة وترتيب وإعداد الطعام والتدبير والإشراف والمتابعة، وهي التي تحث أولادها دوماً على الوضوء والصلاة في مواقيتها، وتحيطهم بدرع ثقافي توجيهي ضد البيئة الموبوءة أخلاقياً وسلوكياً في مجتمعاتهم المسلمة، وعلى الأم المسلمة أن تبدأ في هذا الصدد بتعليم أولادها الصلاة وأمور الدين الأخرى في سن مبكرة، فالأحاديث النبوية تخبرنا عن أن أطفال الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرتلون القرآن الكريم حتى قبل سن السابعة، لابد أن ينشأ الطفل المسلم على سماع المفردات المتداولة في دينه، مثل بسم الله، بإذن الله بمشيئة الله، الله أكبر، أعوذ بالله من الشيطان

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢٠٢.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٣٢.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٩٦.

(٤) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص٢١.

الرجيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن يكون مهيأ للتحدث بها بمجرد أن يصبح قادراً على الكلام"[1].

ومن الواجبات المهمة على المرأة المسلمة تلاوة القرآن الكريم وحث النشء على ذلك، "فالأم المسلمة لابد أن تداوم بين الحين والآخر على قراءة القرآن الكريم، والتناقش مع أولادها بالأحاديث النبوية، حتى تعيش أسرتها في حفظ الله دائماً، طالما دخلت في رحاب الإسلام وعملت بدينه وشرعه وذلك لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل: يا رسول الله، وما جلاؤها؟ فقال: تلاوة القرآن وذكر الموت))[2] وللأسف الشديد تحتفظ كثير من الأمهات المسلمات في بيوتهن بنسخة وحيدة من القرآن الكريم محبوسة في علبة جميلة من الحرير أو القطيفة فوق رف عال، لا لشيء إلا لاصطياد التراب، فالله عز وجل ينبهنا إلى الآتي ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [سورة البقرة: ١٥٢]. ولابد للأمهات المسلمات التمسك الشديد بدينهن وخوض الجهاد الأكبر مع أنفسهن كنساء"[3].

وكذا الاهتمام بأمر الصلاة وتربية النشء عليها، "فلابد للأم المسلمة أن تجعل الصلاة عملاً ومنظراً مألوفاً لأولادها الصغار حتى يسهل تعلمهم لها والتزامهم بها منذ نعومة أظافرهم، وذلك لنصيحة المصطفى عليه الصلاة والسلام: ((مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع))[4]، ثم لابد من تعليم الأولاد العبادات الإسلامية والعقائد الأساسية قبل وصولهم لمرحلة البلوغ"[5].

وبكل ما سبق يبرز دور المرأة المسلمة المثالي الاجتماعي، "فالإسلام يرى في قيام المرأة بأعباء الأمومة المعهودة إليها أنبل واجب، كما يرى في ذلك أساساً متيناً لكرامتها وتكريمها، وتطورها المحقق لذاتها"[6].

(١) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص٢٩.
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٩٢ / ٣) ح (١٨٥٩) وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة منكر.
(٣) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ١٠٦.
(٤) سنن أبي داود، كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، (١٣٣/ ١) ح (٤٩٥) قال الشيخ الألباني حسن صحيح.
(٥) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص٢٩-٣٠.
(٦) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢٠٢.

وصف المرأة الغربية

يصف الغرب المرأة بأوصاف شنيعة، وينظر إليها نظرات ازدراء وسخرية، فالمرأة عند النصارى شيطان "فإذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائناً بشرياً ولا كائناً وحشياً وإنما الذي ترون هو الشيطان بذاته والذي تسمعون هو صفير الثعبان"[(١)].

وينعت أيضاً بنعوت باطلة؛ حيث "كانت توصف المرأة من قبل البابوات النصرانية بـ(بوابة جهنم)، و(عمل الطبيعة الشريرة)، والفاتنة المشتهاة، ولقد كان وضع المرأة في عصر الجاهلية قبل الإسلام كما كان في أوروبا حيث لم تكن لها أية مكانة، أو حقوق أو امتيازات؛ أما في العصر الإسلامي تمتعت المرأة بالمساواة مع الرجل وحق امتلاك المال؛ في حين أن المرأة في إنجلترا حصلت مؤخراً على حقوقها القانونية الانفرادية"[(٢)].

بل تعدى الأمر إلى إلغاء وجودهن في الآخرة، "فالمسلمون لهم الأفضلية على المسيحيين المزعومين؛ إذ ليست لديهم فكرة من أن الجنة ليس فيها نساء فهم يعرفون أنه بما أن الله قد أوجد تلك العطية العظيمة على ظهر الأرض فهو سيوجدها أيضًا في الجنة وفضلاً عن ذلك، فإنه من المعقول جدًا أن المرء يكون مسرورًا وسعيدًا للغاية إن أقام في الحياة الأبدية في نعيم الجنة ومعه زوجته"[(٣)].

والمرأة عند اليهود والمسيحيين "مسؤولة عن إخراج آدم من الجنة فهي السبب في خطيئة كل البشر، حتى أولئك الذين يولدون اليوم وسيولدون غدًا وبعد غد، وأعطى هذا للمرأة وضعًا أصيلاً في الإثم والغواية، وأحد الأدعية المعروفة عند الرجال من اليهود شكر الله (على أنه لم يخلقني امرأة)"[(٤)].

وكذلك إقرار الديانة النصرانية دونية المرأة وتحميلها وزر خطيئة آدم عليه الصلاة والسلام؛ حيث اعتبرت المرأة في "العقيدة النصرانية المعروفة بالخطيئة الأصلية هي المسؤولة مباشرة عن دونية المرأة والتقليل من شأنها في الكنيسة، فمنذ أن أغوت حواء آدم للأكل من الفاكهة المحرمة أدان الآباء في الكنيسة المرأة بأنها المصدر القوي للخطيئة والغواية، ومازالت بعض الأديرة الإغريقية اليونانية الأرثوذكسية لا تحرم فقط دخول النساء وإنما تحرم أيضاً دخول الإناث من الحيوانات الأليفة، ففي

---

(١) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٢٨.

(٢) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ص ٥١.

(٣) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٧٦-٧٧.

(٤) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٢٩.

القرآن لا يوجد نظرية تؤصل دونية المرأة، فكل من آدم وحواء يتحملان بالتساوي خطأ معصيتهما لأوامر الله لهما، فالقرآن وضح أن الشيطان هو من أغوى"(١).

والشاهد على ذلك "قول القديس بولس: لأن حواء أكلت من الفاكهة المحرمة ثم أعطتها بعد ذلك لآدم وهكذا الرجل لم يخدع، بينما انخدعت المرأة تماماً ووقعت في الخطيئة والمعصية"(٢)، و"المرأة يجب أن تغطي رأسها في الكنيسة ليس ديانة، وإنما علامة على دونيتها"(٣).

ويقول القديس بول: "فلتأمروا نساءكم أن يلتزمن الصمت داخل الكنيسة، فليس مسموحاً لهن بالكلام، بل أمرن أن يبقين تحت الطاعة كما يقول القانون، وإذا كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن أزواجهن إذا عدن إلى منازلهن لأنه من المخجل والفاضح أن يتكلمن في الكنيسة"(٤).

وكذلك وضع المرأة اليهودية مزرٍ ومهان، "فالنظرة اليهودية للمرأة هي أنها أدنى في المكانة من الرجل وخاضعة له، فاليهودي يشكر الإله صباح كل يوم على أنه لم يخلقه امرأة؛ بينما تحمد المرأة الإله في صلاة الصباح كل يوم لأنه خلقها حسب حكمته، وتتبلور النظرة اليهودية للمرأة في قصة آدم وحواء كما وردت في التوراة والإنجيل، فالمرأة أدنى من الرجل؛ لأنها خلقت بعده ومن جسده كما أنها هي التي أغوت آدم بالأكل من الشجرة المحرمة؛ ولذلك فالمرأة بطبعها خاطئة، ومن هنا نشأ مفهوم الخطيئة الأولى أو الأصلية وجعلت حواء متسببة فيها ومن الواضح أن هذا التصور لقصة آدم وحواء غير موجود في الإسلام"(٥).

فيما مضى نجد أن اتيين دينيه ولورد هدلي ومارمادوك ومريم جميلة ومراد هوفمان بينوا مكانة المرأة في الإسلام وأثبتوا علو شأنها وفضلها، وبينوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان من أكبر المنتصرين لقضية المرأة، ودللوا على ذلك من الكتاب والسنة، فالآيات والأحاديث ترشد إلى الرفق بالنساء والإحسان إليهن، وتأمر باحترامهن وتبجيلهن، ولم تفرق بين الرجل والمرأة في العبادة، فكلاهما من خلق الله متساويان، وقد خاطبهما القرآن الكريم على قدم المساواة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ

---

(١) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٠١.

(٥) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٨٨-٨٩.

وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥]. وأكدوا بأنه لا توجد نظرية في القرآن تؤصل دونية المرأة أبداً، فالقرآن الكريم وضح أن الشيطان هو من أغوى، وقد وعد الله في القرآن إماءه من النساء الطاهرات العفيفات الفوز في الآخرة كما وعدها للأتقياء والورعين من الرجال.

وقاموا بالمقارنة بين وضع المرأة في الإسلام والمرأة في النصرانية واليهودية وأثبتوا ما في الديانتين المنحرفتين من نعوت شنيعة توصف المرأة بها، فهي المسؤولة عن إخراج آدم من الجنة، وهي السبب في خطيئة كل البشر حتى أولئك الذين يولدون اليوم وسيولدون غدًا وبعد غد، فالعقيدة النصرانية المعروفة بالخطيئة الأصلية هي المسؤولة مباشرة عن دونية المرأة والتقليل من شأنها في الكنيسة، وكذلك اليهودي يشكر الإله صباح كل يوم على أنه لم يخلقه امرأة، وتتبلور النظرة اليهودية للمرأة في قصة آدم وحواء كما وردت في التوراة والإنجيل، فالمرأة أدنى منزلة من الرجل؛ لأنها خلقت بعده ومن جسده، كما أنها هي التي أغوت آدم بالأكل من الشجرة المحرمة؛ ولذلك فالمرأة بطبعها خاطئة، فالباباوات النصارى وصفوها بأشنع الصفات فسموها الشيطان بذاته، والذي تسمعون هو صفير الثعبان، ونعتوا المرأة بـ(بوابة جهنم)، و(عمل الطبيعة الشريرة)، والفاتنة المشتهاة وغيرها من النعوت.

المطلب الثاني: جهودهم في الدفاع عن حقوق المرأة المسلمة الدينية والاجتماعية.

جاء الإسلام ليضع الميزان الحق لكرامة المرأة ويعطيها حقوقها كاملة، ويرفع عن كاهلها أوزار الإهانات، ولقد أولى الإسلام المرأة اهتماماً كبيراً، سواء كانت أماً أو أختاً أو زوجة أو بنتاً، وجعل لها من الحقوق ما يكفل سعادتها في الدارين، ويتضحُ ذلك جلياً من خلال آيات كثيرة في القرآن الكريم التي أرست قواعدَ العدل في التعامل مع المرأة بعد الظلم الذي كان يقع عليها قبل الإسلام.

كما أوصى الإسلام بالإحسان إلى المرأة، والإنفاق عليها حتى لو كانت صاحبة مال، وجعل مقياس الخير في الرجل بمقدار خَيره مع أهله، كما أعطاها حق ضرورات العيش من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وعشرة حسنة، وأعطاها حق الإرث أمًا وزوجة وبنتًا وأختاً، خلافاً لما كان عليه العرب في الجاهلية.

وفي كتابات المستشرقين الذين أسلموا نرى أن بعضهم قد أجاد في تناول هذه القضية المهمة وبيان حقوق المرأة المسلمة الدينية والاجتماعية بخلاف كثير من الأمم والشعوب.

الحقوق الدينية للمرأة المسلمة

ضرب لنا التاريخ الإسلامي مواقف مشرفة فيما يتعلق بحقوق المرأة المسلمة، "فإن تاريخ الإسلام مفعم بحوادث بأن ما وصلت إليه المسلمة من التهذيب والرقي كان من عوامل تأثير الدين وليس ناتجًا عن أي تشجيع أو وازع آخر، كان من بينهم المتضلعات في القوانين وأصولها والتوحيد والفقه والفنون الجميلة، ولقد تركن من ورائهن سجلات ضمت بين دفتيها من نبيل أعمالهن وبطولتهن ما لم نجده في تاريخ أي عالم آخر؛ كيف لا وقد ارتقين منصات الخطابة وفهن بالخطب البليغة المؤثرة وألقين المحاضرات الدينية في قاعات جامعاتهن، وطالما لعبن أدوارًا مهمة في سياسة بلادهن وبدون أن نلجأ إلى ما ورد في تصريح المقرظين والاتباع فقد كن ببعض كلمات من نصائحهن النفسية الخالصة يدرن عنان الإدارة أو يقدن الرأي العام إلى ما فيه خير البلاد وصالحه، كن في ساحة القتال يمرضن العليل والجريح ويحرضن الجند بطرق مشجعة على حماية بيضة أمتهن وحفظ كيانها ولا إخالك تعلمين أنهن كن يحاربن مع الرجال بشجاعة نادرة في كثير من الوقائع الحربية"[(١)].

---

(١) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٦٨-٧١.

وبالتأكيد فإن المرأة لا تختلف عن الرجل بالنسبة للتكاليف الشرعية في الإسلام، "فليس هناك مدعاة للدهشة، بل هو أمر مفروغ منه ألا تختلف المرأة المسلمة في وضعها الديني عن الرجل، فعليها الفروض كافة من صلاة وصيام وأداة الزكاة والحج، ويعبر القرآن عن هذا بشكل مؤثر وبليغ بأن يخص كلا من الرجال والنساء بالذكر منفرداً، فترد في سورة الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥][(١)].

وكذلك لا تختلف المرأة عن الرجل في الحقوق الدينية، "فإن النساء، في عقيدة المسلم، ليس لهن أرواحٌ فحسب، بل إنهن يتمتعن بالحقوق الدينية ذاتها التي يتمتع بها الرجال، ولهذا، يجب عليهن أداء فريضة الحج، ما استطعن إلى ذلك سبيلاً"[(٢)].

وكذلك فرض الإسلام للمرأة حق الميراث مثل الرجل "فالمرأة ترث نصف ما يرث أخوها كما ورد في الآية من سورة النساء، ولكن وضعها هذا أفضل؛ لأنها غير ملزمة بإنفاق ما ترثه على الأسرة، بينما يكون الأخ مسؤولاً عن الإنفاق على الأسرة بما فيها هذه الأخت التي ورثت نصف ما ورثه، فلها الاحتفاظ بكامل نصيبها، وعلى أخيها أن ينفق عليها حتى يزوجها إن لم تكن متزوجة، وبالتالي تحتفظ بنصيبها دائماً. كما يمكن للمورِّث أن يعطي من ثلث ميراثه لبناته فيضاف إلى حقهن"[(٣)].

والتعليل على مسألة حصة الرجل أكثر من المرأة في الميراث "أن الأزواج فقط هم الذين ينفقون على الأسرة بأكملها، كما أنه إذا رفضت الزوجة إرضاع ولدها من ثديها، فإن على الزوج أن يتحمل نفقة المرضعة، كما أن الزوجة، أو الأم، لها الكلمة الأخيرة في تنشئة الأولاد، بل يمكنها أن تطلب من القاضي التفريق بينها وبين زوجها بالطلاق"[(٤)].

"والشريعة الإسلامية على كل حال تهدف إلى حماية عزة المرأة وشرفها وكرامتها، وتحول دون استغلال الرجل لنقاط الضعف الخاصة عند المرأة المتأصلة بالفوارق الحيوية البيولوجية، وأما الصيغة

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٧٣.

(٢) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٨٨-١٨٩.

(٤) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٤٧-١٤٨.

الإســـلامية فهي كما يلي: كرامة متســـاوية واجبات مختلفة حالات متســـاوية وأدوار مختلفة، قيمة متســـاوية وقدرات مختلفة، وليس هناك أية طريقة معتمدة لقياس ما إذا كانت المرأة المهنية الغربية، نتيجة لما يسمى التحرير الأكبر، تتمتع بمزيد من السعادة والاستمتاع عن أخواتها النساء الشرقيات إلا أن الكثير منهن لا يحبِّذْن هذا التحرير، وإنني أشك على أي حال بأن نوعية الحياة بالنسبة للمرأة لا يمكن أن يضـمنها أي نظام إلا أنها نتيجة في جزئها الأكبر للمواقف الإنسـانية تجاه الآخرين، وتجاه الذات وإن السعادة في الحقيقة هي أمر قلبي، ولكن هناك أمراً واحداً يجب أن يحترمه النقاد الغربيون: فبالنسبة للمسلمين، وفيما يتعلق بحقوق الإنسان، فإن الكلمة الفصل في هذا المجال هي كلمة الله، وكلام الله هو القرآن الكريم"(١).

الحقوق الاجتماعية

كفل الإسلام للمرأة حقوقاً اجتماعية من أهمها حق الحياة، "فالإسلام حرم وأد البنات، ووضع حداً لتعدد الزوجات، والعدل بينهن وإلا فواحدة، وأبغض الطلاق إلا للضـــرورة، ولها طلب الطلاق إن لم يقم الرجل بواجباتهما الزوجية، وأن تستشار قبل زواجها، وجعل المهر خاصاً لها، وليس للرجل التصرف في مالها الخاص، ولها حق الميراث وهو نصف حق الذكر، وذلك لأنها لا تدفع مهراً وليست مكلفة بحاجات البيت"(٢).

أيضـــاً كفل للمرأة حقوقاً اجتماعية فيما يتصـــل بالحياة الزوجية، "فمنح المرأة حق المطالبة بالطلاق إن لم يوف الرجل بواجبات الزوجية، وبفضـــل تشـــريعاته الحكيمة أصـــبحت البنت البالغة تستشار قبل زواجها، وأصبح المهر لا يعطى للأب بل للعروس نفسها، وقد وصف أعداء الإسلام تلك السنة الحكيمة بأنها: شراء للمرأة، وهم لم يسمعوا فيما أظن، ذلك الجواب المفحم الذي يمكن أن يرد به المسلمون عليهم حينما يقولون لهم: إن المهر في بعض الأقطار الغربية يدفعه والد البنت إلى رجلها! وفوق ذلك فالمسلم مكلف بسائر حاجات البيت دون أن يكون له أي حق في التصرف في مال امرأته، ومنح الرسول -صلى الله عليه وسلم- أيضًا المرأة حقًّا في الميراث، وحقها فيه: نصف حق الذكر، وذلك لأن المرأة لا تدفع مهرًا كالرجل وليست مكلفة بحاجات البيت"(٣).

---

(١) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٢٩.

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٢٩.

وهنا شاهد عيان ودليل برهان على تمتع المسلمات من احترام وحقوق، حيث "ينظر في إنجلترا لمركز النساء المحمديات[1] كمركز منحط في هذا العالم، وذلك من تشويه وتحريف هؤلاء المحرفين للحقائق الذين كان يجب على تهذيبهم وأدبهم أن يعلمهم ولو الصدق على الأقل، وإني أقمت طويلاً في الشرق وبين إخواني كثير من الأصدقاء المسلمين الذين يحوي لهم فؤادي كثيراً من الإخلاص والاحترام ولم أسمع قط بمسلم عامل زوجته معاملة سيئة وربما كان هناك من يفعل ذلك من الطغام أسفل طبقات المسلمين إلا أن ذلك يخالف مبادئ الإسلام التي منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٣١]. فالمسلم الحقيقي يعتبر الجنس النسائي كأنه مقدس[2] ولا يدخر وسعًا في إدخال السرور والسعادة عليه، فخير للعالم لو انتشرت تعاليم نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم بأكثر ما يمكن، وإننا نحن معشر المسلمين نسترشد ونستعين في كل حياتنا بكتابنا القرآن المجيد"[3].

بخلاف "المرأة في الغرب كان لا بد عليها أن تتحرك لتحصل على الاعتراف بحقوقها القانونية والمدنية، في حين أنها مقرة ومعترفة بها في الإسلام"[4].

ومن الحقوق التي كفلها الإسلام للمرأة حق التعليم، "فطلب العلم في الإسلام فرض على كل مسلم ومسلمة، وفي الحديث الشريف امتداح للأب الذي يعلم ويربي بناته وللسيد الذي يهذب جاريته ويعتقها ثم يتزوجها، والقدوة العليا للمرأة المتعلمة في الإسلام هي السيدة عائشة رضي الله عنها التي كان لها فضل كبير في نقل أحاديث الرسول وحفظها، وتذكر مريم جميلة الأعداد الكبيرة من النساء اللواتي حفظن القرآن والفقيهات والمحدثات المذكورات في وفيات الأعيان لابن خلكان، وتنتقل إلى العصر الحديث لتضرب أمثلة من مختلف البلدان الإسلامية"[5].

وكذلك يقرر الإسلام مبدأ العمل للمرأة المسلمة، "فمن حيث المبدأ، فإن النساء غير ممنوعات من ممارسة أية مهنة عادية، ففي معركة أحد عام٦٢٧م، شاركت النساء المسلمات في كتائب المعارك المساندة، وفي موقعة الجمل عام ٦٥٦م، كانت فيها أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم، الصديقة بنت الصديق، عائشة بنت أبي بكر، رضي الله عنها وأرضاها"[6].

---

(١) لسنا محمديين وإنما مسلمون ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الحج: ٧٨].

(٢) كلمة (مقدس) فيها نظر.

(٣) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٧٥-٧٦.

(٤) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام ص١٥٩.

(٥) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإسلام، ص٨٥.

(٦) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٤٧-١٤٨.

"فإذا نظرنا إلى تحقيق المرأة لذاتها في مجال العمل المهني، فسنرى أن الوضع في معظم البلدان الإسلامية يبعث على التفاؤل، فعملية محو الأمية بين الفتيات تتقدم بخطى واثقة وناجحة وإن تكن بطيئة إلى حد ما بسبب ما تلقاه من معارضة من جانب بعض الأسر، وترتفع نسبة الأكاديميات في بلدان مثل تركيا والمغرب ولبنان وسوريا ومصر بالمقارنة بنسبهن في السعودية واليمن وبلدان الخليج"[1].

والمرأة المسلمة تتمتع في الإسلام بحقوقها القانونية بخلاف غيرهن، فاكتسبت "صفة قانونية لم تتمتع بها نظيراتهنَّ من النساء في أوروبا، ولم يحصلْنَ عليها إلا خلال القرن العشرين فحسب، فليس للزواج مثلاً أي آثار سلبية على الإطلاق على ممتلكات المرأة، فإن المرأة والمرأة فحسب، هي التي تستمر في إدارة ممتلكاتها وبيعها والتصرف بها، والتي كانت تملكها قبل الزواج، وبالشكل الذي تراه مناسباً لها، كما أن فصل الممتلكات (بدلاً من إشراف الذكر عليها) ليس إلا إنجازاً أوروبياً حديثاً، هو أمرٌ قانوني مفروغٌ منه في النظام الإسلامي في كل عصور الأمة الإسلامية"[2].

وتبرز محاسن الإسلام حول حقوق المرأة "بأنها تتمتع في الإسلام بنفس وضع الرجل، نفس الحقوق والواجبات والغايات: نفس الكرامة، نفس الروحانية، نفس الطبيعة الإنسانية"[3].

كما أنها تتمتع بقوة اجتماعية، "فيجب أن نفهم أن المرأة تتمتع بحماية اجتماعية قوية خاصة في السن المتقدمة، بناءً على ما تتلقاه من مهر ومجوهرات عند عقد قرانها لا يتبدد"[4].

مميزات الزواج الإسلامي

للزواج في الإسلام أهداف سامية ومميزات عديدة، فهو "عقد يهدف إلى إضفاء المشروعية على العلاقات الجنسية وإيجاد الأسس لجو أسري لتربية الأطفال، وإذا كان الإسلام يحرم العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج فإنه يحيل هذا التحريم إلى حقيقة عملية بتسهيل الزواج والطلاق وإعادة الزواج بحيث لا يكون هناك عذر للعلاقات المحرمة"[5]، "وإن الأسرة الإسلامية التقليدية هي وحدة من لبنات الاستقرار في المجتمع ولذلك فإن الزوجات الأربعة التي أبيح للمسلم تزوجهن، بناء أسري

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٤١.

(٢) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٧٥.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٣٤.

(٥) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٣٠٦.

يماثل تماما الكعبة ذات الأركان الأربعة، فهو إجراء لثبات وتوطيد دعائم المجتمع، والكثيرون لا يفهمون لماذا أقر الإسلام هذا النوع من البناء الأسري"(١)، وبناءً على التجربة الواسعة في بلاد إسلامية عديدة كمصر والسودان والسعودية وباكستان قد ثبت لها علو مكانة المرأة بين المسلمين حتى في البيئات الفقيرة وغير المتعلمة، والتماسك الأسري ثابت بين المسلمين على عكس ما هي عليه الحال في الغرب، والعلاقات الزوجية تقوم على تبادل الولاء والمودة والزيجات التي يرتبها الأهل والأقارب تمضي سعيدة دون ما يعكر الصفو"(٢).

ومن أهم مميزات الزواج الإسلامي مفهوم القوامة وتفضيل الرجال على النساء درجة كما جاء في القرآن الكريم، "فالله خلق الرجال متفوقين على النساء ولأن الرجال ينفقون على النساء في الحياة الأسرية، وهذا التفوق للرجال ليس مطلقاً بل نسبياً حسب رأيها، فليس كل الرجال متفوقين على كل النساء في النواحي الجسدية والذهنية، إن امرأة كعائشة أو خديجة تفوق الكثير من الرجال؛ ولكن لو وضعت أقوى وأذكى امرأة بجانب أقوى وأذكى رجل فإنه سيتفوق عليها، والأهم من كل ذلك أن مفهوم القوامة أو تفضيل الرجال درجة على النساء ليس مفهوماً عنصرياً وليس مطروحاً كسلاح في وجه المرأة، فالمرأة ليست محتقرة أو متدنية المكانة في الإسلام والنصوص كثيرة في احترامها وحسن معاشرتها وتوكيد حقوقها المختلفة على الرجل"(٣).

ومن محاسن الزواج الإسلامي البناء الاجتماعي، "ففي الإسلام ينظر إلى الأسرة السليمة كشرط لبناء وحدات اجتماعية أكبر، أسرة موسعة، قبيلة، أمة، ومن هنا يرى الإسلام أن الزواج فقط هو المكان المباح لإطلاق وإرواء الرغبات الجنسية، ويدافع عن الزواج ضد ظواهر التآكل والانهيار مثل: علاقات خارج إطار الزوجية باعتبارها ممارسات جنسية مخالفة للطبيعة وكذلك التقييم الشرعي للعلاقات مع المثيل في الجنس، ويدعو الإسلام إلى إبداء الرفق تجاه ذوي العقد الجنسية، لكنه يرفض إقامة علاقات جنسية مثلية كبديل عن الوضع الطبيعي أو كأسلوب في الحياة. ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ [سورة الأعراف: ٨٠]. وكذلك ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ٧٨﴾ [سورة هود: ٧٨]. وتقوم الأسرة الإسلامية أساساً على زواج أحادي

(١) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص١٣٠.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٠٢-٢٠٤.

(٣) المرجع السابق، ص٨٨-٨٩.

يتم بقبول الطرفين، ولا يُعتبر ذلك من الأسرار الكنيسة، بل اتفاقاً معلناً، وتعدد الزيجات مباح؛ لكن تحت شروط قلما يمكن التقيّد بها، كحالات محدودة يمكن أن تنطبق على أفراد أو جماعات: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾﴾ [سورة النساء: ٣]. وكذلك ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة النساء: ١٢٩](١).

ومن أبرز مميزات الزواج الإسلامي "تنظيم الغريزة الجنسية وقصرها على العلاقة الزوجية، وتأمين هذه العلاقة؛ لذلك يتجه أمر التعفف والبعد عن الشهوات إلى الجنسين، في سورة النور الآيتين ٣٠و٣١: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة النور: ٣٠]. وهذا أمر للرجل أن يحفظ عورته من السرة إلى الركبة، وعلى المرأة أن تفعل المثل وإن شملت عورتها مساحات أكبر من تلك، وتقول الآية: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النور: ٣١]. وهذا ما يخص المؤمنات في سورة الأحزاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩]. ولا توجد في القرآن نصوص أخرى تخص ملبس المرأة"(٢)، وأن غالبية النساء في العالم الإسلامي يحيين مع أزواجهن في علاقة مشاركة تحقق لهن ذواتهن حتى في بعدها الجنسي"(٣)، "ولم أصادف حتى الآن حالة انتهى فيها زواج إسلامي بسبب الشذوذ الجنسي لأي من الزوج أو الزوجة وإن كنت قد صادفت حالة امتنعت فيها امرأة ذات

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١٠٠-١٠١.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٨٢-١٨٣.

(٣) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٣٦.

مكانة مرموقة عن الزواج لهذا السبب، ويستلفت الامتناع عن الزواج الأنظار؛ لأن الزواج واجب ديني على كل قادر عليه، ولقد نهى القرآن عن العلاقات الجنسية الشاذة"(١).

وكذلك من محاسن الزواج الإسلامي أن العلاقة الزوجية والجنس في الإسلام مثاب عليهما من الله "على النقيض من المسيحية، استطاع الإسلام أن يدمج الجنس في حياة المسلم اليومية دون اتخاذ موقف أحادي متطرف، كما أن الإسلام لم يتخذ موقفاً مناهضاً للمرأة أو الزواج ولم يرفع في الوقت نفسه الزواج إلى مسألة القدسية، لقد أبدى المسلمون دهشتهم من أن الجنس والعلاقة الزوجية مثاب عليهما من الله، فقام الرسول بتوضيح ذلك حيث بين لهم أن العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج الشرعي إنما هي خطيئة يعاقب عليها الإنسان، إذاً فالأمر الأول أي الثواب هو الوجه الآخر للعملة، أي للعقاب على الخطيئة، ويتطابق الموقف العقلاني الذي يتخذه الإسلام من الجنس مع الفطرة البشرية"(٢).

نعم، لقد "استطاع الإسلام أن يحدد ويحافظ على موقف إيجابي وغير مضطرب من الجنس، وهذا يختلف تماماً عن المسيحية، وتأكيداً لاحترام القرآن للمرأة، فإنه يذكر أمثلة ونماذج إيجابية كثيرة للمرأة مثل: ملكة سبأ، أم موسى، زوجة فرعون، مريم وأمها"(٣).

ويمتد تميز الزواج الإسلامي إلى بناء الأسرة المتكاملة الأركان؛ حيث "يشدد الإسلام على الأهمية الجذرية، وبالتالي على قدسية الأسرة، باعتبارها اللبنة الأساسية التي يتكون منها المجتمع، وبكونها الملاذ الآمن والحصين للرفاهية العقلية، والعاطفية، والمادية للزوج والزوجة والأولاد والأجداد، والأقارب شركاء الزواج هم الدروع الواقية لبعضهم البعض ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]. وينبغي توافر المودة والرحمة بين الزوجين: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الروم: ٢١]. بالتبعية ووفقاً إلى القواعد القرآنية والسنة النبوية المتعلقة بذلك، يدافع المسلمون عن المثاليات من نوع العذرية، وتحريم العلاقات الجنسية ما قبل الزواج، وخارج العلاقة الزوجية هذا الاتجاه المحافظ يتوافق بشكل كامل مع ما كان يمثل القاعدة في الغرب حتى الحرب العالمية الثانية باستثناءات محسوسة"(٤).

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٨.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢٩٣.

(٣) المرجع السابق، ص١٧١-١٧٢.

(٤) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص١٠٧.

بيد أن هناك مراسم للزواج الإسلامي، "فيحرص الوالدان أو الأوصياء على أن يتم الزواج الإسلامي التقليدي على أساس (عقد زواج) يصاغ بدقة وعناية على نحو يجعل من غير الممكن أن يتزوج الرجل زواجاً ثانياً، ويؤمن الزوجة مالياً عند حدوث طلاق بالنص على مؤخر صداق كبير(١)، وثمة أسلوب يتسم بالدهاء لتحقيق الاستقرار للزواج يتمثل في النص على أن يؤدى الصداق (المهر) كاملاً أو جزئياً في حالة وقوع الطلاق، ومن ثم يصير الطلاق بالنسبة للزوج كما هي الحال في القانون الألماني الجديد، مخاطرة مالية لا يستطيع أن يتحملها(٢)، والزواج في الإسلام ليس سراً من الأسرار وإنما هو عقد، ولكن يفصل بين عقد القران وحفل الزفاف في بعض الأحيان عام أو عامان"(٣).

الانفلات الجنسي في الغرب

يشهد مجتمع الغرب جنوناً جنسياً خطيراً؛ مما أدى إلى انحلال في العلاقات الجنسية؛ وبالتالي إلى الاختلال في نظام الأسرة وانهياره، فالمرأة الغربية "ليست تلك المخلوقة الضعيفة المسكينة هي التي تلام وحدها فما هي في الواقع إلا نقطة صغيرة في دلو، ولا تلك الآنسة التعسة التي تبيع شخصها لتحفظ جسمها وروحها معًا، إذًا هي امرأة هذا المجتمع الفاجرة السافلة هي التي تحدث كل هذا الضرر، الخبث الكامن فيها هو الذي يجعلها خائنة لزوجها ويقودها إلى تدمير أخلاق الشبان الذين لولا ذلك لتزوجوا وحصلوا على حياة سعيدة، ما يسمى عادة بالبغاء هو طبعًا عمل كريه وفظيع جدًا عند ما يرتكب بنساء مسكينات يردن بإتيانه القيام بأودهن وحفظ حياتهن أو عائلاتهن إلا أن بغاءهن لا تقدر سفالته بواحد على ألف من سفالة البغاء المنتشر بين تلك الصفوف التي ليس البغاء ضروريًا لحياتها بتاتًا بل ما هي إلا الرذيلة البحتة المجردة"(٤).

ومن نتائج العبث الجنسي في الغرب اختلاط الطبقات الاجتماعية، "فالفوضى والاضطراب يُهيْمنان في كلّ الميادين، وبلغا حدًا يتجاوز بكثير كل ما شوهد في الماضي وانطلاقًا من الغرب

(١) ليس دائماً على إطلاقه بل يجوز لها أن تضعه شرطاً في عقد النكاح.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٣٠-١٣١.

(٣) المرجع السابق، ص١٣١.

(٤) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٨٩.

أصبحا الآن يهددان العالم بأجمعه يظهر أنه علامة على أخطر أزمة مرّت بها الإنسانية خلال الدورة الحالية، حيث تختلط الطبقات الاجتماعية وحتى الأسرة لا يعود لها وجود"[١].

ومما ساعد على إحداث الثورات الجنسية الرأي العام في الغرب؛ حيث "يُعَدُّ التحول في موقف الرأي العام من الشذوذ الجنسي أحد الأعراض المميزة للتوحش والعبث الجنسي الذي أحدثته (الثورة الجنسية) كان الطب النفسي حتى فترة طويلة عقب الحرب العالمية الثانية، يَعُدُّ الشذوذ الجنسي أحد أشكال الفساد الجنسي وإحدى صور انحطاطه الواضحة؛ أما في عام ١٩٧٢م، فقد حدث تغير ما حين صنف المعجم الأمريكي لتوصيف الأمراض النفسية الشذوذ الجنسي مرضًا نفسيًا، ولكن سرعان ما ظهر الشذوذ الجنسي أسلوبًا للحياة، وانتفت به صفة المرض النفسي في الطبعة اللاحقة للمعجم"[٢].

ومن الآثار الوخيمة للتفلت الجنسي لدى الغرب انتشار الأمراض، "فالعالم الغربي الذي اضطره المرض المميت (الإيدز) إلى إعادة النظر والتفكير الجاد في أكثر من مجال، بدأت تسوده البوادرُ الأولى التي تشك في حقائقَ شتى آمنتْ بها ودعت إليها من قبلُ الثورةُ في مجال الجنس، ومجال الدفاع عن المرأة دفاعاً أنثوياً مفرطاً، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، أبدت أسفَهُن أولياتُ المديرات، لكونهن ضحين في سبيل مجدهن الوظيفي في مجال الأعمال بإنجاب الأطفال ولاستغنائهن بالعلاقات (الأختية) بين المرأة ومثيلتها عن علاقة الأمومة"[٣].

كذلك من الآثار الوخيمة لهذا التفلت الجنسي تعدي ضرره على الأطفال؛ حيث ينشأ الطفل في الغرب بلا أب ولا أم "وأن هناك الملايين من الأمهات اللاتي يتحملن بمفردهن تنشئة الأطفال بسبب غياب الأب، وهذا يؤدي بالقطع إلى وجود الكثير من الأطفال المضطربين، ولا يعاني هؤلاء الأطفال وحدهم من عدم رؤيتهم لآبائهم -إذا ما وجدوا أصلاً- في عطلات نهاية الأسبوع، ولكن كذلك يعاني أطفال الأسر التي تعمل بها كلا الأبوين، فهؤلاء الآباء والأمهات إنما يحاولون تبرئة ضمائرهم من تهمة إهمال أطفالهم بإغداق المزيد من المتع المادية عليهم، كاللعب، وهذه واحدة من صور الرشوة (لشراء) حب أطفالهم، وهم بذلك إنما يربون مبتزين صغارًا، وجيلاً جديدًا من المستهلكين الشرهين (جيلاً جديدًا ضحية للنزعة الاستهلاكية) ويتولى عن هؤلاء الآباء (مجموعات

---

(١) عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث، ص ٢٢.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣٥.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢٠٦.

الأصدقاء) مسؤولية التنشئة الاجتماعية للأبناء، هذه المجموعات تضم في معظمها أحداثًا تحولوا إلى تجار مخدرات"(١).

والإحصائيات الموثقة خير برهان على خطورة هذا الأمر؛ حيث "يترتب على شعور الأطفال بعدم الانتماء داخل الأسرة المفككة، وشعورهم بأنهم غير مرغوب فيهم، زيادة أعداد الأطفال الذين يعانون من الاكتئاب! حتى أصبح (٥٥٪) من المراهقين الأمريكيين من المدخنين، وهم يلجؤون إلى التدخين للتغلب على الضغوط العصبية أسوة بالبالغين، ويرى المراهق من خلال وسائل الإعلام قبل بلوغه سن الرشد في المتوسط (١٥) ألف جريمة قتل واغتصاب واعتداء بالضرب، وهذا ليس مستغربًا إذا ما علمنا أن هذا المراهق الحديث ما هو إلا رفيق الشاشة الصغيرة، يقضي حوالي (٣٠) ساعة أسبوعيًا في متابعة التلفزيون وألعاب الكمبيوتر، عنف يولد عنفاً"(٢).

لكن الإسلام نظم هذه الغريزة الجنسية من التفلت والعبث؛ حيث "إن الالتزام الخلقي يسود حياةَ المسلم والمسلمة، أو الوسطَ الإسلامي الحقيقي، فأنت لا ترى المداعبَات الجنسيةَ وتبادلَ القبلات ونحوها بين الرجال والنساء علناً في الشوارع والمحافل وغيرها، على العكس من السائد في الغرب المسيحي، كذلك يرفض الإسلام الأدب الداعر المكشوف وأفلام الجنس والصور العارية ونحو ذلك، ولا تمارس المسلمة أساساً أيةَ علاقات جنسية قبل الزواج، كما أن اللُقطاءَ والأطفالَ المولودين ولادةً غيرَ شرعية من الأشياء النادرة في المجتمعات الإسلامية"، ويبين مراد هوفمان أهمية البناء الأسري فيقول: "يتساءل الكثيرون من المعنيين وهم في حيرة من أمرهم: ماذا سيحدث لهذا الجيل الذي تربى في ظل غياب الأب؟ هل سيقوم هذا الجيل بالقضاء تماماً على الأسرة؟ ويولي المسلمون للأسرة أهمية قصوى، وينزلونها منزلة عالية حتى إنهم يرفعونها إلى أعلى مكانة، فيعدونها أهم وحدة اجتماعية، والمسلمون يدقون ناقوس الخطر حين يقولون: إن انهيار المجتمع يبدأ من الأسرة وينتهي كذلك عندها"(٣).

ولأجل حماية المجتمعات من هذه المخاطر السيئة جاء الإسلام بتحريم كل ما يخالف الفطرة السليمة مثل اللواط والسحاق، "فإن موقف الإسلام إزاء اللواط والسحاق يحظى باحترام الأغلبية الصامتة في الغرب التي تدين السياسة الغربية الجديدة التي تتعامل مع علاقات مثليي الجنس كأسلوب

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣٢-٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص٣٣-٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩١.

حياة اختياري، وكاتجاه من بين اتجاهات أخرى، ويخشى كثير من المراقبين الغربيين من أن التحسين العام لصورة اللواط والسحاق، بما في ذلك السماح بزواج مثيلي الجنس إنما هو مظهر من مظاهر التدهور وعلامة من علامات الانحطاط الحضاري، فهؤلاء الناس يشعرون بالفضيحة لوجود حيين كاملين في مدينة سان فرنسيسكو مخصصين بالكامل لمثيلي الجنس"(١).

ونظم الإسلام العلاقة الزوجية الشرعية وبين العلاقات المحرمة، "فالأبكار لا تفض بكارتهن قبل الزواج، ولن تجد في أية دولة إسلامية الإعلانات المألوفة في أوروبا علناً في الجرائد من مثل التي يطلب أصحابها تبادل العلاقات الجنسية بين الأزواج والزوجات في مجموعات الجنس، فيضاجعُ الرجلُ زوجة قرينه، وتضاجعُ زوجته زوج ضجيعة زوجها، وهكذا وشواطئ العراة والزواج اللوطي بين الرجل والرجل، والسحاقي بين المرأة والمرأة علناً، ولن تجد في البلاد الإسلامية كذلك المساكن المختلطة التي يعيش فيها الطلاب والطالبات معاً، وتحت سقف واحد"(٢).

وتجد التوازن الإسلامي الحق في مسائل الجنس؛ حيث "تتفاجأ عندما تسمع أن الإسلام يتعامل بإيجابية مع مسائل الجنس؛ حيث يميل الكثير من الشباب في أيامنا هذه نحو أسلوب حديث في المحافظة على القيم، فكثيرات من النسوة الغربيات اللواتي يشعرن بملاحقة الرجال لهن في الشوارع لمجرد ممارسة الجنس يبدين إعجابهن بالنساء المسلمات اللواتي يعطين في لباسهن وتصرفاتهن الانطباع بأنهن لسن فرائس سهلة، وقد أصبحت كثرة من النسوة الغربيات المطالبات بتحرير المرأة في مواجهة الاستغلال المستمر للنساء في الصور الخلاعية وعروض الأزياء ومسابقات الجمال والإعلانات التجارية التي تستغل الجنس وسيلة للترويج، يدركن الآن أن أخواتهن المسلمات يسعين إلى الهدف نفسه ألا وهو المحافظة على كرامة المرأة وأنهن يحققن نجاحاً أكبر في مسعاهن، وفي هذا الإطار هناك الموقف الإسلامي الصارم الذي يحرم الإجهاض إلا إذا كانت حياة الأم في خطر أكيد، وهذا الموقف يحظى باحترام متزايد في الدوائر الغربية المؤيدة للمحافظة على الحياة والتي تستهجن حقيقة أن المطارنة الكاثوليكيين أنفسهم أصبحوا اليوم يسمحون بالإجهاض لأسباب كثيرة مختلفة؛ أما الإسلام فيقف بوضوح موقفاً مؤيداً لحق الطفل في الحياة"(٣).

---

(١) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص١١١-١١٢.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢١٥.

(٣) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص١١٠-١١١.

نعم، لقد "حرم الإسلام أي علاقات جنسية خارج الزواج ويعاقب عليها بشدة، ويسمح الإسلام بالطلاق برغم أنه من أبغض الحلال عند الله، ولكن قد تحدث حالات لا يمكن فيها استمرار الزواج فينهيه الطلاق"(١).

من خلال ما مضى تبين كيف دافع كل من: اتيين دينيه ولورد هدلي وعبد الواحد يحي ومريم جميلة ومارتن لينجز ومراد هوفمان عن الحقوق الدينية والاجتماعية للمرأة المسلمة، فأثبتوا لها الحقوق الدينية المقررة في الكتاب والسنة وأنها لا تختلف عن الرجل في الحقوق والواجبات والتكاليف الشرعية عامة، وأن لها كرامة متساوية مثل الرجل، وأشاروا إلى حقها الشرعي في الميراث ودللوا على ذلك من القرآن الكريم.

كما أثبتوا للمرأة المسلمة الحقوق الاجتماعية من حق الحياة، فحرم الإسلام وأد البنات، وحق الزواج ووضع حداً لتعدد الزوجات، وحق المهر؛ حيث تتمتع المرأة المسلمة بحماية اجتماعية قوية خاصة في السن المتقدمة، بناءً على ما تتلقاه من مهر ومجوهرات، كما كفل الإسلام للمرأة المسلمة حق التعليم فطلب العلم في الإسلام فرض على كل مسلم ومسلمة، وأقر مبدأ العمل وفق ضوابط شرعية، وأكدوا على مفهوم القوامة وتفضيل الرجال على النساء درجة كما جاء في القرآن الكريم.

كما نظم الإسلام العلاقات الجنسية وقصرها على العلاقة الزوجية لبناء كيان الأسرة ومن ثم خلق جو أسري لتربية الأطفال، ففي الإسلام ينظر إلى الأسرة السليمة كشرط لبناء وحدات اجتماعية أكبر.

وبينوا مخاطر الانفلات الجنسي لدى الغرب وآثارها المدمرة من انتشار للأمراض الفتاكة وتفكك للأسر وانحطاط المجتمعات، وغياب للتربية السليمة للأطفال، وأكدوا على تحريم كل ما يخالف الفطرة السليمة مثل اللواط والسحاق وزواج المثليين وغيرها.

ونقل اثنان من المستشرقين تجربتهما في البلاد الإسلامية فيما يتعلق بالحقوق الاجتماعية للمرأة المسلمة وأنهما لم يسمعا قط بمسلم عامل زوجته معاملة سيئة، ولم يصادفا حالة انتهى فيها زواج إسلامي بسبب الشذوذ الجنسي لأي من الزوج أو الزوجة.

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٩-١٢٠.

المبحث الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن قضايا المرأة المسلمة.

المطلب الأول: جهودهم في الدفاع عن قضية تحرير المرأة المسلمة.

كان من أبرز الدعوات التي نتجت عن الحرية في بعض البلاد الإسلامية: الدعوة إلى ما يسمى بحركة تحرير المرأة المسلمة، وهذه الدعوات نتاج الهجمات الشرسة من قبل الغربيين من المستشرقين وغيرهم على الشريعة الإسلامية، وتشجيع المرأة على الخروج عن تعاليم دينها القويم.

والسؤال القائم هنا لماذا التركيز على المرأة من قبل الغرب؟ لإدراكهم أهمية مكانة المرأة المسلمة وتأثيرها على مجتمعها ولدورها الأساسي في الأسرة؛ ولأن تغريب المرأة المسلمة جزء من مخطط شامل لتغريب الأمة المسلمة، لذلك أيقنوا أنه متى ما أفسدوا المرأة ونجحوا في تغريبها وتضليلها ستهون عليهم حصون الإسلام.

وإن المرأة المسلمة اليوم في بلادنا مستهدفة، فأنتجت فوضى أخلاقية، وأخلاقاً منهارة، ولكنها بدأت ولله الحمد تفكر في أمرها وتسعى للعودة إلى فطرتها، بفضل التحركات الواسعة والردود الفعالة في رد هذه الشبهات من قبل العلماء والمصلحين، ومن ضمنها ما كتبه هؤلاء المستشرقون الذين أسلموا، وجهودهم في الدفاع عن هذه القضية؛ إذ كان لهم دور واضح وملموس يحسن إبرازه عبر عدة نقاط.

فضح أدعياء تحرير المرأة

ينطلق دعاة تحرير المرأة في تحقيق مآربهم من عدة شبهات وكلها داحضة بفضل الله ثم بفضل كتابات المستشرقين؛ حيث يثار تساؤل فعلاً: "هل المسلمات حقيقة قد قدر لهن حال من الذلة يرثى لها إلى هذه الدرجة؟ لاشك أن الحجاب وشبه الحبس في البيت المفروضين على المرأة المسلمة يبدو لعين المرأة الأوروبية المغالية في التحرر، أنهما من مظاهر الرق البالغ القسوة، فتظهر عطفها على المسلمات وترثى لحالهن؛ ولكنها لو علمت بما تسره هاتيك المسلمات من مشاعر وأفكار؛ لعجبت أن رأت نفسها هي الأخرى محل عطف من جانبهن ورثاء، لا موضوع حسد كما كانت تظن، ومن ناحية أخرى فإن التحجب ولزوم البيت ليسا على أي حال من الفروض الدينية بالنسبة إلى المسلمات، فنصوص القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ

ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣-٥٥]. التي تتخذ حجة في ذلك تنطبق فقط على نساء النبي ولا تتعلق بسائر نساء المسلمين الخاطئة للآية (٥٥) من سورة الأحزاب"[١].

وللرد على المطالبين بمساواة المرأة بالرجل تتجلى أهمية معرفة العلاقة المثالية بين الجنسين ودور كل منهما؛ حيث "تعرضت للفهم الخاطئ عند الغربيين، خاصة اليوم حين الزعم بتحقيق المساواة الكاملة بين الجنسين، تلك المساواة الكاملة التي لا يمكن -تحت أي حالة- تحقيقها إلا بمخالفة طبيعة الجنسين، وفي الحقيقة أنصف الإسلام المرأة بإعطائها حقوقًا -مثل حقها في الإرث- لم تكن لها في الجاهلية ولا اليهودية والمسيحية، مع تبجيل الشرع للأم ورعايته للزوجة والأخت وحمايته للبنت، ولم تحظ النساء في الغرب بحقوق مماثلة حتى قانون نابوليون منذ حوالي قرنين على أن أفضل ما أعطى الإسلام للمرأة الكرامة، فهذا على نقيض ما امتهن الغرب المرأة باختصارها في المسألة الجنسية والاقتصادية"[٢].

أيضاً "مسألة المساواة بين الرجل والمرأة من وجهة النظر الإسلامية مسألة عديمة القيمة أو الأهمية، إنها مثل مناقشة خصائص كل من الورد والياسمين فلكل منهما خصائصه وميزاته الخاصة، في اللون والرائحة والشكل والجمال، فالرجال والنساء ليسوا نفس الشيء، فلكل خصائصه ومميزاته، والنساء ليست متساويات بالرجال وكذا الأمر، الرجال ليسوا متساوين بالنساء، والإسلام لا يرى أدوارهم في المجتمع على أساس تنافسي، بل أساس تكميلي تكاملي، فلكل منهم واجباته ووظائفه وفقاً لطبيعته التي خلقه الله عليها، فالرجل يملك طبيعة خاصة تؤهل له رعاية اجتماعية وحركة وقوة يمكنه بها طبيعياً القيام بعبء القيادة وإنجاز المهام الشاقة الشديدة، لذلك أوكلت على عاتقه واجبات إعالة الأسرة وتحمل كافة المسئولية الاقتصادية (المالية) حتى لو كانت زوجته ثرية"[٣].

وكانت هذه النداءات والمزاعم نتيجة التحركات العلمانية، "فالأفكار الغربية الحديثة عن تحرر المرأة ليست مستمدة من التعاليم النصرانية[٤] كما يزعم المبشرون المرسلون إلى البلاد الإسلامية كي

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٥٧-٣٥٨.

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١١٩-١٢٠.

(٣) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص١٣٢.

(٤) لو ذكرت المسيحية بدل النصرانية أفضل.

ينتزعوا النساء من دينهن إلى المسيحية، بل إن هذه الأفكار جاءت على الرغم من المسيحية ولم تتقبل بها الكنائس إلا تحت ضغط المجتمع العلماني، فالمسيحية التي ترى طاعة الزوجة العمياء والمطلقة لزوجها وتحريم الطلاق تمامًا (حسب ما جاء في تعاليم القديس بولس) وتفضل عدم زواج الأرامل ثانية وتعتبر العزوبية مثلاً أعلى ليست هي التي حررت المرأة أو الرجل، وإذا كانت قد تراجعت اليوم قليلاً عن مواقفها في مسألة الطلاق فإن ذلك لم يحدث إلا في كنائس محدودة وظروف ضيقة؛ ولكنه حدث خارج إطار الدين في المجتمع المدني والقانون الوضعي وضد رغبة الكنائس الكبرى"(١).

ومن عوار دعاة تحرير المرأة ترويج الأكاذيب واختلاق الأباطيل حول المرأة المسلمة، "فإن دعاة النصرانية ولا سيما من يذهب منهم إلى البلاد العربية والإسلامية لا يكفون عن الطعن في موقف الإسلام من المرأة، ويروجون لأكاذيب وأساطير تتحول إلى مفاهيم راسخة عندهم لكثرة تردادها وينقلها عنهم من يميل ميلهم بين المسلمين ويحيلونها إلى شبهات كبرى يستخدمونها في تنفير النساء المسلمات من دينهن وإشعار المسلمين بالذلة والنقص وهز تمسكهم بعقيدتهم وإشغالهم دوماً بالدفاع عن شريعتهم وانتحال الأعذار عما تحويه، وبذلك يضعف موقف الإسلام من جراء أكاذيب مفضوحة لا يكلف أحد نفسه عبء تفنيدها بالرجوع إلى الأصل بينما تروج النصرانية أو تقوى بناءً على تغطية مواقفها الحقيقية من المرأة ونسبة ما حدث في الغرب من تحرير للمرأة (حسب المفهوم الغربي) إلى الكنيسة وتقدمها الفكري، مثل انعدام حقوق المرأة في الإسلام وبيعها لأي رجل يطلبها للزواج وحرمانها من التعليم وتهديدها بالطلاق وتعدد الزوجات"(٢).

وكذلك من ضمن الأكاذيب المروجة "تصوير الفتاة المسلمة على أنها مضطهدة دائماً تحت الأب المسيطر وأنها مجردة من حقوقها الشخصية تماماً، وكثيراً ما يثار الاعتراض على النظام الإسلامي الذي يخول لأب أو لولى الفتاة من أقرب أقربائها في حال غياب الأب، حق اختيار زوج الفتاة الذي يجب أن تختاره هي بنفسها"(٣).

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٠٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠٢-٢٠٤.

(٣) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص٦-٧.

ومن تشويه صورة المرأة المسلمة وصفها "بأنها مقيدة الخطى لا يطلق لها العنان لاستثمار طاقاتها، دورها على المطبخ مقصور، وفي شؤون البيت وتربية الأطفال محصور، لا تُرى إلا مثلمة، وأوقاتها بين زوجها وربها مقسمة، ثم هي بعد ذلك كله مستذلة مستضعفة"[١].

ولا يعترف الإسلام بالفوضى الجنسية "المتمثلة في المفهوم الغربي عن مساواة المرأة بالرجل، والتي تعني كما هو ظاهر للعيان فوضى جنسية بين الإناث والذكور الذين ينغمسون في الجنس الحرام كما كان في عهود الجاهلية الأولى، بل يتوعد الله سبحانه وتعالى أولئك المنادين بهذه المساواة، وبتلك الفوضى بعقاب وعذاب أبدي شديد"[٢].

بيد أنه يتضح حكمة الله في توزيع أدوار الرجل والمرأة في الإسلام في فضح دعاة المساواة، "ففي الإسلام لا يكون دور المرأة في الشارع وفي صناديق الاقتراع، وإنما في بيتها حيث تقرن النساء في بيوتهن يرعونها ويربين أولادهن ويصونوهن ويعدون الزاد لدفع المجتمع للأمام كل ذلك وهن في بيوتهن كخط إنتاجي عظيم، أساسي وجوهري لصيانة الحياة الإنسانية الطبيعية، فالمرأة لم تخلق إلا لتكون أماً ومكانها كمخلوق يحمل بداخله رحم يحمل الإنسان الوليد لتواصل الحياة لمدة تسعة أشهر، وكمخلوق يحمل ثديين ليرضع وليده لمدة عامين في البيت، وذلك لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها))[٣]، والرجل هو الذي يعمل فقط خارج البيت في كافة الميادين لأنه ليس به رحم أو ثدي، ولأنه لا يلد ولا يرضع ولا يعاني حيضاً أو نفاساً، هكذا حكمة الله أن تكون دائرة عمل المرأة بيتها، تقر فيه وتحتجب عن الأنظار لتتفرغ لعملها الأساسي العظيم لحفظ الحياة وتقدم المجتمع عن طريق حفظها لدورها الطبيعي وصيانتها لزوجها ولبيته، وعدم خروجها إلا للضرورة القصوى بالحجاب الشرعي، لتحجب عن المجتمع الفتن والشرور، وتحفظ له الجد والصحة والأخلاق لقوله عز وجل: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها}"[٤].

ومعرفة دور الزوج والزوجة في الإسلام من الأهمية بمكان لفضح أدعياء التحرير؛ "لأن الواجب علينا معرفة ما يقوله لنا ديننا حول هذا الأمر، إنه فيما يتعلق بمساواة المرأة بالرجل، تخبرنا الآية رقم ٣٤

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٩٧.

(٢) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص٨٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، (٣٠٤/١) ح (٨٥٣).

(٤) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص١٩-٢٠.

من سورة النساء بأن ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [سورة النساء: ٣٤]. لإعاشة المرأة، وهذا يعني أنه غير مقرر دينياً أن تخرج المرأة لطلب العيش إلا في حالات الضرورة القصوى كموت زوجها أو طلاقها مع عدم وجود من يعولها من أقاربها، ويعلمنا القرآن أن الزوج هو الراعي الأول للأسرة وزوجته بمثابة أنيس له يعاشرها بالمعروف ويكرمها ويطعمها ويكسيها ويحافظ عليها في إطار عظيم من الحب والمودة والوفاء، على أن تكون الزوجة بذلك زوجة صالحة تبادله نفس الحب والولاء، وتحافظ على بيته وأولاده وأسراره، والقرآن يجعل الرجل قواماً على الأنثى أو على زوجته، لا لأن يكون طاغية، ولكن لصالحها هي وللحفاظ على الأسرة، لذلك تجد في الأسر التي تستغل فيها الزوجة مادياً، أن دور الزوج يختفي على الفور كسيد للأسرة، وترى فيها من الاضطراب والانحلال ما يعجز الفرد عن حصره، فالأب يفقد مكانته ويختفى احترام أولاده له، إن الآية (٣٠) والآية (٣١) من سورة النور قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [سورة النور: ٣٠-٣١].

تفرض على المؤمنين الغض من أبصارهم وعدم النظر إلى النساء الأجنبيات والحملقة فيهن، وعندما يأمر الله عز وجل بذلك، إنما يكون لصالح المسلمين والمجتمع الإسلامي"(١).

وكذلك من المهم جداً معرفة دور الأم والأب في الأسر المسلمة لدحض شبهات أدعياء التحرير، "فتعاليم الإسلامية الأساسية يمنع الاختلاط بين الجنسين، ودور المرأة كأم في بيتها مطيعة لزوجها، ودور الأب كسيد الأسرة وعائلها، والطلاق لصالح الزوجين ودرء الأخطار عن المجتمع التي قد تنجم من كره الزوجين لبعضهما البعض شيئاً وارداً في القرآن والسنة، أخذ به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم، واتفق عليه علماء ومجتهدو الأمة وسارت عليه الأمة بالإجماع لمدة (١٣) قرناً من الزمان"(٢).

(١) المرجع السابق، ص٧٥-٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص٣٨.

والمرأة المسلمة ليست في حاجة إلى حركة تحرر، فهي أعرف بنفسها ودينها وحقوقها، "فهي بالنظر إلى موقفها من الله متساوية مع الرجل، عليها ما عليه من واجبات وفروض: الصلاة والصوم والزكاة والحج، ولها ما له من وعد في حياة ما بعد الموت، وإلى جانب ذلك تتساوى المرأة المسلمة في حقيقة الأمر مع الرجل المسلم في الحقوق المدنية والإنسانية، وليس لزوجها على وجه الخصوص الحق في التصرف في أملاكها الخاصة، ولا تفقد المرأة المسلمة بعد زواجها اسم أسرتها لصالح اسم أسرة الزوج وإنما تحتفظ به حتى نهاية عمرها، واحتفاظ المرأة المسلمة بهذا الحق على وجه الخصوص يوقعها في مشكلة عندما تسافر إلى أوروبا حيث يصعب على رجال الحدود فيه إدراك كيف أن طفلها الشرعي الذي بصحبتها يحمل اسماً غير اسمها، وترضى المسلمة بأن تكون لها الكلمة العليا فيما يتعلق بشؤون الأطفال صغار السن، في حين يكون لزوجها الكلمة العليا فيما يختص بشؤون أطفالهما الأكبر سناً"(١).

فالمرأة المسلمة ولله الحمد رغم هذه الدعاوي المنتشرة تعي دينها وتعرف دورها، "فإن الكثيرات من النساء قد تيقن أن وضع المرأة في الإسلام وتحرير الإسلام للمرأة لهو أنسب مما يعيشه الغرب، ولذلك تختار كثيرات من النساء بحريتهن ارتداء غطاء الرأس، والالتزام بالزي الإسلامي ليكتسبن وقاراً وكرامةً واحتراماً كن قد فقدنهم في خضم التنافس على العري العلني"(٢).

وخير شاهد على حال المرأة المسلمة في البلاد الإسلامية وتمتعها بكامل حقوقها ما تذكره مريم جميلة في هذا الشأن فتقول: "لقد غمرتني صديقاتي المسيحيات بالزيارات والمكالمات الهاتفية عندما علمن أنني سأعيش في الباكستان، يحذرنني من الشقاء المرعب الذي سأقاسيه هناك حتماً، وذلك بسبب (انحطاط المرأة في الإسلام) ومنزلتها المنحطة في المجتمع الإسلامي، وكم سرتني المفاجأة عندما وصلت ديار المسلمين ولم أجد شيئاً من ذلك، وبخلاف ما تقوله أجيال من الإرساليات المسيحية ومناصريهم للعالم غير الإسلامي، فإنني لم أشاهد في أي بيت مسلم أي دليل على انحطاط المرأة، ولم أرها تعامل معاملة قاسية أو ذليلة بأي شكل، فأينما رحلت في بلاد العالم الإسلامي، سواء في مصر أو السودان أو العربية السعودية أو الباكستان، وبغض النظر عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية، وأينما حللت ضيفة في بيوت المسلمين فقد وجدت النساء المسلمات يحظين من رجالهن بكل حب

---

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٤٩.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢٩٤.

واحترام وتقدير، وأنا نفسي الآن أجد ذلك كزوجةٍ وأم وفردٍ من عائلة باثانية –نسبة إلى باثان وهم قبائل معروفة في شمال باكستان– هنا في لاهور"(١).

مساوئ ومفاسد تحرير المرأة

المخرجات المرصودة في الغرب من حركة تحرير المرأة عديدة ومختلفة مما عم البلوى وانتشرت الجرائم وزادت الانتهاكات بجميع صورها؛ حيث "أن سبب ارتفاع معدل الجريمة في بريطانيا في فترة الركود، وأيضاً في فترة الرخاء الاقتصادي بأن ذلك يرجع لانهيار الأسرة، وأن طفلاً واحداً من كل أربعة يولد من أبوين غير متزوجين، كما أنه لا أقل من طفل من بين خمسة مر بتجربة طلاق والديه قبل أن يصل السادسة عشرة، ومما أذهلني الطريقة التي يصبح الرجال آباء لأطفال ثم يفرون تاركين الأم بمفردها، ومعها دافع الضرائب، فالإحصائيات الرسمية الأمريكية تقول أنه كل (٣٦) ساعة تقتل امرأة على يد رجل تربطها به علاقة ما، وكل (١٥) ثانية هناك امرأة في مكان ما في أمريكا تنال علقة على رجلها ويصل أمرها إلى البوليس أو إلى المستشفى-غير ما لا يصل- (٢) مليون حالة ضرب مبرح من رجال لنسائهم كمتوسط في العام الواحد، شكاوي البوليس تصل إلى (٢٥٠٠٠٠) حالة سنويًا يصل منها إلى المستشفيات نحو مائة ألف ومنها (٣٠٠٠٠) إلى غرفة العناية المركزة رأسًا، والإحصائيات الرسمية تقول أن (٢٣) مليون رجل يضرب امرأته علقة، ثم أعلن ولي عهد ملكة إنجلترا على الإعلام العالمي علاقاته غير المشروعة بعد الزواج، وأن زواجه فاشل مثل نصف الشعب"(٢).

نعم، هذه هي حالة المرأة الغربية المتحررة، "فإن مصممي الأزياء الأمريكيين والأوروبيين يحاولون قدر المستطاع أن يعملوا كل ما يمكن لجعل المرأة الغربية العصرية امرأة الشوارع والأزقة، إن الزواني اللاتي قبلن الزنى حرفة لم يبلغن في الوقاحة الدرجة القصوى التي وصلت إليها هؤلاء النسوة المحترمات كما يدعين"(٣).

وتدمير المجتمع المسلم من أهم مساوئ هذه الحركة، ومن ورائها أهداف خطط صهيونية تبشيرية، "فحركة تحرير المرأة وتدميرها بدعاوى المساواة مع الرجل، وتركها بيتها ومن ثم تدميرها بالفاحشة وقطع نسلها بوسائل تنظيم الأسرة لتقدم المجتمع ليست سوى نوايا تبشيرية وصهيونية مدعومة لتدمير المجتمع المسلم المتماسك مثلما حدث لضياع المجتمع الغربي الإنساني، فتلك الأنشطة

---

(١)

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٣٠-١٣١.

(٣) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص٩١.

ستؤدي في العالم الإسلامي لمزيد من الخراب والتفسخ والقذارة والأمراض والانغماس المادي في الملذات على نحو شيوعي فوضوي شامل في علاقات محرمة لا تؤدي إلا إلى ظهور الجرائم والأمراض واللقطاء وعدم الثقة والأنانية والفردية المهلكة وتنزل بآدمية الإنسان إلى درك البهائم في الأدغال وتجعل المجتمع ينتكس بشدة إلى عهود الجاهلية الأولى"(١).

ومن مفاسد حركات التحرير أنها لم تقف فقط في بلاد الغرب؛ بل وصلت نتيجة الدعايات المستمرة إلى بلاد الإسلام، ومن أبرز مظاهرها "ظهور السافرات المتبرجات من زعيمات الحركات النسائية في وسائل الإعلام الجماهيرية وفي الشوارع يرددن شعارات تنادي بمزيد من الحريات للمرأة بل وبإمساكها بزمام الأمور من خلال طموحها لترأس الأجهزة الحكومية الحساسة والمشاركة السياسية في الانتخابات وترشيح نفسها للمناصب القيادية السياسية، وتبلغ الحركة النسائية مداها في تشجيعها لكل ما يساعد على تحرر المرأة وفجورها كالفنون الداعرة العارية مثل الباليه والرقص ومسابقات الجمال العامة التي تظهر فيها الفتيات المسلمات شبه عاريات وهن يفحصهن الرجال من حكام وإداريو المسابقة كالماشية في سوق الحيوانات، وتبلغ الحركات النسائية مداها أيضاً في شكل الاسترجال النسوي المضحك الذي يثير سخرية الرجل، وهن يرتدين ملابس الجيش مثل الرجال أو ملابس العمال في المصانع، وفي الحضارة الحديثة استحدثت وسائل غير مباشرة لاستعباد المرأة بجعلها تتوهم أن حريتها وكرامتها تقاس بالمدى الفعلي الذي تصل إليه في القيام بأعمال ووظائف الرجال، وفي الوقت نفسه في المدى الذي تصل إليه في إظهار أنوثتها وجمالها وسحرها للرجل، وكانت النتيجة أن نجحت المجتمعات غير المسلمة، غير الرحيمة، في مواصلة استعبادها للمرأة، بعد أن حررها الإسلام بمفهومه الأمين عليها، الرحيم بها وصان لها مكانتها وكرامتها وحفظ لها دورها الحقيقي كزوجة وأم دون أن يغشها أو يخدعها"(٢).

ومن الأمور المهمة في هذا الشأن خطورة المفاهيم الغربية الاجتماعية الدخيلة على بلاد الإسلام؛ "لأن استزراع مفاهيم الغرب المسيحي المختلفة عن العلاقة بين الجنسين وفرضها على حساب مفاهيم الإسلام تمثل أخطر نقاط الصدام بين الحضارتين في الوقت الراهن، ولا يستهين أحد بمدى التفكك والدمار الذي تحدثه التصورات والممارسات الغربية (لا سيما الإباحية التي أخذت الكنائس هناك تتساهل معها) على المجتمعات الإسلامية، والمطلوب إعادة مناقشة الكثير من المفاهيم

---

(١) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص١٠١.

(٢) المرجع السابق، ص١٧-١٨.

الغربية الأصـل التي روجت بين المسـلمين في مسـائل المرأة والزواج وما يتصـل بها والتي حاول البعض أقلمتها بالتماس تفسـيرات إسـلامية لها أو باعتبارها مفاهيم إنسـانية أبدية أزلية وليس مجرد تصـورات نسبية تابعة لثقافة ما في زمن ما ومتأثرة بتراث المكان والبيئة"(١).

ومن المساوئ الاجتماعية جراء تحرر المرأة لدى الغرب "انهيار الأسـرة الناتج عن الثورة الجنسـية هو نذير شـؤم فعلي، على قرب انهيار الحضـارة الغربية، ولا أحد يعاني بشـدة بسـبب انحلال الأسـرة أكثر من الأطفال، وهم يعانون إما من الإهمال الناتج عن ذلك أو من المعركة الناشبة على حضـانتهم أو من اســتغلالهم مثل الرهن فيتمزقون بين الولاء للأب والولاء للأم، النتيجة هي تصــور معوج عن الزواج"(٢).

ويصـــف مراد هوفمان حال المرأة الغربية المتحررة من القيود فيقول: "لقد سمح في بعض البلاد لمحترفي البغاء من النساء بتكوين نقابات على أنهن عاملات جنس، وقد حصلوا على الاعتراف الرسمي على إنهن من المهن العادية دافعة ضرائب الدخل"(٣).

ويذكر مراد هوفمان النتائج الوخيمة لتحرير المرأة والخروج للعمل مســاواة بالرجل فيقول: "أن المنافسـة ضـد الرجال بنفس شـروطهم، قد قدمت نوعاً من سـيدات الأعمال الناجحات اللاتي قد حصلن على كل شيء متاح أثناء خوضهن معركة مساواة الجنسين، لكنهن خسرن أنوثتهن، العقيدة الجامدة الآن هي أن الرجال والنســاء على الرغم من الاختلاف البيولوجي إلى حد ما، هم متطابقون في كل الوجوه الأخرى، وأيضـاً من الناحية النفســية والعاطفية، كذلك من ناحية الموهبة الذي يجرؤ على مناقشـة هذه العقيدة المتحجرة، يتهم بالتفرقة الجنسـية وذلك هو أسـوأ اتهام قد يلصـق بأحد، أصـبح الرجال والنســاء، لذلك يحاولون أن يبدوا متشـابهين ويرتدون نفس الثياب وأيضـاً لهم نفس التسريحة، النتيجة المتوقعة لذلك هو انهيار الانجذاب المعتاد تواجده بين القطبين المختلفين لا اختلاف لا إعجاب"(٤).

وهكذا تطورت الدعوة إلى تحرير المرأة وبلغت مراحل متقدمة؛ حيث يقول مراد هوفمان: "تحرر المرأة الذي تم الحض عليه قبل وبموازاة ثورة الجنس في الغرب، قاد إلى الادعاء بأن تلك هي الرغبة

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢١٣.
(٢) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص٨٠.
(٣) المرجع السابق، ص٧٨.
(٤) المرجع السابق، ص٧٩.

الحرة للمرأة بالموافقة أو الرفض على مسألة الحمل، كان الشعار هو إن بطني تخصني؛ أما عن حق الجنين في الحياة، فيخفت تدريجياً الحديث عنه أصبح الإجهاض قانونياً في كل مكان تقريباً، وعلى الأقل خلال الشهور الأولى للحمل"(١).

دور المنظمات الغربية في تحرير المرأة

وتعدد مريم جميلة مساوئ تحرير المرأة في المجتمعات الغربية فتقول: "ومن بين الخيارات البديلة التي تدفع زعيمات الحركات النسائية النساء لاتخاذها وجعلها مقبولة اجتماعياً، السحاق (الجنسية المثلية الأنثوية) لدرجة أنه توجد في أمريكا فروع عديدة لمنظمة تسمى (بنات بيلتبس) تتبع رسمياً جمعيات الحركة النسائية، وهدفها الترويج للسحاق (مضاجعة الأنثى للأنثى) ضمن إطار حركتها النسائية المجنونة، وتضم حركة تحرير المرأة عضوات كن سحاقيات قبل إنشاء الحركة وعضوات أصبحن سحاقيات منذ انضمامهن للحركة، ويعتبر السحاق لبعض العضوات الأخيرات شكلاً من أشكال الاحتجاج السياسي"(٢).

وتستشهد مريم جميلة بالحركة النسائية بأمريكا ودورها الدنيء في تحرير المرأة فتقول: "وفي أمريكا نشأت الحركة النسائية تزامناً مع نشوء حركة تحرير العبيد وإلغاء الاسترقاق في أمريكا، ومع قيام حركة التمبرانس -أي الاعتدال- التي توجهت لفرض حظر على بيع واحتساء المشروبات الكحولية -حركة تحريم شرب الخمر-، ارتأت النساء اللائي التحقن بهذه المنظمات أنه لكي تكون حركة تحررهن فعالة، لابد من تتويجها رسمياً عن طريق الحصول على تأييد السلطة السياسية، وكان أهم حدث تاريخي في مشوار هذه الحركة هو الإعلان عن أحقية المرأة في التصرف الكامل في أملاكها ومكتسباتها، وحقها في تطليق زوجها وأخذ العصمة الزوجية بيدها ووصايتها على الأولاد، وإلغاء التمييز على أساس الجنس في وظائف الرجال والنساء، وحق المرأة في راتب مساو لراتب الرجل في نفس الوظيفة وأخيراً تحرر المرأة من أية قيود اجتماعية مفروضة من الزوج أو الأهل من قبله، وفي عام ١٩٢٠م استجابت أمريكا للحركة النسائية في مطالبتها بحق المرأة في الاقتراع، فأعطى الدستور الأمريكي في صورته المعدلة التاسعة عشرة المرأة الحق في التصويت (الانتخاب) بعدها خمدت أصوات الحركة النسائية النشطة المتمردة لأكثر من أربعين عاماً"(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص٨١.

(٢) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص١١٣-١١٤.

(٣) المرجع السابق، ص١٠٥-١٠٦.

وتقف مريم جميلة عند نشــاط المبشـــرين في مجال العلاقات الاجتماعية في البلاد الإســلامية؛ لتلاحظ أنهم يهتمون كثيراً بما يســـمونه تحرير المرأة أو تنفيرها من الإســـلام وتعويدها على العادات الغربية لهز الإيمان في نفســـها وزعزعته أو وأده في أطفال المســـتقبل، ويركز المبشـــرون في العديد من المناطق على ضـرورة تخلي المرأة المسـلمة عن الزي المحتشـم وتمردها على الأسـرة وخروجها إلى المراقص والملاهي حتى وإن يؤد ذلك في النهاية إلى اعتناق المســيحية، ويتضـــح من هذا الاتجاه أن للتغريب والتشـــكيك في الإســـلام أهدافًا أصـــلية في عمل المبشـــرين تفوق بالفعل اهتمامهم بالدعوة إلى النصـــرانية[1]، ويبرز هنا كمثال قيام مبشــرة هولندية بإنشــاء مدرســة للبنات في مدينة البصــرة عام ١٩٠٩م لتربيتهن تربية أوروبية صــرفة وتجهيزهن لإكمال التعليم في الغرب حين يبعدن عن الإســـلام تمامًا، وكانت هذه المبشرة تهتم بمتابعة أخبار طالباتها وتفرح عندما تسمع أنهن تخلين عن الزي العراقي التقليدي واتبعن العادات الغربية في بيوتهن ومع أطفالهن، وقد سجلت تجربتها هذه في كتاب صدر في أمريكا عام ١٩٦١م وتتحدث بابتهاج عن التغير الاجتماعي المواتي للغرب الذي يمكن للمعاهد العلمية التبشـــيرية والغربية أن تحدثه، وتعلق مريم جميلة على هذا النمط في التفكير بالإشـــارة إلى دور الجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة وكلية روبرتس في إسطنبول"[2].

ويبين مراد هوفمان جهود المنظمات والدول الغربية في تحرير المرأة فيقول: "ولا تزال المناقشـــات دائرة في الولايات المتحدة، حول طريق تحرير المرأة التي انتهجته، فقلدت الرجل تقليداً بحتاً؛ إذ يثور الشـــك لدى الكثيرين والكثيرات في جدوى ذلك الطريق وتســـود اليوم، هناك وفي أوروبا بين طلاب الجامعات موجة جديدة تدعو إلى الارتباط بين الجنسين"[3].

وهل يمكن أن تتســـاوى فرص العمل بين الرجل والمرأة فيقول: "هل تتســـاوى فرص عمل المرأة مع فرص عمل الرجل (في غير ما يتعلق بالأعمال الدينية)؟

وإجابتي عن هذا الســـؤال هي: لا أعلم وأنا لا أســـتطيع أن أعلم؛ لأن غالبية المســـلمات لا يبحثن عن سعادتهن في محاكاة الرجال، فهن مثلهن في ذلك مثل كثيرات من الأوروبيات لا يرغبن في العمل سائقات شاحنات أو سيارات أجرة أو قائدات طائرات أو شرطيات، وإنما يتمسكن بدورهن المحدد في الأســـرة، ولا يرجع ذلك إلى غياب الوعي الســـليم، وإنما إلى اقتناعهن بأن النســـاء اللائي

---

(١) لو قالت بدل النصرانية المسيحية لكان أفضل.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٣٨-١٣٩.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢٠٨.

يقدمن أمثلة ونماذج للمرأة المتحررة في الغرب يشعرن بالندم، لأنهن تجاهلن الأسرة والأمومة وما يعنيه ذلك من أنه قد فاتهن أن يحققن بالكامل حقيقة وجوهر المرأة.

مجمل القول إنه ليس هناك الكثير مما يمكن قوله بصدد فرص العمل للمرأة المسلمة؛ لأنها ترى أن مستقبلها يكمن في كونها امرأة توظف كل مقوماتها وخصائصها (ولا أقول أسلحتها) في تحقيق أهدافها في ظل الاعتراف بوجود علاقة قطباها: المرأة والرجل"[1].

فيما مضى نجد أن كلاً من اتيين دينيه وروجيه دوباسكويه ومريم جميلة ومراد هوفمان تحدثوا عن تحرير المرأة المسلمة وبينوا خطورته وفضحوا أدعياءه في الغرب من منظمات وهيئات، وذكروا نتائجه السلبية ومساوئه في الغرب من انتشار للجرائم وانهيار للأسرة الناتج عن الثورة الجنسية والانتهاكات التي تتعرض لها المرأة صباح مساء، وتدميرها بدعاوى المساواة مع الرجل، وتركها بيتها ومن ثم تدميرها بالفاحشة وقطع نسلها.

وأظهروا حقيقة الإسلام في إنصاف المرأة بإعطائها حقوقًا مثل حقها في الإرث لم تكن لها في الجاهلية ولا اليهودية والمسيحية، مع تبجيل الشرع للأم ورعايته للزوجة والأخت وحمايته للبنت، ولم تحظ النساء في الغرب بحقوق مماثلة حتى في قانون نابوليون منذ حوالي قرنين؛ على أن أفضل ما أعطى الإسلام للمرأة الكرامة، وأكدوا أن المرأة المسلمة ليست في حاجة إلى حركة تحرر، فهي بالنظر إلى موقفها محررة من الله متساوية مع الرجل، عليها ما عليه من واجبات وفروض: الصلاة والصوم والزكاة والحج.

□

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٥٠.

المطلب الثاني: جهودهم في الدفاع عن قضية الحجاب.

تحتل المرأة المسلمة منزلة رفيعة ومكانة عظيمة في الإسلام، فأوجب الشرع الحكيم حفظها وسترها، ففرض عليها الحجاب صيانة لها وأمانًا لرونقها، فالمرأة في الإسلام كنز ثمين، ودرٌّ مصون، فهي لؤلؤة غالية يجب حفظها عن سهام الناظرين، ولا يوجد في العالم تشريع يحفظ للمرأة عفتها ويصون عرضها مثل ما في شريعة المسلمين، فلذلك أمر الله المرأة في القرآن الكريم بأن تحتجب عن أعين الرجال ولا تظهر زينتها إلا لمحارمها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩].

ولقد بدأت مؤامرة السفور بالدعوة إلى خلع الحجاب الإسلامي، ويدعي دعاة التبرج والسفور بأن الحجاب تزمت في الدين، وأنه حبس للمرأة، وعلامة من علامات الرجعية والتخلف، وأن الله لم يخلق المرأة لتتستر؛ بل لتبدي وتظهر جمالها، وهذا الكلام ما أنزل الله به من سلطان.

والذي يريد الباحث أن يبينه هنا هو أن حجاب المرأة في الإسلام لم يكن رمزًا من رموز الدين؛ بل هو واجب وفرض شرعي فرضه الله على نساء المسلمين كافة، تشريفًا لهن وصيانة لعفافهن، وسترًا لهن من أعين أصحاب الأغراض المختلفة، وتجد في السطور القادمة ما يبين أهمية حجاب المرأة في الإسلام من خلال كتابات المستشرقين الذين أسلموا، وجماله، ومفاسد تركه، وكذلك نظرة الغرب للحجاب الإسلامي بصفة عامة.

أهمية الحجاب الشرعي

الحجاب فريضة شرعية، "فلابد للمرأة المسلمة من ارتداء الحجاب الشرعي وأن تضرب بخمرها على جيوبها أي تلقي وتسدل خمارها الذي هو عبارة عن زيها الإسلامي الذي يغطي رأسها وشعرها وعنقها حتى يغطي صدرها على نحو رحب غير ملتصق أو مجسم يظهر حدود ما يغطيه، أي لابد أن تتغطى المرأة المسلمة بلباس محتشم لا يظهر زينتها وجسدها إلا ما ظهر منها طبيعياً وحلله الشرع وهو الوجه واليدين، لأنه حرام شرعاً أن تبدى المرأة زينتها ومفاتنها إلا لزوجها وأقرب أقربائها، وإلا كان إظهارها لزينتها ومفاتنها للعامة في كل مكان، عملاً لا يختلف عن عمل المرأة المشاع"(١).

وتلتزم المرأة المسلمة بالحجاب الشرعي عند خروجها من المنزل، "فالمرأة المسلمة الصحيحة هي التي تلتزم بالحجاب الذي معناه الوقار عند خروجها من البيت لقضاء بعض المستلزمات الهامة، أو

(١) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص٧٧-٧٨.

للعمل في ميادين خاصة جداً بعمل المرأة يحتاجها المجتمع المسلم ويفرض على المسلمين أن تشغلها المرأة لا الرجل مثل تطبيب وتمريض النســاء وتعليم الفتيات في المدارس والحفاظ على الأمن بتفتيش النساء في الشرطة النسائية التي لا ترتدي زي الرجال أو تتشبه بهم، وهي التي تقر في بيتها باستثناء ذلك، حيث دائرة عملها الأصلية لتواصل دفع الحياة الطبيعية"[١].

ومن أهم حِكَم الحجاب الستر والعفة؛ لأن "تعاليم الإسـلام لا تسـمح بقيم ثقافية فاسـدة، فدور المرأة في الإسـلام ليس في صـندوق الانتخابات بل في تعهد بيتها وأسـرتها، ونجاحها كإنسـان يقاس طبقاً لإخلاصـها لزوجها ورعاية أبنائها الغالين، فمن المنتظر لذلك أن تعيش المرأة المسـلمة في انعزال، والحجاب هو الوسـيلة اللازمة لهذه الغاية، فيما يلعب الرجال على مسـرح التاريخ فإن وظيفة النساء أن يكن مساعدات لهم، محجبات عن أنظار العامة من وراء المشاهد، ولعل تلك المنزلة تكون أكثر تواضعاً وأقل إثارة إلا أنها ليست أقل أهمية في المحافظة على نهجنا في الحياة"[٢].

إذن فالحجاب الشرعي دليل عفة المرأة، "فتبرز صورةُ النقاب أو الحجاب الذي يبرز وجود المرأة المســلمة بالفعل في الشــرق، وهذا ما يأباه الغربي، لأنه مخالف لتصــوره هو عن الشــرق الغارق في الملذات، فالحجاب نقيض تصـور الغربي، لأنه دليل على العفة التي تريد المرأة إبرازها وتأكيدَها، ورمز للالتزام الخلقي الذي لا يســمح للغرائز الجنســية أن تتبرج كما يحلو للبعض أن يراها ويعيشـــها في الغرب، أو قل لا يريد الغرب أن يفهمها، فضــلاً عن أنه لا يريد أن يعترف للإســلام بأنه دين يدعو للفضـيلة والأخلاق الحميدة، ويتمسـك بها. هذه الصـورة، صـورة المسـلمة التي تلبس الحجاب أو النقاب مخفية شعرها أو وجهها، تناقض صورة المرأة الشرقية التي رسخت في تصور الغربي"[٣].

ويتجلى جمال المرأة المسـلمة في حجابها؛ "فإن المرأة المسـلمة الأوروبية التي تغطي شـعرها ممتثلة للشـرع طوعاً، إنما تريد في المجتمع الغربي راحة البال، محاولةً ابتغاء مرضـاة الله، مبتغية في الوقت ذاته الخروجَ من الدوامة الشـيطانية التي تعصـف بالمجتمع الغربي المتخذ جسـدَ المرأة تجارةً رائجةً سـوقُها، قاصـدةً أن تعيد للمرأة من جديد كرامتها بوصفها امرأة، لا موضـوعاً للجنس وتجارته... إنها إنما تبرز زينتها لزوجها، غير عارضــة لها نهباً للأنظار هنا وهناك، كأنما تريد أن تعلن عن نفســها ليتقدم إليها الراغبون في الزواج، إن تلك المســـلمةَ ذاتَ الخمار أو الحجاب إنما تريدُ أن تقول لمن حولها في البيئة

---

(١) المرجع السابق، ص٢٩.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٨٣.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢١٤-٢١٥.

التي تعيش فيها: أيها الناس إنني امرأة لي كرامتي، عليكم أن تأخذوني مأخذ الجد، وليس لكم أن تنظروا إلي أو إلى ساقي نظرة رخيصة خبيثة"[١]، "وإن لبس الخمار أو وضع الحجاب أو النقاب بهذا المفهوم، عملٌ ثوري ورمز للاحتجاج[٢] أو الاعتراض على أسلوب الحياة وشروطها في أوروبا المعاصرة، وليس بأية حال رجوعاً مرتداً إلى التقاليد البدوية العتيقة التي صاحبت القبائل، وميزت كل قبيلة عن سواها باتخاذ هذا أو ذاك من اللباس"[٣].

نظرة الغرب للحجاب

وتستنكر مريم جميلة على دعاة الفحشاء فتقول: "من الأحكام الإسلامية الأخرى التي تعرضت لنيران كثيفة من دعاة التحديث وزعيمات الحركات النسائية، أحكام تحريم التبرج والاختلاط بين الجنسين، وفريضة الحجاب الشرعي على المرأة المسلمة، بل الأكثر من هذا يطالب دعاة الفحشاء هؤلاء بإلغاء الحجاب الإسلامي تماماً والعمل بنظام المدارس المختلطة التي تجمع بين البنين والبنات، وحرية المرأة وتحرر الفتاة ودفع المرأة خارج البيت للعمل فتقضى على فرص الرجال وتزيد من بطالتهم وتتسبب في اضطراب المجتمع بالتشوش في الأدوار والخوض في الفحشاء والمنكر حيث لن يتزوج قطاع كبير من الشباب لأنه لا يعمل، وستعاني الفتاة العنوسة ويبتلى المجتمع المسلم بوباء الفحشاء والجريمة وتضيع المرأة والسبب المرأة نفسها والخروج على الدين"[٤].

وتذكر مريم جميلة بأن أعداء الإسلام دوماً يحاولون الهجوم على حجاب المرأة فتقول: "يجدر بالذكر في هذا المقام أن أعداء الإسلام الذين يحاولون الهجوم على حجاب المرأة المسلمة يستخدمون رأي القديس بولس وينسبونه إلى الإسلام ثم يأخذون في السخرية من هذا التحقير للمرأة الذي يقارنونه بمكانتها السامية في المجتمعات الغربية المسيحية، وربما يرتدعون قليلاً إذا عرفوا مصدر الرأس الذي يلصقونه كذباً بالإسلام، وهو مصدر لا يجرؤون على الطعن فيه لأنه يخالف إيمانهم العميق بالوحدة الوطنية"[٥].

---

(١) المرجع السابق، ص٢٢١.

(٢) بل هو طاعة لله.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢١.

(٤) مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ص١٥.

(٥) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٠٢.

توضح مريم جميلة نظرة الغرب للحجاب فتقول: "فالحجاب أو الفصل بين الجنسين يعني في نظرهم تدني مكانة المرأة المسلمة وانحطاطها، ويشجب من قبل المرأة العصرية على أنه إنكار لحرية المرأة في المشاركة في حياة الأمة والمساعدة على التقدم الاجتماعي خارج البيت، ويبدو تحريم الصور والتماثيل والموسيقى والرقص للرجل المثقف الغربي وكأنه تدمير لأنبل الدوافع الخلّاقة لدى الإنسان"(١).

كما يوضح مراد هوفمان موقف الغرب من الحجاب قائلاً: "يستنتج الغرب عداء الإسلام للمرأة من ارتدائها لغطاء الرأس، ويَعُدُّ اضطهاداً منظماً للمرأة الشرقية، والأمر أفظع من ذلك؛ لأن الغرب يَعُدُّ أي غطاء للرأس هجوماً شرساً على علمانيته، وعلى ما حصلت عليه المرأة من جرائها من حقوق، كما يَعُدُّونه اتهاماً أخلاقياً، ولا يكاد أحد في الغرب يصدق أن المرأة تضع هذا الغطاء بمحض إرادتها دون أن يجبرها أحد من أهلها، ولذلك من الممكن أن تفهمه على أنه حفظ للكرامة النسائية"(٢).

ويصحح مراد هوفمان مفهوماً خاطئاً لدى الغرب حول الحجاب الإسلامي: "من الخطأ أن يتصور بعضهم أن ارتداء الملابس الإسلامية المحتشمة بما في ذلك ارتداء غطاء للرأس أمر يفرضه على النساء أزواج غيورون، فمن ترتدي الحجاب إنما ترتديه ابتغاء مرضاة الله وفي طاعته ولكي يعرف عنها الاحتشام والوقار، والمسلمات الألمانيات خير دليل على ذلك، فالعديد منهن اهتدين إلى الإسلام وحدهن ودون أن يكون في أسرهن رجل واحد مسلم، ولكنهن يتعرضن مع ذلك لمضايقات في الحياة العامة؛ إذ يتندر عليهن بعضهم بسبب ما يرتدين من ثياب أو ينظر إليهن بعين ملؤها الشك، وعلى الرغم مما تجلبه الملابس الإسلامية من مضايقات للمسلمات الألمانيات فإن لها مزايا أو إيجابيات؛ إذ إنها ترشد إلى دينهن فيتعرف عليهن من يريد أن يحاورهن حول الإسلام وهو ما يرحبن به لتأكيد إيمانهن، ناهيك عن أن الكثيرات منهن يرتحن إلى حماية ملابسهن لهن من الظهور كسلعة في سوق الشهوات"(٣).

ويقول مراد هوفمان عن الحرية الدينية للمرأة المسلمة في الغرب: "ويبقى السؤال المهم: كيف للغرب أن يتصرف مع المرأة المسلمة التي تريد ممارسة دينها، مثل ارتداء غطاء الرأس؟ قانوناً، فإن هذا

---

(١) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٣٤.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٨٠و١٨١.

(٣) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٤٤.

السؤال غير ذي أهمية؛ لأن الحرية الدينية مكفولة دولياً ودستورياً، فلا يحق لأي محكمة أو مؤسسة أن تدعي لنفسها الحق في تحديد حق المسلمة في ارتداء غطاء الرأس، أو أن تحدد لها إذا كان عليها حقاً أن ترتديه أو لا؛ لأن مجرد هذا التحديد وهذه المحاولة تعدَّان خرقاً للحقوق الأساسية المكفولة دستورياً للفرد في حريته الدينية وممارستها، فديانة الفرد يجب أن تحترم حتى وإن كانت ديانته الخاصة"(١).

مفاسد ترك الحجاب

المفاسد التي جنتها الحضارة الغربية بعد تخليها عن الحجاب متعددة، "فالمرأة في المجتمع الغربي صارت رمزاً معروضاً لتجارة الجنس، وذلك بازدياد مصممي الثياب المستمر في تعرية جسد المرأة وإبراز مفاتنها الجسدية، حتى صارت المرأة ضحية الضغط المتواصل عليها، لتظهر أناقتها بحيث تصبح أكثر إثارة وفتنة للرجل"(٢).

وتقرير مسألة الحجاب في الغرب غريب، "فإن أوروبا متورطة في هذا السياق برقصة غريبة فباسم التسامح جعلت المرأة المسلمة تتعرى جزئياً ضد رغبتها الشخصية، في حين لا تكاد توجد أية قيود على المرأة التي ترغب في التعري لدوافع تجارية أو ما شابهها، وبموجب هذا المسار انتهك القانون الحديدي الذي ينص على حقوق الإنسان الدينية تمنح بما يتفق مع التفسيرات الدينية التي تصدر عن أعضاء طائفة معينة، وفي انتهاك شديد لهذا القانون الموطد جيداً لم يعد غير المسلمين يقولون للنساء المسلمات ما هو مطلوب منهن فحسب، بل أسوأ من ذلك صاروا أيضاً يدلونهن على ما ينبغي أن يشعرن به تجاه الحجاب؛ أي يجب أن يشعرن بأنهن مضطهدات، وتكرر أن القضية هنا ليست هي أن القرآن والسنة أمرا بالحجاب وإلى أي مدى، بل القضية هي من يجيب على هذا السؤال إجابة محددة سواءً كان مسلماً أم غير مسلم، هذه القضية جديرة بالدراسة؛ لأنها توضح بصورة نموذجية مبدئية ما يتوقعه المسلم وما لا يتوقعه من الوضع القانوني الذي يبدو للوهلة الأولى وليس للوهلة الثانية أنه لصالحهم"(٣).

من خلال ما مضى رأينا أن كلاً من مريم جميلة ومراد هوفمان تحدثا عن الحجاب وأهميته وفضله وجماله ونظرة الغرب إليه، وأكدوا أن الحجاب دليل عفة المرأة وجمالها وحشمتها، وأن المرأة المسلمة إنما ترتدي الحجاب ابتغاء مرضاة الله وطاعته؛ ولكي يعرف عنها الاحتشام والوقار، وذهبت

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٩١-١٩٢.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢٢١.

(٣) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرقي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٧٩.

مريم جميلة من بين كل المستشرقين الذين أسلموا إلى وجوب الحجاب، وأنه لا بد من ارتدائه على الوجه الشرعي، وأن تضرب بخمرها على جيوبها، أي: تلقي وتسدل خمارها الذي هو عبارة عن زيها الإسلامي الذي يغطي رأسها وشعرها وعنقها.

الباب الثالث

معالم منهج من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن الإسلام وخصائصه

وتحته فصلان

- معالم منهج المستشرقين الذين أسلموا في الدفاع عن الإسلام
- إيجابيات منهج المستشرقين الذين أسلموا في الدفاع عن الإسلام وسلبياته

الفصل الأول

معالم منهج المستشرقين الذين أسلموا في الدفاع عن الإسلام

وتحته مبحثان:

- المبحث الأول: معالم منهجهم في الدفاع عن الإسلام.
- المبحث الثاني: خصائص منهجهم في الدفاع عن الإسلام.

الباب الثالث: معالم منهج المستشرقين الذين أسلموا في الدفاع عن الإسلام وخصائصه.

الفصل الأول: معالم منهج المستشرقين الذين أسلموا في الدفاع عن الإسلام.

المبحث الأول: معالم منهج المستشرقين الذين أسلموا في الدفاع عن الإسلام

إن دراسة منهج المستشرقين الذين أسلموا موضوع في غاية الأهمية، لكنه من الصعب أن نجمع المستشرقين كلهم في بوتقة واحدة ونزعم أن منهجهم كان واحداً، لكنه يتقارب في بعض المعالم ويشترك في بعض الموضوعات، ويتشابه في بعض الأفكار التي تناولوها، بيد أن لهذه المناهج صورها العديدة الواضحة والبينة في مختلف كتابات المستشرقين الذين أسلموا وكتبهم والتي تظهر خلال الأسطر القادمة.

وقبل أن أبدأ الحديث عن المناهج يستحسن البدء بتعريف المنهج لغة واصطلاحاً.

فتعريف المنهج لغة: من نهج: طريقٌ نَهْج: بَيّنٌ واضِحٌ، وهو النَّهْج، ومَنْهَج الطريقِ: وضَحُه. والمِنهاج: كالمَنْهَج، وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة: ٤٨]. وأَنْهَج الطريقُ: وضَحَ واسْتَبانَ وصار نَهْجا واضِحاً بَيِّناً، والمِنهاج: الطريقُ الواضِحُ، واسْتَنْهَج الطريقُ: صار نَهْجا[١].

واصطلاحاً: المنهج العلميّ: خُطَّة منظّمة لعدَّة عمليّات ذهنيَّة أو حسيَّة بُغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها- مناهج التَّعليم: برامج الدِّراسة، وسائله وطرقه وأساليبه[٢].

واختصاراً للحديث حول مناهج المستشرقين وطلباً للفائدة، فإنني سأعمل على إجمال المنهجيات التي يشترك فيها المستشرقون الذين أسلموا في تناول العلوم الإسلامية، حيث سلك المستشرقون الذين أسلموا في كتاباتهم عن الإسلام والمسلمين مناهج انطلقت من مرتكزاتهم الفكرية والعقدية، مما تبين الأصول التي يعتمدون عليها في كتاباتهم، وكذلك اتضحت بعض الركائز الأساسية التي يستندون إليها والدعائم القوية في نظرتهم إلى الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، وفيما يلي بيان لأهمها:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٨٣.

(٢) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣، ص٢٢٩١.

أولاً: منطلقاتهم من الكتاب والسنة

يستند كل المستشرقين الذين أسلموا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية في كتاباتهم عن الإسلام والمسلمين، حيث يعدون القرآن الكريم وحياً من عند الله أنزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بل يؤمنون به حق الإيمان، وكذلك يعدون السنة النبوية المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، ولا شك أن لهذين المصدرين دوراً مهماً في سلامة كتاباتهم.

ونظر المستشرقون الذين أسلموا إلى القرآن الكريم نظرة المؤمن إلى أساس إيمانه ومصدر شريعته، فإن إيمانهم بالقرآن الكريم نفسه يعتبر بالنسبة لهم دليلاً على سلامة نصوص الوحي، فالجميع متفقون مع أهل السنة والجماعة في إثباتهم أن القرآن الكريم وحي من عند الله سبحانه وتعالى، وأكدوا على أهمية التمسك بالكتاب؛ لأن الحكمة من نزوله تطبيقه في حياتنا اليومية وفي جميع مناحي الحياة.

كما اعتبروا القرآن الكريم معجزة حية تحمل أدلة إعجازها في ذاتها، فهو معجزة الله الخالدة نزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال اتيين دينيه: "إن معجزات الأنبياء الذين سبقوا محمداً كانت في الواقع معجزات وقتية وبالتالي معرضة للنسيان السريع بينما نستطيع أن نسمي معجزة الآيات القرآنية (المعجزة الخالدة) ذلك أن تأثيرها دائم ومفعولها مستمر ومن اليسير على المؤمن في كل زمان وفي كل مكان أن يرى هذه المعجزة بمجرد تلاوة كتاب الله وفي هذه المعجزة نجد التعليل الشافي للانتشار الهائل الذي أحرزه الإسلام، ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الأوروبيون، لأنهم يجهلون القرآن، أو لأنهم لا يعرفونه إلا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة فضلاً عن أنها غير دقيقة، وإن الجاذبية الساحرة التي يمتاز بها هذا الكتاب، الفريد بين أمهات الكتب العالمية، لا تحتاج منا- نحن المسلمين- إلى تعليل؛ ذلك أننا نؤمن بأنه كلام الله أنزله على رسوله"[(١)].

كما أثبتوا أصالة القرآن الكريم وبينوا موثوقية نصوصه، وأنه محفوظ بحفظ الله إلى قيام الساعة، ولم يدخل فيه أي تحريف ولا تغيير ولا تبديل، تقول مريم جميلة: "الإسلام هو الدين الوحيد الذي يفخر بكتاب سماوي خال من التحريف نزل بلغة ما زالت مقروءة ومفهومة؛ أما الآخرين فليس عندهم كما يعترفون إلا ترجمات محرفة ومتغيرة عن نصوص أصلية كانت بدورها سيرًا عن حياة الأنبياء

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص ١٣٥.

وضعت بعد وفاتهم بقرون ولم يكن لهم فيها من نصيب إلا اقتباس بعض الأقوال والأفعال عنهم، ولو أعيدت هذه النصوص إلى لغاتها الأصلية لما فهمها أحد ممن يقولون أنهم يؤمنون بها الآن"(١).

كما أكدوا على بلاغة القرآن الكريم وتأثيرها على نفوس المسلمين؛ بل تعدى تأثيرها إلى غير المسلمين، وبينوا روعة أسلوب القرآن الكريم وقوة عباراته وحسن معانيه وجمال تعبيره، وأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، فلغته العربية حية إلى قيام الساعة، يقول مراد هوفمان في هذا الشأن: "ليس المقصود هنا القول إن المرء لا يمكنه تقديم الأسباب الفكرية وحتى الجمالية عن المصدر الإلهي للقرآن ونبوة محمد بالتبعية، حيث تقوم البراهين على:

-الأساليب اللغوية المتفردة للقرآن بالمقارنة بالشعر العربي والنثر قبل الإسلام.

-جمال التعبير.

-التركيب المثير للدهشة متضمناً التواؤم بين المضمون والصوت.

-الترابط الداخلي والتطابق في المضامين حتى مع الاكتشافات العلمية الغاية في الحداثة (القرآن هو النص المقدس الوحيد الذي يخلو من الأخطاء التاريخية والعلمية الصريحة)"(٢).

ووقف المستشرقون الذين أسلموا من الإعجاز القرآني موقفهم من مصدر القرآن الكريم؛ وذلك لأن الإيمان بإعجاز القرآن فرع عن الإيمان بمصدره، فأكدوا إعجاز القرآن الكريم؛ مما يؤكد ألوهية مصدر الوحي المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد حاول المستشرقون الذين أسلموا إظهار أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وأنه لا يتناقض مع حقائق العلم الحديث، وأن العلاقة بين القرآن الكريم والعلم إنما هي علاقة اتساق واتفاق وانسجام، وليست علاقة تعارض وتنافر وتناقض، يقول موريس بوكاي: "أول ما يثير الانتباه والدهشة عند دراسة الحقائق العلمية في نصوص القرآن هو كثرة هذه الموضوعات العلمية في نصوص القرآن، وهي موضوعات تتعلق بكيفية خلق الله للعالم وتتعلق بعلم الفلك وتفسير بعض المسائل المتعلقة بالأرض التي يعيش عليها سائر مخلوقات الله على الأرض من حيوانات ونباتات بالإضافة إلى المسائل المتصلة بالتناسل والتكاثر، وعلى حين نجد في الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى كثيرًا من الأخطاء العلمية الضخمة الفاحشة لا نجد في نصوص القرآن من الناحية العلمية البحتة أي أخطاء على الإطلاق، ولقد دفعتني هذه الحقيقة إلى أن أتساءل: لو كان مؤلف نصوص القرآن الكريم مجرد واحد من البشر ولم يوح الله إليه نصوص القرآن الكريم فكيف استطاع هذا الإنسان في القرن السابع الميلادي أن يكتب مثل هذه الحقائق العلمية

---

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٤٧.

(٢) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص٩٣.

الموجودة في نصوص القرآن وهي لم يتم اكتشافها إلا في العصر الحديث بعد قرون عديدة من وجود نصوص القرآن؟ لم يعد في هذا الصدد مجال لأي شك، القرآن أوحاه الله إلى نبي الإسلام ونص القرآن الموجود بين أيدي الناس في أيامنا هذه هو ذات النص الذي أنزله الله إلى نبي الإسلام ليبلغه إلى الناس منذ القرن السابع الميلادي متضمنًا حقائق علمية لم يكتشفها البشر إلا في القرن العشرين الميلادي"[١].

مع التأكيد بأن القرآن ليس مصدراً أساسياً للمعرفة العلمية وموسوعة علمية في الفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء، وإنما هي مجرد إشارات وإيماءات سريعة تتطابق مع ما اكتشفه العلم الحديث عبر وسائله المادية وذلك لأن القرآن في حقيقة أمره إنما هو رسالة من الله إلى الناس كافة.

وموقف المستشرقين الذين أسلموا من السنة النبوية كمصدر تشريعي هو الإيمان بها والاستعانة بها في فهم أمور الدين والاستشهاد بها في بعض كتاباتهم، حيث تقول مريم جميلة: "القرآن والسنة موجهان إلى كل العالم وفي كل الأوقات في الشرق وفي الغرب، وبما أنهما لكل زمان ومكان فلن يطرأ عليهما أي إلغاء، أو أن يصبحا غير صالحين لزمن ما"[٢].

"وبالقرآن والسنة يتكامل الإسلام دينًا شاملاً وأسلوب حياة متكاملاً يتوازن فيه الفرد والمجتمع والمادة والروح في تناسق بديع وتهدي الشريعة السمحاء الحياة الفردية والاجتماعية، فتتحدث عن العبادات والأخلاق والعادات والروابط الأسرية والشئون الاجتماعية والاقتصادية والإدارة والحكم وحقوق وواجبات المواطن والنظام القضائي وقواعد الحرب والسلم والعلاقات الدولية، وتوضح الحق والباطل والحلال والحرام والنافع والضار والمندوب والمنهي عنه، وترسم نطاق الحريات الفردية وحدودها وكيفية إقامة المجتمع المسلم"[٣].

وتقول أيضاً: "إن المصدرين الأساسيين للإسلام وهما القرآن والسنة سليمان لم يدخلهما التحريف، فلا يوجد دين آخر يزعم لنفسه هذه المزية، ولما كانت تعاليم الإسلام شاملة محيطة في نظرتها وتامة بذاتها كل التمام لم يسمح الإسلام بالانتقائية أو الموافقة لأية ثقافة تتعارض مع أصوله، فالإسلام منفرداً يقدم سبيلاً مرشداً تاماً للحياة بكليتها، والإسلام لا يعرفنا ما ستعمله فحسب بل

---

(١) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٦٦-١٦٧.

(٢) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص٥٧.

(٣) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٤٩.

يعلمنا كيف نعمله، بينما التعاليم الموجودة للأديان الأخرى جميعها تعاليم محدودة محصـــورة لا ارتباط بينها"[(١)].

بينما يؤكد محمد أسد أن الشريعة الإسلامية تعتمد على مصدري الكتاب والسنة؛ إذ يقول: "كان الصحابة يعيشون في رحاب هداية النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعون مقاصد المشرع بشكل تلقائي، وكانوا يعرفون أن الشريعة بكاملها موجودة في مصدري الإسلام القرآن والسنة، وكذلك يعرفون أن كل ما أراد الله ورسوله أن يكون من الشرع منصوص عليه بشكل صريح في مصدري الإسلام، ويسمى (نص) وجمعه نصوص هذه الأحكام بطبيعتها وصياغتها لا تحتمل إلا تفسيراً واحداً؛ بل لا تحتاج أي تأويل؛ لأنها شديدة الوضوح تامة المعنى، ذلك أن نص القرآن والسنة يعني الأحكام المتضمنة في ظاهر كلمات هذين المصدرين، وكان الصحابة شديدي الالتزام بالحكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [سورة النساء: ٥٩]. أي إلى القرآن والسنة"[(٢)].

أيضاً يؤكد مراد هوفمان أن السنة النبوية تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم؛ حيث يقول: "إن السنّة النبوية بالإضافة إلى القرآن الكريم، هي مصدر ثانٍ (من مصادر التشريع)، وهذا يعني أن وظيفة السنة هي شرح القرآن أي بيان له"[(٣)].

ويستمر مراد هوفمان في تأكيده على هذه المسألة فيقول: "ثم إن البصر بالسنة والحديث لازم أشد اللزوم، فما كان النبي صلى الله عليه وسلم ينطق عن الهوى، فأقواله وأفعاله وإثباته لقول أو فعل أو إنكاره لهما، على درجة كبيرة من الأهمية لفهم الإسلام والقرآن"[(٤)].

بيد أن هناك بعض الآراء تستحق وقفة تأمل ودراسة متأنية ومناقشة موضوعية، فقد كتب مراد هوفمان حول السـنة النبوية في كتابه (الإسـلام كما يراه ألماني مسـلم) تحت عنوان: السـنة النبوية ما نصه "أن مصطلح السنة يعود إلى ما قبل ظهور الإسلام وكان التعبير عنه بعبارة أسوة حسنة، والآن يسـتخدم في عدة معان من أبرزها الاقتداء بالرسـول صـلى الله عليه وسـلم، والسـلوك المسـتحب، ونقيض التجديد، كما تتناول ما تركه الرسول صلى الله عليه وسلم"[(٥)].

(١) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٢٥٠-٢٥١.

(٢) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص٥٦- ٥٧.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٨١.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٤.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٧٩.

كما عرف مراد هوفمان الســـنة بأنها: المصـــدر الكتابي الثاني لنظام العبادة والأخلاق في الإسلام، وهي مثبتة في الحديث أي: السنة القولية، والسنة الفعلية، والسنة التقريرية"[١].

ويقرر مراد هوفمان أن السنة والحديث علمياً اصطلاحان متلازمان بالرغم من أن أول ما يخطر ببال المرء عند ذكر الحديث هو القول، وعند ذكر السنة أول ما يخطر هو السلوك"[٢].

ويرى هوفمان أن الكتب الســـتة من بين كتب الحديث تتمتع بالثقة في الأعم الأغلب، "فما ورد فيها يكاد يكون موثوقًا كليًا... وهذا يعني أن ما وضـــعه آخرون لم تثبت صـــحته؛ ولكن يمكن الظن بصحته"[٣].

وقد أورد مراد هوفمان بعض الأمور التي يجب أن نضـــعها نصـــب أعيننا عند معالجة مســـألة السنة، ومن أهمها:

١/ "أنه ما من أحد يمكن أن يكون مســـلمًا إذا ما اقتصـــر اهتمامه على القرآن الكريم فقط؛ لأن المكونات الأســـاســـية للعقيدة والأخلاق الإســـلامية والممارســـات الدينية -وكذلك فهم القرآن- تعتمد على السنة النبوية.

٢/ إن السـنة النبوية بالإضـافة إلى القرآن الكريم، هي مصـدر ثان من مصـادر التشـريع، وهذا يعني أن وظيفة السنة هي شرح القرآن أي بيان له، ولا تعني في حال من الأحوال تغييره، فالقرآن فوق السنة وليس العكس، فيما لو حدث تضارب بين الاثنين في هذه الحالة يجب على المرء أن ينطلق من أن الحديث المشكوك فيه ليس صحيحًا.

٣/ إن مكانة السنة إنما تقوم على أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد وافق القرآن الكريم، وقد أمر المسلمون في القرآن أن يطيعوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمور الدينية والأخلاقية؛ أما فيما يتعلق بأمور أخرى دنيوية كمجالات الطب أو الحرب أو الزراعة فلهم الخيار فيها حســـب تجاربهم وخبراتهم البشرية.

٤/كان الرسـول صـلى الله عليه وسـلم ينهى بين الحين والآخر عن تدوين السـنة للحيلولة دون حدوث خلط بينها وبين النص القرآني، ولذلك لم يكن هناك سـوى القليل من الأحاديث المدونة في

(١) المرجع السابق، ص٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص٧٩.

(٣) المرجع السابق، ص٧٩، ٨٠.

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي الأحاديث التي دوّنها عبد الله بن عمرو، وهكذا تمت كتابة السنة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فهي بطبيعة الحال لا تتمتع بالمقام الذي يمثله القرآن الكريم من حيث الدقة والصحة.

٥/ جرى تدوين الأحاديث بكل دقة وعناية، وبشكل خاص تم التحقق فيما إذا كانت هناك سلسلة من الرواة تعود بالفعل إلى عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- مؤلفة من شخصيات موثوقة، ومن أجل هذا الهدف نشأ فرع من العلوم اسمه علم الجرح والتعديل علم الرواة من رجال ونساء، وكعلماء تاريخيين دقيقين قدم جامعوا الحديث المسلمون مستوى لم يكن قد بلغه أحد بعد في تاريخ السيرة"(١).

ورغم تأكيد مراد هوفمان على الدقة في تدوين الحديث وروايته عند علماء المسلمين كما تقدم إلا أنه لم يستبعد الشك في أجزاء من السنة النبوية والله المستعان، وهذا ملحظ مهم، حيث علل ذلك بسببين كما يقول:

"**الأول**: في المجتمع الإسلامي الأول لم يكن قد وجد اصطلاح (السنة النبوية) بعد، وكما نستنتج من مجموعة الأحاديث المسماة (الموطأ) التي جمعها الفقيه مالك بن أنس، كان الفقه يقوم على القرآن والعُرف، طالما هذا الأخير لا يتناقض مع القرآن، تطورت هذه (السنة الحيوية) إلى درجة أن أصبح من العادة الحديث عن سنة الخليفتين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-، إلى أن جعل الإمام الشافعي في نهاية القرن الثامن الميلادي السنة تقتصر على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فقط، بعد أن كان بعضها قد نسب، عن طيب نية، أو بغير حق، إلى النبي صلى الله عليه وسلم"(٢).

وكلام مراد هوفمان هنا يظهر فيه مجانبة الصواب من ناحيتين:

الأولى: وافق كلامه للأسف بعض دعاوى عدد من المستشرقين المتحاملين على السنة النبوية، فكلامه شبيه لما ذهب إليه المستشرق شاخت من أن "مفهوم السُنَّة في المجتمع الإسلامي في العصر الأول كان: الأمر العرفي أو الأمر المجتمع عليه"(٣)، وكذلك لما ذهب إليه مارجليوت: "بأن السنة في

(١) المرجع السابق، ص٨٠ -٨١.

(٢) المرجع السابق، ص٨١ -٨٢.

(٣) محمد طاهر بن حكيم غلام رسول، السنة في مواجهة الأباطيل، مجلة دعوة الحق، ١٤٠٢هـ (١٢)، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، ص١١.

بادئ الأمر كانت تطلق (على ما كان عرفًا مألوفًا)، ثم صار عنصرًا مندمجًا في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم"[١].

الثانية: دعوى تناول كلمة الســـنة في بعض معانيها ما كان معروفاً، دعوى بلا دليل لأنك لا تجد العرف قد دخل ضمن الأحاديث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

والثاني: "تفادي جامعي الحديث المشهورين، بالإضافة إلى سلسلة الرواة، إخضاع مضمون المادة المنقولة (المتن) للانتقاد، ما عدا الحالات التي تبدو غير ممكنة، أو تتضمن تناقضًــا؛ إذ لم تتوفر لهم آنذاك الوسائل المتاحة حاليًا للتحليل اللغوي أو النقد التاريخي، ولذلك تتضمن مجموعاتهم بعض التزوير الذي لا يراد به شـــر؛ لأنها تتعاطف مع تيار ســـياســـي أو ديني أو جماعة من الجماعات الإسلامية الأولى، أو تتخذ موقفًا ضدهم"[٢].

وهذا النقد الذي ذكره مراد هوفمان للمحدثين من جنس كلام بعض المستشـرقين المتحاملين على الإسلام؛ حيث "ادعوا بأن المحدثين لم يتجاوزوا أبدًا نقد السند إلى نقد المتن، وأن نقد المتن ترك من دون عناية أبدًا"[٣]، ويقول المستشرق شاخت: "إن العلماء المسلمين أخفوا نقدهم لمادة الحديث وراء نقدهم للإسناد نفسه"[٤].

وما ذهب إليه مراد هوفمان مأخذ عليه ودعوى غير صـــحيحة بدليل أن المحدثين قد اعتنوا أيضاً بمتن الحديث جنباً إلى جنب السند، وما اهتمام العلماء بالسند إلا لأجل الوصول إلى صحة المتن أو ضــعفه، حيث قاموا بوضــع معايير معينة وضــوابط محددة لقبول المتن ومعرفة الصــحيح من سقيمه، بل ألفوا مؤلفات متخصصة في هذا الجانب، فخير مثال لذلك ما ألفه الإمام ابن قيم الجوزية كتاباً متخصصاً في نقد المتن سماه: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، حيث ذكر القواعد والقرائن التي تدل على الكذب في المتن دون النظر إلى ســنده، كما ذكر بتوســع علامات الوضــع في المتن، فذكر أربعًا وأربعين قاعدة ومثَّل لها بمئتين وثلاثة وسبعين حديثًا.

---

(١) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ، ص١٠.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٨٢.

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص١٣.

(٤) يوسف شاخت، أصول الفقه، ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرين، دار الكتب اللبناني، ١٩٨١م، ص٦٤.

كما ذهب مراد هوفمان في كتابه (الإسلام عام ٢٠٠٠م) إلى وجوب (إعادة توثيق) الحديث على يد العلماء المؤهلين بمشرط الجراح وليس الفأس[(١)]، وهذا القول فيه إجحاف كبير بعلماء الحديث الذين بذلوا الغالي والنفيس في التأليف والتوثيق، وما الكتب الصحاح الست إلا شواهد دالة على ذلك.

ومما يؤاخذ عليه مراد هوفمان تشكيكه في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم حين يقول: "لهذه الشكوك ما يبررها فكتب الحديث الستة الصحيحة تم جمعها بنفس الأسلوب وبخاصة في التبجيل المطلق لصحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يتم نقد الإسناد والمتن كما لو استخدمت التحليلات اللغوية الاجتماعية الحديثة"[(٢)].

وما ذهب إليه مراد هوفمان أثر من آثار الفكر الاستشراقي، ينبغي التخلص منه، فالصحابة رضوان الله عليهم عدول كلهم ولا يوصفون بهذه الأوصاف فهم أفضل الخلق بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهم حملة الرسالة، وقد أدوا الأمانة على أكمل وجه.

كما يقترح استخدام المناهج المعاصرة، فيقول: "ولم يتم نقد الإسناد والمتن كما لو استخدمت التحليلات اللغوية والاجتماعية والتاريخية الحديثة"[(٣)]، ويضرب على ذلك أمثلة؛ إذ يقول: "يجب أن نعترف أن السنة لم تحفظ بالدرجة التي نأملها... ألا نحس جميعًا ببعض الشك من الأحاديث السياسية، خاصة تلك التي ترفع عليًا أو معاوية أو الرجال على النساء؟ ألا نحس بالاطمئنان لواقعية حديث عائشة ونبتسم لبعض أحاديث أبي هريرة"[(٤)].

"ورغم أننا لا نعتبر مثل هذه الآراء طعنًا في السُّنة، ولا هي دليل على قصد هوفمان إلى التشويه؛ لأن الرجل ما زال من (المؤلفة قلوبهم) رغم السنين الطويلة التي عاشها مسلمًا، ولأنه لم يتعمق في دراسة علوم الإسلام دراسة عميقة تؤهله للاجتهاد في أصوله، إلا أننا سنتتبع آراءه لتوضيح حقيقة اقتراحه وما يؤول إليه"[(٥)].

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠م، ص١١١.

(٢) المرجع السابق، ص١١٠.

(٣) المرجع السابق، ص١١٠.

(٤) المرجع السابق، ص١١١.

(٥) لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص٣٤٨.

١/ أبان هوفمان عن قلة بضاعته في علوم الحديث عندما جعل الأحاديث السياسية قسمًا من الحديث الصحيح بحيث تجب مراجعته، كما أبان عن تأثره بدائرة الاستشراق؛ لأن هذا النوع من الأخبار التي يكثر فيها الوضع كانت حصان طُروادة الذي استخدمه المستشرقون لاقتحام حصن السنة، ولئن كان مراد هوفمان يعجب لدقة حديث عائشة رضي الله عنها فقد أعجب علماؤنا بذلك قبله ودونوا ما نقل عنها في كتبهم، ولئن كان يتسم من بعض حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فقد ميز علماؤنا ما ورد عن أبي هريرة وغيره وأثبتوا ما تصح نسبته وما كان موضوعًا مما يعد إثباته في السنن طعنًا في قدسية الإسلام، ومن المؤكد أن مراد هوفمان لم يميز هنا بين ما ورد في كتب الصحاح والسنن، وبين ما يشيع في الثقافة الإسلامية من أخبار، نسبتها إلى الوضع- إذا استخدمنا فيها مناهج المحدثين- واضحة، ولكن المسلمين تناقلوها؛ لأن روح عصرهم كان يسمح بذلك.

إن طعن هوفمان في الصحابة أمر خطير، ولعله لم يعلم خطورته فسبق قلمه تفكيره، ولو تأمل المسألة لوجد أن فتح باب الطعن فيهم هو مظنة إسقاط الإسلام نفسه؛ إذ إننا لا ندين الله إلا بما نقلوه لنا، وهل وجد هوفمان الكتاب الكريم مسطورًا في قلب كل منا، أو وجد نسخه تتوزع في الآفاق منذ بدء الوحي، أو وجدنا نستطيع الاستغناء عن فقه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حتى يفتح علينا باب الطعن في صحابته الذين تولوا التبليغ عنه؟

ولابد من أن نؤكد أنه لا يوجد دين من الأديان إلا وصحابة نبيه هم المسؤولون عن نشره، وهذا يستلزم عدم إمكان الطعن في صحابة أي نبي إلا إذا أراد الإنسان أن يصبح كافرًا، ثم إن الطعن في الأديان من باب نقلها هي حجة الملاحدة القدامى والملحدين، وهذه النقول أعلى ما يثبت من أخبار العالم، ونفيها مظنة لإسقاط كل التراث الإنساني.

يقترح هوفمان استبدال مناهج علمائنا النقدية بمناهج التحليل اللغوي والاجتماعي والتاريخي، وهذا أمر يحتاج إلى تفصيل، فأما بالنسبة للتحليل اللغوي فمن غير الممكن استخدامه في نقد الحديث الصحيح؛ لأن علماءنا قد أجمعوا على جواز وصحة نقل الحديث بالمعنى، ويستند ذلك على حقيقة معروفة ومشروعة، وهي استحالة أن يتم نقل الخبر بلفظه مدة قرن ونصف من الزمان، وليس بمعنى هذا أن علماءنا لم يستخدموا هذا المقياس، بل إنهم نصوا وعرفوا الكثير من الأحاديث الموضوعة بعد أن شهد بوضعها ركاكة ألفاظها ومعانيها.

ومعنى هذا أن إمكانية معرفة الحديث الموضـوع والضـعيف متوافرة بالبحث اللغوي؛ أما معرفة الصـحيح والنص عليه فغير ممكنة، ولذلك يجب أن نتوقف فيه على النقل السـليم. وأما بالنسـبة للمنهج الاجتماعي والتاريخي فقد استخدمها علماؤنا القدامى، وكانت نتيجة ذلك استبعاد أحاديث سياسية تضمنت فضائل لبعض الأئمة ساهم في وضعها أحداث الفتنة في صدر الإسلام والقوى والفرق التي كانت تصطرع فيه"(١).

وأما المستشـرق الفرنسـي المسـلم موريس بوكاي فقد ذهب إلى تقرير كيفية جمع الحديث ودقة النقد الممارس عليه، فقال: "وكانت معلومات هذا المصـدر الثاني -أي: السـنة- تعتمد فقط على النقل الشفهي، لذلك فإن الذين بادروا إلى جمع هذه الأقوال والأفعال في نصوص قد قاموا بتحقيقات تتسم -دائمًا- بالصعوبة، كما هو الشأن في حكاية جميع الأحداث بعد انقضائها، ولهذا كان همهم الأول منصبًا على دقة الضبط لهذه المعلومات الخاصة بكل حادثة في حياة محمد، وللتدليل على ذلك الاهتمام بالدقة والضبط فإنهم قد نصوا على أسماء الذين نقلوا أقوال النبي وأفعاله... وهذا ما انفرد به علماء الإسلام في كل ما روي عن نبيهم"(٢).

وقارن بوكاي بين المدونات الحديثية والأناجيل فقال: "وهناك سمة مشـتركة بينها جميعًا من حيث... كتبت كلها بأقلام كتاب لم يكونوا من الشـهود العيان... كما أنها لم تظهر للوجود إلا بعد انقضـاء مدة على الأحداث... وكذلك فإن مجموعات الأحاديث مثل الأناجيل من حيث إنها لم تعتبر كلها صـحيحة ثابتة... غير أنه على عكس الأناجيل القانونية التي لم يتناولها الاعتراض... فإن مجموعات الأحاديث، حتى تلك التي تعتبر بوجه خاص صحيحة، قد خضعت كلها لفحوص نقدية عميقة"(٣).

والملاحظ في موقف بوكاي من الحديث النبوي هو محاولته في كتابه (التوراة والأناجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث) مقارنة نصـوص السـنة النبوية بالنظريات العلمية المعاصـرة، وتوصـل منها إلى نتائج بعيدة عن موافقة أهل الاختصـاص الشـرعي، فقد رأى بوكاي "أن نصـوص القرآن نصـوص لا دخل ليد البشـر فيها، وذلك خلافًا لنصـوص الأحاديث الظنية من أخبار الآحاد التي لا يمكن أن ترتفع في الثبوت إلى درجة الوحي المنزل المتواتر المكتوب، وذلك لما يدخل عليها من أخطاء الرواة كما

---

(١) المرجع السابق، ص٣٤٩.

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٧٠.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧١.

سبق، وفضلاً عن ذلك كله فقد يكون الحديث صحيحًا لا شك فيه، ولكنه ما دام في أمر من أمور الدنيا مما لا علاقة للدين به، فلا فرق عندئذ في ذلك بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيره من البشر لما ورد في صحيح مسلم عن رافع بن خديج قال ((قدم نبي الله المدينة وهم يأبرون النخل يقولون يلقحون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت أو فنقصت قال فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر قال عكرمة أو نحو هذا قال المعقري فنفضت ولم يشك))[١]

ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد دعم بنفسه ملاحظتنا بشكل عام، وأقر الفوارق فيما بين مواضيع الحديث التي لا وحي فيها عندما يكون الحديث متعلقًا بشأن من شؤون الدنيا مما قد لا يتفق أحيانًا مع حقائق العلم الحديث، ولا يضر بمكانة الرسول النبوية أو البشرية، ولكنه مفيد على كل حال؛ لأنه قد يعطينا في هذه المواضيع صورة عن مفاهيم ذلك العصر، وآرائهم فيما يتعلق ببعض المواضيع ذات الصفة العلمية"[٢].

وقد ضرب بوكاي أمثلة للأحاديث الظنية الدنيوية غير الدينية بالأحاديث المتعلقة بالطب، والأحاديث ذات الطابع العلاجي في صحيح البخاري وما تضمنته من "أفكار عن الأذى، والعين، والسحر، وإمكانية التخلص من آثار السحر، مع العلم بأن هناك منعًا من التكسب باستخدام القرآن لهذا الغرض، كما أن هناك حديثًا يشير إلى أن بعض التمر يقي من نتائج السحر، وأنه يمكن استخدامه ضد اللدغات السامة"[٣].

ويمضي بوكاي في بيان أنه لا ينبغي أن نندهش من هذه الأحاديث ونحن نتكلم عن عصر كانت الإمكانيات الفنية والصيدلة فيه محدودة، وبعد أن ذكر أمثلة إضافية للطب النبوي، يقول بوكاي: "ونستنتج من كل ذلك أنه من الممكن القول بوجود بعض الأحاديث غير المقبولة علميًا في مواضع الطب والمعالجة، وإن الشك يخيم على صحتها، فضلاً عن أنها من أمور الدنيا، وليست من أمور الدين، وإن الفائدة من الإشارة إليها هو فقط لمقارنتها مع نصوص القرآن العلمية التي أثبتت

(١) صحيح مسلم (١٨٣٥/٤) كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي، ح (٢٣٦٢).

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧٤.

دراستها كما سبق: أنها لا تحتوي قط على شيء من ذلك غير صحيح، ولذلك كان لهذه المقارنة أهمية كبرى؛ لأنها كما رأينا تشهد للقرآن بأنه وحي لا شك فيه، وأنه لا يد فيه للبشر"[1].

وكلام بوكاي المتقدم هو محل مناقشة وتقويم، فإنه رغم جهود بوكاي الظاهرة في بيان الإعجاز العلمي في القرآن ومقارنته بالكتب المقدسة عند أهل الكتاب، وبيانه للفروق الظاهرة التي تؤكد أن القرآن الكريم كتاب إلهي المصدر، وأنه وحي من عند الله تعالى، إلا أن كلام بوكاي عن الحديث النبوي يتقاصر عن ذلك كثيراً، ولعل قلة دراسته للحديث والسنة على سبيل العموم، وعدم تمكنه في ميدان العلم الشرعي أورث له مثل هذا التخبط الذي وقع فيه حين قسم الحديث النبوي إلى أحاديث دينية يؤخذ بها، وأحاديث دنيوية لا يجب الأخذ بها؛ لأنها ليست من قبيل الوحي، وقد طرأ عليها التعديل والتحريف مما جعلها تمثل فكر عصرها ولا علاقة لها بالحقائق العلمية، مستدلاً لمذهبه بالحديث النبوي: ((أنتم أعلم بأمور دنياكم))[2]، والجواب عن كلام بوكاي على ثلاثة أوجه:

الأول: أن جميع ما صح من السنة النبوية يجب الإيمان بأنه وحي من عند الله تعالى كما دلت على ذلك النصوص، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٤٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُتيتُه وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يوم القيامة)) [3].

وقال صلى الله عليه وسلم كما في حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه: ((ألا أُعطيتُ القرآن ومثلَه معه))[4].

فقد دلت الآية الكريمة والحديثان الشريفان على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاه الله عز وجل أنه وحيين، هما: وحي القرآن الكريم، ووحي السنة النبوية الشريفة.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٧٤.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٥/٤)، ح (٢٣٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وفي غيرهما، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، رقم (٢٣٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٣٠/٤-١٣١)، وأبي داود في سننه، كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة، رقم (٤٦٠٤)، والدار قطني في سننه (٢٨٧/٤)، وابن حبان في صحيحه (١٨٩/١ رقم ١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٣٢/٩).

الثاني: تقسيم بوكاي للحديث النبوي إلى أحاديث دينية وأحاديث دنيوية، وترتيبه على هذا التقسيم أن تكون الأحاديث الدينية واجبة الأخذ إلهية المصدر، وأن تكون الأحاديث الدنيوية غير واجبة الأخذ ولا تصل إلى درجة الوحي؛ هذا التقسيم غير صحيح ولا يسلم له، ذلك أن ما ثبت من السنة يجب الأخذ به جميعًا وامتثال ما جاء فيه -إلا أن يكون منسوخًا- ويجب اعتقاد كونه من عند الله لقوله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [سورة النجم: ٣].

والحديث قد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ولفظه عن طلحة رضي الله عنه قال: مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل فقال: ((ما يصنع هؤلاء؟)) فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله صلى الله وسلم: ((ما أظن يغني ذلك شيئًا))، قال: فأُخبروا بذلك فتركوه، فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: ((إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل)) (١)، وفي رواية عن رافع بن خديج قال: قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وهم يؤبرون النخل، يقولون يُلقِّحون النخل، فقال: ((ما تصنعون؟)) قالوا: كنا نصنعه، قال: ((لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا))، فتركوه فنفضت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له، فقال: ((إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر)) (٢)، وفي رواية عن أنس وعائشة رضي الله عنهما: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون، فقال: ((لو لم تفعلوا لصلُح))، قال: فخرج شيصًا، فمر بهم فقال: ((ما لنخلكم؟)) قالوا: قلت كذا وكذا، قال: ((أنتم أعلم بأمر دنياكم))(٣)، هذه روايات الحديث، ولنبين فيما يلي خطأ الاستدلال بهذا الحديث على أن ما كان من أمور الدنيا في الأحاديث النبوية فهو غير واجب الاتباع:

-أن هذا القول لم يقله أحد من علماء الشريعة، بل هو مخالف لأقوالهم، وما كان هذا سبيله فهو مردود على صاحبه، مرفوض غير مقبول، فقد بوب النووي على هذا الحديث بقوله: (باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي)(٤)، أي: في أمر الدنيا ومعايشها لا على سبيل التشريع، فأما ما قاله باجتهاده ورآه شرعًا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي (١٨٣٥/٤)، حديث رقم (٢٣٦١).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٥/٤)، حديث رقم (٢٣٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٣٥/٤)، حديث رقم (٢٣٦٣).

(٤) أبو زكريا محي الدين يحيى النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص ١١٦.

يجب العمل به، وليس إبار النخل من هذا النوع، بل من النوع المذكور قبله... قال العلماء: ولم يكن هذا القول خبرًا، وإنما كان ظنًا كما بيَّنه في هذه الروايات، قالوا: ورأيه صلى الله عليه وسلم في أمور المعايش وظنه كغيره، فلا يمتنع وقوع مثل هذا، ولا نقص في ذلك، وسببه تعلق هممهم بالآخرة ومعارفها، والله أعلم))[1].

فمما تقدم نقله عن أهل العلم يتبين أن مجال هذا الحديث إنما هو في أمر الدنيا ومعايشها، ولم يذكر العلماء تلك العبارة مطلقة، بل قيدوها بما يبطل كل محاولات التأويل الباطل لهذا الحديث، فقد قيد العلماء أمر الدنيا ومعايشها بأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قاله على سبيل الرأي؛ أي: أنه قاله (لا على سبيل التشريع) وهذا التقييد يعني أمرين:

أ/ أن الأمور التي يقال فيها: أنتم أعلم بأمور دنياكم هي تلك الأمور التي لم تتناولها الأدلة الشرعية تناولاً عامًا أو تناولاً خاصًا، أو الأمور التي تناولتها السنة لا على سبيل التشريع وإنما على سبيل الرأي فقط.

ب/ أن الأصل في كل ما تناولته النصوص الشرعية -ولو كان متعلقًا بأمر الدنيا أو المعاش أو غيره- أن يكون على سبيل التشريع إلا أن يدل الدليل أو القرينة على خلاف ذلك، ويؤيد هذا الكلام أيضًا تصرف الصحابة رضي الله عنهم في القصة المذكورة؛ حيث امتنعوا عن تأبير النخل -رغم خبرتهم السابقة عن أهمية ذلك التلقيح علاوة على أنه أمر من أمور المعايش الدنيوية- وذلك لما لم يظهر لهم دليل أو قرينة تبين لهم أن الرسول صلى الله عليه قال ما قال على غير سبيل التشريع، وهذا يعني أنهم رضي الله عنهم يتعاملون مع أقواله صلى الله عليه وسلم -ولو كانت في أمور المعايش- على أنها على سبيل التشريع حتى يأتي من الدليل الشرعي المبين لهم أنها على غير سبيل التشريع.

١/ أن يقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر الكلام في عدم تأبير النخل مطلقًا من كل قيد، حتى يقال: إن ما تناولته النصوص الشرعية مطلقًا من القيود وهو من أمور الدنيا فإن الشرع يُترك -في هذه الحالة- ويرجع في تلك الأمور الدنيوية إلى أهل الدنيا، فالرسول صلى الله عليه وسلم -كما بُيِّن في الحديث- لم يأمرهم أمرًا مطلقًا، أو لم ينههم نهيًا مطلقًا، أو بعبارة أخرى: لم يكن ما صدر منه على سبيل التشريع، وألفاظ الحديث ورواياته المتعددة تدل على ذلك، وإن كان من سمع هذا الموضوع من الصحابة رضي الله عنهم قد غلّبوا جانب التشريع، فقد جاء في ألفاظ الحديث

---

(١) المرجع السابق، ج١٥، ص ١١٦.

وراياته: ((ما أظن يغني ذلك شيئًا))، وجاء: ((لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا))، مما يبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث عن ظن أو خبرة دنيوية لا علاقة لها بالتشريع، ولذلك لما غلَّب بعض الصحابة رضي الله عنهم جانب التشريع في ذلك، بيَّن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لم يرد ذلك وأن كلامه السابق لا يدل عليه، ولذلك قال لهم معقبًا على تصرفهم إزاء مقالته السابقة: ((فإني إنما ظننت ظنًا، فلا تؤاخذوني بالظن))، وقال: ((إذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر))، وقال: ((أنتم أعلم بأمر دنياكم))، فالروايات كلها في مبتدأها ومنتهاها متضافرة على أن ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة كان من قبيل الرأي المتعلق بأمور المعاش القائم على الخبرة البشرية التي قد يتاح منها لبعض الناس ما لا يتاح لغيرهم، ولم يكن كلامًا على سبيل التشريع، وإذا تبين ذلك فقد بطل القول في أن النصوص الشرعية المتعلقة بأمور الدنيا، لا يعول عليها، ولا يرجع إليها، وإنما يرجع في مثل هذه الأمور إلى أهل الدنيا والمعرفة بها.

الثالث في الجواب على كلام بوكاي: أنه ثبت في السنة النبوية جوانب كثيرة من الإعجاز العلمي، ورغم أن اتجاه العلماء لبيان هذا الإعجاز ما زال حديث النشأة –وربما لم يلحظه بوكاي– إلا أن هناك جوانب ظاهرة في هذا الاتجاه تخالف ما ذكره بوكاي وتؤكد على وجود جوانب كثيرة من الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية مما يوافق كثيرًا من الحقائق العلمية الحديثة، وقد تولى عدد من الهيئات والجمعيات واللجان الخاصة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة بيان هذه الجوانب في مؤتمراتها وندواتها وإصداراتها، كما ظهر عدد من الدراسات والبحوث المختلفة التي تناولت هذا المجال بالبحث والتنقيب"[١].

ومن باب إحقاق الحق، فإن موريس بوكاي لم يذهب إلى الشك في سند الأحاديث الصحيحة، بل إلى محاولة دراستها مقارناً ما تحتويه متونها مع مقررات العلوم المعاصرة؛ حيث أثبت أن بعضها ليس صحيحاً، وهو لم يقصد بعدم الصحة هنا كذبها من حيث صحة نسبتها إلى النبي ﷺ، بل لكونها آراء عبر فيها عن معارف عصره.

من هنا كان المسلمون من المستشرقين في حاجة إلى معرفة بيان رسول الله، مع حاجتهم إلى معرفة كتاب الله، ولا يمكن أن يفهم القرآن على حقيقته وأن يعلم مُرَادَ الله من كثير من آيات الأحكام فيه إلا بالرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله عليه الكتاب ليبين للناس ما نزل إليهم من ربهم، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

(١) رياض بن حمد بن عبد الله العُمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم، ص٣٩٨-٣٩٩.

[سورة النور: ٦٣]. فقد اختص الرسول عليه الصلاة والسلام بشيء يطاع فيه، وذلك السنة التي لم تأت في القرآن، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [سورة النساء: ٨٠] [١].

(١) محمد بن عبد الله باجمعان، السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والعمل، ص ٣٨٢/٣٧٦.

ثانياً: استدلالهم بالكتاب والسنة

آمن المستشرقون الذين أسلموا بالقرآن الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فقاموا بالاستدلال بهما كثيراً، حتى أصبحا مصدرين مهمين في كتاباتهم؛ حيث طبق هذا المنهج كل المستشرقين الذين أسلموا ونظروا إليهما نظرة تعظيم وإجلال.

وهنا يبرز الباحث من باب التمثيل لا الحصر مواضع من استشهاداتهم واستدلالاتهم بالآيات القرآنية والسنة النبوية المطهرة من خلال مؤلفاتهم، وحسبنا أن نذكر موضعاً أو موضعين لكل منهم من باب الشاهد.

١/ استدلالهم بالآيات القرآنية أثناء كتاباتهم

ابتدأ المؤلف اتيين دينيه كتابه (أشعة خاصة بنور الإسلام) بآية من القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [سورة البقرة: ١٩٠][(١)].

وكما استشهد بآية: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [سورة القدر: ١]. ويقول: "من هذه السماء الدنيا نزلت أولى الآيات الكريمة على محمد، كما نزلت التعاليم العامة للدين الإسلامي وتوالى الوحي طيلة ثلاث وعشرين سنة، مرشدًا وهاديًا، وموجهًا للرسول في كل أعماله، توالى الوحي مثبتًا لقواعد الدين ومبينًا لقوانينه وموضحًا طريق انتصار الإسلام"[(٢)].

بينما لورد هدلي يستشهد بآية: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]. في معرض حديثه عن مكانة المرأة في الإسلام[(٣)].

ومارمادوك لديه ترجمة للقرآن الكريم، وقد سبق الكلام عنها في الباب الأول.

وعلى الرغم من كثرة مؤلفات عبد الواحد جينو نلاحظ قلة استشهاداته بالآيات القرآنية في كتاباته؛ إلا أنها لا تخلو من بعضها؛ حيث ذكر آية: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٤﴾ [سورة الواقعة: ١٣-١٤]. في الباب الأول أثناء حديثه عن العصر المظلم[(٤)].

(١) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص١٠.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١١٢.

(٣) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٧٠.

(٤) عبد الواحد يحيى جينو، أزمة العالم الحديث، ص١١.

كما يستشهد روجيه دوباسكويه بآية: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة النجم: ٣٨]. أثناء حديثه عن مسؤولية الإنسان نفسه دون غيره[١].

ويستشهد محمد أسد في كتاباته بالآيات القرآنية كثيراً حيث يستدل بآية ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الواقعة: ١٣-١٤].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤] [٢].

كما تجد موريس بوكاي قد استشهد كثيراً في كتابه (التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث) بآيات الإعجاز حيث يقول في أحد مواضعه: "لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بواسطة الملاك جبريل عليه السلام، ولقد استغرق نزول القرآن على هذا النحو أكثر من عشرين سنة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بدءًا من الآيات الخمس الأولى من سورة العَلَق وهي السورة السادسة والتسعون من القرآن الكريم"[٣].

وتجد كثيراً من استشهادات مريم جميلة للآيات القرآنية في كتاباتها؛ حيث استشهدت بآية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

وتقول: "كان انطباعي الأول عند قراءة القرآن الكريم أن هذا هو الدين الوحيد الحقيقي، وأنه لا شك في صدقه وصراحته وإخلاصه وأمانته، فهو الدين الذي لا يسمح بالتنازلات الرخيصة والنفاق على الإطلاق"[٤].

كما تلاحظ قلة الاستشهادات بالآيات القرآنية في كتابات مارتن لينجز؛ حيث لا تكاد تجد إلا آية أو آيتين في مؤلف واحد، ففي التمهيد لكتابه الموسوم (الساعة الحادية عشرة) استشهد بآية:

---

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٣٦.

(٢) محمد أسد، الطريق إلى الإسلام، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي، ص٢٤٣.

(٣) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٧٥.

(٤) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص٣٤.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢][(١)].

والقارئ في مؤلفات مراد هوفمان يجده كثيراً ما يستشهد بالآيات القرآنية في مواضع كثيرة، يكاد يكون السمة البارزة في كتاباته، ففي الفصل التاسع من كتابه (رحلة إلى مكة) تحت عنوان: فتش عن مسلمة استدل بآيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة النساء: ١٢٩]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ [سورة النساء: ٣٤].

أيضاً تجد جاري مللر قد ألف مؤلفاً متخصصاً في القرآن الكريم سماه (القرآن المعجز)؛ حيث ذكر كثيراً من الآيات القرآنية، فاستشهد بآية: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة هود: ٤٩]. ويعلق بقوله "ومما لا شك فيه فهناك سمة في القرآن الكريم لا توجد في كتاب آخر، فمن المهم أن نلاحظ حينما يذكر القرآن معلومات معينة فيقول للقارئ ما كنت تعلمها من قبل، لا يوجد مخطوط يقول هذا القول، فكلها حينما تذكر موضوعاً تاريخياً قديماً تحدد من أين جاءت بهذه المعلومات"[(٢)].

وفي ضوء ما تقدم يتبين أن اتيين دينيه ومارمادوك بكثول وروجيه دوباسكويه تجدهم في كتاباتهم يستشهدون بآيات لا بأس بها، فممكن أن تقول عنهم إنهم من المقلين في الاستشهاد بالآيات القرآنية، بينما تلاحظ لورد هدلي وعبد الواحد يحيى ومارتن لينجز ممن يندر في كتاباتهم الاستشهادات بالآيات القرآنية، في حين تجد كلاً من: محمد أسد وموريس بوكاي ومريم جميلة ومراد هوفمان وجاري مللر يكثرون من الاستشهاد بالآيات القرآنية.

(١) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص٧.

(٢) جاري مللر، القرآن المعجز، ص١٨.

٢/ استشهادهم بالسنة النبوية في كتاباتهم.

يلاحظ القارئ في كتابات المستشرقين الذين أسلموا قلة استشهاداتهم بالسنة النبوية إذا ما قارنّاها باستشهادهم بالقرآن الكريم، مع العلم بأن موقفهم من السنة النبوية -كما سبق بيانه آنفاً- الإيمان بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها مصدراً ثانياً بعد القرآن الكريم، ينبغي الاستسقاء منها والنهل من معينها في فهم أمور الدين والاستشهاد بها في بعض كتاباتهم، ونقف هنا خلال الأسطر القادمة مع بعض الأمثلة لاستشهاداتهم من السنة النبوية.

فإتيين دينيه أثناء حديثه عن التسامح والرفق في الدين استشهد برواية عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث يقول: "جاء إلى الرسول أحد بني سالم بن عوف واسمه الحسين وقال له: يا رسول الله إن لي ولدين مسيحيين يأبيان الدخول في دين الله وإني لمجبرهما على ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ((لا إكراه في الدين[١]))"[٢].

بينما تجد عبد الواحد يحيى يستشهد بحديث هكذا "في الخبر النبوي: ((الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها[٣]))"[٤].

أيضاً روجيه دوباسكويه يستشهد بحديث بدأ بقوله: "يطلب الإسلام الاستقامة والنية الخالصة في اتباع الشرع، ومن الأحاديث النبوية الأساسية والتي تتصدر كثيراً كتب الحديث: ((إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى[٥]))"[٦].

كما تجد في كتابات محمد أسد استشهاداته بأحاديث لا بأس بها، وذكر حديثاً منسوباً إلى النبي صلى الله وسلم؛ حيث بدأه معلقاً: "أعتقد اليوم أكثر من أي يوم مضى أنه بدون تصارع الأفكار وما ينشأ عنه من شحذ للملكات وحضّ على التأمل والتفكير، لا يمكن أن يتحقق لنا التقدم الفكري الذي ننشده للعالم الإسلامي، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((اختلاف

---

(١) سنن أبي داود، أول كتاب الجهاد، باب في الأسير يكره على الإسلام، (٣/٥٨) ح (٢٦٨٢) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ١٩.

(٣) سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٥/٥١) ح (٢٦٨٧) قال الشيخ الألباني: ضعيف جدا.

(٤) عبد الواحد يحيى، شرق وغرب، ص٩٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (١/٣) ح (١).

(٦) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٢٢.

أمتي رحمة))[١] عظة كبرى وقيمة إيجابية مبدعة كثيراً ما غفل عنها الناس خلال عصـــور التاريخ الإسلامي[٢]"، ويستشهد أيضاً في مكان آخر، "قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الجهاد من قال كلمة الحق عند سلطان جائر))[٣]، وقال: ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلســانه، فإن لم يســتطع فبقلبه، وذلك أضــعف الإيمان))[٤] وقال: ((من رأى من أميره شــيئًا فكره فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية[٥]))"[٦].

ومن الملاحظ في كتابات موريس بوكاي أنه اســتدل بأحاديث كثيرة سماها الأحاديث الدنيوية -كما سبق معنا آنفاً- حينما تحدثنا عن المنطلقات، ونمثل هنا بحديث ذكره حينما تحدث عن القرآن والعلم الحديث في كتابه (التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث)، قال صـلى الله عليه وسلم: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم[٧]))[٨].

وكما يلاحظ على مارتن لينجز أنه من المقلين في الاسـتشـهاد بالسـنة النبوية في كتاباته خلافاً لبقية أقرانه، فاسـتشـهد بحديث قال فيه: "سُـئِلت زوجته المفضـلة السـيدة عائشـة رضـي الله عنها وأرضـاها، عنه وعن أخلاقه وأجابت بالتالي: ((كان خلقه القرآن[٩]))"[١٠]، واسـتشـهد أيضـاً بقول

---

(١) السيوطي، تدريب الراوي ١٦٧/٢، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة لا أصل له.

(٢) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص١٢.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، (١٢٤/٤) ح (٤٣٤٤) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، (٦٩/١) ح (٤٩).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أمورا تنكرونها، (٢٥٨٨/٦) ح (٦٦٤٦).

(٦) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص١٤١-١٤٢.

(٧) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨١/١) ح (٢٢٤).

(٨) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٦٠.

(٩) مســند الإمام أحمد بن حنبل، حديث عائشــة رضــى الله تعالى عنها، (٩١/٦) ١/، ح (٢٤٦٤٥) تعليق شــعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(١٠) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٣٣.

"النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن صلوات المسلم اليومية الخمس المفروضة كافية، ليست في حد ذاتها، لكن لأن الله يحسبها بأنها تساوي خمسين من صلوات الأقدمين[1]))"[2].

أما مراد هوفمان فتميز عن بقية أقرانه بكثرة الاستشهادات بالأحاديث النبوية في مؤلفاته، فيقول في أحد المواضع: "ألم يقل نبينا صلى الله عليه وسلم: ((لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه[3]))؟ "[4]، وفي موضع آخر قال: "ففي هذا المكان (عرفة)، ألقى محمد صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأسابيع قليلة في عام ٦٣٢م خطبة تقرأ كل عام في ذات اليوم، وذات المكان، لقد خاطب المسلمين في ذاك اليوم قائلاً: ((أوصيكم بالنساء خيراً))[5]، وأنهى خطبته قائلاً: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنتي وإني مسائلكم يوم القيامة فيما أنتم فاعلون[6]))[7].

كما تميزت أيضاً مريم جميلة بكثرة استشهاداتها بالحديث النبوي، فصدرت كتابها الموسوم (الإسلام بين النظرية والتطبيق) بأحاديث كثيرة؛ حيث تقول: "مبادئ من الحديث الشريف:

– عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا يا رسول الله: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى))[8].

---

(١) هكذا في النص، ولعل المؤلف يشير إلى الحديث الذي رواه في سنن النسائي عن ابن شهاب قال أنس بن مالك وابن حزم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فرض الله عز وجل على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام فقال ما فرض ربك على أمتك قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك عز وجل فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي عز وجل فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي عز وجل فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي عز وجل))، سنن النسائي، كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة، (٢٢١/١) ح (٤٤٩) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) مارتن لينجز، معتقدات قديمة وخرافات حديثة، ص١٠٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، (٢٥٩١/٦) ح (٦٦٥٧).

(٤) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١١٦.

(٥) ورد بهذا اللفظ ((ألا واستوصوا بالنساء خيراً)) في سنن الترمذي (٤٥٩/٣) كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ح (١١٦٣) قال الشيخ الألباني: حسن.

(٦) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب العلم (١/ ١٧٢)، حديث ٣١٩، وصححه الألباني في الجامع الصغير (٥٦٦/١) حديث ٢٩٣٧.

(٧) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٣٢.

(٨) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٢٦٥٥/٦) ح (٦٨٥١).

- عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))[١].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعَصَبَته أو يدعو إلى عَصَبَته أو ينصر عَصَبَته فقتل، فقتلةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني))[٢].

- عن أم الحصين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أمّر عليكم عبد مجدَّع يقودكم بكتاب الله تعالى، فاسمعوا وأطيعوا))[٣].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده[٤]))[٥].

واستشهد جاري مللر بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أثناء سرده لقصة الهجرة فقال: ((ما بالك في اثنين الله ثالثهما[٦]))[٧].

وعلى ضوء ما تقدم تبين أن اللورد هدلي ومارمادوك يقل في مؤلفاتهم بل يندر الاستشهاد بالأحاديث النبوية، وتلحظ عبد الواحد يحي وروجيه دوباسكويه ومارتن لينجز وجاري مللر يستشهدون بأحاديث لا بأس بها، بينما تجد تميزاً وعدداً كبيراً من الاستشهادات بالأحاديث النبوية في كتابات محمد أسد وموريس بوكاي ومريم جميلة ومراد هوفمان؛ بيد أن هناك أمراً في غاية الأهمية ينبغي الإشارة إليه ولا بد من بيانه، فليس معنى كون البعض منهم لا يستشهدون بالكثرة في كتاباتهم بالأحاديث النبوية أنهم لا يؤمنون بها -كما تقدم بيانه في الباب الأول أو من خلال الحديث عن

(١) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣) ح (١٧١٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، (١٤٧٦/٣) ح (١٨٤٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، (١٤٦٨/٣) ح (١٨٣٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، (١٤/١) ح (١٤).

(٥) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة التيمي رضى الله تعالى عنه، (١٣٣٧/٣) ح (٣٤٥٣).

(٧) جاري مللر، القرآن المعجز، ص٢٥.

المنطلقات- فالجميع يؤمنون بالحديث النبوي ويعدونه المصـدر الثاني للتشـريع الإسـلامي بعد القرآن الكريم، لكن المقام هنا الحديث عن المنهج وتتبع كتاباتهم لبيان ذلك المنهج في التأليف.

ثالثاً: التوسع في منهج التأويل بلا دليل.

توسع المستشرقون الذين أسلموا في منهج التأويل كثيراً، فبدأوا يؤولون النصوص ويلوون أعناقها، ويحرفون المعنى عن مراده الصحيح حسب أهوائهم، ويزعمون أنها اجتهادات العصر نظراً للتطورات الحديثة وتغير ظروف العصر، يقول مراد هوفمان: "ولابد كذلك من الالتفات إلى عصر التفسير، فالطبري الذي عاش في القرن التاسع يختلف عن محمد أسد المولود في القرن العشرين"[١]، ويصرح محمد أسد بأن لديه ملاحظات على التشريع أو المسائل الفقهية في مسائل اجتهادية، فيقول: "لقد بنى الفقهاء المسلمون في العصور الماضية كثيراً من الأحكام الفقهية التي وصلوا إليها على أساس دراستهم العميقة لكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن الرغم من ذلك فإن أحكامهم المستنبطة كانت في أغلب الأحيان موضوعية بمعنى أنها تأثرت بالطريقة التي يعالج بها كل مجتهد موضوعه وبأسلوب فهمه الخاص لمصادر الشريعة أعني القران والسنة وكذلك بالبيئة العقلية والاجتماعية التي سادت عصره"[٢]، وذلك ما أوقع هؤلاء في كثير من الأخطاء بسبب التنظيرات العقلية، فما يقوله محمد أسد أيضاً مردود عليه، فيقع هو ضمن هذه الإشكالية ومعرض لهذا التأثير الذي ذكره من تغير في البيئة وغيره، فالشرع لا يقاس بالعقل، وقد تقدم الكثير من الشواهد في المبحث الثاني من الباب الأول ، حينما تحدث الباحث في المطلب الأول عن ترجمة محمد أسد للقرآن الكريم، ويكتفى بذكره هناك، ويضيف هنا بعض الشواهد الأخرى من باب التمثيل لا الحصر:

أوّل اتيين دينيه الجناحين بالقوة الروحانية في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة في السماء مرفوعًا إلى الجنة بجناحين من ياقوت، عوضه الله تعالى بهما عن يديه))[٣]، غير أن السهيلي الذي يروي الحديث يضيف: إن الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية، أعطيهما جعفر ليقتدر بهما على الطيران، لا أنهما جناحان كجناح الطائر كما يسبق إلى الوهم، ولا يضير في ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت لكونهما مضمخين بالدم[٤].

ويقوم محمد أسد بتأويل ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣﴾ [سورة الذاريات: ٣٣]. إلى ضربات عقاب شديدة كالحجارة، حينما فسر قوله تعالى عن قوم لوط: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٤٤.

(٢) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص ٣٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، فضل مناقب جعفر بن أبي طالب، (٣/ ٢٣١) حديث رقم ٤٩٣٥، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، انظر: تلخيص الذهبي.

(٤) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٦٩-٢٧٠.

لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ [سورة الذاريات: ٣٣-٣٤]. ولست أستطيع أن أجد مسوغاً لهذا الذي فعله الأستاذ أسد! لقد لاحظت، كما سأوضح في فصل لاحق، أنه دائماً ما يؤول عذاب الآخرة ونعيمها، وهذا أمر قد يحتمل الخلاف؛ أما تأويل مثل هذا العذاب الدنيوي فما وجهه؟ [١].

كما يؤوّل مراد هوفمان الجن بقوله: "وكذلك الجن، أي: كائنات روحانية طيبة أو شيطانية وهي بمرتبة أدنى"[٢].

كأن هوفمان يعيد ما قاله محمد أسد عن الأوصاف المجازية للجنة والنار بقوله: "وقد امتلأ القرآن الكريم بأوصاف مجازية كثيرة عن الجنة والنار والجحيم"[٣]، ثم يؤكد على عدم علم العباد بتفاصيل الحياة عما بعد الموت فيقول: "وإن كل ما يكتب في مجال أحوال الأموات، بغض النظر عن النوايا الحسنة لكُتّابها لا تمثل سوى عجزنا عن فهم المزيد عن الحياة بعد الموت، أكثر مما أعلمنا عنه الوحي المطهر بشكل لا حيرة فيه"[٤].

وذكر مراد هوفمان كلاماً لا يخلو من التأويلات الفاسدة، وهذا نص كلامه: "لقد أصبح البحث في قضية الملائكة نوعاً من الطقوس الدينية، ولا يمكن الوصول إلى المعرفة المتعلقة بهذه الأمور إلا بالأسلوب المجازي أو تشبيهي؛ لذلك فمن العبث الجدال حول فيما إذا كان الشيطان هو جن تمرد على الله، أو أنه ملاك شهيد"[٥].

ووقع مراد هوفمان هنا في خطأين:

أولاً: قوله: "لا يمكن معرفة الملائكة إلا بالأسلوب المجازي أو التشبيهي"، لأنه معروف عن الملائكة مما أخبرنا الله والرسول صلى الله عليه وسلم بأنها مخلوقات نورانية يعبدون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والعقل البشري قاصر عن معرفة التفاصيل الدقيقة للملائكة؛ لأنها من مسائل الغيب الذي يجب الإيمان به.

---

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص١٩.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٤٨.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٨٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٨٥.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٤٩.

ثانياً: قوله: "هل الشيطان جن تمرد على الله، أو ملاك شهيد؟ " هنا شك خطير، فمن اعتقد أو شك بأن الشيطان تمرد عن طاعة الله كفر، لأنه يخالف ما جاء به القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة ص: ٧٣].

في ضوء ما سبق يستنتج الباحث من خلال الشواهد والبراهين مدى التوسع في منهج التأويل في كتابات المستشرقين الذين أسلموا بزعم الاجتهاد ومواكبة العلوم العصرية الحديثة، حيث إن فساد هذا المنهج واضح بين؛ لأنه يصادم كثيراً من النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة، كما وقعوا في محاذير كثيرة، ومن أهمها: تأويل نصوص الكتاب والسنة بلا دليل ولا برهان، فاتضح بطلان هذا المنهج بذلك.

رابعاً: إبراز دور العقل في كتاباتهم

إن العقلانية أو المذهب العقلي يمثل اتّجاهاً لتمجيد العقل واعتماد أحكامه أصاب أو أخطأ، ضدّ الاتجاه الديني مهما كان الدين حقّاً، ومهما كان الذي نسب إليه صواباً، فالمحكَّم في هذا الاتجاه هو العقل[1].

ولقد غلب في بعض كتابات من أسلم من المستشرقين الميل في تفسيراتهم إلى تغليب العقل أو ما نسميه بالعقلانية، بحجة إعادة قراءة التراث وفق منهجيات عقلانية حديثة، وحتى يفهم الإسلام فهماً صحيحاً لا بد من احترام المصدر الغيبي للرسالة وهو (الوحي) المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم اعتماد موقف موضوعي يبتعد عن الأحكام المسبقة، وضرورة الإحاطة بأدوات البحث العلمي، وأخطاء المستشرقين الذين أسلموا وإن تمكنوا من هذه الأخيرة؛ إلا أنهم لم يحترموا المصدر الغيبي في بعض تفسيراتهم.

من هنا يتتبع الباحث حجم حضور العقلانية في كتابات من أسلم من المستشرقين، من خلال ذكر الشواهد والأدلة المأخوذة من مؤلفاتهم ابتداءً من إنكارهم لبعض الغيبيات الواردة في الكتاب والسنة ومروراً بإنكار بعض معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وانتهاء بمسألة عصمة الأنبياء.

١/ إنكار الغيبيات وعدم الإيمان بها.

إن إنكار الغيبيات هو أحد مساوئ حضارة الغرب، وبقي تأثر المستشرقين بذلك حتى بعد إسلامهم، ويمكن أن نسميه المنهج العلماني الذي يستبعد وقوع الظواهر الدينية التي لا تخضع لقوانين الأجسام المادية المعروفة والتحليل والتعليل العلمي، وعلى أساس هذا شكك محمد أسد وموريس بوكاي ومراد هوفمان في بعض الظواهر الدينية.

أولاً: محمد أسد.

خصص محمد أسد في كتابه المشهور (الطريق إلى مكة) فصلاً عن (الدجال) قال فيه: "إن المقصود بالدجال هو التحذير من الحضارة الغربية المادية؛ لأنها حضارة عوراء تنظر إلى الحياة من ناحية واحدة، وهي ناحية التقدم المادي فقط غافلة الجانب الروحي، وإن تقدم هذه الحضارة العلمي يسقط المطر الصناعي من السماء.. وينبت الزرع..، ويخرج كنوز من باطن الأرض..، وعقاقيرها

---

(١) عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، كواشف زيوف، دار القلم، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ، ص١٥٩.

وطبها يعيد الحياة لمن بدا كأنما قضي عليه بالموت..، هذا التقدم المادي للحضارة الغربية أصبح من القوة، والخداع بحيث يخيل إلى ضعاف الإيمان أنها في حد ذاتها إله"[(١)].

ومما لا شك فيه أن تفسير محمد أسد للدجال بهذا المعنى ربما يؤدي به إلى إنكاره لبعض أشراط الساعة الكبرى كالدجال مثلاً، وهو إنكار للغيبيات التي أمرنا الله بإيمانها، وأن إنكاره مردود ومخالف لما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث صحيحة تبطل ما ذهب إليه.

فالسلف الصالح رضوان الله عليهم والعلماء عموماً يؤمنون بما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أخبار عن الدجال، فمن الباطل أن يؤول محمد أسد الدجال بأنه الحضارة العلمية الحديثة التي وصل إليها الغرب، فالرسول صلى الله عليه وسلم صور لنا الدجال بصورة إنسان، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: ((اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون، قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال... الحديث))[(٢)]"، وغيرها من الأحاديث الواردة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: موريس بوكاي.

يرد موريس بوكاي حديثاً صحيحاً ويشك في نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم متأثراً ببيئته الثقافية وخلفيته الفكرية واستخدامه المنهج العقلي في فهم النصوص، فحاد عن الصواب؛ حيث يقول: "نجد حديثًا منسوبًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ونشك في صحة إسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: ((عندما تغرب الشمس فإنها تسجد تحت عرش الله وتطلب إليه الإذن بأن تعيد طريقها وتسجد من جديد))[(٣)]، ولقد وَرَدَ النص الأصلي لهذا الحديث في كتاب بدء الخلق من صحيح البخاري، جزء الرابع، الباب (٥٤)، ص (٢٨٣)، وعلى الرغم من أن هذا الحديث غامض لا يمكن التحقق من مدى صحته، وهو عسير الترجمة، فهو يتضمن كلامًا يستحيل التحقق من صحته ويتضمن معلومات متعلقة بالشمس من شأنها أن تفترض أن الشمس هي التي تتحرك وأن الأرض ثابتة، وهو مفهوم أثبت العلم الحديث بما لا يدع مجالاً للشك بطلانه وخطأه، وهذا الحديث

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ترجمة عفيف البعلبكي ص٣٠٩-٣١٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، (٢٢٢٥/٤) ح (٢٩٠١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر {بحسبان}، (١١٧٠/٣) ح (٣٠٢٧)، وهذا نص الحديث، عن أبي ذر رضى الله تعالى عنه قال: قال: النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس ((تدري أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨﴾ [سورة يس: ٣٨] العلم)).

من الأحاديث الضعيفة الإسناد وهو حديث آحاد كما قرر ذلك علماء الحديث المسلمون، والحديث المصنف على هذا النحو لا يفيد العلم القطعي"(١).

نعم قد ثبت علمياً أن الشمس تدور حول نفسها ولا شك، لكنه ليس معنى ذلك أنه يحق لنا رد حديثاً صحيحاً ثابتاً في السنة النبوية، فربما لا تدرك عقولنا كيفية سجود الشمس تحت عرش الرحمن جل وعلا بسبب قصور في عقولنا، فيجب الإيمان بكل ما ورد عن الله جل وعلا وعن الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمور الغيبية ولو لم تدركه عقولنا القاصرة.

ثالثاً: مراد هوفمان.

يلاحظ على مراد هوفمان تأثره بالبيئة الفكرية من خلال تأويله لبعض النصوص واستخدامه للمنهج العقلي فيقول عن الجنة والنار: "وقد امتلأ القرآن الكريم بأوصاف مجازية كثيرة عن الجنة والنار والجحيم"(٢)، ولا نسلم بقوله: بأوصاف مجازية؛ بل هي أوصاف حقيقية لا نستطيع الآن إدراكها وكنهها بالتفصيل؛ لأن العقل البشري قاصر عن إدراك ذلك.

٢/ إنكار معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

يختلف البحث حول الدراسات الإسلامية عن البحوث الأخرى المختلفة، لأن الباحث غير المسلم سيصدم بقضايا الغيب، ولهذا كان من أركان الإيمان الستة الإيمان بالغيب، فإن كان الباحث من أصحاب النزعة العقلية فهو يضطر إلى إنكار قضايا الوحي أو سيحاول تفسيره تفسيراً عقلانياً، وإن كان مسلماً وتشبع بهذا المنهج العقلي فسيبقى أثره حتى بعد إسلامه، ويظهر ذلك من خلال آرائه في مؤلفاته، وهذا ما ستلحظه في كتابات المستشرقين الذين أسلموا حول زلاتهم في تفسير بعض معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتفسير العقلاني.

أولاً: اتيين دينيه

ينكر اتيين دينيه المعجزات التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم ماعدا معجزة القرآن الخالدة، ويرى أنها تقليد للمعجزات التي تنسب إلى المسيح عليه السلام، فينكر معجزة شق الصدر؛ حيث يقول: "هذه القصة يجب أن تؤول تأويلاً رمزياً"(٣)، هذا اعتقاد خاطئ، والدليل هو إيراد اتيين

(١) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٢) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص١٨٥.

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٨٥.

دينيه لهذه القصة بنفسه بالتفصيل، ثم يبرر لاعتقاده بهذا القول بدون دليل، وهو رأي يصادم النصوص الواردة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيضاً ينكر اتيين دينيه معجزة انشقاق القمر[1]، وهذا مناقض للآيات والأحاديث الصحيحة الثابتة، فيذكر دينيه هذا الحديث ثم ينكره في النهاية فيقول: "وبعث القريشيون بوفد إلى أحبار اليهود بالمدينة، وإلى الأمير حبيب بن مالك الذي اشتهر بين سائر الناس بحكمته وعلمه وسلطانه؛ سائلين عن وسيلة تمكنهم من إلصاق تهمة الكذب والنفاق بمحمد، ولكن تلك الجهود ذهبت هباء، وانهارت من نفسها دون ما حاجة إلى معجزة انشقاق القمر التي يزعمونها، مستندين إلى الآية الكريمة: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [سورة القمر: ١]. فبعضهم يدعي أن حبيبًا سأل الرسول أن يأتيه بمعجزة تؤيد كلامه، فانشق القمر بأمره شقين متساويين، وذهب أحدهما غربًا والثاني شرقًا؛ أما علماء الإسلام الموثوق بهم مثل البيضاوي والزمخشري فيرون أن هذا أحد رأيين، قال البيضاوي: "وقيل معناه: سينشق يوم القيامة"، ويؤيد هذا الرأي الآيات التي تليها مباشرة وهي: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦﴾ [سورة القمر: ٦]، وفي الواقع أننا لا نستطيع تصديق تلك المعجزة المزعزعة، لأنها تتنافى صراحة ووضوح مع الكثير من آيات القرآن؛ يقول تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ۝٥٩﴾ [سورة الإسراء: ٥٩]. ما أقل تأثير المعجزات فيما مضى من التاريخ: لقد عبد بنو إسرائيل العجل بعد أن أنقذهم موسى بمعجزاته من لجة البحر ومن طغيان فرعون، وما كان أهل مكة المشركون ليتأثروا بالمعجزة أكثر من غيرهم من بني البشر، فإن الطبيعة الإنسانية واحدة"[2].

وقد ثبتت حادثة انشقاق القمر في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [سورة القمر: ١]. وكذلك ورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اشهدوا))[3].

وما ذهب إليه اتيين دينيه يتباين مع عقيدة أهل السنة والجماعة، وإن الآيات القرآنية والسنة النبوية شاهدة على أن هذه القصص كلها حقة وحصلت للنبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) المرجع السابق، ص٩٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٤-١٣٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر، (١٣٣٠/٣) ح (٣٤٣٧).

ثانياً: مارمادوك بكثول

لا يرى مارمادوك بكثول بضرورة الإيمان بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم، بل يعنف على من يؤمن بهذه المعجزات، ويصفهم بالجهل، ويسميها خرافات وسخافات، فيقول: "إنها شواهد لمرحلة معينة من التطور البشري، حيث تظهر القوانين المخفية عن الناس، وأن المعجزات ليست دليل على ألوهية الرسالة؛ لأنه لا يستشهد بها أحد على علاقة الرسالة بالسماء، والقرآن والسنة يتحدثان عن أنفسهما وأنهما فوق كل المعجزات، وهناك مسلمون جهال وخرافيون يقبلون روايات واعتقادات سخيفة، وهي في الواقع علوم الأيام الماضية"(١)، ويؤكد على قوله في موضع آخر فيصرح: "إن الإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ليست من الواجبات العقدية وإنما من المسائل غير المهمة"(٢).

كما يتضح تأثير البيئة الفكرية على مارمادوك بكثول حينما "يشبه الإسلام والعصر الراهن بالعصور الوسطى؛ حيث كان نظام الكهنة يمنع من العلم، وكان متشائماً تجاهه، وكان مليئاً بأساطير المعجزات، ولأن المعجزات لا يوثق بما لدى العلوم العصرية، ويقول: إن الإسلام دين الفطرة وليس دين الخرافات"(٣)، وهذا خلط واضح للحق مع الباطل؛ حيث اشتبه عليهم الحق الثابت بالباطل الذي وجدوه في النصرانية المحرفة، فينفي المعجزات التي صرح بها القرآن والسنة النبوية.

وهذه الأقوال واضح فيها عدم استطاعة مارمادوك الانفكاك عن خلفيته الفكرية واستخدامه المنهج العقلي، وبالتالي تباين عن منهج أهل السنة والجماعة فيما ذهب إليه.

٣/ مسألة عصمة الأنبياء.

لقد تقدم الكلام على هذه المسألة أثناء مناقشة البحث في تقويم ترجمة القرآن الكريم لمحمد أسد في الباب الأول في الفصل الأول؛ حيث وقع في عدة أخطاء، وتمت مناقشتها في حينها، ولم نرد عليها هنا خشية التكرار، ويكفي رداً على هذه المسألة ما ذكرته مريم جميلة؛ حيث تقول: "نفاجئ بأن آدم ونوحاً وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وأيوب عليهم السلام ليسوا من الأنبياء عندهم، بينما يوقرون ومعهم النصارى شخصيات غير مذكورة في القرآن على أنهم من الأنبياء ذوى القدر كأشعيا وعاموس وجيريميا وحوزيا وناتان ودانيال، ويبرز في هذا المجال كراهتهم لإسماعيل ووصفه برجل الصحراء المتوحش الذي يحارب الكل ويحاربه الكل، وهو ابن الأمة هاجر المنبوذ والمحروم

(١) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام ص١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٨.

من ميراث أبيه وهو ليس الذبيح بل إسحاق هو الذي حاز هذا الفخر على الرغم من أن التوراة تنص على أن ابن إبراهيم الوحيد (أي إسماعيل المولود قبل إسحاق) هو الذي فدى بالكبش، ومن هنا تنبع عداوة اليهود التي لا تلين للعرب وهي عداوة ينقلها بولس في الإنجيل بإدانته لإسماعيل كابن للجارية، وتقارن مريم بين هذا الموقف وتكريم القرآن لإسماعيل عليه السلام كنبي شارك أباه في بناء الكعبة، ويتخذ موقف اليهود من الأنبياء شكل التشويه كما اتخذ شكل الاضطهاد مع يوحنا مثلاً، فنجد عندهم أن نوحاً (وهو ليس معدوداً من الأنبياء) قد ثمل بالخمر ذات يوم واستلقى في خيمته عارياً فدخل عليه ابنه حام، وعندما شاهد الابن عرى أبيه حلت عليه لعنة الله وتحول جلده إلى سواد وحكم على ذريته بالعبودية، ونقرأ في سفر الملوك في التوراة أن داود أعجب بامرأة جميلة شاهدها تستحم فقتل زوجها كي يستحوذ عليها، وكانت ثمرة هذا اللقاء سليمان الذي أولع بالنسوة الوثنيات وانتهى به المآل إلى عبادة الأصنام"(١).

من خلال ما سبق يتبين أن العقلانية مذهب فكري فلسفي يزعم أن الاستدلال العقلي هو الطريق الوحيد للوصول إلى المعرفة، بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي، وأنه لا مجال للإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات، وقد سار على هذا النهج كل من اتيين دينيه ومارمادوك بكثول ومحمد أسد وموريس بوكاي ومراد هوفمان.

ولا بد من إدراك علاقة العقل بالوحي في الإسلام، فعلاقة المؤمن بالوحي تقوم على الاستماع، وعلاقته بالعالم الواقعي تقوم على تعقله لإدراك الحكمة من خلقه، فلا تعطيل للعقل ولا تكذيب بالوحي، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [سورة الملك: ١٠].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا باب واسع ولهذا دعا الله الخلق إلى الاعتبار بالعقل المستند إلى الحس وبين أن ذلك موافق لما جاءت به الرسل من السمع قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [سورة فصلت: ٥٣].

فأخبر أنه سيري الخلق من الآيات الآفاقية والنفسية ما يبين أن القرآن حق، فيتطابق السمع المنقول وما عرف بالحس المعقول، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٤٤-٤٥.

أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [سورة الحج: ٤٦].
والمقصود هنا أن الأنبياء خصهم الله بفضائل ومحاسن ومكارم أخلاق يميزهم بها عن غيرهم"[1].

(١) تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، الصفدية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ ج ١ ص ٢٢٨.

خامساً: التفسير المادي لنصوص الوحي بعيداً عن التفسير الإلهي

يكاد يكون هذا المنهج في مناهج المستشرقين قاسماً مشتركاً بينهم جميعاً، لأجل تربيتهم على هذا المنهج المعاصر وانتشاره في بيئتهم، وحتى بعد إسلامهم لم يستطيعوا الانفكاك منه، فأغلب المستشرقين الذين أسلموا يميلون في كتاباتهم إلى هذه النزعة الفكرية.

ولقد تأثر المستشرقون بالفلسفة الوضعية والمنهج التجريبي الذي ساد في القرن الثامن، وبرز هذا المنهج بعد ظهور التيارات الماركسية عقب نجاح الثورة الشيوعية في روسيا ١٩١٧م، واتسع المنهج المادي التاريخي ليحتكم إليه بعض المستشرقين الذين أسلموا في تحليلاتهم وكتاباتهم رغم إسلامهم.

ومن سلك هذا المنهج ظهر الخلل في فهمه ووقع في الخطأ، فتأثير البيئة الفكرية على هؤلاء المستشرقين حتى بعد إسلامهم واعتمادهم على التفسير المادي يتبين من خلال إنكارهم لبعض النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ونأخذ لذلك أمثلة.

فهذا اتيين دينيه يرى أن الإسراء والمعراج كانا بالروح وليس بالجسد، فيقول عن معجزة الإسراء والمعراج: "أثار الإسراء والمعراج كثيراً من المناقشات بين علماء الإسلام، فبعضهم يرى أن ذلك معجزة حصلت فعلاً بالروح والجسد في اليقظة، بينما الآخرون يعتمدون على أصح الآثار، من بينها حديث عائشة، ويرون أن الروح وحدها هي التي أسري بها وعرج بها إلى السماء، وليس ذلك إلا رؤيا"[(١)].

وكذلك خالف محمد أسد ما جاء في نصوص القرآن الكريم، وما ورد في صحيح السنة النبوية من روايات ثابتة بأن حادثة الإسراء والمعراج كانتا بالروح والجسد معاً؛ حيث يجزم محمد أسد بأن رحلة الإسراء والمعراج لم يكن بالروح والجسد؛ بل كانت بالروح لا بالحلم[(٢)]؛ حيث أفرد لها الملحق الرابع في ترجمته للقرآن الكريم، وأطال الكلام على حادثة الإسراء والمعراج، وذكر اختلاف العلماء وأدلتهم في كون الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد أم بالروح فقط، ثم قام بترجيح القول على أن الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط، وردّ على أدلة المخالفين له في رأيه فيقول: "وحيث إنه ليس هناك دليل مقنع على أنه قد عرج بجسده في الإسراء والمعراج، فمن ناحية أخرى ليس هناك سبب للتشكيك في الحقيقة الموضوعية للحادثة"؟ [(٣)]، ثم ذكر إمكانية خروج الروح من الجسد على أكثر

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٥٧.

(٢) محمد أسد، رسالة القرآن، ص٩٩٧-٩٩٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٣٨-١١٣٩.

من وجه، وتعلقها بغير مكانها وزمانها وانسجامها مع ظواهر واقعية أخرى مسنداً قوله إلى علم النفس الحديث"[١].

ولأجل بيان هذه المسألة لا بد من ذكر اختلاف العلماء في رحلة الإسراء والمعراج وهو على قولين: ١-أنه أسري بروحه وبدنه معاً. ٢-أنه أسري بروحه فقط دون بدنه، وقالت به عائشة وكذلك معاوية رضي الله عنهما، ورجح القول الأول كثير من العلماء؛ لأن هذه الرحلة لو كانت بالجسد وحده دون الروح لم يكن فيها ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه؛ إذ لم يكن منكراً عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟ وبعد؛ فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزاً لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره"[٢]، وكما يعضد هذه المسألة حديث ابن عباس رضي الله عنه: ((أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس، ورأى الدجال في صورته، رؤيا عين لا رؤيا منام))[٣].

وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين سلفا وخلفا وانعقد إجماعهم على صحة الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه حق، نقل الإجماع على ذلك القاضي عياض في (الشفاء) والسفاريني في (لوامع الأنوار)، والإسراء كان بروح النبي صلى الله عليه وسلم وجسده، يقظة لا مناماً، فهذا هو الذي دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه عامة الصحابة وأئمة أهل السنة والمحققين من أهل العلم، وقال ابن أبي العز الحنفي: "وكان من حديث الإسراء: أنه أسري بجسده في اليقظة على الصحيح من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى"، وقال القاضي عياض مقرراً أن هذا هو الذي عليه عامة أهل العلم من الصحابة"[٤].

"وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حبة البدري، وابن

---

(١) المرجع السابق ص١١٣٨-١١٤٠.

(٢) محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ج ١٤ ص ٤٤٦.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم، باب أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، (٣٧٣/١) ح (٣٥٤٦) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح وصححه ابن كثير في تفسيره.

(٤) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص١٨٨.

مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، وهو دليل قول عائشة، وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين، وقول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين"[(١)].

كما فسر محمد أسد (كواعب أترابا) في قوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ [سورة النبأ: ٣٣]. بأصحاب رائعين متوافقين، بدلاً بالناهدات الصدور المناظرات لأزواجهن في السن كما تقول كتب التفسير وكما يقول الأسلوب العربي، وترجمها بدلاً من ذلك بـ"splendid compagnons well matched: أي: أصحاباً رائعين متوافقين، وهو يوضح السر في هذه الترجمة العجيبة قائلاً: إن متع الجنة التي يمثل الكواعب الأتراب لوناً من ألوانها ليست حقيقية؛ إذ لا نساء في الفردوس ومن ثم فالكواعب هنا هم الأقران البارزون، لأن الفعل كعب يدل على البروز بإطلاق لا بروز النهدين فحسب، والأتراب هم الذين يكون بينهم وبين أصحابهم توافق وانسجام[(٢)].

بينما موريس بوكاي يرد حديثاً أخرجه البخاري معللاً بأنه لا يتفق مع العلم الحديث فيقول: "كذلك أيضًا هو الشأن فيما يتعلق بموضوع مراحل تكوين الجنين؛ إذ يوجد حديث يحدد على نحو غريب وخاطئ المدة اللازمة زمنيًا لكل مرحلة من مراحل تطور ونمو الجنين كما جاء في كتاب (بدء الخلق) أيضًا بصحيح البخاري- الباب٥٤- الفصل السادس- رقم (٤٣٠) ص(٢٩٠)، ويحدد هذا الحديث مرحلة أولى محددة بأربعين يومًا تجتمع فيها العناصر المكوِّنة للكائن البشري، ثم مرحلة أخرى مساوية للأولى يصبح فيها الجنين علقة، ثم مرحلة ثالثة أيضًا مساوية زمنيًا لكل من المرحلتين السابقتين يصبح فيها الجنين كاللحم الممضوغ أي مضغة وبعد ذلك تتدخل الملائكة لتحديد ما سيكون عليه مستقبل هذا الكائن، ثم تنفخ فيه الروح، إن وصف تطوُّر الجنين في هذا الحديث، مع إعطاء تفصيلات وتحديد مدة زمنية تحديدًا جزافيًا غير دقيق، وغير صحيح لا يتفق مع المعلومات العلمية الحديثة"[(٣)].

هذه سمة بارزة قل أن تخلو منها دراسة استشراقية تتناول المسائل الإسلامية، وسبب ذلك أن كثيراً منهم يعتمد في تفكيره على العقلية المجردة بدلاً من الاستسلام التام لنصوص الوحي الإلهي، وهكذا لم يتمكن الاستشراق من تطوير مناهجه، وبقي عاجزاً -حتى اليوم- عن تحرير نفسه من

(١) المرجع السابق، ص١٨٩.

(٢) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٢٢.

(٣) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٧٦-٢٧٧.

الخلفية الفكرية التي شكلته، فلا تزال كتابات بعض المستشرقين الذين أسلموا حتى اليوم لا تخلو من مثل هذه المناهج.

إن النتيجة التي ينتهي إليها أي باحث استعرض ما استعرضناه في هذه الأطروحة من كتابات استشراقية، ولاحظ ما نبهنا عليه في حينه من حيدتهم في بعض كتاباتهم عن المناهج العلمية الصحيحة في بعض القضايا المهمة، هي جهلهم بالمادة العلمية الأصيلة التي يجب توفيرها لإنجاز دراساتهم، أو الاستعانة بمناهج غير أصيلة نصرة لآرائهم وتأييداً لقضاياهم، ونستطيع أن نقرر هنا أن تأثير البيئة الفكرية والعقلية العلمانية كان واضحاً في بعض كتاباتهم، وهي السبب في عدم توصل الدراسات الاستشراقية إلى نتائج صحيحة فيها، وقد أرجع عدد من الدارسين عجز بعض المستشرقين وإن أسلموا عن التوصل إلى نتائج موضوعية في دراساتهم الإسلامية إلى عدم قدرتهم على تمثل الروح الشرقية والخضوع للمنهجية الإسلامية الصحيحة؛ ولكننا يجب أن نؤكد هنا أيضاً أنهم قدموا جوانب إيجابية وكتابات رائعة برزت فيها بوضوح روح الحماسة الدينية.

سادساً: الموضوعية والحيادية في كتاباتهم عن موقف مجتمعاتهم وبيان عداوة الغرب للمسلمين.

لقد تحقق إلى حد بعيد في كتابات المستشرقين الذين أسلموا -رغم المؤثرات السلبية والأزمات التاريخية والعلاقة المتوترة بين الإسلام والغرب، ورغم البيئات المعادية التي عاشوا فيها- تحقق الإقرار بحقائق الإسلام الثابتة، وهو الأمر الذي لا يريده جمهور المستشرقين، ولا تقر به غالب المجتمعات التي ينتمون إليها، ولا ترضى عنه معظم الجهات التي تدعمهم.

ويتبين من خلال كتابات المستشرقين الذين أسلموا اتصافهم بالحيادية والموضوعية التامة والنظرة العادلة للقضايا الإسلامية، وعدم التحيز والمجاملة في مؤلفاتهم؛ مما يفضي بالضرورة إلى العدل في الحكم، وبيان الحق ورد الباطل، وسيذكر الباحث هنا استشهادات لذلك من أقوالهم والتي ترصع بماء الذهب؛ لبيان مدى التزامهم بهذا المنهج.

فهذا اتيين دينيه يلتزم الحيادية والإنصاف، ويوجه رسالة صريحة إلى إخوانه المسيحين بطلب الكف عن مناهضة المسلمين قائلاً: "ثم أوجه صريح القول إلى إخواننا المسيحيين أن يكفوا عن مناهضة المسلمين؛ إذ هم لا يجنون من وراء ذلك شيئاً طيباً، كما أننا ندعوا عقلاء الفريقين أن يحترم بعضهم بعضاً وأن يتقربوا ويتعاونوا في سبيل الأخلاق ومحاربة المادية ومناهضة الإلحاد، إنهم إن يفعلوا ذلك يحسنون صنعاً ويخدمون الإنسانية المعذبة التي هي في أشد الحاجة إلى الأخلاق والفضائل، وما أبعد للشحناء وأحفظ للدماء لو أن الطوائف الأوروبية عملت بتلك الآية التي جاء بها القران الشريف ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [سورة الكافرون: ٦][(١)].

كما ينقل لورد هدلي نظرة الغرب للإسلام بكل حيادية فيقول: "ينظر الأوروبيون دائمًا إلى الإسلام كأنه وحشية وهمجية فلو علموا كل ما فعله محمد لإزالة التوحش والهمجية التي لقيها داخل بلاد العرب لغيروا تلك الأفكار حالاً"[(٢)]، وعن تشويه الحقائق في الغرب عن الإسلام يقول لورد هدلي بكل واقعية: "من تشويه الحقائق عن الإسلام ما يلي: يزعمون بأن المسلمين يعبدون محمداً، والمسلم لا بد أن يتزوج أربع زوجات، والنساء ليست لهن أرواح"[(٣)].

(١) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٥٤.

(٢) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٢٧-٢٩.

(٣) لورد هدلي، الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام، ص ٨.

بينما يقارن عبد الواحد يحيى بين حضارة الشرق والغرب بكل موضوعية فيقول: "إن العلم الغربي تحليل وتشتت والمعرفة الشرقية تجميع وتركيز، فإن ما يسميه الغربيون حضارة يسميه الآخرون بالأحرى بربرية؛ لأنه بالتحديد فاقد لما هو جوهري، أعني مبدأ من طراز أعلى، فبأي حق يريدون فرض آرائهم الخاصة على الجميع؟ زد على هذا أنه لا ينبغي لهم تناسي أنهم ليسوا سوى أقلية في جملة البشرية على الأرض، غير أن الأمر الأكثر شناعة هو هَوَسهم المفرط لتحويل غيرهم إلى مفاهيمهم؛ وعقلية الغزو عندهم تتقنع تحت مبررات أخلاقية؛ وباسم الحرية يريدون إجبار العالم كله على تقليدهم، والمثير الأكثر للدهشة هو أنه في تبجحهم يتخيلون بحسن نية أن لهم الهيبة والنفوذ المؤثر عند جميع الشعوب الأخرى، وإن اضطروا إلى قبول بعض ضروريات العصر الراهن، فبأمل التخلص منها في وقت عاجل أو آجل؛ فهو لا يهمهم ولن يكون محلاً لاهتمامهم الحقيقي أبدًا، وما يسميه الغربيون تقدمًا ما هو عند الشرقيين إلا تحول وعدم استقرار، وهذه الحاجة إلى التغيير المميزة تمامًا للعصر الحديث، هي في نظرهم علامة تدني واضحة: فالواصل إلى وضع من التوازن لا يشعر بالحاجة إلى التغيير كالمتحقق بالعلم فإنه مستغن عن البحث"(١).

كما يتحدث عبد الواحد يحيى بكل إنصاف عن حضارة الغرب واكتشافاتهم فيقول: "من بين مزاعم الحضارة الغربية الحديثة، دعوى أنها علمية بامتياز؛ ويحسن التدقيق في كيفية فهم هذه الكلمة وهذا مما يحصل إغفاله في العادة، لأنها من بين الكلمات التي يبدو أن معاصرينا يُضفون عليها نوعًا من القدرة المكتنفة بالأسرار، دون اعتبار لمعناها، فكلمة العلم بالخط الكبير، مثل كلمات التقدم والحضارة، وكذلك الحق والعدل والحرية، هي أيضًا من بين هذه الكينونات التي من الأولى عدم البحث عن تحديدها؛ لأن ذلك يعرضها إلى فقدان هيبتها بمجرد فحصها من قريب، وعلى هذا النحو، وكل ما يُزعم أنه فتوحات واكتشافات وإبداعات سيُختزل إلى مجرد كلمات مضخمة لا يوجد وراءها شيء"(٢).

أيضاً يصف روجيه دوباسكويه بكل موضوعية ما فعلته الحملة الصليبية الرابعة في عاصمة الامبراطورية البيزنطية المسيحية؛ إذ يقول: "وحدث في هذه الأثناء أن رأى بعض الجنود اللاتين جماعة من المسلمين يصلون في مسجد مقام في مدينة مسيحية فثارت ثائرتهم وأشعلوا النار في المسجد وقتلوا المصلين، وظلت النار مشتعلة ثمانية أيام وامتدت إلى مسافة ثلاثة أميال وأحالت جزءاً كبيراً من

(١) عبد الواحد يحيى، شرق وغرب، ص٦٩-٧٠.

(٢) المرجع السابق، ص٧٣.

القسطنطينية رمادًا وأنقاضًا، وأخذ اللاتين الظافرون يعيثون في العاصمة كأنهم جراد منتشر ملتهم، وازداد نهمهم لطول ما حرموا من فريستهم الموعودة، فانقضوا على المدينة الغنية في أسبوع عيد الفصح وأتوا فيها من ضروب السلب والنهب ما لم تشهده روما نفسها"(١).

وهنا ينصف روجيه دوباسكويه حينما وصف عدد سكان غرناطة مقارنة بالمسيحيين لإظهار الحقائق فيقول: "وفي وسعنا أن نحكم على ما كان للدين الإسلامي من جاذبية للمسيحيين من رسالة كتبت في عام١٣١١م تقدر عدد سكان غرناطة المسلمين في ذلك الوقت بمائتي ألف كلهم ما عدا ٥٠٠ منهم من أبناء المسيحين الذين اعتنقوا الإسلام، وكثيرًا ما كان المسيحيون يفضلون حكم المسلمين على حكم المسيحيين"(٢).

في حين يذكر محمد أسد بكل تجرد وإنصاف ما تقوم به المدارس الغربية من تشويه صورة الإسلام في البلاد الإسلامية فيقول: "أما وسائل الغربيين في هذه الحملة فليست مقصورة على الميدان السياسي فحسب، ولكنها تمتد فتشمل الجانب الثقافي كذلك، وعن طريق المدارس الغربية في العالم الإسلامي، وعن طريق المدارس الوطنية للمسلمين التي تقوم مناهجها على أساس من أساليب الغرب التربوية، تبذر بذور التشكيك في الإسلام كنظرية اجتماعية بطريقة منظمة رتيبة في عقول الأجيال الصاعدة من شباب المسلمين فتيانًا وفتيات"(٣).

كما يؤكد محمد أسد طعن الغرب في خاصرة الإسلام فيقول: " فمنذ الحروب الصليبية والإسلام يُعرَض عرضًا سيئًا لا يخلو من حيف وإجحاف على أنظار الغرب حتى أصبحت الريبة – بل الكراهية أحيانًا– لكل ما يتعلق بالإسلام جزءًا تقليديًا من تراث الغرب الفكري"(٤).

أيضاً يبين عداوة الغرب للمسلمين بكل إنصاف فيقول: "إن الفظائع المروعة التي اقترفها الفرسان الصليبيون الأتقياء، وإن التخريب والانحطاط اللذين خلفوهما في بلاد الإسلام التي اجتاحوها ثم خسروها، كل هذه هي التي أنبتت البذور السامة لعداوة طويلة الأمد ولصلات متحرجة بين الشرق والغرب، ولولا ذلك لما كان ثمت ضرورة إلى مثل هذا الشعور، ثم لو أن الحضارتين الإسلامية والغربية كانتا كما نعتقد، مختلفتين تمامًا في أسسهما الروحية ونظامهما الاجتماعي لوجب أن تكونا

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٠١.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٥.

(٣) محمد أسد، مناهج الإسلام في الحكم، ص١٧٠.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٩-١٧٠.

قادرتين على التسامح فيما بينهما والعيش جنبًا إلى جنب على اتصال ودي، ولقد كان في الجانب الإسلامي دائمًا رغبة مخلصة للتسامح المتكافئ وللاحترام، وأخيرًا ظهر الصليبيون فجأةً عند الأفق وقطعوا هذه الصلات بين الإسلام وبين الغرب"[1].

ويستمر محمد أسد في التزامه بالموضوعية أثناء كتاباته، فيوضح تأثر العقل الأوروبي بالأفكار المسمومة من قبل الصليبيين؛ حيث يقول: " لا شك في أن الأذى الذي جلبته الحروب الصليبية لم يقتصر على اصطدام استعملت فيه الأسلحة، بل كان أولاً وقبل كل شيء أذى عقليًا نتج عنه تسميم العقل الغربي ضد العالم الإسلامي عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الإسلامية تفسيرًا خاطئًا متعمدًا، لأنه إذا كان للدعوة إلى حملة صليبية أن تحتفظ بصحتها فقد كان من الواجب والضروري أن يوسم بنو الإسلام بعدو المسيح وأن يصور دينه بأكلح العبارات كينبوع للفسق والفجور والانحراف عن الحق، وفي أيام الحروب الصليبية ذاتها تخللت العقل الأوروبي وبقيت فيه تلك الفكرة المضحكة القائلة بأن الإسلام إنما كان دينًا يدعو إلى عبادة الشهوة وإلى القوة الوحشية دينًا يدعو إلى إقامة الشعائر الدينية بدلاً من تطهير القلب"[2].

كما يوضح محمد أسد بكل جرأة ممارسة الغرب أساليب مخادعة تجاه قضايا البلاد الإسلامية فيقول: "حجة الغرب دائمًا تنحصر في التمزق السياسي العربي والتخلف الاقتصادي للشرق الأوسط، وكل تدخل غربي في شؤون الدول الإسلامية يوصف بنفاق بأنه دفاع عن المصالح المشروعة للغرب بل والأغرب أنه يتم تبريره بأنه لتأمين تقدم ورقي شعوب تلك البلاد، لم تمر أبدًا في أذهانهم فكرة أن أكثر العلل والآفات الاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها الشرق الأوسط ليست إلا نتيجة مباشرة للمصالح الغربية، وعدا ذلك يهدف التدخل الغربي بشكل أو بآخر إلى توسيع وزيادة بؤر الاضطرابات الداخلية لتصعيب سيطرة الشعوب المعنية على مقدراتها، وتحققت من ذلك لأول مرة وأنا في فلسطين عام ١٩٢٢م، وتأكدت من السياسة المراوغة ذات الوجهين التي تتبعها الإدارة البريطانية فيما يخص الصراع العربي الصهيوني، واتضح لي بكامل أبعاده في بدايات عام ١٩٢٣م بعد أن قضيت عدة أشهر متجولاً في أنحاء فلسطين، كما ذهبت إلى مصر التي كانت في حالة غليان مستمر ضد الوصاية البريطانية عليها"[3].

---

(١) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٥٧.

(٢) محمد أسد، أثر الحروب الصليبية على الفكر الغربي الحديث، ص١١-١٢.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٦٢-١٦٣.

أيضـاً يدافع محمد أسـد بكل حيادية عن الإسـلام ضـد مزاعم الغرب حول انتشـار الإسـلام بالسـيف، فيقول: "كل ذلك يفسـر كيفية انتصـار الإسـلام وانتشـاره الواسـع والسـريع في بداياته التاريخية، ويفند مزاعم مَنْ روجوا أنه انتشـر بحد السـيف، لم يكن المسـلمون إذن هم مَنْ خلقوا عظمة الإسـلام، بل كان الإسـلام من خلق عظمة الإسـلام، وبمجرد أن تحول إيمانهم إلى عادة وكفَّ عن أن يكون منهجًا وأسـلوبًا للحياة، وعن تطبيق تعاليمه بوعي ودراية، وأن يعوا ما يأمرهم به، خبا وهج النبض الخلاق في تلك الحضارة وحلّ محلها التقاعس والعقم وتحلل الثقافة تدريجيًا"(١).

وتمضـي بنا مريم جميلة في رحلتها خلال تعاليم الشـريعة اليهودية مبينة أوجه الشبه والخلاف مع شرعنا: "فترى تمسك اليهود بالختان وإطلاق اللحى وتغطية الرأس بالطاقية التي شهدناها على رؤوس الكثير من قادتهم وتحريم الصـور والتماثيل في المعابد أو في البيوت"، وتذكر أن الكثير من المتدينين اليهود يعترضـون إلى وقتنا هذا على التقاط صـور فوتوغرافية لهم، ويحيي اليهود بعضـهم بعضًـا بعبارة شـوليم عليخيم أو السـلام عليكم، وربما نرى على ضـوء حال المسـلمين في العصـر الحديث أن اليهود سـعداء الحظ لأنهم لم يسـجنوا ويقتلوا بتهم التطرف جزاءً على إطلاق لحاهم وإتباع شـريعتهم ولكن يبدو أن قواعد لعبة العصـر هي أن يخرج المسـلمون من دينهم بالعلمانية بينما يبقي اليهود أحرارًا ليقيموا دولتهم ويتمسكوا بشرعهم حتى في أدق تفاصيله، فاللادينية للمسلمين وحدهم"(٢).

بينما يذكر مارتن لينجز بكل إنصـاف مكتسبات الثورة الفرنسية: "الثورة الفرنسية كانت نيّتها الأسـاسـية ديمقراطية فلنشـهد على الشـعار حرية ومسـاواة وأخوّة (اللفظ الثالث ليس له معنى ووُضِـعَ كترضية للمشاعر الإنسانية) ولكن في الواقع السقطة كانت حادة جدًا لتقف عند الديمقراطية"(٣).

ويدافع مراد هوفمان بكل إنصـاف تهمة الإرهاب الموجهة إلى الإسـلام فيقول: "لا شـيء يجعل مصـير الإسـلام في العالم مجهولاً أكثر من العنف الذي يمارس ضـد الأبرياء باسـم الإسـلام، فقد ربط الإسـلام بالإرهاب منذ ١١ سـبتمبر ٢٠٠١م في واشـنطن ونيويورك و١١ مارس ٢٠٠٩م في مدريد"(٤)، صـحيح أن هناك أعمالاً إرهابية يرتكبها يهود وبروتسـتانت وكاثوليك وماويون، تماماً كما يجري كذلك في الشـيشـان في روسـيا وكما يجري في إسـرائيل، وحتى إرهاب الدولة الأمريكي (خليج

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٢٩٣-٢٩٤.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإسلام، ص٧٢-٧٣.

(٣) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص٥٠.

(٤) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٣٦.

غوانتانامو) ولكن تطبيق المعايير المزدوجة هو الذي يركز حصراً على العنف الذي يرتكبه المسلمون[١]، إنه سجل مخيف في واقع الأمر لا يمكن دحضه ببساطة بقولنا: ليس للإرهاب دين، أو إن: المسلم لا يمكن أن يكون إرهابياً، والعكس بالعكس"[٢].

وهنا يصارح مراد هوفمان بما قام به المستعمرون من تدريب نخب من المسلمين لاستثمارهم كأدوات في المستقبل فيقول: "لابد من التذكر أن المستعمرين البريطانيين والفرنسيين والهولنديين والروس جميعاً بذلوا جهوداً مشتركة لإبادة الإسلام عن طريق اختيار نخب محلية وتدريبهم في أمكنة مثل لندن وباريس، وأصبح كثير من هؤلاء المفكرين المستغربين قادة لحركات التحرر التي ناضلت بنجاح لتحقق الاستقلال، على أية حال كان هؤلاء كأسيادهم الغربيين اشتراكيين يساريين أو ليبراليين لا دينيين، كانوا كل شيء سوى أنهم مسلمون أتقياء، ومن ثم عندما استقلت البلدان الإسلامية ظلت تحكم بأيديولوجيات استعمارية لا تأبه بالتطلعات الإسلامية العميقة لشعوب هذه الدول"[٣].

أيضاً يذكر مراد هوفمان بكل جرأة ما كان يفعله المستعمر الفرنسي في الجزائر فيقول: "في أثناء عملي بالجزائر في عام ١٩٦٢/٦١م، عايشت فترة من حرب استمرت ثماني سنوات بين قوات الاحتلال الفرنسي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية، وانضم إليهما في أثناء وجودي هناك طرف ثالث هو [منظمة الجيش السري]، وهي منظمة إرهابية فرنسية، تضم مستوطنين وجنوداً متمردين، ولم يكن يمر يوم دون أن يسقط عدد غير قليل من القتلى في شوارع الجزائر، وغالباً ما كانوا يقتلون رمياً بالرصاص على مؤخرة الرأس من مسافة قريبة، ولم يكن لذلك من سبب إلا كونهم عرباً، أو لأنهم مع استقلال الجزائر"[٤].

كما يوضح مراد هوفمان تاريخ علاقة الإسلام بالغرب فيقول: "هذا هو تاريخ علاقة الإسلام بالغرب التي تعود إلى ألف وثلاثمائة عام، منها كثير من سنوات الغضب بل والحروب، ولقد بدأت العلاقات والغرب ينظر إلى الإسلام على أنه خطر، وتحول بعد ذلك لما يزيد على (٢٥٠) عامًا إلى مجرد مشكلة، ثم عاد في منتصف القرن العشرين ليطل من وجهة نظر الغرب كخطر مرة أخرى"[٥].

---

(١) المرجع السابق، ص١٣٦-١٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٤٣.

(٤) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٤١-٤٢.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٠١.

المبحث الثاني: خصائص منهج المستشرقين الذين أسلموا في الدفاع عن الإسلام.

إنه من المفيد في مستهل هذا المبحث حول المنهج الذي انتهجه المستشرقون الذين أسلموا خلال دراساتهم وكتاباتهم عن الإسلام والمسلمين؛ أن نسلط الضوء على بعض خصائص هذا المنهج؛ لأهميتها ومركزيتها في الكشف عن طبيعة فهمهم للإسلام ونظرتهم إلى كثير من مسائله وقضاياه.

ولربما يمكن أن نقول في تعريف الخصائص: إنها السمات البارزة والعلامات الواضحة التي يشترك فيها كل أو معظم المستشرقين الذين أسلموا وكتبوا عن الإسلام والمسلمين.

وإن المتأمل في هذه الخصائص يجد أنها تلتقي في سمات عامة، وسأتناول في النقاط التالية بيان هذه الخصائص الاستشراقية، مع استحضار الأدلة عليها من كتابات المستشرقين الذين أسلموا وتقريراتهم؛ وذلك على النحو التالي:

أولاً: الانحرافات الفكرية في البيئات الغربية

من خلال كتابات المستشرقين الذين أسلموا يلاحظ تأثرهم بالبيئات الثقافية التي عاشوا فيها؛ مما تكوَّن لديهم خلفية فكرية، ولم يستطيعوا الانفكاك عنها رغم إسلامهم كالنزعة المادية والتفسير العقلاني لمسائل الغيب، وظهر هذا المنهج بوضوح بعد نجاح الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧م؛ حيث تأثر المستشرقون بالفلسفة الوضعية والمنهج التجريبي الذي ساد في القرن الثامن عشر، وهو يمنح العامل المادي أهمية قصوى في تفسير الواقعة التاريخية، ونضرب لذلك أمثلة وشواهد من خلال كتاباتهم، وأبين ذلك من خلال إنكارهم للغيبيات وإنكار معجزات الأنبياء وعصمتهم -عليهم الصلاة والسلام- وإساءتهم للصحابة -رضوان الله عليهم-، وتعبيرهم عن لفظ الجلالة (الله) بما يُعَبّر عنه في لغاتهم الأم، ومحاولة إحلال بعض المصطلحات الغربية مكان المصطلحات الإسلامية كتسمية الديمقراطية الغربية بالشورى.

وخير برهان لهذه المسألة كلام اتيين دينيه الذي رأى أنه من المتعذر، إن لم يكن من المستحيل، أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم وبيئاتهم ونزعاتهم المختلفة، وأنه لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم مبلغًا يغشي على صورتهم الحقيقية، من شدة التحريف فيها، ورغم ما يزعمون من اتباعهم لأساليب النقد الحديثة، ولقوانين البحث العلمي الجاد، فإنا نلمس من خلال كتابتهم: محمدًا يتحدث بلهجة ألمانية، إذا كان المؤلف ألمانيًّا، ومحمدًا يتحدث بلهجة إيطالية، إذا كان الكاتب إيطاليًّا، وهكذا تتغير صورة محمد بتغير جنسية الكاتب، وإذا بحثنا

في هذه السير عن الصورة الصحيحة فإنا لا نكاد نجد لها أثرًا! إن المستشرقين يقدمون إلينا صورًا خيالية، هي أبعد ما تكون عن الحقيقة!"[١].

كما يتمثل هذا المنهج في خضوع الباحث لهواه، وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي صبغته بها بيئته الثقافية المعينة، وعدم تحرره من الأحكام المسبقة التي يكونها عن موضوع بحثه، فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم؛ حيث يتضح تأثر موريس بوكاي بالبيئة الغربية وخلفيته الفكرية من خلال مضاهاة الإنجيل بالأحاديث النبوية، ووقع في خطأ شنيع فيقول: "وليس شأن الأناجيل مختلفًا عن شأن هذه الأحاديث بالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام إن بعض الأحاديث النبوية الشريفة قد كتبت بعد حقب عديدة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بالضبط كما كتبت الأناجيل، وإن الأحاديث النبوية الشريفة لدى المسلمين شأنها شأن الأناجيل من حيث إن كليهما شهادة بشرية على أقوال وأحداث وقعت في الماضي"[٢].

"ولكن معطيات الأحاديث قابلة للنقد في بعض المعلومات التي تتضمنها الأحاديث وتدخل في نطاق موضوعات العلم الحديث، وهذه المقارنة بين صحة نصوص القرآن الكريم إلى حد الكمال، وبين تذبذب محتوى الأحاديث النبوية بين الصواب والخطأ... وعلى النقيض من بعض الأحاديث النبوية المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ككلام صادر عنه وليس صادرًا عن الله سبحانه وتعالى وكانت قابلة للنقد وللشك في صحة محتواها"[٣].

وهذا تشبيه قد جانبه الصواب فيه؛ لأن السنة نقلت بالسند الموثوق إلى الصحابي الذي شاهد الحدث وعاينه، وسمع اللفظ وحفظه، وهناك ضوابط وشروط لقبول الحديث والتفريق بين الصحيح من الضعيف، وهذه ميزة السنة النبوية لدى المسلمين يستحيل وجودها عند غير المسلمين، فحفظ السنة كان بالسند المتصل بخلاف حفظ الأناجيل لم يكن كذلك.

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٤٢.

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٤-٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧٢، هذا هو رأي ووجهة نظر مؤلف الكتاب.

كما يتضـــح أيضـــاً تأثر عبد الواحد يحيى بالبيئة الغربية من خلال عناوين بعض كتبه مثل: (نظرات في علم الباطن المسيحي) و(دراسة العقائد الهندوسية في النظريات العرفانية الأساسية)، وكتاب (الإنسان وصيرورته وفق تعاليم الفيدنتا) في تكوين الإنسان الآدمي، ومراحل أطواره ومصيره بعد الموت حسب تعاليم كتاب الفيدتنا الملخص للب التراث الهندوسي الأصيل[1].

أيضاً يتضح هنا مدى تأثر مارتن لينجز بالبيئة الفكرية التي تربى فيها؛ حيث يمدح الصليب فيقول: "إن رأس وقاعدة الصليب يُمَثِّلاَن القداسة والتواضع؛ والذراع اليسرى[2] تُمَثِّل الجلالة، متضمنةً العدالة وفضائل أخرى تعكس الصرامة الإلهيّة، والذراع الأيمن يُمَثِّل الجال، متضمنًا كل انعكاسات الرحمة الإلهيّة مثل الانعكاسات في المرآة، وبحس أعلى، الجلالة هي انعكاس للمطلق والأبدي؛ الجلالة في حد ذاتها، غير منفصلة عن القداسة وتشمل ضمنيًّا كل الفضيلة، ويرمز لها بالجزء الرأسي من الصليب، بينما الجمال، متضمنًا كل الفضائل وعاكسًا مثل الانعكاس في المرآة للكنوز اللامتناهية والكرم الإلهيّ، مُصَوّر في سِعَة الجزء الأفقي، والصليب أيضًا مظهر للوحدة، من خلال توجه أطرافه نحو مركزه، تمامًا مثل كون الإشارة في كل الاتجاهات هي مظهر للكلّية"[3].

ويتضح تأثر محمد أسد ببيئته الغربية حين لا يرى ضرورة إقامة الدولة الإسلامية على قوالب عصور الإسلام الأولى[4] أو كما يقول: "إن عهد الخلفاء ليس قدوة في الدولة الإسلامية" [5].

□

(١) عبد الواحد يحيى، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، صفحة ق.

(٢) هكذا في النص (الذراع اليسرى) والصحيح الذراع الأيسر.

(٣) مارتن لينجز، معتقدات قديمة وخرافات حديثة، ص٥٦.

(٤) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص ١٧١.

(٥) المرجع السابق، ص ٥٤.

١/ التعبير عن لفظ الجلالة (اللّه) بما يُعبّر عنه في اللغات الغربية.

أ/ لورد هدلي

يلاحظ بقاء تأثير البيئة الغربية على لورد هدلي فيذكر أحياناً في مخاطبته (الله) ومناجاته له لفظ (الأب)، وهو يقصد به (الله)[١].

ب/ محمد أسد

تأثر محمد أسد بالبيئة الفكرية الغربية في كثرة استخدامه لكلمة (**God**) بدلاً من كلمة (**Allah**) (الله) في كل موضع ذكر فيه اسم الله تبارك وتعالى[٢]، رغم أن لفظ الجلالة (الله) اسم علم، وأسماء الأعلام لا تتغير باختلاف اللغات والترجمات، وقد لاحظت أن أسد على طول ترجمته كلها، لم يسم قط رب العزة باسم (الله) مؤثراً استعمال كلمة **God**، ولا أدري السر في ذلك، إن كلمة (الله) اسم علم، وأسماء الأعلام لا تتغير في الترجمة، بل تبقى على حالها كما هو معروف، لماذا ترك محمد أسد دينه وأسماء الإله فيه إلى الإسلام وإلهه؟ ترى لماذا تخلى بتلك البساطة عن هذه الخصوصية الإسلامية الجميلة؟[٣].

ويكفي رداً على هذه المسألة ما ذكره موريس بوكاي؛ حيث يقول: "إن واحدة من تلك المغالطات المعتمدة التي تحاول تشويه صورة الإسلام هي موقف المسيحيين من كلمة (الله) التي يستخدمها المسلمون في تسميتهم للإله المعبود بحق، ولقد حاول المسيحيون في الغرب الإيهام بأي كلمة (الله) تعني إله المسلمين الذي يعبدونه وهو غير جدير بالعبادة، ولذلك لا يعتبرونه مساويًا أو مقابلاً أو مرادفًا للكلمة الفرنسية **Dieu** مثلاً، وهذه النظرة إلى كلمة (الله **Allah**) غير صحيحة بالمرة؛ إذ إن كلمة (الله)**Allah** تساوي كلمة **Dieu** الفرنسية، وهي عند المسلمين لا تعني إلهاً آخر سوى (الله **Allah**) رب موسى ورب المسيح ورب الناس جميعًا"[٤].

---

(١) لورد هدلي يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٢٧.

(٢) محمد أسد، رسالة القرآن، ص ٥، ١٢، ١٣.

(٣) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٥.

(٤) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٥٦-١٥٧.

٢/ عدم التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

من إفرازات تأثير البيئة على هؤلاء المستشرقين عدم تأدبهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض كتاباتهم، فهذا اتيين دينيه يذكر وفاة خديجة رضي الله عنها فيقول: "ماتت خديجة أم المؤمنين، أولى النساء إسلامًا، في سن الخامسة والستين رضي الله عنها، كان لخديجة في نفس الرسول جاذبية قوية لطيفة؛ فلم يشرك معها غيرها طيلة حياتها، ورغم أنه كان في ريعان شبابه فإنه لم يقبل الزواج بأخرى، أو اتخاذ صديقة[١]، مع أن التقاليد كانت تسمح بذلك[٢]، ومع أن الأسباب من كل جانب كانت تمهد له وتغري به، وإذا كانت قد فارقته فإن ذكراها دائمًا كانت على لسانه"[٣].

ويقول دينيه واصفاً بعير زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم: "وقد حدث في هذه الرحلة حادثان بسيطان، لا نذكرهما إلا لأنهما يبينان ما يجب على الحاج من إخضاع ثورات الغضب والضجر في نفسه: كان بعير صفية زوجة الرسول ثقيل الحمل، بطيء السير، يتأخر عن الركب رغم جهود سائقه، بينما بعير عائشة خفيف الحمل مع خفة مشيه، فلما رأى الرسول ذلك، أتى عائشة يحاول إقناعها بإبدال الجملين، وأمر أن يجعل حمل صفية على جمل عائشة، وحمل عائشة على جمل صفية، فلم ترض بذلك عائشة، وصاحت غاضبة: إنك تزعم أنك رسول، فما لك لا تعدل! ولم تكد تلفظ تلك الكلمات حتى لطمها أبوبكر، فلامه محمد فقال: أما سمعت ما قالت؟ قال: دعها فإن المرأة الغيراء لا تعرف أعلى الوادي من أسفله![٤].

وهذا الحديث ضعيف، وقد ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله فقال: وهذا سند ضعيف؛ وفيه علتان: الأولى: عنعنة ابن إسحاق؛ فقد كان يدلس، والأخرى: ضعف سلمة بن الفضل -وهو الأبرش- قال الحافظ في التقريب: صدوق كثير الخطأ[٥].

أيضاً محمد أسد أثناء ترجمته لسورة عبس يقع في نفس المشكلة ويتضح من خلال حديثه تأثير البيئة عليه؛ حيث لم يراع التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر كلاماً لا ينبغي له أن يقال في حقه صلى الله عليه وسلم "في حديثه عن عبوس رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتاه

(١) سوء أدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يليق أن يتلفظ بمثل هذه الألفاظ الشنيعة.

(٢) من أين أتى بهذا الكلام؟

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٥٣.

(٤) المرجع السابق، ص٣٠٦.

(٥) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف بالرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١ الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، ج٦، ص٥٥٥.

ابن أم مكتوم يسـأله في بعض أمور دينه أثناء انشـغاله بمحاولة إقناع بعض المشـركين في مكة لهدايتهم إلى الإسلام، يقول: إن ما لا يزيد عن كونه مجرد هفوة تافهة من أي إنسان آخر في مثل هذه المسألة المتعلقة بالمجاملات الاجتماعية يُعَدُّ مع ذلك في حق الأنبياء ذنبا عظيما يستوجب العتاب"[1].

□

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٣٢.

٣/ عدم التأدب مع الصحابة رضوان الله عليهم.

يلاحظ تأثير البيئة الغربية على المستشرقين الذين أسلموا من خلال آرائهم في الصحابة رضوان الله عليهم وعدم التأدب معهم حين ذكر بعض مواقفهم؛ بل تعدى ذلك بالإساءة إليهم والحط من قدرهم.

أ/ اتيين دينيه

يصف اتيين دينيه الصحابة الثلاثة الذين خُلفوا بالمنافقين والله المستعان فيقول: "وطلب المنافقون العفو وقاطع المسلمون المنافقين الثلاثة خمسين يوما، وأتاه أمراء القبائل للاستسلام والخضوع"(١).

إن وصف اتيين دينيه للثلاثة الذين خُلفوا في غزوة تبوك بالمنافقين خطأ لا يغتفر له، ولا يليق أن يصفهم بهذه الصفة المذمومة؛ لأن المنافقين تخلفوا وكذبوا؛ ولكن الثلاثة الذين خُلفوا أذنبوا فعلاً بعدم المشاركة في المعركة إلا أنهم صدقوا واعترفوا بالخطأ الذي وقعوا فيه، وتاب الله عليهم يقول تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [سورة التوبة: ١١٨].

كما يسيء اتيين دينيه للصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فيقول: "لقد كانت العلاقة بين الحاكم والرعية قائمة على التفاهم المتبادل، وكانت الخلافة رئاسة جمهورية انتخابية، لكن معاوية جعلها ملكية التي كانت ضربة قاسية للإسلام"(٢).

ب/ محمد أسد

يتحامل محمد أسد على الصحابي الجليل ثالث خلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه ويصفه بالحاكم الضعيف وأنه وقع في تصرفات خاطئة قائلاً: "من المحتمل أن الخلفاء الراشدين لم يجدوا أمامهم طريقًا مفتوحًا سوى هذا (الشورى) فسلكوه، ولكن من المحتمل أن الحرية المطلقة التي

(١) اتيين دينيه، وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٩٢-٣٠٣.

(٢) أخطأ اتيين دينيه في حق الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وما ذكره من كلام غير صحيح البتة؛ بل هذا تجاوز في الأدب مع الصحابة الذين رضي الله عنهم، فكيف يعقل أن يصدر شيء من الصحابة يكون ضربة قاسية للإسلام؟ فمعاوية رضي الله عنه معروف عنه أنه أحد كتاب الوحي؛ أما اختياره لابنه يزيد؛ فلم يكن مقصوده الملكية في الحكم والسلطة؛ ولكن وقع اختياره ليزيد جمعاً لكلمة المسلمين وحقناً لدمائهم، عندما وجد اختلافهم وعدم اتفاقهم، ويعتبر هذا من باب الاجتهاد، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، ولا ينبغي التساهل في الخوض في مسائل الصحابة وطعنهم وإساءتهم ورميهم بالظنون والتهم.

مارسوها في إصدار قراراتهم كانت من الأسباب التي أدت إلى الانهيار السريع للخلافة الراشدة؛ ذلك بأن هذه الحرية قد أتت بأبرك الثمرات عندما وضعت في يد حاكم حازم بعيد النظر كعمر بن الخطاب، ولكنها ما لبث أن حطت من شأن نظام الخلافة نفسه عندما استخدمها حاكم ضعيف، ومن ثم وقع في تصرفات خاطئة كانت وخيمة العواقب فيما بعد، أفلم يكن من الممكن مثلاً أن يتغير وجه التاريخ الإسلامي كله لو أن عثمان رضي الله عنه ألزم نفسه بالعمل بمشورة مجلس للشورى يمثل الأمة ويشاركه أعباء الحكم؟"(١).

وما ذكره محمد أسد عن عثمان رضي الله عنه لا يقول به مسلم يعرف قدر الصحابي عثمان المبشر بالجنة، ففضائله ومناقبه كثيرة جداً، فهذا يدل على انحرافه الفكري وتأثره بالبيئة الغربية العلمانية.

ج/ مراد هوفمان

يحلل مراد هوفمان الخلاف الذي حصل بين الصحابيين الجليلين علي بن أبي طالب ومعاوية بين أبي سفيان رضي الله عنهما بناء على خلفيته الفكرية فيقول: "سبق قيام الخلافة الأموية نزاع طويل بين الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين ومعاوية بن أبي سفيان الذي نازعه الخلافة، وكان وراء هذا الصراع أسباب ليست بالأسباب الفقهية، أو السياسية فقط، ولكن الصراع كان شكلاً جديداً للصراع القبلي، فلقد امتد منذ ظهرت النبوة في بني هاشم وغيرة بني أمية وكبيرها أبي سفيان، حتى الصراع الذي انتهى باغتيال الإمام علي، حيث لم يقبل بنو أمية أن يكون من بني هاشم الرسول والخليفة"(٢).

فوصف مراد هوفمان هذا الخلاف بالصراع القبلي لم يوفق فيه تماماً وقد جانبه الصواب فيه، فمنهج أهل السنة والجماعة في ذلك الترضي عنهم والسكوت وعدم الخوض فيما شجر بينهم لعظم فضلهم ومكانتهم، وكانوا مجتهدين، فمن أخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران، فالأولى لمراد هوفمان أن يذب عن عرض صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ويذكر فضائلهم ويبرز محاسنهم وخاصة أن الكتاب موجه للكفار من بني جلدته.

---

(١) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص١٠٩-١١٠، ويتبين عدم التأدب مع الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه وواضح على المؤلف التحامل وإطلاق حكم غير صحيح بل واتهامه بالضعف، وعدم الأخذ بمبدأ الشورى.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢٤٨-٢٤٩.

٤/ خطأ تسمية الشورى بالديمقراطية.

يورد الباحث مثالاً آخر على تأثير البيئة والخلفية الفكرية لدى هؤلاء المستشرقين، فمراد هوفمان يسمي الشورى بالديمقراطية، فيقول: "ويتم تحقيق هذا في ديمقراطية إسلامية، يجعل القرآن الكريم المصدر الأعلى للدستور(سيكون هذه اللبنة الأولى لديمقراطية إسلامية)، ويجب أن توضع جميع القوانين المستمدة من القرآن الكريم موضع اعتبار وقياس من قبل قانونيين مسلمين، (هذه الخطوة هي اللبنة الثانية في الديمقراطية الإسلامية)، وأما اللبنة الثالثة: فهي قيام حياة نيابية إسلامية بناءً على التوجيه القرآني بوجوب الشورى، والذي ورد في سورتي آل عمران والشورى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الشورى: ٣٨]. وقد حملت هذه السورة هذا الاسم لأهميته"[(١)].

وفي موضع آخر يرى مراد هوفمان أن الديموقراطية لا تتعارض مع الإسلام[(٢)]، "وينتج هذا عن العرض في رأيي حقيقة ثابتة، هي أن الإســـلام في حد ذاته لا يعادي الديمقراطية، بل على النقيض يتضــمن تسـع لبنات أسـاسـية لتوطيد أركان ديمقراطية إسـلامية، ما على المسـلمين إلا العمل على تحقيقها، ولذلك يبدو اتهام المسلمين والإسلام بالعداء للديمقراطية ضرباً من ضروب العنصرية"[(٣)].

والرد على ما ذهب إليه مراد هوفمان وعلى دعاة الديمقراطية يكمن فيما يلي:

١/ استخدام كلمة الديمقراطية للشورى مخالف شرعاً وعقلاً.

٢/ تحديد الحق من الباطل في الديمقراطية يكون عن طريق الأغلبية، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ١١٩].

٣/ الحكم للبشر أو الشعب في الديمقراطية، بينما الحكم لله وليس للبشر، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [سورة يوسف: ٤٠].

٤/ لا توجد حرية فردية في الديمقراطية وإنما هي استبدادية الأغلبية.

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٤٩-١٥٠.

(٢) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص ٦٦، ٧٦-٧٧.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٥٧.

٥/ الديمقراطية قد يفوز فيها أفسد الناس وأقلهم أهلية، ويتم ذلك بشراء الأصوات؛ أما الأكفاء من غير الأثرياء فغالباً لا يرشحون أصلاً، وغيرها من المفاسد التي تنطوي عليها الديمقراطية، والتي لا يمكن بسببها أن تتوافق مع مفهوم الشورى في الإسلام.

من خلال ما مضى يتضح بجلاء أثر البيئة الأوروبية التي تربى فيها المستشرقون الذين أسلموا في كتاباتهم عن الإسلام والمسلمين؛ حيث نشأوا وشبوا على الثقافة الغربية وطرقها في التفكير وتحليل القضايا، وتشبعوا بروح الفكر المادي العلماني، وحين أخذوا من مناهجها في تحليل المسائل الشرعية تأثروا بهذه العقلية؛ ولهذا فإن منطق التفكير الأوروبي على هذا النحو يكون حاضراً ويبقى أثره، ولا يأتي بنتائج صحيحة في الرسالات الإلهية الغيبية، ويلزم استبدال ذلك كله بالإيمان المطلق بما جاء به الكتاب والسنة.

وفي هذا السياق هناك أمر في غاية الأهمية وهو توجيه النقد إليهم برفق ونلتمس لهم العذر في بعض أخطائهم، مع عدم التبرير وتقرير أخطائهم، فمما لا شك فيه أن بعض أخطائهم ربما ترجع إلى اختلاف لغاتهم وتنوع مشاربهم، كما أن البيئات التي عاشوا فيها بيئات غير مسلمة بل بيئات علمانية، كما أن جهودهم في بيان قضايا الإسلام وإظهار محاسنه لبني جلدتهم تدل على حسن نواياهم وصدق إيمانهم في الأساس، ولكل جواد كبوة.

ثانياً: الحماسة الدينية في كتاباتهم

من الخصائص والسمات البارزة في كتابات المستشرقين الذين أسلموا ظهور الحماسة الدينية في كتاباتهم عن الإسلام والمسلمين، وهذه السمة ظاهرة سواءً قلنا: إن سبب تأليفهم للمؤلفات ابتداءً كان أكبر دافع لهم الحماسة الدينية؛ حيث يتضح ذلك من خلال تسميتهم لأغلب مؤلفاتهم مقرونة بكلمة الإسلام، فإتيين دينيه لديه كتاب بعنوان: (أشعة خاصة بنور الإسلام)، ولورد هدلي لديه كتاب بعنوان: (يقظة الغرب نحو الإسلام)، ومارمادوك لديه كتاباً بعنوان: (الجانب الثقافي للإسلام)، وعبد الواحد لديه كتاب بعنوان: (التصوف الإسلامي المقارن)، ورجيه دوباسكويه لديه كتاب بعنوان: (إظهار الإسلام)، ومحمد أسد لديه كتب تحمل كلمة الإسلام ومن أهمها: (الإسلام على مفترق الطرق) و(الطريق إلى الإسلام)، ومريم جميلة لديها كتب تحمل كلمة الإسلام من أهمها (الإسلام بين النظرية والتطبيق) وكذلك (الإسلام في مواجهة الغرب)، وأغلب مؤلفات مراد هوفمان حملت كلمة الإسلام ومن أهمها: (الإسلام كما يراه مسلم ألماني) و(الإسلام كبديل) وغيرهما[(١)]، أيضاً نرى هذه السمة بارزة في كتاباتهم في دعوة بني قومهم إلى الإسلام ومناداتهم بكل جرأة غير مبالين بما يعتريهم من مضايقات وتهم، وغير مكترثين لما يتعرضون له من هجوم وانتقادات، وهنا أنقل بعضاً من حديثهم من خلال كتبهم ما يعضد هذه المسألة.

ينطلق اتيين دينيه من الحماسة الدينية في بيان تسامح الروح الإسلامية وبيان الحق ورد الباطل؛ حيث ينقل كلاماً عن أحدهم اتسم بالحماسة الدينية فيقول: "إنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم، زد على ذلك أن المسلمين يحملون لعيسى في نفوسهم التبجيل والتعظيم، في حين أن أنصار المسيح يمطرون محمداً وابلاً من اللعنات والسخطات، الأمر الذي يدعونا إلى الدهشة والغرابة، ذلك لأنهم أتباع يسوع صاحب عظة الجبل والقائل بالعفو والإحسان!"[(٢)].

كما يبين لورد هدلي مقت أوروبا للإسلام: "هذه هي الكلمات الانتقادية السامية ذكرناها بأجمعها؛ كي نعرفهم أن المسلمين ليسوا جهلة كما يظن فيهم، ولولا التربية والمدنية الإسلامية لكانت

---

(١) تمت دراسة هذه الكتب باستفاضة في التمهيد.

(٢) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٢٠.

أوروبا التي تمقت المسلمين مقتًا شديدًا ما زالت في أحضان الجهل الآن"(١)، مما يدل على الحماسة الدينية وعدم المبالاة بما سيعتريه من هجوم وانتقادات.

كما يحمِّل عبد الواحد يحيى الغرب مسؤولية التباعد بين المسلمين والغرب؛ حيث يقول: "إن التعارض بين الشرق والغرب ازداد حِدّة ولا يزال تفاقمه متواصلاً، وهذا أمر حتمي طالما يستمر الغرب في السير على خطه المتباعد، فالغرب وحده هو الذي يتحمل مسؤولية هذا التباعد؛ إذ أن الشرق لم يتغير قط في ما هو أساسي؛ وكل المحاولات التي لم تأخذ في الاعتبار هذا الواقع باءت طبعًا بالفشل، والعيب الكبير في هذه المحاولات هو أنها حصلت دائمًا في الاتجاه المعاكس لما كان ينبغي القيام به لكي تنجح، فالغرب هو المطالَب بالاقتراب من الشرق؛ إذ هو الذي ابتعد عنه"(٢).

بينما يؤكد روجيه دوباسكويه تعرض الإسلام لتحريفات وتشويه واضح فيقول: "لقد تعرض الإسلام لتحريفات ما زالت آثارها في العقل الأوروبي حتى اليوم، هناك أوروبيون كثيرون يمكن تقليص الإسلام عندهم إلى: تعصب، جبرية، تعدد زوجات"(٣).

ويذكر أيضاً محمد أسد تجربته مع الإسلام وأسباب اقتناعه فيقول: "ومن دون وعيٍ مني فَقَدَتْ المزحة جانبها الهازل وبدأتُ أفكر جديًا على مدى أسابيع في كتابة قصة حياتي، وبالتالي أعاون ولو بقدر ضئيل في رفع تلك الحُجُب السميكة والأستار الثقيلة التي تفصل الإسلام وحضارته عن العقل الغربي، لقد كان طريقي إلى الإسلام فريدًا من عدة أوجه؛ فأنا لم أتحول إلى الإسلام لأني عشت زمنًا طويلاً بين المسلمين بل على العكس قررت أن أعيش بينهم لأني اعتنقت الإسلام، ألا أكون أكثر نفعًا لو حققت بعضًا من الفهم المتبادل بين الإسلام وعوالم الغرب بتقديم تجاربي الخاصة جدًا للقارئ الغربي أكثر من النفع الذي أقدمه في العمل الدبلوماسي، والذي يمكن أن يقوم به رجال أكفاء غيري من أبناء البلد الذي أمثله؟"(٤).

أيضاً مريم جميلة تنطلق من دافعها الداخلي وحماسها الديني إلى بيان خطورة المفاهيم الغربية على الإسلام؛ حيث تقول: "الحقيقة أن قصة استزراع مفاهيم الغرب المسيحي المختلفة عن العلاقة بين الجنسين وفرضها على حساب مفاهيم الإسلام، تمثل أخطر نقاط الصدام بين الحضارتين في

(١) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٣٥.

(٢) عبد الواحد يحيى، شرق وغرب، ص١٣٥.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٥-١٦.

(٤) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٦.

الوقت الراهن، ولا يستهينن أحد بمدى التفكك والدمار الذي تحدثه التصورات والممارسات الغربية (لا سيما الإباحية التي أخذت الكنائس هناك تتساهل معها) على المجتمعات الإسلامية، والمطلوب إعادة مناقشة الكثير من المفاهيم الغربية الأصل التي روجت بين المسلمين في مسائل المرأة والزواج وما يتصل بها والتي حاول البعض أقلمتها بالتماس تفسيرات إسلامية لها أو باعتبارها مفاهيم إنسانية أبدية أزلية وليس مجرد تصورات نسبية تابعة لثقافة ما في زمن ما ومتأثرة بتراث المكان والبيئة"(١).

كما يتحدث مراد هوفمان في مقدمة كتابه (رحلة إلى مكة) عما يحمله من روح وقادة وحماسة دينية؛ حيث يقول: "عندما نشرت دار ديتريش الألمانية في عام ١٩٢٢م، وفي البرلمان وكان القبول بما ثار آنذاك يعد تفريطاً لأنه كان يتجاوز شخصي بكثير، فقد كان حملة قذف وتشويه منظمة تستهدف ما هو أبعد من شخصي"(٢)، ومع ذلك واصل في تأليفه كتباً عن الإسلام غير مكترث بما يواجهه من تهم وأباطيل.

ولنأخذ مقتطفاً من حديثه في بيان المعايير المزدوجة للغرب ليدل على الحماسة الدينية فيقول: "يكيل الغرب بمكيالين، وهذا ظاهر للعيان، لنأخذ الإعلام الغربي كمثال، إذا هاجم إرهابي من خارج العالم الإسلامي هدفاً، جاءت التقارير مقاتل أو محارب، ولن نسمع مطلقاً متعصب كاثوليكي أو متعصب اشتراكي حتى الهجوم بالغاز في مترو طوكيو مارس١٩٩٥م، نُسب إلى راديكاليين؛ أما إذا ألقى شخص من الشرق الأوسط، أو الجزائر قنبلة غاز، فينسب العمل لمسلم متعصب، حتى لو كان ذلك العربي مسيحي أو بعثي ملحد"(٣).

---

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢١٣.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٥.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٥٥-٥٦.

ثالثاً: التعصب للرأي الشخصي ورأي أساتذتهم تأييداً للفكرة ونصرة للقضية.

أحد أبرز السمات في كتابات المستشرقين الذين أسلموا التعصب لرأي أساتذتهم تأييداً للفكرة التي يتناولونها أو نصـرة للقضـية التي يطرحونها، فهو يجزم بصـواب ما ذهب إليه من رأي، ولا يترك لنفسه فرصة المراجعة والتراجع عن رأيه، فقد يكون الرأي الذي تبناه مخالفاً للصواب؛ مما يقع في اتباع وموافقة بعض الأقوال والمناهج المخالفة لأهل السنة والجماعة بلا قصد.

يقول مكسـم رودنسـون ناقداً الباحثين الغربيين: "ينتقون ما يرونه بعناية، ويتجاهلون كل ما لا ينسـجم مع الصـورة التي كوّنوها"، فقد أخذوا بالخبر الضـعيف الشـاذ في بعض الأحيان وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ الغريب فقدموه على المعروف المشهور، وعولوا على الشاذ ولو كان متأخراً أو كان من النوع الذي استغربه النقدة ونبهوا إلى نشوزه، تعمدوا ذلك لأن هذا الشاذ هو الذي يحقق هدفهم في إثارة الشك[1].

وهذه آفة عظيمة يقول ابن عباس رضي الله عنه: "يوشك أن تنْزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟ "، ويقول الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور: ٦٣]"[2].

ويلاحظ خلال الأسطر القادمة عبر ذكر الشواهد جوانب من هذا التعصب في كتابات المستشرقين الذين أسلموا.

هنا اتيين ينكر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم متأثراً في ذلك برأي أستاذه محمد عبده؛ بل ويصرح بذلك؛ حيث يقول: "ويلحظ القارئ في هذه السيرة النبوية خلوها من بعض الأخبار التي تتعلق بمعجزات مادية وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الروايات الصحيحة في ذلك"، فإتيين دينيه رأى أن مثل هذه الأخبار تعد مخالفة لنصـوص القرآن الكريم، وذكر في مقدمة كتابه (محمد رسـول الله) صـلى الله عليه وسـلم قوله: "ولقد آثرنا، بالاتفاق مع نصـوص القرآن -وهو الكتاب الوحيد الذي لم يعارض ولا يقبل المعارضـة- وبالاتفاق مع علماء الإسـلام للصـدر الأول، ومع أصحاب الفكر الحر من المعاصرين كالشيخ محمد عبده الذائع الصيت، أن نضرب صفحًا عن جميع

(١) ثائر الحلاق، مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ص٢٩٠.

(٢) محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد، تحقيق عبد العزيز بن عبد الرحمن السـعيد وغيره، نشـره جامعة الأمام محمد بن سـعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج١ ص١٠٢.

الخوارق التي نسبت إلى النبي العربي بعد زمن طويل من وفاته، والتي يبدو أن في نسبتها إليه ما يسلبه سيماه الحقيقية، والحق أننا نرى من بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات، أن محمداً هو الوحيد الذي استطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية، معتمداً فقط على بداهة رسالته ووضوحها وعلى بلاغة القرآن"[١].

كما يلاحظ على عبد الواحد يحي جينو، تأثره الكبير بالمنهج الصوفي الذي أخذه عن شيخه عبد الرحمن عليش الشاذلي[٢]، فيقول في أحد كتاباته مادحاً شيخه: "كان الشيخ عليش شيخ فرع من الطريقة الشاذلية، وكان في الوقت نفسه شيخ المذهب المالكي بالأزهر"[٣]، حتى غلب عليه الفلسفة في كتاباته والتكلف الزائد في تفسير بعض المعاني، فتوسع فيما سماه بعلم الحروف فيقول: "تبعًا للمعطيات التراثية لـ(علم الحروف) خلق الله تعالى العالم بالباء ثاني الحروف، لا بالألف أولها"[٤].

ويقول في موضع آخر: "من بين المظاهر العددية للتطابقات المذكورة أخيرًا هو أن عدد اسم (مضطرون) بحساب الجمل: (٣١٤) وهو نفس عدد اسم محمد بتفصيل حروفه (ميم حا ميم دال)، وعدد كلمة (الإنسان الكامل) وهو نفس عدد مجموع الرسل، كما هو عدد الصحابة من أهل بدر، المعرب"[٥].

ويقول أيضاً: "وهو مجموع الأعداد من (١) إلى (١٠٩ و١٠٩) هو عدد كلمة العدد كما هو عدد كلمة الحكيم، وهو أيضًا بالتقريب عدد آيات القرآن الكريم بحذف المكرر منها، وهذا العدد (٥٩٩٥)، لافت للنظر من حيث تناظره: فوسطه المركزي (٩٩) أي عدد أسماء الله الحسنى (المحصاة الوارد ذكرها في الحديث النبوي)، ورقما الطرفين يشكلان (٥٥) الذي هو مجموع الأعداد العشرة الأولى (وهو عدد اسمه تعالى مجيب)، وفيه يظهر انقسام العشرة إلى نصفيها (٥+٥=١٠)؛ ثم إن

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٦٢.

(٢) عبد الرحمن عليش الشاذلي، هو ابن الشيخ محمد عليش من أسرة مغربية؛ حيث اعتنق عبد الواحد جينو الإسلام بواسطة الشيخ عبد الرحمن عليش، وهو الشخص الذي أهدي إليه جينو أحد كتبه بهذه العبارة: "إلى الذكرى المقدسة، ذكرى الشيخ عبدالرحمن عليش الكبير، المالكي، المغربي، الذي أدين له بالفكرة الأولى لهذا الكتاب، مصر القاهرة ١٣٢٩م"، وأثمرت مرافقته لجينو أن عقد بينه وبين الشيخ عليش صلة قوية متينة عن طريق تبادل الرسائل والآراء، كانت النتيجة أن اعتنق جينو الإسلام سنة ١٩١٢م، انظر: عبدالواحد يحيى، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، صفحة ز.

(٣) المرجع السابق، صفحة و.

(٤) عبد الواحد يحيى، التصوف الإسلامي المقارن، ص٤٩.

(٥) المرجع السابق، ص٥٢.

(٥+٥=١٠) و (٩+٩=١٨) (الذي هو عدد اسمه تعالى حي)، أي أنهما يمثلان القيم العددية للاسمين الأول والثاني (من أسماء الملائكة الثمانية المذكورة)"[١].

لحرف النون في الأبجدية العربية كما في الأبجدية العبرية، المرتبة (١٤) والقيمة العددية (٥٠)، لكن زيادة على هذا، هو في العربية يحتل موقعًا أكثر تميزًا، لأنه يختم النصف الأول من الأبجدية؛ إذ عدد الحروف العربية هو (٢٨)، بدلاً من (٢٢) في الأبجدية العبرية، وأما ما يوافقه من الرموز، فهذا الحرف يعتبر بالخصوص، في التراث الإسلامي، رمزًا لحوت سمك القرش، وهذا مطابق للمعنى الأصلي لكلمة نون نفسها الذي هو الحوت، ولهذا السبب سمي سيدنا يونس عليه السلام بذي النون"[٢]، فهل نحتاج إلى هذا التكلف الزائد حتى نثبت فكرة أو رأياً؟ ومن لديه أدنى علم في اللغة أو العلم الشرعي ينبذ مثل هذه التفسيرات الخاطئة والخرافات.

وهذه الطريقة تعرف بحساب الحروف الجمل المعروف بأبي جاد، وفي استخدامها ثلاث حالات، فالحالة الأولى: استخدامه بدون توسع كأن يستخدمه لمعرفة مدة زمن الأمم بواسطة الحروف المقطعة، وحساب الجُمل، واختلفوا في حكمه، فالقائلون بجوازه: هم السهيلي وابن الزملكاني الجد والألوسي الجد والصوفية والشيعة إضافة للفرق المنتسبة كالباطنية والفلاسفة، ولهم أدلة في ذلك، والذين صرحوا بمنعه وتحريمه ولهم كلام في النهي عنه هم: ابن عباس والقاضي ابن العربي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والإمام الذهبي وابن خلدون وابن حجر والسخاوي والسيوطي والصالحي والشاطبي والإمام الشوكاني والإمام الصنعاني والشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحمد رشيد رضا ومحمد عبده وعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وعبد الرحمن المعلمي وغيرهم، كما أن كثيراً من المفسرين جعلوا استخدام حساب الجمل من الحروف المقطعة في معرفة الغيب من اتباع المتشابه، ومنهم الإمام البغوي وعلاء الدين الخازن والواحدي، والكلبي، والسمرقندي، واستدلوا على ذلك بأدلة[٣].

وكانت المدرسة العقلانية بزعامة محمد عبده من مصادر التلقي الأصلية لمحمد أسد، فقد تتلمذ محمد أسد على الشيخ مصطفى المراغي في مصر، وهو من رواد المدرسة العقلانية ومن تلاميذ زعيم المدرسة محمد عبده، وقد نص محمد أسد في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم على أنه قد تبنى كثيراً من آراء محمد عبده؛ فقال ما ترجمته: "القارئ سوف يجد في تعليقاتي التفسيرية أني أحيل إلى الآراء التي

---

(١) المرجع السابق، ص٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص٩٥.

(٣) وللاستزادة انظر: طارق بن سعيد القحطاني، أسرار الحروف وحساب الجمل، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ١٤٢٩هـ/١٤٣٠هـ، من ص ٦٤ إلى ص ٨٧.

تبناها محمد عبده، وأهميته في العالم الإسلامي المعاصر فوق الوصف، ويمكن أن يقال بدون مبالغة: إن كل اتجاه في الفكر الإسلامي المعاصر يمكن إرجاعه مباشرة أو غير مباشرة إلى هذا الرجل الذي يعد أفضل المفكرين الإسلاميين في هذا العصر"(١).

فتجد محمد أسد خصص في كتابه المشهور (الطريق إلى مكة) فصلاً عن (الدجال) يتضح فيه تأثره بمنهج أستاذه؛ حيث يقول فيه: "إن المقصود بالدجال: هو التحذير من الحضارة الغربية المادية؛ لأنها حضارة عوراء تنظر إلى الحياة من ناحية واحدة، وهي ناحية التقدم المادي فقط غافلة الجانب الروحي، وإن تقدم هذه الحضارة العلمي يسقط المطر الصناعي من السماء.. وينبت الزرع..، ويخرج كنوزاً من باطن الأرض..، وعقاقيرها وطبها يعيد الحياة لمن بدا كأنما قضي عليه بالموت..، هذا التقدم المادي للحضارة الغربية أصبح من القوة والخداع بحيث يخيل إلى ضعاف الإيمان أنها في حد ذاتها إله"(٢).

ومن المحتمل أيضاً أن يكون محمد أسد قد تأثر بالقاديانية في بعض أفكارها، لاسيما أنه عاش في شبه القارة الهندية حوالي عقدين من الزمان، وشهد قيام دولة الباكستان، وكان عضواً فاعلاً، ومؤثراً على الساحة الفكرية والسياسية فيها، حيث ينكر محمد أسد معجزات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ويعتبرها أساطير، وفي أحيان أخرى يؤولها بتأويلات فاسدة بحيث تخرجها من كونها خارقة للعادة، وقد سبقه في هذا المنهج المفسرون القاديانيون، مثل مولاي محمد علي القادياني، وملك غلام فريد، في ترجمتيهما التفسيريتين للقرآن الكريم إلى الإنجليزية، "حيث ورد في ترجمته لمعاني القرآن الكريم ما وافق أفكارهم، فعلى سبيل المثال: نجد أنه ترجم مصطلح الجن بأنهم أناس من اليهود غير العرب سموا (جناً)؛ لأنهم غرباء، وهذا ما جاء عن ملك غلام فريد القادياني في تفسيره لذات المصطلح، كما أنه لحق بالقاديانية في تأويلاتهم لمعجزات الأنبياء بما يخرجها عن إعجازيتها، ويلحقها بالحوادث المعتادة التي تخضع لقوانين الطبيعة، ومما يذكر في هذا الباب أيضاً أن مولاي محمد القادياني هو الوحيد الذي ورد اسمه في ترجمة محمد أسد من بين المترجمين غير العرب"(٣).

وكذلك تجد مارتن لينجز أنه قد تأثر بفكر أستاذه عبد الواحد يحي جينو، ويتضح ذلك من خلال اعتناقه لمذهب أستاذه الصوفي ومدحه للمذهب في أكثر من موضع فيقول: "لكن أصل المصطلح

(١) انظر: محمد أسد، رسالة القران، صفحة X.

(٢) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٣٠٩-٣١٠.

(٣) إبراهيم عوض، محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٣٥.

الصوفي هو الآية القرآنية: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [سورة محمد: ٣٨] [١]، مما يتضح على مارتن لينجز وقوعه في خطأ لغوي في تفسيره لمصطلح الصوفي، فهل وجد أحد من السلف أو الخلف فسر الآية بالصوفية؟

كما يتضح على مارتن لينجز تأثره بالمذهب الفلسفي العميق مقتدياً في ذلك بأستاذه عبد الواحد جينو؛ حيث فسر معنى لا إله إلا الله بتفسير جديد لم يسبقه إليه أحد: "لا إله إلا الله: بالنسبة للعقل هي صيغة للحق؛ وبالنسبة للإرادة هي أمر وتحذير فيما يتعلق بالحق؛ ولكن بالنسبة للقلب وامتداداته الحدسية لليقين فهي تجميع وحيد، اسم للحق، وعلى هذا النحو ينتمي إلى أعلى طبقة من طبقات أسماء الله الحسنى"[٢].

أيضاً مريم جميلة تأثر بشيخها وتبالغ في مدحه فتقول: "مولانا السيد أبو الأعلى المودودي هو أبرز زعيم[٣] موجود للإسلام الحديث"[٤]، فوصفها بالزعيم فيه نوع من المغالاة والتمجيد المبالغ فيه، ولم يسبق إلى هذا القول أحد، لكن من باب إحقاق الحق، لا ننكر مكانة الشيخ العلمية وجهوده الدعوية في القارة الهندية.

كذلك يعتبر مراد هوفمان حركة الأصوليين والعقلانيين التي طورها محمد عبده ورشيد رضا، ومحمد أسد على منهج السلفية[٥]، وهذا دليل آخر على تأثره بمناهج هؤلاء وتوقيره لبعض العلماء في غير محله.

(١) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٤٦-٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص٦١.

(٣) الزعامة لقب سياسي أم شرعي، ولو ذكرت بأنه شخصية إسلامية أو دعوية كان أفضل.

(٤) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص١٩٧.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١١٠.

رابعاً: التساهل في مسألة الولاء والبراء.

من السمات البارزة في كتابات من أسلم من المستشرقين: التساهل الواضح في مسألة الولاء والبراء، فالولاء والبراء أصلان عظيمان من أصول الإسلام، ومظهران بارزان من عقيدة أهل السنة والجماعة يتميزون بهما عن غيرهم عن غيرها، وذلك نابع من كونهما من أهم لوازم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

والولاء والبراء أوثق عرى الإيمان، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله))[(١)]، "فمعنى الولاء شرعاً: حب الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين، ونصرة الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين، والبراء شرعاً: بغض الطواغيت التي تعبد من دون الله تعالى (من الأصنام المادية والمعنوية: كالأهواء والآراء)، وبغض الكفر (بجميع ملله) وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كله، وبذلك نعلم، أننا عندما نقول: إن ركني الولاء والبراء هما: الحب والنصرة في الولاء، والبغض والعداوة في البراء"[(٢)].

فالولاء والبراء أصلان من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة؛ إذ يجب على كل مسلم أن يكون ولاؤه لله ولرسوله وللمؤمنين، ويجب أن يكون براؤه من أعداء الملة والدين، فيحب أهل التوحيد ويواليهم، ويبغض أهل الشرك ويعاديهم، وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام التي أمرنا بها؛ حيث قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾ [سورة الممتحنة: ٤]. وهذا الأصل من دين الإسلام؛ حيث أمر الله المؤمنين بذلك؛ إذ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [سورة المائدة: ٥١][(٣)].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الإيمان والرؤيا، ١٧٢/٦ ح (٣٠٤٤٣)، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل (٣٠٧/٤) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف) ١٤١٥هـ.

(٢) الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، حاتم الشريف، الكتاب منشور على موقع وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، نشر في ٢٠١٦م ص ٥.

(٣) علي بن إبراهيم بن داود العطار، الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، تحقيق الدكتور سعد بن هليل الزويهري، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٣٢هـ، ص٣٣١.

وخلال الأسطر القادمة سوف أبين مدى تساهل المستشرقين الذين أسلموا فيما يتعلق بهذه المسألة العظيمة وسنضرب لذلك بعض الأمثلة من خلال كتاباتهم:

١/ لورد هدلي

لدى لورد هدلي خلط كبير وأخطاء كثيرة في مسألة الولاء والبراء، وأجملها في نقاط:

١/ يرى لورد هدلي الطاعة للإمام مطلقاً سواء كان مسلماً أو غير مسلم؛ حيث لا يفرق بين الولاء والطاعة للإمام المسلم وبين الطاعة للمحتل الإنجليزي، وأن عدم الطاعة لهم بمثابة الخروج على الإمام، ويستدل لذلك بنصوص القرآن[١] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [سورة النحل: ٩٠][٢].

ولا شك أن هذا القول فيه تعسف، فكيف يكون الولاء للإنجليز؟ فالولاء لا يكون إلا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ [سورة المائدة: ٥٥].

٢/ يطالب بالوقوف مع المحتل الإنجليز والإحسان إليهم وقتال أعدائهم[٣]، ويستدل بآيات العدل والإحسان قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [سورة النحل: ٩٠].

وما ذهب إليه لورد هدلي لا يصح، وما استدل به في غير محله.

٣/ يقول بأن المسلم الحقيقي هو من يقدم دعماً للاحتلال مجاناً ودون مقابل"[٤].

مظاهرة الكفار على المسلمين من نواقض الإيمان، وسبب من أسباب الردة عن الإسلام يقول: ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾ [سورة الممتحنة: ١٣]. "ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين

(١) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص١١٠-١١٣.

(٢) المرجع السابق، ص٩٨-٩٩.

(٣) المرجع السابق، ص٩٥.

(٤) المرجع السابق، ص٩٧-١٠٣.

في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ﴾ [سورة الممتحنة: ١٣]. فكيف توالونهم وتتخذونهم أعواناً"(١).

٤/ يعاتب المسلمين في الهند على تمردهم ضد الاحتلال الإنجليزي؛ بل ويخرجهم من الملة بحجة قتالهم وخروجهم على الحاكم الإنجليزي على حد زعمه، فيقول: "من عصى الحاكم فهو ليس بمسلم، واستدل بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة))(٢) في الطاعة للإمام ولو كان كافراً، وقد ذكر أخيراً أن الإمام إذا وقف أمام أداء الواجبات الدينية أو الدعوة فيجب ترك البلاد دون الخروج عليه، وقال بأن المسلم لا بد أن يقف مع المحتل في قتال المسلمين الآخرين"(٣).

وهنا يظهر الخلل لديه في مسألة الولاء والبراء، لقلة بضاعته في العلم الشرعي المؤصل؛ لأن الخروج على الإمام ليس بكفر، بل يعتبر كبيرة من كبائر الذنوب، غير مخرج من الملة.

٥/ يدعو إلى إمامة الكافر العدل بدلاً من إمامة المسلم الجائر.

وهذا القول غريب جداً، وما ذهب إليه لورد هدلي مجانبة للصواب ومباينة لمنهج أهل السنة والجماعة، فواجب السمع والطاعة للإمام المسلم وارد في الكتاب والسنة، وقد نص القرآن على هذا الأصل العظيم في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧]. حيث أن الله جعل نفسه ولياً للمؤمنين، وجعل الطاغوت ولياً للكافرين، وحرم موالاة غير المؤمنين تحريماً قاطعاً فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾ [سورة الممتحنة: ١]. وأوجب على المؤمنين جهاد المشركين أولياء الشياطين فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [سورة النساء: ٧٦].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ج ٨ ص١٠٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، (٢٦١٢/٦) ح (٦٧٢٣).

(٣) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص ١٠٤-١١٣.

٢/ مراد هوفمان

يؤخذ على مراد هوفمان قوله: "لو لم يجعل الأساقفة ألوهية عيسى عليه السلام أمراً دينياً لما كان هناك فارق أساسي بين الأديان الثلاثة"[(١)].

وهنا يتضح التساهل في مسألة الولاء والبراء، فقد جانب مراد هوفمان الصواب في مساواته بين الإسلام واليهودية والنصرانية، فالفرق بين الديانات الثلاث واضح وجلي، فالديانة اليهودية والنصرانية الحديثة المحرفة مبنية على الشرك، والإسلام مبني على التوحيد لله عز وجل.

كما زل مراد هوفمان مرة أخرى في هذه المسألة، ويظهر تساهله مع مسألة الولاء والبراء فيقول: "القاعدة القرآنية للتعددية الإسلامية هي في الآية (٤٨) من سورة المائدة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المائدة: ٤٨]. وحسب ذلك يحق للذين يختلفون عنهم في الدين -بما في ذلك المشركين- ممارسة طقوسهم الدينية (علانية)، كما يحق لهم أيضًا تنظيم شؤونهم الخاصة (ومنها شؤون الأسرة والميراث) بشكل مستقل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٦]. وطالما هم لا يريدون أن يكونوا مواطنين في الدولة بكل ما يترتب على ذلك من واجبات ضريبية ودفاعية، فلا يترتب عليهم إلا دفع الجزية، وبالتالي فهم معفون من واجب الدفاع، بذلك أرسى الإسلام منذ البداية قاعدة التعددية الدينية، كما برز مؤخرًا في الحركة العالمية والبرلمان العالمي للديانات في شيكاغو، المنبثق عنها"[(٢)].

تُرى ماذا يقصد مراد هوفمان بالتعددية الدينية؟ فربما يهدف بذلك إلى الاعتراف بالديانتين اليهودية والنصرانية مثل دين الإسلام، "وإن الإله الحق واحد، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، وإن الدين الحق واحد وهو ناسخٌ لجميع الأديان قبله ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [سورة آل عمران: ١٩].

---

(١) مراد هوفمان، يوميات دبلوماسي ألماني ص٩٤.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١١٣.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٥]"(١)، أيضاً مراد هوفمان جانبه الصواب في استدلاله بآية: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، لعدم إدراكه المعنى الحق من الآية، فالمقصود من الآية ليس الملل والأديان وإنما المقصود الشرائع والأحكام.

كذلك يجعل مراد هوفمان المسلمين طرفاً مساوياً في العداء مع الكفار، ولم يصب في رميه بهذه التهمة إلى المسلمين، فمعروف عن الإسلام وأهله السماحة ولين الجانب وعدم الابتداء بالاعتداء على أحد؛ حيث يقول: "أتجول كمحاضر متنقلاً دون فترات راحة تذكر في الغرب والشرق، من هلسنكي إلى كوالالمبور، من الرياض إلى لوس أنجلوس، ومن الخرطوم إلى ليبزج في ألمانيا، حتى أساعد في شرح كل جانب للجانب الآخر، ولكي أقيم جسوراً من التفاهم بين الغرب والشرق، ولأساهم في إزالة مشاعر العداء التي يكنها كل طرف للطرف الآخر"(٢)، وللأسف الشديد أخفق في شرحه وفشل في إقامة أي جسر، ولا يدري الباحث لماذا جعل مراد هوفمان المسلمين طرفاً مساوياً في العداء مع الكفار؟ وصدق الله سبحانه وتعالى إذ يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة:١٢٠]، ويشهد التاريخ على عداوة الكفار للمسلمين على مر العصور، فمن ينسى الحروب الصليبية التي استمرت لعشرات السنين؟ وعداؤهم للمسلمين حتى هذا اليوم ظاهر بوضوح ولا مجال لإنكاره.

من عبد مع الله غيره، أو ابتغى غير الإسلام دينًا، فهو كافر لابد من تكفيره والبراءة منه ومعاداته، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة: ٤]. تلك الحنيفية التي أُمِرْنا بالاقتداء بها، ومن رغب عنها فقد سفه نفسه؛ أما الاستمساك بالعروة الوثقى فشرطها الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]. قال الإمام محمد بن عبد الوهاب

(١) سليمان بن حمد العودة، شعاع من المحراب، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٣٤هـ، ج٢ ص٢٨، ٢٩.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٦.

يرحمه الله: وصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتُكفِّر أهلها، وتعاديهم[1].

(١) سليمان بن حمد العودة، شعاع من المحراب، ج٢ ص٣٠.

خامساً: الحوار المقنع مع بني جلدتهم لبيان الحق ودحض الباطل.

خلق الله سبحانه وتعالى الناس مختلفين في أجناسهم وأفكارهم ومعتقداتهم وتفكيرهم، وبسبب هذه الاختلافات كان لا بد من وجود الحوار بينهم؛ بل هو مطلب من مطالب الحياة الأساسية، فالحوار المقنع والهادئ يهدي إلى الحق وإلى سواء السبيل.

والحوار لغة راقية وفن يجيده فئة من الناس، والذي ينم عن وعيهم في كيفية التعامل مع محيطهم ومجتمعهم باحترامهم الرأي والرأي الآخر حتى لو كان مخالفاً لهم، فالمستشرقون الذين أسلموا أجادوا هذا الفن باقتدار؛ حيث عبروا عن آرائهم ودعوا بني جلدتهم إلى الإسلام بأدب ولباقة مع عدم مصادرة آرائهم، ورأوا أنه من الضرورة بناء جسر من التواصل المثمر بينهم وبين قومهم، وهذا ما سيتضح جلياً من خلال الأمثلة القادمة.

ومن أهم الجوانب التي تميزوا بها في الحوار مع بني جلدتهم دراستهم لحضارة الغرب بأسلوب مقنع، وكذلك الحوار الهادئ في بيان عوار الرجل الغربي.

يقول لورد هدلي عن المقارنة بين الإسلام والنصرانية: "وعندما كان البرابرة من الأوروبيين تائهين في ظلام الجهل المطبق والظلم، كان المسلمون مشغولين بمهام الحضارة، وفي قرون الانحطاط الأخلاقي والثقافي، قاد الإسلام تطور العلم والثقافة، وعصر الظلام الأوروبي كان يأخذ عمقاً أكثر فأكثر بدءاً من القرن الرابع إلى القرن الثاني عشر الميلادي"(١).

ويقول لورد هدلي: "إن نور الإسلام ظهر في أوروبا، في حين كانت أوروبا غارقة في الظلام والوحشية"(٢).

بينما يقارن عبد الواحد يحيى الحضارة الغربية بالحضارة الشرقية فيقول: "فالحضارة المنحطة روحيًا رغم تفوقها بلا منازع في الجانب المادي ستكون خاسرة في المحصلة، مهما كانت المظاهر الخارجية؛ وهذه هي حالة الحضارة الغربية إذا ما قورنت بالحضارة الشرقية"(٣).

كما يبين عبد الواحد يحيى فساد مطالبة دعاة هذه الحضارة لاتباعها وسلوك منهجها قائلاً: "لكن الأمر الأشد غرابة هو دعوى جعل هذه الحضارة الشاذة النموذج نفسه الذي ينبغي أن تحذوه

---

(١) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ص ٨٨-٨٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٨، ٨٩.

(٣) عبد الواحد يحيى، شرق وغرب، ص٤٨.

كل الحضارات الأخرى، وأن يُنظرَ إليها على أنها هي الحضارة بامتياز، بل حتى اعتبارها الوحيدة التي تستحق هذا الاسم، وكَمُكَمِّل لهذا الوهم وبكيفية في النظر لا تقل عن إطلاقها: الاعتقاد في التقدم بجعله في جوهره متطابقًا طبيعيًا مع هذا التطور المادي المهيمن على نشاط الغرب الحديث برمته"(١).

أيضاً يبين موريس بوكاي ركود البلاد المسيحية علمياً فيقول: "ولقد كانت البلاد المسيحية في ذلك الوقت من القرون الوسطى تعيش في ركود علمي وتزمت مطلق، وكان البحث العلمي متوقفًا بسبب أولئك الذين كانوا يدعون أنهم (خُدَّام التوراة والإنجيل) وبعد عصر النهضة كان من الطبيعي كرد فعل لذلك أن يأخذ العلماء بثأرهم من منافسيهم بالأمس وهم رجال الدين المسيحي، ولا يزال هذا الثأر بين العلماء ورجال الدين المسيحي مستمرًا حتى اليوم"(٢).

كما يوضح موريس بوكاي انتشار الإلحادية والمادية في الغرب فيقول: "إن عجز المسيحية وعَجْزَ اليهودية عن الصمود لهذه الموجة المادية الإلحادية الموجودة في الغرب المسيحي ظاهر باد للعيان دون أي خفاء، إننا نرى ونشهد على توالي عقود الزمان تناقصاً خطيراً في قدرة الدين المسيحي على مقاومة تيار المادية والإلحاد الذي يسود الغرب المسيحي في الوقت الحاضر مهددًا بانحراف الجميع! إن المادي الملحد في الغرب المسيحي لا يرى في المسيحية الكلاسيكية إلا نظامًا تبناه البشر منذ حوالي ألفي عام لإرساء معالم سلطة دينية لأقلية قليلة من البشر، هم رجال الدين المسيحي؛ لكي يتسلطوا على غالبية الناس من المسيحيين، إن الإنسان المادي الملحد في الغرب المسيحي لن يجد في الكتب المقدسة المسيحية لغة تتشابه مع لغته ولو إلى حد طفيف! إن هذه الكتب المقدسة في عالم المسيحية تتضمن كثيراً من الأخطاء التي تتنافر مع حقائق العلم الحديث التي لا ريب فيها، وتتضمن كثيراً من الأمور التي يتناقض بعضها مع بعضها الآخر وتتسم بانعدام المعقولية بحيث لا يجد مناصًا من أن يرفض القبول بنصوص يريد منه رجال الدين المسيحي أن يقبلها كلها على علاتها باعتبار أنها كلٌّ مقدس لا تنفصم محتوياته، وحيث إنه لا يستطيع أن يقبل بعضه فهو يرفضه كله"(٣).

(١) المرجع السابق، ص٥٧.

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص١٦٣.

أيضاً يبين موريس بوكاي سبب انحراف الرجل الأوروبي عن الحق ودور الكنيسة في ذلك فيقول: "ومن هنا ربما نلتمس لهذا الإنسان المادي الملحد في الغرب بعض الأعذار(١) إنه أولا وقبل كل شيء باستثناء هذا الموقف المعروف على نطاق ضيق الذي أعلنته أعلى سلطات الفاتيكان إنما هو ضحية ما يمكن أن نسميه (التشهير الأزلي للإسلام) الذي مارسته الكنيسة في الغرب ضد الإسلام طوال قرون العصور الوسطى، وعلينا أن نضع في اعتبارنا ثانياً أن الوثائق والمراجع العلمية الموجودة في الغرب عن الإسلام لا تزال تغص وتمتلئ بالأحكام الخاطئة عن الإسلام"(٢).

بينما يصف محمد أسد بكل دقة حضارة الغرب والمتمثلة في إراقة الدماء والعنف وغيرهما فيقول: "كان انحدار الغرب التدريجي بعيدًا عن المسيحية مظهرًا من مظاهر التمرد على نمط الحياة، عالم يعاني من غليان وتقلبات عنيفة هذا هو عالمنا الغربي، إراقة دماء، عنف ينتشر على نطاق واسع، تدمير وانهيار قيم اجتماعية كثيرة، صدامات بين النظريات والمفاهيم والمناهج والمذاهب، صراعات وحروب مريرة لإيجاد سبل أخرى للحياة: كلها علامات بارزة في حياة الغرب المعاصرة، ومن بين دخان مجازر الحرب العالمية الأولى، نشبت حروب أخرى أصغر بأعداد لا تحصى، وثورات وثورات مضادة، ومن بين الكوارث الاقتصادية التي جرفت كل شيء، تبين أن تركيز العالم الغربي على المادة والتقدم التقني لا يحل ولا يفضي إلى حلول للفوضى القائمة"(٣).

كما يؤكد محمد أسد فشل الحضارة الغربية في تحقيق تطلعات الإنسان فيقول: "فشلت الحضارة الغربية في تحقيق توازن متآلف بين حاجات الإنسان الدنيوية وتطلعاته الروحية، وألغى الغرب القيم الروحية الأخلاقية السابقة دون أن يكون قادرًا على تقديم أي نسق أخلاقي وروحي آخر، أخضع كل شيء للسببية العقلية، وبالرغم من كل التقدم في مجال التعليم لم تقدر الحضارة الغربية على كبح ميل الإنسان الأحمق في السقوط فريسة للشعارات والنظريات الاقتصادية، مهما كانت عبثيتها التي يعتقد الديماغوجيون الفوضويون أنها ملائمة، وتبنت الحضارة الغربية مفهوم تقنية وتنظيم الفنون الرفيعة إلا أن أمم الغرب تظهر على الدوام عجزها عن السيطرة على القوى التي أطلق علماؤهم عقالها ووصلوا إلى مرحلة أصبحت فيها القوة العلمية المطلقة ماضية يدًا بيد مع الفوضى العالمية المتزايدة، ومع غياب أي

(١) كيف نعذر لهم؟ فإن كل إنسان بصفته الفردية مسؤول عن الدين الذي يدين الله به، وعليه أن يبحث عن الحق وإن الدين الإسلامي منتشر في العالم، وهناك بلاد إسلامية وخاصة في ظل التوسع الإلكتروني ووسائل التقنية الحديثة، وأن المولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه.

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٦٣.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٢١٦.

قيم دينية وروحية أصبح المواطن الغربي غير مستفيد أخلاقيًا وروحيًا من نور المعرفة الهائل الذي يطرحه العلم، ولذلك ينطبق عليهم ما ذكره القرآن: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٧]"[(١)].

وهنا تنفي مريم جميلة وجود الفن في الحياة اليومية للرجل الغربي فتقول: " وليس للفن مكان في الحياة اليومية للرجل الغربي، أنا ما رأيت أقبح من اللباس الغربي وأسلوب البناء المسرف في العصرية، إن مدارس فن الرسم الحديثة المنتشرة هذه الأيام تشبه إلى حد بعيد الرسوم التي يرسمها المصابون بمرض انفصام الشخصية في مشافي الأمراض العقلية، هذه الرسوم تقول: إنه لا معنى ولا غرض للحياة ولا إله للكائنات، جميع الأشياء عبارة عن فوضى ولا شيء غير ذلك"[(٢)].

كما تقارن مريم جميلة بين قذارة القديسين ونظافة الجسم في الإسلام فتقول: "واعتبرت النصرانية الأولى نظافة الجسم تدنيساً للروح، وكان أكثر الناس احتراماً هم أولئك القديسون الذين أصبحوا كتلاً بشعة من القذارة، فقد ذكر القديس أثناسيوس باعتزاز كيف أن القديس انتوني لم يرتكب إثماً قط بغسل قدميه لسن متقدمة جداً، والقديس أبراهام كان يتورع عن غسل يديه أو قدميه منذ ذلك التاريخ، وكان أبوت الإسكندر يندب الأيام الماضية بقوله: إن آباءنا لم يغسلوا وجوههم قط بينما نحن نرتاد الحمامات العامة، والإسلام يضع كل تأكيده على النظافة الشخصية والصحة وذلك لسلامة البدن في هذه الحياة ونجاة الروح في الحياة الأخرى، فالوضوء مفروض بعد قضاء الحاجة وبعد النوم العميق قبل كل صلاة، ويجب الغسل التام قبل الصلاة الجماعية الكبرى وبعد الجماع والاحتلام والحيض والنفاس وتغسيل الجنازة، وهذه الأفعال الأساسية للنظافة لا يعمل بها حتى في البلاد الأوروبية والأمريكية التي تدعي التقدم"[(٣)].

أيضاً تصف مراد جميلة مظاهر الانحلال والتفكك في المجتمع الغربي فتقول: "والواقع أن الانحدار هذا كان واضحاً منذ الحرب العالمية الأولى، والفوضى الأخلاقية وغياب أية قيم محترمة، أو معايير ثابتة للأخلاق والسلوك والهوس الجنسي الفاسد وانتشاره في وسائل الإعلام الترفيهية، وسوء معاملة الكبار في السن ومعدلات الطلاق التي هي في ارتفاع متزايد بين الأجيال الحديثة، والزواج الدائم والسعيد أصبح نادراً والاعتداء على الأطفال، وتلوث البيئة واستنزاف الموارد النادرة ذات القيمة

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٤٣٨-٤٣٩.

(٢) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص١٤٩-١٥٠.

(٣) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص ٥٧-٥٨.

والأوبئة التناسلية، والاضطرابات العقلية وإدمان المخدرات والمنكرات والانتحار كعنصر متقدم في أسباب الوفيات، والجريمة والتخريب والفساد الحكومي واحتقار القانون بصفة عامة، كل ذلك له سبب! والسبب في ذلك هو فشل العلمانية والمادية، وغياب القيم الأخلاقية وتجاوز التعاليم الإلهية والقيم الأخلاقية"(١).

كما تقارن مريم جميلة بين العبادات في الإسلام والخرافات عند الغرب فتقول: "وأشهر ما في شرع اليهود هو الإسبات أي الالتزام بالراحة الكاملة والعكوف على العبادة والامتناع التام عن أي عمل حتى ولو كان إضاءة المصابيح أو إشعال الفرن طيلة يوم السبت، وفي الشريعة الموسوية عقوبة الموت على من يخالف تحريم النشاط في السبت، فهو اليوم الذي استراح فيه الرب بعد أن خلق العالم في الأيام الستة السابقة" وتحلل مريم فكرة الإسْبات هذه على ضوء الهداية الإسلامية، فترى فيها الكفر الصريح بنسبة التعب والاجتهاد للإله القوي المقتدر الذي خلق السموات والأرض ولم يمسه لغوب، فالإله المتعب ليس بإله، كذلك فمما لا يقره الإسلام أن تعزل العبادة عن باقي أيام الأسبوع ليخصص لها يوم واحد، والعبادة في الإسلام متصلة وممتزجة بالحياة اليومية في شكل الصلوات الخمس اليومية ودوام الذكر وقيام الليل لمن شاء التنفل، والجمعة عند المسلمين ليس كسبت اليهود فالصلاة الجامعة فيه لا تشغل إلا حيزًا زمنيًا محدودًا ولا حرج في استئناف النشاطات العادية والتجارية سائر اليوم"(٢).

بينما يبين مارتن لينجز فشل الرجل الغربي في فهم طبيعة الإنسان الحقيقية فيقول: "قلّة إحساس الرجل العصري بتقصيره يعتبر حاسمًا؛ وهذه القلّة من الإحساس لا يجب فصلها عن سببها، وهو الفشل في فهم طبيعة الإنسان الحقيقية، إذا كانت هذه الطبيعة مفهومه المثالية التي تمثلها ستستخدم كَمَحكٍ فيظهر في ضوئه الماضي أقل سوءًا بكثير والحاضر أقل جودة بكثير"(٣).

كما يصف مراد هوفمان حياة الأوروبي الموصوفة بالسآمة والملل فيقول: "وفي هذا المجتمع المبرمج الخاضع لنظام (روتين) يتسم بالرتابة، ومن ثم بالملل الشديد لن يجد المرء سوى عنصر واحد لا يخضع لسيطرة أو تحكم كاملين، ومن ثم فإنه يمثل مصدر إزعاج، هذا العنصر هو الإنسان الذي لا بد من أن يقمع، ومن أن تتوافر إمكانات للاستغناء عنه عن طريق برمجة كل شيء وإخضاع

(١) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص٤٥.

(٢) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإسلام، ص٧٣-٧٤.

(٣) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص٢١.

كل شــــيء للتحكم الآلي عن طريق الكومبيوتر، ولذلك فالويل كل الويل لمن يتورط من الأفراد المزعجين في خلاف مع الإدارة أو الشـرطة أو القانون، ففي ألمانيا تخضـع علاقة المواطن بالمسـؤولين لأحكام القانون أكثر منها لاعتبارات العدل، يتحول في الغالب إلى شــكل من أشــكال الصــراع، فالظروف المخففة للعقوبات والتي يتضمنها القانون ليست بديلاً للقلوب المتحجرة، ولقد صاغ قدماء الرومان هذه الظاهرة في قولهم: إن المغالاة في العدل تتحول في بعض الأحيان إلى ظلم شديد"[١].

أيضــاً يصــف مراد هوفمان حياة الغرب بالأنانية فيقول: "إنني أبالغ في وصـف عملية تتصـف بالأنانية المفرطة وبالانعزالية الواضــحة، تتســلل ببطء لتأخذ لها مكاناً في حياة المجتمع الألماني، فبينما تعني كلمة تركي جمعاً من الناس يعيش الفرد بينهم تعني كلمة ألماني فرداً يعيش وحيداً في عزلة عن الناس، فهنا يجري الفصل بين الجدود والأحفاد وإيداع الأول داراً لرعاية المسنين، ولا يقف الأمر عند ذلك بل إن الأمهات اللائي يجدن في أنفســـهن القدرة على رعاية أطفالهن بمفردهن ينظرن إلى والد الأطفال على أنه شيء لا ضرورة له ويمكن الاستغناء عنه، فهل يدري أحد كيف سيواجه الشعب الألماني جيلاً من الأطفال حرم عمداً من الوالد والأسرة؟!"[٢].

كما يصف مراد هوفمان مجتمع الغرب بضحايا المجتمع الصناعي؛ حيث يعيشون فراغاً روحياً فيقول: "ولنتأمل معًا ضــحايا ذلك المجتمع الصــناعي وقيمة الحَيْدِيَّة المزعومة فحســب: إنهم يتمتعون بكل ما يريدون من الاستقلال الذاتي، والحياة المؤمّنة منذ المهد إلى اللحد، والحرية أو الإباحة الجنسية التي لا تعرف محظورًا أو محرمًا، والمخدرات على اختلاف أنواعها وأذواقها حســب كل مزاج وطلب، وأوقات الفراغ والعطلات والإجازات المكفولة قانونيًا، وكافة الحقوق المدنية التي يحلم بها المرء، لكنهم على ذلك كله يحسّون فراغًا هائلاً يملأ وجودهم الفعلي، ويتوقون إلى الحنان والدفء البشري من قِبَل الجماعة التي يعيشون معها أو ينتمون إليها، وراء كل هذا يقبع سؤال خطير ملحّ عن مغزى الحياة أو الوجود"[٣].

أيضـــاً يوضـــح مراد هوفمان أن المجتمع الغربي لا ينعم بالأمن والســـلام قائلاً: "لم يعد المجتمع الغربي ينعم بالســـلام، وصـــل مســـتوى العنف في المدارس الثانوية الأمريكية حدًا مرعبًا، المراهقون المسـلحون تسـليحًا ثقيلاً ويقومون بمذابح ضـد زملائهم داخل المدارس، لا يمثل إلا قمة جبل الثلج

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٥٨-١٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٨-١٥٩.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢٩.

الغاطس، يتغذى معظم ذلك بالتأكيد من كمية العنف غير المعقولة التي تشـــاهد يومًا بعد يوم في التليفزيون، وأخيرًا ماذا تدور حوله معظم ألعاب الكومبيوتر؟ القتال وإطلاق النار والقتل، وبالطبع فإن الإعلام ليس هو فقط السلاح الرئيسي في مشروع الحداثة؛ لكنه أيضًا هو المتهم الرئيسي"(١).

أيضـــاً يصـــف مراد هوفمان مخرجات طلاب الثانوية في الغرب فيقول: "وهكذا فعلى الأرجح فإن الطالب الغربي الذي يتم المرحلة الثانوية، سيكون على اقتناع بالتالي:

- إن الله على أقصى تقدير هو افتراض فعال؛ ولكنه غير ذي صلة بحياته على أي مستوى.
- الكون أبدي.
- ظهرت الحياة تلقائيًا.
- تطور الإنسان بالانتقاء الداروييني صعودًا من الفرد.
- سـوف يقدر الإنسـان عاجلاً أو آجلاً على تفهم الكون والمخ الإنسـاني ويتمكن من خلق الحياة.
- لا معنى وراء الوجود.
- تمثل الأديان مرحلة بدائية وسـحرية من التطور الاجتماعي، وهو عرضـة للاختفاء مثل كل الأحكام المسبقة غير العلمية"(٢).

كما يبين مراد هوفمان الثورة الجنسـية في الغرب فيقول: "ضـمن الكثير من الثورات التي مرت بالإنسـان خلال القرنين الأخيرين، فإن أضـخمها أثرًا، وأطولها بقاء هي على الأرجح الثورة الجنسـية التي قامت في الغرب بعد الحرب العالمية الثانية، لفترة من الوقت، بدا الجنس وكأنه أصـــبح البديل الأول للدين مكتملاً بأنبيائه الذين يبشرون بالحرية الجنسية، بمعنى التحرر من الكوابح مفردة كانت أو كلية والتي ساعدت تقليديًّا على الحد من غريزة الجنس الفائقة القوة"(٣).

أيضـاً يبين مراد هوفمان طبيعة إدمان الرجل الغربي فيقول: "فالغرب مدمن بطبيعة تكوينه على أشياء يحرمها الإسلام: السجائر والكحول والصور الخلاعية والجنس غير المشروع والموسيقى الصاخبة والإجهاض واللواط والسحاق كأسلوب حياة بديل، وهذا مرد الخوف من الإسـلام اعتقاداً بأنه دين صــارم متزمت يحرم متع الحياة، أو بتعبير أبســط: إن مقاومة هؤلاء لدعوتنا إلى الإســلام لا تنبع من

(١) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص٧١.

(٢) المرجع السابق، ص٧٦.

(٣) المرجع السابق، ص٧٧.

دفاع عن الاعتقاد المسيحي بالثالوث المقدس فهذا آخر همهم؛ إنهم يستميتون في الدفاع عن تمسكهم بلحم الخنزير وشـرب الجعة ذات المحتوى الكحولي العالي ومعانقة الحبيبة، وهناك أشـكال أخرى من سوء الفهم كفكرة أن الإسلام جبريٌّ في الإيمان بالقضاء والقدر، وأن الفقه الإسلامي شبه تلمودي يهتم بحرفية الشريعة أكثر من اهتمامه بهدفنا"(١).

كما يصـف مراد هوفمان المجتمع الغربي بالإدمان فيقول: "الحقيقة التي لا يمكن إنكارها، هي أن المجتمع الغربي أصبح في بنائه مجتمعاً مدمنًا أيّاً كانت الصورة التي يظهر عليها هذا الإدمان: خمر، نيكوتين، ماريجوانا، كوكايين، هيروين، تليفزيون، ألعاب الكمبيوتر أو الإنترنت، وهو وضـع يَعُدُّه المسلمون انحرافًا عن الطريق الموصلة إلى الله"(٢).

كما ينتقد مراد هوفمان بهدوء حضـارة الغرب فيقول: "أولم يتضـح بالدليل القاطع والبرهان البين أن القرن العشرين المنصرم، كان أكثر القرون دموية في تاريخ البشرية، بكل ما شهده من حروب عالمية مدمرة وانتشار الأسلحة القادرة على إبادة الملايين من البشر، ومعسكرات الإبادة وعمليات التطهير العرقي وغيرها من مآسي البشـرية؟ وكل هذا يشـهده العالم بعد مرور ٢٥٠ عامًا على بداية عصر التنوير ومشروع الحداثة! وتتركز هذه الأعمال الوحشية المهينة للبشرية في أوروبا المتحضرة الزهو والفخر بعقلانيتها وإنسانيتها"(٣).

كما يعدد مراد هوفمان مساوئ حضارة الغرب فيقول: "منذ ذلك الحين أصبح الإنسان الغربي وعقلانيته مستقلين بذاتهما فأنكر عرش الألوهية ونصب نفسه مقياساً لكل الأشياء، وأصبح الدين وبشكل متزايد شأناً خاصاً وحلت محله باطراد العلوم الطبيعية، والتي تحولت بدورها كمذهب علمي ومذهب عقلي إلى شبه ديانة، وانحدر الدين إلى عالم الخرافات والأساطير والأوهام –وأصبح شيئاً لمن هم أقل ذكاءً– شيئاً يضمحل مع تقدم البشـرية في سعيها الناجح إلى كشف آخر أسرار الوجود، والتعارف مع مشروع الحداثة هذا متماسك جداً رغم فشله الذريع، وقد أدى عصر العقل، والذي مر عليه (٢٠٠) سنة حتى الآن إلى نشوب حروب لا تعد ولا تحصى، بما في ذلك أكبر حربين عرفهما العالم، استخدمت خلالهما أسلحة كيماوية وذرية وقنابل عنقودية فتاكة دون تميز، كما شـهد العالم تجارة الرقيق ومعسـكرات التعذيب والإبادة الجماعية لليهود والغجر والمرضـى النفسـيين والتطهير

(١) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٦٤-٦٥.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٢.

الستاليني لملايين الأبرياء وسياسة التمييز العنصري والتطهير العرقي في البوسنة وكوسوفو والشيشان وغير ذلك كثير، كل هذه الفظائع الوحشية ارتكبت خلال عصر العقل الذي لم يعد بشيء سوى تقدم البشرية ورفاهها وحريتها"(١).

أيضاً يقارن مراد هوفمان بين نظافة المسلم والرجل الغربي فيقول: "ويمكنني أن أقول بصدق إنني انزعجت مراراً من رائحة أناس يجلسون إلى جانبي في حفلات الأوبرا الغنائية في باريس، أو في مركز لنكولن في نيويورك، أو في المسرح الوطني في ميونيخ، إلا أنني لم أنزعج من رائحة كريهة على الإطلاق في مسجد من مساجد المسلمين، هل يمكن أن يعني أن المسلمين هم الألمان الأنظف؟ "(٢).

ويختم مراد هوفمان بدعوة حيال الحضارة الغربية قائلاً: "هنا دعوتي هي: دعونا لا نرفض الحضارة الغربية من الألف إلى الياء، فهناك الكثير الذي يمكن أن نتبناه منها، ولكن استحلفكم بالله دعونا نأخذ منها أفضل ما فيها"(٣).

---

(١) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٥٨-٦٠.

(٢) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٢٣.

(٣) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص٩.

سادساً: الأسلوب السهل المبسط في كتاباتهم

من الملاحظ في أغلب كتابات المستشرقين الذين أسلموا الأسلوب السهل البسيط، فتميزوا بالبساطة الواضحة وعدم التكلف والتعقيد في كتاباتهم بهدف إيصال الفهم الصحيح للقراء من بني جلدتهم؛ حيث استخدموا لغة سهلة وبسيطة، وتجنبوا الكلمات الصعبة التي لا يعرف القارئ معناها، وكذلك استخدموا الجمل البسيطة بدلاً من الجمل المعقدة فركزوا على تجويد المعنى أكثر من تجويد اللفظ، وهذا يعد إحدى السمات والخصائص البارزة في كتاباتهم.

ولعل الباحث يذكر بعضاً من الأمثلة على ذلك لبيان سهولة وبساطة لغتهم في تأليفهم، ويتضح ذلك جلياً في مؤلفاتهم.

فهذا اتيين دينيه في مؤلفه (محمد رسول الله) كان في غاية البساطة في سرده لمواقف السيرة النبوية؛ حيث يقول: "ولكي نضع صوراً بديلة لهذه الصور الخيالية التي لا مفر فيها من الكذب، اخترنا طريقة للتصوير أقل مباشرة للصميم؛ ولكنا نأمل بوساطتها أن نستعيد بعض انعكاسات من لألاء تلك الشخصية السامية التي لمحت أول بارقة من نور الحياة في مكة"[(١)].

فيلاحظ القارئ سرده لحياة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه وذكر سيرته أنه قسمه على أبواب سهلة وتحتها عدة عناوين واضحة، لكي يسهل على القارئ قراءتها واستيعابها، فاستطاع ببراعة إخراجه بشكل بديع.

وكذلك يجد القارئ في كتابات محمد أسد السهولة والبساطة، فاستطاع بذلك التأثير في محيط بيئته؛ بل وانتشاره في العالم الإسلامي، فيقول في مقدمة كتابه (الإسلام على مفترق الطرق) "إن هذا الكتاب لا يدعي المقدرة على بسط رد مستوف وجواب شاف على هذه الأسئلة كلها؛ إذ إن مجاله الضيق لن يتسع إلا للبحث في مشكلة واحدة"[(٢)].

فالمتأمل في كتبه يجد سهولة العبارة، وخير دليل عليها أنه في بداية حياته كما سبق ذكره امتهن الكتابة الصحفية حتى غلب عليه أسلوب المقالات في كل كتاباته.

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٦٤.

(٢) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص١٢.

أيضاً يلاحظ القارئ في تفسير مارمادوك بكثول لمعاني لقرآن الكريم الاختصار واستخدام العبارات السهلة وعدم التطويل؛ بل اكتفى بذكر معان مختصرة قريبة إلى الفهم بعيدة عن الغموض.

وفي كتابات مريم جميلة يلاحظ القارئ حينما يطالعها الأسلوب السهل المبسط اليسير في جميع مؤلفاتها، فتبين معالم الإسلام وحضارته بأسلوب سهل، وتوضح شعائر الإسلام وعباداته بأسلوب يسير فتقول في كتابها (الإسلام بين النظرية والتطبيق) "فكل طفل مسلم يجب أن يتعلم لا أن يقرأ القرآن ويحفظه فحسب، بل وأن يفهم معانيه من نسخ القرآن الكريم العربية الأصلية، فالعربية يجب أن تكون الواسطة في التعلم، ويجب أن يكون القرآن هو المحور الذي يدور حوله منهج التعلم بكليته، بدلاً من أن يكون مجرد موضوع إضافي، وكل المواد الأخرى يجب أن تعلم على أساس علاقتها بالقرآن الكريم، ليتجنب أي تمييز دقيق بين التعليم الديني والدنيوي، وبهذه الطريقة تتكامل جميع برامج التعلم بانسجام تام"(١)، مما يدل دلالة واضحة على بساطة أسلوبها وسهولة لغتها.

وفي كتابات مراد هوفمان يجد المتأمل البساطة في كتاباته وعدم التعقيد، ففي كتابه (الإسلام كما يراه ألماني مسلم) جاء الخطاب موجها إلى الغرب حيث ينسجم مع هذا التوجه من خلال أسلوبه ولغته المباشرة البعيدة عن أسلوب الخطابة والإنشاء، فأراد إيصال المعلومة لمتلق يهتم بالحقائق كما هي دون تنميق، فيقول في مقدمة الكتاب: "إن معالجة كهذه لا تدعي اتباع أساليب البحث العلمي، لكنها يجب أن تكون موثوقة دون خضوعها للتحليل، ويمكن للقارئ أن يركن إلى حقيقة أن عرض الإسلام بهذا الأسلوب يتوافق مع العقيدة التي تلتزم بها الأكثرية الساحقة من المسلمين في كل أنحاء العالم"(٢).

---

(١) مريم جميلة، الإسلام بين النظرية والتطبيق، ص٨٧.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٢١.

الفصل الثاني

إيجابيات منهج المستشرقين الذين أسلموا وسلبياته

وتحته مبحثان:

- **المبحث الأول:**

إيجابيات منهجهم في معرض الدفاع عن الإسلام.

- **المبحث الثاني:**

سلبيات منهجهم في معرض الدفاع عن الإسلام.

الفصل الثاني: إيجابيات منهج المستشرقين الذين أسلموا وسلبياته.

المبحث الأول: إيجابيات منهج المستشرقين الذين أسلموا في معرض الدفاع عن الإسلام.

من المهم جداً في دراسة مناهج المستشرقين الذين أسلموا مسألة التقييم الذي يساعد على تشخيص كتاباتهم وبيان آرائهم، ويمكن تقسيم ذلك إلى الإيجابيات والسلبيات مما يحسن إبراز الجوانب الإيجابية لبيانها واعتمادها كأدلة وشواهد من خلال كتاباتهم، وبيان السلبيات أيضاً للحذر منها وملاحظتها أثناء القراءة، ونستنتج من خلال كتابات المستشرقين الذين أسلموا ومناهجها أن لها إيجابيات متعددة ونجملها في نقاط:

الإيجابية الأولى: إبراز مميزات الإسلام

من أهم الإيجابيات التي يحسن إظهارها والتركيز عليها في كتابات المستشرقين الذين أسلموا إبراز مميزات الإسلام في ثنايا حديثهم ويتمثل ذلك في نقطتين:

١/ بيان موقف الإسلام من العلم وعدم التنافر بينه وبين الدين.

أ/ اتيين دينيه.

يثبت اتيين دينيه حث الإسلام على العلم؛ حيث يقول: "رفع النبي محمد قدر العلم إلى أعظم الدرجات وأعلى المراتب وجعله من أول واجبات المسلم وفي ذلك يقول: ((أطلبوا العلم ولو بالصين))[(١)] يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء، شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء، فضل العلم خير من فضل العبادة، وقد نظر أحد كبار أساتذة كوليج دي فرانس بباريس في هذه الكلمات الغاليات كيف يقولها أحد أصحاب الديانات فعلق على ذلك يقول "يعتقد الكثيرون منا أن المسلمين لا يستطيعون تمثل آرائنا وهضم أفكارنا، يعتقدون ذلك وينسون أن نبي الإسلام هو القائل بأن فضل العلم خير من فضل العبادة، فأي رئيس ديني كبير وأي قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول القوي الفاصل المتين"؟[(٢)].

---

(١) الحديث موضوع، محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، ص١٢٩.

(٢) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٢٠.

ب/ محمد أسد.

يؤكد محمد أســـد على عدم التنافر بين الإســـلام والعلم: "بإيجاز يمكن أن نقول مطمئنين إن الإســـلام كان دائماً وما يزال خالياً من ذلك الصـــراع بين العلم والدين الذي نقابله كثيرا في الديانات الأخرى، لسـبب بسيط وهو أن الإسـلام لا يسـمح بوجود أي صـراع مثل هذا بين الدين والحياة بل يدرك أن كل نشاط فكري عنصر لا ينفصل عن الحياة نفسها"[(١)].

مستدلاً على ذلك بتساؤله: "ثم يبدو لنا هذا السؤال المهم: ماذا يجب أن يكون موقفنا من العلم الحديث؟ إن الاحتجاج على تعليم المسلمين تعليمًا غربيًا لا يعني أبدًا أن الإسلام يعارض التعليم في ذاته، وليس لهذا الزعم الذي يزعمه خصومنا مستند لاهوتي ولا مستند ديني، إن القرآن الكريم مملوء بمثل هذه الآيات الكريمة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٣]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١٩]. ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة طه: ١١٤]. ولقد جاء في أوائل القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة: ٣١]. ثم أرانا في بعض الآيات الكريمة التي تلت كيف أن الإنسان بعد علْمِ هذه الأسماء أصبح في بعض النواحي أرقى من الملائكة أنفسهم، هذه الأسماء تعبير رمزي للمقدرة على تحديد المصطلحات، وعلى قوة التفكير المنطقي الذي خُص به البشر، والذي يمكنهم به كما قال القرآن الكريم أن يكونوا خليفة الله على الأرض، ولكي يستطيع الإنسان أن يستفيد فائدة منظمة من تفكيره يجب عليه أن يتعلم، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة))[(٢)] وقال: ((إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب[(٣)]))"[(٤)].

كما يبرهن محمد أسـد من التاريخ على ذلك فيقول: "ولن نسـتشـهد بآيات القرآن الكريم أو بأحاديث الرسـول للدفاع عن موقف الإسـلام من العلم، إن التاريخ يبرهن وراء كل إمكان للريب أنه ما من دين أبدًا حث على التقدم العلمي كما حث عليه الإســـلام، وأن التشـــجيع الذي لقِيَه العلم والبحـث العلمي من الـدين الإســـلامي انتهى إلى ذلـك الإنتـاج الثقـافي البـاهر في أيام الأمويين والعباســـيين وأيام دولـة العرب في الأنـدلس، وإن أوروبا لتعرف ذلك حق المعرفة؛ لأن ثقافتها هي

(١) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٥٨.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث في المبحث الثاني في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (٨١/١) ح (٢٢٣) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٦٩-٧٠.

نفسها مدينة للإسلام بتلك النهضة على الأقل بعد قرون من الظلام الدامس"(١)، "وإن الإسلام لم يقف يومًا ما سدًا في وجه التقدم والعلم، إنه يقدر الجهود الفكرية في الإنسان إلى درجة يرفعه فيها فوق الملائكة، وما من دين ذهب أبعد من الإسلام في تأكيد غلبَة العقل وبالتالي غلبة العلم على جميع مظاهر الحياة"(٢).

ج/ مراد هوفمان.

يقرر مراد هوفمان حث الإسلام على طلب العلم فيقول: "أما طلب العلم، والظمأ إلى المعرفة: معرفةِ القرآن والسنة والتفقّه في الدين، فذلك من أخص صفات المسلمين، فطلبُ العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والقرآن يحثّ المسلمين في آيات متعددة على ضرورة طلب العلم، مستعينين بالله ليزدادوا علمًا، متوسلين بما منحهم من بصرٍ وبصيرة، وقلوبٍ وألبابٍ، ونُهىً ووسائل إدراك، فيقول سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [سورة طه: ١١٤]. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٤٤]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [سورة لقمان: ٢٠]، و﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٥٠]"(٣).

ويبرهن على ذلك بتقدير الرسول صلى الله عليه وسلم للعلماء؛ حيث يقول: "ولقد بلغ من تقدير الرسول للعلم والتعلم أنه قال ما معناه: أن دم العلماء يوزن يوم القيامة بدماء الشهداء، ودم العلماء أثقل في الميزان"(٤).

أيضاً يؤكد مراد هوفمان حث الإسلام على طلب العلم فيقول: "بأن نظرة الإسلام يتخذ إلى العالم، تقوم جوهرياً على الإيمان، وأن ذلك الإيمان بالله، وبرسالة محمد، وبأن القرآن هو الوحي الإلهي، ذلك الإيمان لا يمكن استبداله بأي شيء آخر، إن من يرفض المغامرة الروحية للإيمان، لن يتسنى له تعويض ذلك باللجوء إلى العلم، ويشتمل القرآن على ما يصل إلى (٧٥٠) آية تحض الناس على دراسة الطبيعة، والتأمل في وجودهم الذاتي، وعلى أن يحسنوا استخدام عقولهم، الأمثلة هي: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا

(١) المرجع السابق، ص٧٠.
(٢) المرجع السابق، ص٧١.
(٣) المرجع السابق، ص٦٥.
(٤) المرجع السابق، ص٦٦.

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [سورة يونس: ١٠١]. ﴿قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ [سورة المؤمنون: ٨٥].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ [سورة طه: ١٢٨]. ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ [سورة الأنفال: ٢٢]. في الحقيقة، الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا توجد لديه أية مشاكل على الإطلاق مع العلم"[١].

كما يستدل مراد هوفمان على هذه المسألة بتاريخ المسلمين فيقول: "تاريخ المسلمين دليل على واقعة أن العلم والدين يمكن أن يسيرا جنباً إلى جنب، على أي حال أصبح العلم في القرن التاسع عشر مقترناً بالدهرية واللا أدرية والمادية والإلحاد الصريح إلى درجة غدا معها العلم والدين أمرين متضادين"[٢].

٢/ الإسلام دين الروح والجسد

ومن الجوانب الإيجابية التي يحسن إظهارها في كتابات المستشرقين بيانهم وتأكيدهم بأن الإسلام دين الروح والجسد؛ حيث انتسب طائفة من المستشرقين إلى الإسلام بعد أن تعمقوا جيداً في شرائعه ومبادئه ولمسوا ما فيه من توازن بين أوامره ونواهيه، وما تدركه العقول الواعية وتقر به الفطر السليمة من جهة أخرى، بعيداً عن الفلسفة والسفسطة الغربية، فتيقنوا بأن دين الإسلام دين الروح والجسد.

أ/ روجيه دوباسكويه

يؤكد روجيه دوباسكويه أن الإسلام لم يغفل الجوانب الروحية مع الجسد فيقول: "كفلت القيم الأخلاقية والاجتماعية في الشريعة استقرار وانسجام المجتمعات الإسلامية لقرون طويلة، وهيأت الظروف المناسبة ليقوم الإنسان بمهمته الروحية، مع ازدهاره كمخلوق أرضي، ولم تغفل تلك المبادئ البعد الواقعي بطلب المستحيل ولم تتجاهل الضعف البشري"[٣].

(١) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص٩٥.

(٢) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرقي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٢٥.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٢٢.

ب/ محمد أسد.

دهش محمد أسد من اهتمام القرآن الكريم بالإنسان كوحدة متكاملة مكونة من جسد وروح، كما دهش أيضاً من نظرة القرآن الكريم الشاملة إلى علاقة الدنيا بالآخرة، فلا تنافر، ولا تضاد بينهما، إنما هما داران متكاملان، هذا السمو العظيم في المبادئ، وإشراقها، وصوابها، وهذا التوافق الرائع بين العقل، والفطرة الإنسانية السليمة تحت غطاء الشمول، والكمال الذي لا يعتريه نقص، ولا تعارض مع اليسر، والوضوح جعله ينفر من الأديان التي عرفها سابقاً، ومن المجتمعات الغربية، حتى أصبح الإسلام كالمغناطيس يجذبه جذبا إلى أن انتهى به المطاف باعتناقه(١).

وعن اهتمام الإسلام بالروح والجسد يقول محمد أسد: "نحن نعد الإسلام أسمى من سائر النظم المدنية، لأنه يشمل الحياة بأسرها: إنه يهتم اهتمامًا واحدًا بالدنيا والآخرة وبالنفس والجسد وبالفرد والمجتمع، أنه لا يهتم فقط لما في الطبيعة الإنسانية من وجود الإمكان إلى السمو، بل يهتم أيضًا لما فيها من قيود طبيعية، إنه لا يحملنا على طلب المحال؛ ولكنه يهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة مما فينا من استعداد وإلى أن نصل إلى مستوى أسمى من الحقيقة حيث لا شقاق ولا عداء بين الرأي وبين العمل، إنه ليس سبيلاً بين السبل، ولكنه السبيل! وإن الرجل الذي جاء بهذه التعاليم ليس هاديًا من الهداة، ولكنه الهادي، فاتباعه في كل ما فعل وما أمر اتباع للإسلام عينه وأما اطراح سنته فهو اطراح لحقيقة الإسلام"(٢).

كما يؤكد محمد أسد في موضع آخر على هذه المسألة فيقول: "نظرت إلى كل تلك الجوانب الفكرية والأخلاقية بتقدير وإجلال، كان منهجه في تناول مشاكل الروح أعمق كثيرًا من تلك التي وجدتها في التوراة، هذا عدا أنه لم يأت لبشر دون بشر ولا لأمة بذاتها دون أخرى، كما أن منهجه في مسألة البدن بعكس الإنجيل، منهج إيجابي لا يتجاهل البدن، الروح والبدن معًا يكونان البشر، كتوأمين متلازمين، تساءلت ألا يمكن أن يكون ذلك المنهج هو السبب الكامن وراء الإحساس بالأمن والتوازن الفكري والنفسي الذي يميز العرب والمسلمين؟"(٣).

ويمثل محمد أسد على هذه المسألة بالصلاة فيقول: "فالإسلام ليس عقيدة صوفية ولا هو فلسفة، ولكنه نهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التي سنها الله لخلقه، وما عمله الأسمى سوى

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص ١٩٣-١٩٤.

(٢) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص١١٠.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٩٨.

التوفيق التام بين الوجهتين في تعاليم الإسلام تتفقان في أنهما لا تدعان تناقضًا أساسيًا بين حياة الإنسان الجسدية وحياته الأدبية فحسب، ولكن تلازمهما هذا وعدم افتراقهما فعلاً أمر يؤكده الإسلام؛ إذ يراه الأساس الطبيعي للحياة، ذلك هو السبب على ما أظن لهذا الشكل في الصلاة الإسلامية حيث يمتزج الخشوع ببعض الحركات الجسمانية، إن بعض النقاد الذين شهروا عداوتهم على الإسلام يجعلون هذا النوع من الصلاة برهانًا على زعمهم بأن الإسلام دين رسوم ومظاهر"(١).

ج/ مريم جميلة.

تذكر مريم جميلة تناغم الروح والجسد في الإسلام فتقول: "والمسلم لا يسلخ الروح عن جسدها لأنه يعتقد أن العقيدة لا تكون فعّالة بغير التعبير الملموس، والوضوء والصلوات يجب أن تؤدى بطريقة دقيقة كما أداها الرسول صلى الله عليه وسلم، والمسلم الذي يؤدي صلواته كما يجب يزكي في نفسه ضميراً حياً وخلقاً عالياً، ذلك أن ليس هناك من يراقب صحتها إلا الله ولا يوجد دين آخر يصر على ضرورة الصحة الشخصية والنظافة بهذا التأكيد الشديد، فالطهارة البدنية تؤثر في الطهارة الروحية والإنسان في ظاهره صورة عن الإنسان في داخله"(٢).

وفي موضع آخر تقول: "إن الله قد جعل الإنسان خليفته في الأرض، والهدف الوحيد لخلق الجسد هو أن تتخذ منه الروح أداة لممارسة مسئولياتها وأداء واجباتها، ولهذا فالجسد ليس سجناً للروح بل أداتها ومصنعها ومعملها ولا إمكانية لنمو وتطور الروح إلا من خلال القوى والآلات والأدوات التي يمنحها إياها هذا المصنع والمعمل، ومن هنا فإن هذه الدنيا حقل أرسلنا الله لنعمل فيه وننفذ واجبنا نحوه ولا ينبغي أن تكون وجهة التطور الروحي للإنسان مضادة للجسد ومعادية له، بل يجب أن يسخر الإنسان هذه الأداة للخير ويعمل بها ومعها"(٣).

د/ مراد هوفمان.

يقول مراد هوفمان عن ثنائية الروح والبدن في الإسلام: "لم يبد لي الإسلام دينًا بالمعنى المتعارف عليه بين الناس لكلمة دين، بل بدا لي أسلوبًا للحياة؛ ليس نظامًا لاهوتيًا بقدر ما هو سلوك فرد ومجتمع يرتكز على الوعي بوجود الله الواحد، لم أجد في أي آية من آيات القرآن أي إشارة إلى

(١) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٢٢.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٤١.

(٣) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٢٥١.

احتياج البشـــر إلى الخلاص الروحي، ولا يوجد ذكر لخطيئة أولى موروثة تقف حائلاً بين المرء وقدره الذي قدره الله له، ولا يبقى لابن آدم إلا عمله الذي ســعى إليه، ولا توجد حاجة للترهب والزهد لفتح أبواب خفية لتحقيق الخلاص: الخلاص حق مكفول لكل البشـــر بالولادة والخطيئة لا تعني إلا ابتعاد الناس عن الفطرة التي خلقهم الله عليها، لم أجد أي أثر يدل على الثنائية في الطبيعة البشـــرية فالبدن والروح يعملان في المنظور الإسلامي كوحدة واحدة متكاملة لا ينفصل أحدهما عن الآخر"[١].

□

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٥٤-١٥٥.

الإيجابية الثانية: إبراز محاسن المسلمين وتفوقهم

من الإيجابيات التي ينبغي إظهارها في مناهج المستشرقين الذين أسلموا، إبرازهم لجوانب متعددة عن محاسن المسلمين وأخلاقهم وحضارتهم، ويكادون يتفقون جميعاً في ذلك، ويظهر ذلك في تركيزهم على مسألتين مهمتين لأجل الرد على شبهات بني جلدتهم.

١/ الإشادة بتقدم المسلمين وتفوقهم على الغرب في العلوم الحديثة وفي شتى ميادين الحياة، ونستشهد على ذلك من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم.

أ/ اتيين دينيه.

يقرر اتيين دينيه بأن جابر[١] والرازي[٢] هما المؤسسان الحقيقيان لعلم الكيمياء فيقول: "ثم إنهم يفخرون بالعالم باستور الفرنسي[٣]ويجعلونه درة في تاج الحضارة الحديثة، ولكن فاتهم أن جابراً والرازي لا يقلان عنه في مرتبة العلماء والمفكرين، وهما المؤسسان الحقيقيان لعلم الكيمياء بفضل ما كشفاه من طرق التقطير ومن الكحول وحمض النتريك وحمض الكبريتيك"[٤].

كما يؤكد اتيين دينيه إبداع المسلمين في الفن العمراني للقبلة فيقول: "فالقبلة وبقدر ما هي مكان تضرعات وأدعية ووجهة للصلوات، فهي أيضاً، شهادة إبداع الإنسان العربي في فن العمران الإسلامي"[٥].

أيضاً يؤكد اتيين دينيه تقدم المسلمين في علم الطب فيقول: "وأهم ما حققه العرب في ميدان الطب يتعلق بالجراحة ووصف الأمراض وبالأدوية والصيدلة، وقد ابتكروا وسائل علاجية متعددة،

---

(١) جابر بن حَيَّان بن عبد الله الأَزْدي الكوفي مولداً الطُّوسي منشأ الصُّوفي، المتوفى بطرسوس سنة ستين ومائة تقريباً، كان متقدماً في الطبيعيات، بارعاً في صنعة الكيمياء، له في الطبيعيات والطب والطلسمات والصنعة قريب إلى ستمائة كتاب، أخذ العلم من جعفر الصادق، ذكره ابن خلِّكان، انظر: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بكاتب جلبي، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول تركيا، ٢٠١٠م (١/ ٤٠٥).

(٢) محمد بن زكريا الرازي أبو بكر، ولد في عام ٢٥١هـ، فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب، من أهل الري، أولع بالموسيقى والغناء ونظم الشعر في صغره، واشتغل بالسيمياء والكيمياء، ثم عكف على الطب والفلسفة في كبره، فنبغ واشتهر، ومات ببغداد، له تصانيف، سمى ابن أبي أصيبعة منها (٢٣٢) كتابا ورسالة منها (الحاوي) في صناعة الطب، و(الطب المنصوري)، انظر: الأعلام للزركلي، (٦/ ١٣٠).

(٣) العالم (باستور) الفرنسي، لويس باستور عالم في علم البكتيريولوجيا الحالي، عاش بين سنة ١٨٢٢و١٨٩٥ واشتغل كثيراً بالبحث في داء الكلب، والهيضة (الكوليرا) فهذا العلم تأسس في القرن التاسع عشر، انظر: مجلة المنار، العدد ١٨ ص ٥١٣.

(٤) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص١٣.

(٥) بلقاسم بلحارث، رسالة علمية بعنوان جماليات المكان في رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ناصر الدين دينيه والحاج سليمان بن إبراهيم، ص٦٢.

ظهر بعضها في العالم الطبي حديثًا بعد أن قضت عليها قرون من النسيان؛ مثال ذلك استخدام الماء البارد للطب للحمى التيفودية، والطب مدين لهم بكثير من المواد الطبية مثل خيار الشنبر والسني المكي والراوند والتمر هندي والكافور والكحول والقلي، وغير ذلك، وإننا مدينون لهم بكثير من المستحضرات المستعملة اليوم، مثل الأشربة وصنوف اللعوق واللزق والمراهم والأدهان والماء المقطر، وغير ذلك، كذلك الجراحة كان للعرب الفضل في تقدمها الأول: فكانت مؤلفاتهم هي المراجع الأساسية التي تدرس بالمعاهد الطبية إلى عهد قريب جدًا، لقد كانوا في القرن الحادي عشر الميلادي يعرفون علاج الماء الذي ينصب في العين (الكاتاركتا) بالتحويل أو استخراج البلورية، ويعرفون كيفية تفتيت الحصاة وعلاج النزيف بصب الماء البارد، كما كانت لهم خبرة باستخدام الكاويات والأحزمة والكي بالنار لتطهير الجراح، وإن التخدير الذي يظن الناس أنه اكتشاف حديث يبدو أن العرب لم يجهلوه، فقد كانوا يوصون باستعمال نبات الزوان قبل العمليات المؤلمة لتنويم المريض حتى يفقد الوعي والحساسية، وكانت لهم أيضًا ثقة عظمى في الوسائل الصحية لعلاج الأمراض، وكانوا يعتمدون كثيرًا على القوى الطبيعية، والطب النظري الذي يبدو اليوم وكأنه الكلمة الأخيرة للعلم الحديث، يوافق هذه الفكرة في استدلالاته"[1].

ب/ لورد هدلي

يقول لورد هدلي عن أثر المسلمين في علوم الطب والأحياء والفلك: "العرب بلا نزاع هم مخترعو ومؤسسو علم الكيمياء، وأما علم الطب والصيدلة فقد حسنه المسلمون الأول تحسينًا عظيمًا وقدموا علم الفلك وعلم الأحياء تقدمًا سريعًا حتى الطيران قد حاول أبي القاسم[2] المخترع الشهير الذي قتل لسوء الحظ في إحدى تجاربه في الطيران فمات شهيد العلم، ولقد سجل التاريخ بحروف من ذهب تشجيع المسلمين للتعليم والتهذيب، فعبدالرحمن الأندلسي وأبو جعفر المنصور وهارون الرشيد تركوا وراءهم في صحائف التاريخ الخدمات التي قدموها للإنسانية والمدنية، وانتشر تهذيب المسلمين ومدنيتهم من جرانادا[3] التي في الغرب إلى آخر حدود الصين في الشرق بسرعة مدهشة

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٣٩-٣٤٢.

(٢) أبو القاسم عباس بن فرناس، مخترع أندلسي، من أهل قرطبة، من موالي بني أمية، وكان فيلسوفاً شاعراً، له علم بالفلك، واتهم في عقيدته، وأراد تطيير جثمانه، فكسا نفسه الريش، ومدّ له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة، ثم سقط فتأذى في ظهره؛ لأنه لم يعمل له ذنباً، فهو أول طيار اخترق الجو، وتوفي ٨٨٧ م، انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م (٣/٢٦٤).

(٣) مدينة جرانادا يقصد بها مدينة غرناطة بالأندلس.

جدًا والشـــهرة التي خلفها المســـلمون وراءهم بأعمالهم لا يمكن أن تقبر في شـــجن النســـيان جهلاً وطيشًا"(١).

ج/ مارمادوك بكثول.

يســـجل مارمادوك بكثول عن تقدم المســـلمين في علم الفلك والطب: "وفي عصـــر متأخر في القرن الثامن عشـر أعاد الأتراك إلى أوروبا العلوم القديمة، لقد وصـلت أوروبا نظرية التلقيح أو التطعيم من تركيا في القرن الثامن عشـــر، ولقد حفظوا وســـجلوا ملاحظاتهم وآراءهم باهتمام في علم الفلك، وإن أطباء المسلمين كانوا أول من غرسوا في الأذهان فضيلة الهواء النقي والنظافة الكاملة، وكانوا أول من أسسوا المستشفيات"(٢).

د/ عبد الواحد يحيى.

يتعجب عبد الواحد يحيى من عدم اعتراف الغرب بطبيعة اقتباســـهم من حضـــارة المســـلمين وخاصة في أسبانيا فيقول: "إن أغلب الأوروبيين لم يقيّموا بدقة أهمية ما أخذوه عن الحضارة الإسلامية ولم يفهموا طبيعة اقتباساتهم من هذه الحضارة في الماضي، بل إن بعضهم يذهب إلى حد الإنكار التام لكل ما يتعلق بها، وذلك لأن التاريخ كما يتلقونه في تعليمهم يشوه الحقائق، ويظهر تحريفه المعتمد في نقاط كثيرة، وبغلو مفرط يبدي هذا التعليم استهانته بما توحيه إليه الحضارة الإسلامية ومثال ذلك إذا كان من المعروف عمومًا أن إســـبانيا ظلت تحت الحكم الإســـلامي عدة قرون، وينبغي إذن أن نرى موقفهم هذا كنتيجة لكبرياء الغربيين وإعجابهم بأنفســـهم، وهي العيوب التي تمنعهم من الاعتراف بحقيقة وأهمية ما هم مدينون به للشرق"(٣).

ويســـتشـــهد عبد الواحد يحيى بالتاريخ في نقل العلم وفلســـفة اليونان إلى الغرب عن طريق المسلمين فيقول: "والأغرب في هذا الصدد هو أن الأوروبيين يعتبرون أنفسهم كأنهم الورثة المباشرين(٤) للحضـارة اليونانية القديمة، بينما الحق يدحض زعمهم هذا، فالواقع المعروف من التاريخ نفســه يثبت بما لا شك فيه أن العلم والفلسفة اليونانية لم ينتقلا إلى الأوروبيين إلا بواسطة المسلمين، وبعبارة أخرى لم يصـل التراث الفكري اليوناني إلى الغرب إلا بعد أن تمت دراسـته بعناية من طرف الشـرق الأدنى،

(١) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٣٥.

(٢) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام، ص ٧٠-٧١.

(٣) عبد الواحد يحيى، التصوف الإسلامي المقارن، ص٧.

(٤) (المباشرين) هكذا في النص، والصحيح المباشرون.

ولولا علماء الإسلام وفلسفته لظل الغربيون في جهل تام بتلك المعارف زمنًا طويلاً، بل ربما لم يكونوا ليدركوها أصلاً"(١).

كما يعدد عبد الواحد يحيى العلوم الحديثة التي اقتبستها أوروبا من الحضارة الإسلامية، فيقول: "أما في ما يتعلق بالعلوم فيمكن أن نميز بين العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية، وبالنسبة للأولى فإننا نعلم يقينًا بأن بعضًا منها اقتبستها أوروبا من الحضارة الإسلامية بكيفية شاملة، فالكيمياء مثلاً احتفظت دائمًا باسمها العربي الذي يرجع أصله إلى مصر القديمة، ولنضرب مثلاً آخر وهو علم الفلك فمصطلحاته المستعملة في جميع اللغات الأوروبية لا تزال محتفظة بأصلها العربي، وأسماء الكثير من الأجرام السماوية لا يزال علماء الفلك في كل البلدان يطلقون عليها أسماءها العربية، وما تزال قصة الساعة المائية التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الامبراطور شارلمان عالقة بالأذهان، أيضاً الأرقام التي يستعملها الأوروبيون تعرف في كل مكان كأرقام عربية، ولو أن مصدرها الأول هو هندوسي في الحقيقة وذلك أن علامات العد التي كان العرب يستعملونها في الأصل ما هي إلا حروف الهجاء نفسها"(٢).

أيضاً يؤكد عبد الواحد يحيى إثبات أسبقية المسلمين في كل مجالات الفنون فيقول: "وإذا انتقلنا الآن من النظر في العلوم إلى النظر في الفنون، فإننا في مجال الأدب والشعر نلاحظ أن كثيرًا من الأفكار الواردة من الكتاب والشعراء المسلمين، قد وظفت في الأدب الأوروبي، بل إن بعض الكتاب الغربيين ذهبوا إلى حد تقليدهم تقليدًا تامًا، وكذلك يمكن ملاحظة آثار التأثير الإسلامي في فن العمارة والبناء، لا سيما خلال العصر الوسيط بصفة أخص، فمن ذلك القوس المعقود الذي صار متميزًا بنفسه إلى حد إطلاق اسمه على طراز معماري معين، ولا ريب أن مصدره في فن العمارة الإسلامي"(٣)، هذا جزء من كل عن أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، ولكن الغربيين لا يريدون الاعتراف به في وضوح، لأنهم لا يرغبون في الاعتراف بفضل الشرق عليهم، ولكن الزمن كفيل بتبيان الحقائق التي يريدون إخفاءها"(٤).

---

(١) عبد الواحد يحيى، التصوف الإسلامي المقارن، ص٨.

(٢) المرجع السابق، ص٩.

(٣) المرجع السابق، ص٧-١٠.

(٤) المرجع السابق، ص١٢.

هـ/ روجيه دوباسكويه

يثبت روجيه دوباسكويه بالشواهد والأدلة تقدم المسلمين في علم الفلك فيقول: "اهتمت الحضارة الإسلامية دائمًا بعلم الفلك امتثالاً للنصوص الكثيرة التي شجعت على التأمل والتفكر في آيات الله في السماوات والأرض، وارتقى المسلمون المآذن والتلال والجبال ليدققوا ويمنعوا النظر في السماء، وهب رجال أفذاذ أنفسهم للفلك، دعمهم خلفاء في بغداد وقرطبة وكثير من الحكام والأمراء حتى فجر العصور الحديثة، ورعى كثير منهم المراصد التي تأسست في المناطق الرئيسية في العالم الإسلامي، أسس الحكم نصير الدين الطوسي أحد أهم تلك المراصد في مراغة، فارس، في القرن الثالث عشر، واستعان بفريق من الباحثين جلبهم من بلاد شتى، فأنشأ مؤسسة علمية تشابه المؤسسات العلمية الحديثة، ويزخر علم الفلك بعلماء مسلمين عظام، قدموا للبشرية اكتشافات هائلة، وقدروا المسافة بين الأرض والقمر -اعتمادًا على الوسائل المتاحة ذلك العصر- بدقة ملفتة، واكتشفوا الاختلاف المركزي الثالث للقمر والبقع الشمسية، وطوروا وسائل القياس الفلكية واقتربوا بها من الكمال مثل الاسطرلاب، ومن المثير للاهتمام أن البيروني[1] توصل لدوران الأرض حول الشمس قبل كوبرنيكس[2] بخمسة قرون، ولم تقم ضده ردود الفعل العدائية التي حدثت في أوروبا ضد نفس النظرية الحديثة القديمة، وأشار مؤرخو العلم إلى أنه بدون إسهام العلماء المسلمين، لم يكن لعلماء أوروبا أن يتوصلوا لأفكارهم الحديثة في الفلك والكون والتي شكلت أساس التقدم العلمي المعاصر"[3].

كما يؤكد روجيه دوباسكويه مرة أخرى على تقدم المسلمين في علم الرياضيات والطبيعة فيقول: "احتلت الرياضيات مرتبة مفضلة في الحضارة الإسلامية، حيث تطورت بدرجة ملموسة، يكفي قليل من الحقائق لتوضيح ذلك: استعار العالم الإسلامي الأرقام الهندية، وأخذها منه العالم

---

(١) محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي، كان إمام وقته في علم الرياضيات والنجوم، وله من الكتب في النجوم وعلم الهيئة والحكمة شيء كثير، وكان أديبا لغوياً، ومن تصانيفه: كتاب شرح شعر أبي تمام، وكتاب التعلل بإحالة الوهم في معاني نظم أولي الفهم، وأخبار أبيه، انظر: علي بن أنجب بن السَّاعي، الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي بتونس ط١، ١٤٣٠هـ، ص١٨٣.

(٢) كوبرنيكوس عالم رياضيات بولندي وفلكي ولد في ١٩ فبراير ١٤٧٣م، ونظرية (كوبرنيكوس) القائلة بأن الشمس هي المركز وتدور حولها المجموعة الشمسية، وكتابه المشهور صدرت طبعته الأولى وهو على فراش الموت، وما تداوله الناس إلا بعد موته، وتوفي ٢٤ مايو ١٥٤٣م، انظر: النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها دراسة نقدية، حسن بن محمد حسن الأسمري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م (١/ ١١٩- ٢٣٥).

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٤٨-١٤٩.

المسيحي تحت اسم الأرقام العربية، وطور العلماء المسلمون الكسور العشرية ووظيفة الصفر، وكلمة Zero مأخوذة من صفر العربية، ويعد الخوارزمي[١] مؤسس علم الجبر واللوغاريتمات، وأول مدير لدار الحكمة في بغداد من أعظم عباقرة البشرية، وقدم المسلمون إسهامًا رئيسيًا في معرفة الطبيعة والبيئة، ويلاحظ ذلك في علوم النبات والحيوان، بل هم المؤسسون الحقيقيون لعلوم الطبيعة والكيمياء، وأخذت الأخيرة اسمها الغربي من العربي"[٢].

و/ محمد أسد

يشيد محمد أسد بالمنهج العلمي واختراعات المسلمين واستفادة أوروبا منها فيقول: "في كل عصر كانت توجد أمة أنشط من غيرها من الأمم، تضيف إلى الموجود من المعارف؛ ولكن على المدى البعيد يصبح ما أضافته علمًا مشتركًا ومشروعًا لكل البشر أن يزيدوا عليه، لقد كان هناك عصر كانت فيه الأمة الإسلامية أكثر نشاطًا وحيوية من غيرها من الأمم، ونقلت إلى أوروبا كثير من المخترعات التي كانت رائدة في حينها، بل نقلت إلى أوروبا ما هو أهم كثيرًا من المخترعات، وهو المنهج العلمي الذي شيدت عليه أوروبا علمها وحضارتها، ولم تجعل مكتشفات وأبحاث جابر بن حيان من الكيمياء (كيمياء عربية)؛ ولا يمكن وصف الجبر والهندسة بأنها علوم إسلامية مع أن الجبر ظهر للوجود على يد الخوارزمي، وظهرت الهندسة على يد البتاني[٣] وكلاهما كان مسلمًا"[٤].

ز/ موريس بوكاي.

يذكر موريس بوكاي حضارة المسلمين في قرطبة وأسبقيتهم في علم الجبر والطب وغيرهما فيقول: "أنجزت مراكز العلم الإسلامية كمًا كبيرًا من الأبحاث العلمية وتوصلت إلى كثير من الحقائق والمكتشفات العلمية الهامة في ذلك الوقت، كان الباحث في مجال من مجالات العلوم الطبيعية في العالم الإسلامي يجد كثيرًا من الظروف التي تساعده على إنجاز أبحاثه وإعلان نتائجها، كما كانت توجد كثير من الإمكانات التي تساعده في إنجاز أبحاثه، ففي قرطبة مثلاً كانت مكتبة الخليفة تحوي

---

(١) سبق تعريفه آنفاً وهو البيروني.

(٢) المرجع السابق، ص١٥١.

(٣) أبو عبد الله محمد بن جابر الحراني الأصل البتاني الحاسب، المنجم المشهور؛ له الأعمال العجيبة والأرصاد المتقنة، وكان أوحد عصره في فنه، وتوفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة، ولم أعلم أنه أسلم، لكن اسمه يدل على إسلامه، وله من التصانيف: الزيج، ومعرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك، ورسالة في مقدار الاتصالات، ورسالة في تحقيق أقدار الاتصالات، وشرح أربع مقالات بطليموس، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد ابن خلكان، دار صادر، بيروت (٥/ ١٦٤).

(٤) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٥١٦-٥١٧.

أربعمائة ألف مجلد، وكان عالم مثل ابن رشد مثلاً يرتادها، وفي قرطبة كانت تتم دراسة علوم اليونان والهند وبلاد الفرس، ولهذا السبب كان كثير من العلماء يسافرون من مختلف بلدان أوروبا للدراسة في قرطبة مثلما يحدث في عصرنا عندما يسافر المشتغلون بالدراسات العلمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتحسين وإكمال دراساتهم، وكم هي كثيرة تلك المخطوطات القديمة التي وصلت إلينا بواسطة العلماء العرب لتنقل أعلى مستويات العلم والثقافة إلى كافة البلدان التي فتحها العرب! وكم نكون نحن في الغرب مدينين للثقافة العربية في الرياضيات (فالجبر علم عربي) وكذلك علم الفلك والفيزياء وخاصة (البصريات) والجيولوجيا، وعلوم النبات والطب (ابن سينا) وغير ذلك كثير، ولقد اتخذت الدراسات العلمية عند العرب لأول مرة في التاريخ صفة الجامعة العلمية العالمية في العصر الوسيط في العالم الإسلامي، وفي ذلك العصر كان الناس أكثر خضوعًا لتأثير الدين مما هم في عصرنا الحاضر، ولكن ذلك لم يكن يمنعهم من أن يكونوا مؤمنين بالله وعلماء أيضًا، كان العلم يبدو كأخ توأم للدين، ولقد كان ينبغي للعلم أن يظل كذلك على الدوام أخًا توأمًا للدين"(١).

ح/ مريم جميلة.

تصف مريم جميلة الفن الإسلامي والحضارة الإسلامية فتقول: "أنا أعتقد أن هناك علاقة وثيقة بين الفن العظيم والاعتقاد الديني، وأن المساجد العظيمة مثل مسجد ابن طولون في القاهرة ومسجد قرطبة ومساجد إسطنبول، والمساجد الأخرى الكثيرة المماثلة لها والمنتشرة في العالم الإسلامي، والمزخرفة بكتابات رائعة من الآيات القرآنية، والسجاجيد والمنسوجات والأواني الفخارية والزجاجية، إن هي إلا تعبيرات محسوسة عن القيم الروحية للإسلام، أليس الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بأن الله جميل يحب الجمال؟! عندما كانت الحضارة الإسلامية في أوجها، لم يكن الفن شيئاً محفوظاً في المتاحف، بل كان جزءاً لا بد منه في حياة أبسط المسلمين"(٢).

ط/ مراد هوفمان.

يؤكد مراد هوفمان أسبقية المسلمين في المنهج العلمي فيقول: "فقد كان العلماء المسلمون هم الذين أدخلوا على المنهجية العلمية أسلوب (الملاحظة) للظاهرة الطبيعية في أدق تفاصيلها وكذلك أيضًا الأسلوب التجريبي، هذان الأسلوبان كانا غريبين على منهجية المفكرين اليونانيين القدامى، وفي الحقيقة فإن القوة المحركة للانفجار العلمي في كل المجالات في العالم الإسلامي من القرن التاسع إلى

(١) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٦٢.

(٢) ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ص١٤٩-١٥٠.

القرن الثامن عشر كانت هي الحض القرآني على أن يستخدم الإنسان عقله وأن يراقب الطبيعة وأن يعتنق النتائج التجريبية"[١].

كما يشيد مراد هوفمان بحضارة الإسلام وعلمائه فيقول: "إن حركية المسلمين التي أيقظت العالم وجعلته يمضي قُدُمًا، شملت آنذاك العلوم والحضارة، فانطلق علماء الإسلام يحققون نتائج مذهلةً في العلوم الطبيعية والإنسانية، حتى لقد غيروا مسار تلك العلوم قرونًا وقرونًا، كما تشهد بذلك ميادينُ الرياضيات والبصريات وعلم النبات وعلوم الطب وفروعه، مثل الجراحة وأمراض العيون وشؤون البيطرة والصيدلة والصحة، ونشأت وترعرعت علوم المعاجم والنحو والصرف والبلاغة والموسوعات وكتب التاريخ وعلم الاجتماع، وإحياء فلسفة أرسطو التي كان الغرب قد نسيها، وأخذت شمس الحضارة الإسلامية تبدد الظلام الذي رانَ على أوروبا قرونًا، وسطعت خاصةً في الفترة من القرن التاسع حتى الرابع عشر"[٢].

أيضاً يؤكد مراد هوفمان أن حضارة الغرب مدينة لحضارة المسلمين فيقول: "حكاية تطور الحضارة الإسلامية في دمشق وبغداد ولاهور وسيفيل وغرناطة والفسطاط والقيروان وفاس حكاية معروفة، لقد أصبح المسلمون خزنة الأعجوبة الفكرية الإغريقية القديمة، وأنتجوا أعجوبتهم العربية بتطوير وابتكار تراث كلاسيكي؛ فمآثر الفكر الأوروبي في عصر النهضة لم تكن لتتحقق لولا ابن سينا، وابن رشد، والبيروني، والخوارزمي، والرازي، وابن الهيثم، وابن بطوطة، وابن خلدون، وكل واحد من هؤلاء عملاق من عمالقة الفكر في تاريخ البشرية"[٣].

---

(١) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص٩٥.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢٢-٢٣.

(٣) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص١٢١.

٢/ الانبهار بأخلاق المسلمين وحضارتهم.

من الإيجابيات التي ينبغي إظهارها في مناهج المستشرقين الذين أسلموا، انبهارهم بأخلاق المسلمين وحضارتهم، حيث سطروا أروع الكلمات والعبارات في وصف أخلاق المسلمين وحضارتهم العريقة.

أ/ اتيين دينيه.

يبين اتيين دينيه انبهاره بحضارة الإسلام قائلاً: "وكان النصيب الذي أسهم به هؤلاء الرواد الذين يمتازون بالجرأة والإقدام نصيبًا ضخمًا: فمن الناحية العلمية كانت لهم هذه التحديدات الفلكية الصادقة التي هي أول أساس للخرائط، كما عملوا على تصحيح الأخطاء الفاحشة التي وقع فيها الإغريق، وأما من ناحية كشف بقاع العالم المجهولة فقد نشروا رسائل في الرحلات تعرف الناس بأقطار العالم المختلفة التي كانت شبه مجهولة من قبل، والتي لم يسبق للأوروبيين ارتيادها، وإننا نجد في خريطة من خرائط الإدريسي ترجع إلى عام ١١٦٠م، منابع النيل بين البحيرات الاستوائية الكبرى مرسومة رسمًا دقيقًا، وهي تلك المنابع التي لم يكشفها الأوروبيون إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وسجل مكتشفاتهم في ميدان العلوم الطبيعية أعظم من ذلك"[١].

ويواصل اتيين دينيه انبهاره بحضارة المسلمين وذكر الاختراعات والاكتشافات فيقول: "بعض المعلومات عالية في نظريات علم الطبيعة، وخاصة فيما يتعلق بالمسائل الضوئية، واختراع أجهزة آلية من أبدع ما يكون، واكتشاف أعلق الأجسام بأصل علم الكيمياء، مثل الكحول والحامض الكبريتي، وأهم العمليات الأساسية في هذا العلم، كالتقطير وتطبيق الكيمياء في ميداني الصيدلة والصناعات، وخاصة فيما يتعلق باستخراج المعادن وصناعة الفولاذ، والصباغة وغير ذلك، وصناعة الورق من الخرق، والاستعاضة به عن رق الغزال وورق البردي والحرير الصيني، ومن المحتمل أنهم أول من استخدم البوصلة في الملاحة، ومن المحقق أنهم أدخلوا هذا الاختراع الأساسي في أوروبا"[٢].

ب/ لورد هدلي.

تطرق لورد هدلي إلى ما قدمه المسلمين للعالم بقوله: "المسلمون هم أول من وضعوا الموسوعات والمعاجم، وهم وصفوا البر والبحر، وأجناس الناس، والملوك والحكومات، والأديان والعقائد، والعادات

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٤٠-٣٤١.

(٢) المرجع السابق، ص٣٤٠-٣٤١.

والتقاليد، والحيوانات والحشـرات، والجبال والوديان، والغابات والسـهول، والطرق والمسـالك، والقرى والمدن... من اليابان إلى بريطانيا"(١).

أيضاً ينسب لورد هدلي الفضل في التطور العلمي إلى الإسلام حيث يقول: " إن المؤسسات الخيرية، والمستشفيات، والمدارس لا يرجع الفضل فيها إلى النصرانية التي لم تستطع إيجادها منذ ١٧ قرناً، إن الفضل يرجع إلى الإسلام في إسبانيا، والإسلام يتحدث بالتفصيل عن هذه الخدمات في تعليماته، وقد أوجدها في غضون قرنين من ولادته"(٢).

د/ مارمادوك بكثول.

يؤكد مارمادوك بكثول على "أن الغرب لم يتطور بالنصـرانية؛ بل بالعلوم الإسـلامية"(٣)، "وإن الجامعات الشـرقية في عهد المأمون كانت تسـتقبل طلاباً من النصـارى واليهود بشـكل مسـاو مع المسلمين"(٤).

كما يبين مارمادوك بكثول الأثر الإيجابي للمسـلمين في الغرب من الناحية العلمية فيقول: "إن الخليفة المأمون كان يحارب إمبراطور القسـطنطينية النصـراني لأجل الحصـول على كتب قديمة لديه كانت مغلقة في القصـر الفخم في القسـطنطينية، لكن عندما أتى بعض العلماء منهم إلى بغداد صارت علومهم مفيدة ومثمرة للبشرية، حيث انطلقت عملية الترجمة للكتب القديمة"(٥).

هـ/ روجيه دوباسكويه.

يشـيد روجيه دوباسـكويه بالحضـارة الإسـلامية وفن العمارة فيقول: "يجب أن يفهم الغرض الأساسي من الفن الإسلامي الذي يشكل حياة المجتمع الإسلامي، ويهيئ البيئة الأكثر ملاءمة لرحلة المرء الأرضية وعودته إلى الله، وهكذا فالفن الإسلامي فن مقدس بكل معنى المصطلح، وإنه لأمر بالغ الأهمية في الحضارة الإسلامية أن تطور الفنون التشكيلية سبق الأدب والعلوم؛ لأن دورها أساسي بدرجة أكبر لممارسـة الدين، فهي تعبر عن العقيدة والحقيقة الميتافيزيقية بطريقة كائنة مباشـرة بدرجة

(١) لورد هدلي، الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام، ص ٨٩-٩٣.

(٢) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ص ١٤.

(٣) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام، ص ١٧٤-١٨٥.

(٤) المرجع السابق، ص٧٢.

(٥) المرجع السابق، ص٦٨-٦٩، نبه أهل العلم مجازفة ترجمة المأمون لجميع الكتب بدون تحري؛ مما سبب في كثير من الإشكالات ككتب الفلسفة والمنطق.

أكبر من الأدب والفلسفة والعلوم التي لأساليبها طبيعة استطرادية، وشيد الخلفاء أثرين عظيمين يعبران عن الرحلة الأولى للفن الإسلامي المقدس قبة الصخرة المعلقة في بيت المقدس والجامع الأموي في دمشق، وشيد الوليد في بداية القرن الثامن الجامع الأموي في دمشق وخططه على مثال المسجد النبوي في المدينة مما جعل له أهمية خاصة في تطور عمارة المساجد، وبالذات من ناحية ربط المساحات للصلوات الجماعية، ويزين هذين الأثرين فسيفساء تخلب لب الزائرين بتشكيلتها الواسعة من الزخارف النباتية خصوصًا المسجد الأموي ولا يظهر فيها بشر أو حيوان امتثالاً لمنع تصوير ذلك في أماكن العبادة، النهي الذي احترم من فجر الإسلام، انفرد هذان الأثران بما منع بعد ذلك من التشخيص، هذا المنع الذي أصبح من السمات الرئيسية للفن الإسلامي، وما يجب إبرازه هو أن الفن الإسلامي أظهر من بدايته أصالة وعبقرية ميزته على الفور، وبطريقة جذرية عما سبقه، فانفرد مناخه بأريج التوحيد"(١).

و/ محمد أسد.

يصف محمد أسد حضارة الإسلام بقوله: "لقد أدهشت كل تلك العجائب عقول أهل أوروبا، حتى في أعنف أيام عدائهم للإسلام، وقد نقلوا كثيرًا من العرب في ميدان الزخرفة والمعمار، ولا شك أن دراسة أكثر عمقًا لهذا الموضوع، من شأنها أن تبرهن على أن أوروبا قد تأثرت بالفنون العربية أكثر مما تأثرت بالفنون الإغريقية واللاتينية"(٢).

ويواصل محمد أسد إعجابه بحضارة الإسلام؛ إذ يقول: "لقد أعلن النبي العربي صلى الله عليه وسلم: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة))(٣) وبذلك رسخ لدى المسلمين مفهوم أن اكتساب العلم هو السبيل للإيمان الكامل ومعرفة الخالق معرفة حقة، ولما تدبروا ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم: خلق الله الداء كما خلق الدواء، تحققوا أن بحثهم عن الدواء ليس إلا تحقيقًا لإرادة الله: وبذلك كانت الأبحاث الطبية تستمد دافعها من إحساس المسلم أنها واجب ديني وفريضة واجبة، وقرأوا ما ذكره القرآن: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠]. وفي سعيهم إلى النفاذ للمعنى الذي تضمنته هذه الآية، ودرسوا الكائنات الحية والقوانين التي تحكم نموها وتطورها، وهكذا أسسوا مبادئ علم الأحياء، وأشار القرآن إلى تناسق دورات ومواقع النجوم وأفلاك السماء

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٣٩-١٤١.

(٢) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص١١٦.

(٣) قد سبق تخريجه في صفحة ٥٠٩

كدليل على عظمة إبداع الخالق: فدرسوا علوم الفلك والحساب بحماسة في الوقت الذي كانت فيه علوم الفلك مقصورة في الديانات الأخرى في تحديد أوقات العبادة فقط، وتوصل الفلكيون الإسلاميون إلى نتيجة أن الأرض كروية وتدور حول محورها، وتوصلوا إلى حسابات دقيقة لخطوط الطول والعرض؛ وأدرك كثير منهم دون أن يتهموا بالكفر والهرطقة، أن الأرض تدور حول الشمس، بالحماسة نفسها درسوا الكيمياء والفيزياء ووظائف الأعضاء، كما اقتحموا علومًا أخرى كثيرة، وجد عباقرة المسلمين أنها مهمة لبناء صرح حضاري دائم ومتجدد، وفي بناء ذلك الصرح كانوا أكثر من مقتدين بتعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: ((من فتح بابًا من أبواب العلم فتح الله له بابًا من أبواب الجنة))[١] وقوله: ((من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا في الجنة))[٢] وفي ذلك العهد الخلاق من تاريخ الإسلام -أي القرون الخمسة الأولى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم- لم ير العلم عصرًا أزهى من عصر الحضارة الإسلامية، ولم تنعم بيوت بالأمان مثلما نعمت كل بيوت المدن الإسلامية في ذلك العصر"[٣].

كما يسجل محمد أسد إعجابه بالدين الإسلامي من حيث كونه دافعاً للمسلمين إلى الاهتمام بالعلم والمعرفة فيقول: "لقد كان الإسلام هو ما حمل المسلمين إلى ذُرى فكرية وثقافية سامية حين وجه كل طاقاتهم إلى تدبر أمور العقل والوعي المستنير كوسيلة وحيدة لفهم طبيعة الخلق وقدرة الخالق وبالتالي الوعي بمشيئة من خلقهم، ولم يطلب منهم اعتناق عقيدة جامدة أو صعبة الإدراك والفهم؛ ففي الحقيقة لم تكن توجد برسالة النبي صلى الله عليه وسلم أي عقيدة جامدة غير مفهومة، وهكذا كان التعطش للمعرفة الذي ميَّز المسلمين الأوائل يخلو من عسف وتعسف العقيدة الذي كان سائدًا في أرجاء العالم، كانت المعرفة في أرجاء العالم تناضل نضالاً مريرًا للوقوف على أقدامها ضد ما تمليه وتفرضه العقائد السائدة لديهم، على عكس ذلك كانت المعرفة في الإسلام تنبثق مباشرة من مبادئ العقيدة ذاتها"[٤].

أيضاً يشير محمد أسد إلى بعض محاسن الإسلام ممثلة في التلاحم بين الفكر والحواس فيقول: "أما مع العرب فقد وجدت لديهم ما كنت أبحث عنه بعقلي الباطن دون أن أحسه بشكل ظاهر، وجدت لديهم سهولة معنوية وفكرية في التعامل مع كل مشاكل الوجود، إحساس سامٍ مشترك، إذا

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب، (١/١٠٥) ح (٨) وقال الألباني: ضعيف جدا، (١/ ١٠٥).

(٢) سبق تخريج هذا الحديث في المبحث الثاني في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٢٩٠-٢٩٢.

(٤) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٢٩٠.

جاز أن نطلق عليه ذلك، بمرور الوقت أحسست بضرورة فهم روح تلك الشعوب المسلمة، لم يكن ذلك بسبب أن ديانتهم جذبت اهتمامي (في ذلك الوقت لم أكن أعرف إلا القليل عن الإسلام)، ولكن لأني وجدت لديهم تلاحمًا عضويًا بين الفكر والحواس الذي فقدناه نحن الأوروبيين، اعتقدت أنه من خلال فهم أقرب وأفضل لحياتهم يمكن أن أكتشف الحلقة المفقودة التي تسبب معاناة الغربيين وهي تآكل التكامل الداخلي للشخصية الأوروبية وجذور تلك المعاناة، قد اكتشف كنه ذلك الشيء الذي جعلنا نحن أهل الغرب نناى عن الحرية الحقة بشروطها الموضوعية التي يتمتع بها العرب، حتى في عصور انهيارهم الاجتماعي والسياسي والتي يفترض أنها كانت تميزنا في عصور أسبق؟ "[١].

ز/ مراد هوفمان.

يبدي مراد هوفمان إعجابه بالحضارة الإسلامية فيقول: "ألهمتني أعمال معمارية مثل الحمراء في غرناطة والمسجد الكبير في قرطبة، اليقين بأنها إفراز حضارة راقية رفيعة"[٢].

كما يشيد مراد هوفمان بحضارة الإسلام والفن الإسلامي في عمارة المساجد فيقول: "فإن المساجد العتيقة في المدينة ودمشق مزينة بعناصر نباتية ومناظر طبيعية، وينسحب هذا على صحون المساجد وساحاتها وقاعاتها، فهي مشيدة بأسلوب ذي دلالة واضحة في رفضه للتقسيم التصاعدي المتدرج، فضلاً عن البساطة الواضحة الساطعة الرافضة لكل تهويمات الطقوس السحرية الغامضة، كما ينسحب على التجريد الراقي في المنمنمات التي تصون الخيال عن الوهم، والماثلة في تصوير الآدميين في أشكال متجانسة لطيفة التقاسيم، منعمين في جنات وعيون، تذكر بما ينتظر المؤمنين من نعيم، كما وصف القرآن ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الإنسان: ١١-١٤]"[٣].

أيضاً يؤكد مراد هوفمان على تنوع الحضارة الإسلامية فيقول: "خاصة في مجال الفقه وعلوم الدين، والأدب وفن المعمار، ووعت ذاكرةُ التاريخ روائعَ معماريةً مثل تاج محل (١٦٣٤م)، والمسجد الأزرق الكبير في إسطنبول الذي شيد في ذلك الوقت نفسه"[٤].

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٧.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٤٩.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٧٢.

(٤) المرجع السابق، ص٧٠.

[تجارب شخصية]

يبرز مراد هوفمان مواقف مشرقة لأخلاق المسلمين من خلال تجاربه ومعايشته في بلاد الإسلام فيقول: "حينما كنت أبوح لها بقلقي من قضائها الليل بمفردها في القطار -يقصد زوجته- كانت تجيبني مبتسمة: إنك تنسى أن لي إخوة وأخوات في كل مكان، وكنت أعترض على ذلك قائلاً: إن هؤلاء الإخوة لا يسافرون بالدرجة الأولى، وكانت زوجتي على الرغم من ذلك يتكرر معها دائماً ذات الموقف؛ يدخل أحد العمال عند مروره بمقصورتها فينظر إليها قليلاً، ثم يقول لها: أختاه! إذا أردت طعاماً أو احتجت إلى أي شيء فأنا بالمقصورة المجاورة، منتهى التعاون!"[1].

وهنا موقف آخر لمراد هوفمان يدل على التعامل الراقي للمسلمين؛ حيث يقول: "وقرعت زكية وهي والدة زوجتي، جرس الباب المرة الأولى ثم الثانية وبعد برهة انتظار قرعت الجرس للمرة الثالثة، ولم تَجِزْ جواباً ودون أي تأخير أو تردد استدارتْ وقد حالتْ دون السماح لي بقرع الجرس للمرة الرابعة متعلِّلةً بقولها: إننا لا نفعل هذا، وقد وصلتْ إلى هذه النتيجة وهي تكاد لا تعرف أنها تَتَّبِعُ قاعدةً أرساها النبيُّ صلى الله عليه وسلم وكان تصرُّفُها هذا مطابقاً للعادات المتبعة في العالم الإسلامي، إلا أن ردَّ فعلها هذا يمكن اقتفاء أثره إلى حادثة سجلها لنا التاريخ من خلال الكتاب الرابع والسبعين في كتاب الحديث الشهير: صحيح البخاري على أنها آداب الاستئذان، وحسب ما ورد في الحديث رقم (٢٦١)، الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ((كان إذا سلَّم سلَّم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً))[2] وأنه صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجعْ))[3] فإذا لم يُفْتَح الباب فيفترض وهو محِقٌّ أن أصحاب الدار إما أنهم غير موجودين أو أنهم لا يرغبون استقبال الزائر في هذا الوقت، وهذا ليس إلا مثالاً واحداً من الأمثلة الكثيرة التي تدل على أن سلوك النبي صلى الله عليه وسلم أصبح طريقة الحياة الطبيعية للشعب المسلم بأكمله، وكلما تعمقت في دراسة صحيح البخاري وصحيح مسلم خاصة من أحاديث رسول الله

---

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثا (٥٤/٨) ح (٦٢٤٤)، وكتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه. (٣٠/١) ح (٩٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، (٥٤/٨) ح (٦٢٤٥)، وصحيح مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان. (١٦٩٤/٣) ح (٢١٥٣).

صلى الله عليه وسلم، ازدادتْ عيناي تفتحاً على ملاحظة المزيد من علم الاجتماع والذي لا أرغب فيه ولا أحترمه هو أن اعتبار الإسلام ثقافة"[1].

كما يذكر مراد هوفمان موقفاً ثالثاً للدلالة على أخلاق المسلمين فيقول: "اتصل بنا في بون أحد الأتراك المقيمين في كولونيا ولم يكن معروفاً لنا ليبلغنا أنه صديق لمالك الحانوت الذي نتعامل معه في إسطنبول، وأنه قد أحضر لنا كيلو جرامين من الأرز فمتى يستطيع أن يحضرهما إلينا؟ أي تعاون هذا الذي نرى؟! بدلاً من البوابين مقطبي الجبين في باريس يعمل في حراسة المنازل في تركيا نساء يجلسن أمام المنازل يتجاذبن أطراف الحديث، ويشاهدون الأطفال وهم يلهون على غرار ما يجري في قرية أناضولية، أي دفء إنساني هذا الذي يجري؟!"[2].

أيضاً يشير مراد هوفمان إلى موقف رابع فيقول: "تستمتع زوجتي بعملية الشراء هنا بسبب شفافية السوق أمامها وقربه من مسكننا فلا يكاد المرء يسير ٤ دقائق حتى يجد أمامه سبعة من محلات تصفيف الشعر، وسبعة من محلات البقالة، وسبعة من محلات الأجهزة والأدوات الكهربائية، وستة مصارف، وأربعة محلات جزارة، ولا يستطيع أحد أن يغامر برفع الأسعار أو بعرض البضائع أو أن يتلاعب بالأسعار دون أن يفلت من العقاب، والفيصل هنا هو جودة الخدمات المقدمة للمشتري، ولقد شهدت بنفسي في ٢٢ من يوليه عام ١٩٨٠م دليلاً كأبلغ ما يكون الدليل على علاقة الإخاء التي تحكم نظام المنافسة هنا في المزاد المعلق في إسطنبول، فلقد وقفنا أمام واجهة عرض (فاترينة) أحد المحلات المعلقة وقد بدا علينا إعجابنا الشديد بالمعروضات بها وإذا بمالك المحل المجاور يأتي إلينا مثنياً على معروضات جاره المنافس له بدلاً من أن يدعونا إلى محله هو، أي فارق بين هذا السلوك والسلوك أو المنهج الأمريكي في المنافسة، الذي يبيح بلوغ المنافسة حد العنف أو حتى القتل؟!"[3].

ويذكر مراد هوفمان موقفاً خامساً فيقول: "أصابتني الدهشة أيضاً عندما كنت عائداً يوم ٢ من أكتوبر عام ١٩٩٥م من المطار إلى منزلي مستقلاً سيارة أجرة، فعندما دفعت إلى سائق السيارة بمقدار من النقود يساوي ما يشير إليه مؤشر العداد وكان يزيد قليلاً عما هو معتاد لهذه المسافة

---

(١) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص٦٥-٦٦.

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٥٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٥٦.

وجدته يرد إلي جزءاً من النقود قائلاً: إنه يشعر أن العداد لا يعمل بصورة سليمة، أي إخاء هذا الذي يعبر عن سلوك السائق؟!"(١).

كما يؤكد مراد هوفمان إلى رقي أخلاق المسلمين بمثال حدث له؛ إذ يقول: "فلقد بدأت تنزف عند منتصف الليل، ولم يكن باستطاعة سيارة الإسعاف أن تحضر إلينا قبل الساعة السادسة صباحاً بسبب فرض حظر التجول، وبسبب شعار القتل دون سابق إنذار المرفوع آنذاك، وحينما حانت الساعة السادسة أدركت وأنا أطل من نافذة مسكني في الطابق الرابع أن سيارة الإسعاف لا تستطيع العثور علينا؛ لأن منظمة الجيش السري كانت قد غيرت في تلك الليلة أسماء كل شوارع الحي الذي أقطنه بحيث أصبحت كلها تحمل أسماء مثل شارع سالان وشارع يهود وشارع منظمة الجيش السري، وبعد تأخير طال كثيراً كنا في طريقنا متجهين إلى عيادة شمعون (قبل أن تنسفها منظمة الجيش السري بوقت قصير) حيث صادفنا حاجز أقامته الجمعية الجمهورية للأمن، وعلى الرغم من صفير البوق الذي كان السائق يطلقه، فإنه لم يكن باستطاعته أن يشق طريقه إلا ببطء شديد، وكانت زوجتي تعتقد في تلك الأثناء أنها ستفقد وعيها، وتحسباً للطوارئ راحت تخبرني أن فصيلة دمها هي (**O**) ذات (**RH**) سالب، وكان السائق الجزائري يسمع حديثها فعرض أن يتبرع لها ببعض من دمه الذي هو من فصيلة دمها نفسه، ها هو ذا العربي المسلم يتبرع بدمه في أتون الحرب، لينقذ أجنبية على غير دينه، لكي أعرف كيف يفكر ويتصرف هؤلاء السكان الأصليون المثيرون للدهشة"(٢).

ولعل القارئ يلحظ فيما سبق أن كلمة الدهشة وما في معناها تكررت كثيراً في كلامهم وشهاداتهم المبثوثة في كتبهم رغم انتسابهم إلى حضارة معاصرة تقدمت كثيراً وقفزت قفزات حضارية كبيرة لا يمكن إنكارها، ومن هنا تأتي أهمية شهاداتهم وقيمتها في ميزان الحضارة والعلم.

□

(١) المرجع السابق، ص١٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص٤٤-٤٥.

الإيجابية الثالثة: النقد من الداخل للديانة المسيحية.

إحدى المحطات الهامة في ذكر الإيجابيات في مناهج المستشرقين الذين أسلموا، والتي ينبغي إظهارها، نقدهم للكتاب المقدس، وفيما يلي أهم الشواهد والأدلة من خلال كتاباتهم:

ينتقد لورد هدلي الكتاب المقدس وأساطيره ويؤكد "أن بعضها كاذب مثل أن لوطًا عليه السلام زنى بابنتيه وحملتا بالزنا من الأب كما هو مصرح به في الباب التاسع عشر من سفر التكوين، أو أن يهود ابن يعقوب عليه السلام زنى بثامار زوجة ابنه وحملت بالزنا منه وولدت توأمين فارص (جد سيدنا عيسى عند المسيحيين كما سيجيئ) وزارح كما هو مصرح به في الباب الثامن والثلاثين من السفر المذكور، وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم أولاد فارص المذكور كما هو مصرح به في الباب الأول من إنجيل متى، أو أن داود عليه السلام زنى بامرأة أوريا وحملت بالزنا منه فأهلك زوجها بالمكر وأخذها زوجة له كما هو مصرح به في الباب الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني، أو أن سليمان عليه السلام ارتد في آخر عمره وكان يعبد الأصنام بعد الارتداد وبنى المعابد لها كما هو مصرح به في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول، أو أن هارون عليه السلام بنى معبدًا للعجل وعبده بني إسرائيل[١] بعبادته كما هو مصرح به في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج، فنقول أن هذه القصص وأمثالها كاذبة باطلة عندنا ولا نقول أنها منسوخة"[٢].

بينما ينتقد موريس بوكاي الكتاب المقدس ويثبت بأن هناك أخطاء كثيرة فيه فيقول: "ما مدى مصداقية النصوص الموجودة بين أيدينا اليوم؟ إن الدراسة النقدية للنصوص المقدسة في الغرب إنما هي دراسة جديدة كل الجدة ومستحدثة منذ سنوات قليلة، ولقد كان الناس في الغرب على مدار مئات السنين يتقبلون نصوص الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد بحالتها كما هي دون شك أو فحص أو تمحيص، ولم تكن قراءة نصوص العهد القديم أو العهد الجديد تثير في النفوس شيئًا سوى استحسانها وكيل المديح لها، ولقد كان توجيه أي نَقْد لهذه النصوص يُعْتَبَرُ خطيئة من الخطايا الكبرى، وكان القساوسة هم الذين يحتكرون لأنفسهم ميزة القدرة على الوصول إلى فهم وإدراك معاني نصوص الكتاب المقدس، بينما غالبية شعب الكنيسة كانت تكتفي فقط بسماع قراءات لفقرات مختارة عند ممارسة بعض الصلوات أو الطقوس الدينية في المناسبات والأعياد الدينية خلال المواعظ التي يلقيها على مسامعهم القساوسة، وبعد أن أصبح نقد النصوص علمًا لدى ذوي الاختصاص

(١) (بني إسرائيل) هكذا في النص، والصحيح (بنو إسرائيل).

(٢) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص١٠٨-١٠٩.

فيه؛ فلقد ساعد هذا العلم المتخصص في نقد النصوص على الكشف عن مشاكل هامة وخطيرة لابد من بحثها في كثير من الأحيان(١)، وإن الإنسان ليأسف حقًا لهذا الموقف الذي يظل فيه الإنسان مؤمنًا بصدق نصوص معينة من الكتاب المقدس بالرغم من أنها مليئة بالأخطاء"(٢).

أيضاً يؤكد موريس بوكاي أن المسيحية لا توجد عندها نصوص إلهية فيقول: "ويوجد فرق أساسي جوهري فيما يتعلق بالنصوص المقدسة في المسيحية والإسلام، ويتمثل هذا الفرق الأساسي الجوهري في حقيقة أن المسيحية لا يوجد عندها نصوص إلهية أوحاها الله، وتمت كتابتها كما أوحاها الله؛ ولكن الإسلام عنده القرآن الذي ينطبق عليه هذا الوصف؛ إذ تمت كتابة نصوص كلام الله كما أوحاها إلى نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتحت إشرافه المباشر"(٣).

كما يصرح موريس بوكاي بأن الكتاب المقدس في المسيحية يقوم على روايات بشرية فيقول: "وعلى النقيض من ذلك نجد أن الكتاب المقدس في المسيحية يقوم أساسًا على روايات بشرية عديدة وغير مباشرة وليس لدينا في حقيقة الأمر رواية لشاهد عيان إبَّانَ حياة المسيح عليه السلام، وهذه حقيقة مناقضة لما يتخيله كثير من المسيحيين، وهكذا تكونت وتشكلت مسألة مدى مصداقية الكتب المقدسة لدى المسيحيين والمسلمين، ولقد كان التعارض بين محتويات الكتاب المقدس ومعطيات حقائق العلوم الوضعية الحديثة مجالاً مُهمًا من مجالات التفكير البشري"(٤).

أيضاً يؤكد موريس بوكاي تناقضات الأناجيل فيقول: "وإذ تقدمت العلوم الوضعية على كل حال أصبح من الواضح أن هنالك تناقضات بين النصوص المقدسة بالإنجيل وبين العلم، ولقد تقرر

---

(١) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤، فالأناجيل المعترف بها من جانب الكنيسة شأنها عجيب حقًا، إن بها كثيراً من الأخطاء وكثيراً من التناقض، ولا يجرؤ القائمون على شؤون الكنيسة على المجاهرة بنقدها أو نقضها بشكل علني؛ بل يحاولون تبريرها أيَّ تبرير أو ينقدونها في دوائر ضيقة خاصة بعلماء الدين المسيحي بعيدًا عن جماهير الكنائس، ولكن لا يجرؤ منهم أحد على تغيير هذه النصوص، ولذلك يتركونها على حالها لتظل الأخطاء في مكانها من النص مع الاكتفاء بملاحظات هامشية مثل: يقول النص العبري كذا، أو: هذا النص غير موجود في النصوص القديمة، أو نهاية هذا الإنجيل مفقودة من الأصول وهكذا؛ أما علماء الحديث فقد تصدوا للموضوعات وما اشتهر على ألسنة الناس ووضعوا القواعد للصحة والضعف وقالوا كلمتهم. المترجم ص ٢٧١.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص٢٦.

بناء على ذلك أن المقارنة لم يعد لها لزوم، وهكذا نشأ في يومنا هذا موقف جعلنا مضطرين أن نعترف بأن وَضْعَ رجال الدين يتناقض مع وضع العلماء؛ إذ يناصب رجال الدين العلماء العداء[١].

وفي موضع آخر يقول: "إن التناقضات والمعلومات الخاطئة من وجهة النظر العلمية في العصر الحديث في نصوص الأناجيل قد غدت واضحة تمام الوضوح ويستحيل الدفاع عنها دفاعًا مجديًا مقبولاً، ويصاب المسيحيون الذين يكتشفون ذلك بكثير من الدهشة في العصر الحديث، لقد كان الجهد كبيرًا ومستمرًا طوال قرون من جانب رجال الكنيسة لإخفاء هذه التناقضات والمعلومات الخاطئة التي تتضمنها نصوص الأناجيل مستخدمين في ذلك بهلوانيات جدلية خادعة مسرفة في الخيال وفي امتداح الأخطاء بهدف التمويه والإخفاء"[٢].

ويذكر أدلة على هذا التناقض فيقول: "إذ نجد أن متّى ومرقس ولوقا ويوحنا الذين صاغوا نصوصهم فيما بين الأعوام ٧٠ و ١١٠ بعد الميلاد يسردون قصصًا غالبًا ما تكون مختلفة تمامًا، وكتب بولس رسائله قبلهم بعدة سنوات"[٣].

أيضاً يثبت موريس بوكاي أن القساوسة هم كتبة سفر التكوين فيقول: "فإن الناس كانوا يعتقدون أن النصوص المشار إليها هنا قد كتبها موسى نفسه إلا أنه في واقع الأمر نجد أن أطول أجزاء سفر التكوين (النص الكهنوتي) قد كتبها قساوسة في القرن السادس قبل الميلاد، وهناك رواية أخرى -النص اليهودي- قد يعود تاريخها إلى القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد"[٤].

كما يبين موريس بوكاي بأن مؤلفي الأناجيل أدخلوا أشياء غير صحيحة فيقول: "منذ القرن التاسع عشر كان الدين والعلم في الغرب في موقف التعارض، وكانت الحجة وراء ذلك تكمن في التناقض بين ما جاء في النص التوراتي وبين المعلومات العلمية، فإذا ألزمنا أنفسنا بالحقائق فإننا على كل حال سنجد أن هذا التعارض بين الاثنين لم يعد يعني شيئًا منذ اللحظة التي تقرر فيها المصدر البشري لهذا النص، ومن المهم أن نضع في اعتبارنا أنَّ المفسرين المسيحيين أنفسهم يعتبرون واضعي النصوص التوراتية ملهمين من الله، وعلى أي حال فمن المحتمل أن يكون مؤلفو التوراة قد أدخلوا أشياء غير صحيحة في نص الكتب دون أدنى إخلال أو خيانة لإلهامهم المقدس، فعدم الدقة هذه قد

(١) المرجع السابق، ص٢٦-٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨١.

(٣) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ ص١٥٦.

(٤) المرجع السابق، ص١٦.

تنشأ من لغة ذلك العصر أو من طريق الإشارة إلى ما كان متعارفًا عليه وموقرًا في هذه الحقبة من الزمن"[١].

كما يبين موريس بوكاي تعصب رجال الدين المسيحي رغم إدراكهم التناقضات فيقول: "وبالرغم من كل شيء نجد أننا لا نستطيع أن نتقبل الوحي المقدس المدوّن في الأناجيل ومعطياته التي أثبتت حقائق العلم أنها خيالية تمامًا من الدقة والصواب، ولقد كانت هنالك طريقة واحدة للتوفيق بين هاتين الوجهتين من النظر ألا وهي عدم اعتبار النص الموجود بالإنجيل المحتوى على معلومات غير صحيحة من الناحية العلمية نصًا أصيلاً صادرًا عن الله، ولكن هذا الحل لم يكن حلاً مقبولاً لدى رجال الدين المسيحي ورفضوا القبول به، وبدلاً من القبول بهذا الحل وجدنا أن رجال الدين المسيحي قد تعصبوا بشدة للاحتفاظ بتمام صحة كل النصوص في الكتاب المقدس، وكان من نتيجة ذلك أن ظل مفسرو الكتاب المقدس يتبنون مواقف يستحيل على العلماء القبول بها"[٢].

في حين مريم جميلة تبين ازدراء اليهود للأنبياء عليهم الصلاة والسلام في كتبهم فتقول: "بالنسبة لإسماعيل عليه السلام الذي كرمه القرآن ورفع من شأنه ووصفه بالصديقية، بينما ازدراه اليهود وحكموا عليه في كتبهم بأنه رجل الصحراء الوحشي الذي يداه ضد كل إنسان وكل يد إنسان ترفع ضده، إن ازدراء اليهود لإسماعيل كأب للعرب كان على أساس عنصري"[٣].

وتضرب لذلك أمثلة واقعية فتقول: "في يوم من الأيام أصبح نوح مخموراً جداً، وتكشف عندما كان مسترخياً في خيمته، فأتى ابنه حام فغطاه، ولأن حام رأى أباه متكشفاً أحال الرب لون بشرته إلى اللون الأسود، ولعن ذريته فأصبحوا عبيداً! كما وقع بنو إسرائيل فريسة للأفكار الوثنية؛ فصوروا أنبياءهم العظماء على أنهم مجرمين[٤] ومن أحط مراتب الخطاة، وهنا فقط عدة أمثلة لهذه القصص البذيئة تجدها في الطبعات الجديدة للعهد القديم: يقال إن النبي إبراهيم وجه يمين الولاء لغلامه عندما كان على وشك مغادرة بلاد ما وراء النهرين، وذلك بأن وضع يده تحت فخذه على طريقة الوثنيين، وزعموا أن النبي لوط اغتصب ابنتيه، بعد دمار سدوم وبدون خجل ولا حياء قالوا بأن هاتين البنتين

(١) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ ص٢١.

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص٢٦-٢٧.

(٣) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٣١.

(٤) (مجرمين) هكذا في النص، والصواب (مجرمون).

قد ولدن هؤلاء الأولاد غير الشرعيين من أبيهن واتهامهم للنبي يعقوب بخداع أبيه إسحاق، وزواجه من أختين في وقت واحد، وفي منزل يعقوب أنه اغتصب زوجة ابنه(١) تعالى الله عما يقولون".

كذلك ينتقد مراد هوفمان الكتاب المقدس بقوله: "لقد توصل البحث إلى نتيجة مفادها أن النصوص السبعة والعشرين التي يتضمنها العهد الجديد ليست حقيقية أو واقعية بكل ما تعنيه هذه الكلمة، أي أن يكون كاتبها معروفاً وأن يكون معاصراً لعيسى، ليس لدينا سوى روايات مصدرها الغرباء عن عيسى، ولكن هذه الروايات ليست مروية أو مكتوبة باللغة الأم، أي باللغة الآرامية، وليست صادرة عن شهود عيان، فكيف يتسنى لنا أن نعلم بما كان يريده أو يعنيه إن لم نكن حتى نعلم ماذا قال؟"(٢).

كما يذكر مراد هوفمان شاهداً على حالة تزوير في الكتاب المقدس فيقول: "ولقد تمكن الباحثون منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا من إثبات أن هذه الآية بالإضافة إلى الإصحاح الذي يتحدث عن الزانية في إنجيل يوحنا تعد من حالات التزوير البينة والواضحة والمهمة جدًا في العهد الجديد، وإنك لتجد على سبيل المثال في الطبعة الكاثوليكية للعهد الجديد التي أحتفظ بها، هذه الفقرة موضع الخلاف في الرسالة الأولى ليوحنا وهي بين قوسين معكوفتين، وإشارة في الهامش تقول: هذه الفقرة موضوعها ومضمونها صحيح؛ ولكنها إضافة وتكملة متأخرة"(٣).

كما ينتقد مراد هوفمان العهد الجديد بقوله: "وبما أن العهد الجديد هو مصدر ثانوي وليس أساسياً للمعلومات، فإنه لا يرتقي بحال من الأحوال إلى ما يرتقي إليه القرآن الكريم؛ بل يمكننا مقارنته مع مجاميع الأحاديث الضعيفة غير الصحيحة والمشكوك فيها فقط، وإذا أردنا أن نعطي مثالاً واضحاً جداً فيمكننا القول: إذا تمَّ تطبيق مبادئ البحث الإسلامي على العهد الجديد فإن كافة الرسائل التي كتبها القديس بولس سيتم حذفها منه؛ وذلك لأنه لم يرَ عيسى عليه السلام ولم يلْتقِ معه ولم يكلِّمْه على الإطلاق، وإذا أخذنا بعين الاعتبار التأثير الانتشاري بأن تفسير القديس بولس للأحداث التي أحاطت بحياة عيسى عليه السلام وأثرها على تطور الفكر العقدي للنصرانية، فيجب أن ينتسب النصارى اليوم إلى بولس فيقولون إنهم (بُولُسيون) (إذا أردنا مقارنتهم مع يهود النصارى

---

(١) مريم جميلة، الإسلام في مواجهة أهل الكتاب في الماضي والحاضر، ص ٣٣-٣٥.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٢١٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٩٧.

القدامى) والحق أقول: إن الهرطقة المسيحية اليوم وهي إعادة تفسير المسيح عليه السلام على أنه إله وفرضية أو نظرية التثليث وتحويله إلى جسد كل هذه بدأت مع بولس"(١).

يتبين من كل ما سبق أن المستشرقين الذين أسلموا قد وقفوا موقفاً مشرفاً وأدوا دوراً مضاداً للدور الذي كان يمارسه المستشرقون الآخرون الذين لم يسلموا، وحاولوا من خلال كتاباتهم بث التهم والشكوك حول الإسلام ونصوصه المقدسة، فكان تهجم المستشرقين المسلمين على أباطيل النصوص المقدسة خير ما يمكن أن يرد به عليهم، ويزعزع ثقتهم في صحة موقفهم، ويضعهم في حرج ديني وعلمي شديد لا يمكنهم أن يواجهوه أو يتهربوا منه.

□

(١) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص٦١-٦٢.

الإيجابية الرابعة: نقد عقيدة التثليث والتجسيد ومفهوم الخطيئة الموروثة في الديانة المسيحية واليهودية

قدم المستشرقون الذين أسلموا تحليلاً بناءً وهادفاً فيما يتصل بالديانة المسيحية واليهودية وهذه شهادة حق؛ لأنها صادرة من بني جلدتهم وشهد شاهد من أهلها، ثم قاموا بالمقارنة مع محاسن الإسلام لكي تكون أوقع في النفوس وأقوى في الحجة والبيان، ولهم أيضاً كتابات مشرقة فيما يتصل بنقد الخطيئة الموروثة والتثليث وبيان حقيقتها ومعارضتها للفطرة السليمة فنذكر أبرز ما جاء في كتاباتهم.

ينتقد لورد هدلي الديانة المسيحية فيقول: "أنبأنا التاريخ أن الكنائس المسيحية تطالب دائمًا بشدة أن يكون لها سلطة دنيوية ويمكننا هنا أن نشير إلى بيع المغفرة وتوزيع المعاشات الدسمة بدون جور أو حيف كي نبين فظاعة الأحوال المريعة التي كان يجب أن تكون أفضل ما تطمح إليه النفس، وكيف اختلطت باعتبارات لمكاسب دنيوية محضة سافلة، وإننا لا نذهب بعيدًا إذا قلنا بأن القسط الأوفر من هؤلاء الذين يزعمون بأنهم مسيحيون يعتبرون أن الديانة هي محض نظام أيام آحاد محترمة وحسنة لأنها تقدم لهم فرصًا استثنائية لعرض أحسن ملابسهم وأزيائهم والتكلم عن جيرانهم، وهذا الدين العجيب ينوي أخذهم إلى بعض من الجنة، ويتوقف مركزهم في هذه الجنة على المبلغ المدفوع على نظام دخول الناس دور التمثيل تمامًا- يجلسون بأجرة معينة في الألواح والطابق الأول وبأجرة أخرى في الصالات والكراسي الخ"(١).

ويستدل لورد هدلي بالآيات القرآنية على شرك اتخاذ الأرباب من دون الله فيقول: "هناك آيات في القرآن لا تترك شكًا في معناها وتطبق على جميع هؤلاء الذين يدخلون في دائرة السيادة الكهنوتية ويتخذون مخلوقات بشرية لإرشادهم ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة التوبة: ٣١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٣٤]. ديانة المسيح ليست تمامًا ديانة

(١) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٤٤-٤٥.

سانت بولس الذي أضاف إليها وغيرها تغييراً فاحشًا وقد ترجمت هيئات مختلفة هاتيك التعاليم وغيرت فيها من وقت لآخر"(١).

بينما ينتقد محمد أسد مفهوم الخطيئة بقوله: "أود أن أذكر مبدأين إسلاميين أساسيين يرتبطان بمسألة الخلاص أولاً: إن مفهوم الخطيئة الأولى بالمعنى المسيحي غريب تماماً على الإسلام بل إنه مرفوض مبدئياً؛ إذ يتنافى مع تعاليمه؛ لأن الإنسان مسؤول عن أفعاله فقط ولا يحمل خطايا آبائه، فالآيات في القرآن تترى في هذا الشأن منها ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤]. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الإسراء: ١٥]. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة فاطر: ١٨]. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الزمر: ٧]. ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة النجم: ٣٨]. لهذا فإن خلاص الإنسان ليس مرهوناً (بالتكفير بالإنابة) كما هو الحال في المسيحية، ليتحرر من وصمة أخلاقية يفترض أنها موروثة، ثانياً: ينكر الإسلام تماماً وجود صراع أصيل بين الجسد والروح، وهو صراع تعده المسيحية من أصل ما تسميه (الخطيئة الأولى) بل يعد الإسلام هذين الجانبين من الخير لأنهما من خلق الله وبإرادته وهما عنصران في طبيعة الإنسان لا ينفصلان"(٢).

وفي موضع آخر يقول: "ومن بين سائر الأديان نجد الإسلام وحده يتيح للإنسان أن يتمتع بحياته الدنيا إلى أقصى حد من غير أن يضيع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة، وهذا يختلف كثيراً من وجهة النظر النصرانية، إن الإنسان حسب العقيدة النصرانية يتعثر في الخطيئة الموروثة التي ارتكبها آدم وحواء، وعلى هذا تُعتبر الحياة كلها في نظر العقيدة على الأقل واديًا مظلمًا للأحزان"(٣).

أيضاَ يقارن محمد أسد المسيحة بالإسلام في مسألة الخطيئة الموروثة فيقول: "أما في الإسلام فإننا لم نعلم شيئًا عن خطيئة أصلية موروثة، من أجل ذلك ليس ثمة أيضًا غفران شامل للإنسانية فيه، إن المغفرة والغضب أمران شخصيان، إن كل مسلم رهين بما كسب فهو يحمل في نفسه جميع وجوه الإمكان للنجاة الروحية أو للخيبة الروحية، ولقد قال القرآن الكريم في النفس الإنسانية: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]. وقال في موضع آخر: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النجم: ٣٩]"(٤).

(١) المرجع السابق، ص٥٤-٥٥.

(٢) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص ١٦٥.

(٣) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٢٨.

(٤) المرجع السابق، ص٢٩.

كما يؤكد محمد أسد على عدم احتياج البشر إلى الخلاص فيقول: "لم يبدُ الإسلام لي ديناً بالمعنى المتعارف عليه بين الناس لكلمة الدين، بل بدا لي أسلوباً للحياة؛ ليس نظاماً لاهوتياً بقدر ما هو سلوك فرد ومجتمع يرتكز على الوعي بوجود الله الواحد، لم أجد في أيّةِ آيةٍ من آيات القرآن الكريم أيّةَ إشارة إلى احتياج البشر إلى (الخلاص) الروحي ولا يوجد ذكر (الخطيئة الأولى) لم أجد أي أثر يدل على الثنائية في الطبيعة البشرية، فالبدن والروح يعملان في المنظور الإسلامي كوِحْدةٍ واحدةٍ متكاملة"(١).

في حين تتحدث مريم جميلة عن مفهوم الخطيئة الموروثة فتقول: "والعقائد النصرانية كعقيدة الثالوث الأقدس الإله التي يزعم فيها أن الإله أبدى رحمته للبشر، بظهوره بصورة إنسان في شخص ابنه عيسى المسيح عليه السلام، وأن المسيح قد كفر عن خطايا البشر بمتاعبه وبموته المزعوم على الصليب، وأن صفة الإنسان شريرة بالوراثة وأن جميع الناس يولدون آثمين، وذلك بسبب الخطيئة الأولى لآدم وحواء ولا يتحقق خلاصهم إلا بالإيمان العميق بالمسيح كمخلص لهم، كل هذه العقائد غريبة عن التراث اليهودي الديني وهكذا، فإن العلماء المسلمين يقولون بأن هذه المبادئ في النصرانية اقتبست من الطقوس الوثنية الغامضة التي كانت واسعة الانتشار في أرجاء الامبراطورية الرومانية"(٢).

كما توضح مريم جميلة بأن الكنسية فقدت سلطانها بسبب معتقدات التثليث والتجسيد والخطيئة فتقول: "والرأي السائد عند الكتاب والعلماء المسلمين المعاصرين هو أن الكنيسة النصرانية في الغرب، فقدت سلطانها ونفوذها بسبب معتقداتها اللامعقولة في التثليث والتجسد والخطيئة الأولى، أو النظام الرجعي للكهنة، وما دام الإسلام مبدأ سهلاً مستقيماً خالياً من التعارض مع التقدم العلمي، ولا يعرف النظام الكهنوتي المتميز عن جمهور المسلمين، فإن ديننا في مأمن من النوازل التي حلت بالنصرانية"(٣).

أيضاً تنتقد مريم جميلة بعض العبادات عند اليهود فتقول عن الصلاة: "هذا هو جوهر الصلاة في اليهودية، وربما نسميها صلاة سياسية أو صلاة ذات هدف؛ لكنها أيا نسميها صلاة موجهة ضد

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٩٣.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥٣-٢٥٤.

المسلمين، وهذه الصلاة تعرفنا أن صلاتهم تعني ضياع القدس وسقوط الخلافة ونشر اللادينية وزوال حكم الإسلام ثم ضياع الصلاة بين المسلمين، إنها صلاة ضد الصلاة"(١).

وتقول مريم جميلة عن الصيام: "نأتي إلى الصيام عند اليهود وهو عندهم للتكفير وإبداء الندم على الذنوب يوماً واحداً عرفناه هو يوم حرب رمضان التي انتصرنا فيها فأسميناها أسماء وثنية (أكتوبر وتشرين)، لكيلا يغضب أعداء الدين ولأن العلمانيين أنكروا المدد الإلهي ولكيلا نحيي روح الجهاد الإسلامي؛ أما هم فكادوا ينهزمون فيها ومع ذلك احتفظوا باسم يوم صومهم: يوم الغفران أو يوم كيبور، وهناك يوم آخر يصومونه عندهم هو التاسع من شهر آب اليهودي ذكرى تدمير الهيكل للمرة الثانية على يد الرومان عام ٧٠ ميلادي، وهدف صيامه الذكرى والحزن والتضرع لإعادة الهيكل وهذا الغرض الأخير يذكرنا بالصلاة السياسية ويعيدنا إلى التدبير ضد المسجد الأقصى"(٢).

وتقول مريم جميلة عن الزكاة: "الزكاة موجودة في اليهودية بلفظ يقارب اللفظ العربي وتوجبها شريعة موسى بنسبة عشر غلة المحاصيل، بل وتأمر بترك أطراف الحقول غير مجنية للفقراء، فكل ما يملكه الإنسان بما فيه جسده معار إليه من الخالق، وتصرف المخلوق فيه لمصلحة الفقراء هو لتأكيد التوزيع العادل لنعم الإله"(٣).

وتقول مريم جميلة عن الحج: "الذي لا يوجد في اليهودية إلا على شكل زيارة الحائط المبكي ونواح ودعاء وذكرى عنده، أي حج سياسي يضاف إلى الصلاة والصيام من أجل عودة القدس وبناء الهيكل، وهذا يعني أن شعائر هذا الدين ترتبط بالقدس أيما ارتباط مما يعني أن التخلي عنها أو حتى مشاركة المسلمين فيها ليست سوى وهم كبير وأن المسجد الأقصى الذي صلى فيه السادات تحت حراب اليهود مستهدف عندهم بالتخريب في صلاتهم وصيامهم وحجهم، وإذا كان حجهم إلى ذكرى المعبد وقدس الأقداس فهم أكثر الناس طعناً في الحج الإسلامي بتصويره على أنه من بقايا الوثنية العربية"(٤).

بينما ينفي مراد هوفمان مفهوم وراثة الخطيئة بالأدلة فيقول: "كنت بهذه الخطوة قد حسمت يقيني بإمكانية بل بضرورة الوحي والدين، ولكن أي دين؟ وأي عقيدة؟ هل هي اليهودية أو المسيحية

(١) محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، ص٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص٥٤.

(٣) المرجع السابق، ص٥٥.

(٤) المرجع السابق، ص٦٠-٦١.

أو الإسلام؟ وجاءتني الإجابة من خلال تجربتي الثالثة التي تتلخص في قراءتي المتكررة للآية (٣٨) من سورة النجم: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨﴾ [سورة النجم: ٣٨]. ولابد من أن تصيب هذه الآية بصدمة شديدة كل من يأخذ مبدأ حب الآخر الوارد في المسيحية مأخذ الجد، لأنه يدعو في ظاهر الأمر إلى النقيض، ولكن هذه الآية لا تعبر عن مبدأ أخلاقي وإنما تتضمن مقولتين دينيتين تمثلان أساسًا وجوهرًا لفكر ديني هما: ١/ أنها تنفي وتنكر وراثة الخطيئة.

٢/ أنها تستبعد بل وتلغي تمامًا إمكانية تدخل فرد بين الإنسان وربه وتحمل الوزر عنه.

والمقولة الثانية هذه تهدد، بل وتنسف مكانة القساوسة وتحرمهم من نفوذهم وسلطانهم الذي يرتكز على وساطاتهم بين الإنسان وربه وتطهيرهم الناس من ذنوبهم، والمسلم بذلك هو المؤمن المتحرر من جميع قيود وأشكال السلطة الدينية؛ أما نفي وراثة الخطيئة وذنوب البشر، فقد شكل لي أهمية قصوى لأنه يفرغ التعاليم المسيحية من عدة عناصر جوهرية مثل: ضرورة الخلاص والتجسيد والثالوث والموت على سبيل التضحية"(١).

ويؤكد على هذه المسألة في موضع آخر فيقول: "أما الإسلام، فإنه يرفض هذه النظرة للخطيئة الأولى، لأنها منطلقةٌ من فشلِ ما خلق الله أي أن خَلْقَهُ (آدم وحواء) خَلْقٌ سيء، فهذا افتراءٌ على الله، مناقضٌ لمبدأ قرآني رئيسٍ في الإسلام ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤]. بل إن الفرد ليس مسؤولاً عن وزر الجماعة أو القبيلة المنتمي إليها، هذه التصورات تناقض ما يعرفه الإسلام عن ذات الله الرحمن الرؤوف الرحيم، الحكم العدل، إن الإسلام يرفض رفضًا قاطعًا الحاجة للمُخَلِّص أو الخلاص"(٢).

ويستدل مراد هوفمان من القرآن الكريم على رفض عقيدة التثليث فيقول: "أما التثليث فيرفضه القرآن رفضًا قاطعًا: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾ [سورة المائدة: ٧٢]. والآيات نفسها تؤكد بشرية مريم، وترفض تقديسها إلى درجة التأليه: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝١١٥ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٥٢-٥٣.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٥٩.

أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة المائدة: ١١٥-١١٨]. وإن القرآن يثبت رفع عيسى إلى السماء ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٨]، لكن ليس كما ورد في الأناجيل بعد موته المزعوم على الصليب: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٧-١٥٨]"[١].

أيضاً يذكر مراد هوفمان الجذور التاريخية للتصور اليهودي لله وما حدث في مجمع نيقية فيقول: "والمعروف أن المجتمع المسكوني المنعقدَ في نيقيه (بآسيا الصغرى) عام ٣٢٥م لم يلتزم أو يحترم التصور اليهودي لله، وهو تصور عيسى والمسيحيين الأوائل لله أيضًا، فأصدر ذلك المجمعُ قرارًا، ليس له طبيعة الإعلان وإنما طبيعة الدستور الملزم، وذلك بشأن مسألة التثليث، فبعثها وتبناها بصفتها عقيدةً أساسية؛ أما كافة الآثار والمخطوطات التي عارضت عقيدة التثليث هذه، فقد تم التخلص منها أو قُلْ إعدامها"[٢].

وفي موضع آخر يذكر بالتفصيل ما حدث في مجمع نيقية فيقول: "المدينة التي كانت تُعْرَف باسم نيقية، وهي ليست بعيدة عن إسطنبول، وبعد فترة قصيرة من احتلال الصليبيين بشكل كامل للقسطنطينية عام ١٢٠٤م، فقد لعبت هذه المدينة النائمة التي يكثر فيها الغبار دور عاصمة المنفى للإمبراطورية البيزنطية، إلا أن الأهم من ذلك أن هذه المدينة شهدت خَتْمَ القَدَرَ الديني للبشرية عام ٣٢٥م، وبإمكان المرء حتى الآن أن يحدد المكان الذي اجتمع فيه غالبية الأساقفة الذين حضروا المؤتمر الأول لنيقية (١٩حزيران/يونيو-٢٥ آب/ أغسطس عام ٣٢٥م) وتبنوا بشكل صارمٍ العقيدة النيقاوية الأصلية التي نصت على أن الله (الأب)، وعيسى المسيح عليه السلام (الابن) متحدان في طبيعة واحدة (أستغفر الله العظيم، وحاشا لله أن يكون ذلك)"[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص٥٣-٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص٥٥.

(٣) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص٩٣.

ويشنع مراد هوفمان على بشاعة هذه الفكرة والتصور فيقول: "وبدا لي أن تصور فشل الله في خلقه، وعدم قدرته على تغيير ذلك إلا بإنجاب ابن والتضـــحية به- أي إن الله يتعذب من أجل الإنســـانية- أمر فظيع ومروع، بل وتحريف وإهانة بالغة، وبدت لي المســيحية وكأنها تعود لترتكز في أصولها على أساطير متنوعة ومتعددة، وتبين لي جلياً الدور الخطير والشرير الذي أداه بولس الرسول. لقد قام بولس – الذي لم يعرف المسيح أبداً ولم يصاحبه في حياته- بتغيير بل بتزوير التعاليم اليهودية – المسيحية التي صاغها برنابه وترى في المسيح أحد رسل الله وأنبيائه، وتيقنت أن المجلس المالي، الذي انعقد في نيقية عام ٣٢٥م، قد ضل طريقه تماماً، وحاد عن الصواب وتعليمات المسيحية الأصلية، عندما أعلن أن المسيح هو الله، واليوم أي بعد مرور ما يزيد على ستة عشر قرناً، يحاول تصحيح هذا الخطأ بعض علماء اللاهوت الذين يتمتعون بجرأة شديدة"(١).

كذلك يبين مراد هوفمان سـبب اعتناق الشـعوب الإسـلام نظراً لرفض الطبيعة الإلهية ورفض التثليث فيقول: "لقد كانت ثمة أسباب أو حوافز مختلفة لاعتناق تلك الشعوب الإسلام؛ لكن واحداً منها بعينه على جانب عظيم الأهمية وإن لم يتفق مع مفاهيم الغرب المسيحي ألا وهو اعتناق كثير من النصـــارى أنفســـهم للإســـلام، لأنه يتفق مع اعتقادهم في رفض الطبيعة الإلهية للمســـيح، ورفض التثليث"(٢).

فيما سبق تبين أن لورد هدلي ينتقد الديانة المسيحية، في حين أن محمد أسد ومريم جميلة ومراد هوفمان قاموا بالنقد حول مفهوم الخطيئة الأولى وعقيدة الخلاص، ووجهوا نقدهم أيضـــاً إلى عقيدة التثليث ومفهوم التجســـيد، وذكروا الجذور التاريخية لها وما حدث في مجمع نيقية، بينما تفردت مريم جميلة بنقد بعض العبادات عند اليهود كالصلاة والصوم والزكاة والحج.

□

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٥٤-٥٥.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢٢.

الإيجابية الخامسة: نقد النظريات الحديثة المنحرفة والمذاهب الهدامة.

من الإيجابيات التي ينبغي إظهارها في مناهج المستشرقين الذين أسلموا، نقدهم البناء للنظريات الحديثة والمذاهب الهدامة المنتشرة في الغرب، وعياً وتبصيراً لمجتمعاتهم أولاً، وسعياً في سبيل إظهار الحقائق لهم ثانياً، وفيما يلي بيان لأهم أقوالهم فيما يتصل بهذا الجانب:

١/ النزعة الفردانية.

ينتقد عبد الواحد يحيى النزعة الفردانية في الحضارة الغربية فيقول: "هو حضارة قائمة برمتها على أمر سلبي تمامًا أي على ما يمكن تسميته بغياب مبدأ؛ وهذا بالتحديد الذي يطبع العالم الحديث بطابع شاذ غير سويّ، يجعل منه نوعًا من الشكل البشع الممسوخ ولا يمكن فهمه إلا باعتباره مناسبًا لنهاية دورة كما سبق بيانه في بداية الكتاب، إذن فالنزعة الفردانية -بهذا التعريف- هي السبب الحاسم في الانهيار الراهن للغرب لأنها هي نوعًا ما المحرك لتطور أحط مَلَكات الإنسان حصريًا"(١)، "والفردانية تقتضي أولاً إنكار الإلهام الروحاني (والوحي الإلهي)، بمقتضى إنكار الإلهام الروحي (والوحي الإلهي) رُفِع العقل فوق كل شيء، وجُعِلت هذه الملكة البشرية الصرفة والنسبية القسم الأعلى للإدراك، بل اختُزل هذا الأخير بتمامه فيها؛ وهذه هي النزعة (العقلانية)"(٢).

كما ينتقد روجيه دوباسكويه النزعة الفردانية لدى الغرب فيقول: "(الفردانية) هو إنكار أيّ مبدأ أعلى من الفرد وبالتالي فهو اختزالٌ لجميع ميادين الحضارة في نطاق العناصر البشرية الصرفة وحدها؛ فهي إذن في صميمها نفس ما سُمِّي في عصر النهضة باسم النزعة الإنسانية"(٣).

٢/ نظرية دارون

ينتقد موريس بوكاي نظرية دارون فيقول: "لقد قدم داروين حججه بطريقة بارعة، وغالبًا ما يكون الحذق والبراعة أكثر تأثيراً من تماسك الحجج ورسوخها، كما ينبغي ألا نغفل ارتياح (رضاء) علماء معينين ممن أسرعوا باستخدام نظرية داروين في التشكيك في تعاليم التوراة في شأن أصل الإنسان وثبات الأنواع، والواقع أنه في مجال تطور الأنواع استخدمت نظرية داروين في إثبات انحدار الإنسان من سلالة القردة الكبيرة وحقيقة الأمر أن الأصل الحيواني للإنسان واحدة من بنات أفكار

(١) عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث، ص ٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٩.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٠١.

هيكل التي قدمها في سنة ١٨٦٨م، وقد كان داروين دائمًا وثنًا من أوثان الترسانة الإلحادية وكان دائم الاستعداد لدعم أفكار تدعم ما يذهبون إليه"(١).

كما ينقل موريس بوكاي اعتراضاً لبعض العلماء فيما يتصل بنظرية دارون؛ إذ يقول: "ويقوم ذلك الاعتراض على أن الموت لا يميز دائمًا، فالموت لا يصيب دائمًا الأضعف ويُبْقى على الأقوى مثلما يريد داروين أن يقنعنا به، ولماذا تتطور هذه الدفعة بالذات بصورة معتادة بينما لا يتطور غيرها، إن الحيوانات حين تقتتل لا يكون المنتصر دائمًا هو الأقوى أو من هو أكثر عدة؛ إذ أن النسبة المئوية للحيوانات التي تنتصر تتوقف على عوامل مختلفة مثل الصدفة والظروف والملابسات؛ أما عن فكرة الانتقاء الجنسي فإنه محل نقد كبير وعرضة للأخذ والرد، فإنه من غير الواقعي أن نتخيل أن الإناث تختزن دائمًا الذكر الأقوى؛ لأن عنصر الصدفة في مثل هذه اللقاءات والارتباطات يفوق عنصر التفضيل الفردي"(٢).

بينما يوضح مارتن لينجز الخطأ العلمي لنظرية دارون قائلاً: "تدين نظرية داروين نجاحها في الدرجة الأولى لاقتناع واسع الانتشار بأن الإنسان الأوروبي في القرن التاسع عشر يمثل أعلى إمكانية إنسانية أمكن الوصول إليها حتى ذلك الوقت، هذا الاقتناع كان مثل الإناء الخاص المصنوع مقدمًا لنظرية أسلاف الإنسان الدون بشرية، نظرية كانت قد نادى بها علماء الفلسفة الإنسانية دون أي تساؤل كبرهان علمي إضافي لاعتقادهم بالارتقاء، كان عبثًا أن أقليةً مخلصةً من العلماء خلال المئة عام الأخيرة حافظوا بإصرار على أن نظرية التطوّر ليس لها أساس علمي وعلى أنها تجري عكس حقائق كثيرة معروفة"(٣).

أيضاً يناقش مارتن لينجز هذه النظرية بمسلمات علمية فيقول: "الحقيقة هي كما يجب أن يكون داروين قد عَلم، أن أي إنسان يمكنه أن ينمي مع الممارسة، إذا قادته الظروف قوى معينة للإمساك بالأقدام، ولكن ذلك النمو يمكن فقط أن يكون في حدود ضيّقة؛ لأن القدم البشريّة عضوياً، خلافًا لليد البشريّة، لم تصنع للإمساك بالأشياء، فقد صنعت لتستخدم كقاعدة لوضع جسم الإنسان مستقيمًا ومشيته، في حين أن قدم القرد قادرة عضويًا على الإمساك بالأشياء مثل

---

(١) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ ص٤٤-٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤٩.

(٣) مارتن لينجز، معتقدات قديمة وخرافات حديثة، ص١٤.

اليد، في القدم البشريّة الرباط المستعرض يربط جميع أصابع القدم معًا، في حين أنه في حالة القرد يترك إبهام القدم حرًا مثل إبهام اليد"[١].

أيضـــاً ينتقد مراد هوفمان نظرية دارون فيقول: "وتُعَدُّ بعض الطرق الســـوقية والفجة لنشـــر نظريات علمية عاملاً أساسيًا في هذا التطور، فنظرية داروين على سبيل المثال تجعل البعض يؤمن بأن كل شـيء ما هو إلا نتيجة لسـلسـلة من التطورات تقع بمحض الصـدفة، والتي يمكن إعادتها بطريقة عكسية"[٢].

كما ينتقد الداروينية في موضع آخر فيقول: "اعتقد بعض المسلمين في العصر الحاضر، مثلهم مثل كثير من المســـيحين الأصـــوليين، أو ما يطلق عليهم اســـم الخلقيين بأن عليهم رفض النظرية الداروينية حول التطور البطيء للعالم، باعتبارها تناقض نظرية الخلق، وقد احتد هذا الجدال خاصـــةً وأن الداروينية لم تستطع أن تقدم البرهان على نظريتها الجوهرية حول التطور من خلال التحول، ومن جهة أخرى لم تعد هناك صـعوبات لدى الجيل الذي يتعلم باسـتخدام الكمبيوتر أن ينظر إلى مســار عملية الخلق المعقدة والمبرمجة"[٣].

٣/ الفرويدية.

تنتقد مريم جميلة نظرية فرويد النفســية فتقول: "وأبرز شــخصــية في العصــر الحديث اهتمت بالصـــحة العقلية هو ســـيجموند فرويد[٤] ١٨٥٩م-١٩٣٩م، والعلاج النفســـي للأمراض العقلية والعصبية إلى هذا اليوم يحدد على أسس نظرياته إلى حد كبير، ولقد اعتقد فرويد استناداً إلى الأساطير اليونانية الوثنية أن السلوك الإنساني يرجع إلى حد كبير لدوافع قهرية غريزية في العقل والباطن، وتكاد تكون جنسية على الإطلاق والاضـطرابات العقلية في رأيه ترجع لقهر الدوافع الجنسية التي لا يرضـى عنها المجتمع المتمدين، وتزعم نظرية فرويد أن العقل البشـــري حتى في طفولته المبكرة مملوء بالعواطف

(١) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص٢٨.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣٠.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٤٨.

(٤) ولد سيجموند فرويد في ٦ مايو ١٨٥٦م في تشيكوسلوفاكيا الحالية من والديْن يهوديين، وتلقى تربيته الأولى على يدي مربية كاثوليكية، ونشأ يهوديًّا، واشتهرت نظريته بالفرويدية: وهي مدرسة في التحليل النفسي وتفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسيًّا، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء، كما أنها تعتبر القيم والعقائد حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي مما يورث الإنسان عقداً وأمراضاً نفسية، والأسس الثلاثة التي تركز عليها المدرسة التحليلية هي: الجنس – الطفولة — الكبت، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ (٨٢٢/٢– ٨٢٥).

المدمرة لصـــاحبه وللغير، وإن كل ما حققه الجنس البشـــري روحياً ومادياً ليس إلا تصـــعيد الدافع الجنس"(١).

وفي موضع آخر تقول: "فأَوَّلُ واجب يواجه علماء المسلمين هو شجب كل الفلسفات الخاطئة التي تحكم العالم في الوقت الحاضر، تلك هي جدليات سقراط(٢) وأفلاطون(٣) وأرسطو(٤) التي تنكر صـــلاحية الحقيقة الكاملة الواقعية المبنية على الوحي الإلهي، وتمجد الريبة والشـــك والهرطقة على أنها من الفضائل تحت شعار البحث العقلي والحرية الفكرية والانتهازية السياسية، والمبادئ الفرويدية التي تدعو للانطلاق الجنســـي على أن ذلك هو ذروة الكمال للفرد والأمة والنظرية الماركســـية التي تنادي بأن يكون الانتعاش الاقتصادي هو الهدف الأول للسياسة العامة، والذي يجب أن يضحي من أجله أو تخضـــع له كل القيم الأخرى، والتي تقول بأن المثل الثقافية الأمة ما تتبع حالتها المادية، وأن التقدم الروحي والأخلاقي يعتمدان على التقدم المادي، وفوق كل ذلك فإن شبح التقدم المتطور كما وضعه داروين في أصل الأنواع، فكل هذه الأباطيل يجب أن تشجب تفصيلاً نقطة بعد نقطة، بأسلوب هادئ علمي وبحجج منطقية مقنعة، وفي نفس الوقت مقروءة جذابة قادرة على تحويل انتباه الجماهير الكبيرة، وعلى العلماء المســـلمين في نفس الوقت أن يتمســـكوا بالمثل المطلقة لحاكمية الله، وضـــرورة الطاعة دون ســـؤال لشـــريعته المنزلة الثابتة، وفكرة الحلال والحرام والحدود والحجاب والجهاد، وذلك ليقنعوا الناس بمزاياها الجوهرية دونما أي أثر للدفاع عنها"(٥).

كذلك ينتقد مراد هوفمان النظرية الفرويدية قائلاً: "أســـهمت الفرويدية بكل تأكيد في المادية الإلحادية بقدر ما أسـهمت الداروينية في كلتا الحالتين قام اسـتخدام فظ للعلم في الترويج لنظرياتهما، وأقنع فرويد نفسه بالآتي:

- الظاهرة النفسية حددتها من قبل حياة الفرد.

---

(١) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٤٧.

(٢) سقراط: فيلسوفٌ يوناني (٤٧٠ – ٣٩٩ ق.م) يُعَدُّ أبا الفلسفة اليونانية. اشتهر بمنهج (التوليد) الذي يقضي باستخراج وبعث الأفكار من النفس بتوجيه الأسئلة إليها، لم يترك مؤلفاتٍ كتبها في بخطّ يده؛ لأن تعليمه كان ينحصر بالتحدث إلى تلاميذه، انظر: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق سورية الطبعة: ١٤٢٣هـ، ص٤١.

(٣) أفلاطون: فيلسوفٌ يوناني (٤٢٨ – ٣٣٨ ق. م). من أهمّ تلاميذ سقراط، دوّن في بعض المؤلفات العديدة التي تركها أحاديث (سقراط) ومناقشاته مع فلاسفة عصره، انظر: المرجع السابق ص٤١.

(٤) أرسطو: فيلسوفٌ يونانيّ (٣٨٤ – ٣٢٢ ق. م) درس على أفلاطون، وكان يعتقد أن الفلسفة تنظم المعرفة البشرية بكاملها، وكان له أثرٌ كبيرٌ في الفكر العالمي، من الفلسفة العربية حتى الفلسفة المعاصرة، انظر: المرجع السابق ص٤٢.

(٥) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٢٤٦-٢٤٧.

- ينشأ الدفع الحاسم من اللاوعي، حيث لا تعمل قوانين الزمان والمكان والمنطق.
- يتعرض الفرد لعدة دوافع، الدافع الجنسي هو محورها، والوسيلة الوحيدة لكبحها هي بتساميها.
- مبدأ الشهوة له اليد العليا في حكم حياة البشر"(١).

٤/ الماركسية

يبين مراد هوفمان إخفاق الماركسية فيقول: "بعد الوصول للسلطة في الاتحاد السوفيتي، أوروبا الشرقية، ألمانيا الشرقية، الصين الحمراء، فيتنام، كوبا، أخفقت الماركسية اللينينية الستالينية والمادية بشكل مخزٍ في المجالات السياسية والاقتصادية، حتى إن الاشتراكية كنظرية ذات مصداقية، اختفت تقريبًا من العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي"(٢).

وينتقد مراد هوفمان الماركسية بشكل منطقي فيقول: " تتطلب الماركسية المادية قبول النقط الست التالية:

١- هناك موضوع للمادة مستقل عن وعي الفاعلين.
٢- يمكن تفسير الكون دون الرجوع لعناصر غير مادية.
٣- لا يوجد إله.
٤- لا وجود لعالم المثال [عالم للأفكار خارج العالم الحسي].
٥- لا يوجد سوى المادة.
٦- الأفكار غير مستقلة عن المادة"(٣).

٤/ النفعية.

ينتقد مراد هوفمان النفعية فيقول: "قد أصبحت نفعية بشكل قاطع في القرن (١٩) وفقًا لتعريفهما الخير هو النافع والفعال في الحصول على أقصى درجات السعادة عن طريق إنتاج أقصى كمية من البضائع لأكبر عدد من الناس، السعادة للعالم لم تكن بالطبع تعني الاستبعاد الدائم للإنسان، أصبح الإشباع المادي للإنسان في الجنة الأرضية هو نهاية المطاف، في هذا السياق تتحول الرفاهية السابقة إلى ضروريات ويجد الإنسان نفسه في حلقة لولبية لا نهائية من عدم الرضا، أصبح

(١) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص٥٢.
(٢) المرجع السابق، ص٥.
(٣) المرجع السابق، ص١٤.

الكم والإدراك الحسي للأشياء هما فقط مالهما الاعتبار، وفي الواقع النفعية هي التي قادت إلى الغلو الذي أنجب الماركسية، وكما رأينا فقد تنبأ ماركس أن الرأسمالية بدون التصحيح سوف تدمر نفسها ويبدو من قيام الشركات العملاقة وفترات الكساد الطويلة أنه على حق"(١).

٥/ الشيوعية.

ينتقد مراد هوفمان الشيوعية بالأدلة المنطقية فيقول: "كانت الشيوعية أول محاولة في العصور الحديثة لتغيير وتنظيم بشكل كامل، ليس فقط الدولة والاقتصاد والمجتمع، بل حياة كل أفراد البشرية، لم تكن محاولة لتطهير العالم من كل أعداء الشيوعية، ولكن لخلق الإنسان الاشتراكي الجديد، الملخص للعدل الاجتماعي والمساواة، ولتحقيق ذلك سولت الشيوعية لنفسها ارتكاب أبشع الجرائم ضد الإنسانية، فقد قامت الأنظمة الشيوعية تحت حكام مستبدين لا تعرف الرحمة طريقًا لقلوبهم بقتل ما يقارب مائة مليون نفس بشرية فيما يمثل عملية تطهير عرقي طبقي دموي، كذلك أخفقت الشيوعية في المجال الذي اعتبرته مزيتها الكبرى: الاقتصاد عندما كنت أعمل في السفارة الألمانية في بلجراد كان الناس يعددون المعجزات الست لنظامهم الاقتصادي:

١- لا توجد بطالة؛ ولكن لا أحد يعمل.
٢- لا أحد يعمل؛ لكن الكل يتقاضى مرتبًا.
٣- الكل يتقاضى مرتباً؛ لكن لا يستطيع أحد شراء شيء.
٤- لا يستطيع أحد شراء شيء؛ لكن البعض لديه كل شيء.
٥- البعض لديه كل شيء؛ لكن الكل ساخط.
٦- الكل ساخط؛ لكن الكل يصوت للنظام في الانتخابات.

كانت الشيوعية خلال القرن العشرين باستثناء السنوات العشر الأخيرة أكبر تهديد لحقوق الإنسان ورفاهيته الاجتماعية"(٢).

وفي موضع آخر يقول: "يزعجني كثيراً أن أقابل أكاديميين في قلب مدينة القاهرة في أيامنا هذه على سبيل المثال لا يزالون متعاطفين مع يوتوبيا اشتراكية، بعد كل الفظائع التي ارتكبتها النظم التي حاولت تحقيق تلك الاشتراكية، تلك الفظائع التي يصعب تصويرها بالكلمة، أحاول إقناع أولئك

(١) المرجع السابق، ص٧٢.
(٢) المرجع السابق، ص٢٣.

الناس بأن الشيوعية سقطت ليس بسبب خطأ في التطبيق، ولكن لأنها قامت أساسًا على مقدمات خاطئة، كان هذا واضحًا من البداية، بالطبع لمن يريد أن يرى"[1].

(١) المرجع السابق، ص٨.

الإيجابية السادسة: الرد على من يزعم بديمقراطية الإسلام وإساءة استخدام المصطلحات الغربية

من الأمور الإيجابية التي ينبغي دراستها وإظهارها في مناهج المستشرقين الذين أسلموا، قيامهم بالرد على من يزعم بديمقراطية الإسلام وكذلك إساءة استخدام المصطلحات الغربية، وفيما يلي بيان لأهم مقولاتهم في هذا الشأن:

فهذا محمد أسد ينتقد القائلين بأن الإسلام يدعو إلى الديمقراطية؛ إذ يقول: "إن من أهم الأسباب في اضطراب الصورة التي تسود اليوم الأذهان عن الدولة الإسلامية هو أن المنادين بضرورة قيام هذه الدولة والذين يخاصمونها على حد سواء يخطئون في استعمال المصطلحات السياسية الغربية للدلالة عن فكرة تختلف في حقيقتها عن فكرة الدولة الإسلامية، فكثيرًا ما نلاحظ فيما يكتبه بعض الكتاب المسلمين المعاصرين تأكيدهم بأن "الإسلام يدعو إلى الديمقراطية"، ويذهب فريق آخر إلى القول بأن الإسلام يستهدف إقامة مجتمع "اشتراكي"، كما يزعم كثير من كتاب الغرب أن الإسلام يعضد نظرية الحزب الواحد، هذه النظرية التي تؤدي إلى الدكتاتورية المطلقة، وهذه المحاولات السطحية في البحث عن مصطلحات سياسية تصلح للنظام الإسلامي ليست متناقضة مع بعضها بعضًا فحسب وليست عديمة الجدوى من الناحية العلمية فقط، ولكنها تنطوي على خطر أكيد، لما تنطوي عليه من الخطأ في النظرة إلى مشاكل المجتمع الإسلامي من زاوية التجارب التاريخية الغربية وحدها، الأمر الذي قد يؤدي إلى تخيل تطورات قد تكون صحيحة أو مغلوطة- بحسب وجهة نظر الشخص المراقب- ولكنها قد لا تقع مطلقًا في داخل نطاق نظرة الإسلام الكبرى"(١).

كما يوضح محمد أسد عدم صلاحية استخدام هذه المصطلحات حيث يقول: "مما سبق يتبين في جلاء أنه حتى في الغرب فإن مصطلحات الديمقراطية والحريات الديمقراطية تستعمل، وقد استعملت فعلاً للدلالة على معان متفاوتة كل التفاوت، وعلى هذا فإن تطبيقها سواء في صيغة الإثبات أو النفي على نظرية الإسلام السياسية قمين بأن يخلق نوعًا من الغموض بالإضافة إلى أنه من خداع الألفاظ"(٢).

أيضاً يكشف محمد أسد خطورة استخدام هذه المصطلحات لأنه يسبب نوعاً من الغموض والالتباس فيقول: "وعلى هذا يمكننا القول أنه من باب التضليل المؤذي إلى أبعد الحدود أن يحاول

(١) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص٤٥-٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص٥٠.

الناس تطبيق المصطلحات التي لا صلة لها بالإسلام على الأفكار والأنظمة الإسلامية، إن للفكرة الإسلامية نظامًا اجتماعيًا متميزًا خاصًا بها وحدها يختلف من عدة وجوه عن الأنظمة السائدة في الغرب، ولا يمكن لهذا النظام أن يدرس ويفهم إلا في حدود مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة، وأن أي شذوذ عن هذا المبدأ سوف يؤدي حتمًا إلى الغموض والالتباس بدلاً من الوضوح والجلاء حول موقف الشرع الإسلامي تجاه كثير من القضايا السياسية والاجتماعية التي تشغل الأذهان في الوقت الحاضر"[١].

كذلك يبين محمد أسد عدم الحاجة إلى استخدام هذه المصطلحات في الإسلام حيث يقول: "لا بد لنا من أن نثبت أن النظام الاجتماعي والسياسي في الإسلام يستهدف المساواة والعدالة بين المواطنين جميعًا مسلمين كانوا أو غير مسلمين، وإننا خلال جهودنا لإقامة الدولة الإسلامية الحقيقية فإننا نحن المسلمين نعمل في ظل الاعتبارات الأخلاقية وحدها وبوحي منها فحسب.

إن من واجبنا أن نثبت للعالم كله أننا قد عقدنا العزم، صادقين على أن نحقق قول الله عزّ وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]. إن أهليتنا لهذه المكانة تتوقف على ما عندنا من الاستعداد للكفاح، دائمًا وفي جميع الأحوال والظروف، لإقامة معالم العدل ومحاربة الظلم في كل صوره وبالنسبة لجميع الناس، وهذا سوف يستبعد من الأذهان كل احتمال في أن يجحف المجتمع الإسلامي الحقيقي بحقوق المواطنين من غير المسلمين"[٢].

بينما ينتقد عبد الواحد يحيى مفهوم الديمقراطية؛ إذ يقول: "إذا كان تعريف الديمقراطية هو أنها حكم الشعب بنفسه، فهي من المستحيلات الحقيقية ولا يمكن أن توجد حتى كمجرد أمر واقع سواء في عصرنا أو في أي عصر آخر؛ ولا ينبغي أن ينخدع المرء بالكلمات فمن التناقض الاعتراف بأن يكون نفس الأشخاص حكامًا ومحكومين في نفس الوقت لأنه باستعمال المصطلح الأرسطي (نسبة إلى الفيلسوف اليوناني أرسطو) لا يمكن لنفس الكائن في أن واحد أن يكون بالفعل وبالقوة من نفس الوجهة، فهنا علاقة تفترض بالضرورة وجود طرفين بالقوة: أي يستحيل وجود محكومين دون وجود حكّام، حتى لو كان حكمهم غير شرعي ولا حق لهم فيه سوى الدعوى الباطلة، غير أن البراعة الكبرى للحكام، في العالم الحديث، هو جعل الشعب يعتقد أنه يحكم نفسه؛ وينساق الشعب إلى

(١) المرجع السابق، ص٥٢..

(٢) المرجع السابق، ص١٧٢.

الاقتناع بهذا الاعتقاد بطمأنينة تزداد كلما تضـــاعف إطراؤهم على ذلك، وهو على أي حال عاجز عن التفكير ليدرك أن ذلك مســـتحيل، ولخلق هذا الوهم ابتدعوا الانتخاب العام الذي يُمثِّل رأي الأغلبية التي يُفترض أنها صـــانعة القانون؛ ولكن الذي يجهلونه هو أن هذا الرأي من اليســـير جدّا تســيره وتغييره؛ فبواســطة إيحاءات مناســبة يمكن دائمًا إحداث تيارات من الإيحاء موجهة في منحى معين أو في آخر"[١].

(٢) عبد الواحد يحيي، أزمة العالم الحديث، ص ٨٥-٨٦.

المبحث الثاني: سلبيات منهج المستشرقين الذين أسلموا في معرض الدفاع عن الإسلام.

بعد أن ذكر الباحث في المبحث الأول إيجابيات منهج المستشرقين الذين أسلموا وتميزهم وإبداعهم؛ من المهم جداً ذكر السلبيات التي اتسم بها منهجهم ومناقشتها؛ لأن أصحابها إذ وقعوا فيها فلا بد من إبرازها، وإذ أخطأوا فلا بد من تبيين أخطائهم، ودحض باطلهم بالحجة، حتى لا يغتر بها الباحث الناشئ والقارئ العامي، وإن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ميّزنا بينهما؛ ليحذر القارئ ويتنبه لهذه الأخطاء، فالدراسات الاستشراقية مهما كانت موضوعية في محتواها؛ فإنها لا تخلو من هنات وأخطاء علمية ومنهجية ولغوية سببها الجهل باللغة العربية، وضعف التأصيل في العلم الشرعي وغيرهما، ومن هنا ينبغي عدم التسليم بالنتائج النهائية لتلك الدراسات، ومن أبرز تلك السلبيات ما يلي:

أولاً: ضعف العلم الشرعي المؤصل لدى أغلبهم.

من أولى سلبيات منهج المستشرقين الذين أسلموا ضعفهم في جانب العلم الشرعي المؤصل؛ حيث يتضح ذلك من خلال كتاباتهم، فلم نرَ في سيرة أحد منهم أنه درس العلم الشرعي على يد علماء شرعيين مؤصلين؛ بل كل ما ورد في سيرتهم أنهم نهلوا العلم الشرعي من خلال الاطلاع والقراءة للكتب والمصادر المتوفرة والاجتهاد الفردي، وربما لا تكون هذه المصادر أصيلة في نفس الباب، والأطم الأكبر؟ أن بعضهم أخذ العلم الشرعي من خلال الكتب المترجمة، ولا يخفى على الجميع ما في الترجمة من آثار سلبية في المنهج العلمي، وكما يقال فإن المترجم خائن، والبعض منهم نهلوا العلم الشرعي على يد مشايخ صوفيين كما هو معروف عن الشيخ عبد الواحد يحي جينو من خلال سيرته.

ومن الدلالات على ضعف المستشرقين في العلم الشرعي ما ذهب إليه عبد الواحد يحيى حين أثبت ما سماه بعلم الكف، وليس هناك أي دليل أو نص شرعي لهذا العلم الذي ادعاه، فذكر خرافات وافتراءات ما أنزل الله بها من سلطان فيما يتعلق بأسماء الله الحسنى فيقول: "علم الكف، مهما بدا غريبًا لمن ليس لهم أدنى فكرة عن هذه الأمور، مرتبط مباشرة في شكله الإسلامي، بعلم الأسماء الإلهية الحسنى؛ فشكل الخطوط الرئيسية يسطر في اليد اليسرى رقم (٨١) وفي اليد اليمنى الرقم (١٨)، ومجموعها (٩٩) أي عدد الأسماء الصفاتية (المحصاة الوارد ذكرها في الحديث النبوي الشريف)، وأما اسم الله، فتشكله الأصابع بالكيفية التالية: الخنصر يتناسب مع الألف، والبنصر مع اللام الأولى، والوسطى والسبابة مع اللام المشدد (أو بالأحرى اللام مع المد بينه وبين الهاء)، والإبهام

مع الهاء (التي في رسمها المحكم ينبغي أن تكتب مفتوحه)، (وفي تشـكيلة مماثلة أخرى للوسـطى اللام الثانية، وبوصـل طرفي السـبابة والإبهام يظهر شـكل الهاء المغلفة؛ ثم إن عدد مفاصـل اليدين هو ٢٨ على عدد الحروف العربية المشـكلة لأسماء حملة العرش الثمانية كما سـبق بيانه في الباب حولها، وهي تتناسـب أيضًـا مع المنازل القمرية الفلكية"[١]، فمن لديه أدنى إلمام بالعلم الشـرعي لا يؤمن بهذه الخرافات، وهل نحتاج مثل هذا العلم حتى نثبت أسماء الله الحسنى وأعدادها وكلمة الجلالة الله؟

ومن الغرائب في هذا الباب الدالة على ضـعف العلم الشـرعي المؤصـل: تقسـيم مراد هوفمان البدعة إلى قسـمين، ويرد ظاهرة انحطاط المسـلمين إلى البدعة السـلبية، ويدافع عن الحلاج[٢] والسـهروردي[٣]، وكأنه يوافق بدعهم وخرافاتهم فيقول: "أما السـبب الرئيس لظاهرة الانحطاط، فهو تضـييق مفهوم التجديد وتوسيع مفهوم البدعة في الإسـلام، رغم أنه يحتمل المعنيين الإيجابي والسـلبي، فقصـره البعض على معناه الثاني وهو السلبي؛ فكل تجديد في الفكر الإسلامي والممارسات والسلوك يُعَدّ بدعة بالمعنى السلبي للتجديد غير مسموح بها، وهكذا انتشرت عقدة البدعة التي مكنت البعض من استخدام تهمة البدعة كسلاح يشهرونه في وجه كل من يعارضهم، ويستخدمونه حسب أغراضهم ومصـالحهم، ولهذه التهمة عواقبها الوخيمة التي أوذي بسـببها من المتصـوفة الحلاج والسـهرودي حتى الموت، وهذان الاسمان يذكران على سـبيل المثل لا على سـبيل الحصـر[٤]، ولقد أدى الخوف من التجديد ووصـم كل ما هو بالبدعة إلى ركود فكري، وتقوقع على الذات والانفصـال عن التطور التكنولوجي الغربي"[٥].

---

(١) عبد الواحد يحيى، التصوف الإسلامي المقارن، ص١١٠.

(٢) الحلاج: هو الحسين بن منصور الحلاج، من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس، كان جده مجوسيًا، تصوف ودخل بغداد وتردد إلى مكة، والناس في أمره مختلفون: فمنهم من يبالغ في تعظيمه، ومنهم من يكفره، اعتذر له أبو حامد الغزالي عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله: (أنا الحق) وقوله: (ما في الجبة إلا الله)، وصدرت منه عبارات كثيرة في الحلول دالة على كفره، فقتل سنة ٣٠٩هـ، انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٣٢- ١٣٤)، ووفيات الأعيان لابن خلكان البرمكي، (٢/ ١٤٠).

(٣) السهروردي هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه، واسمه عبد الله، البكري الملقب شهاب الدين السهروردي، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان فقيهاً شافعي المذهب شيخاً صالحاً ورعاً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة، صاحب (عوارف المعارف) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان البرمكي، (٣/٤٤٦).

(٤) أخطأ المؤلف في إطلاق هذه المسألة، وقد جانبه الصواب ولم يكن أبداً سبب الانحطاط هو إطلاق البدعة وتوسيع مفهومها، وأيضاً الدفاع عمن هو معروف بالتصوف والبدع غريب جداً.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٧٢.

١/ الاستدلال بالأحاديث الضعيفة.

مما يدل على ضعفهم في جانب العلم الشرعي استدلالهم بالأحاديث الضعيفة في كتاباتهم، وهذا ملحظ مهم؛ حيث إن تراثهم ومؤلفاتهم بلغت الآفاق وخاصة في مجتمعاتهم، مما يعظم بها البلاء، فكيف بمسلم يستدل بأحاديث ضعيفة ثم يبني الأحكام الشرعية عليها؟ فكان الأولى منهم البحث والتحري في الاستشهادات والاستدلالات، وهذا يدل على عدم تمكنهم من العلم الشرعي وضعفهم في جوانب كثيرة، ومن أهمها علم الحديث، وفيما يلي أذكر بعضاً من هناتهم في هذا الجانب على سبيل التمثيل لا الحصر.

فهذا اتيين دينيه قد استدل بعدة أحاديث ضعيفة منها ما يلي:

١/ أورد دينية قصة طعامه صلى الله عليه وسلم لبني عبد المطلب: ((إن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا بني عبد المطلب إلى طعام فجاءوا وكان عددهم أربعين، وكان من بينهم أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب؛ لكن أبا لهب سخر من بركة الطعام القليل الذي أشبعهم جميعاً وقال: "ما رأينا سحراً كسحر اليوم، فلنبادر بالانصراف"، وكان لكلام أبي لهب صدى في نفوسهم بعد ما رأوا من تلك الجفنة الصغيرة التي أشبعت أربعين رجلاً... وتفرقوا، ثم دعاهم وعرض عليهم الدعوة وقال: من يكون وصيي ووزيري وأخي؟ إلا أنهم لم يستجيبوا له، فقام علي وقد ملأه الحماس وقال: أنا يا رسول الله وزيرك، ولم يبتسم الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الآمال التي فاه بها هذا الغلام، وإنما وضع يده على كتفه في حنان، وأعلن: ها هو ذا وصيي ووزيري، ها هو ذا أخي))[١].

وهذا الحديث باطل سنداً ومتناً، رواه ابن سعد في الطبقات مختصراً، ودلائل البيهقي، ولا يصح سنداً ولا متناً؛ أما سنداً: ففي سنده عبد الغفار بن القاسم وعبد الله بن عبد القدوس، فأما عبد الغفار ابن القاسم فهو متروك لا يحتج به، قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث، وقال يحي ابن معين: ليس بشيء، وعبد الله بن عبد القدوس مجروح أيضاً عند عامة علماء الحديث، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف، قال ابن كثير عن سنده: تفرد به عبد الغفار ابن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعي[٢]، وأما متناً: فهذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها،

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص١٢٠.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات مختصراً (١٨٧/١)، ودلائل البيهقي (١٨٠/٢).

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤]. وفيه قصة أبي لهب ونزول سورة المسد[(١)].

٢/ استدل بحديث ونسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ((اطلبوا العلم ولو بالصين))[(٢)].

وهذا الحديث موضوع[(٣)].

٣/ استدل أيضاً بهذا الحديث ((يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء[(٤)]))[(٥)]، وهذا الحديث ضعيف، قال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة: موضوع[(٦)].

٤/ أورد حديثاً: ((من آذى ظلمًا يهوديًا أو نصرانيًا كنت خصمه يوم القيامة قد يدوم الملك على الكفر، ولكنه لا يدوم على الظلم[(٧)]))[(٨)]، وهذا الحديث ضعيف وقد أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير[(٩)].

٥/ يذكر حديث بعير زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم في رحلته إلى الحج، ويبدأ اتيين دينيه قائلاً: "وقد حدث في هذه الرحلة حادثان بسيطان، لا نذكرهما إلا لأنهما يبينان ما يجب على الحاج من إخضاع ثورات الغضب والضجر في نفسه: كان بعير صفية زوجة الرسول ثقيل الحمل، بطئ السير، يتأخر عن الركب رغم جهود سائقه، بينما بعير عائشة خفيف الحمل مع خفة مشيه، فلما رأى الرسول ذلك، أتى عائشة يحاول إقناعها بإبدال الجملين، وأمر أن يجعل حمل صفية على جمل عائشة، وحمل عائشة على جمل صفية، فلم ترض بذلك عائشة، وصاحت غاضبة: "إنك تزعم أنك رسول،

---

(١) انظر: المجروحين لابن حبان، ص ١٣، الضعفاء والمتروكين للنسائي، ص ٢١٠، ميزان الاعتدال للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ (٢/ ٤٥٧)، والبداية والنهاية، لابن كثير، ط: دار الفكر، (٣/ ٤٠).

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٤٨.

(٣) محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، ص١٢٩.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٥٠)، ح ١٥٣.

(٥) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٤٨.

(٦) انظر: الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٤٨٣٢.

(٧) عبارة ((قد يدوم الملك على الكفر؛ ولكنه لا يدوم على الظلم)) هذه مقولة وليست حديثاً.

(٨) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٥٠-٣٥١.

(٩) أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير، (٣/ ٤٤)، ح (١٠٠١)، وقال: فيه عبد الحميد بن يوسف الجزري، ولا يتابع على حديثه، وليس بمشهور بالنقل، مجهول.

فما لك لا تعدل!" ولم تكد تلفظ تلك الكلمات حتى لطمها أبوبكر، فلامه محمد فقال: "أما سمعت ما قالت؟ "، قال: ((دعها فإن المرأة الغيراء لا تعرف أعلى الوادي من أسفله!))[(١)].

وهذا الحديث ضعيف، وقد ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله فقال وهذا سند ضعيف؛ وفيه علتان: الأولى: عنعنة ابن إسحاق؛ فقد كان يدلس، والأخرى: ضعف سلمة بن الفضل -وهو الأبرش-[(٢)].

٦/ يستدل اتيين دينيه بقصة مختلقة ونسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: ((توفي عنترة قبل الوحي وكان لمحمد من العمر عشرون ربيعاً، ثم رأى النبي في عنترة وسيرته المثل البارز الفارس العربي الذي يمتاز بصفاته وأخلاقه ونبالته عن غيره من الفرسان، وإن في ذلك لآية لمحمد، محموداً لها مشكوراً عليها مذكورا بهاً، ذلك أن عنترة بن شداد عبدُ من أمة لأبيه، وأنه تقدم في قومه وتخطى الصعاب التي ألقتها في سبيله أهواء التحزب للدم وللقبيل، ذلك بما أودع في روحه من شجاعة ونبل، وما نال من فروسية وفصاحة وشعر، وأن محمداً وقد جعل ابن شداد بطلاً للفرسان وضرب به مثلاً عالياً للفروسية أبان عما في نفسه هو من روح المساواة ونبالة الفروسية، ومما لاشك فيه أن قصة عنترة هي قصة إسلامية فقد وضعها كتّاب مسلمون ومثلوا حوادثها وصاغوا أشخاصها في حلة باهرة أوحت لهم بها الفضائل الإسلامية العالية، هذا وعند العرب أحسن قصص الفروسية والنموذج الطيب لها، تلك قصة عنترة بن شداد، ومن الخطأ البين أن يظن بعضهم أنها من الحوادث التي سبقت عهد الإسلام أيام جاهلية العرب، كلا فإن النبي عليه السلام هو صاحب الفضل في الإشادة بسيرة عنترة الفارس الشريف، ولولاه لذهب العفاء على قصته كما ذهب على كثير من فرسان البدو وأبطالهم))[(٣)].

وهذا الحديث ليس له أصل.

كذلك موريس بوكاي يستدل بحديثين ونسبهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: "فقد أمر النبي المؤمنين ((أن يطلبوا العلم من المهد إلى اللحد[(٤)]))[(٥)].

---

(١) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٠٦.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ج٦، ص٥٥٥.

(٣) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٢٩-٣٠

(٤) ليس بحديث وإنما هو حكمة. قال ابن باز: ضعيف، وبعضهم جعله في الموضوعات. الفوائد العلمية من الدروس البازية ١١٣/٦

(٥) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ ص٢٣٨

هذا ليس بحديث وإنما هو حكمة، قال ابن باز رحمه الله: ضعيف، وبعضهم جعله في الموضوعات[١].

والحديث الآخر بدأه بقوله: "أما في الإسلام، فلقد كان الموقف إزاء العلوم الطبيعية مختلفًا، وليس هنالك ما هو أوضح في هذا الصدد من الحديث النبوي الذي يقول: ((اطلبوا العلم ولو في الصين))[٢].

وهذا الحديث موضوع وقد سبق بيانه قريباً.

أيضاً يستدل محمد أسد بحديث ضعيف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اختلاف أمتي رحمة)) عظة كبرى وقيمة إيجابية مبدعة كثيرًا ما غفل عنها الناس خلال عصور التاريخ الإسلامي[٣]. وهذا الحديث ضعفه أهل العلم وقد سبق بيانه، لكن ورد كون الاختلاف رحمة عند بعض أهل العلم، يقول ابن قدامة: وجعل في سلف هذه الأمة أئمة من الأعلام، مُهدٍ بهم قواعد الإسلام، وأوضح بهم مشكلات الأحكام، اتفاقهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة[٤].

كما يستدل مارتن لينجز بعدة أحاديث ضعيفة منها:

١/ نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم قال: ((ابحث عن العلم حتى لو في الصين))[٥].

وهذا الحديث موضوع وقد سبق بيانه آنفاً.

٢/ يقول مارتن لينجز: "عندما نذكر أن واحدًا من أحاديث الرسول، والتي في أكثر الأحيان يستشهد بها المتصوفون هو الحديث القدسي التالي، الذي يسمى قدسيًا؛ لأن الله يتكلم مباشرة فيه:

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، ٦/١١٣.

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٦٠-١٦١ وكذلك استدل بهذا الحديث في موضع آخر، انظر: موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ ص٢٣٨.

(٣) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص١٢، وذكرها في موضع آخر في نفس الكتاب ص٩٤.

(٤) انظر: المغني لابن قدامة المقدسي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧هـ (١/ ٤).

(٥) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص١٥.

((كنت كنزًا مخفيًا وأحببت أن أعرف فخلقت العالم))"[1]، وهذا الحديث ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى وقال: ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعرف له إسناد صحيح ولا ضعيف[2].

٣/ استدل بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن عليه السلام، فبهم يسقون، وبهم ينصرون))[3]، وهذا الحديث ضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة، وقال: ضعيف[4].

٢/ عد بعض العلماء مجددين وهم ليسوا كذلك.

تأثر بعض المستشرقين الذين أسلموا ببعض العلماء والدعاة أو الرفع من مكانة بعضهم أو المغالاة في وصفهم، وربما يعود هذا التأثير لموافقة هواهم في منهجهم العقلي؛ مما يدل على ضعفهم في الجانب العلمي الشرعي، فصاروا يتبعون أقوالهم بل ويبجلونهم ويجعلونهم مع المجددين مع ما اشتهر عنهم من زلات واضحة وأخطاء جسيمة في باب الاعتقاد والتصوف وغيرهما، ويعدونهم مع العلماء الجهابذة من أمثال الشيخ ابن تيمية والشيخ محمد عبد الوهاب رحمهما الله، ولكي تتضح المسألة أكثر نضرب أمثلة ونذكر شواهد من واقع كتاباتهم.

يقول اتيين دينيه: "ولقد قام مصلحون عباقرة من أمثال الشيخ محمد عبده برسم السبيل الذي يجب على المسلمين أن يسيروا فيه، مبرهنين على أنه يمكن التوفيق بين محمد وبين مقتضيات الحضارة الحديثة، ولم يمض طويل وقت حتى ذهب الكثير من الشباب في سائر البلاد الإسلامية إلى التعلم على الطريقة الأوروبية في سهولة تكيف عجيبة، دون أن يفقدوا شيئاً من عناصر قوميتهم الأصيلة"[5].

---

(١) المرجع السابق، ص٢٢-٢٣.

(٢) انظر: ابن تيمية في مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٨/٣٧٦.

عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٣) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص١٠١.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين بالقاهرة، ٤/٢٤٧، ح (٤١٠١)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ الألباني، ص ٤٣٤١.

(٥) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٤٨-٣٤٩.

هنا يتضــح مغالاة اتيين دينيه للشــيخ محمد عبده ويمدحه بصــفات ربما لا تنطبق عليه، وربما لموافقة هواه في منهجه العقلي، فالشــيخ محمد عبده على جلالة قدره كما لا يخفى على الجميع لديه هنات كثيرة؛ إذ إنه يستخدم المنهج العقلي في تفسير النصوص؛ وذلك ما أوقعه في أخطاء جسيمة.

ويقول مراد هوفمان: "عَدَّ أبو حامد الغزالي نفســـه مجددًا كما يظهر من عنوان كتابه إحياء علوم الدين، كذلك يُمكن أن يُعد ابن تيمية، وشاه ولي الله(١)، ومحمد بن عبد الوهاب، ومحمد عبده، -الأستاذ الإمام- أيضاً مجددين، أحمد السرهندي(٢) الذي قد يحمل لقب مجدد الألف الثاني"(٣).

ويقول مراد هوفمان أيضــاً: "وحفظت تلك الذاكرة أسماء شــخصــيات لها وزنُها مثل الهندي العلامة الشيخ ولي الله، ومحمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، وأمادو بامبا(٤) في السنغال"(٥).

وفي موضــع آخر يقول مراد هوفمان: "سمي القرن الثاني عشــر بقرن شــاه ولي الله، المصــلح الهندي، وعرف القرن الرابع عشر بقرن الشيخ محمد عبده المجدد المصري، ولقد تقبل المتصوف الهندي أحمد ســرهند عضــو الطريقة النقشــبندية في حياته، أن يحمل اللقب الشــرفي غير الرسمي مجدد الألف الهجري الثاني"(٦).

---

(١) هو الشيخ الجليل العلامة المجاهد رافع علم السنة ببلاد الهند، أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، ولد عام١١١٤هـــ كان أبوه الشاه عبد الرحيم من كبار شيوخ عصره، وقد سافر الشيخ أحمد إلى الحرمين ودرس الحديث على يد الشيخ أبي الطاهر محمد بن إبراهيم الكردي، اعتبره الكثيرون مجدداً لعصره، فقد أحيا العمل بالكتاب والسنة في بلاد الهند وأمات البدعة، وتوفي عام ١١٧٦ هـــ انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، مسعود الندوي، الدار العربية، بيروت، ص: ١٢٩ -١٤٥.

(٢) أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي، مجدد الألف الثاني من الهجرة النبوية، ولد من بيت عريق في المجد والعلم سنة إحدى وسبعين وثمانمائة للهجرة، ونشأ في بيئة دينية صالحة، من علماء الهند الأفذاذ الذين أحيي الله بهم السنة وأمات بهم الكفر والبدعة، فتابعه على هذا الأمر خلق كثير نفعهم الله بدعوته، وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على الصوفية وأذنابهم، وتوفي رحمه الله سنة أربع وثلاثين وألف للهجرة، انظر: أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى (٨/ ٥٦٠).

(٣) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص١٣.

(٤) أمادو بامبا تنطق بالفرنسية هكذا، واسمه أحمدو بامبا، أسس طائفة القادرية بالسنغال على أساس فكري هو: بقدر ما يفعل الإنسان من خير على الأرض، بقدر ما ينال الجزاء في السماء، كما تقوم المريدية على أساس الولاء المطلق بين المريد وشيخ الطائفة، ولقد كانت هذه الطائفة الإسلامية شديدة العداء للفرنسيين، وبادلتها فرنسا نفس الكراهية، فقامت بنفي أحمدو بامبا مرتين خارج البلاد؛ لكن أتباعه ازدادوا تمسكا بتعاليم شيخهم، انظر: مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (١٢/ ٣٦٠).

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٧٠.

(٦) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٩.

هنا نلاحظ مغالاة مراد هوفمان لبعض العلماء والدعاة، ويعتبرهم مجددين لعصـــورهم، ولم يأبه بالتصريح وكيل المديح لمعتقداتهم الصوفية، وهذا القول شاذ لم يتحدث به أحد من قبل.

كما يثني مراد هوفمان ثناء عظيماً على القائد المجاهد عبد القادر الجزائري(١) قائلاً: "ومن الشخصيات المعروفة في تاريخ الإسلام إلى جانب الإمام علي رضي الله عنه ومن هؤلاء الشيخ عبد القادر الجزائري رحمه الله؛ إذ لم يكن بطل التحرير العظيم فحســب وإنما كان قطباً صــوفياً ملأ القرن التاسع عشر، وكان قدوة حسنة تجلى في ثباتها ووقارها الانسجام التام أو اتحاد الروح والجسد كما تجلى ذلك في شخصية الإمام"(٢).

هنا يتضح مدى الغلو في هذه الشخصية، ولا اعتبار لتصوفه ومنهجه، فالشيخ عبد القادر مع فضله وسبقه في الجهاد إلا أنه كان صوفياً ونسب إليه أنه أحرق كتب شيخ الإسلام ابن تيمية.

كذلك يعتبر مراد هوفمان حركة الأصـوليين والعقلانيين التي طورها محمد عبده ورشـيد رضـا ومحمد أســـد على منهج الســـلفية(٣)، وهذا دليل آخر على تأثرهم بالمنهج العقلي وتوقيرهم لبعض العلماء الذين ينتهجون منهجهم، فالســـلفية هي الســـير على منهاج الســـلف –وهم أهل القرون المفضلة– في اتباع الكتاب والسنة والعمل بهما والدعوة إليهما في جميع شؤون الحياة.

بينما محمد أسـد يمجد بعضاً ممن تأثر بهم من العلماء والدعاة فيقول: "وفي الحقيقة كانت كل الحركات الإســلامية التصـحيحية في العصـور الحديثة، بدءًا من حركة أهل الحديث في الهند، والحركة

---

(١) عبد القادر بن محيي الدين الجزائري، بايعه الجزائريون وولوه القيام بأمر الجهاد حينما دخلت فرنسا بلاد الجزائر سنة ١٢٤٦هـ فنهض بهم، وقاتل الفرنسيين خمسة عشر عاماً، ضرب في أثنائها نقوداً سماها (المحمدية)، وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند، وكان في معاركه يتقدم جيشه ببسالة عجيبة، وأخباره مع الفرنسيين في احتلالهم الجزائر كثيرة، واستقر في دمشق سنة ١٢٧١هـ وتوفي في سنة ١٣٠٠هـــ وإن عبد القادر مع فضله وسبقه في الجهاد إلا أنه كان صوفياً، ونسب إليه أنه أحرق كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٢٥٥ –٢٥٦)، وإبراهيم بن عمر البقاعي، مصرع التصوف، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، نشره عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، ص ١٠.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص ١٢٤.

(٣) المرجع السابق، ص١١٠.

السنوسية[١] في شمال أفريقيا، وأفكار ودعوة جمال الدين الأفغاني[٢]، وأفكار محمد عبده المصري، كانت كلها حركات تصحيحية تستمد قوتها من قوة الدفع الروحية التي انطلقت في القرن الثامن عشر على يد محمد بن عبدالوهاب"[٣].

نعم، أصاب اتيين دينيه ومراد هوفمان ومحمد أسد في تعدادهم للعلماء الذين اتفقت الأمة على سلامة منهجهم ومعتقدهم، لكن الإشكال يظل قائماً في تعداد بعض العلماء والدعاة مجددين، فلماذا يعد شاه ولي الله ومحمد عبده وأحمد السرهندي وجمال الدين الأفغاني من ضمن المجددين مع أن لديهم أخطاء في باب الاعتقاد[٤] وفي التفسير، وتأثروا بالمنهج العقلي والتصوف، ولعل الأمر وافق هواهم في اتباعهم للمنهج العقلي، وهذا يدل على ضعفهم في جانب العلم الشرعي وعدم إدراكهم ومعرفتهم ممن يأخذون العلم.

وهناك مسألة في غاية الأهمية وهي: أن مناقشة هذا الأمر ليس القصد منها التشويه والتنقيص من قدر الأشخاص وهؤلاء العلماء والدعاة، ولا ننكر جهود بعض هؤلاء في ميدان العلم والدعوة، لكن الخلاف في تعدادهم مع الأئمة العظام وتمجيدهم ورفع منزلتهم؛ بل كان الأولى من اتيين دينيه

---

(١) الحركة السنوسية: هي حركة صوفية نشأت على يد محمد بن علي السنوسي في ليبيا في القرن الثالث عشر، من عقائدهم أنهم يرون الاتحاد بين المريب والرسول، ويؤمنون بالاتحاد مع الأقباط الصالحين، ولا يرون التقليد، ويدّعون العودة إلى القرآن والسنة، من مواقع انتشارهم اليوم: شمال أفريقيا لا سيما ليبيا، ومن أبرز علمائهم: محمد بن علي السنوسي وابنه الملقب بالمهدي، انظر: موسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب (٣/ ١٠٦٥ -٩٩٠١).

(٢) جمال الدين الأفغاني: هو محمد بن صفدر الحسيني ولد سنة: ١٨٣٨م في أسعد آباد في أفغانستان، نشأ بكابل، ودرس العلوم النقلية والعقلية وبرع في الرياضيات، وقد طوّف البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، عمل في الحكومة الأفغانية في عهد دوست محمد خان في مجال التعليم، واشتهر بالدعوة إلى النهوض بالشرق ضد الاستعمار الغربي، وبالدعوة إلى فكرة الجامعة الإسلامية، توفي بالأستانة في تركيا، قيل: إنه قد دُس له السم وتوفي عام ١٨٩٧م، انظر: الأعلام للزركلي، (١٦٨/٦ -١٦٩) وكذلك جمال الدين الأفغاني وفلسفة الجامعة الإسلامية، سمير أبو حمدان، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م ص ١٥-٧٣.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص٢٤٤-٢٤٥.

(٤) تكلم في مسألة تستقى الدين من العقل؟ قال محمد عبده: "أن العقل وحده لا يستقل بالوصول إلى ما فيه سعادة الأمم بدون مرشد إلهي"؛ بل إن الإسلام عنده يعتمد على الدليل العقلي ويحتج به لا بالمعجزات، فقال: "فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق للعادة ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية"، ليس هذا فحسب؛ بل يعتمد الإمام أن الإيمان بالله لا يؤخذ من الرسول ولا من الكتاب ولا يصح أخذه منهما؛ بل من العقل "وقد اتفق المسلمون إلا قليلاً ممن لا يعتد برأيه فيهم على أن الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وأنه لا يمكن الإيمان بالرسل إلا بعد الإيمان بالله فلا يصح أن يؤخذ الإيمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله الله إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز أن ينزل كتاباً ويرسل رسولاً"، وكذلك اشتراكه أيضاً مع أستاذه جمال الأفغاني في المحافل الماسونية ونشاطه فيها وتعاونه مع أستاذه في نشر مبادئها، انظر: محمد عبده بن حسن خير الله، رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي، ص ١٩، وكذلك محمد عبده، الإسلام والنصرانية، مطبعة المنار بمصر، ١٣٤١هـ، ص ٥٤- ٥٥.

ومحمد أسـد ومراد هوفمان بيان أخطائهم ومناهجهم، ولا يمنع أن نأخذ بعضـاً من أقوالهم بما يوافق الكتاب والسنة، بعيداً عن الغلو والتمجيد المفرط.

كما نلاحظ تمجيد محمد أسـد للحركة السـنوسـية؛ حيث أخطأ في ذكر أنه لم توجد حركة واسعة الانتشار بعد النبي صلى الله عليه وسلم أقرب إلى الحياة الإسلامية من الحركة السنوسية، مع أنها طائفة معاصـرة ولديها الكثير من الانحرافات العقدية، والخزعبلات الصـوفية، والبدع الكثيرة، وفي نفس الوقت تجاهل وتناسى ما كان عليه السـلف من التمسك بالحياة الإسـلامية المبنية على القرآن والسـنة حقيقة، وقد قال النبي صـلى الله عليه وسـلم: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم))[١].

كما تقع مريم جميلة في نفس الإشكالية وترفع من مكانة شيخها وتمدحه فتقول: "مولانا السيد أبو الأعلى المودودي هو أبرز زعيم[٢] موجود للإسـلام الحديث"[٣]، فوصـفها له بالزعيم فيه نوع من المغالاة والتمجيد المبالغ فيه، ولم يسبقها إلى هذا القول أحد؛ مما يدل على ضعف العلم الشرعي لدى هؤلاء المسـتشـرقين عامة، لكن من باب إحقاق الحق نحن لا ننكر مكانة الشـيخ العلمية وجهوده الدعوية في القارة الهندية.

ومن العجيب في هذا الأمر تمجيد اتيين دينيه مصـطفى كمال أتاتورك، وهذا يرجع لقلة العلم الشـرعي وعدم تبصـرة الأمور وإدراكها، ويحلل الأحداث بطريقة خاطئة، ويبرر له مواقفه المخزية بل ويؤيد ما ذهب إليه من المفاسـد الدينية فيبدأ متسـائلاً: "هل مصـطفى كمال وهو الشـخص الذي تنسـب إليه فكرة الإصـلاح هذه على حق فيما قام به، وأقدم عليه، وبالأخص في أخذه بالحركة التجديدية إلى ذلك الحد البعيد؟ وهل الأمة التركية والشـريعة الإسـلامية سينالهما من وراء هذه الحركة قوة أو ضعف؟ تلك أسئلة لا شك أن المستقبل وحده هو الذي يحمل لنا الإجابة عليها، والعلم عند الله وفوق كل ذي علم عليم؛ أما نحن فنبحث هنا دون تحيز ولا غرض في الأثر المباشـر الذي أحدثه هذا الانقلاب الكبير"[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣/٥) ح (٣٦٥١).

(٢) الزعامة لقب سياسي أم شرعي؟ ولو ذكرت أنه شخصية إسلامية أو دعوية لكان أفضل.

(٣) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص١٩٧.

(٤) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٤٨.

وفي موضع آخر يقول اتيين دينيه عن مصطفى كمال أتاتورك: "فأول كل شيء رأى مصطفى كمال أن الخلافة قد صارت أداة للسوء في أيدي الأعداء فلم يجد بداً من إلغائها، وقد حمد كثيراً[1] من المسلمين عمله هذا، وصرنا لا نريد خليفة إلا من كان خليقاً بشرفها وجاهها حائزاً على ما تقتضيه مهامها من التمتع في الحكم باستقلال تام وسلطة نافذة؛ ولذلك نعد من نصحاء السوء أولئك الذين يشيرون على الساسة الفرنسيين المناداة بسلطان مراكش خليفة لجميع المسلمين وهو تحت الحماية الفرنسية، ثم تلك الحرب الصليبية الجديدة أظهرت ما يكنه أعداء الإسلام له من خطير الدسائس وكبير المكائد، وأنهم يبررون أعمالهم ضد الإسلام قائلين أنه مظهر التعصب الديني، تلك الحجة الجوفاء التي لم تعد تذكر أمام تعصب الغرب الشديد، عند ذاك لم يجد مصطفى كمال مناصاً من تحاشى هذه الهجمات، فبدا له أن يتخذ طريقاً آخر غير ما كان يتخذ من قبل، رأى أن يفسح المجال لقومه في أن يأخذوا بالمدنية الغربية ما استطاعوا حتى ألزمهم تبديل لباسهم واتخاذ الزي الأوروبي، كما فصل بين الدين والدولة، وأقام لكل منها قوانينه، بهذه الحركة الماهرة أشهد مصطفي كمال العالم أجمع على أن كل تعصب ديني بعد اليوم لن يأتي إلا من جانب أهل الصليب، وكأننا به يقول: ها أنا ذا قد أخليت بلادي من روح التعصب التي تدعون وجودها، فاتركونا في سكوننا ولا تقلقونا فتسلبوننا راحتنا وإلا فها أنتم أولاء تثيرون الفتنة باسم الصليب"[2].

ويستمر في حديثه حيث يقول: "في تقديرنا الخاص أن بطل الاستقلال التركي كان في استطاعته أن يصل إلى نفس النتيجة التي وصل إليها بالنسبة لموقفه السياسي أمام أوروبا المسيحية، وهي التي لن تنقطع عن أن تكون عدوته الدائمة مهما فعل ومهما تقرب منها ومهما تغرب وتفرنج، نعم كان في استطاعته أن يصل إلى غرضه ذاته وأن يقوم في الوقت نفسه بالإصلاحات التي تقتضيها المدنية الحديثة، كل ذلك دون أن يخرج عن حظيرة الشريعة السمحة الواسعة، ولقد يكون مثله في ذلك مثل المصريين وهم يقومون بهذا الإصلاح في كثير من النجاح"[3].

□

---

(١) هكذا في أصل النص والصواب: وقد حمد كثيرٌ من المسلمين عمله هذا.

(٢) اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٤٨-٤٩.

(٣) المصدر السابق، ص٤٩-٥٠.

ثانياً: الضعف الواضح في اللغة العربية.

من خلال كتابات بعض المستشرقين الذين أسلموا تجد أن هناك أخطاء في تفسيرهم لبعض المعاني، نظراً لضعفهم في اللغة العربية، وهذا يتضح جلياً أثناء تفسيرهم وترجمتهم لبعض معاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وحتى يتضح الأمر جلياً نأخذ بعضاً من الشواهد والأمثلة من خلال كتاباتهم مما يدل دلالة واضحة على عدم فهمهم وإدراكهم للمعنى الصحيح؛ وذلك ما يوقعهم في الخطأ في تفسيره، ومن ثم التكلف في تفسيره والخروج به إلى معان أخرى تأييداً لآرائهم وأفكارهم.

١/ التفسير الخاطئ لبعض المعاني والمصلحات.

نجد في تفسير بعض المستشرقين الذين أسلموا للآيات والأحاديث أنهم يترجمون بعض الكلمات على ظاهرها حرفياً دون فهم المقصود ومراد الشرع الحكيم منه، فمارمادوك بكثول يفسر كلمة المهاجرين بـ (الهاربين) والله المستعان، حينما قام بتفسير هذه الآية الكريمة قال تعالى: ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النور: ٢٢]. في الآية الهجرة وهي الانتقال من أرض الكفر إلى أرض الإسلام، أو الخارج من أرض الكفر إلى أرض الإسلام(١)، ويستحسن الرد على هذه المسألة من خلال كتابات المستشرقين الذين أسلموا لكي يكون أوقع في النفس وأقوى حجة؛ حيث يكفي رداً على هذا الخطأ ما أشار إليه محمد أسد من تفسير لفظ الهجرة بالهروب لدى بعض الكتاب الغربيين؛ إذ يقول: "إذا تذكرنا هذا أدركنا أن الإشارة إلى هجرة النبي بلفظة (الهروب) كما اعتاد أن يفعل كُتّاب غربيون غير مسلمين، ليس مجرد خطأ لغوي بل أمر يناقض الدلالة التاريخية الأصيلة، والغرض الحقيقي لحدث كان إشارة البدء لعصر جديد تماماً في تاريخ الإنسانية، ولكي نحيط بهذا فهماً لابد أن ننظر إلى الفترة السابقة مباشرة على هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتحديداً الأعوام الثلاثة عشر الأولى للدعوة، وهي السنوات التي يسميها المؤرخون (العصر المكي)"(٢).

كما نجد محمد أسد نفسه مع سعة اطلاعه يقع في الإشكال نفسه ويخطئ خطأً لغوياً؛ حيث يترجم كلمة (طه) بالرجل في بداية سورة طه وبالتالي يسيء للنبي عليه الصلاة والسلام، يقول د. محمد عوض رداً على هذا الخطأ: "وثمة أيضاً لفظة قد ترجمها الأستاذ أسد بطريقة لا يمكنني هضمها أو إقراره عليها، وهي تأديته الحرفين الأولين (ط. ه) في مفتتح سورة طه بـــ oman: يا رجل؛ رغم أنه أحد المعاني التي يذكرها مفسرو القرآن قائلين: إن هذا هو معنى طه في النبطية والسريانية وغيرهما؛

(١) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٥٨-٦٠.

(٢) محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، ص١٩٥-١٩٦.

بل إنه قد ترجم اسم السورة بنفس الطريقة أيضاً، فأصبحت تعرف عنده (بـــسورة يا رجل)، والذي يهمنا هنا هو القول بأن تفسيرها بـــ (يا رجل) هو قول غريب عجيب فيه إساءة للنبي عليه الصلاة والسـلام؛ إذ لم يحدث أن ناداه ربه سبحانه بغير النبوة والرسالة: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، أو بصفة تدل على حالة خاصة به: يا أيها المزمل، يا أيها المدثر"(١).

كذلك نجد مراد هوفمان يتكلف في تفسير معنى التصوف لكي ينصر رأيه حتى وقع في محظور شرعي، وهو اتهامه للرسول عليه الصلاة والسلام بأنه كان صوفياً فيقول: "نشأ التصوف الإسلامي كحركة تقوى، جعلت محبة الله تتقدم على الخوف منه، وأدت إلى جعل مضـامين العبادة تتغلغل إلى داخل الإنسان، بهذا المفهوم كان الرسول صلى الله عليه وسلم -الذي قضى ليالي كاملة وهو واقف يصلي- أيضاً صوفياً"(٢).

٢/ الخطأ في تفسير الجهاد وقصر معناه على جهاد النفس.

يتخذ بعض المستشرقين المنهج الانتقائي لتحقيق مآربه وانتصاراً لفكرته، فيتم من خلال هذا المنهج اعتماد رأي أو فكرة أياً كان مصدرها؛ ولو كانت شاذة وضعيفة؛ طالما أنها تخدم وجهة نظره ومبدأه الذي يسعى لتقريره.

ومن باب التمثيل نلاحظ خطأ تفسير المستشرقين الذين أسلموا لمعنى الجهاد وهو محاربة المشركين لإعلاء كلمة الله، فيقع في هذا الخطأ كل من موريس بوكاي ومارتن لينجز ومراد هوفمان؛ حيث يفسر موريس بوكاي الجهاد في سبيل الله ببذل الجهد لنشر الإسلام فيقول: "وتبرز الوثيقة أيضًا أن الإسلام لا يجبر أحدًا بالقوة على اعتناق الإسلام؛ إذ توجد به نصوص صريحة تنافي هذه الفكرة التي شاعت عنه خطأ في الغرب المسيحي مثل قول الله في القرآن: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]. وأيضًا قول الله تعالى في القرآن: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [سورة الحج: ٧٨]. والوثيقة المشار إليها أيضًا تعارض الفكرة التي شاعت خطأ في الغرب المسيحي عن الإسلام كدين يبعث الخوف في نفوس الناس، وتؤكد الوثيقة أن الإسلام هو دين الحب وحب الإنسان لجاره الإنسان على أساس من المشاركة في الإيمان بالله، وإن مفهوم الجهاد في الإسلام شبيه بالحرب المقدسة في المسيحية مما يعني بذل الجهد لنشر الإسلام والذود والدفاع عنه، مثلما يطالب المسيحيون ببذل الجهد

(١) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص١٤.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٩٤.

لنشر المسيحية والذود والدفاع عنها، وليس الجهاد في الإسلام شبيهًا بما يعرف في الديانة اليهودية مثلاً باعتبار أنه (الخوريم)[١]؛ حيث إن الإسلام لا يهدف أبدًا إلى إبادة الناس المخالفين في الدين ومحوهم تمامًا من على وجه الأرض، بل على العكس من ذلك لا يجبر الإسلام أي فرد من الأفراد على اعتناق الإسلام، ويهدف الإسلام فحسب إلى أن تمتد حقوق الإنسان وحقوق الله إلى كل مكان يمكن أن تمتد إليه هذه الحقوق ليتسنى للإنسان أن يختار ما يشاء من دين"[٢].

كذلك يقول مارتن لينجز: "يضاف ركن سادس، الحرب المقدسة (الجهاد في سبيل الله): وهو الجهاد ضد النفس الدنيوية باستخدام السلاح الروحي"[٣]، نعم، جهاد النفس يسمى جهاداً؛ لكن الجهاد ليس مقتصراً على هذا المعنى فقط، وحينما يطلق الجهاد، يقصد به الدفاع عن الإسلام وقتال المشركين لإعلاء كلمة الله.

كما يقع مراد هوفمان أيضاً في هذا الخطأ، فيفسر معنى كلمة الجهاد في الإسلام ببذل الجهد والاجتهاد لإعلاء كلمة الله فيقول: "إن التصور المسيحي لعبارة (الحرب المقدسة) غير موجود في الإسلام خاصة وأن القرآن الكريم يحرم كل قسر في قضايا الإيمان: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وهذا هو الموقف القرآني: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ [سورة الكهف: ٢٩]. ولذلك فمن الخطأ أن تترجم عبارة الجهاد على أنها الحرب المقدسة، فالجهاد يعني حرفيًا بذل الجهد أو الاجتهاد في أي مجال سواء أكان في مكافحة الغرائز الدينية أم في محاربة الطغيان"[٤].

٣/ الخطأ في تفسير الإسلام بالاقتصار على معنى التسليم.

من الملاحظ على مارمادوك بكثول ومحمد أسد ومراد هوفمان أنهم أخطأوا في تفسير معنى الإسلام الذي هو دين الإسلام ففسروه تارة بالتسليم وتارة بتسليم النفس وتارة أخرى بالخضوع، وإن كانت كلها من معاني الإسلام، ففسر مارمادوك معنى الإسلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ

(١) الخواريم: يقصد به التوراة العبرانية والتوراة السامرية.

(٢) موريس بوكاي، التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ص١٥٨-١٥٩.

(٣) مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، ص١٠٤.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١١١-١١٢.

ﭐلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥]. بـ(الاستسلام أو الخضوع لله) والمقصود هنا (الإسلام)"[١]، فربما جانبه الصواب في التعبير.

كما أن محمد أسد يفسر الإسلام بتسليم النفس لله؛ حيث يرد د. محمد عوض قائلاً: "وبمناسبة الحديث في هذه المسألة لا بد من الإشارة إلى أنه دائماً ما يترجم الإسلام بتسليم النفس لله؛ أما الإسلام بمعنى اتباع دين محمد، وكذلك اسم الفاعل منه مسلم، فهما (حسبما يؤكد محمد أسد) استعمالان استجدا بعد النبي عليه الصلاة والسلام، وأرى أن هذا تمييع للأمور بل أخشى أن يكون وراءه ولو بدون قصد، رغبة في التسوية بين اليهود والنصارى وبين أتباع محمد في أنهم جميعاً مسلمون وناجون يوم القيامة ما داموا جميعاً يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون صالحاً"[٢].

ويستمر د. محمد عوض في الرد على محمد أسد وما ذهب إليه فيقول: "لقد استخدم القرآن المجيد مراراً في الحديث عن منهج الرسل جميعاً كلمة (الإسلام)، إلا أن هذا هو الاستعمال العام فقط، وسببه أن منهجهم جميعاً عليهم صلوات الله وسلامه واحد، رغم اختلاف شرائعهم في بعض تفاصيلها؛ أما المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة في القرآن وفي الحديث فهو دين محمد صلى الله عليه وسلم، ونبدأ بالحديث النبوي فنسوق هذه النصوص المشهورة: ((بُنِي الإسلام على خمس:....))[٣]، ((المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده))[٤]، ((المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يسْلِمْه ولا يخذله))[٥]، ((المسلمون على شروطهم))[٦]، ((المسلمون تتكافأ دماؤهم))[٧]؛ أما بالنسبة للقرآن الكريم فإن الإسلام في قوله جل جلاله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الحجرات: ١٧]. لا يمكن إلا أن يكون الدين الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم"[٨]، لأنه الدين الناسخ لجميع الأديان السابقة له.

كذلك يفسر مراد هوفمان معنى الإسلام بالتسليم لله، ويستدل من القرآن الكريم فيقول الآية الأولى: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [سورة آل عمران: ١٩]. كثيراً ما يتم ترجمتها بعبارة: "إن

(١) حبيب الرحمن أحمد، المسائل العقدية في كتابات من أسلم من المستشرقين الأوربيين، ص ٥٨-٦٠.

(٢) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٨٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((بني الإسلام على خمس)). (١١/١) ح (٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١١/١) ح (١٠).

(٥) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (٨٦٢/٢) ح (٢٣١٠).

(٦) سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب في الصلح، (٣٠٤/٣) ح (٣٥٩٤) قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(٧) سنن أبي داود، أول كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، (٨٠/٣) ح (٢٧٥١) قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(٨) محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، ص٨٤.

الدين عند الله هو دين الإسلام، وهذه الترجمة التي تساوي الإسلام بالشرع الإسلامي ترجمة غير دقيقة؛ لأن كلمة الإسلام التي وردت في الآية إنما تعني كما كثر استخدامها في القرآن في مواضع شتى معناها الأساسي والأصلي أي: التسليم لله[1]، هذا المعنى الذي فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وليس دين الإسلام، ويمكننا أن نكرر نفس القول بالنسبة للآية ٨٥ من السورة نفسها ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ [سورة آل عمران: ٨٥]. وهنا يجب كذلك فهم الإسلام على أنه التسليم لله"[2].

---

(١) من أين أتى المؤلف بهذا التفسير الذي لم يسبقه إليه أحد من الأئمة المعتبرين؟

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣١٩.

ثالثاً: الانتماء إلى الفرق الضالة كالصوفية المنحرفة أو تأييد مذهبهم.

من أبرز سلبيات منهج المستشرقين الذين أسلموا، انتماء بعضهم إلى الفرق المتصوفة المبتدعة كعبد الواحد يحيى جينو، فقد كان منتسباً إلى المذهب الشاذلي الصوفي، وعرف عن مارتن لينجز تصوفه حتى ألف كتاباً عن التصوف، والبعض منهم يميلون إلى التصوف(١)، وإن كان البعض منهم لا ينتمي إلى التصوف المذموم، لكنك تجده ينحاز إليهم؛ بل يؤيد أقوالهم ويغدق عليه المدح والثناء؛ ولأجل التأكيد على هذه المسألة نأخذ بعض الأمثلة من خلال كتاباتهم.

١/ مارمادوك بكثول.

يدافع مارمادوك عن التصوف والصوفية فيقول: "إن التصوف هو الوسيلة التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يصل إلى الله في هذه الدنيا" ويقول أيضاً "الصوفية الحقيقية: هي نشاط مخالف للعبادة العمياء للنص الإسلامي"(٢)، وكذلك يعتقد في التصوف أنه الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الله"(٣).

ومن باب إحقاق الحق، أؤكد أن هناك تناقضاً في آراء مارمادوك بكثول حيال الصوفية فتجده يثني على التصوف فعلاً ويدافع عنه في بعض كتاباته كما تقدم، وفي مواضع أخرى من كتاباته ينكر على التصوف ويعتبره خروجاً عن الجادة الصحيحة(٤).

٢/ عبد الواحد يحيى

ينتمي عبد الواحد يحيى إلى إحدى الفرق الصوفية، ويغالي في تصوفه؛ حيث جعل التصوف جزءاً من الدين الإسلامي فيقول: "التصوف ليس أبدًا شيئًا مضافًا إلى الدين الإسلامي، أي ليس

---

(١) الصوفية: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية، وهم طبقات: منهم من كان على السنة من المتقدمين كسهل بن عبد الله التستري، ومنهم ملاحدة كابن عربي، انظر: الموسوعة الميسرة ج ص٢٤٩ و ص ٢٧٣)، وكذلك التصوف -المنشأ، المصدر- إحسان إلهي ظهير، انظر: موسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب، ج٣ ص١٠٩٥ – ١٠٩٩.

(٢) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام ص٨٣-٨٤.

(٣) المرجع السابق، ص٨٣-٨٤.

(٤) المرجع السابق، ٨٣-٨٤.

هو شيئًا أتى من الخارج فألصق بالإسلام، وإنما هو بالعكس جزء جوهري من الدين؛ إذ أن الدين بدونه يكون غير مكتمل كما هو واضح"(١).

٣/ روجيه دوباسكويه

روجيه دوباسكويه زعم أن التصوف بدأ من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "جاء اسم التصوف من لبس الصوف في القرون الأولى، عُرف المتصوفون الأوائل باسم الفقراء وعند الفرس الدراويش، طبقًا للآية القرآنية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾ [سورة فاطر: ١٥]. والفقر هنا هو الفقر الروحي إلى الله الذي يفصل أو يقطع علائق المتصوف بالدنيا، ونشأ التصوف أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل تعريفه بمدة طويلة، وعلى الصحابة المثاليات الروحية للإسلام، وزخر القرآن والحديث بالتعاليم التي اتخذها الصوفيون مرجعًا"(٢).

٤/ مارتن لينجز

مارتن لينجز يرى أن "التصوف هو طريق ووسيلة لضرب جذر من خلال الباب الضيّق في عمق النفس، ليخرج إلى مجال الروح النقية وغير القابلة للحبس، والتي تنفتح هي نفسها على الإلهية"(٣).

ويقول أيضاً: "مظاهر أخرى للعالمية يقول القرآن متحدثاً إلى كل المجتمع الإسلامي: جعلناكم أمة وسطاً؛ وربما سيُرى من الفصول التالية"(٤)، "على الرغم من عدم وجود أي غرض لإظهار ذلك، أن التصوّف في الواقع هو نوع من الجسر بين الشرق والغرب"(٥).

استدلال خاطئ

استدل مارتن لينجز بحديث قدسي ويزعم أن المقصود في هذا الحديث هم: الصوفية، قال صلى الله عليه وسلم: ((وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده

(١) عبد الواحد يحيى، التصوف الإسلامي المقارن، ص٢١.

(٢) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٦٧.

(٣) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص١٣.

(٤) دلل مارتن لينجز على هذه القضية في عدة فصول من كتابه.

(٥) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٢٢-٢٣.

التي يبطش بها، ورجله التي يمشـي بها))[١]، التصـوّف بأكمله طموحاته وممارسته وحتى مذهبه من بعض النواحي ملخص في هذا الحديث القدسي، وربما يستشهد به المتصوفوّن أكثر من أي نص آخر؛ علاوة على القرآن مما يستنتج من ذلك أن لهم نوعين من الممارسات: شعائر دينية مُلْزِمة لكل المسلمين وشعائر إضافية إِراديّة"[٢].

وليس بين علماء الحديث وشراحه من ذهب إلى تفسير هذا الحديث بأن المقصود به هم أهل التصوف.

زعم مردود

ادعى مارتن لينجز في حق الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه كان متصوفاً، فيقول: "أقرب صديق للنبي صلى الله عليه وسلم وحموه أبوبكر وعليّ ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته يعتبرهم المتصوّفون من ضمن أعظم أجدادهم الروحانيين، والأحاديث النبوية تُكْثِرُ من التعاليم الروحانية التي تظهر أن محمدًا كان في الحقيقة كما يصر المتصوفون أول شيخ متصوّف في كل شيء ما عدا الاسم"[٣].

فهل هناك من المتصوفين من ذكر أو نقل عنه أنه يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعلياً من ضمن أجداده الروحانيين؟

٥/ مراد هوفمان

يرى مراد هوفمان أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان صوفياً وبأن القرآن يؤيد التصوف فيقول: "التصوف الإسلامي كحركة تقوى جعلت محبة الله تتقدم على الخوف منه، وبهذا المفهوم كان الرسول صلى الله عليه وسلم والذي قضى ليالي كاملة وهو واقف يصلي أيضاً صوفيا" [٤]، ويقول: "هناك أدلة في القرآن على التقوى ذات الصبغة الصوفية"[٥].

(١) صحيح البخاري ٨/١٠٥ ح (٦٥٠٢)، كتاب الرقاق، باب التواضع.

(٢) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٧١.

(٣) المرجع السابق، ص٩٦.

(٤) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه مسلم ألماني، ص٩٤.

(٥) المرجع السابق، ص٩٥.

هذا الكلام لا يقول به من يعرف حقيقة الصوفية، ووضوح خطأ هذا القول لا يحتاج إلى بيان؛ لأن الرسول أخرج الناس من عبادة غير الله إلى عبادة الله، وهؤلاء الصوفية يخرجون الناس من تعظيم الله وعبادته إلى تعظيم المشايخ والقبور والأضرحة، بطرق بدعية لم يأمر بها الله، وهذا كلام لا يصلح نسبته إلى عبد من عباد الله الصالحين، فضلاً عن نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما يدعي مراد هوفمان أن الصوفية على حق ولو لم يتبعوا القرآن ولا السنة النبوية فيقول: "وأن هناك طرقاً مختلفة للوصول إلى الله كما أدرك الصوفيون"(١).

وهنا نقطة مهمة في مسألة التصوف، وهي أنه إذا كان قصدهم بتصوف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أنهم كانوا زاهدين ورعين مجتهدين في العبادة والذكر؛ فلم يبعدوا عن الصواب، وإن كان لا يصح تسميتهم بهذا الاسم.

وقد تعاطف مراد هوفمان مع الفلاسفة والمتصوفة في موضع آخر فصرح "بأن الأشاعرة انتصروا على المعتزلة، والمذهب الحنبلي من أهل السنة يعادون الفلسفة والتصوف بقسوة وصرامة، ويزكيه الاتجاه الوهابي في السعودية"(٢).

وإن كان يرى في موضع آخر "أن التصوف ليس بالتحرر من الشريعة، بل بالالتزام بها"(٣).

إنصاف

يرفض مراد هوفمان فكرة وحدة الوجود عند الصوفية ويقول: "إن فكرة وحدة الوجود نوع من أنواع الشرك وهو غرور يصل إلى حد الكفر، لأنهم يعتقدون أنهم يحصلون على علم أفضل مما عند الله وأكثر مما أوحي إلى الرسل"(٤).

تردد واضح

يتضح التناقض في موقف مراد هوفمان من التصوف والصوفية؛ حيث يذكر محاسنهم ويثني عليهم كما سبق آنفاً، لكنك تجده في مواضع أخرى يرد على تصرفاتهم فيقول: "إن محمد عبده ومحمد أسد خلصوا الإسلام من عناصر غير إسلامية من قبيل التوسل بالموت والقبور والأولياء،

(١) مراد هوفمان، نظام الحكم في العصر الحديث ص٨٣.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٨٦.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٩٤.

(٤) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٥٠.

وتخبط الصوفية وأهل البدع"[1]، بل ويهاجم الصوفية في موضع آخر ويصفهم بالانحراف والكفر بقوله: "من انحرافات الصوفية: التوسل بالأولياء، والقول بالاتحاد ووحدة الوجود، وألفاظ كفرية، ويرون أن جميع الأديان سواء"[2].

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الجانب ما قاله محمد أسد عن الصوفية: "إن الممارسات والطقوس الصوفية، دخيلة على الإسلام، ولقد شابت أفكارهم أفكاراً هندية وأحيانا رهبنة مسيحية"[3].

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١١٠.

(٢) المرجع السابق، ص١١١.

(٣) محمد أسد، الطريق إلى مكة ص٢٧٩.

رابعاً: التساهل مع المذهب الشيعي وبعض الطوائف والفرق الأخرى.

يتبين من خلال كتابات بعض المستشرقين الذين أسلموا تعاطفهم مع المذاهب المنحرفة والتساهل معها في بعض القضايا الأساسية، ونأخذ لذلك أمثلة للتوضيح.

١/ روجيه دوباسكويه

يتحدث روجيه دوباسكويه عن الشيعة كأنه يوافق الشيعة ويبرر لهم اعتقادهم بقوله: "يعتقد الشيعة بوجوب حصر الخلافة في أولاد النبي -عن طريق فاطمة وعلي- ويقولون بعصمتهم، وعدا ذلك، فالفروق ضئيلة جدًا فيما يخص الإيمان والعقيدة والشريعة"(١).

والصحيح أن هناك فروقاً كثيرة بين أهل السنة والشيعة في مسائل الإيمان والاعتقاد وفي مسائل العبادة والتشريع، لا كما ذهب إليه روجيه، وقد جانبه الصواب في ذلك، ولماذا هذا التساهل والتعاطف مع الشيعة؟

ومرة أخرى يجانب روجيه دوباسكويه الصواب في تبريره لاعتقاداتهم وزعم قربهم من السنة فيقول: "تشعب المسلمون منذ ذلك الوقت إلى سنة (٨٥-٩٠٪) وشيعة، والخوارج الذين بقي منهم الإباضية بنسبة ضئيلة للغاية، ويجب إعادة التأكيد أن الفروق بين السنة والشيعة في الفروع، وسببها الاختلاف في فهم وتطبيق النصوص"(٢).

والصحيح كما أسلفنا القول أن هناك فروقاً جوهرية في الاعتقادات والأصول وليست مقتصرة على الفروع.

٢/ محمد أسد

ترى تساهل وتعاطف محمد أسد مع الشيعة حين "يسوي بين المذاهب الفقهية الإسلامية والمنتسبة إلى الإسلام مثل الشيعة"(٣).

وهذا التساوي واضح بطلانه، وجانبه الصواب فيما ذهب إليه، ويتعارض مع منهج أهل السنة والجماعة.

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٦.

(٣) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ص ١٧٥.

٣/ مراد هوفمان

يتعاطف مراد هوفمان مع المذهب الشيعي ويتساهل معه، إلى حد أنه جعله المذهب الشيعي المذهب الخامس إضـــافة إلى المذاهب الأربعة فيقول: "وأرى أن الاتفاق بينهما على قضــــايا عملية ممكن أن يتم، بحيث يمهد بذلك الطريق أمام قبول المدرســـة الفقهية الشـــيعية (الجعفرية: المترجم) [(١)]، باعتبارها المذهب الخامس الســـني، معترفاً به كبقية المذاهب الفقهية الســـنية الأربعة؛ أما الأســـس والمبادئ العقائدية الفلســـفية، فلا اتفاق فيها طالما لم تتخل الشـــيعة عنها، ولا يتصـــور كلا الطرفين، مثلاً، أن الشيعة سترضى بصفة خاصة عن ترك تأويلها للقرآن الكريم تأويلاً باطنياً، غنوصياً، قائماً على العلم بالغيب أو الكشف، لدى الراسخين في العلم"[(٢)].

فقد جانب الصواب المؤلف فيما ذهب إليه؛ لأن الشـيعة لديهم أقوال تخالف القرآن والسـنة في الأصـول، وسـينعكس أثر ذلك على الفروع ولا بد؛ فكيف نجعل مذهبهم الفقهي مذهباً خامسـاً للمسـلمين؟ ولا يمكن تطبيقه شـرعاً ولا عقلاً، والصـواب أن ندعو الشـيعة إلى اتباع الكتاب والسـنة وترك الضلال والانحراف، وليس التمييع والتساهل معهم.

أيضـــاً يتضـــح تســـاهل مراد هوفمان مع الفرق الضـــالة، فيمدح مذهب الاثنا عشـــرية قائلاً: "بالإضـــافة إلى ذلك هناك اختلافات أقل أهمية، أقرب إلى الهامشـــية، الشـــيء الأهم هو أن مجمل الشـــروط التي تجعل المرء مســـلماً حقاً، متوفرة عند الاثني عشـــرية، فهي بذلك لا تمثل تياراً هرطقياً في الإسلام"[(٣)].

ويتلخص آراء مراد هوفمان عن الفرق المبتدعة في رؤيته "بأن مجمل الشـــــروط التي تجعل المرء مسلماً حقاً متوفرة عند الاثني عشرية، والزيدية، والإباضية"[(٤)].

فالمتأمل في كلام مراد هوفمان يجد أنه قد جانبه الصـــــواب فيما ذهب إليه عن فرق الشـــــيعة وقربها من الإسلام: الشيعة الاثني عشرية والزيدية والإباضية، وأنه تتحقق فيهم شروط الإسلام، وذلك لأن الاثني عشـرية تختلف اختلافاً كبيراً عن أهل السـنة في الأصـول والمعتقدات، وأما الإباضـية فليسـوا

---

(١) ربما قصد مراد هوفمان الزيدية؛ لأنهم أقرب إلى السنة وليس المذهب الجعفري.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٣٣-١٣٤.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١٢٢.

(٤) المرجع السابق، ص١٢٢.

من الشيعة بل هم من الخوارج، وأما الزيدية فالخلاف بينهم وبين أهل السنة ليس في أصول الدين وكان مصيباً في ذلك.

ومن باب الإنصاف أذكر هنا توجيه النقد من قبل مراد هوفمان لزواج المتعة المعروف عند الشيعة فيقول: "هناك اختلاف مذهبي خطير كذلك، يتعلق بقضية زواج المتعة، أو الزواج المؤقت الذي تجيزه الشيعة وتعمل به في إيران، علمًا بأن هذا الزواج يناقض روح التشريعات الخاصة بالأسرة في القرآن، مناقضة تامة"[1]، وما ذهب إليه مراد هوفمان في هذه المسألة حق وصواب.

ومن باب إحقاق الحق نجد كلاماً صائباً له عن الفروقات بين السنة والاثنا عشرية؛ لكنه لم يعلق عليها بأي شيء، والأصل فيه البيان والتوضيح فيقول: "أن الشيعة الاثني عشرية، وهذه تختلف عن الإسلام السني[2] بالنقاط التالية:

- لا تعترف بخلافة الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل، أبي بكر، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان -رضي الله عنهم- ولا بكونهم حملة للتعاليم النبوية، وهذا ما ينطبق أيضًا على زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم المفضلة عائشة بنت أبي بكر -رضي الله عنها-، ومن حيث المضمون ينسجم هذا الموروث إلى حد كبير.

- تعتقد أن اثني عشر شخصًا من سلالة محمد، هم أئمة الشيعة المعصومون عن الخطأ، وهؤلاء وحدهم القادرون على فهم القرآن فهمًا عميقًا، ويعتقد الشيعة أن الإمام الثاني عشر الذي اختفى عام ٨٧٤م، وهو لا يزال طفلاً واسمه محمد المنتظر سوف يعود في آخر الزمان من غيبته.

- ينزلون عليًا منزلة متميزة عن بقية الخلفاء ويعتبرونه (ولي الله)، ويحيون ذكرى الحسين حفيد الرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استشهد في مجزرة بالقرب من كربلاء في العراق، وقد أسفر هذا الإحياء عن طقوس شيعية خاصة للشهداء تتمثل بجلد النفس بالسياط.

- تبيح التقية: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [سورة النحل: ١٠٦]. كذلك زواج المتعة، ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١٣٢.

(٢) أخطأ المؤلف في قوله: إسلام سني؛ إذ ليس هناك إسلام سني كما سماه.

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ [سورة النساء: ٢٤](1).

كما يجد القارئ زلة أخرى من مراد هوفمان حين قال: "يرى الإسلام أن وحدة البشر ترتكز وحدة الوجود والوحدة التي تجمع المخلوقات كافة وما خلقت من أجله، وهي عبادة الله، فقد ورد في القرآن في الآية (٤١) من سورة النور: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النور: ٤١]. ووفقاً لهذه الوحدة الكونية لكل الموجودات والمخلوقات، فلا توجد فوارق إذاً بين السني والشيعي، بين الكاثوليكي والبروتستانتي، بين المسيحي واليهودي، بين البوذي والهندوسي، فهم جميعاً شركاء في الفطرة البشرية(2)، ويؤكد الله هذا في سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٩٢]. والمقصود: بالأمة هنا هي أمة البشر كافة أي البشرية جمعاء"(3) وكذلك قوله: "ومن وجهة النظر الإسلامية فإن النصارى الأريوسيين(4) والنسطوريين(5) كانوا وسيبقون مسلمين"(6).

وقد جانبه الصواب فيما ذهب إليه؛ لأنه بمجرد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمى أحد مسلماً إذا لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، وما ذهب إليه لا يقول به مسلم أو من يعرف الإسلام والنصرانية.

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١٢١-١٢٢، ولم يعلق المؤلف بأي شيء على ما ذكر، والأولى بيان خطئهم في كل ذلك.

(٢) إطلاق مثل هذه العبارات تشكل على القارئ والمتلقي، وماذا يهدف من خلال هذه العبارة.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص٣٢٢.

(٤) آريوس وأتباعه الذين ذكرهم الرسول الكريم في رسالته إلى قيصر ملك الروم في قوله صلى الله عليه وسلم: ((فإن عليك إثم الأريسيين)) الذين قالوا بأن المسيح هو الكلمة، كلمة الله وأن الكلمة محدثة، أي: أنها مخلوق من مخلوقات الله وأن المسيح بالتالي نبي من الأنبياء فقط، وأنه إنسان؛ لكن بعد اتفاق بعض البطاركة والمطارنة مع الملك قسطنطين الأول على جعل المسيحية دين الدولة الرومانية مقابل بعض التعديلات في أسس العقيد المسيحية، وقد تطورت هذه التعديلات حتى وصلت إلى فكرة التثليث في مجمع نيقيا، أي: أنها تبنت الديانة الوثنية الرومانية القائلة بثلاثية الألوهة زفس، كرونوس، جوبيتر، بتسمية جديدة الآب، الابن، الروح القدس. وقول الوثنية الرومانية بأن هيرا آلهة الأرض وأم الإله ألبسوه للعذراء مريم، وقد أبيد الأريوسيون وحرموا وكفّروا واضطهدوا حيثما وجدوا؛ أما الذين سبق أن قتلتهم الوثنية الرومانية منهم قبل تبني الدولة لمسيحية التثليث فاعتبرتهم الكنيسة شهداء وقديسين؛ لكنها حرّمت كتبهم مدعية أن فيها كفرا وهرطقة، انظر: أعلام النبوة للماوردي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ، ص٢٥.

(٥) هم منسوبون إلى نسطور بطريركا بالقسطنطينية وقالت اليعقوبية: إن المسيح هو الله تعالى نفسه، وأن الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كما كان وأن الله تعالى عاد محدثا وأن المحدث عاد قديما وأنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولا به، انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي بالقاهرة (٤٨/١).

(٦) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص ٩٤.

خامساً: الأخطاء العقدية.

يتبين من خلال كتابات المستشرقين الذين أسلموا أن بعضهم قد وقع في أخطاء عقدية؛ مما يتطلب الأمر إلى تبيينها ومناقشتها، لكي يحذر منها القارئ الذي يغتر بمواقفهم الإيجابية فلا يلقي لها بالاً لشدة إعجابه بهم في أطروحاتهم التي تتصف بالحماسية الدينية، فتجدهم ينكرون بعض الحدود الشرعية المتفق عليها في الكتاب والسنة كحد الردة، كما أن لديهم بعض الزلات في باب الأسماء والصفات، فنأخذ لذلك أمثلة.

١/ إنكار الردة.

نستنتج من خلال كتابات بعض المستشرقين الذين أسلموا إنكارهم لحد الردة، ولا يرون ذلك مطلقاً، ويؤولونها تارة بالخيانة العظمى، وتارة بأن لا عقوبة دنيوية للمرتد، ويستدلون بآيات ليست في محلها ونأخذ لذلك أمثلة:

أ/ لورد هدلي

ينكر لورد هدلي حد الردة وأنه لا عقوبة دنيوية للمرتد؛ بل يجازى في الآخرة بسبب كفره، ولديه عدة أقوال أجملها في نقاط:

١/ "لا يقتل المسلم أخاً يريد ترك الإسلام لقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]؛ لكن المسلم سيشعر بالحزن والتأسف لتركه ديانة الإسلام، وسيفكرون أن هذا الرجل قد فقد عقله.

٢/ القرآن لم يأمر باغتيال رجل غير دينه، وكل ما ورد في العقوبة تجاه الردة في القرآن هي العقوبة الأخروية وليست في الدنيا، لأنه مات على الكفر.

٣/ يجب أن يتعامل مع المرتد في أعلى المحاكم، وليس لنا الحق في قتله، ولا شك أن فعل المرتد هذا شريراً وغبياً"(١).

ب/ مراد هوفمان

كذلك تجد مراد هوفمان ينكر عقوبة الردة في الإسلام، ويؤكد أنها لم ترد في الكتاب ولا في السنة، ونجمل أقواله في نقاط:

---

(١) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص٦٠- ٦١.

١/ "أما بخصوص الردة، فسينتهي الخلاف حول هذا الموضوع إذا ما تبين للمسلم أنه لا عقاب للخروج عن الإسلام في هذه الدنيا، وأنه لم يرد في القرآن أو السنة ما يفيد ذلك، فالقرآن يذكر (١٣) حالة للخروج عن الإيمان، وفي كل هذه الحالات يشار إلى عقاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]"(١).

٢/ "يجب أن يحكم علاقة المسلم بالمسلم في يومنا هذا، ولا يقتصر وفق المفهوم القديم على علاقة بغير المسلم، ومن ينكر هذا يتجاهل أن ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]. ما العمل إذن إذا كَفَرَ المسلم، أو ارتد عن الإسلام اليوم؟ "(٢).

٣/ "لقد بين الإسلام ضرورة التقبل المتسامح لذلك الضالّ، حتى لو خالف الواقعُ هذا التسامحَ، بقتل المرتد، كما في العصور الوسطى، ومَرَدُّ ذلك القتل، هو خطأ القياس أو المساواة غير المشروعة بين الإنسان المسالم الذي لا يريد أن يؤمن أو يهتدي، فيرتد عن الإسلام نوعًا من الردة المخالفة للردة التي حدثت أيام أبي بكر، وكانت نوعًا من الخيانة العظمى، وعداءً محاربًا للإسلام، فاستلزم ذلك ما استلزم من العقاب"(٣).

٤/ "إذا كان الإسلام لم يَشْرع عقابًا دنيويًا، حتى على الارتداد عن الإسلام، فما بالك بالأفعال الأخرى التي لا تقاس بالارتداد، إذا يعاقب أولئك على اقترافها، دون وجود سند من القرآن يجيز لهم ذلك؟! "(٤).

٥/ "إن الردة ليست له عقوبة دنيوية"(٥).

فما ذهب إليه لورد هدلي ومراد هوفمان مخالف للشرع، فعقوبة الردة ثابتة في السنة؛ إذ أن حكمها القتل، والدليل على ذلك من السنة وإجماع الأمة، فمن السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه وسلم ((من بدل دينه فاقتلوه))(٦)، وقال ابن عبد البر: "ولا أعلم بين

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص١١٧.

(٢) المرجع السابق، ص١١٧.

(٣) المرجع السابق، ص١١٧.

(٤) المرجع السابق، ص١١٩.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص١٢١ وكذلك مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص ١١٧-١١٩، ١٩١.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله (٦١/٤) ح (٣٠١٧)، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم (١٥/٩) ح (٦٩٢٢).

الصحابة خلافاً في استتابة المرتد، فكأنهم فهموا من قول النبي صلى الله عليه وسلم: من بدل دينه فاقتلوه أي بعد أن يستتاب"[1]، وقال ابن حزم: (في مراتب الإجماع) "واتفقوا أن من كان رجلاً مسلماً حراً باختياره وبإسلام أبويه كليهما، أو تمادى على الإسلام بعد بلوغه ذلك، ثم ارتد إلى دين كفر كتابي أو غيره، وأعلن ردته واستتيب في ثلاثين يوماً، مائة مرة فتمادى على كفره وهو عاقل غير سكران أنه قد حل دمه، إلا شيئاً رويناه عن عمر وعن سفيان وعن إبراهيم النخعي أنه يستتاب أبداً[2]، وقال ابن تيمية: (في مجموع الفتاوى) "والكتاب والسنة دال على ما ذكرناه من أن المرتد يقتل بالاتفاق وإن لم يكن من أهل القتال"[3].

٢/ معتقدات خاطئة في باب أسماء الله جل وعلا وصفاته.

مما لاحظه الباحث على المستشرقين الذي أسلموا في كتاباتهم، أخطاؤهم العقدية في باب أسماء الله جل وعلا وصفاته، فتجدهم يعطلون كثيراً من الصفات بحجة نفي التمثيل والتشبيه عن الله بالمخلوقين فوقعوا في شر أشد منه، فنفوا عن الله الصفات الثابتة في الكتاب والسنة، وحادوا عن منهج أهل السنة والجماعة الذين يثبتون الصفات كما أثبتها الله ورسوله من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف وينفون ما نفاه الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وسلم.

١/ اتيين دينيه

ينفي اتيين دينيه علو الله ووجوده في السماء ويرى بوحدة الوجود فيقول: "من الأمور الغريبة تخصيص وجود الإله في السماء عند دعوته، وهذه الحال تحمل في طياتها إلحاداً؛ إذ تجعل السماء منفاه، وتنفي بذلك عنه صفة الوجود في كل مكان"[4].

وهذا القول مخالف لنصوص الكتاب والسنة، ويقترب من القائلين بوحدة الوجود "هو الزعم بأن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحود له وهو جامع لكل شرك؛ فكما أن الاتحاد نوعان فكذلك الحلول نوعان: قوم يقولون: بالحلول المقيد في بعض الأشخاص وقوم

---

(١) ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، (٢٢ / ١٤٣).

(٢) ابن حزم الأندلسي الظاهري، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٢٧

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٢٠/١٠٠).

(٤) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص ٣٦.

يقولون: بحلوله في كل شيء وهم الجهمية الذين يقولون: إن ذات الله في كل مكان"[1]، "وهذا القول مما يعلم بالاضطرار شرعاً وعقلاً أنه باطل"[2].

٢/ لورد هدلي

يؤول لورد هدلي معنى الكرسي إلى العلم في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]. يقول: "علمه يحيط بالسموات والأرض"[3].

فوقع لورد هدلي في محظور شرعي وهو نفي وإنكار الكرسي الثابت بالكتاب والسنة.

أيضاً من خلال كتاباته تجد أن لديه خطأ آخر في باب الأسماء والصفات وهو اتباعه المنهج السلبي في الصفات (النفي)؛ حيث ينفي عن الله سبحانه تعالى الأشياء المخلوقة فيقول: "الله ليس شمس[4] ولا قمر، ولا النجم، ولا شجرة، ولا نبات، ولا ورد، ولا جبل، ولا محيط، ولا بحر، ولا أي شيء غير حي، وهو بالتأكيد ليس بشر"[5].

وهذا القول ظاهر البطلان وهو مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة، وما ذهب إليه مشابه لقول المعتزلة.

كما يلاحظ عليه، أنه دخلت عليه شبهة الاتحاد والحلول[6]، وهذا القول ظاهر بطلانه وهو مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة في مسألة علو الله سبحانه وتعالى، وهو قول الجهمية الحلولية وقد سبق بطلان منهجهم.

٣/ مراد هوفمان

تجد مراد هوفمان قد أخطأ في باب صفات الله وأنه "لا يمكن تحديد مفهوم الإله بالطريق الإدراكي إلا سلبيا"[7]، ثم يذكر قولاً آخر يناقض قوله السابق؛ حيث يثبت أن إدراك صفات الله جل

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٠/ ٥٩).

(٢) المصدر السابق (١٨/ ٢٢٢).

(٣) لورد هدلي، الصلة بين المسيحية الأصلية والإسلام، ص٦٤.

(٤) هكذا في النص والصواب ليس شمساً ولا قمراً الخ.

(٥) لورد هدلي، ثلاثة أنبياء عظماء للعالم، ص٥٦-٥٧.

(٦) المرجع السابق، ص٥٦.

(٧) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٤٧.

وعلا غير ممكن، ويستدل عليها فيقول: "وإدراك صفاته لا يمكن" والدليل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة طه: ١١٠]. وبالتالي تلاحظ التردد والتناقض في كلامه، مما يدل على قلة علمه الشرعي المؤصل، وعدم ثباته على منهج واضح بين.

سادساً: الأخطاء المنهجية في كتاباتهم.

١/ قلة الاستشهادات بالآيات والأحاديث في كتابات بعضهم.

مما يلاحظ على بعض المستشرقين الذين أسلموا في كتاباتهم، خلوها من الآيات والأحاديث الشريفة، وخير مثال لذلك مؤلفات المستشرق عبد الواحد يحيى، وهذا يضعف من قيمة كتبه وأهميتها، فخير ما يستشهد به المسلم في كتاباته أن يعضد كلامه بكلام الرب جل وعلا وبكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فيلاحظ القارئ عدم ذكر أي آية أو حديث شريف ومن هذه المؤلفات: (كتاب الشرق والغرب)، و(كتاب أزمة العالم الحديث)، و(كتاب رمزية الصليب)، وكتاب (هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان).

كما يلاحظ القارئ في كتابات مارتن لينجز قلة استشهاداته بالآيات القرآنية والسنة النبوية مثل كتاب (المعتقدات البالية والخرافات العصرية)، وكتاب (ما معنى التصوف؟)، وكتاب (الساعة الحادية عشرة).

٢/ عدم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كتاباتهم وكذلك الترضي على الصحابة.

من الأخطاء المنهجية الواضحة في كتابات بعض المستشرقين الذين أسلموا، الإهمال في كتابة الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدم الترضي على الصحابة رضوان الله عليهم أو اختصاره، على وجه غير مشروع، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة من خلال كتاباتهم.

فهذا اتيين دينيه لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم في سرد قصة زواجه صلى الله عليه وسلم من جويرية رضي الله عنها أنها أتت الرسول فقالت له: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فجئتك أستعينك على كتابتي، فقال لها: ((أقضي عنك كتابك وأتزوجك[١]))[٢].

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٨/ ٣٧٣) وإسناده صحيح.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٢٣٢-٢٣٣.

وهذا لورد هدلي في أغلب كتاباته لم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك قوله: "ورد لي في أحد الأيام خطاب من أحد المسيحيين المتدينين يخبرني فيه بأن الدين الإسلامي إنما هو دين لذة وإن النبي كانت له زوجات عديدات وأن ذلك قاعدة في الإسلام"(١).

كما يلاحظ القارئ أن لورد هدلي لم يقم بالترضي على خديجة وعائشة رضي الله عنهما في قوله: "وكان مخلصًا لزوجته الوحيدة السيدة خديجة التي هي أكبر منه بخمس عشرة سنة والتي كانت أول من آمن برسالته السماوية، وبعد وفاتها تزوج بالسيدة عائشة وقد تزوج أيضًا ببعض أيامى متبعيه الذين استشهدوا في إعلاء كلمة الله"(٢).

ويقع في نفس الإشكالية روجيه دوباسكويه وهي عدم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: "هذه الهداية هي الدين الأزلي الذي اتخذ على مر العصور تعابيراً متعددة ختامها ما أنزل على محمد"(٣).

وهنا مثال آخر مما وقع فيه روجيه دوباسكويه من عدم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث يقول: "واكتمل التنزيل بمحمد خاتم النبيين وبكل تأكيد لم تؤسس ديانة عظمى أخرى بعد وفاته ولم يظهر في تاريخ البشرية مثله"(٤).

كذلك محمد أسد وقع في نفس الإشكالية، فإن كانت هناك بعض المواضع التي صلى فيها على الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن أغلب كتاباته خلت من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث يقول: "في ذلك الحين استقرت تلك الفكرة المضحكة في عقول الأوروبيين من أن الإسلام دين شهوانية وعُنف حيواني، وأنه تمسك بفروض شكلية وليس تزكية للقلوب وتطهيراً لها، ثم بقيت هذه الفكرة حيث استقرت، وفي ذلك الحين أيضًا نُبز الرسول محمد بقولهم كلبي!"(٥).

---

(١) لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، ص١٢-١٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٣.

(٣) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص٢٤.

(٤) المرجع السابق، ص٤٩-٥٠.

(٥) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٥٨.

وهنا مثال آخر لنفس الإشكالية؛ حيث يقول: "إننا نستعمل هنا كلمة السنّة بأوسع معانيها على أنها المثال الذي أقامه لنا الرسول من أعماله وأقواله، إن حياته العجيبة كانت تمثيلاً حيًا وتفسيراً لما جاء في القرآن الكريم"(١).

أيضاً هنا يقع في نفس الإشكالية؛ إذ يقول: "هذا الغذاء الوحيد الذي يستطيع الإسلام في حالتي صحته وسقامه أن يُقبل عليه والذي تتمكن أجهزته من امتصاصه بكل تأكيد هو سنّة محمد"(٢).

بينما مارتن لينجز يرد على كل من لم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ يقول: "التوسل إلى الله بالصلاة عليه تبعًا للصيغة التي سبق ذكرها بالصلاة والسلام، إن جبريل أتاني فقال: ((من صلى عليك من أمتك واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، ورفعه عشر درجات(٣)))(٤).

وهنا يؤكد مراد هوفمان على سنة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر اسم النبي عليه الصلاة والسلام؛ حيث يقول "إذا سمع مسلم اسم النبي محمد أو قرأه، في أي نص كما في هذا الكتاب مثلاً، فإنه يدعو للنبي مصليًا عليه (عليه الصلاة والسلام)، كذلك يصلي المسلم على عيسى إن تلفّظ باسمه أو سَمِعه"(٥).

"قال النووي في مقدمة شرحه على صحيح مسلم، يستحب لكاتب الحديث إذا مر بذكر الله أن يكتب عز وجل، أو تعالى، أو سبحانه وتعالى، أو تبارك وتعالى، أو جل ذكره، أو تبارك اسمه، أو جلت عظمته، أو ما أشبه ذلك، وكذلك يكتب عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكمالها لا رامزاً إليها ولا مقتصرا على بعضها، ويكتب ذلك وإن لم يكن مكتوباً في الأصل الذي ينقل منه فإن هذا ليس رواية وإنما هو دعاء، وينبغي للقارئ أن يقرأ كل ما ذكرناه وإن لم يكن مذكوراً في الأصل الذي يقرأ منه ولا يسأم من تكرر ذلك، ومن أغفل ذلك حرم خيراً عظيما"(٦).

---

(١) المرجع السابق، ص٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص٨٧.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٣٥٣)، ح (٦٦٠٢)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة وهو -وإن كان إسناده ضعيفاً-؛ فله شواهد يتقوى بها (١٣/ ٥٥٨).

(٤) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٤٢.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٥١.

(٦) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٢ص ١٠١.

٣/ نهج البعض في كتاباته إلى المنهج الفلسفي.

يلاحظ القارئ في أبرز مؤلفات عبد الواحد يحيى أنه نهج المنهج الفلسفي العميق حتى لا يكاد يفهم أي كلمة ولا مراد المؤلف في كثير من كتاباته، وهي مثل الطلاسم، ونأخذ لذلك أمثلة حتى يتبين للقارئ.

المثال الأول: "القرآن كتاب المجتمع ككل ومع ذلك في نفس الوقت وأهم من كل شيء، هو كتاب الأقلية كتاب النخبة الروحانية، إنه يُحَقِّق هذه الوُجْهة المزدوجة بطرق مختلفة، أولاً فهو يمتلئ بآيات مفتوحة يمكن لأي مؤمن ويجب عليه بالفعل أن يطبقها على نفسه أو نفسها، ولكن يمكن مع ذلك أن يقال أنها تطبق بتجلٍّ على المتصوّفين على سبيل المثال التَضرُّع الموجود في الفاتحة هو: اهدنا الصراط المستقيم، هذا يحدث عدة مرات في طقوس الصلاة وبالتالي فهو من أكثر التضرُّعات تكرارًا في الإسلام، ومع ذلك فهو ينتمي خاصة إلى المتصوفين، كونهم أكثر أعضاء المجتمع الذين لديهم الأذهان المنشغلة بالسبل"(١).

المثال الثاني: "آية أخرى محبوبة لجمالها الأخاذ بالإضافة إلى معناها، ويتلوها الجميع بالذات في أوقات الشدة، هي آية الاسترجاع: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ١٥٦﴾ [سورة البقرة: ١٥٦]. يدعي المتصوّفون أن خلاصة التصوّف بالكامل في هذه الآية، وكثيرًا ما تُنشَد في تجمعاتهم وأحيانًا تُردد عدة مرات على سُبْحَة"(٢).

المثال الثالث: "القرآن الكريم مثل العالم واحد ومتعدد في نفس الوقت، العالم تعددية تشتت وتُقَسِّم، القرآن الكريم تعددية تجمع معًا وتقود إلى الوحدة، تعددية القرآن الكريم تشتت كلماته وجملة وصوره ورواياته تملأ النفس ثم تستوعبها وتنقلها بما لا تدركه العين إلى مناخ الصفاء وعدم التغيّر بنوع من المكر الإلهي"(٣).

(١) مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، ص٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص٧٦.

٤/ تسمية أهل السنة في السعودية بالوهابية[١].

وصف أهل السنة في السعودية باسم الوهابية خطأ منهجي وإن اشتهر ذلك عنهم من مخالفيهم، فالمنهج الصحيح الترك وعدم استخدام هذه التسمية الخاطئة، وخاصة من قبل هؤلاء المستشرقين الذين أسلموا ووجهوا كتاباتهم لبني جلدتهم لئلا تختلط عليهم الأمور، ونأخذ لذلك أمثلة:

يسمي اتيين دينيه المذهب السني في السعودية بالوهابية، وهذا خطأ منهجي؛ حيث يقول: "أما أضرحة الأولياء وعبادة القديسين والشفعاء من الأولياء والوسطاء التي حرمها القرآن تحريماً قاطعاً؛ فقد وجدت بعد قرنين[٢] من الهجرة تقليداً للمسيحية، ولم يقبله العبيديون وألغاه الوهابيون"[٣].

ويقع محمد أسد في هذا الفخ أيضاً مع أنه عاش فترة من الزمن في السعودية، والأصل نبذ هذه التسمية من قبله؛ لأنه يعرف واقعهم وعاش بينهم؛ حيث يقول: "أولئك النجديون الوهابيون لعبوا دورًا في الإسلام لا يقل عن دور الإصلاحيين في العالم المسيحي.... فإن وجهات النظر الدينية التي تبناها الوهابيون لا يمكن رفضها لأنهم اقتربوا بالفعل من روح القرآن ومضمونه أكثر من أية اتجاهات أخرى كانت سائدة في العالم الإسلامي في ذلك الوقت"[٤].

كذلك مراد هوفمان مع كثرة مؤلفاته عن الإسلام ومبادئه إلا أنه لم يستطع الانفكاك من هذه التسمية الخاطئة حيث يقول: "الأشاعرة انتصروا على المعتزلة، والمذهب الحنبلي من أهل السنة يعادون الفلسفة والتصوف بقسوة وصرامة، ويزكيه الاتجاه الوهابي في السعودية"[٥].

ويقول في موضع آخر: "ويميز بعض المسلمين لا يميلون إلى المبالغة -ومنهم المدرسة الوهابية في السعودية- ويجمعون بين عصمة عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم، عن الخطأ، وبين إمكانية وقوعه في الخطأ بحكم طبيعته الإنسانية"[٦].

ولا بد من توضيح نقطة هنا تتعلق بهذه التسمية (الوهابية) فخصومها يستخدمونها ذمّاً لمنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومؤلفاته ومن يعتمد عليها في فهم العقيدة وتلقيها، وهناك من

(١) المقصود بالوهابية: منهج السلف الصالح القائم على الكتاب والسنة الذي أحياه الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري في جزيرة العرب، ثم انتشر في بقية أنحاء العالم الإسلامي.

(٢) من بعد قرنين إلى الوهابية على حد زعمه ألم يكن هناك أهل سنة؟

(٣) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٤) محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص١٧١.

(٥) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص ٨٦.

(٦) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه مسلم ألماني، ص٥٢.

يســـتخدمها من باب التوصـــيف والتعريف لا أكثر، ومع ذلك فإن الأولى ترك اســـتخدامها تجنباً للالتباس وسوء الفهم.

سابعاً: الأخطاء في الأحكام الفقهية.

تبين من خلال تتبع الباحث لكتابات المستشرقين الذين أسلموا ملاحظة وقوعهم في أخطاء تتعلق بالأحكام الفقهية، كتساهلهم في مسألة الموسيقى، وكذلك فيما يتعلق بمسألة حجاب المرأة المسلمة، ولنأخذ لذلك بعض الأمثلة من باب الاستشهاد وليس الحصر.

١/ التساهل في حكم الموسيقى.

يتساهل روجيه دوباسكويه في حكم الموسيقى من خلال ذكره لمقتطفات من التاريخ الإسلامي، ويصف من يحرمه بالمتشددين فيقول: "ومع هذا فحضارة عالمية كالحضارة الإسلامية لم تكن لتتجاهل الموسيقى، على العكس سمحت لها بالازدهار والتطور في مدارس مميزة تعكس مزاج الشعوب الإسلامية، بقيت حتى اليوم ذكرى موسيقيين عظام مثل إسحاق الموصلي وتلميذه زرياب الذي علا نجمه في بلاط الخليفة الأندلسي في قرطبة، وكان للموسيقى عند المسلمين دراساتها النظرية، منها كتاب الموسيقى للفيلسوف العباسي الفارابي، أكثر من هذا تأثر المسيحيون في القرون الوسطى بالموسيقيين المسلمين، ولا يدرك المستمعون الحديثون الغنى الهائل لهذا الفن، ولا يحيطون برقته وصفائه، وتجدر ملاحظة أنه برغم الشك والتحفظ عند كثيرين من المفكرين الإسلاميين المتشددين، فإن الموسيقى التي نشأت وتهذبت في البلاد الإسلامية هي فن إسلامي أصيل، قادر ليس فقط على إثارة الخيال والمتعة بالجمال، ولكن نتيجة تركيبه ورمزيته التي تحوله إلى نوع من الأرابيسك السماعي، يسمو بالروح ويبعث فيها الهدوء"(١).

أما مريم جميلة فمع ما عرف عنها من تمسك بمبادئ الدين الإسلامي في جوانب كثيرة، وحثها في كتاباتها على اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأهمية تطبيقها في حياة المسلم، إلا أنها تساهلت في أمر الموسيقى، فحرمتها في المساجد وكرهتها في غيرها فتقول: "والموسيقى ممنوعة في المساجد ومكروهة في أي مكان آخر، والمكانة الاجتماعية للموسيقيين المحترفين منحطة جداً في العالم الإسلامي، فالموسيقي تشغل العقل عن ذكر الله وتقود تدريجياً إلى الفحشاء، وإذا رأى الإنسان ضرورة للترويح عن نفسه فيرخص له أن يغني ليطرب نفسه إلا أنه من الأفضل أن يتورع عن ذلك ولا تغني أية امرأة مسلمة محترمة في مكان عام، والموسيقى الوحيدة المستحبة هي ترتيل القرآن الكريم والأذان والمدائح النبوية"(٢).

---

(١) روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، ص١٤٤-١٤٥.

(٢) مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ص٤٣.

بينما مراد هوفمان يفرق بين الموسيقى التي تثير الغرائز وغيرها فيقول: "يحرم الإسلام الموسيقى التي تثير الغرائز، أو تخدّر، أو تتضمن إيحاءات معينة، ويسمح بالموسيقى الكلاسيكية سواء أكانت غربية أم عربية، وكذلك العزف المفرح في حفلات الأعراس"[1].

فقد أصاب فيما ذهب إليه من تحريم الموسيقى بداية، ثم جانبه الصواب في السماح للموسيقى الكلاسيكية والعزف في الأعراس، فليس المعروف الإباحة للعزف في الأعراس بقدر ما هو معروف عن السماح بالطبل لإظهار الفرح.

والمعازف وآلات الموسيقى محرمة وقد حكى الإجماع على تحريم استماع آلات العزف، سوى الدف جماعة من العلماء، منهم الإمام القرطبي، وأبو الطيب الطبري، وابن الصلاح، وابن رجب الحنبلي، وابن القيم، وابن حجر الهيتمي، قال الإمام القرطبي: "أما المزامير والأوتار والكوبة (الطبل) فلا يختلف في تحريم استماعها، ولم أسمع عن أحد ممن يعتبر قوله من السلف وأئمة الخلف من يبيح ذلك، وكيف لا يحرم! وهو شعار أهل الخمور والفسق ومهيج الشهوات والفساد والمجون، وما كان كذلك لم يشك في تحريمه، ولا تفسيق فاعله وتأثيمه"[2].

أخطاء مراد هوفمان في بعض الأحكام الفقهية

يطالب مراد هوفمان بتوحيد توقيت صيام رمضان في البلاد الإسلامية قياساً على الحج؛ حيث يقول: "يتمسك المتشددون بالإجراءات الموروثة لتحديد بداية الشهر القمري، حتى وإن حالت الظروف المناخية دون رؤية الهلال الذي يكون موجوداً بالفعل. ويمكن أن يترتب على ذلك، كما حدث في عام ١٩٩٤م، أن يفطر المرء في المغرب متأخراً يومين عنه في السعودية، وعندما نقلت الاحتفالات بعيد الفطر في مكة، عبر وسائل الإعلام، في ثاني أيام الصوم الزائدة في المغرب عنها في السعودية، رأى بعض البسطاء في المغرب أن هذا الاختلاف أمر مؤسف!! أليس من الممكن حقاً أن تُوحد مواعيد شهر الصوم في أنحاء العالم الإسلامي كافة بناءً على الحسابات الفلكية بالقياس إلى مكة، أسوة بما هو متبع في حالة تحديد مواقيت الحج، ومن ثم أيضاً عيد الأضحى؟!"[3].

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، ص٨٩.

(٢) تفسير القرطبي، (١٤ / ٥٤).

(٣) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٨٧.

وهذا القياس لا يصح؛ لأن فريضة الصيام متعلقة برؤية الهلال، ويختلف باختلاف المدن والدول؛ أما فريضة الحج فتؤدى في مكان واحد وهو مكة مما جانبه الصواب فيما ذهب إليه.

كذلك ينادي مراد هوفمان بالمساواة في عقوبة الزنا بين المحصن وغير المحصن، ويدعي أن عقوبتهما واحدة وهي الجلد؛ إذ يقول: "لئن كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد انتهج التسامح الكريم، وأكد ذلك وأقره الخليفة عمر بن الخطاب، فإن المؤسف حقاً أن الإسراف في عقاب الزاني والزانية عقاباً مسرفاً أغلظَ مما نص عليه القرآن بدأ يستقر في الحياة في العصور الأولى للإسلام، حتى صار هذا العقاب تقليداً وسنة، مع مخالفة ذلك للقرآن، ومع أن الآية الثانية من سورة النور نسخت نسخاً لا شبهة فيه"[1].

كما أنه في موضع آخر يشنع على من يرى التفريق بين المحصن وغير المحصن فيقول: "لعل أكثر ما يمثل ذلك رأي بعض الفقهاء في أن الرجم حتى الموت عقوبة الزنا (كما في الكتاب المقدس) بينما يحددها القرآن بالجلد فقط (آية الثانية سورة النور)، وكيف يجرؤ فقيه، مهما كانت الأحاديث التي يستند عليها، أن يستبدل الرجم بالجلد بعد كلمة الله الواضحة؟، ولم يكن هذا ليحدث أبداً إذا حافظ (علم الفقه أو التفسير أو الحديث) على الفرق الواضح بين المصدر الأساسي للإسلام القرآن الكريم والمصدر الثانوي الذي لا غنى عنه السنة"[2].

فمسألة عقوبة زنا المحصن وغير المحصن معروفة عند الفقهاء بالتفريق بينهما، لكن مراد هوفمان يزعم ألا فرق بينهما؛ بل يؤكد نسخ الآية الثانية من سورة النور: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [سورة النور: ٢]. وقد جانبه الصواب في إطلاق عتبه على الفقهاء وتخطئتهم، مع أن هذه المسألة مشهورة في كتب الأئمة الأربعة والمفسرين في الفرق بين المحصن وغير المحصن في عقوبة الزنا، وقد دل على ثبوت حكم الرجم على الزاني المحصن بأحاديث قولية كثيرة، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة))[3]، وأخرج البخاري عن سلمة بن كهيل: سمعت

---

(١) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص٢٢٦.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص١١٥.

(٣) أخرجه صحيح البخاري (٦/٢٥٢١) كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [سورة المائدة:٤٥]. ح (٦٤٨٤)، وكذلك أخرجه صحيح مسلم (٣/١٣٠٢) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، ح (١٦٧٦).

الشعبي، يحدث، عن علي رضي الله عنه حين رجم المرأة يوم الجمعة، وقال: ((قد رجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم))(١)، فهذا الحكم نفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفذه من بعده خلفاؤه الراشدون، وقد أجمعت الأمة على هذا الحكم لم يخالف فيه سوى بعض أهل البدع، وقال النووي: "أجمع العلماء على أن الرجم لا يكون إلا على من زنى وهو محصن وسبق بيان صفة المحصن وأجمعوا على أنه إذا قامت البينة بزناه وهو محصن يرجم وأجمعوا على أن البينة أربعة شهداء ذكور عدول هذا إذا شهدوا على نفس الزنا ولا يقبل دون الأربعة"(٢).

أيضاً يقع مراد هوفمان في خطأ آخر تتعلق بمسألة فقهية، وهي: تهوينه لمسألة المحْرَم في الظروف الحالية ويصفها بالسخافة فيقول: "وترفض وزارة الخارجية السعودية بشكل روتيني السماح بدخول النساء العازبات....... كما أن الأحكام التقليدية(٣) للفقه الإسلامي الذي ينطبق على كل من الحج والعمرة لا تسمح للنساء غير المتزوجات بأداء هذه المناسك ما لم يرافقهن محرم، ولا شك أن هذا الحكم عقلاني ومعقول تماماً إذا أخذنا بعين الاعتبار كافة الأمور المتعلقة بالسكن والمواصلات والظروف المناخية الصعبة أثناء فترة الحج خاصة، علماً بأنه قد يبدو سخيفاً في الظروف الحالية، ولعل الفقهاء المسلمين في القرون الماضية لم يتخيلوا بمنتهى البساطة أن هناك حالة تكون فيها المرأة المسلمة الوحيدة بين أفراد أسرتها جميعاً! "(٤).

٢/ التهجم على مسألة حجاب المرأة المسلمة.

هناك تهجم غير منطقي من بعض المستشرقين الذين أسلموا لمسألة حجاب المرأة المسلمة وتناولوه بشكل غير لائق، فكان الأمل فيهم والمتوقع منهم هو الدفاع عن مسألة الحجاب وبيان محاسنه في الإسلام، بدلاً من المهاجمة، ولعل آثار البيئة الفكرية لها سبب فيما ذهبوا إليه، فربما لم يستطيعوا الانفكاك عن اللوث الفكري المنتشر في بيئتهم الغربية، وحتى يتضح الأمر أكثر نأخذ لذلك أمثلة من كتابات بعضهم.

وأبدأ الحديث باتيين دينيه؛ حيث يرى بعدم مشروعية الحجاب، وقد ذكر بعض الأدلة على عدم وجوب الحجاب، ويزعم أن الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم المحصن، (٦/٢٤٩٨) ح (٦٤٢٧).

(٢) أبو زكريا محيي الدين النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ (١١/١٩٢).

(٣) لم يوفق المؤلف في وصفه للأحكام الفقهية بالتقليدية.

(٤) مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، ص١٤٦.

طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣]. وغيرها من الآيات خاصة بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: "ومن المحتمل أن نشهد عاجلاً أو آجلاً زوال عادة التحجب في الشرق في الوقت نفسه الذي تحاول فيه بعض الأوروبيات المتأنقات إدخال (مودة) النقاب التركي(١) في المجتمع الغربي"(٢).

أما مارمادوك بكثول فيتناول موضوع الحجاب بشكل مختلف، فيرى أن الحجاب وتغطية وجه المرأة ليست أصيلة في الإسلام، وإنما هي مأخوذة من الشرق، ولعل هذا الرأي يوضح بقاء تأثره بالبيئة الغربية رغم اعتناقه الإسلام فيقول: "إن تغطية الوجه للمرأة ليس من الشرع في الأصل، وإنما كان منتشراً في بعض مناطق الشرق قبل مجيء الإسلام" (٣).

ونزولاً لكلام مارمادوك بكثول حتى لو أثبتنا الحجاب أن له أصلاً عند النصارى أو الزرادشت أو المشركين؛ إلا أن الإسلام أقره وشرعه، فما الإشكالية في ذلك وقد ثبت بأن هناك كثيراً من مكارم الأخلاق عند الجاهليين العرب وغيرهم، وكذلك بعض الشرائع التي لم تنسخ في اليهودية أو النصرانية أقرها الإسلام؟ فلا يضير ذلك شيئاً ما دام أن الإسلام أقره وشرعه ووردت في ذلك آيات وأحاديث ثابتة، فيصبح ذلك العمل مأموراً به في الشرع، وهذا يحسب للإسلام؛ لأن ما يوافق الفطرة يدعو إليه الإسلام، ولا يرفض لمجرد الرفض، وإنما يرفض ما يخالف الفطرة.

كما يتفق مراد هوفمان مع مارمادوك بكثول في الزعم بأن النقاب ليس له جذور إسلامية، فيقول: "أما بالنسبة للنقاب الذي يغطي الوجه فليس له جذور إسلامية، ولكن استحدثته النبيلات في كل من بيزنطة وفارس؛ ليتميزن عن بقية النساء ولإظهار مكانتهن الاجتماعية؛ أما بالنسبة للإسلام، فهناك طبعاً من يأخذ به، ولكن ليس في الإسلام أي أمر أو تسويغ له، ولا يمكن بأي

(١) جانبه الصواب في قوله: (النقاب التركي) فالأولى أن يقول الحجاب الشرعي.

(٢) اتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ص٣٥٧-٣٥٨.

(٣) مارمادوك بكثول، الجانب الثقافي للإسلام، ص١٣٩-١٤١.

حال أن تفسر آيات الحجاب على أنها تأمر بحجب الوجه، خاصة أن بدايات الإسلام لم تعرف مثل هذا الحجاب"(١).

يا لغرابة هذا الادعاء، فرغم كثرة كتابات مراد هوفمان عن الإسلام ومحاسنه ومبادئه إلا أنه جانبه الصواب في هذه المسألة، ويبدو فيها بقاء تأثره بالخلفية الفكرية السابقة له رغم اعتناقه للإسلام.

كذلك يهاجم مراد هوفمان المرأة المسلمة المحجبة بشكل غير لائق فيقول: "قد يكون من الأمثلة الصارخة للحضارة التي تظهر في شكل الدين تغطية النساء لوجوههن، يمكنك أن ترى في بعض البلاد العربية تغطية كاملة للوجه بما في ذلك العينين، مما يجعل المرأة عرضة لحوادث السيارات، وفي جنوب الجزائر، تغطي المرأة وجهها كله عدا عين واحدة، وإلا أصبح لباسها غير لائق، وبرغم هذه التغطية المومياوية، فإنهن يتحولن للحائط إذا مر بهن رجل، ولا تزال تجد في اليمن نساء يغطين أنوفهن وأفواههن بقناع جلدي"(٢).

أيضاً تجده يصر على رأيه وموقفه من حجاب المرأة المسلمة رغم مناقشته من بعض الغيورات المسلمات فيقول: "ولقد أبدت الغالبية من أخواتي المسلمات إعجابهن بكتابي: الإسلام كبديل، ولكن ساءهن فيه نقطة واحدة عبرت فيها عن انحيازي للرأي القائل: إن غطاء الرأس يصبح ضرورياً فقط عندما يؤدي كشفه إلى إحداث إثارة جنسية (٣) وفي يوليو عام ١٩٩٣م تلقيت دعوة من بعض المسلمات الألمانيات في بيت الإسلام ليتسيلباخ؛ ليعبرن لي في جو يسوده الود والصداقة عن خيبة أملهن بسبب ما أعلنته من انحياز للرأي المشار إليه، وعلى أي حال فإنني أتمنى ألا يجد القارئ صعوبة في أن يعترف بأن الإسلام أغنى وأعمق من مجرد غطاء رأس المرأة"(٤).

ومن باب إحقاق الحق فإن مراد هوفمان دافع عن المتحجبات المسلمات في الدول الأوروبية فيقول: "من القضايا البالغة الأهمية قضية نمو مناخ معاد في غالبية أوروبا ما عدا بريطانية بسبب غطاء الرأس (الحجاب)، وقد أخذت تتحول بسرعة إلى فضيحة إنسانية على الصعيد الأوروبي، يبدو أن

(١) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، ص١٨٥-١٨٦، وقد جانب المؤلف الصواب في مسألة الحجاب واتهامه بأن ليس له جذور إسلامية وأنه يرجع إلى بيزنطة وفارس.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص١٠٦-١٠٧.

(٣) ليس هذا صحيحاً؛ بل غطاء الرأس من الحجاب الشرعي ولا يشترط منه الإثارة.

(٤) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٤٤-١٤٥.

المسلمات المحجبات ضحية نظرة الآباء المتخلفة الذين يفرضون الحجاب لسبب بغيض هو هيمنة الذكر على سلوك المرأة الجنسي، وبالمقابل يبدو أن المحجبات إنما ينشرن الإسلام بطريقة هجومية؛ لأن غطاء الرأس يعد راية دينهن، هناك تفسيران فقط لهذه الظاهرة قد استبعدا بصورة مرتجلة غير لبقة؛ على المسلمات أن يغطين أنفسهن؛ لأن ذلك أمر إليهن، أو لأنهن لا يردن أن ينظر إليهن على أنهن رخيصات متاحات لمن يشاء"(١).

فالحجاب الشرعي فريضة على المرأة المسلمة بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩].

والالتزام بالحجاب الشرعي واجبٌ على جميع نساء المؤمنين، الساتر لجميع البدن، بما في ذلك الوجه والكفان، والساتر لجميع الزينة المكتسبة من ثياب وحلي وغيرها من كل رجل أجنبي، وذلك بالأدلة المتعددة من القرآن والسنة، والإجماع، وبدلالة صحيح الأثر، والقياس المطرد، وبصحيح الاعتبار بجلب المصالح ودرء المفاسد، فالحجاب باللباس الشرعي: العباءة والخمار الساتر لجميع بدنها وزينتها المكتسبة، كما دلَّت النصوص على أنَّ هذا الحجاب لا يكون حجاباً شرعياً إلا إذا توافرت شروطه، ولذا أحاطته الشريعة بأسباب تمنع الوصول إلى هتكه أو التساهل فيه، وحكى الإجماع جمع من الأئمة، منهم الحافظ ابن عبد البر، والإمام النووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم رحمهم الله تعالى، واستمر العمل به إلى نحو منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وقت انحلال الدولة الإسلامية إلى دول، قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٢-٣٣]، هذا خطاب من الله تعالى لنساء النبي صلى الله عليه وسلم، ونساء المؤمنين تبع لهن في ذلك، وإنما خصَّ الله سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب: لشرفهن، ومنزلتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأنهن القدوة لنساء المؤمنين، ولقرابتهن من النبي صلى الله عليه وسلم، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [سورة التحريم:٦]، مع أنه لا يتوقع منهن الفاحشة -وحاشاهن- وهذا شأن كل خطاب في القرآن والسنة، فإنه يراد به العموم، لعموم التشريع، ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ما لم يرد دليل يدل على الخصوصية،

(١) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٧٨.

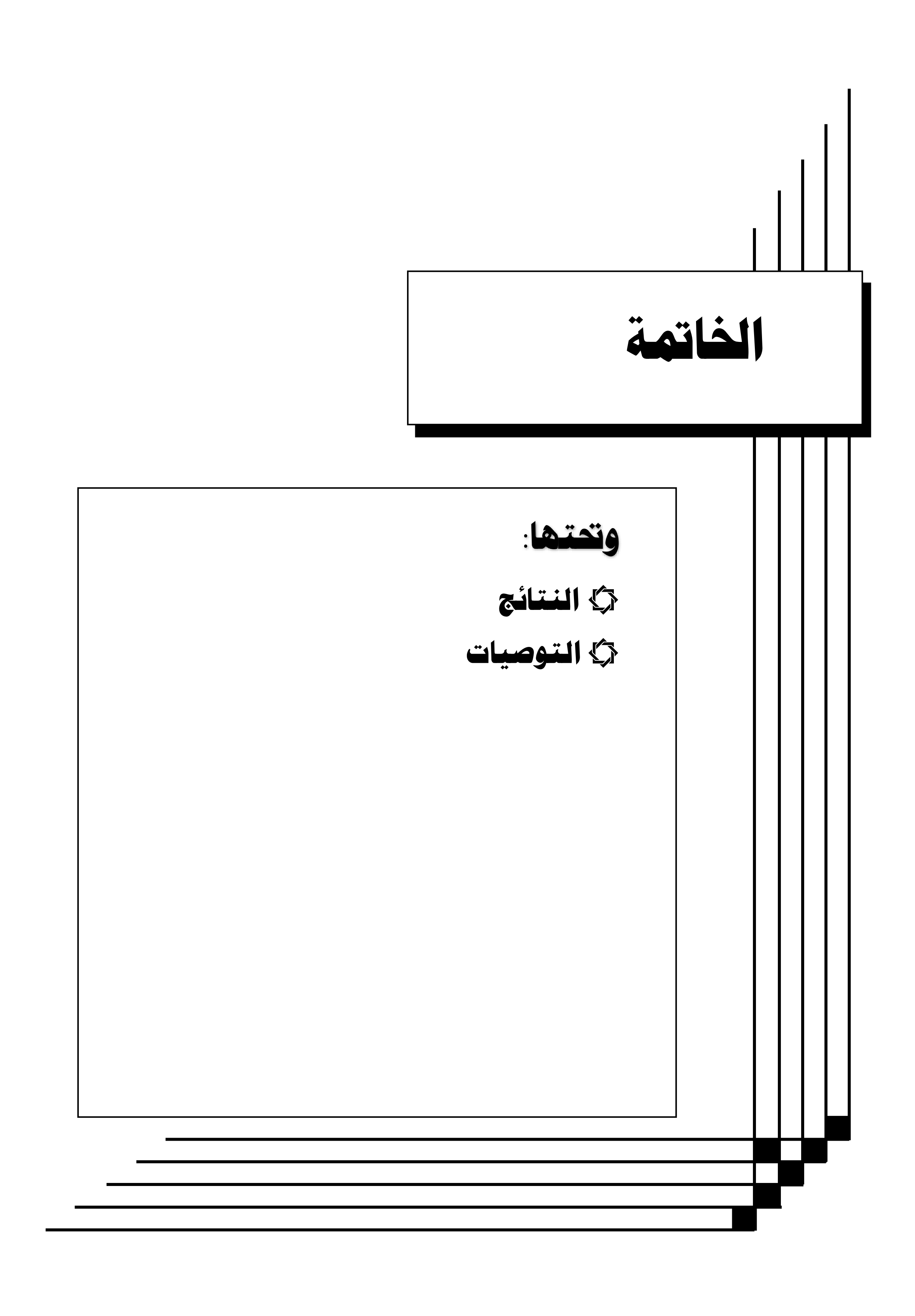
ولا دليل هنا، كالشأن في قول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الزمر:٦٥] (١).

وفي ختام هذا المبحث لا بد من بيان أمر مهم جداً، فحينما ندرس أخطاء من أسلم من المستشرقين ونبين سلبياتهم ونناقش بعض زلاتهم، ونقف عند بعض أقوالهم، ليس معنى ذلك أننا نتعمد الهجوم ونستنقص من قدرهم؛ بيد أن الأمر أعظم فالمقام مقام بحث علمي، وألتمس العذر لجميع المستشرقين الذين أسلموا، فربما وقعوا في هذه الأخطاء لحداثة إسلامهم، أو قلة علومهم الشرعية، وتأثرهم بالبيئات التي عاشوا فيها، والنقص والخطأ من سمات البشر، فالكمال لله جل وعلا، وطبيعي أن يكون من يعتنق الإسلام بعد كِبر وهو قادم من أصول وخلفيات بعيدة كل البعد عن الأجواء الإسلامية؛ طبيعي أن يبقى متأثراً بما نشأ عليه وعاش فيه جزءاً كبيراً من حياته قبل أن يستطيع تغييره شيئاً فشيئاً على مر الأيام والسنين.

ونستخلص مما سبق:

- اعتناق كثير من المستشرقين للإسلام لم يسلم من غبش علمي وفكري ورؤية ضبابية حيال كثير من المسائل العلمية والمفاهيم الشرعية المقررة؛ رغم أن بعضها من المعلوم من الدين بالضرورة، ومع أن ذلك لا يقدح في صحة إسلامهم في الجملة؛ إلا أنه يثير تساؤلات مشروعة حول مصادر التلقي التي يعتمدون عليها ويرجعون إليها في استقاء معلوماتهم.
- تأثر المستشرقين بالإسلام ودخولهم فيه لا يحول دون تأثرهم في نفس الوقت بالخلفيات العلمية والثقافية والمؤثرات البيئية التي جاؤوا منها ونشأوا فيها ودرجوا عليها.

(١) بكر بن عبد الله أبو زيد، حراسة الفضيلة، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الحادية عشر، ١٤٢٦هـ، ص ١٥-١٧.



الخاتمة

وتحتها:

- النتائج
- التوصيات

الخاتمة

أولاً: النتائج.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده جل وعلا حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأحمده سبحانه الذي يسّر لي إتمام هذا البحث وأعانني على الفراغ منه، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فقد توصلت في بحثي هذا بعد توفيق الله إلى ما يلي من النتائج:

١. ثبت بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة أن المستشرقين الذين أسلموا أثبتوا أن القرآن الكريم وحي من عند الله عز وجل، وبينوا تأثيره وبلاغته وأوضحوا الإعجاز فيه، وبذلك وافقوا منهج أهل السنة والجماعة.

٢. اتضح بجلاء جهود المستشرقين الذين أسلموا في بيان مكانة السنة النبوية وإثبات حجيتها، وأنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم.

٣. تأكد إيمان المستشرقين الذين أسلموا بأركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة، ووجدت لهم كتابات ناصعة في هذا الباب، ونهجوا في ذلك منهج أهل السنة والجماعة.

٤. تبين جهود المستشرقين في بيان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ورد بعض الشبهات المثارة حوله مثل اتهامه بالسحر والجنون وتعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم.

٥. بقاء الأثر الفكري الذي نشأوا عليه في كتاباتهم وتأثرهم بالمناهج الغربية وإبراز دور العقل أثناء معالجة وتفسير النصوص، مما كان سبباً في عدم توصل الدراسات الاستشراقية إلى نتائج صحيحة فيها، وفي المقابل ظهور تأثيرهم في مجتمعاهم في تحسين صورة الإسلام وإظهار محاسن المسلمين، مما كان سبباً في اعتناق كثير منهم إلى دين الإسلام بفضل جهودهم؛ بل تعدى تأثيرهم محيط بلادهم وامتد حتى البلاد الإسلامية في بعض الأحيان.

٦. دفاعهم عن حقوق إخوانهم الفلسطينيين، والمطالبة باسترداد حقوقهم الدينية والاجتماعية، وبيان أحقية المسلمين بالمسجد الأقصى.

٧. بيان مكانة المرأة المسلمة، وإثبات حقوقها الدينية والاجتماعية التي كفلها الدين الإسلامي لها، والدفاع عن أهم قضاياها المعاصرة.

٨. تجلى قصور العلم الشرعي المؤصل لدى المستشرقين الذين أسلموا وجهلهم بالمراجع العلمية الأصيلة التي يجب توفرها لإنجاز دراساتهم؛ مما نتج عنه أخطاء منهجية في اتباع الدليل والاستدلال.

٩. من خلال دراسة تراثهم تبين أن هناك بعض الأخطاء العقدية والفقهية واللغوية وكذلك ملاحظات منهجية في كتابات المستشرقين الذين أسلموا.

١٠. رصد أخطائهم وإبراز زلاتهم، ليس معناه أننا لا نعذرهم؛ بل نلتمس لهم العذر، فقد سُمّمت عقولهم من قبل الغرب، وكذلك انتشار المناهج التجريبية في بيئاتهم التي عاشوا فيها وتربوا عليها كان له الأثر السلبي في بعض أقوالهم الشاذة والمنحرفة، غفر الله لهم وتجاوز عنهم.

١١. التأكيد على أن المستشرقين قدموا جوانب إيجابية وكتابات رائعة اتسمت بروح الحماسة الدينية من جهة، ومن جهة أخرى وجهوا سهام نقدهم إلى الكتاب المقدس وبعض النظريات الحديثة كالداروينية والفرويدية والماركسية، وهذا من المميزات التي تحسب لهم.

١٢. عجز بعض المستشرقين وإن أسلموا عن التوصل إلى نتائج موضوعية للأسف في دراساتهم الإسلامية، ومرد ذلك إلى عدم قدرة الباحث الغربي على الإحساس بالروح الإسلامية الشرقية، ولعله يعود إلى الطابع العلماني للحضارة الغربية، والتي تعمد إلى تفسير كل الظواهر تفسيراً مادياً، وقد نتج عن ذلك عجز الإنسان الغربي عن فهم الغيبيات واستيعاب كل ما هو غير مادي.

١٣. إن الدراسات الاستشراقية الإسلامية وإن اتسمت بالموضوعية في بعض محتواها؛ فإنها لا تخلو من أخطاء علمية وزلات لغوية سببها الجهل باللغة العربية، ومن هنا ينبغي عدم التسليم بالنتائج النهائية لتلك الدراسات.

١٤. تضمنت كتابات كثير من المستشرقين انحرافات ظاهرة حول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته؛ مما يستلزم الرد عليها وبيان بطلانها بالأدلة النقلية والعقلية، وتتضمن هذه الدراسة إيضاح الآراء المنصفة في حقه صلى الله عليه وسلم، والتقويم والنقد لآراء المستشرقين المخالفة للمعتقد الصحيح في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ضوء ما جاء به الكتاب والسنة والعقل الصحيح.

ثانياً: توصيات الدراسة.

من خلال ما سبق خرج الباحث بالتوصيات الآتية:

١) مناشدة الجامعات ومراكز البحوث لترجمة تراث ومؤلفات وكتابات من أسلم من المستشرقين ترجمة صحيحة باللغة العربية؛ ومن ثم إبرازها حتى تتحقق الأهداف العلمية المختلفة.

٢) دعوة العلماء ورجال الفكر والإعلام إلى إبراز دور المستشرقين الذين أسلموا وإحياء آثارهم العلمية، والاستفادة منها لدعوة بني جلدتهم إلى الإسلام؛ لأن أقوالهم وكتاباتهم أدعى إلى القبول والرضا من قبلهم.

٣) حث الباحثين الذين يجيدون اللغات العالمية على التوسع في تناول الشخصيات التي لم تنل حقها من الدراسات الأكاديمية أمثال اتيين دينيه ولورد هدلي ومارمادوك بكثول وغيرهم.

٤) ينبغي على الباحثين أن يتناولوا كتابات المستشرقين الذين أسلموا بالتحليل والنقد، والتوسع في دراسة جوانب أخرى كالتفسير والحديث والفقه والحضارة وغيرها.

٥) على الجامعات في البلاد الإسلامية الاهتمام بالبحوث العلمية التي تتعلق بالمستشرقين الذين أسلموا، والتي تقدم في مرحلة الماجستير أو الدكتوراة، لما تمثله الرسائل العلمية والدراسات الأكاديمية من أهمية بالغة في الحركة الثقافية وتغذيتها، والاستفادة من مخرجاتها وتوصياتها.

٦) ضرورة توفير المصادر العلمية الصحيحة للمسلمين حديثاً من أبناء الغرب؛ لئلا يقعوا فيما وقع فيه المستشرقون من أخطاء علمية ومنهجية حين يطلعون على كتاباتهم ويعتمدون عليها كمصادر للتلقي والتعلم.

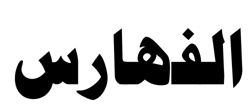
٧) ضرورة التصدي من قبل الباحثين والدارسين لهذه الأخطاء المنهجية الواردة في كتابات المستشرقين بشكل مستقل؛ أي إجراء البحوث والدراسات المتخصصة في تتبع أخطائهم المبثوثة في كتبهم.

٨) وجوب انتهاج الوسطية والاعتدال بالتماس العذر والتعامل بعدل مع هؤلاء المستشرقين الذين أسلموا، لا المغالاة في مدحهم ولا الإفراط في ذمهم بوصفهم بالفسق والبدعة، فهؤلاء المستشرقون وبتأثير حياتهم السابقة في الغرب ظلوا بعيدين جزئياً عن الإدراك العميق والواعي لبعض أصول الإسلام وفروعه بسبب بيئاتهم التي عاشوها، وهذا لا يطعن في حسن نواياهم وصدق إخلاصهم.

وبعد، فما قدَّمته وقمت به إنما هو جهد المقل، بذلت فيه أقصى سعيي، وبالغ جهدي، مع قصر في الباع، وقلة في المتاع، وإن أتيت من قبل أمر، فإنما هو عمل البشر؛ إذ الكمال عزيز، والنقص وارد، والخطأ مرجوع عنه، وأدعو الله تعالى أن أكون وفقت فيما قصدت، ولا أدعي أنني أحطت علماً بكل جوانب الموضوع، فهذا صعب المنال، والمجال مفتوح أمام الباحثين، وما كتبته يعتبر خطوة في انتظار خطوات، ولبنة في انتظار لبنات، سائلاً المولى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعموم المسلمين.

وأخيراً، أسأل اللهَ تعالى بمنه وكرمه أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى اللهُ وبارك على نبينا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



الفهارس

فهرس الآيات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤	﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ﴾	١٦٣	٢٤٧
٢٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾	١٧٢	٣٩٧
٢٦	﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	١٧٧	٢٦١، ٢٧٦
٢٧	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٧٩	٢٤٢
٢٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	١٨٣	٢٢٦
٢٩	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾	١٨٥	٢٢٧
٣٠	﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾	١٨٧	٤٤٤، ٤٥٨، ٥٠١
٣١	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾	١٩٠	٩١، ١٥٢، ٥٠١
٣٢	﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ ...﴾	١٩٦	١٤١
٣٣	﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾	١٩٧	٢٣٦
٣٤	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ...﴾	٢١٤	٢٨٩
٣٥	﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾	٢١٩	٥٦٦
٣٦	﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ...﴾	٢٣١	٤٥٤
٣٧	﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ ...﴾	٢٣٧	١٤٢
٣٨	﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ...﴾	٢٥٥	٩٦، ٥٠٢، ٦٤٠
٣٩	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾	٢٥٦	٤٠٧، ٤٠٨، ٥٥١، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٣٧، ٦٣٨
٤٠	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾	٢٥٧	٥٤٩
٤١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾	٢٦٤-٢٦٥	٢٢٢
٤٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾	٢٧٧	٢٢١، ٢٢٢
٤٣	﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ...﴾	٢٨٥	٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٦٨
٤٤	﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾	٢٨٦	٥٩٥

٣-سورة آل عمران

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٥	﴿هُدًى لِّلنَّاسِ ﴿٤﴾﴾	٤	٢٧١
٤٦	﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ...﴾	٧	١٥٩
٤٧	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ...﴾	٩	٢٧٨
٤٨	﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿١٩﴾﴾	١٩	٢٠٥، ٥٥٠، ٦٢٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٩	﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...﴾	٣١	١٧٣، ١٧٥
٥٠	﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ ...﴾	٦٢	١٦٨
٥١	﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ...﴾	٨٣	٢٥٠
٥٢	﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ ...﴾	٨٤	٢٧٤
٥٣	﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ...﴾	٨٥	٩، ١٤١، ٢٠١، ٥٥١، ٦٢٥، ٦٢٧
٥٤	﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ ...﴾	٩٧	٢٣١، ٢٣٢
٥٥	﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ...﴾	١٠٤	٢٩٢
٥٦	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ ...﴾	١١٠	٦٠٩
٥٧	﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ...﴾	١١٤	٢٩٢
٥٨	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ...﴾	١٤٤	٣٤٩، ٥٠٢
٥٩	﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ ...﴾	١٥٢	٣٢٨
٦٠	﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾	١٥٩	٥٣٧
٦١	﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ...﴾	١٩٠	٢٤٢
٦٢	﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ ...﴾	١٩١	٢٤٢، ٢٤٢

٤-سورة النساء

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٣	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ ...﴾	١	٩، ٤٤٢
٦٤	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا ...﴾	٣	٣٥٦، ٣٥٩، ٤٤٤، ٤٥٧
٦٥	﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن ...﴾	٤	٤٤٢
٦٦	﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ...﴾	٢٤	١٧٨، ٦٣٥
٦٧	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ...﴾	٢٨	١٥٣، ٢٠٨
٦٨	﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ ...﴾	٣٤	٤٦٨، ٥٠٣
٦٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ...﴾	٤٣	١٤٢
٧٠	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾	٥٩	٤٨٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ...﴾	٦١	٣٩٦
٧٢	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ ...﴾	٦٥	١٧٥
٧٣	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾	٧٦	٥٤٩
٧٤	﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ ...﴾	٧٨	٢٨٨
٧٥	﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ ...﴾	٧٩	٢٨٨
٧٦	﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾	٨٠	٥٠٠
٧٧	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ...﴾	٨٢	٨٦، ١٢٥
٧٨	﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ...﴾	٨٧	١٥٠
٧٩	﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ١٠٣﴾	١٠٣	٢٠٧
٨٠	﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ ...﴾	١١٣	١٧٢، ٣٥٢
٨١	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي﴾	١٢٢	١٥٠
٨٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ ...﴾	١٢٨	٤٤٢
٨٣	﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ ...﴾	١٢٩	٣٦٣، ٤٥٧، ٥٠٣
٨٤	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي ...﴾	١٣٦	٢٣٧، ٢٣٨، ٢٦٥، ٢٦٦
٨٥	﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ...﴾	١٥٠-١٥١	٢٦٨
٨٦	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ...﴾	١٥٧-١٥٨	٥٩٩
٨٧	﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ...﴾	١٥٨	٥٩٩
٨٨	﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ...﴾	١٦٣	٢٧٠
٨٩	﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾	١٧١	٣١٧

٥-سورة المائدة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٠	﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ ...﴾	٣	٢٣٣، ٣٤٥
٩١	﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ...﴾	٥	١٦٨
٩٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ ...﴾	٦	٢١١
٩٣	﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ ...﴾	١٩	٢٤٦
٩٤	﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ...﴾	٣٣-٣٤	١٦٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٥	﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ...﴾	٣٣	١٤٧
٩٦	﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ...﴾	٤٨	٩٠، ٢٣٨، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧١، ٤٨٤، ٥٥٠، ٥٥١
٩٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ ...﴾	٥١	٥٤٧
٩٨	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ...﴾	٥٥	٥٤٨
٩٩	﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ...﴾	٧٢	٥٩٨
١٠٠	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ ...﴾	٩١	٤٠٤
١٠١	﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ ...﴾	١١٥-١١٨	٥٩٨

٦-سورة الأنعام

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٢	﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾	٢٠	١٠٠
١٠٣	﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾	٥٠	٥٦٧
١٠٤	﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ ...﴾	٥٩	٢٤٤
١٠٥	﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ ...﴾	٩١	٢٧٢
١٠٦	﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ...﴾	١٠٣	٢٤٤
١٠٧	﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ...﴾	١٠٨	٢٧٣
١٠٨	﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ رَبَّكَ ...﴾	١١٩	٥٣٧
١٠٩	﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ ...﴾	١٤٥	٣٧٨
١١٠	﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ...﴾	١٤٩	١٧١
١١١	﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ...﴾	١٦٢-١٦٣	٢٠١
١١٢	﴿وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ ...﴾	١٦٤	٤٠٦، ٥٩٥، ٥٩٨
١١٣	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ ...﴾	١٦٥	١١٩

٧-سورة الأعراف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٤	﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن ...﴾	٥-٦	١٦٢
١١٥	﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ ...﴾	١٢	٢٦٢
١١٦	﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ ...﴾	١٣	١٥٩
١١٧	﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤﴾	١٤	٢٦٢
١١٨	﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ ...﴾	١٧-١٨	٢٦٢

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٩	﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ ...﴾	١٩	٢٩١
١٢٠	﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ...﴾	٢٤	٢٩١
١٢١	﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ...﴾	٣٢	٣٧٩
١٢٢	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ ٣٧﴾	٣٧	١٤٣
١٢٣	﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ...﴾	٤٦	١٤٨
١٢٤	﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ ...﴾	٥٢	١٣٤
١٢٥	﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم ...﴾	٨٠	٤٥٦
١٢٦	﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ...﴾	١٢٣	١٤٨
١٢٧	﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ...﴾	١٤٣	٢٤٤
١٢٨	﴿ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ ...﴾	١٥٨	٣٠٦
١٢٩	﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾	١٧٢	٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٠، ٥٠٣
١٣٠	﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ ١٧٩﴾	١٧٩	١٤٢
١٣١	﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ ...﴾	١٨٠	٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨
١٣٢	﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ﴾	١٨٧	٢٧٧
١٣٣	﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا ...﴾	١٨٨	٣٤٩

٨-سورة الأنفال

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٣٤	﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ ...﴾	١٧	٣٢٦
١٣٥	﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ ...﴾	٢٢	٥٦٨
١٣٦	﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ ...﴾	٧٢	٤٣١

٩-سورة التوبة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٣٧	﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ ...﴾	٦	٥٥٠
١٣٨	﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ...﴾	٢٦	١٦١
١٣٩	﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ...﴾	٣١	٥٩٤
١٤٠	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ ...﴾	٣٤	٥٩٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤١	﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ ...﴾	٦٠	٢٢٠، ٢٢٠، ٢٢٣
١٤٢	﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ ...﴾	٦٥-٦٦	١٦٨
١٤٣	﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ ...﴾	٦٥	١٥٥
١٤٤	﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ ...﴾	٧١	٣٧٣
١٤٥	﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ ...﴾	١٠٣	٢٠٧، ٢٢٠، ٢٢٠
١٤٦	﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ...﴾	١١٨	٥٣٥

١٠-سورة يونس

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤٧	﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ...﴾	٤	٢٩٢
١٤٨	﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم ...﴾	٤١	٤٠٧
١٤٩	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم ...﴾	٤٧	٢٧٤
١٥٠	﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ ...﴾	٩٢	٦٠
١٥١	﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ...﴾	١٠١	٥٦٧

١١-سورة هود

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥٢	﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾	١٣	٩١، ١٢١
١٥٣	﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ...﴾	٣٧	١٦٦
١٥٤	﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ ...﴾	٤٩	١٠١، ٥٠٣
١٥٥	﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ ...﴾	٦١	١١٥
١٥٦	﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ...﴾	٧٨	٤٥٦

١٢-سورة يوسف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥٧	﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا ...﴾	٢٥	١٤٤
١٥٨	﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾	٤٠	٥٣٧
١٥٩	﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ ...﴾	٨٧	١٤٣
١٦٠	﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ...﴾	١٠٨	١٤٣، ١٧٤
١٦١	﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا ...﴾	١١١	١٦٧

١٣-سورة الرعد

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٢	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ ...﴾	١١	٢٧٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٣	﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ...﴾	١٣	٢٦٤
١٦٤	﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ ...﴾	٢٢-٢٤	٢٨٤
١٦٥	﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ...﴾	٤٠	٢٧٧

١٥-سورة الحجر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٦	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾	٩	٤٤، ١٠٠
١٦٧	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ...﴾	٢٦	١١٥
١٦٨	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ ...﴾	٤٧	١٦٠
١٦٩	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾	٨٧	٢١١

١٦-سورة النحل

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٠	﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ...﴾	٤	١١٥
١٧١	﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾	٦٠	٢٥٨
١٧٢	﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ ...﴾	٦٩	٣٧٩
١٧٣	﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ ...﴾	٧٤	٢١٨
١٧٤	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ...﴾	٩٠	٥٤٨
١٧٥	﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ...﴾	٩٨	١٢٥
١٧٦	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ ۝١٠٣﴾	١٠٣	١٢٨
١٧٧	﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ ...﴾	١٠٦	٦٣٥

١٧-سورة الإسراء

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٨	﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ...﴾	١	٣١٩، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٣
١٧٩	﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ﴾	٨	٢٤٨
١٨٠	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾	١٥	٥٩٥
١٨١	﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾	٢٣	٤٤٥
١٨٢	﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ...﴾	٥٨	٢٨٢
١٨٣	﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ ...﴾	٥٩	٥١٥
١٨٤	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ...﴾	٧٠	٣٩٦
١٨٥	﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ ...﴾	٨١	٣٤٠
١٨٦	﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ ...﴾	٨٨	٩٠

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٧	﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا ...﴾	١١٠	٢٥٨

١٨-سورة الكهف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٨	﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا ...﴾	٥	٣٥٤
١٨٩	﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ...﴾	١٤	١٤٤
١٩٠	﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن ...﴾	٢٩	٦٢٥
١٩١	﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ...﴾	٩٤	١٦٨
١٩٢	﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ ...﴾	١١٠	١٢٨

١٩-سورة مريم

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٣	﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ...﴾	٢٩	١٥٨
١٩٤	﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ...﴾	٣٠	١٥٨
١٩٥	﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾	٥٧	١٥٨

٢٠-سورة طه

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٦	﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ...﴾	٨	٢٥٨
١٩٧	﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١﴾	٢١	٢٩٥
١٩٨	﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥﴾	٢٥	١٤٤
١٩٩	﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ...﴾	٣٩	١٦٦
٢٠٠	﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا ...﴾	٥٣	١١٥، ١٤٥
٢٠١	﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ...﴾	٥٥	١١٥
٢٠٢	﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ ...﴾	٧١	١٤٧
٢٠٣	﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤﴾	٧٤	٢٨٥
٢٠٤	﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ ...﴾	٩٢-٩٣	١٥٧
٢٠٥	﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ ...﴾	١١٠	٦٤١
٢٠٦	﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾	١١٤	٥٦٦، ٥٦٧
٢٠٧	﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾	١٢٢	٢٧٤، ٤٠٦
٢٠٨	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨﴾	١٢٨	٥٦٨
٢٠٩	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا ...﴾	١٣١	٣٩٨
٢١٠	﴿لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾	١٣٢	٢٠٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٢١-سورة الأنبياء		
٢١١	﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾	١	٢٧٨
٢١٢	﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ...﴾	١٠	٢٦٧
٢١٣	﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦﴾	١٦	١١٩
٢١٤	﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ...﴾	٣٠	٥٨٢
٢١٥	﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ ...﴾	٤٥	٤٩٦
٢١٦	﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ ...﴾	٦٨-٦٩	١٥٦
٢١٧	﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾	٦٩	١٥٦
٢١٨	﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ...﴾	٨٢	١٤٥
٢١٩	﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ...﴾	٩٢	٦٣٦
٢٢٠	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ ...﴾	٩٦	١٦٨
	٢٢-سورة الحج		
٢٢١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ ...﴾	١	٢٧٧
٢٢٢	﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ٥﴾	٥	١١٥
٢٢٣	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ...﴾	٦	١٤٥
٢٢٤	...	٣٧	٢٣٤
٢٢٥	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ ...﴾	٣٩	١٥٢
٢٢٦	﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن ...﴾	٤٠	٤٣٨
٢٢٧	﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ ...﴾	٤٦	٥١٧
٢٢٨	﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ ...﴾	٧٨	٦٢٤
	٢٣-سورة المؤمنون		
٢٢٩	﴿قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥﴾	٨٥	٥٦٨
٢٣٠	﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ ...﴾	٨٨	٢٩٢
٢٣١	﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ...﴾	١١٥	١١٩
	٢٤-سورة النور		
٢٣٢	﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾	٢	٦٥٠
٢٣٣	﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ ...﴾	٤	٤٤٦
٢٣٤	﴿وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾	٢٢	١٤٥، ٦٢٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٥	﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ ...﴾	٣٠-٣١	٤٦٨
٢٣٦	﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ﴾	٣٠	٤٥٧
٢٣٧	﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا ...﴾	٣١	١٦٣، ٤٥٧
٢٣٨	﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ...﴾	٣٩-٤٠	٩٦
٢٣٩	﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن ...﴾	٤٠	١١٩
٢٤٠	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ...﴾	٤١	٦٣٦
٢٤١	﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا ...﴾	٥٤	٢٤٠
٢٤٢	﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ...﴾	٦٣	٤٩٩، ٥٤٢

٢٥-سورة الفرقان

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٣	﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ ...﴾	١	٩٠
٢٤٤	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾	٢	٢٨٧
٢٤٥	﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً ...﴾	٥	١٢٤
٢٤٦	﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ...﴾	٦	١١١

٢٦-سورة الشعراء

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٧	﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ...﴾	١٩٢-١٩٥	٩١
٢٤٨	﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ ...﴾	٢١٠-٢١٢	١٢٦
٢٤٩	﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾	٢١٤	٦١٤
٢٥٠	﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ...﴾	٢٢٧	١٥٢

٢٧-سورة النمل

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٥١	﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ...﴾	٤٧	١٥٩
٢٥٢	﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ...﴾	٨٢	١٦٨

٢٨-سورة القصص

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٥٣	﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	٢٧٤
٢٥٤	﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ ...﴾	٧٧	٣٩٧

٢٩-سورة العنكبوت

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٥٥	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ ...﴾	٢٤	١٥٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧٦	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٨	٥٩٥
٢٧٧	﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ ...﴾	٢٤	٢٧٠

٣٦-سورة يس

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧٨	﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ...﴾	٩	٣٢٣
٢٧٩	﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ ...﴾	١٩	١٥٩

٣٧-سورة الصافات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٠	﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ...﴾	٩٧-٩٨	١٥٦
٢٨١	﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾	٩٧	١٥٧
٢٨٢	﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾	١٠٧	٢٣٤
٢٨٣	﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾	١٤٠	١٥٣

٣٨-سورة ص

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٤	﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا ...﴾	٤٦-٤٧	١٥٢
٢٨٥	﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ...﴾	٤٨	١٥٣
٢٨٦	﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾	٧٣	٥١١

٣٩-سورة الزمر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٧	﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾	٢	٢٤٧
٢٨٨	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	٧	٥٩٥
٢٨٩	﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾	٦٥	٦٥٥
٢٩٠	﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ ...﴾	٦٧	١٦٦

٤٠-سورة غافر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩١	﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾	١٦	٢٨٣
٢٩٢	﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ...﴾	٥٩	٢٧٧

٤١-سورة فصلت

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٣	﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ...﴾	٩	١٥٠
٢٩٤	﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ...﴾	٢٥	١٦٢
٢٩٥	﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ...﴾	٥٣	١١١، ٢٤٢، ٥١٧

٤٢-سورة الشورى

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٦	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾	١١	١٦٦، ٢٥٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٧	﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ...﴾	١٣	١٣٢
٢٩٨	﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ٣٨﴾	٣٨	٥٣٧

٤٣-سورة الزخرف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٩	﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ...﴾	٩	٢٤١

٤٤-سورة الدخان

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠٠	﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢﴾	٣٢	٢٧٤

٤٦-سورة الأحقاف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠١	﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي ...﴾	٩	٢٤٣

٤٧-سورة محمد

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠٢	﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا ...﴾	٣٨	٥٤٦

٤٨-سورة الفتح

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠٣	﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا مُّبِينًا ١﴾	١	٣٣٩
٣٠٤	﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا ١٨﴾	١٨	٣٣٧
٣٠٥	﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ...﴾	٢٦	٢٠٦

٤٩-سورة الحجرات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠٦	﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ...﴾	١٠	٣٢٤
٣٠٧	﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ...﴾	١٣	٣٢٤، ٤٠٠
٣٠٨	﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ ...﴾	١٤	٢٤٠
٣٠٩	﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ ...﴾	١٧	٦٢٦

٥٠-سورة ق

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١٠	﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ ...﴾	١٦	٢٤٤

٥١-سورة الذاريات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١١	﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ ...﴾	٣٣-٣٤	٥٠٩
٣١٢	﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ٣٣﴾	٣٣	٥٠٩
٣١٣	﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾	٥٦	٢٥٠

٥٣-سورة النجم

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١٤	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا ...﴾	٣-٤	١٧٢
٣١٥	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣﴾	٣	٤٩٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١٦	﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى ...﴾	٣٢	١١٥
٣١٧	﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾	٣٨	٢٧٨، ٥٠٢، ٥٩٥، ٥٩٨
٣١٨	﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾	٣٩	٥٩٥
	٥٤-سورة القمر		
٣١٩	﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾	١	٥١٥
٣٢٠	﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ...﴾	٦	٥١٥
٣٢١	﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾	٤٩	٢٨٧
	٥٥-سورة الرحمن		
٣٢٢	﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ ...﴾	٥٤	١٦٠
	٥٦-سورة الواقعة		
٣٢٣	﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾	١٣-١٤	٢٧٨، ٥٠١، ٥٠٢
٣٢٤	﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ ...﴾	٢٢-٢٥	٢٨٥
٣٢٥	﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ...﴾	٧٧-٨٠	١٢٤
	٥٧-سورة الحديد		
٣٢٦	﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ ...﴾	٢٧	٣٩٩
	٥٩-سورة الحشر		
٣٢٧	﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ...﴾	٧	١٧٤
٣٢٨	﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ...﴾	١٠	١٩٤
٣٢٩	﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ...﴾	٢٢-٢٤	٢٥٨، ٢٥٩
٣٣٠	﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ...﴾	٢٤	٢٥٨
	٦٠-سورة الممتحنة		
٣٣١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ...﴾	١	٥٤٩
٣٣٢	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ ...﴾	٤	٥٤٧، ٥٥١
٣٣٣	﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ...﴾	٨	١٥٢
٣٣٤	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ ...﴾	١٣	٥٤٨، ٥٤٩
	٦١-سورة الصف		
٣٣٥	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى ...﴾	٦	٢٧٢
	٦٢-سورة الجمعة		
٣٣٦	﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ ...﴾	٦	٢٤٦
	٦٦-سورة التحريم		

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٣٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾	٦	٦٥٤
	٦٧-سورة الملك		
٣٣٨	﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا ...﴾	١٠	٥١٧
	٦٨-سورة القلم		
٣٣٩	﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ...﴾	٥١-٥٢	١٢٦
	٦٩-سورة الحاقة		
٣٤٠	﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ ...﴾	٤٠-٤٣	١٢٨
	٧١-سورة نوح		
٣٤١	﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾	١٧	١١٥
	٧٢-سورة الجن		
٣٤٢	﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ ...﴾	١١	٢٦٤
٣٤٣	﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ ...﴾	١٤	٢٦٤
	٧٣-سورة المزمل		
٣٤٤	﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢﴾	١٢	١٦٠
٣٤٥	﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ...﴾	١٧	٢٨٤
٣٤٦	﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ ...﴾	٢٠	١٧٨، ٢٢١
	٧٤-سورة المدثر		
٣٤٧	﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ ...﴾	٢٦-٣٠	١٦١
	٧٥-سورة القيامة		
٣٤٨	﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧﴾	٣٧	١١٥
	٧٦-سورة الإنسان		
٣٤٩	﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ ...﴾	٢	١١٦
٣٥٠	﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾	٣	٢٥٠
٣٥١	﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ...﴾	١١-١٤	٥٨٤
٣٥٢	﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا ...﴾	١٩	١٦٠
٣٥٣	﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ ...﴾	٢٩-٣٠	٢٩٠
	٧٨-سورة النبأ		
٣٥٤	﴿وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣﴾	٣٣	١٦٠، ٥٢١
	٧٩-سورة النازعات		
٣٥٥	﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾	٢٤	٢٤١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٨٠-سورة عبس		
٣٥٦	﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ ...﴾	١١-١٦	١٢٤
	٨٢-سورة الانفطار		
٣٥٧	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾	١٠	١٦١
	٨٣-سورة المطففين		
٣٥٨	﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥﴾	٢٥	١٦٠
	٨٥-سورة البروج		
٣٥٩	﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾	٤-٥	١٦٧
٣٦٠	﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾	٢١	١٢٤
	٨٩-سورة الفجر		
٣٦١	﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾	٢٢	١٦٦
	٩٠-سورة البلد		
٣٦٢	﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾	١٠	٢٥٠
	٩٣-سورة الضحى		
٣٦٣	﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾	٤	٣٩٧
	٩٤-سورة الشرح		
٣٦٤	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ...﴾	١-٣	١٥٤
٣٦٥	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾	١	٣٤٧
	٩٥-سورة التين		
٣٦٦	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾	٤	٢٤٥، ٤٠٥
٣٦٧	﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾	٥-٦	٢٤٥
	٩٦-سورة العلق		
٣٦٨	﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ...﴾	١-٥	٢٦٣
٣٦٩	﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾	١	٢٦٢، ٣١١، ٣١٢
٣٧٠	﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾	٢	١١٨
٣٧١	﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾	١٨	٢٦٤
	٩٧-سورة القدر		
٣٧٢	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾	١	٩١، ٢٦٤، ٢٨٧، ٥٠١
	٩٨-سورة البينة		
٣٧٣	﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾	٢	١٢٤

٩٩-سورة الزلزلة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٧٤	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾	١	٢٧٧

١٠١-سورة القارعة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٧٥	﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ...﴾	١-٤	٢٧٦

١٠٩-سورة الكافرون

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٧٦	﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾	٦	٥٢٣

١١٢-سورة الإخلاص

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٧٧	﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾	١	٢٠٦، ٢٥٩
٣٧٨	﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾	٣-٤	٢٥٧

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٧	((ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل ....))	٤١٤
٢٨	((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا))	٢٩
٢٩	((الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل))	٢٥١
٣٠	((الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها))	٥٠٤
٣١	((الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة))	٤٤٥
٣٢	((الزمها فإن الجنة تحت أقدامها))	٤٤٥
٣٣	((اللهم اجعل فيها ضعفي ما جعلت في مكة من البركة))	٣٢٣
٣٤	((اللهم أعني على سكرات الموت))	٣٤٤
٣٥	((اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد، واستغرق في الدعاء والتضرع حتى سقط رداؤه دون أن يشعر، فأعاده أبوبكر وهو يقول: يا نبي الله بعض مناشدتك ربَّك، فإن الله منجز لك ما وعدك))	٣٢٥
٣٦	((اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي؛ إلى من تكلني؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي))	٣١٦
٣٧	((اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد))	٣٢٣
٣٨	((اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا ومهابةً وبرًّا، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا وبرًّا))	٣٤١
٣٩	((المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها))	٤٦٧
٤٠	((المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يسْلِمْه ولا يخذله))	٦٢٦
٤١	((المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده))	٦٢٦
٤٢	((المسلمون تتكافأ دماؤهم))	٦٢٦
٤٣	((المسلمون على شروطهم))	٦٢٦
٤٤	((المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا، ويملك سبع سنين))	٢٨٣
٤٥	((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا))	٣٧٣
٤٦	((أمك ثم أمك ثم أمك، ثم أبوك))	٤٤٥
٤٧	((أن الجنة تحت أقدام الأمهات))	٤٤٥
٤٨	((إن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا بني عبد المطلب إلى طعام فجاءوا وكان عددهم أربعين، وكان من بينهم أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب؛ لكن أبا لهب سخر من بركة الطعام القليل الذي أشبعهم جميعاً وقال: "ما رأينا سحراً كسحر اليوم، فلنبادر بالانصراف"، وكان لكلام أبي لهب صدى في نفوسهم بعد ما رأوا من تلك الجفنة الصغيرة التي أشبعت أربعين رجلاً...))	٦١٣
٤٩	((إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل: يا رسول الله، وما جلاؤها؟ فقال: تلاوة القرآن وذكر الموت))	٤٤٧
٥٠	((إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضتُ فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلانًا قد مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو	٤١٥

م	طرف الحديث	الصفحة
	عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم! استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ ......))	
٥١	((أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون، فقال: ((لو لم تفعلوا لصلُح))	٤٩٧
٥٢	((إن أمّر عليكم عبد مجدَّع يقودكم بكتاب الله تعالى، فاسمعوا وأطيعوا))	٥٠٧
٥٣	((أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))	٢٣٧
٥٤	((إن صلوات المسلم اليومية الخمس المفروضة كافية، ليست في حد ذاتها، لكن لأن الله يحسبها بأنها تساوي خمسين من صلوات الأقدمين))	٥٠٦
٥٥	((إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب))	٥٦٦
٥٦	((إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل))	٤٩٧
٥٧	((إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا))	٢٨٢
٥٨	((أن يطلبوا العلم من المهد إلى اللحد))	٦١٥
٥٩	((أنتم أعلم بأمر دنياكم))	٤٩٧
٦٠	((أنتم أعلم بأمر دنياكم))	٤٩٩
٦١	((أنتم أعلم بأمور دنياكم))	٤٩٦
٦٢	((انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اشهدوا))	٥١٥
٦٣	((إنك أحب البلاد إلى الله وأحب البلاد إلى نفسي، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت))	٣٢٣
٦٤	((إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى))	٥٠٤
٦٥	((إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر))	٤٩٧
٦٦	((إنما تعدل الصلاة المنفردة سبعًا وعشرين مرة))	٢١٥
٦٧	((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنتي وإني مسائلكم يوم القيامة فيما أنتم فاعلون))	٥٠٦
٦٨	((إني قد رأيت والله خيراً، رأيت بقرًا تذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلمًا، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأولتها بالمدينة.....))	٣٢٧
٦٩	((اهتز العرش لموت سعد بن معاذ))	١٩٥
٧٠	((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله))	٥٤٧
٧١	((أوصيكم بالنساء خيراً))	٥٠٦
٧٢	((أوصيكم بالنساء خيراً))	٤٤٥
٧٣	((أيها الناس، اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا، أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا...))	٣٤١
٧٤	((بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء))	٤٠١
٧٥	((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله))	٢٠١
٧٦	((بُني الإسلام على خمس:....))	٦٢٦

م	طرف الحديث	الصفحة
٧٧	((بينا أنا نائم؛ إذ أتاني جبريل بالبراق -وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء- لا يماثله حيوان من حيوانات الأرض، فهو بين البغل والحمار، أبيض من البَرَد، له وجه إنسان؛ بيد أنه لا يتكلم، وله جناحان كبيران يرتفع بهما في الهواء، ويشق بهما طبقات الفضاء..))	٣١٩
٧٨	((تكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتلا رسول الله القرآن وذكر أسس الإسلام، ثم أضاف: أبايعكم على أن تمنعوني وأتباعي مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، فبايعناه في تحمس عام قائلين: ونحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة.....))	٢٨٤
٧٩	((حبب إليّ ثلاث: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة))	٣٥٦
٨٠	((حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة)	٢٠٨
٨١	((خلق الله الجنة لمن أطاعه، ولو كان عبدًا حبشيًا، وخلق النار لمن عصاه، ولو كان شريفًا قرشيًّا)	٢٨٤
٨٢	((خلوا سبيل الناقة ودعوها فإنها مأمورة ثم يبتسم في عطف ويقول: بارك الله فيكم))	٣٢١
٨٣	((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم))	١٩٤
٨٤	((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم))	٦٢١
٨٥	((خيركم، خيركم لأهله))	٤٤٥
٨٦	((دعها فإن المرأة الغيراء لا تعرف أعلى الوادي من أسفله!))	٦١٥
٨٧	((رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة في السماء مرفوعًا إلى الجنة بجناحين من ياقوت، عوضه الله تعالى بهما عن يديه))	٥٠٩
٨٨	((طلب العلم فريضة على كل مسلم))	٥٠٥
٨٩	((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة))	٥٨٢
٩٠	((علو الهمة من الإيمان))	٣٩٥
٩١	((عندما تغرب الشمس فإنها تسجد تحت عرش الله وتطلب إليه الإذن بأن تعيد طريقها وتسجد من جديد))	٥١٣
٩٢	((عندما يتعجلون للقتال، حتى عندما يضبطون خطوطهم للصلاة عندما يؤذن لها، سينزل المسيح ابن مريم وسيقودهم في الصلاة، وعندما يرى عدو الله المسيح سيذوب مثل الملح في الماء إذا ترك لحاله سيذوب حتى يفنى، ولكن الله سيذبحه على يد المسيح الذي سيريهم دمه على رمحه))	٢٨٣
٩٣	((فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا، أمرًا بينًا: كتاب الله وسنة رسوله، أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعَلَّمُنَّ: أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة......))	٣٤٢
٩٤	((فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟ قال جبريل: قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على آدم، فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من ابن ونبي، فأتينا السماء الثانية ....))	١٤٩
٩٥	((فإني إنما ظننت ظنًا، فلا تؤاخذوني بالظن))	٤٩٩
٩٦	((قد رجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم))	٦٥١
٩٧	((قدم نبي الله المدينة وهم يأبرون النخل يقولون يلقحون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت أو فنقصت قال فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا ......))	٤٩٥

م	طرف الحديث	الصفحة
٩٨	((كان إذا سلَّم سلَّم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً))	٥٨٥
٩٩	((كان خلقه القرآن))	٥٠٥
١٠٠	((كفى بالمرء إثماً أن يضيع أهله))	٤٤٥
١٠١	((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا يا رسول الله: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى))	٥٠٦
١٠٢	((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه))	٤٠٦
١٠٣	((كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسيا امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام))	١٩٨
١٠٤	((لا إكراه في الدين))	٥٠٤
١٠٥	((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال))	٢٨٣
١٠٦	((لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))	١٩٥
١٠٧	((لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه))	٥٠٦
١٠٨	((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة))	٦٥٠
١٠٩	((لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ))	١٧١
١١٠	((لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً))	٤٩٧
١١١	((لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً))	٤٩٩
١١٢	((لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن عليه السلام، فبهم يسقون، وبهم ينصرون))	٦١٧
١١٣	((لن يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم))	٢٨٢
١١٤	((ما أظن يغني ذلك شيئًا))	٤٩٧
١١٥	((ما أظن يغني ذلك شيئًا))	٤٩٩
١١٦	((ما بالك باثنين الله ثالثهما))	٣٢٢
١١٧	((ما بالك في اثنين الله ثالثهما))	٥٠٧
١١٨	((ما تصنعون؟))	٤٩٧
١١٩	((ما لنخلكم؟))	٤٩٧
١٢٠	((ما من أحد له يد علينا إلا كافأناه بها إلا أبو بكر))	٣٦٢
١٢١	((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُتيتُه وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يوم القيامة))	٤٩٦
١٢٢	((ما يصنع هؤلاء؟))	٤٩٧
١٢٣	((ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، أنثا بإذن الله))	١٩٧
١٢٤	((مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))	٣٤٣
١٢٥	((مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع))	٤٤٧

م	طرف الحديث	الصفحة
١٢٦	((من آذى ظلمًا يهوديًا أو نصرانيًا كنت خصمه يوم القيامة قد يدوم الملك على الكفر، ولكنه لا يدوم على الظلم))	٦١٤
١٢٧	((من بدل دينه فاقتلوه))	٦٣٨
١٢٨	((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعَصَبَته أو يدعو إلى عَصَبَته أو ينصر عَصَبَته فقتل، فقتلةٌ جاهلية....))	٥٠٧
١٢٩		
١٣٠	((من رأى من أميره شيئًا فكره فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية))	٥٠٥
١٣١	((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))	٥٠٥
١٣٢	((من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا في الجنة))	٥٨٣
١٣٣	((مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ))	١٧١
١٣٤	((من صلى عليك من أمتك واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، ورفعه عشر درجات))	٦٤٤
١٣٥	((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))	٥٠٧
١٣٦	((من فتح بابًا من أبواب العلم فتح الله له بابًا من أبواب الجنة))	٥٨٣
١٣٧	((من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار))	١٨١
١٣٨	((من لا يَرحم لا يُرحم))	٤١٥
١٣٩	((موتوا قبل أن تموتوا))	٢٨١
١٤٠	((نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب))	١٩٦
١٤١	((وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))	١٩٦
١٤٢	((والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده))	٥٠٧
١٤٣	((وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت))	١٩٥
١٤٤	((وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به....))	٦٢٩
١٤٥	((ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة))	٥٦٦
١٤٦	((يا رسول الله، كم فرض الله على أمتك من الصلوات؟ خمسون صلاة في اليوم والليلة، عد يا خير الخلق إلى إلهنا وسيدنا، فاطلب منه التخفيف؛ لأن أمتك لا تطيق، ذلك حمل ثقيل على الضعفاء والكسالى من بني الإنسان، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم.....))	٢٠٧
١٤٧	((يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته))	٣١٤
١٤٨	((يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء))	٦١٤

فهرس الأعلام

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. فريد الأنصـــاري، أبجديات البحث في العلوم الشـــرعية، منشـــورات الفرقان، الدار البيضـــاء، ط١، ١٩٩٧م.

٣. على جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ط ٥، المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ

٤. محمد سـعيد السـرحاني، الأثر الاسـتشـراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم بحث علمي غير مطبوع.

٥. محمد أســد، أثر الحروب الصــليبية على الفكر الغربي الحديث، المختار الإســلامي للطباعة والنشــر بالقاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٦. عبد الرحمن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير -الاستشراق- الاستعمار)، ط ٨، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧. ابن حزم الأندلســي القرطبي الظاهري، الإحكام في أصــول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شــاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٨. عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٧.

٩. نورة حسـن صـالح الغامدي، الأسـتاذة مريم جميلة وجهودها في الدفاع عن الإسـلام، رسـالة علمية لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، قسم الثقافة الإسلامية.

١٠. ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

١١. إدوارد سـعيد، الاسـتشـراق (المعرفة -السـلطة- الإنشـاء) ترجمة كمال أبو الديب، بيروت، الطبعة الثانية.

١٢. محمود حمدي زقزوق، الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٧م.

١٣. مازن صـلاح مطبقاني، الاسـتشـراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسـلامي، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٤. علي إبراهيم النملة، الاســتشــراق والدراســات الإســلامية (مصــادر الاســتشــراق والمســتشــرقين ومصدريتهم)، ط١، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٥. طارق بن سـعيد القحطاني، أسـرار الحروف وحسـاب الجمل، رسـالة علمية لنيل درجة الماجسـتير من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ١٤٢٩هـ/١٤٣٠هـ.

١٦. مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، مكتبة العبيكان، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٧ . محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة الدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة بدون.

١٨ . محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٨، ١٩٧٤م.

١٩ . مجموعة من المؤلفين، موسوعة مشاهير العالم، ط ١، بيروت دار الصداقة العربية، ٢٠٠٢م.

٢٠ . مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، مكتبة العبيكان، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢١ . مريم جميلة، الإسلام في النظرية والتطبيق، ترجمة: س حمد، مكتبة الفلاح، الكويت.

٢٢ . مريم جميلة، الإسلام في مواجهة الغرب، نشر بلاهور، ١٩٦٢م.

٢٣ . مراد هوفمان، الإسلام كبديل، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ، ط٢.

٢٤ . مراد هوفمان، الإسلام كما يراه ألماني مسلم، مكتبة العبيكان ط، ١، ١٤٢٨هـ.

٢٥ . محمد عبده، الإسلام والنصرانية، مطبعة المنار بمصر،١٣٤١هـ.

٢٦ . مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ط١، بيروت، دار رواد النهضة ١٩٩٤م

٢٧ . اتيين دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، المطبعة السلفية في مصر، ط بدون، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م.

٢٨ . نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٩ . أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، دار غريب للطباعة، مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٧٧م.

٣٠ . يوسف شاخت، أصول الفقه، ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرين، دار الكتب اللبناني، ١٩٨١م.

٣١ . روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام، مكتبة الشروق، القاهرة، طبعة بدون.

٣٢ . علي بن إبراهيم بن داود العطار، الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، تحقيق الدكتور سعد بن هليل الزويهري، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٣٢هـ.

٣٣ . الماوردي، أعلام النبوة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٤ . خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

٣٥ . ابن حجر العسقلاني، الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع، ويليه أسئلة من خط الشيخ العسقلاني، تحقيق أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٦ . مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط١، بيروت، دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

٣٧ . أبو الحسين يحي بن أبي الخير بن سالم العمراني، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ.

٣٨. سعيد بن ناصر الغامدي، الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها (دراسة نقدية شرعية)، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤ هـ.

٣٩. عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

٤٠. بدر الدين أبو الفضل ابن قاضي شهبة، بداية المحتاج في شرح المنهاج، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ.

٤١. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٢. يحيى بن أبي بكر العامري الحرضي، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، دار صادر بيروت.

٤٣. عبد الرحيم القدواني، بيليوجرافيا ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٨هـ.

٤٤. محمد عبد الرزاق الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس، دار الهداية.

٤٥. مسعود الندوي، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، الدار العربية، بيروت.

٤٦. الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ط٢، ١٤١٩هـ.

٤٧. مريم جميلة، تحذير إلى المرأة المسلمة، ترجمة طارق السيد خاطر، مكتبة مريم جميلة، ط بدون.

٤٨. محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٤٩. عبد الواحد يحيى، التربية والتحقيق الروحي (تصحيح المفاهيم)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٣.

٥٠. الإسلامي عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١.

٥١. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٥٢. محمد خير رمضان يوسف، تكملة معجم المؤلفين، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٥٣. السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

٥٤. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٥٥. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.
٥٦. سمير أبو حمدان، جمال الدين الأفغاني وفلسفة الجامعة الإسلامية، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
٥٧. اتيين دينيه وسـليمان بن إبراهيم، الحج إلى بيت الله الحرام، الطبعة الأولى، مطبعة أنفو-برنت، ٢٠٠٩م.
٥٨. بكر بن عبد الله أبو زيد، حراسة الفضيلة، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الحادية عشر، ١٤٢٦هـ.
٥٩. محمد علي اللاهوري القادياني، حياة محمد ورسالته، ترجمه إلى الإنجليزية: محمد يعقوب خان، وترجمه إلى العربية: منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ.
٦٠. مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، دار الشروق، القاهرة، ط١.
٦١. علي بن أنجب بن السَّاعي، الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي بتونس ط١، ١٤٣٠هـ.
٦٢. رودي بارت، الدراسات الإسلامية في الجامعة الألمانية، ترجمه مصطفى ماهر، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
٦٣. محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.
٦٤. البيهقي، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ.
٦٥. أحمد العلاونة، ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، جدة.
٦٦. جبران مسعود، الرائد معجم لغوي معاصر، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.
٦٧. مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٢، ١٤٢٧هـ.
٦٨. مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ.
٦٩. محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان، المختار الإسلامي، القاهرة، ط: بدون، تاريخ إصدار: بدون.
٧٠. عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
٧١. محمد عبده بن حسن خير الله، رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي.
٧٢. الرسائل المتبادلة بين أبي الأعلى المودودي ومريم جميلة عن الدعوة وهموم المسلمين، ترجمة طارق السيد خاطر، طبعة بدون.

٧٣. عبد الواحد يحي، رموز الإنسان الكامل، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٦م.
٧٤. عبد الواحد يحيى، رموز العلم المقدس، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٤.
٧٥. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.
٧٦. مارتن لينجز، الساعة الحادية عشرة، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٢م.
٧٧. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف) ١٤١٥هـ.
٧٨. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (٢١٨/٣)، دار المعارف، الرياض بالمملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
٧٩. عبد الواحد يحي، السلطة الروحية والحكم الزمني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٨م.
٨٠. مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـكاتب جلبي، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول تركيا، ٢٠١٠م.
٨١. محمد بن عبد الله باجمعان، السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والعمل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، طبعة بدون.
٨٢. محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية-فيصل عيسى البابي الحلبي، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت.
٨٣. سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
٨٤. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مراجعة: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت.
٨٥. عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، مراجعة: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، بيروت، ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ.
٨٦. أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي المجتبى من السنن الكبرى، مكتب المطبوعات الإسلامية، مراجعة: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، ١٩٨٦م-١٤٠٦هـ.
٨٧. ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٨٨. عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ.

٨٩ . سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٩٠ . محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة الواسطية للعثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ.

٩١ . شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة تحقيق د. صالح بن محمد الحسن، مكتبة الحرمين، الرياض، السعودية ط ١.

٩٢ . محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح ثلاثة الأصول، دار الثريا للنشر، ط ٤، ١٤٢٤هـ.

٩٣ . عبد الواحد يحيى، شرق وغرب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط ١، ٢٠١٦.

٩٤ . سليمان بن حمد العودة، شعاع من المحراب، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٣٤هـ.

٩٥ . أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ.

٩٦ . ابن حبان، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٩٧ . محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، مراجعة: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ.

٩٨ . مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، ١٩٥٤م-١٣٧٤هـ.

٩٩ . صحيح وضعيف تاريخ الطبري، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٠٠ . شيخ الإسلام تقي الدين أبو العَباس أحمد بن تيمية، الصفدية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٠١ . محمد أسد، الطريق إلى الإسلام، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي، طبعة بدون.

١٠٢ . محمد أسد، الطريق إلى مكة، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٥هـ.

١٠٣ . محمد أسد، الطريق إلى مكة، منشورات الجمل، بيروت-لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.

١٠٤ . الطيب أديب، عباقرة الغرب لماذا أنصفوا الإسلام، دار المعرفة للنشر والتوزيع بالقاهرة ٢٠١٢/١٤٣٣، ط ١.

١٠٥ . راغب السرجاني، عظماء أسلموا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م.

١٠٦ . نايف منير فارس، علماء ومشاهير أسلموا، مكتبة ابن كثير، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

١٠٧. شمس الدين محمد السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
١٠٨. محمد عوض، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، مكتبة شبكة التفسير والدراسات القرآنية، ط بدون.
١٠٩. أبو الحسن علي الحسني الندوي، القادياني والقاديانية، الدار السعودية للنشر جدة، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ.
١١٠. سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، دمشق، سورية الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ.
١١١. موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، مصر.
١١٢. جاري مللر، القرآن المعجز، إصدارات موقع نصرة الإسلام، ط بدون.
١١٣. محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد، تحقيق عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره، نشره جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١١٤. شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، كتاب الصلاة من شرح العمدة، تحقيق خالد بن علي بن محمد المشيقح، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١.
١١٥. شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، كتاب الصيام من شرح العمدة، تحقيق زائد بن أحمد النشيري، دار الأنصاري ط١٤١٧هـ.
١١٦. عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، كواشف زيوف، دار القلم، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ.
١١٧. ابن منظور، لسان العرب، ط١، دار صادر بيروت.
١١٨. محمود المصري، لماذا أسلم هؤلاء، المكتبة التوفيقية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
١١٩. موريس بوكاي، ما أصل الإنسان؟ مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٩٧٦م.
١٢٠. زكي الميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.
١٢١. عبدالله العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر: بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م، ص٥١.
١٢٢. مارتن لينجز، ما هو التّصوّف، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٥م.
١٢٣. إبراهيم بن محمد بن مفلح، المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.
١٢٤. مجلة دعوة الحق، ١٤٠٢هـ (١٢)، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي.

١٢٥. شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

١٢٦. عبد الرؤوف محمد عثمان، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة بالرياض، ط١.

١٢٧. مريم جميلة، محمد أسد هدية أوروبا للإسلام تحرير وتعليق وكتابة م. إكرام شقاتاي، لاهور، باكستان، وهو باللغة الإنجليزية.

١٢٨. محمد بن بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر ١٤١٥هـ/١٩٩٥م بيروت.

١٢٩. ابن حزم الأندلسي الظاهري، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٠. عبد الواحد يحيى، مراتب الوجود المتعددة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط ١، ٢٠١٦.

١٣١. ذاكر الأعظمي، مريم جميلة المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، دار القلم دمشق، ط ١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٣٢. المستدرك على مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٣٣. نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف القاهرة، مصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٦٤م.

١٣٤. مراد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٨م.

١٣٥. أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

١٣٦. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق سورية الطبعة: ١٤٢٣هـ.

١٣٧. إبراهيم بن عمر البقاعي، مصرع التصوف، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، نشره عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

١٣٨. الإمام البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ.

١٣٩. مارتن لينجز، معتقدات قديمة وخرافات حديثة، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٩.

١٤٠. الإمام الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين بالقاهرة.

١٤١. الإمام الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ط٢.

١٤٢. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصـــرة، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، دار ماجد عسيري، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٤٣. إبراهيم مصـــطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوســيط، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، دار الدعوة.

١٤٤. محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٤٥. أحمد فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد الســـلام محمد هارون، دار الفكر بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٤٦. ابن قدامة المقدسي، المغني تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشــر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية الســعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧هـ.

١٤٧. أبو الوليد محمد بن أحمد بن راشـــد، المقدمات الممهدات، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار العرب بيروت.

١٤٨. محمد أسـد، مناهج الإسـلام في الحكم، ترجمة منصـور محمد ماضـي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧م.

١٤٩. محمد البشير مغلي، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ.

١٥٠. رياض بن حمد بن عبد الله العُمري، مناهج المستشـرقين ومواقفهم من النبي صـلى الله عليه وسـلم، جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط١.

١٥١. محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيســـى البابي الحلبي وشـــركاه، الطبعة الثالثة.

١٥٢. أبو زكريا محيي الدين النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٥٣. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ.

١٥٤. أبو ســهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، موســوعة مواقف الســلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى.

١٥٥. مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، دار إحياء التراث العربي، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر.
١٥٦. الذهبي، ميزان الاعتدال، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
١٥٧. لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكان، السعودية، ط بدون.
١٥٨. مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، مكتبة العبيكان، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ.
١٥٩. عبد الواحد يحي، نظرات في التربية الروحية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٤م.
١٦٠. حسن بن محمد حسن الأسمري، النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغربي العربي في التعامل معها دراسة نقدية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١٦١. سامي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط١، بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م.
١٦٢. محمد أسد، هذه شريعتنا ومقالات أخرى، نقله إلى العربية، شكري المجاهد، دار الكتب القطرية، ٢٠١٥م، ط١.
١٦٣. عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٣م.
١٦٤. شمس الدين أحمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت.
١٦٥. أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري، الولاء والبراء في الإسلام، دار الدعوة الإسلامية، ط١، ١٤٣٣هـ.
١٦٦. حاتم الشريف، الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، الكتاب منشور على موقع وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، نشر في ٢٠١٦م.
١٦٧. لورد هدلي، يقظة الغرب نحو الإسلام، مطبعة الجريدة التجارية المصرية، الإسكندرية، ط بدون.

فهرس الموضوعات

الباب الثاني: جهود من أسلم من المستشرقين في الدفاع عن قضايا المسلمين. .. ٣٧٣

الباب الثالث: معالم منهج المستشرقين الذين أسلموا في الدفاع عن الإسلام وخصائصه. ٤٨٤